

الزَّهْرَةُ

لِأَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ الْأَصْبَهَانِيِّ

الشمس

لأبي بكر محمد بن داود الأصبهاني

الجزء الأول

الطبعة الثانية
١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م
طبعة جديدة مزيّدة ومنقّحة

مَقَّصَهُ وَقَدَّمَ لَهُ وَعَلَّنَ عَلَيْهِ
د. إبراهيم السامرائي

مكتبة المنار
الأردن - الترقاء

شارع الفاروق - بجانب جمعية المركز الإسلامي

مكتبة المنار هائف ٨٣٦٥٩ - ص.ب ٨٤٢ الزرقاء - الأردن



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمده وأستعينه وأصلي وأسلم
على صفوة خلقه سيدنا النبي العربي



المقدمة

أبو بكر محمد بن داود الأصبهاني(*)

سيرته:

يعد أبو بكر محمد بن داود الأصبهاني، المعروف بالظاهري من أكابر علماء عصره وفقهائهم وأذكيائهم، لعلوه في رتبة الأدب، وتصرفه في اللغة، وتفنته في موارد المذاهب، وقدرته على الإفتاء في سن مبكرة. ويكاد القدامى يجمعون على هذه الخصال، فقد ذكر الخطيب البغدادي صفاته فقال^(١): كان عالماً أديباً، شاعراً ظريفاً، وقال عنه ابن خلكان^(٢): كان فقيهاً أديباً شاعراً ظريفاً، وكان يناظر أبا العباس بن سريج. وقال الصفدي^(٣): إنه من أذكى العالم، وقال عنه الذهبي^(٤): وكان من أذكى زمانه. حفظ القرآن وله سبع سنين، وقد أدى جلوسه للفتيا وهو في سن مبكرة إلى استصغاره، وقد حمل ذلك بعض حساده على أن يدسوا إليه رجلاً يطلب منه أن يسأله عن حد السكر ما هو؟ فأتاه الرجل فسأله عن حد السكر ومتى يكون الإنسان سكران؟ فقال محمد: إذا عزبت عنه

(*) كنا قد قدمنا للجزء الثاني من الكتاب أنا والدكتور نوري القيسي، وقد عدت إلى تلك المقدمة فأعملت النظر فيها فغيرت منها وزدت فيها فجعلتها مقدمة للكتاب كله.

(١) تاريخ بغداد ٢٥٦/٥.

(٢) وفيات الأعيان ٣/٣٩٠.

(٣) الوافي بالوفيات ٣/٥٨.

(٤) تاريخ دول الإسلام ١/١٣٢.

الهموم، وباح بسرّه المكتوم، فاستحسن ذلك منه، وعلم موضعه^(٥) وقد نقلت المصادر التي تحدثت عنه أخباراً كثيرة تدل على قدرته في القضاء، وإحاطته بالعلوم^(٦). وقد نعته ابن الرومي الشاعر بـ «فقيه العراق». فقد حكى أبو بكر بن أبي الدنيا أنه حضر مجلس محمد فجاءه رجل فدفع إليه رقعة فأخذها وتأملها طويلاً وظن تلامذته أنها مسألة فقلبها وكتب في ظهرها ودفعها فإذا الرجل علي بن العباس المعروف بابن الرومي الشاعر وإذا في الرقعة مكتوب^(٧):

يا ابن داود يا فقيه العراق أفئتنا في قوائل الأحقاد
هل عليهن في الجروح قصاص أم مباح لها دم العشاق

وإذا الجواب:

كيف يفتيكم قتيلاً صريعاً بسهام الفراق والاشتياق
وقتيلاً التلاق أحسن حالاً عند داود من قتيلاً الفراق

وقد ورد الخبر والأبيات في تاريخ بغداد بشكل آخر واختلاف في ذكر الأبيات^(٨).

لقد أجمعت المصادر على قدرته على الإفتاء، وتمكنه من المناظرة. وقد اشتهرت مناظراته مع ابن سريج القاضي. وأشار الخطيب إلى أن محمد بن داود كان خصماً لأبي العباس بن سريج القاضي. وكانا يتناظران ويترادان في الكتب^(٩) إلا أن هذه الخصومة لم تمنع ابن سريج من حزنه الشديد عند سماعه نبأ وفاة محمد بن داود حيث قال بعد أن نحى نحاده ومشاوره وجلس للتعزية:

(٥) تنظر المسألة في تاريخ بغداد ٢٥٦/٥ ووفيات الأعيان ٣٩٠/٣ والوفاء بالوفيات ٥٨/٣ والبدية والنهاية ١١٠/١١.

(٦) تاريخ بغداد ٢٥٦/٥ ووفيات الأعيان ٣٩٠/٣ والوفاء ٦٠/٣.

(٧) الخبر والأبيات في وفيات الأعيان ٣٩٢/٣ والوفاء ٦٠/٣.

(٨) تاريخ بغداد ٢٥٧/٥ والمحمدون من الشعراء ص ٣١٤ - ٣١٥.

(٩) انظر الخطيب ٢٥٤/٥، ٢٦١، ووفيات الأعيان ٣٩٠/٣.

ما آسى إلا على تراب أكل لسان محمد بن داود^(١٠): وذكر الصفدي أنه لما مات محمد جلس ابن سريج في عزائه وبكى وجلس على التراب وقال: ما آسى إلا على لسان أكله التراب من أبي بكر، ويحكى أنه لما بلغته وفاته كان يكتب شيئاً فألقى الكراسية من يده وقال: مات من كنت أحت نفسي وأجهد لها على الاشتغال لمناظرته ومقاومته^(١١).

أما اشتغاله في الحديث فقد نقل الخطيب حديثاً واحداً عنه ذكره أبو عبدالله نفظويه النحوي قال: دخلت على محمد بن داود الأصبهاني في مرضه الذي مات فيه فقلت له: كيف تجدك؟ فقال: حب من تعلم أورثني ما ترى! فقلت ما منعك من الاستمتاع به مع القدرة عليه؟ فقال: الاستمتاع على وجهين أحدهما النظر المباح، والثاني اللذة المحظورة. فأما النظر المباح فأورثني ما ترى، وأما اللذة المحظورة، فإنه منعي منها ما حدثني به أبي، حدثنا سويد بن سعيد. حدثنا علي بن مسهر عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «من عشق كتم وعف وصبر غفر الله له وأدخله الجنة» ووردت فيه بعض الخلافات في الرواية^(١٢). ومن الغريب أن نجد في حياة هذا الرجل فتى حدثاً من أهل أصفهان كان يهواه ويعشقه حتى أصبح أمره عند معاصريه معروفاً. وقد نقلت كتب القدامى أخبار هذا العشق. فقد حدث الخطيب نقلاً عن أبي سعد الماليني عن الحسن بن إبراهيم الليثي قوله: كان محمد بن داود يميل إلى محمد بن جامع الصيدلاني وبسببه عمل كتاب الزهرة^(١٣).

وقال عنه الصفدي^(١٤): كان محمد يهوى فتى حدثاً من أهل أصفهان يقال

(١٠) تاريخ بغداد ٢٥٩/٥ ووفيات الأعيان ٣٩٠/٣.

(١١) الوافي بالوفيات ٦٠/٣.

(١٢) تاريخ بغداد ٢٦٢/٥ وأشار الصفدي في الوافي بالوفيات ٦٠/٣ إلى الخلافات.

وروايته في [المحمدون] ٣١٨ مطابقة لرواية الخطيب.

(١٣) تاريخ بغداد ٣٦٠/٥.

(١٤) الوافي ٥٩/٣.

له محمد بن جامع، ويقال له ابن زحرف، وكان طاهراً في عشقه عفيفاً. ومن الغريب في حكايته أن محمد بن جامع كان ينفق على محمد بن داود، وما عرف فيما مضى من الزمان كما يقول الخطيب: معشوق ينفق على عاشق إلا هو^(١٥). وقيل أن اسم هذا المعشوق وهب بن جامع العطار الصيدلاني^(١٦). ومما يروى عن عفة حبه وطهارته ما رواه الصفدي إذ قال: دخل ابن جامع يوماً إلى الحمام وخرج فنظر في المرأة فأعجبه حسنه فغطى وجهه بمنديل وجاء إلى محمد بن داود وهو على تلك الحالة فقال: ما هذا؟ قال: نظرت في المرأة فأعجبني حسني فما أحببت أن يراه أحد قبلك، فغشي عليه^(١٧)، ولم يزل في حبه حتى قتله.

شعره:

أشار القدامى الذين ترجموا له إلى شاعريته فقالوا: كان أديباً شاعراً^(١٨). إلا أن كتب الأدب التي ترجمت لهذه الفترة، أو تحدثت عن الشعر في عصره لم تشر إلى هذا الشاعر، ولم تتحدث عن هذه الشاعرية. ولعل طمس المؤلف لعالم شعره وشاعريته كانت من الأسباب التي حالت دون شهرته، وقد عرف عنه بعض القدامى هذه الحقيقة فقال المسعودي وهو يتحدث عنه^(١٩): ومما قال فيه فأحسن في عنفوان شبابه وأثبتته في كتابه المترجم بالزهرة، وعزاه إلى بعض أهل عصره، وإن كان محسناً في سائر كلامه من منظوم ومثور قوله:

على كبدي من خيفة البين لوعة يكاد لها قلبي أسي يتصدع
يخاف وقوع البين والشمل جامع فيكي بعين دمعها متسرع
فلو كان مسروراً بما هو واقع كما هو سرور بما يتوقع
لكان سواء برؤيه وسقامه ولكن وشك البين أدهى وأوجع

(١٥) المصدر نفسه ٥٩/٣

(١٦) المصدر نفسه.

(١٧) المصدر نفسه ص ٥٩.

(١٨) ينظر كتاب أوراق من ديوان أبي بكر محمد بن داود الأصبهاني.

(١٩) المروج ٢٩٦/٤.

وقد نسبت هذه الأبيات في الزهرة^(٢٠) إلى بعض أهل هذا العصر. وكذلك قوله:

تمتع من حبيبك بالوداع إلى وقت السرور بالاجتماع
وهي في خمسة أبيات في كتاب «الزهرة»^(٢١). وقوله:

لا خير في عاشق يخفي صبابته بالقول والشوق في زفراته بادي
وهما بيتان في كتاب «الزهرة»^(٢٢) وفي الحاليين نسبها لبعض أهل العصر.

وقد استطعنا في ضوء هذه المعلومات التي وجدناها في مراجع ترجمته وما كان يصنعه أو يقدم له في النصف الأول من كتاب «الزهرة».. استطعنا أن نجد أكثر من ست وثمانين قطعة نسبها لبعض أهل العصر. وقد وجدنا جزء منها منسوباً له في كتب الأدب والتراجم التي نقلت عنه، أو ترجمت له، أمثال تاريخ بغداد للخطيب البغدادي والمحمدون من الشعراء والوفاء بالوفيات^(٢٣)، وهناك منشآت أخرى لم نجدها في كتاب «الزهرة» ولعلها تكون موجودة في كتب الأشعار والمجاميع.

(٢٠) الزهرة ص ١٦٠.

(٢١) الزهرة ص ١٨٥.

(٢٢) الزهرة ص ٣٢١.

(٢٣) قال الخطيب [٢٥٧/٥] سمعت أبا بكر محمد بن داود بن علي الأصبهاني ينشد:

ومن يمنع العذب الزلال يتمتع من الشرب من سؤر الكلاب تغضبا
خليق إذا ما لم يجد شرب غيره وخاف المتأيا أن يدل ويشربا
إذا لم يقدر للفتى ما أراد أراد الذي يقضي له شاء أم أبى

والأبيات من تسعة أبيات نسبت لبعض أهل هذا العصر وقد سبقت بقطعتين

كل منها أربعة أبيات في كتاب «الزهرة» ص ١٧٣.

وقال الخطيب [٢٥٨/٥]: حدثني الأزهرى قال: أنشدنا محمد بن جعفر

الهاشمي قال أنشدنا عبيد الله بن أحمد الأنباري قال: أنشدني محمد بن داود الأصبهاني

لنفسه:

لقد أحصينا الأبيات التي نسبها إلى بعض أهل هذا العصر في كتاب «الزهرة» فوجدناها أكثر من أربعمائة وأربعين بيتاً وهي تؤلف عشر الكتاب تقريباً. وإذا قدرنا أن شعره الذي نهج فيه هذا المنهج يشكل هذه الكمية فنستطيع أن نقدر كمية الشعر التي نظمها هذا الشاعر المغمور الذي لم يترجم له أو لم تشر إليه كتب الأدب بإشارة واحدة. . إن دراسة دقيقة لشعره المتناثر في النصف الأول من «الزهرة» توضح قيمة هذا الشعر من الناحية الفنية، وتبرز اتجاهه العفيف في معالجة هذا الجانب الشعري المتميز.

= وإني لأدري أن في الصبر راحة ولكن إنفاقي على الصبر من عمري
فلا تطف نار الشوق بالشوق طالباً سلوا فإن الجمر يسعر بالجمر
فالأول مع تسعة أبيات نسبت في «الزهرة» إلى بعض أهل هذا العصر، وقد سبقت القطعة بأربعة أبيات له أيضاً [«الزهرة» ص ١٢٧ - ١٢٨].

وقال الخطيب [٢٥٨/٥]. . أنشدنا القاسم بن وهب بن جامع لمحمد بن داود الأصبهاني:

قدمت قبلك قد والله برّح بي شوق إليك فهل لي فيك من حظ
قلبي يغار على عيني إذا نظرت بقيا عليك فما أروى من اللحظ
قال وأنشدنا القاسم له أيضاً:
جعلت فداك - إن صلحت فداءا لنفسك - نفس مثلي أو وقاءا
وكيف يجوز أن تفديك نفسي وليس محل نفسي سواها
والقطعتان وحديث عن الهوى نسبتا في «الزهرة» إلى بعض أهل هذا العصر [«الزهرة» ص ٧٢].

وقال الخطيب في خبر [٢٥٩/٥] سمعت أبا بكر محمد بن داود الأصبهاني ينشد:

العذر يلحقه التحريف والكذب وليس في غير ما يرضيك لي إرب
وقد أسأت فبالنعمى التي سلفت إلا منتت بعفو ما له سبب
وقد نسبت القطعة وقطعة أخرى في كتاب «الزهرة» إلى بعض أهل هذا العصر [«الزهرة» ص ١٤٤].

وقد وردت بعض هذه الأشعار في كتاب [المحمدون من الشعراء ص ٣١٥] و[الوافي بالوفيات ص ٥٩].

إننا نستطيع أن نقول بأن الحقبة التي بدأ فيها بنظم الشعر كانت مبكرة لأن الوقت الذي بدأ فيه بتأليف الكتاب كان مبكراً، وقد أشار إلى ذلك في حديثه عن كتاب «الزهرة» حيث قال: ما انفككت من هوى قط منذ دخلت الكتاب بدأت بعمل كتاب «الزهرة» وأنا في الكتاب، ونظر أبي في أكثره (٢٤)، وقال ابن خلكان «وصنف في عنفوان شبابه كتابه الذي سماه «الزهرة» (٢٥).

ولا بد أن تكون فترته في الكتاب فترة متقدمة إلى جانب ما وجدناه من استصغار الناس له بعد وفاة أبيه عندما خلفه للفتيا في مجلسه، فإذا كان أبوه قد نظر في كتابه قبل وفاته علمنا أنه حين ألف الكتاب الذي يضم أكثر من أربعمائة بيت من الشعر كما أسلفنا.

ولعل الشاعر لم يكن راضياً عن ميله هذا، أولعله كان يريد أن يحصر شعره ويحول دون انتشاره، وهذه ظاهرة أخرى توضح لنا مدى جهل الناس به. فقد نقل البغدادي (٢٦) خبراً عن القاضي أبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الأزدي ببغداد حيث قال: كنت أساير أبا بكر محمد بن داود بن علي ببغداد فإذا جارية تغني بشيء من شعره:

أشكو عليل فؤاد أنت متلفه شكوى عليل إلى ألف يُعلّله
سقمي تزيد مع الأيام كثرته وأنت في عظم ما ألقى تقلله
اللّه حَرَمَ قتلي في الهوى سفهاً وأنت يا قاتلي ظلماً تُحلّله

فقال محمد بن داود: كيف السبيل إلى استرجاع هذا؟ فقال القاضي أبو عمر: هيهات سارت به الركبان.

إن هذه الأسباب مجتمعة إلى جانب العوامل الأخرى التي أحاطت به وانصرافه إلى التفقه في علوم الدين والرد على الذين ناظروه والانتصار لأبيه من

(٢٤) تاريخ بغداد ٢٥٩/٥ المنتظم ٩٤/٦، الوافي بالوفيات ٥٨/٣.

(٢٥) وفيات الأعيان ٣٩٠/٣.

(٢٦) تاريخ بغداد ٢٥٨/٥ والوافي بالوفيات ٥٩/٣.

الناشيء المتكلم والانتصار لأبيه من محمد بن جرير والرد على ابن شرشير وأبي عيسى الضرير ووفاته في سن مبكرة. كل هذه العوامل حالت دون استمراره في الشعر وأدت إلى انصرافه عنه.

مصفاته:

لقد عرف أبو بكر محمد بن داود الأصبهاني بكتاب «الزهرة» أكثر من أي كتاب آخر، لشهرة هذا الكتاب، وما جمع فيه من آداب، وأق في فيه من نواذر، وذكر فيه من أشعار، ولم يقتصر تأليفه على هذا الكتاب وإنما انصب اهتمامه بعد هذا الكتاب إلى المسائل الفقهية والأصول وقد ذكر له ابن النديم قائمة بجملة كتب فقهية هي (٢٧):

- ١ - كتاب الإنذار (٢٨).
- ٢ - كتاب الإعذار (٢٩).
- ٣ - كتاب الوصول إلى معرفة الأصول (٣٠).
- ٤ - كتاب الإيجاز (٣١).
- ٥ - كتاب الرد على ابن شرشير.
- ٦ - كتاب الرد على ابن عيسى الضرير.
- ٧ - كتاب الانتصار من أبي جعفر الطبري وأضاف الصفدي إلى هذه الكتب (٣٢).
- ٨ - مختار الأشعار.

(٢٧) الفهرست ص ٢١٧.

(٢٨) ذكره ابن خلكان ٣٩٢/٣ والصفدي في الوافي ٥٨/٣ وحاجي خليفة ١٣٩٩/٣.

(٢٩) ذكره ابن خلكان والصفدي وحاجي خليفة.

(٣٠) ذكره الصفدي ٥٨/٣ وحاج خليفة ٢٠١٤/٢.

(٣١) سماه الصفدي في الوافي ٥٨/٣ الإيجاز في الفقه والبرعة وذكر له كتاباً آخر باسم

التقصي في الفقه والإيجاز.

(٣٢) الوافي بالوفيات ٥٨/٣.

٩ - الانتصار لأبيه من الناشيء المتكلم.

١٠ - اختلاف مسائل الصحابة.

١١ - الفرائض.

١٢ - المناسك.

ومن الغريب أن يغفل ابن النديم كتاب «الزهرة» الذي يعد من أشهر كتبه والذي ذكر في معظم الكتب التي ترجمت له (٣٣) أما حاجي خليفة فقد اختلف في تسميته فقد سماه مرة «زهرة العلوم في الأدب» ونسبه للشيخ ابن داود (٣٤) وسماه مرة أخرى «الزهرة» لمحمد بن داود (٣٥) وسماه مرة ثالثة «زهرة (بالتنكير)» ونسبه لأبي بكر محمد بن داود الظاهري (٣٦) وهي أسماء واحد لمؤلف واحد ولكن الذي يبدو أن هناك - في عهد صاحب «الكشف» - أكثر من نسخة اختلفت كتابة عنواناتها.

وفاته:

تنحصر وفاة صاحب «الزهرة» بين سنتي ست وتسعين ومائتين وسبع وتسعين ومائتين فقد ذكر المسعودي (٣٧) أن وفاته كانت سنة ست وتسعين ومائتين ويذهب ابن الجوزي هذا المذهب (٣٨) ويتابعه ابن خلكان في إحدى روايته (٣٩) أما الخطيب فيحدد وفاته في يوم الإثنين لتسع خلون من شهر رمضان سنة سبع وتسعين ومائتين (٤٠)، ويؤيد القفطي (٤١) وابن خلكان في الرواية

(٣٣) تاريخ بغداد ٢٥٦/٥ ووفيات الأعيان ٣٩٠/٣ والمنتظم ٩٤/٦ والوافي بالوفيات ص ٥٨ والمحمدون ص ٣١٣.

(٣٤) كشفت الظنون ٩٦٢/٢.

(٣٥) المصدر نفسه ١٤٢٣/٣.

(٣٦) المصدر نفسه ١٤٢٣/٢.

(٣٧) مروج الذهب ٢٩٦/٤.

(٣٨) المنتظم ٩٥/٦.

(٣٩) وفيات الأعيان ٣٩٢/٣.

(٤٠) تاريخ بغداد ٢٦٢/٥.

(٤١) المحمدون ص ٣١٩.

الثانية^(٤٢) والصفدي^(٤٣) هذا الرأي في تحديد السنة. ويجمعون على أن عمره اثنتان وأربعون سنة.

قصة الكتاب

عُرف كتاب «الزهرة» في نصفه الأول ووسم به «النصف الأول من كتاب الزهرة» كما هو في أصله المخطوط في دار الكتب المصرية ورقمه (٧٢٤٦). وقد نشره الأستاذ نيكل وقد ساعده الشاعر الفلسطيني إبراهيم طوقان. وكان ذلك في منشورات الجامعة الأميركية في بيروت سنة ١٩٣٢. وأصل هذه النشرة المخطوط الفريد الذي أشرنا إليه. وفي دار الكتب مخطوطة حديثة أخرى انتسخت من الأصل الذي سنأتي على وصفه^(*).

وكنتم قد نشرت النصف الثاني مع الأخ الدكتور نوري القيسي ببغداد سنة ١٩٧٥ واضطلعت وزارة الثقافة والإعلام بنشره بعد أن وجدنا من أصوله ما أعان على نشره. وهما نحن نصف الأصلين اللذين اعتمدناهما وقصتهما، ونبدأ الكلام عليهما لنخلص منهما إلى الكلام على النصف الأول، وهو مخطوط دار الكتب المصرية. وسيجد الدارسون أن سبيلنا هذا في وصف أصول الكتاب شيء لا بد منه تفرضه «قصة» الكتاب.

أصلا الكتاب للنصف الثاني:

- ١ - مخطوطة المتحف العراقي.
- ٢ - مخطوطة تورينو الإيطالية.

(*) لم يكن الناشران على علم بمخطوطة هذا الكتاب الكاملة التي تحتفظ بها خزانة جامعة تورينو في إيطاليا، ولوعرفاها لأشارا إليها.

(٤٢) وفيات الأعيان ٣/٣٩٢.

(٤٣) الوافي بالوفيات ٨/٣.

أصل الكتاب للنصف الأول:

١ - مخطوطة دار الكتب المصرية.

مخطوطة مكتبة المتحف العراقي:

النسخة الموجودة في مكتبة المتحف العراقي من كتاب «الزهرة» تحمل الرقم ١٣٤٥ وقياساتها ٢١ × ١٥ سم، وعدد صفحاتها مائتان وسبع وأربعون صفحة، في كل صفحة اثنا عشر سطراً. وهي نسخة خزائنية نفيسة وقديمة، في أولها تذهب، وقد كتب الناسخ في صفحتيه الثانية والثالثة بخط الثلث المذهب على زخرفة من التوريق العربي ما نصه: لخزانة مولانا السلطان الملك الصالح عماد الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين أبو الفداء إسماعيل بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب أعز الله أنصاره، وضاعف اقتداره.

والنسخة من مخطوطات أوائل القرن الثامن للهجرة. وقد كتب بعضهم^(١) في صفحة العنوان: أنه كتب سنة ٧٢٩ للهجرة، غير أننا لم نعثر في المخطوطة على هذا التاريخ. وفي الصفحة عينها أن أحدهم طالع في سنة [لض] وتقابل في الحساب سنة ٨٣٠ للهجرة. وهذا التاريخ يقرب إلينا مسألة تاريخ الكتابة. وفيها ما يفيد أن النسخة كانت من كتب خزانة آل كبة في بغداد، وقد تملكها منهم محمد صالح كبة: سنة ١٢٤٩، وعبدالحسين كبة: سنة ١٢٨٨، وعبد الأمير كبة. ثم آلت إلى مكتبة الأب أنستاس الكرمللي الذي استعاد شراءها بعد أن افقدها في ٢٢ شباط ١٩٣٢، وذلك بخمسة دنانير ذهبية. وفوق غرة الكتاب كتب الأب أنستاس ما نصه:

(١) يذهب الأستاذ كوركيس عواد إلى أن كاتب تاريخ النسخة غير معروف، فأشار إليه بعبارة [بعضهم] ويبدو أن كاتب النسخة هو الذي دون تاريخ كتابتها. إلا أن مرور الأيام أدى إلى محو التاريخ. وقد حمل هذا المجو الأب أنستاس إلى إعادة كتابتها، وما يدل على ذلك وجود بعض الكتابات بخط الكرمللي والتي تشابه الحبر المستعمل في إعادة كتابة التاريخ. (اعتمدنا في تثبيت بعض هذه المعلومات، فهرست المخطوطات العربية في مكتبة المتحف العراقي ببغداد للأستاذ كوركيس عواد ص ٢٨).

الجزء الثالث من كتاب «الزهرة» هو في أربعة أجزاء لأبي بكر محمد بن داود بن علي بن خلف الأصبهاني المعروف بالظاهري، المتوفى سنة ٢٩٧ للهجرة، وهي مجموعة الأدب (كذا) أتى فيه بكل غريبة ونادرة وشعر رائع، صنعه في عنفوان شبابه.

يبدأ الكتاب بالباب السابع والستين وينتهي بالباب التاسع والثمانين وقد جاء ترتيبها على الوجه الآتي: (٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٤، ٧٢، ٧٣، ٧٩، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩) ومن عرض هذه الأبواب نجد أن البابين (٧٠، ٧١) قد سقطا من المخطوط.

إن هذا التقسيم لا يعني أن الأبواب كاملة ومرتبطة بشكل طبيعي، وإنما جاءت الأبواب بشكل غريب، ومخالف لما رسمه المؤلف. فباب ألحقت به ورقتان، وباب ألحقت به ثلاث وعشرون ورقة، وباب ألحقت به سبع ورقات وباب ألحقت به تسع عشرة ورقة. وهو ترتيب مغاير - كما قلنا - للطريقة التي تحدث عنها المؤلف في مقدمة النصف الأول من كتاب «الزهرة» المطبوع حيث يقول «وهو كتاب سميت «الزهرة»، واستودعته مائة باب ضمنت كل باب مائة بيت»^(٢).

وقد ظن كثير من الباحثين أن النسخة البغدادية الموجودة في مكتبة المتحف العراقي هي النسخة الفريدة من هذا الكتاب القيم، ولكن إشارة الدكتور الجوارى في كتاب «الحب العذري» ص ١٤٤، تركت أملاً للباحثين، لا سيما إشارته إلى المستشرق نلينو الذي أكد وجود المخطوط في المكتبة الملكية بتورينو. وتثبيتاً لأبواب الكتاب كاملة في الكتاب، كما أشار الدكتور الجوارى إلى رسالة الأب أنستاس ماري الكرمللي التي بعث بها إلى نيكل محقق القسم الأول من كتاب «الزهرة»، ينبئ فيه بأنه كان يملك قبل الحرب مخطوطاً جليلاً في أربع مجلدات صغيرة كتب عام ٧٢٩ للمكتبة الملكية لأبي الفداء، وقد فقد كله سنة

(٢) مقدمة كتاب النصف الأول من «الزهرة» ص ٤.

١٩١٧ على أثر سقوط بغداد. وفي الثاني والعشرين من فبراير عام ١٩٣٣ استطاع أن يشتري المجلد الثالث وهو يبدأ بالباب السابع والستين وينتهي بالباب التاسع والثمانين [يعني بذلك النسخة البغدادية التي وصفناها قبل قليل] وهذا يعني أن نسخة الأب أيضاً كانت كاملة، ولكنها فقدت، وبقي هذا القسم، ولعلّ الأيام تعيد إلينا بقيتها.

نقول: إن هذه الإشارة دفعتنا إلى الكتابة الملكية بتورينو لمحاولة الحصول على النسخة، ولكن جوابها كان ينفي وجود النسخة، معتردين بأن حريقاً أصاب المكتبة. وهذا الخبر دفعنا إلى المباشرة بطبع ما وجدناه في النسخة البغدادية مع علمنا بنقصه، وقد تم ذلك وطبعنا منه ست كرايس.

وفي عام ١٩٧٠ دعت كلية الآداب بجامعة بغداد الأستاذ رزيتانو الإيطالي لإلقاء بعض المحاضرات، وقد صحبه في حضوره إلى الكلية الدكتور (بنية كيتي) فطلبنا منه أن يعاوننا في الحصول على النسخة التي يُظن أنها في خزانة تورينو، وقد حمل هذا الطلب مشكوراً، وتحمل أعباء التصوير بالمايكرو فيلم، وإحضاره إلى بغداد فجزاه الله خير الجزاء.

وقد وجدنا المخطوطة المشار إليها كاملة، وتضم الجزء الأول من كتاب «الزهرة» والجزء الثاني، وتقع في مائتين واثنين وعشرين ورقة. والجزء الثاني من المخطوطة يكمل النسخة البغدادية الناقصة، لأنه يبدأ من الباب الواحد والخمسين [الباب الذي انتهى به النصف الأول من كتاب «الزهرة» المطبوع هو الباب الخمسون] وهذا يعني أن سبعة عشر باباً من أبواب النسخة البغدادية (ب) المفقودة موجودة في نسخة تورينو (ت) وأن أحد عشر باباً من أبواب النسخة البغدادية المفقودة موجود في نسخة تورينو. وأن اثنين وعشرين باباً موجود في المخطوطتين، وفيهما اختلاف من حيث الزيادة في عدد القطع المستشهد بها في كل باب، وقد أشرنا إلى تلك الزيادة في الهوامش. وهي زيادات تفرد بها النسخة البغدادية وهذا يعني أن نسخة تورينو أيضاً غير كاملة، لأنها تغيّر المنهج الذي وضعه المؤلف لنفسه.

نسخة تورينو:

أما النسخة الإيطالية فتبدأ من الورقة ١١٦ وتنتهي بالورقة ٢٢٢. وفي كل صفحة تسعة عشر سطرًا وقد كتب الناسخ في غمرة الكتاب بقلم متوسط «كتاب الزهرة في الأدب» تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة أبو بكر محمد بن داود بن علي بن خلف الأصفهاني رحمه الله تعالى. وغفر له ولجميع المسلمين آمين. وفي القسم الثاني من الورقة ترجمة مصنف الكتاب بخط اعتيادي منقولة عن كتاب وفيات الأعيان وإلى جانب عنوان الكتاب من الجهة اليسرى تمليكات كتب الأول بالقلم الفارسي ونصه: تملكه بدمشق الشام أفقر الأنام لعفو الملك العلام درويش بن محمد الطالوتي عفا الله عنه بدمشق المحمية عام ٩٨٣ وتملك آخر نصه «في نوبة الفقير يحيى بن محمد الملاح، وتملك ثالث طمس بالمسح وبقي التاريخ وهو سنة ١٠١٩ وإلى جانبه الأيمن طمس آخر وفي أسفله بالخط الفارسي المعتاد «كتاب الزهرة في الأدب» بخط عربي ١٩ سطرًا. أما الورقة الثانية فقد توسطتها دائرة مزخرفة دقيقة الصنع، مضبوطة المقياس تدل على براعة هندسية متقنة وعلى الجانب الأيسر تملك كان الأول نصه «اشتراه العبد الفقير محمد أمين الشافعي من المخلفات الدرويشية الطالوية غفر الله ذنوبه بجاه خير البرية مفتتح عام ١٠١٥» والثاني نصه «الحمد لله ثم صار في نوبة العبد الفقير إليه سبحانه عبدالرحمن الحسيني الحنفي عفا الله عنه في ١٠٨٠».

* * *

وقد وقفت على النصف الأول المطبوع الذي نشره نيكل وطوقان فبدأ لي أن عمل الناشرين معوز، وأن فيه من الأوهام الكثيرة ما يحفزني على إعادة نشره بعد أن تيسر لي الحصول على مصوِّرة لأصله المحفوظ في دار الكتب المصرية، وهو الأصل الذي صنع عليه الناشران نشرتها.

إن الأوهام التي حفل بها هذا النصف الأول من الكتاب تتصل بمسائل عدة منها أن الإعلام قد عرض لها من التصحيف والخطأ الشيء الكثير.

فأنت تجد أن «البحتري» وهو الشاعر المشهور صار «عبيد بن الوليد»

كما صار «الوليد بن عباد» وغير هذا. وأن «أبا ذَهَبِل» صار «أبا ذَهيل»، ومثل هذا كثير سيقف عليه القارئ في تعليقاتي في شرقي للكتاب.

ومن الأوهام ما يتصل برواية الشعر، فقد حفل الكتاب بمختارات كثيرة، وقد عرض التصحيح والخطأ لكثير من الشعر، وفيه ما اشتهر وعرف في روايته، وليس من عذر في ارتكاب الخطأ فيه.

وقد عرض شيء من هذا إلى القسم المنشور من الكتاب. وكنت قد جمعت هذه الأوهام وضممتها مقالة نشرت في مجلة معهد المخطوطات (الجزء الثاني من المجلد الثامن والعشرين).

وقد اعتمدت الأصل المحفوظ في دار الكتب المصرية ورقمه (٧٢٤٦).

وصف المخطوطة:

تقع المخطوطة في ثلاث مئة وثمان وخمسين صفحة، وقد كتبت بخط النسخ. وقد اشتملت كل صفحة على واحد وعشرين سطراً، ومعدل ما ورد في كل سطر عشر كلمات. وخطها حسن اعتني في تجويده وضبطه بالشكل.

على أن هذا الأصل لم يخل من أوهام مردّها سهو الناسخ، غير أن الناشرين لم يفظنا إلى هذه المواضع، فقد أعاد ما أخطأ فيه الناسخ ولم يتوقفا قليلاً فيشير إلى الأوهام التي قصر فيها الناسخ. وكان عليهما أن يعلّقا تعليقا موجزاً ليكون القارئ على بينة. وهذا يعني أنها لم يكونا على علم بهذه الأوهام.

لقد كانت تعليقات نيكل في القسم الانكليزي طويلة ووافية استهلكت صفحات عدة. غير أن القارئ محتاج إلى أن يجد بين يديه نصاً سليماً، إذ ليس لتلك التعليقات من فوائد عملية، إن لم تتوفر على خدمة النص وتصحيحه وضبطه.

لقد أشار نيكل إلى تنويه المؤلفين الأقدمين بكتاب «الزهرة»، كما أشار إلى

تنويه ماسينيون بهذا الكتاب وصاحبه ابن داود الظاهري. وسأشير في تعليقاتي إلى أخطاء الأصل المخطوط وأخطاء القسم المطبوع.

كما اشتملت تعليقاتي فوائد كثيرة تتصل بتوثيق النصوص وتخريجها والإشارة إلى أصحابها مفيداً مما ورد في دواوين الشعر ومجاميعه، وما ورد في كتب التراجم والطبقات مجتهداً قدر المستطاع أن أنسب المقطعات الشعرية إلى أصحابها.

رمزنا إلى الأصل المخطوط للجزء الأول بالحرف «م».

كما أشرنا إلى «المطبوع» بكلمة «المطبوع».

ورمزنا للنسخة البغدادية التي اعتمدناها في نشر الجزء الثاني بالحرف «ب» وإلى النسخة الإيطالية بالحرف «ت».

طريقة المؤلف وأهمية المؤلف:

أوضح المؤلف في مقدمة النصف الأول من كتاب «الزهرة» طريقته التي سلكها في كتابه هذا فقال^(٣): «وهو كتاب سميت «الزهرة» واستودعته مائة باب ضمنت كل باب مائة بيت، أذكر في خمسين باباً منها جهات الهوى وأحكامه وتصاريفه وأحواله. وأذكر في الخمسين الثانية أفانين الشعر الباقية. وأقتصر في ذلك على قليل من كثير، وأقنع من كل فن باليسير إذ كان ما نقصده أكثر من أن يتضمنه كتاب، أو يعبر عن حقيقته خطاب».

أما طريقته في عرض هذه الأبواب فكانت تتلخص في التعقيب على كل باب من الأبواب بما يشاكله من الأشعار. ويقتصر على القليل من الأخبار، لأنها — كما يقول — قد كثرت في أيدي الناس فقل من يستفيدا. . وقد حاول المؤلف أن يوضح لنا الأبواب التي عالجها في القسم الثاني فقال^(٤): ونحن الآن إن شاء الله وقد أتينا على الخمسين الماضية من الأبواب، مبتدئون في الخمسين الباقية من

(٣) النصف الأول من كتاب «الزهرة» ص ٤.

(٤) النصف الأول من كتاب «الزهرة» ص ٣٧١ - ٧٢.

الكتاب، فأول ما نشرع فيه من ذلك ما قيل في تعظيم أمر الله عز وجل والتنبيه على قدرته والدلالة على آلائه. والتحذير من سطوته ثم نعقب ذلك ما قيل في رسوله ﷺ ثم نتبع ذلك ما قيل في المختارين من أهل بيته رحمة الله عليهم وصلواته. ثم ننسق إلى آخرها على أحق الترتيب بها حسب ما تبلغه أفهامنا ويومي إليه اختيارنا. وإنما قدمت أبواب الغزل منها ديناً ودنيا (ومما هو) أدعى إلى مصالح النفس وأدخل في باب التقوى لأن مذاهب الشعراء أن تجعل التشبيب في صدر كلامها مقدمة لما تحاوله في خطابها حتى أن الشعر الذي لا تشبيب له ليلقب بالخصى وتسمى القصيدة منه بالبراء. وأن قائلها ليخرج عند أهل العلم بالأشعار عن عمل يدخل فيه الموصوفون بالاقتدار والمنسوبون إلى حسن الاختيار فأحببت أن لا أخرج في تأليف الشعر عن مذهب الشعراء.

وبعد هذه المقدمة النقدية الرائعة ينتقل إلى الحديث عن أبواب الكتاب التي عزم على تأليفها فيقول^(٥): ونحن نقدم إن شاء الله ولا قوة إلا بالله ما نختاره من شعر أمية وأصحابه والداخلين معه في بابه فإنهم وإن لم يبلغوه فقد رموا غرضه فقاربوه يتلوه الباب الحادي والخمسين ذكر ما قاله أمية ونظراؤه في تعظيم أمر الله جل ثناؤه والحمد لله رب العالمين.

والذي يغلب على الكتاب طابع المقطعات التي تتراوح أبياتها بين البيتين والأربعة، وتشكل هذه المجموعة أكبر كمية في الكتاب. أما القطع التي تزيد على هذا العدد من الأبيات فهي قليلة، وربما كانت أكبر قطعة في الكتاب لا تتجاوز الستة عشر بيتاً، وما شاكلها أو قاربها في العدد قليل جداً وقد توزعت اختياراته بين العصور الأدبية المعروفة (الجاهلي - الإسلامي - الأموي - العباسي) ونعني بالعباسي الأول لأنه عصر المؤلف، وربما كان هذا السبب من الأسباب التي حملت المؤلف على الإكثار من الاستشهاد بشعر هذه الفترة، وخاصة البحري وأبا تمام، إلى جانب الأعداد الكبيرة من الشعراء المغمورين، الذين لم نعثر على مراجع أخرى تذكر لهم هذه القصائد. وفي هذا المظهر تبرز أهمية الكتاب.

(٥) النصف الأول من كتاب «الزهرة» ص ٣٧٢ - ٧٣.

والأصبهاني لا يترك النصوص تمر دون إبداء رأي فيها، ولكنه كان يقف عند بعضها وقفات قصيرة، يبرز قيمة النص الفنية، ويظهر براعة الشاعر وقدرته على التوفيق إن كان موفقاً، وإخفاقه إن كان الحظ غير محالف له. لقد أدرك القدامى قيمة هذا الكتاب فحدثوا عنه، وأشاروا إلى فائدته وأثنوا على حسن اختياره^(٦).

ملاحظاتنا على الكتاب:

يجدر بنا ونحن نخرج هذا الجزء من كتاب «الزهرة» أن نشير إلى مجموعة من الملاحظات تجلت لنا من خلال عملنا فيه وتتلخص فيما يأتي:

١ - يغفل المؤلف نسبة كثير من الأبيات فيذكرها بلا عزو، ويكرر عبارة مألوفة في الكتاب هي: وقال آخر. وقد حاولنا نسبة بعض هذه الأبيات واستطعنا نسبة كثير من القطع غير المنسوبة أشرنا إليها في الهامش.

٢ - في نسبة كثير من النصوص اختلاف، وتكاد تكون بعض هذه النسبة جلية الوهم، واضحة اللبس. وقد حاولنا تصحيح نسبتها أن وجدنا ما يثبت هذه النسبة.

٣ - يبدو على النصوص اختلاف كبير بينها وبين ما هو مثبت في دواوين الشعراء إن كانت لهم دواوين. وبينها وبين كتب الأدب والتاريخ واللغة إن كانت مثبتة في هذه المراجع. وقد حاولنا إبقاء هذا الاختلاف، مشيرين إليه بشكل إجمالي بعبارة «وفي رواية الأبيات اختلاف» أو «وفي رواية الأبيات اختلاف كبير» إن كان الاختلاف بينهما كبيراً، خوفاً من إثقال الهوامش بمثل هذه الاختلافات الكبيرة. فمن أراد الرجوع إليها فعليه بمراجع التخريج التي أشرنا إليها.

(٦) ينظر مروج الذهب ٢٩٦/٤ ووفيات الأعيان ٣٩٠/٣ ومعجم الأدباء ٧٢/٢،

٤ - في تسلسل بعض الأبيات اختلاف، وخاصة المقطعات الطويلة، وقد أبقينا تسلسلها كما هو في النص محافظة عليه، وإخراجه كما أراد له المؤلف أو كما وجد في المصادر التي اعتمدها أو نقل عنها.

٥ - من المرجح أن قسمًا من الأبيات التي وجدناها غير منسوبة أو منسوبة إلى بعض أهل العصر، ولم نجد لها نسبة أو ذكرًا فيها توفر لدينا من المصادر نقول من المرجح أن تكون بعض هذه المقطعات وخاصة التي نسبها إلى بعض أهل هذا العصر من نظم المؤلف نفسه. وقد أشار المسعودي إلى ذلك فقال في سياق حديثه عن أبي بكر محمد بن داود^(٧) ومما قاله فيه فأحسن في عنفوان شبابه وأثبتته في كتابه المترجم بـ «الزهرة» وعزاه إلى بعض أهل عصره، وإن كان محسنًا في سائر كلامه من منظومه ومشوره قوله:

على كبدي من خيفة البين لوعة يكاد لها قلبي أسى يتصدع
وقوله:

تمتع من حبييك بالسوداع إلى وقت السرور بالاجتماع
وقوله:

لا خير في عاشق يخفي صبابته بالقول والشوق في زفراته بادي
وقد وجدنا هذه الأبيات من مقطعات الأولى أربعة أبيات ونسبت لبعض أهل هذا العصر في الزهرة، والثاني من خمسة أبيات لبعض أهل هذا العصر في الزهرة أيضاً، والثالث من بيت آخر نسبت لبعض أهل هذا العصر في الزهرة أيضاً.

وإلى جانب هذه الأبيات هناك مقطعات أخرى أشرنا إليها في حديثنا عن شعره في الصفحات المتقدمة.

(٧) المروج ٣٩٦/٤.

إن هذا التأكيد وهذا التثبيت والمقابلة أكد لنا صحة ما ذهبنا إليه في ترجيح نسبة بعض ما وجدناه منسوباً إلى بعض أهل هذا العصر إلى المؤلف نفسه.

عنوان الكتاب:

لا بد لنا ونحن نقدم على هذا العمل من أن نشير إلى الاختلاف الذي أثير أو أشيع حول عنوان الكتاب «الزهرة» بضم الزاي أم بفتحها.

إننا لم نشاهد من ضبط اسم الكتاب بالضم ولكننا نستطيع أن نقول أن الفتح أصح للأسباب الآتية:

١ - ذكر ياقوت^(٨): أن أحمد بن محمد بن فرج الجياني الأندلسي ألف كتابه المعروف بالحدائق للحكم المستنصر عارض فيه كتاب «الزهرة» لابن داود، ووضح أن بين الكتابين ربطاً كما هو الربط بين الزهرة والحديقة.

٢ - إن استعمال لفظ الزهرة في الكتب استعمال معروف، وقد وجدنا في إيضاح المكنون^(٩) أكثر من عشرين كتاباً بهذا الاسم، وهي تدل على معنى الزهرة بالفتح منها:

(أ) الزهر المقطوف من فتح الرؤوف.

(ب) الزهر النضير على الخوض المستدير.

(ج) زهرة البساتين.

(د) زهرة البستان ونزهة الأذهان.

(هـ) زهرة الرياض... إلخ.

وقد نعت صاحب المكنون كتاب الأصبهاني هذا بزهرة العلوم

والأدب.

(٨) معجم الأدباء ٧٧/٢.

(٩) إيضاح المكنون ص ٦١٥، ٦٢٠.

وقدمني إلى ورود الحمام قبلك وأبقاك. وهي بداية توضيح الغرض الذي حمله على هذا التأليف، وتكشف الجانب الودي، وتؤكد السبب الذي حمله على وضع هذا الكتاب في ٢٩ صفر ١٤٠٥ هـ.

٣ - إننا لم نجد من القدامى من ضبطها بالضم. وقد وجدنا النسخة المخطوطة وقد ضبطها الأب أنستاس بالفتح، والأب أنستاس من علماء العربية المعروفين، وكذلك عنوان النصف الأول المطبوع الذي هو عنوان الكتاب المخطوط على الغلاف.

٤ - ذكر ياقوت في خبر فقال^(١٠): سمعت الأمير أبا نصر أحمد بن الحسين بن أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن الميكالي يقول: تذاكرنا المتنزهات يوماً وابن دريد حاضر فقال بعضهم أنزه الأماكن غوطة دمشق. وقال آخرون بل نهر الأبله وقال آخرون سند سمرقند. وقال بعضهم نهروان بغداد. وقال بعضهم شعب بوان بأرض فارس. وقال بعضهم نوبهار بلخ. فقال: هذه متنزهات العيون فأين أنتم عن متنزهات القلوب. قلنا وما هي يا أبا بكر قال: عيون الأخبار للقتبي والزهرة لابن داود. والعلاقة بين المتنزهات والزهرة واضحة والتوافق بين العبارات ينم عن المقصود بمتنزهات العيون. هذه الإشارات حملتنا على الاعتقاد بترجيح الفتح...

سبب تأليف الكتاب:

ذكر الخطيب نقلاً عن الحسين بن القاسم قوله: كان محمد بن داود يميل إلى محمد بن جامع الصيدلاني، ويسببه عمل كتاب «الزهرة». وقال في أوله: وما تنكر من تغير الزمان وأنت أحد مغيريه، ومن جفاء الإخوان وأنت المقدم فيه، ومن عجيب ما يأتي به الزمان ظالم يتظلم وغابن يتندم، ومطاع يستظهر وغالب يستنصر.

إن إشارة الخطيب إلى هذه الحقيقة توضح لنا البداية التي افتتح بها المؤلف كتابه لأنها بداية تدعو إلى التأمل، لأنه يقول بعد البسملة مباشرة: أطال الله في العز الدائم بقالك، وصان عن غير الأيام نعماك، وجعلني غرضاً للنوائب فداك،

(١٠) معجم الأدباء ٤٩٣/٦.

لثقت د، ما نأته عن التعرض لصفاته كما قال بعض اهل هذا العصر
 ينسب الموعود وصفه من جعل ذروته كالارض يشغل عنها من قبي فيها
 لا انك هو شيء وقع في اضطرابا فاقرباني لم اكن له مختارا ولا اقوت
 او قعته لنفسه الكسبا با فاكون اذ سنه عن طبعي كذا بالازهد فيه
 فاذهب في رواء ولا يفرقني فائمه من الروح محل الروح من المسد
 لا بدري المسد ما الروح فيسر اذ جعل وعاء او يحزن اذ لم يشترودع
 ... واه ولا يته الى علمه فصلا عن ان يصل الى واصفه لان الشيء الحادث
 لا يعلم الا بما هو اعلم منه ومثله ولا سبيل الى ما يفصله فيكون معبرا عنه
 وقد وفقت على ما وصفته من تصاريف الايمان وخيانه الاخوان واعلم
 ابدك الله ان من عجب ما خصره الايمان والحولانية الاوهام ظالم ينظلم
 وغابن بتندم ومطاع يستظهر وغالب يستظهر ما الذي شكر ادام
 الله عزك وبسط بالخيرات يدك من غير الزمان وانت من مغيريه ومن جفا
 الاخوان وانت المقدم فيه انت بان الحجة له تغذر لنا عليه اخرى منك
 بان تعينه وتقدم مستعمليه انشلا بمحمن بن الحبيب الشيباني
 فلا خسر عن من سنه انت سرتها فاول راض سنه من سيرها
 وقلت قد منى الله قبلك قد اعيا على وجود ندبهم انهم في الخلوات
 واجد عند عزهم النايبات يورد الى الاخبار ويكتم على الاسرار
 فان كان في نايحتك من في هذا المقدار ونظف طرفا من اشعار
 المنعزلين واخبار المتيممين وكان عالما بطون الهوى واحكامهم
 عارفا بالمصيب من الشعراء في كلامه حافظا من انواع الشعر في كل باب
 ما يخلو حافظه في جملة اهل الاداب تطولت باثارة به على نفسك

الورقة الاولى (ب) من نص مخطوطة دار الكتب المصرية

الجليل في الشارح ربي وجهها على لبدى منه سون صوادع
الباب ^١ **الاسماعيل الشلثون**

مسامحة الاوهام والاماني سبب التمام العجز والنواني
 قال جدني ابو العباس احمد بن حنبل قال حدثني ابو العالبيه قال حدثني
 حبيب القشيري قال لما ملك الوليد بن يزيد به ش الى ابن مباده وكان معجبا بشعره
 فالزمه بابه فاشتاوى الشيخ لما طال مقامه فقال

الانيت شعري هل انتن ليلة لحي ليلى حيث ربي اهل
 بلادها نيطت على ما بيني ونطعن عيني حيث اذ ركني عتلى
 فان كنت عن تلك المواطن كما بيني فافس على الرزق اجمع اذا شملني
 قال فلا يسمع شعيرة كتب له الى صدق كلب ان يعطيه مائة نائة دهم
 جعادا وقال **ابن مباده**

الانيت شعري هل نجلن اهلنا واهلك روضات بطن اللوى خنثا
 وهل تالين الرنخ ندرج مؤهنا بعد وري بها بلدا قفرا قفرا
 ترخ خزاني الصلي الرملان معانقا فروع الافاحي لمصب الظل والظلا
 الاليتني الفاك انا ام محمد رقبيا فانا الصبر عنك فلا صبر
 الا لا ملطي السبر يا ام محمد رقبى بدرى الاعلام من ونا ستر
 وانشدني احمد بن محمد

قالنا سيمه ما لجسمك شاجبا وجد بعلوى يا اميم بداني
 لله صايجي الذي نبائه وشكوت خبك عنده فكوا ان
 ظن المكاون مخرجات حراة بين الضلوع ودورها الخصيان
 ما للرجال اماراي ما سفنك الابد كرك والمنى داواني

وقال

الورقة ٢٧٥ (أ) من نص مخطوطة دار الكتب المصرية

وقال كثير

وددت وما نفعني اوداده اني بما في ضيق الحاجية عالم
فان كان خيرا سرني وعلمته وان كان شرا لم تلني اللوام
وما ذكرك النفس لا تفرقت فريقتين منها عاذر لي ولا سم

وقال البحرى

منى النفس في اسما لو نسيت طيعها بها وجدها من عاده وود لو عسا
عجبت لها تبدي القيل واودها وللنفس تعصيتي هوى واطيعها

وقال آخر

وددت بان الناس كلهم انا واني فبداء للذي انا عا شقة
واني اذا صاحبت للعرض من غدا الى الله جينا هنا هناك وافقه
فاما الى جنات عدن نحن معا واما الى نار فقبها ارافقه

وقال كثير

يود بان يمسي سفيها لعلمها اذا سمعت عنه شكوى تراسله
ويرتاج المعروف في طلب العلى ليحمد يوما عند ليلى شكايله
فلو كنت في كبل ونجت بقولتي اليه الانت حملي سلاسله
وبدرك عسيري عند غيرك حفظه بشعري وعيني به من اجاله
فلا هانت الاشعار هدي وبعدكم محبا ومار الشعر بعدى وقيله

وقال آخر

تمنيت في عرض الاماني ورما تمنى الفتى امنية لاينا لها
لو اني بسعي حاربيت حبايا فتعلم حالن ثم اعلم حالها

الورقة ٢٧٥ (ب) من نص مخطوطة دار الكتب المصرية

والاداب المستحسنة الى حد اليات المطربة والمواد المصنعة ولخرجت الابيات للقطع
نظامها وشوكلها عن باب الاشعار اذ كان الاختيار والاضطرار معا منعان من الا دخل
في باب الاما توجه ترجمته المقدمة له اذا فلا بد من ادخال البيت مع البيت بتردده مع
الاختلاج يطابقه وان كان مالا فادنى نفسه لكان البيت عنيا عن ذكره والى معنى ان جعل
ايات كل باب مائة كاملة في حاصية معناه سوى ما يوصل به ما يدخل في معنى سواء شيان
احدهما اني لو فعلت ذلك لم اضبطه الا بتحمل المقطوعات بل بانها كتاب كل واحد
من الابيات وفي ذلك مائة مائة ذكر من يحين الكتاب وتبين الابواب والآخر
ان الابواب حينئذ كانت يكون بغير عدد محصور ولا حد مقصور وانما عدنا ان يكون
الكتاب مائة باب مائة بيت فيشمل طرفا على عشرة الف بيت وللحفاظ على ذلك
والمرعاة للتمام الشرط منه اعدت فما ذكره من سقات الشعراء خمسة ايات قد مررت في ابواب
الغزل يكون قصاصا من الخمسة الابيات التي في الرسالة المقدمة في صدر الكتاب
نحن لان لا خرج العدد عن حد ما قصده اعدنا اياتا قصاصا عن الابيات ليست
في باب انها هي تمثلها في عرض الخطاب فلو سألنا في ان يكون الاحتجاجات والاميات
المعلومات بما يشاكل الباب من الابيات غير ادخلات في العدد لاستحال ان تكون
من الابواب ولقد ترتيبنا الكتاب ونحن لان ان شاء الله ونذاينا على الحسنة
من الابواب مبتدئون في الحسنة الباقية من الكتاب اول ما تشع به من ذلك ما قيل
في تعظيم امر الله عز وجل والسه على قدره والدلالة على الآيه والتجديد من سطوته
ثم تعقب ذلك ما قيل في رسوله صلى الله عليه وسلم ثم تبع ذلك ما قيل في الخاتمين من اهل
بيته رحمه الله عليهم وصلواتهم ثم بسطنا في اخر ما على احق الترتيب بها حسب ما بلغه
ازها منا ودوى اليه اخبارنا وانما قدمت ابواب الغزل مهادنا ودنيا وانما المصلح
النفس وادخل في باب الشوك لان مذهب الشعراء ان يجعل الشيب في صدر كلامها

الورقة الأخيرة (أ) من نص مخطوطة دار الكتب المصرية

المَكْرُمَاتِ رَغْبَتُهُ فِي الْمُجَازَاةِ دَعَاهُ إِلَى تَرْكِهَا ظَفَرُهُ بِأَمْنِيَّتِهِ، أَوْ يَأْسُهُ مِنْ لِحَاقِ طَلَبِيَّتِهِ.

وكيف يكون متفضلاً عليك من ليست فيه فضيلة إلا وهي مردودة إليك. لكن حُرِّمْتُ العلم بفضلك علي مع ما حُرِّمْتُه من رغبتك، فني وميلك إلي، لقد حُرِّمْتُ حَظًّا جَزِيلاً وَخِيراً كثيراً. ولكن السبب الباعث لي على طاعتك، والمُذَلِّل لي عند سطورتك، والباسط لك العذر فيما تجنيه، والمُحَدِّل لك فيما تدعيه، سبب يُلْطَفُ عن أن يُعَايَنَ بالأبصار، ويدق عن أن يُدْرَكَ بالفحص والاعتبار. إن رُمْتُ إخفائه وُجِدَ، وإن حاولت إظهاره فُقِدَ. هوشي^(٤) يمنعي عن وصف جنسه، اشتغالي به في نفسه، وتقطعتي مُسامرته عن المُسامرة به. ويعوقني التفرد بمُعاناته عن التعرض لصفاته، كما قال بعض أهل هذا العصر^(٥):

يُنْسَى الهَوَى وصفه مَنْ حَلَّ دُرُوتَهُ كالأرض يُشْعَلُ عنها من تَوَى فيها لا أقول: هو شيء وَقَعَ بي اضطراراً، فَأَقْرُ بِأَنِّي لم أكن له مختاراً. ولا أقول: أوقعته لنفسي اكتساباً، فأكون إذ نَفَيْتُهُ عن طبعي كذاباً^(٦). لا أزهّد فيه فأرغب في سواه، ولا يُفَارِقُنِي فَأَتَمْنَاهُ، مَحَلُّهُ من الروح مَحَلُّ الروح من الجسد، لا يدري الجسد ما الروح فَيَسُرُّ إذ جُعِلَ وعاءه، أو يحزن إذ لم يُسَوِّدْ سواه، ولا يَتَجَهَّ إلى علمه فضلاً عن أن يصل إلى واصفه، لأن الشيء الحادث لا يُعْلَمُ إلا بما هو أعلى منه ومثله. ولا سبيل إلى ما يفضله فيكون مَجْبُوراً عنه.

وقد وقفت على ما وصفته من تصارييف الأزمان وخيانة الإخوان.

(٢) كثر استشهاد المصنف بأبيات ومقطعات وقصائد نسبها إلى بعض هذا العصر، وقد كنا عرضنا لهذه المسألة في هذه المقدمة.

(٣) كذا في الأصل، وقد جاءت في المطبوع: كذاباً.

واعلم - أيّدك الله - أن من عجب ما تُحْضِرُهُ الأيام، وتحوّل^(٤) به الأوهام ظالم بظلم، وغابن يتندّم، ومطاع يستظهر، وغالب يستنصر.

ما الذي تُتَكَر - أدام الله عزك، ويسط بالخيرات يدك - من تغير الزمان وأنت من مُغَيَّرِهِ، ومن جفاء الإخوان وأنت المقدم فيه. أنت، بأن تحتج له وتعتذر لفاعليه، أحرى منك بأن تعييه وتذم مُستعمليه. أنشدنا أحمد بن يحيى الشيباني^(٥):

فلا تجزعن من سنة أنت سيرتها فأول راض سنة من يسيرها
وقلت - قدمني الله قبلك: قد أعيا علي وجود نديم آنس به في
الخلوات، وأجد عنده عزاء من النائبات، يورد إلي الأخبار، ويكتم علي
الأسرار. فإن كان في ناحيتك من يقي بهذا المقدار، ويحفظ طرقاتاً من أشعار
المتغزلين وأخبار المُتَمِّمين، وكان عالماً بطرق الهوى وأحكامه، عارفاً
بالمصيب من الشعراء في كلامه، حافظاً من أنواع الشعر في كل باب
ما يدخل حافظه في جملة أهل الآداب، تطوّلت بإيثار ضنت به علي نفسك،
وأعفيتني من صرّف حاجتي فيه إلى غيرك.

واعلم - أدام الله تأييدك: أن المرتضين^(٦) من الإخوان معدومون في هذا الزمان. وإنما بقي قوم ينتصفون ولا ينصفون، إن بسطتهم لم يهابوك،

(٤) في الأصل: وتحول، وفي المطبوع: وتحوّل.

(٥) في الأصل المخطوط، وكذلك في المطبوع: محمد بن يحيى الشيباني. وقد رأيت أن الصواب هو أحمد بن يحيى الشيباني أبو العباس ثعلب، وقد ورد ذكره كثيراً في الكتاب بقول المصنف مراراً عدة: أنشدني أبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني. وهذه الإنشادات تؤلف مجموعة على شاكلة «الأمالي». ثم إننا لا نعرف محمد بن يحيى الشيباني.

(٦) في المطبوع: المرتضين بكسر الضاد، وهذه الصيغة صيغة اسم فاعل، والمراد من كلام المؤلف صيغة اسم المفعول، وبه يستقيم المعنى.

وإن أحشمتهم اغتابوك، ما داموا لك راجين أو خائفين، فهم إليك منقطعون. فإن زائلوا هاتين الحالتين لم يرعوا لك إخاء، ولم يعتقدوا لك وفاء. فإذا ظفرت بمنافق فتمسك به، فإنه على كل حال خير من غيره، لأنه يظهر لك بلسانه ما تسر به، وإن كان يضير خلافه بقلبه. وحسبك بقوم خيرهم المنافقون، وأهل الوفاء منهم مفقودون.

وبلغني عن عبد الملك بن مروان أنه قال: كل لذات الدنيا قد بلغت فلم يبق إلا أخ يسقط عني مژونة التحفظ.

وقد عزمت لما رأيت بك من غلبات الاشتياق، ومن ميلك إلى تعرف أحوال المشاق، أن أوجه إليك نديماً يشاهد بك أحوال المتقدمين، ويحضرك أخبار الغائبين، ينشط بنشاطك، ويمل بملالك، إن أدنيتة دنأ، وإن أقصيتة نأى، لا يزهي عليك عند حاجتك إليه، ولا يرغب عنك عند رغبتك عنه وخيفك عليه، لا يحفظ أسرارك فضلاً عن أن يفشيها، ولا تخطر بباله فيحتاج أن يخفيها، ولا تمنعك حشمته من سؤاله، ولا يغضبك عند خوفك من قلاله. انتزعت لك من خواطري، واخترت من غريب ما اتصل بمسامعي، إن اختصصت به من تحب من إخوانك لم تفتقده من ديوانك، واستبددت به دون أوليائك، فضلت به على نظرائك، وهو كتاب سميت «كتاب الزهرة» واستودعته مئة باب، ضمته كل باب مئة بيت. أذكر في خمسين باباً منها جهات الهوى وأحكامه وتصاريفه وأحواله. وأذكر في الخمسين الثانية أفانين الشعر الباقية. وأقتصر في ذلك على قليل من كثير، وأقنع من كل فن باليسير، إذ كان ما نقصده أكثر من أن يتضمنه كتاب، أو يعبر عن حقيقته خطاب.

ومثل هذا الكتاب إنما يطلبه أهل الآداب ليخفف على الألفاظ، ويتسهل للحفاظ. فإن بعد آخره نسي أوله. ولسنا، وإن اجتهدنا في إطالته، راجين التناهي إلى غايته. ومن لم يرج الكمال في الإكثار، كان حقيقاً أن يقنع بالاختصار.

وقد رأيت كثيراً ممن ينسب إلى الأدب، ويتحقق بتأليف الكتب، قصد في مثل هذا الكتاب إلى مقصد يعد عند من الصواب، ابتداءً بذكر من عشق من المتقدمين حتى ارتقى إلى ذكر بعض الأنبياء - صلوات الله عليهم أجمعين، وذكر أنهم كانوا من أتباع الهوى على حال، ولا يجوز أن يضاف مثلها إليهم، ولا يحل لمسلم أن يدعيها عليهم، من قتل النفوس المحرمات، ومن فعل الأشياء المستقبحات.

ونحن لو شئنا أن نذكر من كتاب الله - جل وعز، ومن أخبار المتقدمين من أنبيائه، وأيضاً نخبر من أوليائه ما يسهل سبيل الهوى على من أنكرها، وقرئها من فهم من لم ير أثرها، من حيث لا يستوجب به من عاقل إنكار، ولا يلحق بأحد من الأئمة فيه عار، لرَجونا بإذن الله أن لا تقتصر عن ذلك. غير أن هذا الأمر ليس من أمور الديانات التي لا تثبت إلا بالاحتجاجات، وإنما هو شيء يختص به قوم برقة طبائعهم وتألف أرواحهم. فمن كان مثلهم فهو يعدلهم، ومن خرج عن حدهم هان قوله.

والنبيون - عليهم السلام - والصالحون من أئمة أهل الإسلام يجعل مقدارهم عن أن تذكر أخبارهم، فيضعوها في غير مواضعها إن قبلوها، أو يكذبوا حاكياً إن أنكروها.

ولكل من العلوم حد متعارف بين أهله، لا يصلح أن يخلط بغيره، لا سيما وأكثر غرضنا من هذا الكتاب أن نذكر ما توقعه المشاكلة، وما توجهه الطابع المتعادلة، فإذا جمعنا بين المفترقات، وألفنا بين الأشياء المتنافيات، كان العار لاحقاً لنا بقضائنا على أنفسنا.

وقد جعلت الأبواب المنسوبة إلى الغزل من هذا الكتاب أمثالاً، وربتها على ترتيب الوقوع حالاً فحلاً. فقدمت وصف كون الهوى وأسبابه، وبسطت ذكر الأحوال العارضة فيه، بعد استحكامه من الهجر والفراق، وما توجه

غَلَبَاتُ الشَّوْقِ والإِشْفَاقِ. ثُمَّ خَتَمْتُهَا بِذِكْرِ الْوَفَاءِ بَعْدَ الْوَفَاةِ، وَبَعْدَ أَنْ أُتِيتُ عَلَى ذِكْرِ الْوَفَاءِ فِي الْحَيَاةِ. وَأَجْرِيَتْ مَا بَيْنَ أَوَّلِ الْأَبْوَابِ أَوْسَطُهَا، وَمَا بَيْنَ أَوْسَطِهَا وَآخِرِهَا عَلَى الْمَرَاتِبِ بَاباً فَبَاباً، لَمْ أَقْدِمْ مُؤَخَّراً، وَلَمْ أُؤَخِّرْ مُقَدِّماً.

وهذه ترجمة الأبواب:

- ١ - من كَثُرَتْ لَحَظَاتُهُ، دَامَتْ حَسْرَاتُهُ.
- ٢ - العقلُ عِنْدَ الْهُوَى أَسِيرٌ، وَالشَّوْقُ عَلَيْهِمَا أَمِيرٌ.
- ٣ - من تَدَاوَى بَدَائِهِ، لَمْ يَصِلْ إِلَى شَيْطَانِهِ.
- ٤ - لَيْسَ بَلِيبٌ، مَنْ لَمْ يَصِفْ بِهِ لَطِيبٌ.
- ٥ - إِذَا صَحَّ الظَّفَرُ، وَقَعَتِ الْغَيْرُ.
- ٦ - التَّذَلُّلُ لِلْحَبِيبِ مِنْ شِيمِ الْأَدِيبِ.
- ٧ - مَنْ طَالَ سُرُورُهُ، قُصُرَتْ شَهْوَاهُ.
- ٨ - مَنْ كَانَ ظَرِيفاً، فَلْيَكُنْ عَفِيفاً.
- ٩ - لَيْسَ مِنَ الظُّرْفِ، امْتِهَانُ الْحَبِيبِ بِالْوَصْفِ.
- ١٠ - سَوْءُ الظَّنِّ مِنْ شِدَّةِ الضَّنِّ.
- ١١ - مَنْ وَفَى لَهُ الْحَبِيبُ، هَانَ عَلَيْهِ الرَّقِيبُ.
- ١٢ - مَنْ مُنِعَ مِنْ كَثِيرِ الْوَصَالِ، قَنِعَ بِقَلِيلِ النَّوَالِ.
- ١٣ - مَنْ حُجِبَ عَنِ الْأَحْبَابِ، تَذَلَّلَ لِلْحُجَابِ.
- ١٤ - مَنْ مُنِعَ مِنَ الْوَصُولِ اقْتَصَرَ عَلَى الرِّسُولِ.
- ١٥ - مَنْ أَحْبَبَهُ أَحْبَابُهُ وَشَى بِهِ أَتْرَابَهُ.
- ١٦ - مَنْ لَمْ يُعَاتَبْ عَلَى الزَّلَّةِ، فَلَيْسَ بِحَافِظٍ لِلْخَلَّةِ.
- ١٧ - مَنْ عَاتَبَ عَلَى كُلِّ ذَنْبٍ أَخَاهُ فَخَلِيقٌ أَنْ يَمْلَهُ وَيَقْلَاهُ.
- ١٨ - بُعْدُ الْقُلُوبِ عَلَى قُرْبِ الْمَزَارِ، أَشَدُّ مِنْ بُعْدِ الدِّيَارِ مِنَ الدِّيَارِ.
- ١٩ - مَا عَتَبَ مِنْ اغْتَفَرٍ، وَلَا أَذْنَبَ مِنْ اعْتَذَرَ.

- ٢٠ - إِذَا ظَهَرَ الْغَدْرُ، سَهِّلَ الْهَجْرُ.
- ٢١ - مَنْ رَاعَهُ الْفِرَاقُ، مَلَكَهُ الْاِشْتِيَاقُ.
- ٢٢ - قَلَّ مِنْ سَلَا إِلَّا غَلَبَهُ الْهُوَى.
- ٢٣ - مَنْ غَلَبَهُ هَوَاهُ عَلَى الصَّبْرِ، صَبَرَ لِمَنْ يَهْوَاهُ عَلَى الْغَدْرِ.
- ٢٤ - مَنْ تَجَلَّدَ عَلَى النَّوَى، فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلْبَلَا.
- ٢٥ - فِي الْوَدَاعِ قَبْلَ الْفِرَاقِ بِلَاغٌ إِلَى وَقْتِ التَّلَاقِ.
- ٢٦ - مَا خُلِقَ الْفِرَاقُ إِلَّا لَتَعْذِيبِ الْعَشَّاقِ.
- ٢٧ - مَنْ غَابَ قَرِينُهُ، كَثُرَ حَنِينُهُ.
- ٢٨ - مَنْ لَمْ يَلْحَقْ بِالْحُمُولِ بَكَى عَلَى الطُّلُولِ.
- ٢٩ - مَنْ قَصَرَ عَنْ مُصَاحَبَةِ الْجَارِ، لَمْ يَنْفَعِهِ مُسَاءَلَةُ الدَّارِ.
- ٣٠ - مَنْ مُنِعَ مِنَ الْبِرَاحِ، تَشَوَّقَ بِالرِّيَاحِ.
- ٣١ - فِي لَوَائِعِ الْبُرُوقِ، أَنْسُ لِلْمُسْتَوْحِشِ الْمَشُوقِ.
- ٣٢ - فِي تَلْهَبِ النِّيرانِ، أَنْسُ لِلْمُذْنَفِ الْحَيْرَانِ.
- ٣٣ - فِي نَوْحِ الْحَمَامِ، أَنْسُ لِلْمَنْفَرْدِ الْمُسْتَهَامِ.
- ٣٤ - مَنْ امْتَحَنَ بِالْمَفَارِقَةِ وَالْهَجْرِ، اشْتَغَلَ فِكْرُهُ بِالْعِيَاةِ وَالزُّجْرِ.
- ٣٥ - فِي حَنِينِ الْبَعِيرِ الْمُفَارِقِ، أَنْسُ لِكُلِّ صَبٍّ وَامِقٍ.
- ٣٦ - مَنْ فَاتَهُ الْوَصَالُ، نَعَشَهُ الْخِيَالُ.
- ٣٧ - مَنْ مُنِعَ مِنَ النَّظَرِ، اسْتَأْنَسَ بِالْأَثَرِ.
- ٣٨ - مَنْ حُجِبَ عَنِ الْأَثَرِ، تَعَلَّلَ بِالذِّكْرِ.
- ٣٩ - مُسَامَرَةُ الْأَوْهَامِ وَالْأَمَانِيِّ، سَبَبٌ لِنِجَمِ الْعِجْزِ وَالتَّوَانِي.
- ٤٠ - مَنْ قَصَرَ نَوْمُهُ، طَالَ لَيْلُهُ.
- ٤١ - مَنْ غُلِبَ عَزَاهُ، كَثُرَ بُكَاهُ.
- ٤٢ - نُحُولُ الْجَسَدِ، مِنْ دَلَائِلِ الْكَمَدِ.
- ٤٣ - طَرِيقُ الصَّبْرِ بَعِيدٌ، وَكِتْمَانُ الْحُبِّ شَدِيدٌ.

مَنْ كَثُرَتْ لَحَظَاتُهُ دَامَتْ حَسَرَاتُهُ

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: رَبُّ حَرْبٍ جُنَيْتٍ مِنْ لَفْظَةٍ وَرُبَّ عَشْقٍ غُرَسَ مِنْ لَحْظَةٍ. وَقَالَ الْعُتْبِيُّ^(١): أَبُو الْغَضَنِ الْأَعْرَابِيُّ قَالَ: خَرَجْتُ حَاجًّا فَلَمَّا مَرَرْتُ بِقُبَاءٍ تَدَّاعَى النَّاسُ أَلَمًا وَقَالُوا قَدْ أَقْبَلَتِ الصَّقِيلُ فَنَظَرْتُ وَإِذَا جَارِيَةٌ كَانَتْ وَجْهَهَا سَيْفٌ صَقِيلٌ فَلَمَّا رَمَيْنَاهَا بِالْحَدَقِ أَلْقَتِ الْبُرْقُعَ عَلَى وَجْهَهَا فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ إِنَّا سَفَرٌ وَفِينَا أَجْرٌ فَأَمْتِينَا بِوَجْهِكَ فَأَنْصَاعَتْ وَأَنَا أَرَى الضَّحِكَ فِي عَيْنَيْهَا وَهِيَ تَقُولُ:

وَكُنْتُ مَتَى أَرْسَلْتَ طَرَفَكَ رَائِدًا لِقَلْبِكَ يَوْمًا أَتَبَعْتُكَ الْمَنَاظِرُ^(٢)
رَأَيْتَ الَّذِي لَا كُلُّهُ أَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ وَلَا عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرٌ

وأنشدني أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي^(٣) لامرأة من الأعراب:
أَرَى الْحُبَّ لَا يُفْنَى وَلَمْ يُفْنِهِ إِلَّا أَلَى أَجِينُوا وَقَدْ كَانُوا عَلَى سَالِفِ الدَّهْرِ
وَكُلُّهُمْ قَدْ خَالَاهُ فِي فُؤَادِهِ بِأَجْمَعِهِ يَحْكُونَ ذَلِكَ فِي الشَّعْرِ

(١) العُتْبِيُّ هو محمد بن عبيد الله بن عمرو، أبو عبد الرحمن الأموي. أديب كثير الأخبار حسن الشعر، من أهل البصرة، توفي سنة ٢٢٨ هـ. انظر الفهرست لابن النديم ١٢١/١، تاريخ بغداد ٣٢٤/٢.

(٢) كذا في «م». أقول: وهل لنا أن نقرأ: أتبعتك المناظر.

(٣) هو أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بـ«ثعلب» نحوي مشهور، عالم بالشعر والأدب. توفي سنة ٢٩١ هـ. انظر إنباه الرواة ١٣٨/١، بغية الوعاة ص ١٧٢. وقد ورد كثيراً في «الزهرة» منشداً للشعر.

٤٤ - مَنْ غُلِبَ صَبْرُهُ، ظَهَرَ سِرُّهُ.

٤٥ - مَنْ لَمْ يَقَعْ لَهُ الْهَوَى بِاِكْتِسَابٍ، لَمْ يَنْزَجِرْ بِالْعِتَابِ.

٤٦ - مَنْ قَدَّمَ هَوَاهُ، قَوِيَ أَسَاهُ.

٤٧ - مَنْ شَابَتْ ذَوَائِبُهُ، جَفَاهُ حَبَائِبُهُ.

٤٨ - مَنْ يَشَسْ مَمَّنْ هَوَاهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ مِنْ وَقْتِهِ سَلَاهُ.

٤٩ - لَا يُعْرِفُ الْمُقِيمُ عَلَى الْعَهْدِ، إِلَّا عِنْدَ فِرَاقٍ أَوْ صَدٍّ.

٥٠ - قَلِيلُ الْوَفَاءِ بَعْدَ الْوَفَاةِ، أَجَلٌ مِنْ كَثِيرِهِ وَقْتُ الْحَيَاةِ.

وَأَنَا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - أَذْكَرُ بِعَقِبِ كُلِّ بَابٍ مِنْهَا مَا يُشَاكِلُهُ مِنَ الْأَشْعَارِ، وَأَقْتَصِرُ عَلَى الْقَلِيلِ مِنَ الْأَخْبَارِ، لَأَنَّهُ قَدْ كَثُرَتْ فِي أَيْدِي النَّاسِ، فَقَلَّ مِنْ يَسْتَفِيدُهَا. وَأَفَاضِلُ بَيْنَ الْأَشْعَارِ عَلَى مَا تُوجِبُهُ الْحَالُ الَّتِي ادَّعَاهَا صَاحِبُهَا، وَلَا أَحْمِلُ النَّاسَ عَلَى اخْتِيَارِ أَحَدِهِمْ فَأَكُونُ ظَالِمًا لَهُمْ، لِأَنَّ الرَّجُلَ لَا يَلْزُمُخُ أَنْ يَقُودَ مَا أَصْلَهُ غَيْرُهُ، وَإِنَّمَا يَلْزُمُهُ أَنْ تَفِي بِمَا شَرَطَهُ عَلَى نَفْسِهِ. وَلَيْسَ لِهَذَا الشَّانِ أَصْلٌ مُقَدَّمٌ وَطَرِيقٌ مُفَوَّضٌ، فَمَنْ خَالَفَ تَرْتِيبَهُ كَانَ مُعْتَفًا. أَنُشِدَنِي بَعْضُ الظُّرَفَاءِ:

لَيْسَ خَطْبُ الْهَوَى بِخَطْبِ سِيرٍ لَا يُنْبِيكَ عَنْهُ مِثْلُ خَبِيرٍ
لَيْسَ أَمْرُ الْهَوَى يُدَبِّرُهُ إِلَّا سِرًا وَلَا بِالْقِيَاسِ وَالتَّفَكِيرِ
إِنَّمَا الْأَمْرُ فِي الْهَوَى خَطَرَاتٌ مُحَدِّثَاتُ الْأُمُورِ بَعْدَ الْأُمُورِ
إِنْ تَكُنْ صَادِقَ الْمَوَدَّةِ فَاقْنَعْ وَارْضَ مَنْ تَحِبُّهُ بِالْيَسِيرِ
غَيْرِ أَنِي، وَإِنْ كُنْتُ مُقَرَّرًا لَهُمْ بِالْإِصَابَةِ عَلَى مَا قَدَّمُوهُ لَأَنْفُسِهِمْ، فَلَنْ أَمْنَعُ نَفْسِي حَظُّهَا مِنَ الْإِخْبَارِ بِأَحْسَنِ أَقَاوِيلِهِمْ. وَلَنْ يَعْدَمَ كِتَابُنَا هَذَا أَنْ يُصَادَفَ عَاقِلًا وَجَاهِلًا مُتَحَامِلًا، وَالْمُتَحَامِلُ يَعْرِفُ مَغْزَاهُ مِنْ فَحَوَاهُ، وَالْعَاقِلُ لَا يَرَى لِنَفْسِهِ أَنْ يَعِيبَ مَنْ لَمْ يَدَّعْ أَنَّهُ قَدْ كَمَّلَ بِمَا يَرَى فِي كِتَابِهِ مِنَ الْخَلَلِ. وَبِاللَّهِ أَسْتَعِينُ، وَعَلَيْهِ أَتَوَكَّلُ فَإِنَّهُ خَيْرُ الْمُؤْمَلِينَ، وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ.

وَمَا الْحُبُّ إِلَّا سَمْعُ أُذُنٍ وَنَظَرَةٌ
وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ غَيْرُهُ فَبِيْ الْهَوَى

وقال آخر:

تَعَرَّضَن مَرَمَى الصَّيْدِ ثُمَّ رَمَيْنَا
ضَعَائِفُ يَقْتُلْنَ الرِّجَالَ بِلَا دَمٍ
وَلِلْعَيْنِ مَلْهُى فِي التَّلَادِ وَلَمْ يَقْدُ

وقال آخر:

وَكَمْ مِنْ فَتَى جَلْدٍ يُقَادُ لِحَيْنِهِ
إِذَا مَا الْهَوَى مِنْهُ تَعَزَّرَ جَانِبُ

وقال جرير بن عطية:

إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرَضُ
يَصْرَعْنَ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ

وقال جميل بن معمر العذري:

رَمَى اللَّهُ فِي عَيْنِي بُيُوتَةً بِالْقَدَى
رَمْتِي بِسَهْمٍ رِيْشُهُ الْكُحْلُ لَمْ يَضُرْ

وَوَجِبَتْ قَلْبَ عَنْ حَدِيثٍ وَعَنْ ذِكْرِ
وَأَبْلَاهُ مَنْ يَهْوَى وَلَوْ كَانَ مِنْ صَخِرِ

مَنْ النَّبْلِ لَا بِالطَّائِشَاتِ الْخَوَاطِفِ
فِيَا عَجَبًا لِلْقَاتِلَاتِ الضَّعَائِفِ
هَوَى النَّفْسِ شَيْئًا كَأَقْيَادِ الطَّرَائِفِ

بِطَرْفٍ مَرِيضٍ النَّظَائِرِينَ كَجِيلِ
فَمَا شِئْتُ مِنْ مَقْتُولَةٍ وَقَتِيلِ

قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنِ قَتْلَانَا^(٤)
وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ أَرْكَانَا

وَفِي الْغُرِّ مِنْ أَنْبَاهِهَا بِالْقَوَادِحِ^(٥)
ظَوَاهِرَ جِلْدِي فَهَوَى الْقَلْبِ جَارِحِي

أَمَّا مَعْنَى الْبَيْتِ الْأَوَّلِ فَفَيَحِيقُ أَنْ يُجْعَلَ فِي الْغَزْلِ إِنْ كَانَ قَصْدٌ فِي
بَاطِنِهِ مَا يَتَبَيَّنُ فِي ظَاهِرِهِ وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ الْأَدَبِ أَنَّ قَوْلَهُ رَمَى اللَّهُ فِي
عَيْنِي بُيُوتَةً بِالْقَدَى إِنَّمَا عَنَى بِهِ الرَّقِيبَ. وَقَوْلُهُ فِي الْغُرِّ مِنْ أَنْبَاهِهَا إِنَّمَا عَنَى بِهِ
سَرَوَاتِ قَوْمِهَا وَالْقَوَادِحِ الْحَجَارَةُ وَقَدْ عَرَضْتُ هَذَا الْقَوْلَ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ
أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى فَأَنْكَرَهُ وَقَالَ لَمْ يَغْنِ وَلَمْ يَرِ بِهِ بَأْسًا الْعَرَبُ تَقُولُ قَاتَلَهُ اللَّهُ
فَمَا أَشْجَعَهُ وَلَا تُرِيدُ بِذَلِكَ سُوءًا.

(٤) رواية الديوان: إن العيون التي في طرفها حور.

(٥) البيتان من قصيدة في الديوان في مختلف طبعاته.

وقال العديل بن الفرخ العجلي^(٦):

يَأْخُذْنَ زَيْتَهُنَّ أَحْسَنَ مَا تَرَى
وَإِذَا جَلَيْنَ خُدُودَهُنَّ أَرَيْنَا
فَإِذَا عَطَلْنَ فَهِنَّ غَيْرَ عَوَاطِلِ
حَدَقَ أَلْمَهَا وَأَخَذْنَ نَبْلَ الْقَاتِلِ
فَرَمَيْنَا لَا يَسْتَتِرْنَ بِجُنَّةٍ
إِلَّا الصَّبَى وَعَلِمْنَ أَيْنَ مَقَاتِلِي
يَلْبَسْنَ أَرْدِيَةَ الْوَقَارِ لِأَهْلِهَا
وَيَجُرُّ بَاطِلُهُنَّ حَبْلَ الْبَاطِلِ

وقال عمر بن عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي:

سَمِعِي وَطَرْفِي حَلِيفَاهَا عَلَى جَسَدِي
فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَنْ سَمْعِي وَعَنْ بَصَرِي^(٧)
لَوْ طَاوَعَانِي عَلَى أَنْ لَا أَطَاوَعَهَا
إِذَا لَقِيتُ مِنْ أَوْطَارِهَا وَطَرْفِي

وقال يزيد بن سويد الضبي^(٨):

بِيضُ أَوَانِسُ يَلْتَأْطُ الْعَبِيرُ بِهَا
مِثْلُ السَّوَالِفِ غَيْدٌ لَا يَزَالُ لَهَا
كَفَّ الْفَوَاحِشَ عَنْهَا الْأَنْسُ وَالْخَفَرُ
مِنْ الْقُلُوبِ إِذَا لَاقَيْتَهَا جِزْرُ

وأنشدني بعض الكلابيين:

يَا مَنْ بَدَائِخُ حُسْنِ صُورَتِهِ
لِي مِنْكَ مَا لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ
تَشْنِي إِلَيْهِ أَعِنَّةَ الْحَدَقِ
لَكِنَّهُمْ سَعِدُوا بِأَمْنِهِمْ
نَظَرُ وَتَسْلِيمٌ عَلَى الطُّرُقِ
وَشَقِيتُ حِينَ أَرَاكَ بِالْفَرَقِ

وقال آخر:

دَعَا قَلْبُهُ يَوْمًا هَوَى فَأَجَابَهُ
بِمُسْتَأْنِسَاتٍ بِالْحَدِيثِ كَأَنَّهَا
فَوَادٌ إِذَا يَلْقَى الْمَرَاضَ مَرِيضُ
تَهْلُلُ مُزْنٍ بَرْقُهُنَّ وَمِيزُ

(٦) العديل بن الفرخ، ولقبه العباب، من رهط أبي النجم العجلي، وكان هجا الحجاج فطلبه وهرب. انظر الشعر والشعراء ص ٢٤٤ - ٢٤٦، الطبعة الأوروبية.

(٧) في «م»، والمطبوع: حليفاً، والتصحيح من الديوان ص ٧٣.

(٨) لم أهد إلى ترجمته، ولم أجده بين المسمين «يزيد» من الشعراء.

وأنشدني أحمد بن أبي طاهر^(٩):
طَرِبْتُ إِلَى حَوْرَاءِ أَلْفَةِ الْخِذْرِ
تُرَاسِلَنِي بِاللَّحْظِ عِنْدَ لِقَائِهَا

وقال عمرو بن الأيهم^(١٠):
وَيَوْمَ آرْتَحَالَ الْحَيَّ رَاعَتَكَ رَوْعَةً
رَمَتَكَ بَعَيْنِي فَرَقْدٍ ظِلٌّ يَتَقِي

وقال آخر:

قَلْبِي إِلَى مَا ضَرَّنِي دَاعِي
لَقَلَّ مَا أَبْقَى عَلَى مَا أَرَى
كَيْفَ آخِرَاسِي مِنْ عَدُوِّي إِذَا
مَا أَقْتَلَ أَلْيَاسَ لِأَهْلِ أَلْهَوَى

وقال الطرماح^(١١):

فَلَمَّا آدَرَكْنَاهُنَّ أَبْدَيْنَ لِلْهَوَى
ظَعَائِنُ يَسْتَحْدِثْنَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ
مَحَاسِنَ وَأَسْتَوِلْنَ دُونَ مَحَاسِنِ
رَهِينًا وَلَا يُحْسِنُ فَكُّ الرِّهَائِنِ

(٩) هو أحمد بن طيفور (أبي طاهر)، أبو الفضل، مؤرخ، من بلغاء الكتاب الرواة. ذكر له مصنفات كثيرة، توفي سنة ٢٨٠هـ. انظر تاريخ بغداد ٢١١/٤، معجم الأدباء ١٥٦/١.

(١٠) كذا في «م» و«المطبوع». ولكني وجدت «عمرو بن الأهم» من شعراء الحماسة (التبريزي) ١٩٢/٤، وكذلك في «المفضليات» ص ١٢٥. على أني وجدت «عمير بن الأيهم» بن أفلت التغلبي النصراني في «معجم الشعراء» ص ١١٧ ثم إني وجدت في (الكامل) للمبرد ٣٢١/٣ عمرو بن الأيهم.

(١١) البيتان من قصيدة طويلة في الديوان ص ٤٨١.

وقال الفحيف العقيلي^(١٢):

خَلِيلِي مَا صَبْرِي عَلَى الزَّفَرَاتِ
تَقْطُعُ نَفْسِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
سَقَى وَرَعَى أَلَّهُ الْأَوَاسِ كَالدَّمَى
دَعَوْنَ بِحَبَاتِ الْقُلُوبِ فَأَقْبَلْتُ
وَمَا طَاقَتِي بِالشَّقَوِي وَالْعَبَرَاتِ
عَلَى إِثْرِ مَنْ قَدْ فَاتَهَا حَسَرَاتِ
إِذَا قُمْنَ جُنَحَ اللَّيْلِ مُنْهَرَاتِ
إِلَيْهِنَّ بِالْأَهْوَاءِ مُبْتَدِرَاتِ

وأنشدني أحمد بن يحيى الشيباني أبو العباس النحوي:

إِذَا هُنَّ سَاقَطْنَ الْأَحَادِيثَ لِلْفَتَى
رَمَيْنَ فَأَنْفَذْنَ الْقُلُوبَ وَلَا تَرَى
وَحَبْرِكَ الْوَاشُونَ أَلَّا أُجِبْكُمْ
أَصْدُ وَمَا أَلْصَدُّ الَّذِي تَعْلَمِينَهُ
حَيَاءٌ وَبُقْيَا أَنْ تَشِيعَ نَمِيمَةٌ
أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَ غَيْرُكَ أَرْقَلْتُ
وَلَكِنْ وَبَيْتَ اللَّهِ مَا طُلَّ مُسْلِمٌ
وَإِنْ دَمًا لَوْ تَعْلَمِينَ جَنِيَّتِهِ
إِذَا هُنَّ سَاقَطْنَ الْأَحَادِيثَ لِلْفَتَى
رَمَيْنَ فَأَنْفَذْنَ الْقُلُوبَ وَلَا تَرَى
وَحَبْرِكَ الْوَاشُونَ أَلَّا أُجِبْكُمْ
أَصْدُ وَمَا أَلْصَدُّ الَّذِي تَعْلَمِينَهُ
حَيَاءٌ وَبُقْيَا أَنْ تَشِيعَ نَمِيمَةٌ
أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَ غَيْرُكَ أَرْقَلْتُ
وَلَكِنْ وَبَيْتَ اللَّهِ مَا طُلَّ مُسْلِمٌ
وَإِنْ دَمًا لَوْ تَعْلَمِينَ جَنِيَّتِهِ

وقال عمر بن أبي ربيعة:

فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا وَسَلَّمْتُ أَقْبَلْتُ
تَبَالَهَنَ بِالْعِرْفَانِ لَمَّا عَرَفَنِي
وَقَرَّبَنَ أَسْبَابَ أَلْهَوَى لِمَتِّيمٍ
فَقُلْتُ لِمُطَرِّبِهِنَّ بِالْحُسْنِ إِنَّمَا
وُجُوهُ زَهَاها الْحُسْنُ أَنْ تَتَقَنَّاعًا^(١٤)
وَقُلْنَ أَمْرُو بَاغٍ أَضَلُّ وَأَوْضَعَا
يَقِيسُ ذِرَاعًا كُلَّمَا قَسَنَ إصْبَعَا
ضَرَزَتْ فَهَلْ تَسْتَطِيعُ نَفْعًا فَتَنْفَعَا

(١٢) في «م» والمطبوع: العجيف، وهو تصحيف صوابه ما أثبتناه. انظر معجم الشعراء ص ٢١١، طبقات الشعراء (بربل) ١٥٣.

(١٣) في «م» والمطبوع: ما طُلَّ مسلمًا.

(١٤) الأبيات من قصيدة في الديوان ص ١١٧.

وقال أيضاً:

وَكَمْ مِنْ قَيْلٍ مَا يَبْأُ بِهِ دَمٌ
وَمِنْ مَالِيٍّ عَيْنِيهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ
أَوَانِسُ يَسْلُبُنَ الْحَلِيمَ فُؤَادَهُ
مَعَ اللَّيْلِ قَصْراً قَدْ أَضُرَّ بِكَفِّهَا
فَلَمْ أَرُ كَأَلْتَجْمِيرٍ مَنْظَرَ نَاطِرٍ

وقال آخر:

بَوَارِحُ رُحْنٍ مِنْ بَرْحِ إِلَيْنَا
رَمَيْنَ حَصَى الْجِمَارِ بِخَاضِبَاتِ

وقال ذو الرمة:

فَمَا ظَنِّيَّةٌ تَرْعَى مَسَافِطَ رَمَلَةٍ
بِأَحْسَنَ مِنْ مَيِّ عَشِيَّةٍ حَاوَلَتْ
بِوَجْهِ كَقَرْنِ الشَّمْسِ حُرّاً كَأَنَّمَا
وَعَيْنٌ كَأَنَّ الْبَابِلِيِّينَ لَبَسَا

وقال كثير بن عبد الرحمن:

أَصَابَكَ نَبْلُ الْحَاجِبِيَّةِ إِنَّهَا
لَقَدْ غَادَرَتْ فِي الْقَلْبِ مِنِّي أَمَانَةً
فَذُوقِي بِمَا أَجْنَبْتَ عَيْنًا مَشُومَةً

(١٥) انظر الديوان ص ٨.

(١٦) في «م» والمطبوع: فلم أر كالتجمير.

(١٧) انظر الديوان ص ص ١٧١، ١٧٢ مع اختلاف في الرواية.

(١٨) انظر الديوان ص ص ١٤١، ١٤٢ مع اختلاف في الرواية.

وقال آخر:

وَتَنَالُ إِنْ نَظَرْتَ إِلَيْكَ بِطَرْفِهَا
وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى مَحَاسِنِ وَجْهِهَا
وَلِقَلْبِهَا حِلْمٌ تَصُدُّ بِهِ
عَنْ ذِي الْهَوَى وَلَطَرْفِهَا جَهْلٌ^(١٩)

وقال حبيب بن أوس الطائي:

يَا جُفُوناً سَوَاهِدًا أَعْدَمَتْهَا
إِنَّ لِلَّهِ فِي الْعِبَادِ مَنَآيَا
لَذَّةَ النَّوْمِ وَالرُّقَادِ جُفُونُ
سَلَطَتْهَا عَلَى الْقُلُوبِ عُيُونُ^(٢٠)

وأشدتني أم حمادة الهمدانية^(٢١):

دَارَ الْهَوَى بِعِبَادِ اللَّهِ كُلهِمِ
إِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ قَلْبٍ يُكَلِّفُكُمْ
لَوْلَا شَقَاوَةُ جَدِّي مَا عَرَفْتُكُمْ
حَتَّى إِذَا مَرَّ بِي مِنْ بَيْنِهِمْ وَقَفَا
وَمَا يَرَى مِنْكُمْ بَرًّا وَلَا لَطْفًا
إِنَّ الشَّقِيَّ يَشْقَى بِمَنْ عَرَفَا

وأشدني أبو طاهر أحمد بن بشر الدمشقي^(٢٢):

رَمَتْنِي وَسِئْرُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
رَمِيمُ آلِي قَالَتْ لِجَارَاتِ بَيْتِهَا
أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَوْ رَمَتْنِي رَمِيَّتْهَا
عَشِيَّةَ أَحْجَارِ الْكَنَاسِ رَمِيمُ
ضَمِنْتُ لَكُمْ أَنْ لَا يَزَالَ يَهِيمُ
وَلَكِنْ عَهْدِي بِالْبُضَالِ قَدِيمُ^(٢٣)

(١٩) الأبيات من «الكامل» في عروضيته الأولى والثانية، فالصدر من الأولى والعجز من الثانية.

(٢٠) البيتان في الديوان ٢٧٨/٤ مع اختلاف في الرواية.

(٢١) لم أهد إلى معرفتها.

(٢٢) أحمد بن بشر الدمشقي، أبو طاهر، من المحدثين. انظر: تاريخ بغداد

٥٢/٤ - ٥٣.

(٢٣) الأبيات لأبي حية النميري (شرح الحماسة للتبريزي) ٢٦٩/٣، وانظر ترجمته في

الشعر والشعراء ص ص ٤٩٧، ٤٩٨

وَبَلَغَنِي أَنَّ بُيْنَةَ وَعِزَّةَ كَانَتَا خَالِيَتَيْنِ تَتَحَدَّثَانِ إِذْ أَقْبَلَ كَثِيرٌ فَقَالَتْ بُيْنَةُ لِعِزَّةَ: أَتُحِبِّينَ أَنْ أُبَيِّنَ لَكَ إِنْ كَانَ كَثِيرٌ فِيمَا يُظْهِرُهُ مِنَ الْمَحَبَّةِ غَيْرَ صَادِقٍ، قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَتْ: أَذْخُلِي الْخَبَاءَ فَتَوَارَتْ عِزَّةُ، وَذَنَا كَثِيرٌ حَتَّى وَقَفَتْ عَلَى بُيْنَةَ فَسَلَّمَ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: مَا تَرَكْتَ فِيكَ عِزَّةُ مُسْتَمْتَعًا لِأَحَدٍ، فَقَالَ كَثِيرٌ: وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ عِزَّةَ أَمَةٌ لَوْهَبْتُهَا لَكَ، قَالَتْ لَهُ بُيْنَةُ: إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَاصْنَعْ فِي ذَلِكَ شِعْرًا، فَأَنشَأَ يَقُولُ:

رَمَتْنِي عَلَى قَوْتٍ بُيْنَةُ بَعْدَ مَا تَوَلَّى شَبَابِي وَارْجَحَنْ شَبَابَهَا (٢٤)
بَعِيَّتَيْنِ نَجْلَاوَيْنِ لَوْ رَفَرَقْتُهُمَا لِنُوءِ الثَّرِيَا لَأَسْتَهْلَ سَحَابَهَا

فَبَادَرَتْ عِزَّةُ فَكَشَفَتْ الْحِجَابَ، وَقَالَتْ: يَا فَاسِقُ قَدْ سَمِعْتُ الْبَيْتَيْنِ، فَقَالَ لَهَا: فَاسْمِعِي الثَّلَاثَ، قَالَتْ: وَمَا هُوَ، فَأَنشَأَ يَقُولُ:

وَلَكِنَّمَا تَرْمِينَ نَفْسًا شَقِيَّةً لِعِزَّةَ مِنْهَا صَفْوُهَا وَلُبَابُهَا

وَهَذَا الشَّعْرُ وَإِنْ كَانَ قَبِيحًا لِمُنَاسَبَتِهِ الْخِيَانَةَ وَالْغَدْرَ فَهُوَ حَسَنٌ مِنْ ثَبَاتِ جِدَّةِ الْخَاطِرِ وَسُرْعَةِ الْفِكْرِ.

وقال أبو عبادة البحري:

نَظَرْتُ قَادِرَةً أَنْ يَنْكَفِي قَالَ بُطْلًا وَأَفَالِ الرَّأْيِ مَنْ كَانَ يَكْفِي مَيْتًا مِنْ ظَمٍ إِنْ تَكُنْ مُحْتَسِبًا مَنْ قَدْ نَوَى لِحِمَامٍ فَاحْتَسِبْ مَنْ قَدْ عَشِقَ كُلُّ قَلْبٍ فِي هَوَاهَا بَعْلَقُ (٢٥)

(٢٤) انظر ديوان كثير ص ٤٤٧.

(٢٥) انظر الديوان ١٤٦٨/٣.

وقال القطامي وهو أحسن ما قيل في معناه:

وَفِي الْخُدُورِ غَمَامَاتٌ بَرَقْنَ لَنَا حَتَّى تَصِيدُنَا مِنْ كُلِّ مُصْطَادٍ (٢٦)
يَقْتُلُنَا بِحَدِيثٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ مَنْ يَتَّقِينَ وَلَا مَكْتُومُهُ بَادُ فَهَنْ يُبْدِينَ مِنْ قَوْلٍ يُصْبِنُ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْغُلَّةِ الصَّادِي *
قَدْ ذَكَّرْنَا مِنْ أَقَاوِيلِ الشَّعْرَاءِ فِي الْهَوَى أَنَّهُ يَقَعُ ابْتِدَاؤُهُ مِنَ النَّظَرِ وَالسَّمَاعِ مَا فِي بَعْضِهِ بَلَاغٌ.

ثُمَّ نَحْنُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ذَاكِرُونَ مَا فِي ذَلِكَ الْأَمْرِ الَّذِي أَوْقَعَهُ السَّمَاعُ وَالنَّظَرُ، وَلَمْ وَقَعَ، وَكَيْفَ وَقَعَ. إِذْ قَدْ صَحَّ كَوْنُهُ عِنْدَ الْعَامَّةِ وَخَفِيَ سَبِيهُ عَلَى الْخَاصَّةِ.

أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الصَّاعَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ قَالَ: أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ عَمْرَةَ عَنْ عَائِشَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا أَتْتَلَفَ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ (٢٧).

وفي مثل ذلك يقول طرفة بن العبد:

تَعَارَفَ أَرْوَاحُ الرِّجَالِ إِذَا اتَّقَوْا فَمِنْهُمْ عَدُوٌّ يُتَّقَى وَخَلِيلٌ (٢٨)
وَإِنْ أَمْرُهُ لَمْ يَعْفُ يَوْمًا فُكَاهَةً لِمَنْ لَمْ يُرِدْ سُوءًا بِهَا لَجْهُولُ

وَزَعَمَ بَعْضُ الْمُتَفَلْسِفِينَ: أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ خَلَقَ كُلَّ رُوحٍ مُدَوَّرَةً الشَّكْلَ عَلَى هَيْئَةِ الْكُرَةِ. ثُمَّ قَطَعَهَا أَيْضًا، فَجَعَلَ فِي كُلِّ جَسَدٍ نِصْفًا، وَكُلُّ جَسَدٍ لِقِيَّ الْجَسَدِ الَّذِي فِيهِ النِّصْفُ الَّذِي قُطِعَ مِنَ النِّصْفِ الَّذِي مَعَهُ، كَانَ.

(٢٦) انظر الديوان ص ص ٨٠، ٨١.

(٢٧) انظر الحديث في (اللسان) (جند) منقولاً عن «النهاية في غريب الحديث والأثر».

(٢٨) البيتان من قصيدة في الديوان ص ١٨٦.

بَيْنَهُمَا عِشْقٌ لِلْمُنَاسِبَةِ الْقَدِيمَةِ. وَتَفَاوَتْ أَحْوَالُ النَّاسِ فِي ذَلِكَ عَلَى حَسَبِ رِقَّةِ طَبَائِعِهِمْ.

وقد قال جميل في ذلك:

تَعَلَّقَ رُوحِي رُوحَهَا قَبْلَ خَلْقِنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا كُنَّا نَطَافًا وَفِي الْمَهْدِ
فَزَادَ كَمَا زِدْنَا فَأَصْبَحَ نَامِيًا وَلَيْسَ إِذَا مُتْنَا بِمُنْتَقِصٍ «لُعْهِدِ
وَلَكِنَّهُ بَاقٍ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ وَزَائِرُنَا فِي ظُلْمَةِ الْقَبْرِ وَاللَّحْدِ» (٢٩)

وفي نحوه يقول بعض أهل هذا العصر (٣٠):

مَنْ كَانَ يَشْجَى بِحُبِّ مَا لَهُ سَبَبٌ فَإِنْ عِنْدِي لِمَا أَشْجَى بِهِ سَبَبٌ
حُبِّيهِ طَبَعَ لِنَفْسِي لَا يُغَيِّرُهُ كَرُّ اللَّيَالِي وَلَا تُودِي بِهِ الْحَقَبُ
إِنْ كَانَ لَا بُدَّ لِلْعُشَاقِ مِنْ عَطَبٍ فَيَبِي هَوَى مِثْلِهِ يُسْتَغْنَمُ الْعَطَبُ

وَكَتَبَ بَعْضُ الظُّرَفَاءِ إِلَى أَخٍ لَهُ: إِنِّي صَادَقْتُ مِنْكَ جَوْهَرَ نَفْسِي فَأَنَا
غَيْرُ مَحْمُودٍ عَلَى الْأَنْقِيَادِ إِلَيْكَ بِغَيْرِ زَمَامٍ. لِأَنَّ النَّفْسَ يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا.

وَحِكِي عَنْ إِفْلَاطُونٍ أَنَّهُ قَالَ: مَا أَدْرِي مَا الْهَوَى، غَيْرَ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ
جُنُونٌ إِلَّا هِيَ لَا مَحْمُودَ وَلَا مَذْمُومَ.

وقد قال بعض الشعراء في مثله:

إِنَّ الْمَحَبَّةَ أَمْرَهَا عَجَبٌ تُلْقَى عَلَيْكَ وَمَا لَهَا سَبَبٌ

ولقد أحسن الحسين بن مطير في قوله:

قَضَى اللَّهُ يَا سَمَرَاءُ مِثِّي لِكَ الْهَوَى بِعَزَمٍ فَلَمْ أَمْنَعْ وَلَمْ أُعْطِهِ عَمْدًا

(٢٩) الأبيات في الديوان ص ٤٢، وجاءت منسوبة إلى المجنون، انظر الديوان ص ١١٤.

(٣٠) الذي غيل إليه أن قول المصنف «بعض أهل هذا العصر» يعني هون نفسه. وقد حفل الكتاب بهذه «المختارات».

وَكُلُّ أَسِيرٍ غَيْرُ مَنْ قَدْ مَلَكَتْهُ مُرْجَى لِقَتْلِ أَوْ لِنَعْمَاءٍ أَوْ مُفْدَى (٣١)

وَزَعَمَ بَطْلِيمُوسُ: أَنَّ الصَّدَاقَةَ وَالْعِدَاوَةَ تَكُونُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَضْرَبٍ إِمَّا
لِاتِّفَاقِ الْأَرْوَاحِ فَلَا يَجِدُ الْمَرْءُ بُدًّا مِنْ أَنْ يُحِبَّ صَاحِبَهُ وَإِمَّا لِلْمَنْفَعَةِ وَإِمَّا
لِلْحُزَنِ وَفَرَحٍ.

فَأَمَّا اتِّفَاقُ الْأَرْوَاحِ فَإِنَّهُ يَكُونُ مِنْ كَوْنِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ فِي الْمَوْلَدَيْنِ
فِي بُرْجٍ وَاحِدٍ، وَيَتَنَاطَرَانِ مِنْ تَثْلِيثٍ أَوْ تَسْدِيسٍ نَظَرُ مَوَدَّةٍ، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ
كَذَلِكَ، كَانَا صَاحِبَا الْمَوْلَدَيْنِ مُطْبُوعَيْنِ عَلَى مَوَدَّةٍ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ.
فَأَمَّا اللَّذَانِ تَكُونُ مَوَدَّتُهُمَا لِحُزَنِ أَوْ لِفَرَحٍ، فَإِنَّهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ طَالِعُ مَوْلَدِيهِمَا
بُرْجًا وَاحِدًا وَيَتَنَاطَرُ طَالِعَاهُمَا مِنْ تَثْلِيثٍ أَوْ تَسْدِيسٍ. وَأَمَّا اللَّذَانِ مَوَدَّتُهُمَا
لِلْمَنْفَعَةِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا سَعَادَتَاهُمَا فِي مَوْلَدِيهِمَا فِي بُرْجٍ وَاحِدٍ،
أَوْ يَتَنَاطَرُ السَّهْمَانِ مِنْ تَثْلِيثٍ أَوْ تَسْدِيسٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى الْمَوْلَدَيْنِ تَكُونُ
مَنْفَعَتُهُمَا مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ، وَيَنْتَفِعُ أَحَدُهُمَا بِصَاحِبِهِ فَتَجْلِبُ الْمَنْفَعَةُ بَيْنَهُمَا
الصَّدَاقَةُ، أَوْ تَكُونُ مَضَرَّتُهُمَا مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ فَيَتَفَقَّانِ عَلَى الْحُزَنِ، فَيَتَوَادَّانِ
بِذَلِكَ السَّبَبِ. وَيَقْوِي ذَلِكَ كُلُّهُ نَظَرُ السُّعُودِ فِي وَقْتِ الْمَوَالِيدِ وَيُضَعِّفُهُ نَظَرُ
النُّحُوسِ. وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ الْهَوَى فَقَسَّمَهُ عَلَى نَحْوٍ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى
فَقَالَ:

ثَلَاثَةُ أَحْبَابٍ فَحُبُّ عَاقِلَةٍ وَحُبُّ تِمْلَاقٍ وَحُبُّ هُوَ الْقَتْلُ
وَزَعَمَ جَالِيئُوسُ: أَنَّ الْمَحَبَّةَ قَدْ تَقَعُ مِنَ الْعَاقِلِينَ مِنْ بَابِ تَشَاكُلِهِمَا

(٣١) البيتان في مجموع شعر الشاعر ص ٤٤ وتحريجها عن كتابنا هذا. وانظر ترجمة الشاعر في طبقات الشعراء لابن المعتز (نشرة فراخ) ص ١١٤، والأغاني (الساسى) ١١٠/١٤، والموشح ص ٣٦٠، وسمط اللآلئ ص ٤٠٩، ومعجم الأدباء ١٦٦/١٠، وخزانة الأدب ٤٨٥/٢، وفوات السوفيات (عبي السدين عبد الحميد) ٢٨٥/١.

فِي الْعَقْلِ . وَلَا تَقَعُ بَيْنَ الْأَحْمَقَيْنِ مِنْ بَابِ تَشَاكُلِهِمَا فِي الْحُمَقِ ، لِأَنَّ الْعَقْلَ يَجْرِي عَلَى تَرْتِيبٍ ، فَيَجُوزُ أَنْ يُتَّفَقَ فِيهِ عَلَى طَرِيقٍ وَاحِدٍ . وَالْحُمَقُ لَا يَجْرِي عَلَى تَرْتِيبٍ ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَقَعَ بِهِ اتِّفَاقٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ .

وَقَالَ بَعْضُ الْمُتَطَيِّبِينَ : إِنَّ الْعِشْقَ طَمَعٌ يَتَوَلَّدُ فِي الْقَلْبِ . وَتَجَمُّعُ إِلَيْهِ مَوَادِّ مِنَ الْحَرَصِ ، فَكُلَّمَا قَوِيَ إِزْدَادَ صَاحِبِهِ فِي الْأَهْتِاجِ وَاللَّجَاجِ وَشِدَّةِ «لِقَلَّتْ وَكَثُرَةِ الشَّهْوَةِ . وَعِنْدَ ذَلِكَ يَكُونُ اخْتِرَاقُ الدَّمِ وَإِسْتِحَالَتُهُ إِلَى السُّودَاءِ ، وَالْتِهَابُ الصُّفْرَاءِ وَإِنْفِلَابُهَا إِلَى السُّودَاءِ . وَمِنْ طُعْيَانِ السُّودَاءِ فَسَادُ الْفِكْرِ ، وَمَعَ فَسَادِ الْفِكْرِ تَكُونُ الْعَدَامَةُ وَنَقْصَانُ الْعَقْلِ وَرَجَاءُ مَا لَا يَكُونُ وَتَمَنِّي مَا لَا يَتِمُّ ، حَتَّى يُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَى الْجُنُونِ ، فَجَيِّثُ رُبَّمَا قَتَلَ الْعَاشِقُ نَفْسَهُ ، وَرُبَّمَا مَاتَ غَمًّا ، وَرُبَّمَا نَظَرَ إِلَى مَعْشُوقِهِ فَيَمُوتُ فَرَحًا أَوْ أَسْفًا ، وَرُبَّمَا شَهَقَ شَهَقَةً فَتَخْتَفِي فِيهَا رُوحُهُ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ سَاعَةً ، فَيُظَنُّونَ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ ، فَيَقِيرُونَهُ وَهُوَ حَيٌّ ، وَرُبَّمَا تَنَفَّسَ الصَّعْدَاءُ ، فَتَخْتَبِقُ نَفْسُهُ فِي تَامور^(٣٢) قَلْبِهِ وَيَنْضَمُّ عَلَيْهَا الْقَلْبُ ، فَلَا يَنْفَرُ حَتَّى يَمُوتَ ، وَرُبَّمَا أَرْتَاخَ وَتَشَوَّقَ لِلنَّظَرِ ، أَوْ رَأَى مَنْ يُحِبُّ فَجَاءَ فَخَرَجَ نَفْسُهُ فَجَاءَ دَفْعَةً وَاحِدَةً . وَأَنْتَ تَرَى الْعَاشِقَ إِذَا سَمِعَ بِذِكْرِ مَنْ يُحِبُّ كَيْفَ يَهْرُبُ وَيَسْتَحِيلُ لَوْنُهُ . وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ يَجْرِي عَلَى مَا ذُكِرَ ، فَإِنَّ زَوَالَ الْمَكْرُوهِ عَمَّنْ هَذِهِ حَالُهُ لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ بِتَذْيِيرِ الْأَدَمِيِّينَ ، وَلَا شِفَاءَ لَهُ إِلَّا بِالطَّبِّ يَفْعُ لَهُ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ . وَذَلِكَ أَنَّ الْمَكْرُوهَ الْعَارِضَ مِنْ سَبَبٍ قَائِمٍ مُنْفَرِدٍ بِنَفْسِهِ يَتَهَيَّأُ التَّلَطُّفُ فِي إِزَالَتِهِ بِإِزَالَةِ سَبَبِهِ . فَإِذَا وَقَعَ الشَّيْثَانُ ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عِلَّةٌ لِصَاحِبِهِ ، لَمْ يَكُنْ إِلَى زَوَالِ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا سَبِيلٌ . فَإِذَا كَانَتْ السُّودَاءُ * سَبَبًا لِاتِّصَالِ الْفِكْرِ ، وَكَانَ اتِّصَالُ الْفِكْرِ سَبَبًا لِاخْتِرَاقِ الدَّمِ وَالصُّفْرَاءِ ، وَقَلْبُهَا إِلَى تَقْوِيَةِ السُّودَاءِ كُلَّمَا قَوِيَتْ قُوَّةُ الْفِكْرِ . وَالْفِكْرُ كُلَّمَا قَوِيَ قُوَّةُ السُّودَاءِ ، وَهَذَا هُوَ الدَّاءُ الَّذِي يَعْجُزُ عَنْ مُعَالَجَتِهِ الْأَطِبَّاءُ .

(٣٢) التامور (غير مهموز) : دم القلب .

وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ الْمُتَصَوِّفِينَ : أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِنَّمَا أَمْتَحَنَ النَّاسَ بِالْهَوَى ، لِيَأْخُذُوا أَنْفُسَهُمْ بِطَاعَةِ مَنْ يَهْوُونَهُ . وَلَيْشَقَّ عَلَيْهِمْ سُخْطُهُ وَيَسْرَهُمْ رِضَاؤُهُ ، فَيَسْتَدِلُّوا بِذَلِكَ عَلَى قُدْرِ طَاعَةِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - إِذْ كَانَ لَا مِثْلَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ . وَهُوَ خَالِفُهُمْ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَيْهِمْ وَرَازِقُهُمْ مُبْتَدِئًا ، غَيْرُ مُمْتَنٍ عَلَيْهِمْ فَإِنْ أَوْجَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ طَاعَةَ مَنْ سِوَاهُ ، كَانَ هُوَ - تَعَالَى - أُخْرَى بِأَنْ يُتَّبَعَ رِضَاهُ . وَالْكَلامُ فِي اعْتِبَارِ مَا حَكَيْنَاهُ ، وَالْإِخْبَارُ عَنْ جَمِيعِهِ بِمَا يَرْضَاهُ يَكْثُرُ . وَرُبَّمَا اسْتُغْنِيَ بِالْحِكَايَاتِ عَنِ التَّصْرِيحِ بِالِاخْتِيَارَاتِ . وَنَحْنُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - نَذْكُرُ بِعَقَبِ هَذَا الْبَابِ مَبْلَغَ الْهَوَى مِنْ قُلُوبِ ذَوِي الْأَلْبَابِ ، وَنَصِفُ مَرَاتِبَهُ وَتَصَرُّفَهُ وَأَزْدِيادَهُ وَتَمَكُّنَهُ ، وَنُخَبِّرُ بِاقْتِدَارِهِ عَلَى الْمُقْتَدِرِينَ ، وَاسْتَظْهَارِهِ عَلَى الْمُسْتَظْهِرِينَ ، وَتَلَاعُبِهِ بِقُلُوبِ الْمُتَفَلْسِفِينَ ، وَتَمَالُكِهِ عَلَى خَوَاطِرِ الْمُسْتَسْلِمِينَ .



الْعَقْلُ عِنْدَ الْهَوَى أَسِيرٌ وَالشُّوقُ عَلَيْهِمَا أَمِيرٌ

قَالَ جَالِينُوسُ: أَلْعِشَقُ مِنْ فِعْلِ النَّفْسِ. وَهِيَ كَامِنَةٌ فِي الدِّمَاغِ وَالْقَلْبِ وَالْكَبِدِ. وَفِي الدِّمَاغِ ثَلَاثَةُ مَسَاكِنَ: التَّخْيِيلُ وَهُوَ فِي مُقَدِّمِ الرَّأْسِ، وَالْفِكْرُ وَهُوَ فِي وَسْطِهِ، وَالذِّكْرُ وَهُوَ فِي مُؤَخَّرِهِ. وَلَيْسَ يَكْمُلُ لِأَحَدٍ أَسْمُ عَاشِقٍ إِلَّا حَتَّى (١) إِذَا فَارَقَ مَنْ يَعْشَقُهُ لَمْ يَحُلْ مِنْ تَخْيِيلِهِ وَفِكْرِهِ وَذِكْرِهِ وَقَلْبِهِ وَكَبِدِهِ، فَيَمْتَنِعُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ بِاشْتِغَالِ الْكَبِدِ، وَمِنْ النَّوْمِ بِاشْتِغَالِ الدِّمَاغِ، وَالتَّخْيِيلِ وَالذِّكْرِ لَهُ وَالْفِكْرُ فِيهِ فَيَكُونُ جَمِيعُ مَسَاكِنِ النَّفْسِ قَدْ اشْتَغَلَتْ بِهِ. فَمَتَى لَمْ يَشْتَغِلْ بِهِ وَقَتَ الْفِرَاقِ لَمْ يَكُنْ عَاشِقًا، فَإِذَا لَقِيَهُ خَلَتْ هَذِهِ الْمَسَاكِنُ.

وَلَمَعْرِي لَقَدْ أَحْسَنَ فِيمَا وَصَفَ، وَاحْتَجَّ لِمَا قَالَ فَأَنْتَصَفَ غَيْرَ أَنَّهُ ذَكَرَ حَالَ الْعِشَقِ وَحْدَهُ، وَتَرَكَ ذِكْرَ أَحْوَالِ مَا قَبْلَهُ وَأَحْوَالِ مَا بَعْدَهُ. وَذَلِكَ أَنَّ الْأَحْوَالَ الَّتِي تَتَوَلَّدُ عَنِ السَّمَاعِ وَالنَّظَرِ مُخْتَلِفَةٌ فِي بَابِ الْعِظَمِ وَالصِّغَرِ. وَلَهَا مَرَاتِبُ، فَأَوَّلُ مَا يَتَوَلَّدُ عَنِ النَّظَرِ وَالسَّمَاعِ الْأَسْتِحْسَانُ، ثُمَّ يَقْوَى فَيَصِيرُ مَوَدَّةً، وَالْمَوَدَّةُ سَبَبُ الْإِرَادَةِ. فَمَنْ وَدَّ إِنْسَانًا وَدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ خِلًا. وَمَنْ وَدَّ غَرَضًا وَدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ مُلْكًا. ثُمَّ يَقْوَى الْمَوَدَّةُ فَتَصِيرُ مَحَبَّةً، وَالْمَحَبَّةُ سَبَبٌ لِلطَّاعَةِ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ مُحَمَّدُ الْوَرَّاقُ: (٢)

(١) فِي «م» وَالْمَطْبُوعُ: إِلَّا حَتَّى. وَزِيَادَةُ «حَتَّى» لَا مَعْنَى لَهَا.

(٢) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، الْوَرَّاقُ الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٢٧٥. انْظُرْ: طَبَقَاتُ ابْنِ الْمُعْتَزِ، ص. ص. ٣٦٦، ٣٦٧، تَارِيخُ بَغْدَادَ ٨٧/١٣. وَالْبَيْتَانِ فِي «الديوان» الْمَجْمُوعِ ص ١٧٤ - ١٧٥.

تَعْصِي الْإِلَهِ وَأَنْتَ تَظْهَرُ حُبَّهُ هَذَا مُحَالٌ فِي الْقِيَاسِ بَدِيعٌ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ إِنَّ الْمَحِبَّ لِمَنْ أَحَبَّ مُطِيعٌ

ثُمَّ يَقْوَى الْمَحَبَّةُ فَتَصِيرُ خُلَّةً. وَالْخُلَّةُ بَيْنَ الْأَدَمِيِّينَ أَنْ تَكُونَ مَحَبَّةً
أَحَدِهِمَا قَدْ تَمَكَّنَتْ مِنْ صَاحِبِهِ، حَتَّى أَسْقَطَتْ السَّرَائِرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فَصَارَ مُتَخِلِّلًا
لِسَرَائِرِهِ، وَمُطْلِعًا عَلَى صَمَائِرِهِ.

وَفِي هَذَا النِّحْوِ يَقُولُ بَعْضُ أَهْلِ هَذَا الْعَصْرِ:

فَلَا تَهْجُرْ أَخَاكَ بِغَيْرِ ذَنْبٍ فَإِنَّ الْهَجَرَ مِفْتَاحُ السُّلُوبِ
إِذَا كَتَمَ الْخَلِيلُ أَخَاهُ سِرًّا فَمَا فَضَّلُ الصَّدِيقِ عَلَى الْعَدُوِّ

وَيُقَالُ إِنَّ الْخُلَّةَ بَيْنَ الْأَدَمِيِّينَ مَأْخُودَةٌ مِنْ تَخَلُّلِ الْمَوَدَّةِ بَيْنَ اللَّحْمِ
وَالْعِظَمِ، وَاخْتِلَاطِهِمَا بِالْمَخِ وَالْدَمِ. وَهَذَا الْمَعْنَى غَيْرُ مُخَالِفٍ لِلأَوَّلِ، بَلْ
هُوَ أَوْضَحُ سَبَبٍ لَهُ، لِأَنَّ مَنْ حَلَّ مِنْ النَّفْسِ هَذَا الْمَحَلَّ لَمْ يَسْتَبِدَّ عَنْهُ بِأَمْرٍ،
وَلَمْ يَسْتَظْهِرْ عَلَيْهِ بِسَبَبٍ.

وَقَدْ أَنْشَدَنَا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتَبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ فِي هَذَا النِّحْوِ: (٣)

تَغْلَغَلَ حُبُّ عَثْمَةَ فِي فُؤَادِي قَبَادِيهِ مَعَ الْخَافِي يَسِيرُ
تَغْلَغَلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابٌ وَلَا حُزْنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُرُورُ

ثُمَّ يَقْوَى الْخُلَّةُ فَتُوجِبُ الْهَوَى وَالْهَوَى أَسْمُ لَانْحِطَاطِ الْمَحِبِّ فِي
مَحَابِّ الْمَحْبُوبِ وَفِي التَّوَصُّلِ إِلَيْهِ بِغَيْرِ تَمَالُكٍ وَلَا تَرْتِيبٍ.

أَنْشَدَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى: (٤)

وَإِنْ أَمْرًا يَهْوِي إِلَيْكَ وَدُونَهُ مِنْ الْأَرْضِ مَوْمَاءَ وَيَبْدَاءَ خَيْفَقُ

(٣) مِنْ شِعْرَاءِ الْحِمَاسَةِ «التَّبْرِيزِيِّ» ٢٩٨/٣.

(٤) هُوَ أَبُو الْعَبَّاسِ «ثَعْلَبُ»، وَقَدْ تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهِ.

لَمَحْفُوقَةٌ أَنْ تَسْتَجِيبِي لِصَوْتِهِ وَإِنْ تَعْلَمِي إِنَّ الْمَعِينَ مُوقِفٌ^(٥)

ثُمَّ تَقْوَى الْحَالَ فَيَصِيرُ عَشْقًا. وَالْعَاشِقُ يَمْنَعُهُ مِنْ سُرْعَةِ الْإِنْحِطَاطِ فِي هَوَى مَعْشُوقِهِ إِشْفَاقُهُ عَلَيْهِ وَصْنُهُ بِهِ، حَتَّى أَنْ إِنْقَاءَهُ عَلَيْهِ لِيَدْعُوهُ إِلَى مُخَالَفَتِهِ وَتَرْكِ الْإِقْبَالِ عَلَيْهِ. فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَوَهَّمُ لِهَذِهِ الْعِلَّةِ أَنَّ الْهَوَى أَنْتُمْ مِنْ الْعَشْقِ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ. ثُمَّ يَزْدَادُ الْعَشْقُ فَيَصِيرُ تَتِييماً، وَهُوَ أَنْ تَصِيرَ حَالُ الْمَعْشُوقِ مُسْتَوْفِيَةً لِلْعَاشِقِ، فَلَا يَكُونُ فِيهِ مَعَهَا فَضْلٌ لِغَيْرِهَا، وَلَا يَزِيدُ بِقِيَاسِهِ شَيْئاً إِلَّا وَجَدْتَهُ مُتَكَامِلاً فِيهَا.

وفي مثل هذا يقول أبو الشيبس:^(٦)

وَقَفَّ الْهَوَى بِي حَيْثُ أَنْتِ فَلَيْسَ لِي مُتَأَخَّرُ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمُ
أَجْدُ الْمَلَامَةِ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةٌ حُبًّا لِيَذْكُرِكَ فَلَيْلُمْنِي اللَّوْمُ
أَشْبَهْتَ أَعْدَائِي فَصِرْتُ أَحِبُّهُمْ إِذْ كَانَ حَقِّي مِنْكَ حَقِّي مِنْهُمْ
وَأَهْتَنِّي فَأَهَنْتُ نَفْسِي جَاهِداً مَا مَنْ يَهْوَنُ عَلَيْكَ مِمَّنْ أَكْرِمُ

وَلَوْلَمْ يَقُلْ أَبُو الشَّيْبِصِ فِي عُمُرِهِ، بَلْ لَوْلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ عَصْرِهِ.
غَيْرَ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ الْأَبْيَاتِ، لَكَانُوا غَيْرَ مُقْصِرِينَ. وَإِذَا كَانَتْ كُلُّ خَوَاطِرِ الْعَاشِقِ
فِي مَا يَتَمَنَّا، وَاقِعَةً مِمَّنْ يَهْوَاهُ عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي يَرْضَاهُ، فَهَذِهِ فِي الْمَشَاكِلَةِ
الطَّبِيعِيَّةِ الَّتِي لَا يُفْنِيهَا مَرُّ الزَّمَانِ، وَلَا تَزُولُ إِلَّا بِزَوَالِ الْإِنْسَانِ. وَإِذَا صَحَّ هَذَا
الْمَذْهَبُ لَمْ يُعْجَبْ مَنْ أَنْ يَمِيلَ الْإِنْسَانُ إِلَى الْإِنْسَانِ بِحُلَّةٍ أَوْ خُلَّتَيْنِ. فَإِذَا
زَالَتِ الْعِلَّةُ زَالَ الْهَوَى، فَلَا يَزَالُ الْمَرَابِطُ مُتَنَقِّلاً إِلَى أَنْ يُصَادِفَ مَنْ يَجْتَمِعُ *
فِيهِ هَوَاهُ، فَحِينَئِذٍ يَرْضَاهُ، فَلَا يَنْعَطِفُ عَنْهُ إِلَى أَحَدٍ سِوَاهُ.

ولبعض أهل هذا العصر في هذا المعنى:

أَيَا زَاعِماً أَتَيْ لَهُ غَيْرُ خَالِصٍ وَأَتَيْ مَوْقُوفٌ عَلَى كُلِّ قَائِصٍ
كَمَا أَنْتَ فَانْظُرْ فِي وَفَائِكَ خَالِصاً تَرَاهُ لِمَنْ يَهْوَاكَ أَمْ غَيْرَ خَالِصٍ
فَحِينَئِذٍ فَارْجِعْ بِمَا تَسْتَحِقُّهُ عَلَيَّ وَطَالِبِي إِذَا بِالنَّقَائِصِ
سَاعَرَضُ نَفْسِي يَمْنَةً وَشَامَةً عَلَى كُلِّ ثَاوٍ فِي الْبِلَادِ وَشَاخِصٍ^(٧)
إِلَى أَنْ أَرَى شَكْلاً يَصُونُ مَوَدَّتِي فَحِينَئِذٍ أَغْلُو عَلَى كُلِّ غَائِصٍ
أُمْنِي يَخُونُ الْعَهْدَ عَنْ غَيْرِ حَادِثٍ رَمَانِي إِذَا رَبِّي بِحَتْفٍ مُغَافِصٍ^(٨)

ثُمَّ يَزْدَادُ التَّتِييْمُ فَيَصِيرُ وَلَهَا وَالْوَلَةُ هُوَ الْخُرُوجُ عَنْ حُدُودِ التَّرْتِيبِ
وَالْتَعَطُّلُ عَنْ أَحْوَالِ التَّمْيِيزِ، حَتَّى تَرَاهُ يَطْلُبُ مَا لَا يَرْضَاهُ، وَيَتَمَنَّى
مَا لَا يَهْوَاهُ. ثُمَّ لَا يَحْتَذِي مَعَ ذَلِكَ مِثَالاً، وَلَا يَسْتَوْطِنُ حَالاً.

وقد قال حبيب بن أوس الطائي في نحو هذا:

وَلَهْنَةُ الْعُلَى فَلَيْسَ يَعُدُّ أَلْـ بُؤْسُ بُؤْسًا وَلَا التَّعِيمُ نَعِيمًا^(٩)
وَالشُّوقُ تَابِعٌ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ. وَالْمُسْتَحْسِنُ يَشْتَاقُ إِلَى
مَا يَسْتَحْسِنُهُ عَلَى قَدَرِ مَحَلِّهِ مِنْ نَفْسِهِ. ثُمَّ كُلَّمَا قَوِيَتْ الْحَالُ قَوِيَتْ مَعَهَا
الْأَشْتِيَاقُ. فَالْحُبُّ وَمَا أَشْبَهَهُ يَتَهَيَّأُ كِتْمَانُهُ، فَإِذَا بَلَغَتْ الْأَشْتِيَاقُ بَطَلَ الْكِتْمَانُ.

وفي مثل ذلك يقول يزيد بن الطثرية:^(١٠)

أَعِيبُ الَّذِي أَهْوَى وَأَطْرِي جَوَارِيَا يَرَيْنَ لَهَا فَضْلاً عَلَيْهِنَّ بَيْنَا
بِرَغْمِي أَطِيلُ الْأَصْدَ عَنْهَا إِذَا بَدَتْ أَحَاذِرُ أَسْمَاعاً عَلَيْهَا وَأَعْيْنَا
فَقَدْ غَضِبْتُ أَنْ قُلْتُ أَنْ لَيْسَ حَاجَتِي إِلَيْهَا وَقَالَتْ لَمْ يُرِدْ أَنْ يُجِنَّا

(٧) في «م» والمطبوع: في البلاد شاخص.

(٨) في «م» والمطبوع: وما بي إذا ربي...

(٩) انظر ديوان ٢٢٨/٣.

(١٠) انظر أخباره في «الشعر والشعراء» (ط. ليدن) ص ٢٥٥ - ٢٥٦.

(٥) البيت من قصيدة للأعشى. انظر الديوان ص ٢٢٣.

(٦) انظر ترجمته في الأغاني ١٥/١٠٤ وتاريخ بغداد ٤٠١/٥، وفي مجموع شعره ص ٩٢
تفريغ الأبيات.

وَهَلْ كُنْتُ إِلَّا مُعَمِّدًا قَانِطَ الْهَوَى أَسْرَ فَلَمَّا قَادَهُ الشُّوقُ أَعْلَنَا
 أَنَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى فَصَادَفَ قَلْبِي خَالِيًا فَتَمَكَّنَا
 وَلَعَمْرِي إِنَّ هَذَا لَمِنْ نَفِيسِ الْكَلَامِ غَيْرَ أَنَّ فِي الْبَيْتِ ضَعْفًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ
 جَعَلَ سَبَبَ تَمَكُّنِ الْهَوَى مِنْ قَلْبِهِ أَنَّهُ صَادَفَهُ خَالِيًا لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَيْهِ غَيْرُهُ. وَلَيْسَتْ
 هَذِهِ مِنْ أَحْوَالِ أَهْلِ التَّمَامِ، إِذْ كُلُّ مَنْ صَادَفَ مَحَلًّا لَا يُدَافِعُ عَنْهُ، لَمْ يَتَعَذَّرْ
 عَلَيْهِ طَرِيقُ التَّمَكُّنِ مِنْهُ.

وقد قال بعض أهل هذا العصر^(١١):

وَقَدْ كَانَ يَسْبِي الْقَلْبَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ثَمَانُونَ بَلَّ تَسْعُونَ نَفْسًا وَأَرْجَحُ
 يَهِيئُ بِهِذَا ثُمَّ يَعْشِقُ غَيْرَهُ وَيَسْلَاهُمْ مِنْ فُورِهِ حِينَ يُصْبِحُ
 وَكَانَ فُؤَادِي صَاحِبًا قَبْلَ حُكْمِ وَكَانَ بِحُبِّ الْخَلْقِ يَلْهُو وَيَمْرُحُ
 فَلَمَّا دَعَا قَلْبِي هَوَاكَ أَجَابَهُ فَلَسْتُ أَرَاهُ عَنْ وَدَادِكَ يَبْرَحُ
 رُمِيتُ بِهِجْرٍ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ كَاذِبًا وَإِنْ كُنْتُ فِي الدُّنْيَا بِغَيْرِكَ أَفْرَحُ
 وَإِنْ كَانَ شَيْءٌ فِي الْبِلَادِ بِأَسْرَهَا إِذَا غَبَتْ عَنْ عَيْنِي عِنْدِي يَمْلُحُ
 فَإِنْ شِئْتَ وَاصْلَانِي وَإِنْ شِئْتَ لَمْ تَصِلْ فَلَسْتُ أَرَى قَلْبِي لِغَيْرِكَ يَصْلُحُ
 فَالْمَحَبَّةُ مَا دَامَتْ لَهَا وَنَظَرًا فَهِيَ عَذْبَةٌ أَلْمَبْدِلُ سَرِيعَةٌ الْإِنْقِضَاءُ. فَإِذَا
 وَقَعَتْ مُرَبَّةٌ عَلَى التَّمَامِ فِي الْمَصَافَاةِ تَعَذَّرَتْ قُدْرَةُ الْقَلْبِ عَلَى هَوَاهُ، فَجِيئَتْ
 تَفْضِلُ أَفْهَامِ الْمُتَمَيِّزِينَ، وَتَبْطُلُ حِيلُ الْمُتَفَلْسِفِينَ.

وفي نحو ذلك يقول بعض الظرفاء:

طَوَى شَجْنَا فِي الصُّدْرِ فَالْدَمْعُ نَاشِرُهُ فَ إِنْ أَنْتَ لَمْ تَعَذَّرْهُ فَالشُّوقُ عَاذِرُهُ
 هَوَى عَذِبَتْ مِنْهُ مَوَارِدُ بَدْرِهِ فَلَمَّا نَمَى أَغْيَتْ عَلَيْهِ مَصَادِرُهُ

(١١) البيت الأول نسب إلى سديف بن ميمون في «طبقات ابن المعتز» ص ٤٠، والثاني
 والخامس نسبا إلى المجنون كما في «البيان والتبيين» ٤٢/٢، والحيوان ١٦٩/١،
 و«تزيين الأسواق» للأنطاكي ص ٦٥.

وأنشدني أبو العباس أحمد بن يحيى لامرأة من قيس:

وَمَا كَيْسٌ فِي النَّاسِ يُحَمَّدُ رَأْيَهُ فَيُوجَدُ إِلَّا وَهُوَ فِي الْحُبِّ أَحْمَقُ
 وَمَا مِنْ فَتَى مَا ذَاقَ بُؤْسَ مَعِيشَةٍ فَيَعْشُقُ إِلَّا ذَاقَهَا حِينَ يَعْشُقُ

وقال عمار بن عقيل بن بلال بن جرير: (١٢)

وَرَمَى الْهَوَى مِنَّا الْقُلُوبَ بِأَسْهُمٍ رَمَى الْكُفَاةَ مَقَاتِلَ الْأَعْدَاءِ *
 وَمِنْ الْعَجَائِبِ قَتْلُهُ لِكِرَامِنَا وَشِدَادِنَا بِمَكَائِدِ الضُّعَفَاءِ (١٣)

وقال أبو ذؤلف:

أَلْحَرْبُ تَضْحَكُ عَنْ كَرِّي وَإِقْدَامِي وَالْخَيْلُ تَعْرِفُ آثَارِي وَأَقْدَامِي
 سَنِي مِدَامِي وَرِيحَانِي مُتَقَفَّةً وَهَيْمِي مِقْسَةُ التَّقْصِيمِ لِلْهَامِ
 وَقَدْ تَجَرَّدَ لِي بِالْحُسْنِ مُنْفَرِدًا أَمْضَى وَأَشْجَعُ مِنِّي يَوْمَ إِقْدَامِي
 سَلْتُ لَوَاحِظُهُ سَيْفَ السَّقَامِ عَلَى جِسْمِي رُبْعَ أَسْقَامِ (١٤)

وقال آخر:

أَلَا قَاتَلَ اللَّهُ الْهَوَى كَيْفَ يَقْتُلُ وَكَيْفَ بِأَكْبَادِ الْمُجِبِّينَ يَفْعَلُ
 فَلَا تَعْدِلْنِي فِي هَوَايَ فَإِنِّي أَرَى سَوْرَةَ الْأَبْطَالِ فِي الْحُبِّ تَبْطُلُ

وقال آخر:

أَلْحُبُّ يَتْرُكُ مَنْ أَحَبَّ مُدْلَهًا خَيْرَانَ أَوْ يَقْضِي عَلَيْهِ قَيْسِرُ

(١٢) عمار بن عقيل بن جرير، شاعر عباسي من أهل اليمامة المتوفى سنة ٢٣٩ هـ. انظر:

معجم الشعراء ص ٢٤٧، تاريخ بغداد ٢٨٢/١٢، طبقات ابن المعتز ص ١٤٩.

(١٣) في «م» والمطبوع: بمكائد.

(١٤) هو القاسم بن عيسى... شاعر أديب شجاع، قلده الرشيد أعمال الجبل، المتوفى سنة

٢٢٥ هـ. انظر: معجم الشعراء ص ٢١٦، تاريخ بغداد ٢٨٠/١٢، عيون الأخبار

٣٢٥/٢. وفي عجز البيت الرابع نقص لم نهند إليه.

أَلْحَبُّ أَهْوَاهُ شَدِيدُ فَادِحٍ
مَنْ كَانَ ذَا حَزْمٍ وَعَزْمٍ فِي الْهَوَى
يَهْنُ الْقَوِيُّ مِنَ الرِّجَالِ فَيَضْرَعُ
وَشَجَاعَةً فَالْحَبُّ مِنْهُ أَشْجَعُ

وقال النابغة الذبياني:

لَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطِ رَاهِبٍ
لَرْنَا لِبَهْجَتِهَا وَحُسْنِ حَدِيثِهَا
أَسْعُ الْبِلَادِ إِذَا أَتَيْتُكَ زَائِراً
وَلِخَالِهِ رَشْداً وَإِنْ لَمْ يَرْشِدِ
وَأِذَا هَجَرْتُكَ ضَاقَ عَنِّي مَقْعِدِي

وأنشدني أعرابية بالبادية:

تَبَصَّرَ خَلِيلِي بَيْنَ وَابَشٍ
ظَعَائِنُ يَسْلُبْنَ الْفَتَى الْغَرَّ عَقْلُهُ
وَبَيْنَ أَخِي مِنْ ظَعَائِنَ كَالْأَثَلِ (١٥)
وَذَا الْأَهْلُ حَتَّى لَا يُبَالِي بِالْأَهْلِ

وقال آخر:

أَرْوَحُ وَلَمْ أُحْدِثْ لِلْيَلَى زِيَارَةً
تُرَابٌ لِأَهْلِي لَا وَلَا نِعْمَةً لَهُمْ
لَيْسَ إِذَا رَاعِي الْمَوَدَّةِ وَالْوَصْلِ
لَشَدَّ إِذْنُ مَا قَدْ تَعَبَّدَنِي أَهْلِي (١٦)

وقال ماني:

مُكْتَبٌ ذُو كَبِدٍ حَرَّى
تَبْكِي عَلَيْهِ مُقْلَةٌ عَبْرَى

(١٥) الديوان ص ٤١.

(١٦) في «م» والمطبوخ: واثش، أحي. والصواب ما أثبتناه. و«وابش» وادٍ وجبل بين وادي القرى والشام. و«أخي» جبل، والأخيان جبلان في حق ذي العرجاء على الشبيكة. وهو ماء في بطن وادٍ فيه ركابا كثيرة. انظر معجم البلدان.

(١٧) البيتان نسباً إلى المجنون، وهما في الديوان ص ٢٣٢، وشرح الحماسة للمرزوقي ص ١٣١٨، وأما في طبقات ابن المعتز ص ٣٢٩، والمؤتلف والمختلف ص ٦٨ فقد نسباً إلى أبي هلال الأحدب.

(١٨) ماني الموسوس، محمد بن القاسم أبو الحسن من أهل مصر، نزل بغداد، وهو متوكل. انظر: معجم الشعراء ص ٣٨٧، وطبقات الشعراء (نشرة عباس إقبال) ص ١٨١.

يَرْفَعُ يُمْنَاهُ إِلَى رَبِّهِ
يَبْقَى إِذَا كَلَّمْتَهُ بَاهِتاً
يَدْعُو وَفَوْقَ الْكَبِدِ الْيُسْرَى
وَنَفْسُهُ مِمَّا بِهِ سَكْرَى
تَحْسَبُهُ مُسْتَمِعاً نَاصِثاً
وَقَلْبُهُ فِي أُمَةٍ أُخْرَى

وقال غيره وهو مجنون بني عامر:

وَشُغِلْتُ عَنْ فَهْمِ الْحَدِيثِ سِوَى
وَأَدِيمُ نَحْوَ مُحَدِّثِي نَظْرِي
مَا كَانَ فِيكَ وَحُبُّكُمْ شُغْلِي
أَنْ قَدْ فَهِمْتُ وَعِنْدَكُمْ عَقْلِي (١٩)

وقال آخر:

مَنْ كَانَ لَمْ يَدْرِ مَا حُبٌّ وَصَفْتُ لَهُ
أَلْحَبُّ أَوَّلُهُ رَوْعٌ وَآخِرُهُ
إِنْ كَانَ فِي غَفْلَةٍ أَوْ كَانَ لَمْ يَجِدِ
مِثْلُ الْحَرَارَةِ بَيْنَ الْقَلْبِ وَالْكَبِدِ

وقال الحسين بن مطير الأسدي وهو من جيد ما قيل في معناه: (٢٠)

قَضَى اللَّهُ يَا أَسْمَاءُ أَنْ لَسْتُ زَائِلاً
فَحُبُّكَ بَلَوَى غَيْرَ أَنْ لَا يَسْرُنِي
أُحِبُّكَ حَتَّى يُغِمِضَ الْعَيْنَ مُغِمِضُ
وَأَنْ كَانَ بَلَوَى أَتْنِي لِكَ مُبْغِضُ
إِذَا مَا صَرَفْتُ الْقَلْبَ فِي حُبِّ غَيْرِهَا
فَيَا لَيْتَنِي أَقْرَضْتُ جَلداً صَبَابِي
إِذَا حُبُّهَا مِنْ دُونِهِ يَتَعَرَّضُ
وَأَقْرَضَنِي صَبراً عَلَى الشَّوْقِ مُقْرِضُ

أَمَّا قَوْلُهُ فَحُبُّكَ بَلَوَى فَكَلَامٌ قَبِيحٌ الْمَعْنَى، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِنْ كَانَ صَادِقاً فِي هَوَاهَا، مُخْتَاراً لَهَا عَلَى مَا سِوَاهَا، فَقَدْ أَتَى عَلَى نَفْسِهِ إِذْ جَعَلَ إِخْتِيَارَهُ مُضْراً

(١٩) البيتان في ديوان المجنون ص ٢٣٤، وكذلك في مصارع العشاق ص ٢٨٣.

(٢٠) انظر ترجمته في طبقات ابن المعتز ص ١١٤ وسمط اللآلئ ص ٤٠٩، والموشح ص ٣٦٠ وتهذيب ابن عساكر ٤/٣٦٢، ومعجم الأدباء ١٠/١٦٦ وفوات الوفيات ١/٢٨٥ وخزانة الأدب ٢/٤٨٥ والبيت الأول في تهذيب ابن عساكر ٤/٣٦٣ مع اختلاف في الرواية، وكذلك البيت الثاني. وأما البيت الثالث فقد ورد في سمط اللآلئ ص ٥٠٩، وقد جاء البيت الرابع في مجالس ثعلب ١/٢٢٠ مع اختلاف في الرواية.

بِقَلْبِهِ. وَإِنْ كَانَ لَمْ يَدْخُلْ فِي الْهَوَى مُخْتَارًا، وَإِنَّمَا وَقَعَ بِهِ إِضْطِرَارًا، فَقَدْ أَخْطَأَ إِذْ سَمَّى مَا هُوَ مَوْجُودٌ فِي طَبْعِهِ مُفَارِقٌ لِنَفْسِهِ بِأَسْمِ الْبَلَوَى الَّتِي تَعْرِضُ لَهُ، وَتَنْصَرِفُ عَنْهُ. وَأَمَّا إِخْبَارُهُ بِأَنَّهُ لَا يُسَرُّ بِأَنْ يَكُونَ مُبْغِضًا لَهَا، فَكَلَامٌ لَوْ سَكَتَ عَنْهُ كَانَ أَوْلَى. أَوْ أَنْ يَكْفَهُ أَنَّهُ مَبْتَلَى عِنْدَ نَفْسِهِ بِهَوَاهَا، حَتَّى يُرِيدَ مَعَ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مُبْغِضًا مَانِلًا إِلَى سِوَاهَا غَيْرَ أَنِّي أَرْجِعُ إِلَى مَنْ مَلَكَهُ الْإِشْفَاقُ، وَغَلَبَ عَلَى قَلْبِهِ الْإِشْتِيَاقُ، عُدْرًا بِأَنْ يُظْهِرَ مَا يَضْمُرُ سِوَاهُ، وَيَتَمَنَّى لِنَفْسِهِ غَيْرَ مَا يَهْوَاهُ، أَلَمْ يَسْمَعْ الَّذِي يَقُولُ:

مِنْ حُبِّهَا أَتَمَنَّى أَنْ يُلَاقِيَنِي مِنْ نَحْوِ بِلَدَتِهَا نَاعٍ فَيَنْعَاهَا
كَيْمَا أَقُولَ فِرَاقُ لَا الْتَقَاءَ لَهُ وَتَضْمُرَ النَّفْسُ يَأْسًا ثُمَّ تَسْلَاهَا

وَهَذَا لَعَمْرِي سَرَفٌ شَدِيدٌ، وَطَرِيقُ الْإِعْتِدَارِ لِقَائِلِهِ بَعِيدٌ، وَأَقْرَبُ مِنْهُ
قول أبي عبادَةَ الوليد بن عبيد الطائي: (٢١)

مُقِيمٌ بِأَكْنَافِ الْمَصْلَى تَصِيدُنِي لِأَهْلِ الْمَصْلَى ظَنِيَّةٌ لَا أَصِيدُهَا
أُرِيدُ لِنَفْسِي غَيْرَهَا جِنَ لَا أَرَى مُقَارَبَةً مِنْهَا وَنَفْسِي تُرِيدُهَا (٢٢)

وَهَذَا الْكَلَامُ أَيْضًا حَسَنُ الظَّاهِرِ قَبِيحُ الْبَاطِنِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يُعَبِّرُ عَنْ صَاحِبِيهِ أَنَّهُ إِنَّمَا يُرِيدُهَا مَا دَامَتْ تُوَاصِلُهُ، فَإِذَا هَجَرَتْهُ أَنْصَرَفَ عَنْهَا قَلْبُهُ، إِلَّا أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ مُقْصِرًا فِي هَذَا الْبَيْتِ فَمَا قَصَرَ فِي قَوْلِهِ:

يَهْوَاكَ لَا أَنْ أَلْغَرَامَ أَطَاعَهُ حَتْمًا وَلَا أَنْ أَلْسُلُو عَصَاهُ
مُتَخَيِّرُ أَلْفَاكِ خَيْرَةَ نَفْسِهِ مِمَّنْ نَاهَهُ أَلْوَدُ أَوْ أَدْنَاهُ (٢٣)

وهذا ضد قول أبي علي البصير:

لَوْ تَخَيَّرْتُ مَا عَشِيقْتُ وَلَوْ مِلْتُ كُنْتُ أَمْرِي عَرَفْتُ وَجَهَ الصَّوَابِ (٢٤)

وأفصح من هذا القول الذي يقول:

إِنَّ الَّذِي بَعْدَ ابْنِي ظِلٌّ مُفْتَخِرًا هَلْ كُنْتُ إِلَّا مَلِيكًا جَارٍ إِذْ قَدَرَا
لَوْلَا الْهَوَى لَتَحَارَبْنَا عَلَى قَدَرٍ وَإِنْ أَفُقَ لَكَ يَوْمًا مَا فَسَوْفَ تَرَى

هَذَا يَتَوَعَّدُ مُحِبُّوهُ بِالْعِقَابِ. وَهُوَ أَسِيرٌ فِي يَدِهِ يَجْرِي عَلَيْهِ حُكْمُهُ وَيَنْفُذُ فِيهِ، فَكَيْفَ لَوْ قَدْ مَلَكَ نَفْسَهُ وَقَدِرَ عَلَى الْإِنْصَافِ مِنْ خُصْمِهِ؟ هَذِهِ حَالٌ لَا يُخْبِرُ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ إِلَّا مَنْ قَدْ غَلِبَ عَلَى عَقْلِهِ، أَوْ تَحَيَّرَ فِي أَمْرِهِ. وَقَدْ قَالَ جَمِيلٌ فِي قَرِيبٍ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلًا مَلِيحًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعْنَاهُ عِنْدَنَا صَحِيحًا وَهُوَ:

فَيَا رَبِّ حَبِّبْنِي إِلَيْهَا وَأَعْطِنِي أَلَمَ سَوْدَةٍ مِنْهَا أَنْتَ تُعْطِي وَتَمْنَعُ
وَلَا فَصْبِرْنِي وَإِنْ كُنْتُ كَارِهًا فَإِنِّي يَا ذَا الْمَعَاجِرِ مُوَلِّعُ

وللمجنون ما هو أفصح منه:

فَيَا رَبِّ سَوِّ الْحُبَّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا كَفَافًا فَلَا يَرْجَحْ لِلْيَلَى وَلَا لِيَا
وَلَا فَبَغْضُهَا إِلَيَّ وَأَهْلَهَا تَكُنْ نِعْمَةً ذَا الْعَرْشِ أَهْدَيْتَهَا لِيَا (٢٥)

وأنشدني أبو العباس محمد بن يزيد النحوي ليزيد بن الطثرية في ضد

هذا المعنى:

يَقُولُونَ صَبْرًا يَا يَزِيدُ إِذَا نَأَتْ وَيَا رَبِّ لَا تَرْزُقْ عَلَى حُبِّهَا صَبْرًا (٢٦)

(٢٤) أبو علي البصير من شعراء الدولة العباسية، وقد جمع شعره وترجم له الدكتور يونس

أحمد السامرائي ونشره في بغداد. وهو الفضل بن جعفر كما في الكامل ٩/١ وانظر

طبقات ابن المعتز ص ٣٩٨ ومعجم الشعراء ص ٣١٤.

(٢٥) البيتان في الديوان ص ٢٩٨.

(٢٦) البيت في مجموع شعره ص ٤٠.

(٢١) في «م» والمطبوع: أبي الوليد بن عبيد الطائي.

(٢٢) البيتان من قصيدة في ديوان البحري ص ٥٣١ - ٥٣٢.

(٢٣) البيتان من قصيدة في الديوان ص ٢٤٠٢.

فَهَذَا يَخْتَارُ لِنَفْسِهِ الْبَلَاءَ ضَنًّا بِمَحَلِّهَا مِنَ الْهَوَى. وَلَعَمْرِي إِنَّ هَذِهِ لَحَالٌ
وَكِيدَةٌ، وَإِنَّهَا لَوْ فَارَقْتَهُ حَتَّى يَرَى نَفْسَهُ بِعَيْنِ الْحُرِّيَّةِ مِنْ مُلْكِهَا لَانْتَقَلَ عَنْ رَأْيِهِ
وَنَدِمَ عَلَى وَفَائِهِ.

وَقَدْ حَدَّثَنِي مَرْيَمُ الْأَسَدِيَّةُ (٢٧) قَالَتْ سَمِعْتُ أَمْرَأَةً عُقِيلِيَّةً تَقُولُ وَهِيَ
عَلَى بَعِيرٍ لَهَا تَسِيرُ:

سَقِينَا سُلُوءَ فَسَلَا كِلَانَا أَرَاكَ اللَّهُ نِعْمَةً مِنْ سَقَانَا

قَالَتْ مَرْيَمُ: فَسَأَلْتُهَا عَنْ خَبَالِهَا، فَقَالَتْ: كُنْتُ أَهْوَى ابْنَ عَمٍّ لِي،
فَقَطَنَ بِي بَعْضُ أَهْلِي، فَسَقُونِي وَإِيَّاهُ شَيْئًا، فَسَلَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا عَنْ صَاحِبِهِ.
وَهَذِهِ حَالٌ قَلَّ مَا يَقَعُ مِثْلُهَا وَهِيَ الْأَطْفُ مَحَلًّا مِنْ كُلِّ مَا ذَكَرْنَاهُ وَمَا نَذْكُرُهُ
بَعْدَهَا، لِأَنَّا إِنَّمَا نَصِفُ مَنْ أَثَرَ الْمَقَامَ مَعَ مَنْ يَهْوَاهُ، عَلَى السُّلُوءِ عَنْهُ وَالرَّاحَةِ
مِنْ أَذَاهُ، وَهُوَ بَعْدَ مُقِيمٍ فِي هَوَاهُ. وَصَاحِبَةُ هَذَا الْبَيْتِ قَدْ سَلَتْ عَنْ مَحْبُوبِهَا
وَأِنَّمَا تَتَأَسَّى عَلَى الْعُشُقِ لَا عَلَى الْمَعْشُوقِ، وَفِي مِثْلِ هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ
بَعْضُ الْهَذَلِيِّينَ: (٢٨)

إِذَا مَا سَأَلْتُكَ وَعَدًا تُرِيحُ بِهِ مُهْجَتِي فَأَنَا الْمُسْتَرِيحُ
فَلَا تُعْطِنِي الْوَعْدَ خَوْفَ السُّلُوءِ فَلِيْنِي عَلَى حَسْرَاتِي شَجِيحُ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْأَصْبَرِ عَنْكَ فَوَادُ قَرِيحُ وَقَلْبُ جَرِيحُ

ولقد أحسن الوليد بن عبيد حيث يقول:

وَيُعْجِبُنِي فَقْرِي إِلَيْكَ وَلَمْ يَكُنْ لِيُعْجِبْنِي لَوْلَا مَحَبَّتُكَ الْفَقْرُ
وَمَا لِي عُذْرٌ فِي جُحُودِكَ نِعْمَةً وَلَوْ كَانَ لِي عُذْرٌ لَمَا حَسَنَ الْعُذْرُ (٢٩)

(٢٧) لم أهتم إلى ترجمتها.

(٢٨) لم أتبين هذا الهذلي بين الهذليين في شرح أشعار الهذليين، وديوان الهذليين والمصادر
الأخرى.

(٢٩) ديوان البحري ص ٨٤٧ مع اختلاف في الرواية.

وأحسن الذي يقول:

وَمَا سَرَّيْنِي أَنِّي خَلِيٌّ مِنْ الْهَوَى عَلَى أَنْ لِي مَا بَيْنَ شَرْقِي إِلَى غَرْبِ
فَإِنْ كَانَ هَذَا الْحُبُّ ذَنْبِي إِلَيْكُمْ فَلَا غَفَرَ الرَّحْمَانُ ذَلِكَ مِنْ ذَنْبِ

وأحسن أيضاً الذي يقول:

أَحْبَبْتُ قَلْبِي لَمَّا أَحَبَّكُمْ وَصَارَ رَأْيِي لِرَأْيِهِ تَبَعًا
وَرُبَّ قَلْبٍ يَقُولُ صَاحِبُهُ تَعَسَّأَ لِقَلْبِي فَيْشُ مَا صَنَعَا

وأشدني أحمد بن يحيى عن الزبير بن بكار لجميل بن معمر:

خَلِيلِي فِيمَا عِشْتُمَا هَلْ رَأَيْتُمَا قَتِيلًا بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي
فَلَوْ تَرَكَتْ عَقْلِي مَعِيَ مَا تَبِعْتُمَا وَلَكِنْ طَلَبِيهَا لِمَا فَاتَ مِنْ عَقْلِي (٣٠)

وَهَذَا الْمَعْنَى الَّذِي فِي الْبَيْتِ الثَّانِي دَاخِلٌ فِيمَا عَيْنَاهُ مِنْ أَنْ مَنْ أَقْبَلَ
عَلَى مَنْ يَهْوَاهُ مَا دَامَ مُفْتَقِرًا إِلَيْهِ، فَلَيْسَتْ لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَّةٌ عَلَيْهِ. وَحَدَّثَنِي
أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى النَّحْوِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ الْقُرَوِيِّ (٣١) قَالَ:
حَدَّثَنِي أَخِي عِمْرَانُ بْنُ مُوسَى (٣٢) قَالَ: أَخْبَرَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا: أَنَّ الْمَجْنُونَ
لَمَّا تَعَوَّلَ كَانَ لَا يُؤْخَذُ مِنْهُ الشَّعْرُ إِلَّا أَنْ يَجْلِسَ الرَّجُلُ قَرِيبًا مِنْهُ، فَيَنْشِدُ
النَّسِيبَ فَيَرْتَاحَ إِلَيْهِ، فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَنْشَدَ. قَالَ فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِهِ رَجُلٌ فَأَنْشَدَهُ
بَيْتًا مِنَ النَّسِيبِ، فَقَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا ثُمَّ أَنْشَدَهُ:

عَجِبْتُ لِدَاكَ عُرْوَةً كَيْفَ أَصْحَى أَحَادِيثًا لِقَوْمٍ بَعْدَ قَوْمٍ
وَعُرْوَةٌ مَاتَ مَوْتًا مُسْتَرِيحًا وَهَاءَ نَذَا أَمَوْتُ كُلِّ يَوْمٍ (٣٣)

(٣٠) انظر ديوان جميل، ص. ص. ٩٨، ٩٩.

(٣١) لم أجده فيمن حدث عنهم أبو العباس أحمد بن يحيى من ذوي «القروي» ولعله
«المروي».

(٣٢) ولم أجده بينهم من ذوي «عمران بن موسى».

(٣٣) لم أجدهما في الديوان، غير أني وجدتتها في «بسط سامع المسامر» ص ٣٧.

أَرَانِي إِذَا صَلَّيْتُ يَمَّمْتُ نَحْوَهَا أَمَامِي وَإِنْ كَانَ الْمُصَلَّى وَرَائِيَا
وَمَا بِي إِشْرَاكَ وَلَكِنْ حُبَّهَا مَكَانَ الشَّجَى أَعْيَا الطَّبِيبَ الْمُدَاوِيَا
أَصْلِي فَمَا أَذْرِي إِذَا مَا ذَكَرْتُهَا أَتَيْتَنِي صَلَّيْتُ الضُّحَى أَمْ ثَمَانِيَا
وَمَا جِئْتُهَا أَبْغِي شِفَائِي بِنَظَرَةٍ فَأَبْصَرْتُهَا إِلَّا أَنْصَرَفْتُ بِدَائِيَا^(٣٤)

وأنشدني بعض الكتاب لنفسه:

وَلِي فُؤَادٌ إِذَا طَالَ السَّقَامُ بِهِ هَامَ أَشْتِيَاقاً إِلَى لُقْيَا مُعَذِّبِهِ
يَفْدِيكَ بِالنَّفْسِ صَبٌّ لَوْ يَكُونُ لَهُ أَعَزُّ مِنْ نَفْسِهِ شَيْءٌ فَذَلِكَ بِهِ

□ □ □

مَنْ تَدَاوَى بِدَائِهِ لَمْ يَصِلْ إِلَى شِفَائِهِ

قَدْ ذَكَرْنَا فِي صَدْرِ هَذَا الْكِتَابِ أَنَّ أَصْلَ الْهَوَى يَتَوَلَّدُ مِنَ النَّظَرِ
وَالسَّمَاعِ، ثُمَّ يَنْبِي حَالاً بَعْدَ حَالٍ، فَإِذَا كَانَ النَّظَرُ الصَّاحِي إِلَى الصُّورَةِ
الَّتِي يَسْتَحْسِنُهَا طَرَفُهُ مُؤَكِّدًا لِلْمَنْظُورِ إِلَيْهِ الْمَحَبَّةَ فِي قَلْبِهِ، كَانَ نَظَرُ الْمُحِبِّ
بَعْدَ تَمَكُّنِ الْمَحَبَّةِ لَهُ أُخْرَى أَنْ يَغْلِبَهُ عَلَى لُبِّهِ، وَيَزِيدَهُ كَرَباً عَلَى كَرَبِهِ. أَلَا
تَرَى أَنَّ مَنْ حُمَّ يَوْمَيْنِ مُتَوَالِيَيْنِ كَانَ أَلَمُهُ فِي الثَّانِي مِنَ الْيَوْمَيْنِ إِذَا تَسَاوَى
مِقْدَارُ الْحَمِيمَيْنِ أَصْعَبَ إِلَيْهِ فِي أَوَّلِ الْيَوْمَيْنِ؟

وفي مثل ذلك يقول حبيب بن أوس الطائي: ^(١)

بَعَثَنَ الْهَوَى فِي قَلْبِ مَنْ لَيْسَ هَائِماً فَقُلْتُ فِي فُؤَادِ رُغْنِهِ وَهُوَ هَائِمٌ

وقال غيلان بن عتبة في نحو ذلك: ^(٢)

خَلِيلِي لَمَّا خِفْتُ أَنْ تَسْتَفْزِنِي أَحَادِثُ نَفْسِي بِالْهَوَى وَاهْتِمَامُهَا
تَدَاوَيْتُ مِنْ مَيِّ بِتَكْلِيمَةِ لَهَا فَمَا زَادَ إِلَّا ضَعْفَ شَوْقِي كَلَامُهَا

وقال أيضاً:

وَكُنْتُ أَرَى مِنْ وَجْهِ مَيَّةَ لَمَحَةً فَأَبْرَقَ مَغْشِياً عَلَيَّ مَكَائِيَا
وَأَسْمَعُ مِنْهَا لَفْظَةً فَكَأَنَّهَا يُصِيبُ بِهَا سَهْمٌ طَرِيقَ فُؤَادِيَا
تُطِيلِينَ لَيَانِي وَأَنْتِ مَلِيَّةٌ وَأُحْسِنُ يَا ذَاتَ الْوُشَاحِ التَّقَاضِيَا

(١) أبو تمام، والبيت في ديوانه ١٧٣/٣.

(٢) الشاعر المعروف بـ «ذو الرمة»، والبيتان في الديوان ص ٦٣٧ مع اختلاف في الرواية.

(٣٤) الأبيات في الديوان ص ٢٩٩ مع اختلاف في الرواية.

هِيَ السِّحْرِ رُفِيَّةٌ وَأَنِّي لَا أَلْقَى مِنَ الْحَبِّ رَاقِيَا^(٣)
وقال أيضاً:

تَجَنُّ إِلَى مَيِّ وَقَدْ شَطَّتِ النَّوَى وَمَا كُلُّ هَذَا الْحَبِّ غَيْرُ غَرَامٍ
لَيَالِي مَيِّ مَوْتُهُ ثُمَّ نَشْرُهُ لَمَّا أَلْمَحْتُ مِنْ نَظَرِهِ وَكَلَامِ^(٤)

وقال آخر:

يَقُولُونَ لَيْلَى بِالْعِرَاقِ مَرِيضَةٌ فَأَقْبَلْتُ مِنْ مِصْرٍ إِلَيْهَا أَعُودُهَا
فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي إِذَا أَنَا جِئْتُهَا أَأَبْرِئُهَا مِنْ دَائِهَا أَمْ أَزِيدُهَا^(٥)

ولقد أحسن الطائي حيث يقول: ^(٦)

أَمْتَعْتُ طَرْفِي يَوْمَ ذَلِكَ بِنَظَرِهِ لَا تُنَمِّعُ الْأَرْوَاحَ بِالْأَجْسَادِ

وأنشدني أبو طاهر الدمشقي: ^(٧)

دَوَائِي مَكْرُوهِي وَدَائِي مَحَبَّتِي فَقَدْ عِيلَ صَبْرِي كَيْفَ بِي أَتَقَلَّبُ *
فَلَا كَمَدٌ يَبْلَى وَلَا لَكَ رَحْمَةٌ وَلَا عَنْكَ إِفْصَارٌ وَلَا عَنْكَ مَذْهَبٌ

وقال علي بن محمد العلوي: ^(٨)

كَمْ نَظَرَةٍ مِنْهَا شَجِيئَةٌ لَهَا قَامَتْ مَقَامَ الْفَقْدِ لِلنَّظَرِ

(٣) ديوان ذي الرمة ص ص ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣.

(٤) ديوان ذي الرمة ص ٦٠٠ مع اختلاف في الرواية.

(٥) البيتان نسبا إلى المجنون في ديوانه ص ١٠٧، وانظر «اللسان» (شأم).

(٦) البيت في الديوان (نشرة الخياط) ص ٣٠، ورواية الصدر، اتبعت سيفك من يديك بضربة.

(٧) هو أحمد بن بشر الدمشقي، أبو طاهر، وقد تقدم التعريف به. والبيتان من مقطوعة تغنت بها أم كلثوم من فائزات عصرنا المجودات، ورواية الثاني كما غتته: فلا كبدي تبلي...

(٨) لم أهد إلى هذا «العلوي» الذي زاده المصنف فقال الكوفي في غير موضع من «الزهرة»، لم أجده في كتب الرجال ومجاميع الشعر، وقد ذهب بي الظن أنه من الشيعة ففزعته إلى =

وَلَيْ بِأَوْطَارِي وَلَسْتُ أَرَى عَيْشًا يُهْشُ لَهُ بِلَا وَطَرٍ
وأنشدنا أحمد بن أبي طاهر:

نَارَ عَيْنِي مِنْ طَرْفِهِ الْوَحْيَا وَهُمْ أَنْ يَنْطِقَ فَاسْتَحْيَا
جَرَدَ لِي سَيْفَيْنِ مِنْ لَحْظِهِ أَمَاتَ عَنْ ذَا وَبِذَا أَحْيَا

وقال الحسين بن الضحاك المعروف بالخليع: ^(٩)

وَأَتَانِي مُفْجِئٌ بِغُرَّتِهِ قُلْتُ لَهُ إِذْ خَلَوْتُ مُحْتَشِمًا
تُحِبُّ بِاللَّهِ مَنْ يَخْصُكَ بِالْحَبِّ فَمَا قَالَ: «لَا» وَلَا «نَعَمًا»
ثُمَّ تَوَلَّى بِمُقْلَتِي خَجِيلٍ أَرَادَ رَدَّ الْجَوَابِ فَاحْتَشَمًا
فَكُنْتُ كَالْمُبْتَغِي بِحِيلَتِهِ بُرْءًا مِنَ السُّقْمِ فَابْتَدَا سَقَمًا

وقال آخر:

تَأَمَّلْتُهَا مُعْتَرَةً فَكَأَنَّمَا رَأَيْتُ بِهَا مِنْ سُنَّةِ الْبَدْرِ مَظْلَعًا
إِذَا مَا مَلَأَتْ أَلْعَيْنَ مِنْهَا مَلَأْتُهَا مِنْ الدَّمْعِ حَتَّى أَتَرَفَ الدَّمْعُ أَجْمَعًا

وقال آخر:

تَمَنَيْتُ مَنْ أَهْوَى فَلَمَّا لَقِيْتُهُ بُهْتُ فَلَمْ أُعْمِلْ لِسَانًا وَلَا طَرْفًا
فَأَغْضَيْتُ إِجْلَالًا لَهُ وَمَهَابَةً

وَحَاوَلْتُ أَنْ يَخْفَى الَّذِي بِي فَلَمْ يَخْفَى^(١٠)

= مصادر الشيعة. فلم أجد فيها ضالتي. وقد وجدت له في زهر الآداب ٨١٢/٣، ٩٦٣ مختارات شعرية ولا أدري أهو صاحب الزنج؟

(٩) هو الحسين بن الضحاك المعروف بالخليع، أبو علي المتوفى سنة ٢٥٠. شاعر عباسي، انظر: الأغاني (الساسني) ١٦٥/٦ - ٢٠٥، تاريخ بغداد ٤٥/٨، تهذيب ابن عساكر

٢٩٧/٤، المؤلف للأمدي ص ١١٣. وقد جمع عبدالستار فراج أشعاره.

(١٠) كذا في «م» و«المطبوع» وليس لنا أن نبذل به «لم» أداة نافية أخرى.

وأنشدني أحمد بن أبي طاهر لعلني بن الجهم لنفسه (١١):

وَلَمَّا سَبَدْتُ بَيْنَ الْوُشَاةِ كَأَنَّهَا
عِنَاقُ وَدَاعٍ يُشْتَهَى وَهُوَ يَقْتُلُ
أَيْسْتُ مِنَ الدُّنْيَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي
لَئِنْ عَجَلْتُ لِلْمَوْتِ أَوْحَى وَأَعْجَلُ (١٢)

وقال آخر:

أَيُّهَا النَّائِمُونَ حَوْلِي هَنِيئًا
مَنْ رَأَيْتُ فَلَا يُدِيمَنَّ لَحْظًا
هَكَذَا كُنْتُ حِينَ كُنْتُ خَلِيًّا
وَلَيْكُنْ مِنْ جَلِيسِهِ سَامِرِيًّا

وقال مسلم بن الوليد:

أَوِيرَا عَلَيَّ الْكَأْسَ لَا تَشْرَبَا قَلْبِي
فَمَا حَزَنِي أَتَيْتُ أُمُوتُ صَبَابَةً
أُحِبُّ أَلَّتِي صَدْتُ وَقَالَتْ لِتَرْبِهَا
أَمَاتَتْ وَأَحْيَتْ مُهَجَّتِي فَهِيَ عِنْدَهَا
وَمَا نِلْتُ مِنْهَا طَائِلًا غَيْرَ أَنِّي
بَلَى رُبَّمَا وَكَلْتُ عَيْنِي بِنَظَرَةٍ
وَلَا تَطْلُبَا مِنْ عِنْدِ قَاتِلَتِي دَحْلِي
وَلَكِنْ عَلَى مَنْ لَا يَجِلُّ لَهَا قَتْلِي
دَعِيهِ أَثَرِيًا مِنْهُ أَقْرَبُ مِنْ وَصْلِي
مُعَلَّقَةً بَيْنَ الْمَوَاعِيدِ وَالْمَظَلِ
بِشَجْوِ الْمُعْنَيْنِ الْأَلَى سَلَفُوا قَلْبِي
إِلَيْهَا تَزِيدُ الْقَلْبَ خَبَلًا عَلَى خَبَلٍ (١٣)

وقال أيضاً: (١٤)

عَرَفْتُ بِهَا الْأَشْجَانَ وَهِيَ خَلِيَّةٌ
أَرَاهَا فَأَطْوِي لِلنَّصِيحِ عِدَاوَةً
فَلَا سِيَّمَا الْعُدَالَ فِيهَا مَلَامَهُمْ
مِنْ الْحَبِّ لَا وَصْلَ لَدَيْهَا وَلَا هَجْرُ
وَأَحْمَدُ عَقْبَى مَا جَنَى النَّظْرُ الشُّرُورُ
أَلَسْتُ إِذَا لَأَمُوا أَيْتُ وَلِي عَذْرُ

(١١) لا معنى لكلمة «لنفسه» وعلي بن الجهم أبو الحسن الشاعر البغدادي المتوفى سنة ٢٤٩.

انظر الأغاني (الدار) ٢٠٣/١٠ - ٢٣٤، سبط اللآلئ ص ٥٢٦، تاريخ بغداد ٣٦٧/١١.

(١٢) لم أجد البيت في الديوان.

(١٣) المقطوعة من قصيدة في الديوان ص ٣٣، ٣٤، وانظر طبقات ابن المعتز ص ١١١ وفي «العمدة» لابن رشيق ١٣/٢ خمسة أبيات.

(١٤) المقطوعة في الديوان من قصيدة ص ٣١٤، ٣١٥.

شَكَوْتُ فَقَالُوا ضِيقَتْ ذُرْعًا بِحُبِّهَا
أَلَمْتُ بِنَا فِي الْعَائِدَاتِ مِنْ أَهْلِهَا

ولبعض أهل هذا العصر:

إِذَا كَانَ أَلِّقَاءُ يَزِيدُ شَوْقًا
فَلَيْسَ إِلَى السُّلُوفِ وَإِنْ تَمَادَى
وَمَنْ يَكُ ذَا سَقَامٍ إِنْ تَدَاوَى

وله أيضاً:

إِذَا زَارَ الْحَبِيبُ أَثَارَ شَوْقًا
وَرَوَانِي بِعَيْنَيْهِ مُدَامًا
فَوَصْلُ يُكْسِبُ الْمُشْتَقَ سُقْمًا
فَهَلْ يَصِلُ السَّقِيمُ إِلَى شِفَاءٍ

وله أيضاً:

أَغْرَيْتَنِي بِحَيَاتِي إِذْ غَرِيتَ بِهَا
فَكَيْفَ يُنْعَشُ مَنْ أَرَادَهُ نَاعِشُهُ
أَمْ كَيْفَ يَبْرَأُ قَلْبِي مِنْ صَبَابَتِهِ

وله أيضاً:

مَتَى يَا شِفَاءَ السَّقَمِ سُقْمِي مُنْقَضِي
فَهَيْهَاتَ مَا هَذَا عَلَى ذَا بِمَقْلَعِ

وقال آخر:

وَمُخْتَلِسٍ بِاللَّحْظِ مَا لَا يَنَالُهُ
وَفِي نَظَرِ الصَّادِي إِلَى أَلْمَاءِ حَسْرَةٍ

(١٥) في «م» و«المطبوع»: يقلع.

مَتَى تُمْلِكُ الشَّكْوَى إِذَا غُلِبَ الصَّبْرُ
فَأَذَكْتَ غَلِيلاً مَا لَدَيْهَا بِهِ خَبْرُ

وَكَانَ فِرَاقٌ مِنْ أَهْوَى يُشَوِّقُ
عَتَابُكَ فِي أَلْهَوَى أَبَدًا طَرِيقُ
تَزَايَدَ سُقْمُهُ فَمَتَى يُفِيقُ

تَفَتَّتْ مِنْ حَرَارَتِهِ الْعِظَامُ
تَدِينُ بِسُكْرِ شَارِبِهَا أَلْمَدَامُ
وَنَأْيٌ لَا يَقُومُ لَهُ قِوَامُ
إِذَا كَانَ أَلْدَوَاءُ هُوَ أَلْسَقَامُ

فَصَارَ طُولُ بَقَائِي بَعْضَ أَعْدَائِي
وَمَنْ يَرَى جِسْمَهُ رَأَى الْأَطْبَاءَ
بِطَبِّكُمْ وَدَوَائِي عِنْدَكُمْ دَائِي

إِذَا مَا دَوَاءٌ كَانَ لِلدَّاءِ مُمْرِضِي
أَجَلَ لَا وَلَكِنْ مُدَّةَ الْعُمْرِ تَنْقِضِي (١٥)

قَرِيبٍ بِحَالِ النَّازِحِ أَلْمُتَبَاعِدِ
إِذَا كَانَ مَمْنُوعًا سَبِيلَ الْمَوَارِدِ

وقال آخر:

خَلِيلِي أَصَحَّتْ حَاجَةٌ لِأَخِيكَمَا
فَكَفَيْتَ طِلَابِي حَاجَةً لَا يَنَالُهَا
فَهَلْ يَنْفَعُ الْحَرَانَةَ الْكَبِيدُ أَنْ تَرَى
وَهَلْ يَنْفَعُ الْعَيْنَ الشَّقِيَّةَ بِأَلْبَكَا
بِتَوْضِيحِ وَالْحَاجَاتُ يُرْجَى بَعِيدُهَا
بَرِيدِي وَلَا يَجْرِي إِلَيَّ بِرِيدُهَا
حَيَاضُ الْقَرَى مِنْ دُونِهَا مَنْ يَدُودُهَا
ذُرَى طَامِسِ الْأَعْلَامِ لَا بَلْ يَزِيدُهَا

وقال مجنون بني عامر:

تَدَاوَيْتُ مِنْ لَيْلَى بِلَيْلَى مِنَ الْهَوَى
أَلَا زَعَمْتَ لَيْلَى بِأَنْ لَا أُجِبُهَا
إِذَا ذُكِرَتْ يَزْنِاحُ قَلْبِي لِذِكْرِهَا
كَمَا يَتَدَاوَى شَارِبُ الْخَمْرِ بِالْخَمْرِ
بَلَى وَاللَّيَالِي الْعَشِيرُ وَالشَّفْعُ وَالْوَتَرُ
كَمَا أَنْتَفَضَ الْعُصْفُورُ مِنْ بَلَلِ الْفَطْرِ^(١٦)

وقال البحرى:

سَقَيْتُنَا الْجَوَى إِذْ أَبْرَقَ الْحَزَنُ أَبْرَقُ
أَضَاءَ بِإِضْبَاحٍ مِنَ الشَّيْبِ مَفْرُقُ
بِمَاءِ الرُّبَى مَنْ بَاتَ بِأَلْمَاءٍ يَشْرُقُ^(١٧)
سَقَى اللَّهُ أَخْلَاقًا مِنَ الدُّهْرِ رَطْبَةً
لَيَالٍ سَرَقْنَاهَا مِنَ اللَّهِوِ بَعْدَمَا
تَدَاوَيْتُ مِنْ لَيْلَى بِلَيْلَى فَمَا أَشْفَى

وقال جميل:

فَيَا حُسْنَهَا إِذْ يَغْسِلُ الدَّمْعُ كُحْلَهَا
عَشِيَّةً قَالَتْ فِي الْعَتَابِ قَتَلْتَنِي
فَقُلْتُ لَهَا جُودِي فَقَالَتْ مُجِيبَةً
لَقَدْ جَعَلَ اللَّيْلُ الْقَصِيرُ لَنَا بِكُمْ
وَإِذْ هِيَ تُذَرِّي الدَّمْعَ مِنْهَا الْأَنَامِلُ
وَقَتْلِي بِمَا قَالَتْ هُنَاكَ تُحَاوِلُ
الْلَجْدَ هَذَا مِنْكَ أَمْ أَنْتَ هَارِلُ
عَلَيَّ لِرَوَعَاتِ الْهَوَى يَتَطَاوَلُ^(١٨)

(١٦) الأبيات في الديوان ص ١٦٠، وانظر ترجمة قيس بن ذريح في الأغاني (الدار) الجزء الثامن وكذلك ترجمة جميل.

(١٧) من قصيدة في الديوان ص ١٤٨٩ مع اختلاف في الرواية.

(١٨) الأبيات في الديوان ص ١١٦.

والأصل في هذا كله هو لامرئ القيس:

وَمَا ذَرَفْتُ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبِي بِسَهْمَيْكَ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقْتَلٍ^(١٩)

وقال بشار بن برد^(٢٠):

مَرِيضَةٌ مَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ بِالضَّنَى
وَفِيهَا دَوَاءٌ لِلْعُيُونِ وَدَاءُ
عِتَابُ الْفَتَى فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
وَتَقْوِيمُ أَضْغَانِ النِّسَاءِ عَنَاءُ

وقال سُحَيْمُ عَبْدِ بَنِي الْحَسْحَاسِ:

تَجَمَّعْنَ مِنْ شَتَى ثَلَاثٍ وَأَرْبَعٍ
وَوَاحِدَةٌ حَتَّى كَمَلْنَ ثَمَانِيَا
يُعَذِّنُ مَرِيضًا هُنَّ هَيَّجَنَ دَاءَهُ
أَلَا إِنَّمَا بَعْضُ الْعَوَائِدِ دَائِيَا^(٢١)

وقال آخر:

كَمَا تَيَقَّنْتَ أَنَّ الْحَيَّ قَدْ رَقَدُوا
فَلَا بَلَغْتَ الَّذِي تَشْفِيهِ الْغَلِيلُ بِهِ
خَطَاكَ فَوْقَ رُقَابِ النَّاسِ مَا تَجِدُ
وَلَا ظَفِرْتَ وَلَا نَالَتْ يَدُكَ يَدُ

وقال آخر:

إِنَّ الَّذِينَ بِخَيْرٍ كُنْتَ تَذْكُرُهُمْ
لَا تَطْلُبُنَّ حَيَاةً عِنْدَ غَيْرِهِمْ
هُمْ أَهْلُكُوكَ وَعَنْهُمْ كُنْتَ أَنْهَاكَ
فَلَيْسَ يُحْيِيكَ إِلَّا مَنْ تَوَفَّاكَ

فَهَذَا الْبَائِسُ مَعَ مَنْ قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ مَعَ نَظَائِرِهِ، قَدْ صَبَرَ عَلَى مَضَاضَةِ دَائِهِ،
مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّهُ زَائِدٌ فِي دَائِهِ. وَلَمْ يَرَأْ أَنْ يَنْعَطِفَ إِلَى سِوَاهُ، وَلَا طَلَبَ الرَّاحَةَ إِلَّا
مِنْ عِنْدِ مَنْ آتَلَاهُ، وَهَذَا ضِدُّ الَّذِي يَقُولُ:

(١٩) البيت من مطولته المشهورة.

(٢٠) البيت من قصيدة في الديوان ١٥١/١.

(٢١) في «م» و«المطبوع»: عبيد بني حسحاس. وانظر ترجمته ومصادره في ص ٥ من الديوان.

(٢٢) البيتان من قصيدة في الديوان ص ٢٣، وفي «م» و«المطبوع» ثلاثاً وأربعاً.

وَلَمَّا أَبَى إِلَّا جَمَاحاً فُؤَادَهُ
تَسْلَى بِأُخْرَى غَيْرَهَا فِإِذَا الَّتِي
وَلَمْ يَسْلُ عَنْ لَيْلَى بِمَالٍ وَلَا أَهْلٍ
تَسْلَى بِهَا تَغْرِي بِلَيْلَى وَلَا تُسْلِي (٢٣)

وضد الذي يقول:

تَسَلَّيْتُ عَنْ ذِكْرِ الْحَبِيبِ بغيره
فَمَا زَادَنِي إِلَّا أَشْتِيَاقاً وَخُرْقَةً
وَمَا الْحُبُّ قَرَحَةً إِنْ نَكَاتَهَا
فَلَا تُطْفِئُ نَارَ الْحُبِّ بِالْحُبِّ طَالِباً
وَمِلْتُ إِلَيْهِ بِأَلْمُودَةِ وَالذِّكْرِ
إِلَيْهِ وَلَمْ أَمْلِكْ سُلوًى وَلَا صَبْرِي
بِأُخْرَى قَرَنْتَ الضَّرْمَيْنِ إِلَى الضَّرِّ (٢٤)
سُلُوْاً فَإِنَّ الْجَمْرَ يَسْعَرُ بِالْجَمْرِ (٢٤)

وَهَذَا وَإِنْ كَانَ مُحَالِفاً لِذَلِكَ فِي أَنَّهُ جَرَّبَ الْأَدْوِيَةَ عَلَى نَفْسِهِ، وَالتَّمَسَّ
الرَّاحَةَ فِي الْبِغْرِ غَيْرِ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ مُوَافِقٌ لِلَّذِي يُقَدِّمُهُ فِي التَّمَسُّهِ مِنْ نَحْوِ الْجِهَةِ
الَّتِي حَدَّثَ عَنْهَا آدَاءٌ فِي رُجُوعِ نَفْسِهِ إِلَى وَطَنِهَا، وَإِقْبَالِهَا بَعْدَ الْإِنْجِرَافِ
عَلَى سَكْنِهَا.

وقال عبيد الراعي (٢٥):

بَنِيَّ وَلَوْ بِشَيْءٍ قَدْ سَمِعْنَا جَوَارِكُمْ
خَلِيلَانِ مِنْ شُعْبَيْنِ شَتَّى تَجَاوَرَا
أَرَى آلَ هِنْدٍ لَا يُبَالِي أُمِيرُهُمْ
وَمَا جَمَعَتْنَا نِيَّةً قَبْلَهَا مَعَا
قَلِيلاً وَكُنَّا بِالتَّفَرُّقِ أُمْتَعَا
عَلَى كَيْدِ الْمَحْزُونِ أَنْ تَتَقَطَّعَا (٢٦)

وقال علي بن الجهم:

عُيُونُ الْمَهَابِينَ الرُّصَافَةِ وَالْجَسْرِ
جَلَبْنَ الْهَوَى مِنْ حَيْثُ أُدْرِى وَلَا أُدْرِى

(٢٣) البيتان نسبا إلى المجنون، انظر الديوان ص ٢٣١، وهما لابن الدمينه كما في الديوان
ص ٢٤، وقد وردا في أمالي القاضي ١/٢١٣، ومصارع العشاق ص ١٤٦، وتزيين
الأسواق ص ٣٣.

(٢٤) في «م» و«المطبوع»: وما للحب إلا فرحة إن نكلتها.

(٢٥) هو عبيد بن حصين الراعي، انظر ترجمته وأخباره في مقدمة الديوان.

(٢٦) الأبيات في الصفحة ١٦٦ من الديوان مع اختلاف كبير في الرواية، وفي البيت اضطراب
في الصدر.

أَعَدَنْ لِي الشَّقَوَى الْقَدِيمَ وَلَمْ أَكُنْ
وَقُلْنَ لَنَا نَحْنُ الْأَهْلَةُ إِنَّمَا
فَلَا نَيْلَ إِلَّا مَا تَزُوْدُ نَاطِرُ

وقال آخر:

وَقَالُوا لَهَا هَذَا حَبِيبُكَ مُعْرِضاً
فَمَا هُوَ إِلَّا نَظْرَةٌ بِتَبَسُّمٍ
فَقَالَتْ أَلَا إِعْرَاضُهُ أَيْسَرُ الْخُطْبِ
فَتَصْطَكُ رِجْلَاهُ وَيَسْقُطُ لِلْجَنْبِ

وقال أبو صخر الهذلي:

وَأَنِّي لَا تَيْهَا وَفِي النَّفْسِ هَجْرُهَا
فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فُجَاءَةً
وَأَنسى الَّذِي قَدْ جِئْتُ كَيْمَا أَقُولُهُ
بِتَاتَا لِأُخْرَى الدَّهْرَ مَا طَلَعَ الْفَجْرُ
فَأَبْهَتْ لَا عُرْفَ لَدَيْ وَلَا نُكْرُ
كَمَا قَدْ تُنْسِي لُبَّ شَارِبِهَا الْخَمْرُ (٢٨)

وقال آخر (٢٩):

وَكَيْفَ يُحِبُّ الْقَلْبُ مَنْ لَا يُحِبُّهُ
وَكُنْتُ إِذَا مَا زُرْتُ لَيْلَى بِأَرْضِهَا
تَحَلَّلُ أَحْقَادِي إِذَا مَا لَقَيْتُهَا
بَلَى قَدْ تُرِيدُ النَّفْسُ مَنْ لَا يُرِيدُهَا
أَرَى الْأَرْضَ تُطَوِّى لِي وَيَدْنُو بَعِيدُهَا
وَتَنِي بِلَا جُرْمٍ عَلَيَّ حُقُودُهَا

أَمَّا قَوْلُهُ: «تَحَلَّلُ أَحْقَادِي إِذَا مَا لَقَيْتُهَا» فَهُوَ كَلَامٌ صَحِيحٌ، وَلَوْ أَبْدَلَ اسْمَ
الْحَقْدِ بغيره (٣٠) كَانَ أَحْسَنَ، لِأَنَّ الْحَقْدَ لَا يَتَوَلَّدُ إِلَّا عَنْ مُوجَدَةٍ، فَتَخْفَى فِي

(٢٧) الأبيات مع اختلاف الرواية في تكملة الدوان ص ٢٢٠، وانظر مقدمة الديوان.

(٢٨) نسبت الأبيات إلى المجنون كما في الديوان ص ١٣٠، وهي لأبي صخر الهذلي في أمالي

القالي ١/١٤٨ - ١٥٠، وشرح المرزوقي ص ١٢٣١، والشعر والشعراء ص ٣٥٥،

وعيون الأخبار ٤/١٣٨، وفي «م» و«المطبوع»: بيتاً.

(٢٩) أشار عبدالستار فراج في تعليق له في الصفحة ١٠٦ من ديوان المجنون إلى هذه الأبيات

وقال أنها شيء من داليتة المشهورة.

(٣٠) في «م» و«المطبوع»: بغيرها.

لَيْسَ بِلَيْبٍ مَنْ لَمْ يَصِفْ مَا بِهِ لِطَيْبٍ

قَالَ أَبُو سُورَانَ لِبُزْرَجُمَهْرَ: مَتَى يَكُونُ «لَعِبِي» بَلِيغًا؟ فَقَالَ: إِذَا وَصَفَ هَوَى أَوْ حَيِيًّا.

وَقِيلَ لِبَعْضِ أَهْلِ هَذَا الْعَصْرِ: مَتَى يَكُونُ الْبَلِيغُ عَيًّا؟ فَقَالَ: إِذَا سُئِلَ عَمَّا يَتَمَنَّا، أَوْ شَكَا مَا بِهِ إِلَى مَنْ يَهْوَاهُ، وَقَالَ:

مَا يَعْلَمُ اللَّهُ أَنِّي مُذْ هَوَيْتُكُمْ أَطِيقُ إِظْهَارَ مَا أَلْقَاهُ بِاللَّفْظِ
كَمْ قَدْ تَحَفَّظْتُهُ حَتَّى إِذَا نَظَرْتُ عَيْنِي إِلَيْكَ أَزَالَتْ هَيْبَتِي حِفْظِي

وقال بعض الأدباء في مثل ذلك:

أَفَكَّرُ مَا أَقُولُ إِذَا أَلْتَقَيْنَا وَأُحْكِمُ دَائِبًا حُجَجَ الْمَقَالِ
فَتَرْتَعِدُ الْفَرَائِصُ حِينَ تَبْدُو وَأَنْطِقُ حِينَ أَنْطِقُ بِالْمُحَالِ

وقال آخر^(١):

أَتَيْتُ مَعَ الْحَدَاثِ لَيْلَى فَلَمْ أَقُلْ وَأُخْلِيتُ فَاسْتَعَجَمْتُ عِنْدَ خَلَائِي
وَجِئْتُ فَلَمْ أَنْطِقْ وَعُدْتُ فَلَمْ أَجِرْ جَوَابًا كِلَا الْيَوْمَيْنِ يَوْمَ عَنَائِي
فَيَا عَجَبًا مَا أَشْبَهَ الْيَأْسَ بِالْغِنَى وَإِنْ لَمْ يَكُونَا عِنْدَنَا بِسَوَاءٍ

وهذا المعنى الذي ذكره ليس بمستكرر، قد تمنع الموجد هيبته

(١) أقول: كأن الأبيات تشعر أن القائل هو المجنون قيس بن الملوّح، ولكني لم أجدها في الديوان، ولا في مصدر آخر.

النفس، وَيُظْهَرُ غَيْرُهَا وَيُرْصَدُ صَاحِبُهَا بِالْمُكَافَاةِ عَنْهَا. وَهَذَا كُلُّهُ مُحَالٌ بَيْنَ
الْمُتَحَابِّينِ بَيْنَ بَابِ الْجِدِّ وَالْهَزْلِ جَمِيعًا. وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي
بَابِ مَحَبَّتِهِ لِلْمُؤْمِنِينَ دَلِيلًا عَلَى مَا قُلْنَاهُ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَقَالَتِ
الْيَهُودُ * وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ، بَلْ
أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ فَجَعَلَ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ -
مُكَافَاتِهِمْ بِالْمُعَاقَبَةِ عَلَى ذُنُوبِهِمْ دَلِيلًا عَلَى تَكْذِيبِ دَعْوَاهُمْ.

وَنَحْوَ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي، يُحْبِبْكُمُ
اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ فَضَمَّ - جَلَّ وَعَزَّ - الدُّنُوبَ إِلَى الْمَحَبَّةِ.

غَيْرَ أَنَّ مَنْ أَحْسَنَ فِي بَيْتَيْنِ وَقَصَرَ فِي بَيْتٍ كَانَ مُحْسِنًا مَعْفِيًّا عَلَى
إِسَاءَتِهِ. وَأَمَّا قَوْلُهُ: (وَتَنِمِّي بِلَا جُرْمٍ عَلَيَّ حُقُودَهَا) فَتَعْتَوِرُهُ مَعَانٍ: أَحَدَهَا أَنْ
يَكُونَ ضَنْهُ بِوُدِّهَا دَعَاهُ إِلَى سُوءِ الظَّنِّ بِهَا فَتَنْسَبُهَا أَنَّهَا تُضْمِرُ لَهُ حِقْدًا، وَيُمْكِنُ
أَنْ يَكُونَ عَرَفَ مِنْ خِلَافِهَا مَا هُوَ مُغَيَّبٌ عَنَّا.

□ □ □

الْمَحْبُوبِ مِنَ النَّبْلِ الَّذِي هُوَ اللَّطْفُ مِنَ الشُّكْرِ، مَحَلًّا فِي الْقُلُوبِ.
أَلَمْ تَسْمَعْ الَّذِي يَقُولُ:

مُحِبُّ قَالَ مُكْتَتِمًا مُنَاهُ وَأَسْعَدَهُ الْحَبِيبُ عَلَى هَوَاهُ
أَصَاعَ الْخَوْفِ أَنْفَسَ مَا يُعَانِي وَمَا عَذَرَ الْمُضِيعَ لِمَا عَنَاهُ
فَأَصْبَحَ لَا يَلُومُ بِمَا جَنَاهُ مِنَ التَّفْرِيطِ إِنْسَانًا سِوَاهُ
أَسْرَ نَدَامَةَ الْكُسْعِيِّ لَمَّا رَأَتْ عَيْنَاهُ مَا صَنَعَتْ يَدَاهُ^(٢)

وأنشدني أبو العباس أحمد بن يحيى:

وإِنِّي لَا أَخْشَى أَنْ أَمُوتَ فُجَاءَةً وَفِي الْفَنَسِ حَاجَاتُ إِلَيْكَ كَمَا هِيَ
وَإِنِّي لَيْسَ سِنِي لِقَاؤِكَ كَلَمًا لَقِيْتُكَ يَوْمًا أَنْ أَبُشِّكَ مَا بَيَا
وَقَالُوا بِهِ دَاءٌ عَيَاءُ أَصَابَهُ وَقَدْ عَلِمْتَ نَفْسِي مَكَانَ دَوَائِيَا^(٣)

فَهَذَا يُخْبِرُ أَنْ لِقَاءَهَا هُوَ الَّذِي يَمْنَعُهُ مِنَ شُكْرِ مَا يَجِدُهُ، إِلَّا أَنَّهُ يُشْفِقُ
مِنْ ضَرَرِهِ عَلَى نَفْسِهِ، وَلَا يَبْقِي بِكُنْمَانِهِ عَلَى غَيْرِهِ. عَلَى أَنَّهُ قَدْ قَصَرَ عَنْهُ كَثِيرٌ
مِنْ أَهْلِ هَذَا الْعِلْمِ فِي قَوْلِهِ: إِنَّ لِقَاءَهَا يُحْدِثُ فِي قَلْبِهِ حَالًا لَمْ تَكُنْ قَبْلَ
ذَلِكَ ظَاهِرَةً مِنْ نَفْسِهِ. إِذْ لَوْ كَانَ الْهَوَى قَدْ اسْتَوْفَى مِنْهُ حَقَّهُ، وَتَنَاهَى بِهِ إِلَى
غَايَةِ بَعْدِهِ، لَمَا كَانَ الَّلِقَاءُ يَزِيدُ شَيْئًا وَلَا يَنْقُصُهُ.

كما قال يزيد بن الطثرية:

وَلَمَّا تَنَاهَى الْحُبُّ فِي الْقَلْبِ وَارِدًا أَقَامَ وَسَدَّتْ بَعْدُ عَنْهُ مَصَادِرُهُ
فَأُتِيَ طَبِيبٌ يُبْرِئُ الْحُبَّ بَعْدَمَا يُسْرِ بِهَ بَطْنُ الْفُؤَادِ وَظَاهِرُهُ^(٤)

(٢) جاء في المثل: «أندم من الكسعي»، مجمع الأمثال ٣٤٨/٢.

(٣) البيت من قصيدة طويلة من شعر المجنون. انظر الديوان ص ٣٠٠ مع اختلاف في الرواية.

(٤) البيتان في «شعر ابن الطثرية» ص ٧٤، وهما في الأمازي ٧٨/١ منسوبان إلى ابن الدمية.

وكما قال ذو الرمة:

وَمَا زِلْتُ أَطْوِي الشُّوقَ عَنْ أُمِّ خَالِدٍ وَحَارَاتِهَا حَتَّى كَأَنَّ لَا أُرِيدُهَا
فَمَا زَالَ يَنْمِي حُبُّ مَيَّةَ عِنْدَنَا وَيَزْدَادُ حَتَّى لَمْ نَجِدْ مَا نَزِيدُهَا^(٥)

ولقد أحسن حبيب بن أوس الطائي حيث يقول:

إِذَا أَزْهَدْتَنِي فِي الْهَوَى خِيَفَةُ الرَّدَى جَلَّتْ لِي عَنْ وَجْهِ يُزْهِدُ فِي الزُّهْدِ
فَلَا دَمْعَ مَا لَمْ يَبْدُ فِي إِثْرِهِ دَمٌ وَلَا وَجْدَ مَا لَمْ تَغِي عَنْ صِفَةِ الْوَجْدِ^(٦)

وأحسن علي بن محمد العلوي الكوفي حيث يقول:

قَالَتْ عَيْتٌ عَنِ الشُّكْرِ فَقُلْتُ لَهَا جُهِدِ الشَّكَايَةَ أَنْ أَعْيَا عَنِ الْكَلِمِ
أَشْكُو إِلَى اللَّهِ قَلْبًا لَوْ كَحَلْتُ بِهِ عَيْنِيكَ لِأَخْتَضَبْتَ مِنْ حَرِّهِ بِدَمٍ
لَا تُبْرِئِي فَاقْدِ الدُّنْيَا وَبَهْجَتِهَا وَمَا يُسْرِ بِهَ مِنْهَا بِلَا وَلَمْ

عَلَى أَنَّهُ مَنْ طَلَبَ لِأَدَمِيٍّ مِثْلَهُ بِمَا لَمْ يُطَالِبِ اللَّهَ عِبَادَهُ فَأَخْلَقَ بِأَنْ
يَكُونَ ظَالِمًا. وَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - قَوْمًا فَقَالَ: «الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ
اللَّهُ وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا»^(٧)، فَلَمْ يَعْبَهُمْ
- تَعَالَى - بَأَنَّ كَانَ ذِكْرُهُ بِحَضْرَتِهِمْ مُظْهِرًا عَلَيْهِمْ مَا لَمْ يُمَكِّنْ قَبْلُ مَوْجُودًا
مِنْهُمْ.

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ وَأَعْرَفَ مِنَ الشَّعْرِ فِي هَذَا الْمَعْنَى:

تَفْدِيكَ نَفْسِي لَسْتُ أَدْرِي أَيْمًا أَيَّامِكُمْ مِنْ آيَتِهَا أَشْجَاهَا
فِي حُبِّكُمْ شُغْلٌ لِقَلْبِي شَاغِلٌ عَنْ كُلِّ نَائِيَةٍ يَخَافُ رَدَّاهَا

(٥) البيتان من قصيدة لذي الرمة، الديوان ص ١٦٤ مع اختلاف في الرواية.

(٦) البيتان في الديوان (نشرة محي الدين الخياط) ص ١١٤، ١١٥ مع اختلاف في الرواية.

(٧) سورة الحج: ٣٥.

ومن جيد ما قيل في نحو الفصل الأول:

جَعَلْتَنِي دُنْيَايَ فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَجِدْ عَلَيَّ بَوْصِلَ فَالْسَّلَامُ عَلَى الدُّنْيَا
كَتَمْتَنِي مَا أَلْقَى لِنَاكَ مُهْجَتِي أَخَافُ عَلَيْهَا أَنْ تَذُوبَ مِنَ الشُّكُورِ

ولبعض أهل هذا الزمان في هذا المعنى:

بِحُرْمَةِ هَذَا الشَّهْرِ لِمَا نَعَشْتَنِي بِعَفْوِكَ إِنِّي قَدْ عَجِزْتُ عَنِ الْعُذْرِ
فَلَوْ كُنْتُ تَذَرِي مَا أَلَاقِي مِنَ الْهَوَى لَسَاءَكَ مَا أَلْقَى فَلَيْتَكَ لَا تَذَرِي
لِاشْقَى بِمَا أَلْقَى وَتَبْقَى مُنْعَمًا خَلِيًّا وَنَارَ الشُّوقِ تُسَعِّرُ فِي صَدْرِي

وأنشدني أبو العباس أحمد بن يحيى عن الزبير بن بكار عن ثابت بن

الزبير عن أبي العتاهية:

مَنْ لِعَبْدٍ أَدَّلَهُ مَوْلَاهُ مَا لَهُ شَافِعٌ إِلَيْهِ سِوَاهُ
يَشْتَكِي مَا بِهِ إِلَيْهِ وَيَخْشَاهُ هُ وَرَجُوهُ مِثْلُ مَا يَخْشَاهُ^(٨)

وهذه حال منقوضة لأن من منعه من شكوى ما يلقيه، إشفافه من موجدته
من يهواه، فإنما أبقى على نفسه. ومن امتنع من ذلك إشفافاً على قلب
صاحبه، فقد أعترض على وجده التصنع، إذ فعل ما يقدر على تركه.

وقال آخر:

الْجِسْمُ يَنْقُصُ وَالسَّقَامُ يَزِيدُ وَالِدَارُ دَانِيَةٌ وَأَنْتَ بَعِيدُ
أَشْكُوكَ أَمْ أَشْكُو إِلَيْكَ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ سِوَاهُمَا الْمَجْهُودُ

وقال الحسن بن هانئ:

لَا وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا خَانَ أَحْبَابُنَا وَمَا تَاهُوا
مَا عَلِمُوا بِالَّذِي يُجْنُ لَهُمْ مِنْ طُولِ شَوْقٍ وَلَا ذَرَوْا مَا هُوَ^(٩)

(٨) لم أجدهما في الديوان.

(٩) لم أجدهما في الديوان.

وللفتح بن خاقان^(١٠):

قَدَرْتُ عَلَى نَفْسِي فَأَزْمَعْتُ قَتْلَهَا عَلَى غَيْرِ جِدِّ مِنْكَ وَالنَّفْسُ تَذْهَبُ
كِعَصْفُورَةٍ فِي كَفِّ طِفْلِ يَسُومُهَا وَرُودَ حَيَاضِ الْمَوْتِ وَالطِّفْلِ يَلْعَبُ

وقال الحسين بن الضحاك:

أَيَا مَنْ طَرَفُهُ سِحْرٌ وَيَا مَنْ رِيقُهُ خَمْرٌ
تَجَاسَرْتُ فَكَاشَفْتُكَ لِمَا غَلَبَ الصَّبْرُ
وَمَا أَحْسَنَ فِي مَتْلِكَ أَنْ يَنْهَيْكَ السُّتْرُ
فَإِنْ عَلَفَنِي النَّاسُ فَلِي وَجْهَكَ لِي عُذْرُ^(١١)

وقال أيضاً:

إِنْ مِنْ أَطْوَلَ لَيْلٍ أَمَدًا لَيْلُ مُشْتَاكِ تَصَابِي فَكَتَمُ
رُبَّ فَظِّ الْقَلْبِ لَا لِيَنَّ لَهُ لَوْ رَأَى مَا بَكَ مِنْهُ لَرَجِمَ^(١٢)

وقال أيضاً:

أَكَايَمُ وَجِدِي وَمَا يَنْكَبُ لَوْ شِئْتُ إِلَيْهِ رَجَمُ
وَإِنِّي عَلَى حُسْنِ ظَنِّي بِهِ لِأَحْذَرُ إِنْ بُحْتُ أَنْ يَحْتَشِمُ
وَقَدْ عَلِمَ النَّاسُ أَنِّي لَهُ مُحِبٌّ وَأَحْسِبُهُ قَدْ عَلِمَ
وَلِي عِنْدَ رُؤْيَيْهِ نَظَرَةٌ تُحَقِّقُ مَا ظَنُّهُ الْمُتَّهِمُ^(١٣)

وقال المجنون:

فَأَنْتَ الَّذِي إِنْ شِئْتَ أَشَقَيْتَ عِشَّتِي وَإِنْ شِئْتَ بَعَدَ إِلَهُي أَنْعَمْتَ بَالِيَا

(١٠) الفتاح بن خاقان، أبو محمد، أديب شاعر، توفي سنة ٢٤٧هـ. فوات

الوفيات ١٢٣/٢.

(١١) انظر أشعار الحسين الخليل، وهو مجموع أشعاره مستخرجة من مصادر الأدب.

(١٢) المصدر السابق.

(١٣) المصدر السابق.

وَأَنْتَ الَّذِي مَا مِنْ صَدِيقٍ وَلَا عَدَا
رَأَى نِصْوَ مَا أَبْقَيْتَ إِلَّا رَثَا لِيَا^(١٤)

وقال أبو نواس:

قَالَتْ ظُلُومُ سَمِيَّةُ الظُّلَمِ
يَا مَنْ رَمَى قَلْبِي فَأَقْصَدَهُ
مَا لِي رَأَيْتُكَ نَاحِلَ الْجِسْمِ
أَنْتَ الْخَيْرُ بِمَوْجِعِ السَّهْمِ^(١٥)

وقال أبو تمام:

وَاللَّهِ لَوْ تَلَقَى الَّذِي أَلْقَى
بِي فَوْقَ مَا تَلَقَى بِوَاحِدِهَا
لَخَرَجْتَ أَنْ تَتَجَاوَزَ الْحَقَّ
أَمْ تَرَاهُ لِجَنْبِهِ مُلْقَى^(١٦)

وقال أبو صخر الهذلي:

بَيْدَ الَّذِي شَعَفَ^(١٧) الْفَرَادَ بِكُمْ
مَا فِي الْحَيَاةِ إِذَا هَبَّتْ بِنَا
وَلَمَّا بَقِيَتْ لَتَبْقِيَنَّ جَوَى
فَتَقِيَنَّ أَنْ قَدْ كَلِفْتُ بِكُمْ
تَفْرِيجُ مَا أَلْقَى مِنَ الْهَمِّ
خَيْرٌ وَلَا لِلْعَيْشِ مِنْ طَعْمِ^(١٨)
بَيْنَ الْجَوَانِحِ مُضَرَعًا جِسْمِي
ثُمَّ أَصْنِي مَا شِئْتَ عَنْ عِلْمِ

وقال خليفة بن روح الأسدي^(١٩):

فِي يَا أُمِّمِ الْقَلْبَ نَقْرًا تَجِيَّةً
فَلَوْ قُلْتُ طَأ فِي النَّارِ أَعْلَمُ أَنَّهُ
لَقَدُمْتُ رَجُلِي نَحْوَهَا فَوَطِئْتُهَا
فَلَا تَجْعَلِينِي كَأَمْرِيءٍ إِنْ وَصَلْتِهِ
وَنَشْكُو الْهَوَى ثُمَّ أَصْنِي مَا بَدَا لَكَ
هَوَى لَكَ أَوْ مُدِنٍ لَنَا مِنْ وَصَالِكَ
هُدَى مِنْكَ لِي أَوْ هَفْوَةٍ مِنْ ضَلَالِكَ
أَشَاعَ وَإِنْ صَرْمَتِهِ لَمْ يَبَالِكَ

وأنشدني ابن أبي طاهر:

قَالَتْ لَقِيتَ الَّذِي لَمْ يَلْقَهُ أَحَدٌ
أَوْدَعْتَنِي سَقَمًا لَا أَسْتَقِيلُ بِهِ
قُلْتُ الدَّلِيلُ عَلَى ذَاكَ الَّذِي أَجِدُ
فَلَيْسَ يَنْفَدُ حَتَّى يَنْفَدَ الْأَبَدُ

وقال مضر بن بطر الهلالي^(٢٠):

وَكَادَتْ بِلَادُ «لَلَّهِ يَا أُمَّ مَالِكٍ
أَذُوذُ سَوَادِ الطَّرْفِ عَنْكَ وَمَا لَهْ
وَلَوْ تَعْلَمِينَ الْعِلْمَ أَفْقَنْتِ أَنْبِي
سَلِي هَلْ قَلَانِي مِنْ عَشِيرِ صَحْبَتِهِ
بِمَا رَحِبْتَ يَوْمًا عَلَيَّ تَضِيقُ
إِلَى أَحَدٍ إِلَّا إِلَيْكَ طَرِيقُ
وَرَبِّ الْهَدَايَا الْمُسْعِرَاتِ صَدِيقُ
وَهَلْ ذَمَّ رَحْلِي فِي الرِّفَاقِ رَفِيقُ

وأنشدني آخر:

أَمْسَيْتُ لَعَابًا وَأَمْسَى الْهَوَى
أَشْفَقُ إِنْ بُخْنَا وَإِنْ لَمْ أَبْخِ
وأنشدني أبو الضياء لنفسه^(٢١):

أَنْظُرْ إِلَى نَاطِرٍ قَدْ شَفَّهَ السَّهْدُ
لَا ذُقْتُ مَا ذَاقَهُ مَنْ أَنْتَ مَالِكُهُ
أَخْفَى هَوَاكَ فَتَمَتُّهُ مَدَامِعُهُ
فَإِنْ جَحَدْتَ الَّذِي قَاسَاهُ بَيْنَهُمَا
وَأَعْطَفَ عَلَى مُهَجَةٍ أَوْدَى بِهَا الْكَمْدُ
وَلَا وَجَدْتُ بِهِ مِثْلَ الَّذِي يَجِدُ
وَالْعَيْنُ تُعْرِبُ عَمَّا ضَمَّتِ الْكَبْدُ
فَشَاهِدَاهُ عَلَيْكَ الْخُدَّ وَالْجَسَدُ

وقال أبو المنهال الأشجعي^(٢٢):

يَا أُمَّ عَمْرٍو وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ
أَوْفِي وَأَنْتَ مِنَ الْمُؤَفِّينَ بِالذِّمَمِ

(٢٠) كذا في «م» والمطبوع، وقد نسبت الأبيات إلى المجنون كما في الديوان ص ٢٠٧. وقد نسبت في الأغاني (الدار) ٤٠/٢، ٨٢ إلى قيس بن ذريح أو مضر بن قردة كما في المصدر نفسه ٢٠/٥، وفي لباب الآداب ص ٤١١ نسبت إلى مضر بن قردة، وكذلك في السمط ص ٣٨٠.

(٢١) لم أهدت إلى معرفته.

(٢٢) لعله أبو المنهال الديلي. انظر معجم الشعراء ص ٥١٣.

(١٤) انظر ديوان المجنون ص ٢٩٩.

(١٥) ليس البيتان في الديوان.

(١٦) البيتان في الديوان (نشرة محي الدين الخياط) ص ٤٥٤.

(١٧) كذا في شرح أشعار المهذلين ٩٧٥/٢ مع اختلاف في الرواية.

(١٨) كذا في المهذلين، وأما في «م» والمطبوع فهو: هببت لنا.

(١٩) لم أقف على ترجمته.

أَوْفِي وَفَاءَ كَرِيمٍ ذِي مُحَافَظَةٍ
عَدْلٍ مِنَ النَّاسِ يُرْضِي حِينَ يَبْلُغُهُ
فَأَعْرَضَتْ ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ لَاهِيَةٌ
إِنْ تَدْعُ لِي حَكَمًا عَدْلًا أَحْكُمُهُ
مِنِّي بِأَرْضِكَ شَجَوْتُ نَاسِيَهُ

وكتب عبدالله بن الدمينه إلى أمانة:

وَأَنْتِ الَّتِي كَلَفْتَنِي دَلَجَ السَّرَى
وَأَنْتِ الَّتِي قَطَعْتَ قَلْبِي حَزَاةً
وَأَنْتِ الَّتِي أَحْفَظُ قَوْمِي فَكُلُّهُمْ

وكتبت إليه:

وَأَنْتِ الَّتِي أَخْلَفْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي
وَأَبْرَزْتَنِي لِلنَّاسِ ثُمَّ تَرَكْتَنِي
فَلَوْ أَنَّ قَوْلًا يَكْلِمُ الْجِسْمَ قَدْ بَدَأَ

وكتب بعض أهل الأدب إلى أخ له من أهل هذا العصر:

سَيِّدِي إِنِّي أَسَأْتُ بِقَوْلِي
لَا تَلَقُ الدُّعَاءَ مِنِّي بِنُكْرٍ

فأجابه:

أَنَا بِالرَّقِي فِي الْهَوَى مِنْكَ أَوْلَى
عَلِمَ اللَّهُ أَنَّنِي مِنْكَ رَاضٍ

(٢٣) الأبيات نسبت إلى المجنون كما في الديوان ص ٢٤٧، وهي في ديوان ابن الدمينه ص ٤٢ مع اختلاف في الرواية.

(٢٤) وهذه الأبيات من قصيدة نسبت إلى المجنون مع الأبيات السابقة.

(٢٥) في «م» والمطبوع: لا تلقى.

وقال آخر:

يَا مُوقِدَ النَّارِ إِلَهَابًا عَلَى كَيْدِي
إِلَيْكَ أَشْكُو الَّذِي بِي لَا إِلَى أَحَدٍ

وقال بعض الأعراب:

إِذَا لُمْتُهَا قَالَتْ عَدِيمٌ وَإِنَّمَا
بَلَى قُلْتُ هَلْ تُمْ أَنْصَرَفْتُ وَلَمْ تَعُدْ

أَمَّا هَذِهِ فَقَدْ قَرَعَتْ صَاحِبَهَا عَلَى تَرْكِه تَقَاضِيَهَا تَقْرِيعًا يُغْري الْمُعْتَرِينَ
بِشَكْوَى كُلِّ مَا يَجِدُونَهُ، وَبِالْإِلْحَاحِ عَلَى مَنْ يَوَدُّونَهُ، فِي الْمَطَالِبَةِ بِجَمِيعِ مَا
يُرِيدُونَهُ. وَهَذِهِ حَالٌ مَنْ تَحَكَّمَ عَلَى مَوَارِدِهَا، تَحَكَّمَتْ عَلَيْهِ مَصَادِرُهَا، فَيَنْدَمُ
حَيْثُ لَا تَنْفَعُهُ الدَّامَةُ، وَيَهْرَبُ^(٢٦) إِلَى حَيْثُ لَا تَنْفَعُهُ السَّلَامَةُ. وَكَيْفَ يَنْهَيَا
لِلنَّادِمِ عَلَى إِظْهَارِ مَا فِي ضَمِيرِهِ أَنْ يُخْفِيَهُ بَعْدَ إِظْهَارِهِ؟ وَقَدْ كَانَ جَدِيرًا أَنْ
يُظْهَرَ مِنْهُ بِغَلَبَاتِ الْحَالِ فِي وَقْتِ جَرُصِهِ عَلَى أَسْرَارِهِ؟ وَالْمَحْبُوبُ كَثِيرًا
مَا يُطْمَعُ مُجَبَّةً فِي نَفْسِهِ هَذَا الْإِطْمَاعَ، أَوْ نَحْوَهُ لِيُطْلَعَ عَلَى حَقِيقَةِ مَا فِي
ضَمِيرِهِ وَقَلْبِهِ، فَإِذَا وَثِقَ بِصِحَّةِ الْمَلِكِ زَالَتْ عَنْهُ دَوَاعِي الشُّكِّ، فَتَرَاحَى حِينَئِذٍ
عَنِ الْأَسْتِعْطَافِ تَرَاحِي الْمَالِكِينَ، وَحَصَلَتْ لِلنَّاسِي الْمُظْهِرِ مَا فِي ضَمِيرِهِ ذِلَّةُ
الْمَمْلُوكِينَ. وَلَمْ أَجِدْ فِيمَا جَرَيْتُ إِلَيْهِ فِي هَذَا الْفَصْلِ أَرْزَأَ^(٢٧) مِنِّي عَلَى مَنْ
أَظْهَرَ إِلْفَهُ عَلَى مَا يَجِدُ مِنَ الْمَحَبَّةِ وَإِنَّمَا جَرَيْتُ إِلَى عَيْبٍ مَنْ يَدْعُوهُ إِلَى إِظْهَارِ
مَا فِي نَفْسِهِ رَجَاءُ النَّوَالِ مِنْ صَاحِبِهِ. وَلَعَمْرِي لَقَدْ قَالَ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ فِي
هَذَا الْبَابِ مَا يَقْرُبُ مِنْ جَهَةِ الصَّوَابِ وَهُوَ قَوْلُهُ:

يَا سَقِيمَ الْخُفُونِ غَيْرَ سَقِيمٍ
إِنَّ قَلْبِي لَكُمْ لَكَائِدُ الْحَرِّ

(٢٦) في «م» والمطبوع: وهرب.

(٢٧) في «م» والمطبوع: بأرزا.

إِذَا صَحَّ الظُّفْرُ وَقَعَتِ الْغَيْرُ

أَشْعَارُ هَذَا الْبَابِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا مُضَادَّةٌ لِلْأَشْعَارِ الَّتِي قَبْلَهَا، لِأَنَّ فِي أَشْعَارِ الْبَابِ الْأَمَاسِيِّ تَحْرِيفًا لِلْمُحِبِّ عَلَى إِظْهَارِ مُحَبُّوبِهِ عَلَى مَا لَهُ فِي نَفْسِهِ، وَلَوْ مَا لِمَنْ كَتَمَ عَنْ صَاحِبِهِ مَا يَجِدُهُ بِهِ وَمَا يَلْقَاهُ بِسَبَبِهِ. وَأَشْعَارُ هَذَا الْبَابِ إِنَّمَا هِيَ تَحْرِيفُ عَلَى الْكِتْمَانِ، وَتَحْذِيرٌ مِنَ الْإِعْلَانِ. وَالْعِلَّةُ فِي هَذَا مَا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ مِنْ أَنَّ الْمَحْبُوبَ يَسْتَعِظُ مُحِبَّهُ لِيُشْرَفَ عَلَى حَقِيقَةِ مَا فِي قَلْبِهِ، وَلِيَتِمَكَّنَ أَيْضًا هَوَاهُ مِنْ نَفْسِهِ، فَإِذَا وَقَعَ لَهُ الْيَقِينُ اسْتَغْنَى عَنِ التَّعَرُّفِ، وَإِذَا حَصَلَ لَهُ الْوُدُّ اسْتَغْنَى عَنِ التَّأَلُّفِ، فَحِينَئِذٍ يَقَعُ الْغَضَبُ عَنْ غَيْرِ ذَنْبٍ، وَالْإِعْرَاضُ مِنْ غَيْرِ وَجْدٍ، لِسُكُونِ الْقَلْبِ الْوَاتِقِ وَاسْتَظْهَارِ الْمَعْشُوقِ عَلَى الْعَاشِقِ.

قال بشار بن برد:

أَبْكِي الَّذِينَ أَذَاقُونِي مَوَدَّتَهُمْ
وَأَسْتَهْضُونِي فَلَمَّا قُمْتُ مُتَّصِبًا
لَاخِرُجَنَّ مِنَ الدُّنْيَا وَحُبُّكُمْ
أَلْقَيْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْحُزْنِ مَعْرِفَةً
وَقَالَ طَلْحَةُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ^(١):

لَا تُظْهِرَنَّ مَوَدَّةَ لِحْيَابٍ
أَظْهَرْتُ يَوْمًا لِلْحَبِيبِ مَوَدَّتِي
فَتَرَى بَعَيْنَكَ مِنْهُ كُلَّ عَجِيبٍ
فَأَخَذْتُ مِنْ هَجْرَانِهِ بِنَصِيبٍ

(١) لم أجد الأبيات في الديوان.

(٢) لم أهدت إلى ترجمته.

لَسْتُ أَذْلِي بِحُرْمَةٍ مُسْتَزِيدًا فِي وَدَادٍ مِنْكُمْ وَلَا فِي نَصِيبٍ
غَيْرِ أَنْ الْعَلِيلَ لَيْسَ بِمُذْمُورٍ عَلَى شَرْحٍ مَا بِهِ لِلطَّبِيبِ
لَوْ رَأَيْنَا التَّوَكِيدَ خُطَّةً عَجَزَ مَا شَفَعْنَا الْأَذَانَ بِالشُّوْبِ^(٢٨)

وَهَذَا الَّذِي وَصَفَ أَيْضًا مِنَ الْحَالِ غَيْرُ مُسْتَوْعِبٍ لِحَدِّ الْكَمَالِ وَذَلِكَ
أَنَّ الْكَامِلَ فِي حَالِهِ هُوَ الَّذِي كَانَ غَرَضُهُ فِي إِظْهَارِ إِيَّاهُ عَلَى كُلِّ مَا يُلْقَى بِهِ
أَنْ يَجْعَلَهُ مُشَارِكًا لَهُ فِي عِلْمِ ضَمَائِرِهِ وَمُتَحَكِّمًا مَعَهُ لَا بَلَّ عَلَيْهِ فِي سَرَائِرِهِ
فَلَا يَتَحَكَّمُ هُوَ حِينَئِذٍ عَلَى خَلِيلِهِ فِي أَمْرِ وَلَا يَسْتَظْهِرُ عَلَيْهِ بَسِيرَ وَكُلِّ مَنْ زَالَ عَنْ
هَذِهِ الْحَالِ فَرَائِلٌ عَنْ مَرْتَبَةِ الْكَمَالِ.

□ □ □

(٢٨) الأبيات في الديوان ١٢٥/١ مع اختلاف في الرواية.

وقال جميل بن معمر:

إِذَا قُلْتُ مَا بِي يَا بُثَيْنَةَ قَاتِلِي
وَإِنْ قُلْتُ رُدِّي بَعْضَ عَقْلِي أَعِشْ بِهِ
فَلَا أَنَا مَرْدُودٌ بِمَا جِئْتُ طَالِبًا
إِذَا فَكَّرْتُ قَالَتْ قَدْ أَدْرَكْتُ وَدَّهَ
يَمُوتُ آلَهُوَى مِنِّي إِذَا مَا لَقِيْتُهَا

وقال ذو الرمة:

وَلَمَّا شَكَّوْتُ الْحُبَّ كَيْمَا تُبَيِّنِي
دَلَالًا وَإِبْعَادًا عَلَيَّ وَقَدْ أَرَى
بِوَجْدِي قَالَتْ إِنَّمَا أَنْتَ تَمْرُحُ
ضَمِيرَ الْحَشَى قَدْ كَادَ بِالْقَلْبِ يَنْزَحُ^(٣)

وقال آخر:

وَلَمَّا شَكَّوْتُ الْحُبَّ قَالَتْ: أَمَا تَرَى
فَقُلْتُ لَهَا: إِنَّ الثُّرَيَّا وَإِنْ نَأَتْ
مَكَانَ الثُّرَيَّا وَهَوَ مِنْكَ بَعِيدُ
يَصُوبُ مِرَارًا نَوَّهَهَا فَيَجُودُ

وأنشدني أم حمادة الهمدانية^(٤):

شَكَّوْتُ إِلَيْهَا الْحُبَّ قَالَتْ كَذَّبْتَنِي
رُوَيْدَكَ حَتَّى يَتَّبِلِي الشَّوْقُ وَالْهَوَى
وَيَأْخُذَكَ أَلُوسُوَأَسُ مِنْ لَوْعَةِ آلَهُوَى
أَلَسْتُ أَرَى الْأَجْلَادَ مِنْكَ كَوَاسِيَا
عِظَامِكَ حَتَّى يَرْتَجِعْنَ بَوَادِيَا
وَتُخْرَسَ حَتَّى لَا تُجِيبَ الْمَنَادِيَا

وقال آخر:

أَجِينَ مَلَكْتَنِي أَعْرَضْتَ عَنِّي
فَهَلَّا إِذْ هَمَمْتُ بِصَرْمِ حَبْلِي
كَأَنِّي قَدْ قَلْتُ لَكُمْ قَتِيلًا
جَعَلْتَ إِلَيَّ التَّصَبُّرَ لِي سَبِيلًا

(٣) الأبيات في ديوان جميل ص ٣٨ مع اختلاف في الرواية.

(٤) لم أجد البيت في ديوان ذي الرمة.

(٥) وقول المؤلف: «وأنشدني...» ربما يشير إلى أنها من الأعراب، وقد ورد ذكرها أول مرة في الباب الأول من هذا الكتاب.

وقال آخر:

أَطْمَعْتَنِي فَقُلْتُ أَخْذًا بِكَفِّي
زَعَمْتَ أَنَّهَا تُرِيدُ عَفَافًا
ثُمَّ عَادَتْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ بِخَلْفِ
قُلْتُ رُدِّي عَلَيَّ قَلْبِي وَعِيقِي

وقال العباس بن الأحنف^(٦):

يَا وَبَحْ مَنْ خَنَلَ الْأَجْبَةُ قَلْبَهُ
عَزُّوا وَمَالَ بِهِ آلَهُوَى فَأَذَلُّهُ
أُنْظِرْ إِلَيَّ جَسِدَ أَصْرٍ بِهِ آلَهُوَى
مَنْ كَانَ خِلْوًا مِنْ تَبَارِيحِ آلَهُوَى
حَتَّى إِذَا ظَفِرُوا بِهِ قَتَلُوهُ
إِنَّ الْعَزِيزَ عَلَى الدَّلِيلِ يَتِيَهُ
لَوْلَا تَقَلُّبُ طَرْفِهِ دَفَنُوهُ
فَأَنَا آلَهُوَى وَحَلِيفُهُ وَأُخُوهُ^(٧)

وقال أيضاً:

أُحْرِمُ مِنْكُمْ بِمَا أَقُولُ وَقَدْ
صِرْتُ كَأَنِّي ذُبَالَةٌ نُصِبْتُ
نَالَ بِهِ الْعَاشِقُونَ مَا عَشِقُوا
تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ^(٨)

وأنشدنا أحمد بن يحيى الشيباني:

وَمَا أَنْصَفْتَ ذَلْفَاءَ أَمَا دُنُوهُمَا
تَبَاعَدُ مِنْ وَاصَلَتْ وَكَأَنَّهَا
فَهَجَرَ وَأَمَا نَائِيَهَا فَيَشْوِقُ
لِأَخَرِ مِمَّنْ لَا تَوَدُّ صَدِيقُ

وقال آخر:

وَمَا أَنْصَفْتَ أَمَا الْنِسَاءَ فَبَغَضْتَ
دَعَتْنِي بِأَسْبَابِ آلَهُوَى فَاتَّبَعْتُهَا
إِلَيْنَا وَأَمَا بِالنُّوَالِ فَضَنَنْتِ
حَيْنًا فَلَمَّا أَقْصَدْتَنِي تَوَلَّتْ^(٩)

(٦) العباس بن الأحنف، أبو الفضل من شعراء الدولة العباسية الذي انقطع إلى الغزل، اتصل بالرشيد. انظر الشعر والشعراء (لیدن) ص ص ٥٢٥ - ٥٢٨.

(٧) الأبيات في الديوان ص ٢٨٤ مع اختلاف في الرواية.

(٨) انظر ديوان العباس ص ١٩٧.

(٩) البيت الأول نسب إلى المجنون كما في الديوان ص ٨٧.

وقال المجنون:

أَذْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا مَلَكَتَنِي
تَجَافَيْتِ عَنِّي حِينَ لَا لِي حِيلَةٌ
يَقُولُ يُجِلُّ أَلْعَصَمَ سَهْلَ الْأَبَاطِحِ
وَحَلَفْتُ مَا خَلَفْتُ بَيْنَ الْجَوَانِحِ (١٠)

وقال آخر:

دَنْتُ فِعْلَ ذِي وَدٍ فَلَمَّا تَبَعْتُهَا
فَإِنْ قُلْتُ: إِنَّا ظَلَمْنَا فَلَمْ نَكُنْ
تَوَلَّتْ وَأَبَقَتْ حَاجَتِي فِي فُرَادِيَا
ظَلَمْنَا وَلَكِنَّا أَسَانَا التَّقَاضِيَا

وقال ذو الرمة:

وَتَهَجَّرُهُ إِلَّا اخْتِلَاسًا نَهَارَهَا
إِذَا خَشِيتُ مِنْهُ الصَّرِيمَةَ أَتَرَفْتُ
وَكَمْ مِنْ مُجَبِّ رَهْبَةٍ الْعَيْنِ هَاجِرٍ
لَهُ بَرَقَةٌ مِنْ خُلْبٍ غَيْرِ مَاطِرٍ (١١)

وقال المجنون:

لَعَمْرُ أَبِيهَا إِنَّهَا لَبَحِيلَةٌ
رَمَتْنِي عَنْ قَوْسِ الْعَدَاوَةِ إِنَّهَا
وَمِنْ قَوْلٍ وَاشٍ إِنَّهَا لَغَضُوبٌ
إِذَا مَا رَأَيْتَنِي مُغْرِضًا لَخْلُوبٍ (١٢)

وقال أبو ذهبل (١٣):

أَبْعَدَ الَّذِي قَدْ لَجَّ تَخْذِيلَتَنِي
وَشَفَعْتُ مَنْ يَنْعَى عَلَيَّ وَلَمْ أَكُنْ
فَقَالَتْ وَمَا هُمْتَ بِرَجْعِ جَوَابِنَا
فَقُلْتُ لَهَا مَا كُنْتُ أَوَّلَ ذِي هَوَى
عَدُوًّا وَقَدْ جَرَعْتَنِي السَّمَّ مُنْقَعًا
لَارْجِعْ مَنْ يَنْعَى عَلَيْكَ مُشَفَّعًا (١٤)
بَلْ أَنْتِ أَبَيْتِ الدَّهْرَ إِلَّا تَضَرُّعًا
تَحْمَلُ جَمْلًا فَادِحًا فَتَوَجَّعًا

(١٠) البيتان نسبا إلى المجنون، انظر الديوان ص ٩٤، وانظر الأغاني (الساسي) ٩٠/٢، ٩٢ والشعر والشعراء ص ٣٦٣، والعقد الفريد ٣٧٨/٥، وأمالى القالي ٢٢٨/٢.

(١١) البيتان في الديوان ص ٢٨٧، ٢٨٥ مع اختلاف في الرواية.

(١٢) البيتان في ديوان المجنون ص ٦١.

(١٣) في «م» والمطبوع: أبو ذهبل. وهو وهب بن ربيعة عاش أيام ابن الزبير. انظر: الشعر والشعراء (ليدن) ص ٣٨٩.

(١٤) البيتان في الديوان ص ٨٣. والديوان مجموع من الشعر.

وقال آخر:

وَقَالَتْ وَصَدْتُ وَجْهَهَا لِتَغِيظَنِي:
فَقُلْتُ: مَتَى أَذْنَبْتُ، قَالَتْ: تُرِيدُهُ
أَبِالصَّدِّ تُجْزِي أُمَّ عَلَى الذَّنْبِ تُوصَلُ
فَقُلْتُ: فَلَمْ أَفْعَلْ، قَالَتْ: سَتَفْعَلُ
وَلَكِنْ ظَفِرْتُمْ بِالْمُجِبِّينَ فَأَقْتُلُوا

وقال آخر:

شَكَوْتُ فَقَالَتْ: كُلُّ هَذَا تَبَرُّمًا
فَلَمَّا كَتَمْتُ الْحَبَّ قَالَتْ: لَشَدَّ مَا
بِحُبِّي أَرَاخَ أَلَلَهُ قَلْبُكَ مِنْ حُبِّي
صَبَرْتُ وَمَا هَذَا بِفِعْلِ شَجِيهِ الْقَلْبِ
فَشَكَوَايَ تُؤْذِيهَا وَعَتْبِي يَسُوءُهَا
فِيَا قَوْمَ هَلْ مِنْ حِيلَةٍ تَعْرِفُونَهَا
وَتَغْضَبُ مِنْ بُعْدِي وَتَنْفَرُ مِنْ قُرْبِي *
أَشِيرُوا بِهَا وَاسْتَوْجِبُوا الْأَجْرَ فِي الصَّبِّ

وأشدني أعرابي بنجد:

ذَكَرْتُكَ إِذْ نَامَ الْخَلِيُّ رَلَمْ أَنَمْ
وَإِذْ أَنْتِ تَتَيْنِ الْكَعَابَ بِقَضَرِهِ
وَإِذْ أَنْتِ فِي شُغْلٍ بِلَهْوِكَ عَنْ ذِكْرِي
وَقَلْبِي لَهُ لَذَعٌ آخَرُ مِنَ الْجَمْرِ (١٥)
فَإِنْ أَنَا لَمْ أَشْكُ الْهَوَى قُلْتُ: قَدْ صَحَا
وَلَيْسَ خَلِيلِي بِالْمَرْجَى وَلَا الَّذِي
وَلَكِنْ خَلِيلِي مَنْ يَصُونُ مَوَدَّتِي
وَيَحْفَظُنِي إِنْ كَانَ مِنْ دُونِ الْبَحْرِ (١٦)

وأشدني أحمد بن أبي طاهر لنفسه (١٧):

ذَهَبَتْ عَلَى صَبِّ شَكَا أَلَمْ الْهَوَى
وَكَانَ يُرْجَى نَفْعُ شَكْوَاهُ إِذْ شَكَا
كَمَا ذَهَبَتْ أَرْضُ وَطْنِ تَرَابِهَا
إِلَيْكَ فَقَدْ أَمْسَى يَخَافُ عِقَابَهَا

(١٥) لم أتبن معنى الصدر من هذا البيت.

(١٦) عجز البيت غير مستقيم من حيث الوزن، وهو كذلك في «م» والمطبوع.

(١٧) في «م» والمطبوع: أحمد بن طاهر. وقد مر «أحمد» هذا مراراً عدة في «الزهرة» وصاحب الكتاب يثبت الكثير من إنشاده.

وقال المؤمل^(١٨):

شَكُوتٌ وَجَدِي إِلَى هِنْدٍ فَمَا أَكْثَرْتُ
يَا قَلْبَهَا أَحَدِيدُ أَنْتَ أَمْ حَجَرُ
إِذَا مَرِضْنَا أَتَيْنَاكُمْ نَعُودُكُمْ
وَتُذَيُّونَ فَنَأْتِيَكُمْ فَنَعْتَذِرُ^(١٩)
وَبَلَّغَنِي أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ جَلَسَ يَوْمًا لِلنَّظَرِ فِي الْمَظَالِمِ فَرَفَعَتْ
إِلَيْهِ قِصَّةَ مَسْئُومَةٍ إِلَى عَمْرُو بْنِ الْحَارِثِ وَكَانَ فِيهَا:

عَلِقْتُ بِأَسْبَابِ الْمَوَدَّةِ وَالْهَوَى
فَلَمَّا حَوَتْ قَلْبِي ثَنْتُ بِصُدُودِ
فَلَوْ شِئْتُ يَا ذَا الْعَرْشِ حِينَ خَلَقْتَنِي
شَقِيئًا بِمَنْ أَهْوَاهُ غَيْرَ سَعِيدِ
عَطَفْتَ عَلَيَّ الْقَلْبَ مِنْهَا بِرَحْمَةٍ
وَإِنْ كَانَ قَلْبًا مِنْ صَفَاً وَحَدِيدِ
فَقُلْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّمَا
تُحَكِّمُ وَالْأَحْكَامُ ذَاتُ حُدُودِ

فَلَمَّا قَرَأَهَا عَبْدُ الْمَلِكِ قَلْبَهَا ثُمَّ وَقَعَ فِي ظَهَرِهَا:

أَرَى الْجَوْرَ مِنْهَا ظَاهِرًا يَا ابْنَ حَارِثٍ
وَمَا رَأَيْتُهَا فِيمَا أَنْتَ بِرَشِيدِ
أَمِنْ بَعْدَمَا صَادَتْ فَوَادَكَ وَآخَتَوْتُ
عَلَيْهِ ثَنْتُ وَجْهَ الْهَوَى بِصُدُودِ
فَإِنْ هِيَ لَمْ تَرْحَمْ بِكَ وَلَا حَنْتُ
عَلَيْكَ فَمَا مِنْكَ الرَّدَى بِبَعِيدِ
سَاقِضِي عَلَيْهَا أَنْ تُجَازِي بِرُودِهَا
أَخَا صَبُوءَ جَارَتْ عَلَيْهِ وَدُودِ

ولبعض أهل هذا العصر:

مَنْ لِي بِعَطْفِ أَخٍ الْإِخَاءَ وَرَا
ظَهَرُ وَمَنْ ثُمَّ مَارَى الرُّوحَ فِي اللَّطْفِ
حَتَّى يُصَيِّرَهَا إِنْ خُسِرَتْ تَلَفًا
وَفُرْقَةً مِنْهُ لَمْ تَخْتَرْ سِوَى التَّلَفِ
أَغْرَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ الدَّهْرِ فَاحْتَشَدْتُ
بِئْسَ الْخُطُوبُ احْتِشَادُ الْمُحَنِّ الْأَسِفِ
حَتَّى إِذَا أَنْسَتْ نَفْسِي بِأَنْكَ لِي
وَأَسْتَعَذَّبْتُ طِيبَ ذَاكَ الْمَشْرَبِ لِأَلَّافِ

أَمْكَنْتَ مِنِّي اللَّيَالِي فَانْتَصَفَنْ وَمَنْ
يَا قَلْبُ وَصْفُكَ يُغْرِي مَنْ كَلَفْتُ بِهِ
يُظْلَمُ وَيُمْكِنُ مِنَ الْإِنْصَافِ يَنْتَفِ
فَأَكْمِدُ بِكَيْتَمَانٍ مَا تَلْقَى وَلَا تَصِفِ
إِنْ كُنْتُ لَمْ تَشْجُ بِالْكَيْتَمَانِ فَاشْجِ بِهِ أَوْ كُنْتُ لَمْ تَعْرِفْ بِالْصَّرْمِ فَاعْرِفِ
قُلْ لِلْيَالِي مَلَكَتِ الْحُكْمُ فَاحْتَكِمِي
وَلِلْمَصَائِبِ قَدْ مُكِنْتُ فَانْتَصِفِي
وله أيضاً:

يَا مُنِيَّةَ الْقَلْبِ لَوْ آمَلْتُ أَنْفَسَحْتُ
وَحَظُّ نَفْسِي مِنْ دِينِي وَدُنْيَايِ
قُلْ لِي: تَنَاسَيْتَ أَمْ أَنْسَيْتَ أَلْفَتْنَا
أَيَّامَ رَأْيِكَ فِينَا غَيْرُ ذَا الرَّايِ
كَانَتْ لِقَلْبِي أَهْوَاءُ مُفْرَقَةٌ
فَاسْتَجَمَعْتُ مَذْ رَأْيَكَ إِلَيْنِ أَهْوَايِ
فَصَارَ يَحْسُدُنِي مَنْ كُنْتُ أَحْسَدُهُ

وَصِرْتُ مَوْلَى الْوَرَى مَذْ صِرْتُ مَوْلَايِ
حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الْحُسَادُ مِنْ دَرْكِي
وَقُلْ أَعْدَائِي مَذْ قَلَلْتُ أَكْفَايِ
حَمَيْتُ طَعْمَ الْكُرَى عَيْنِي فَاهْتَجَرَا فَصَارَ طِيبُ الْكُرَى مِنْ بَعْضِ أَعْدَائِي
مَنْ خَانَ هَانَ وَقَلْبِي رَائِدُ أَبَدًا
مِيلًا إِلَيْكَ عَلَى هَجْرِي وَإِقْصَائِي
لَا بُدَّ لِي مِنْكَ فَاصْنَعْ مَا بَدَا لَكَ بِي
فَقَدْ قَدِرْتُ عَلَى قَتْلِي وَإِحْيَائِي

وأنشدني محمد بن الخطاب^(٢٠):

عَلِّمْنِي الْإِضْدَارَ وَالْإِيرَادَا
فَارْفِقِي بِي فَقَدْ مَلَكَتِ الْقِيَادَا
لَا تَقُولِي إِذَا نَأَيْتُ سَلَا عَنَّا
لَا وَإِنْ زُرْتُمْ أَرَادَ الْبِعَادَا
عَلِّمْنِي الدُّنُو مِنْكَ إِذَا شِئْتُ
سِ وَغَنِكَ الْبِعَادُ أَلَقَ الرِّشَادَا

وقال الأعشى:

دَارُ لِقَاتِلَةِ الْغُرَانِ مَ بِهَا
إِلَّا الْوُحُوشُ خَلَتْ لَهُ وَخَلَا لَهَا
ظَلَّتْ تُسَائِلُ بِالْمَتَمِّمِ أَهْلَهُ
وَهِيَ الَّتِي فَعَلَتْ بِهِ أَفْعَالَهَا^(٢١)

(٢٠) لم أهد إلى ترجمته.

(٢١) لم أجد البيتين في ديوان الأعشى.

(١٨) هو المؤمل بن أميل المحاربي من شعراء الحماسة ١٤٦/٣ شاعر عباسي وانظر معجم الشعراء ص ٢٩٨.

(١٩) البيتان في نهاية الإرب ٩٢/٣ مع اختلاف في الرواية.

وقال عمر بن أبي ربيعة:

دَارَ الَّتِي صَادَتْ فُؤَادَكَ إِذْ رَمَتْ
فَتَجَاهَلْتَ عَمَّا بَنَّا وَلَقَدْ رَأَتْ
أَرْسَلَتْ جَارِيَتِي فَقُلْتُ لَهَا أَذْهَبِي
قُولِي يَقُولُ تَخَوَّفِي فِي عَاشِقِي
وَيَقُولُ إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّكُمْ
فَبَسَمْتُ عُجْبًا وَقَالَتْ قَوْلُهُ
عَهْدِي بِهِ وَاللَّهُ يَغْفِرُ ذَنْبَهُ
قَالَتْ لَهَا بَلْ قَدْ أَرَدْتَ بَعَادَهُ
بِالْخَيْفِ يَوْمَ التَّفَّ أَهْلُ الْمَوْسِمِ
أَنْ قَدْ تَخَلَّلَتْ الْفُؤَادَ بِأَسْهُمِ
فَأَشْكِي إِلَيْهَا مَا لَقِيتُ وَسَلِّمِي
صَبَّ بِكُمْ حَتَّى الْمَمَاتِ مُتِّمِ
أَصْبَحْتُمْ يَا بَشْرُ أَوْجَهَ ذِي دَمٍ
إِلَّا فَيُعْلِمُنَا بِمَا لَمْ نَعْلَمِ
فِيمَا بَدَا لِي ذُو هَوَى مُتَقَسِّمِ
لَمَّا عَلِمْتُ فَإِنْ بَذَلْتُ فَتَمِّمِي (٢٢)

فَهَذَا التَّجَنِّي وَالْمُبَاعَدَةُ أَمْتَعُ مِنَ الْإِقْرَارِ وَالْمُوَاصَلَةِ، لِأَنَّ الْوَصْلَ
الْمُتَقَدِّمَ لِقُوعِ الْعِلْمِ إِنْ كَانَ عَنْ مَوَدَّةٍ صَادِقَةٍ لَمْ يَزِدْهُ الْعِلْمُ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ
إِلَّا تَوَكُّيدًا، وَإِنْ كَانَ أَمْتَحَانًا وَتَعَرُّفًا لَمْ تَزِدْهُ الثِّقَةُ إِلَّا وَفَاءً وَتَعَطُّفًا. وَأَنْ كَانَ
الَّذِي تَظْهَرُهُ الثِّقَةُ وَالْإِذْلَالُ نِعْمَةً لَا يُؤَدَّى شُكْرُهَا إِذْ كَانَ دَلِيلًا عَلَى تَمَامِ
الْحَالِ الَّتِي قَصَدَهَا. وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَظَاهَرُ عَلَيْهِ ثِقَلُهَا فَيُضْعِفُ فُؤَادَهُ عَنْ
حَمَلِهَا، فَتَرَاهُ يَنْهَى وَيَأْمُرُ بِالْكِتْمَانِ. وَمَنْ قَنَعَ بِهِذِهِ الْحَالِ كَانَ انْتِفَاعُهُ قَلِيلًا،
وَقَلْقُهُ بِتَعَرُّفِ حَالِهِ عِنْدَ صَاحِبِهِ طَوِيلًا. وَلَيْسَتْ تُنَالُ الرُّتَبُ إِلَّا بِالتَّجَاسُرِ، وَلَا
تَصِحُّ إِلَّا لِلْمُخَاطِرِ. وَرُبَّمَا نَجَتْ [الْجَبَانُ] قَنَاعَتُهُ، وَأَهْلَكَتِ الشُّجَاعُ جَسَارَتُهُ.

بَلَّغْنِي أَنْ فَتَى مِنَ الْأَعْرَابِ يُكْنَى امْرَأَ الْقَيْسِ، هَوِي فَتَاةً مِنَ الْحَيِّ،
فَلَمَّا وَقَفَتْ عَلَى مَا لَهَا عِنْدَهُ هَجَرْتُهُ فَأَشْفَى عَلَى التَّلَفِّ. فَلَمَّا بَلَّغَهَا ذَلِكَ،
جَاءَتْ فَأَخَذَتْ بَعْضَ أَذْيَانِي * أَلْبَابِ، وَقَالَتْ: كَيْفَ نَجِدُكَ يَا امْرَأَ الْقَيْسِ؟
فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

دَنْتُ وَظِلَالُ الْمَوْتِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَأَذَلْتُ بِوَصْلِ حِينَ لَا يَنْفَعُ الْوَصْلُ

ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى مَاتَ. فَمَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْجُبْنُ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ
الْحَالِ مَالَ إِلَى التَّسْتَرِّ وَالْكِتْمَانِ. وَمَنْ طَمِعَ فِي مِثْلِ مَا ذَكَرْنَا مِنْ حُسْنِ
الْمُجَازَاةِ بِالْعَدْلِ وَالْوَصَالِ مَالَ إِلَى الْإِعْلَانِ. وَبُلُوغُ الْغَايَةِ فِي الْوَجْهِينِ
جَمِيعًا شَدِيدًا، وَالتَّوَسُّطُ أَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ، لِأَنَّ مَنْ لَمْ تُعْلِمْهُ بِمَا تَنْطَوِي لَهُ
لَمْ تَلْذَّ بِمَا يَنْدُو لَكَ مِنْ وَصْلِهِ. وَالْهَجْرُ الَّذِي يَتَوَلَّدُ عَنِ الثِّقَةِ بِالْوَدَادِ خَيْرٌ مِنْ
الْوَصَالِ الَّذِي يَقَعُ مِنْ غَيْرِ اعْتِمَادٍ. وَمَنْ أَطْلَعَتْهُ عَلَى كُلِّ مَا تُضْمِرُهُ لَهُ،
لَمْ تَجِدْ سَبِيلًا إِلَى مُكَافَأَتِهِ عَلَى مَا يَتَجَدَّدُ لَذَلِكَ مِنْ إِحْسَانِهِ. هَذَا إِذَا سَلِمْتَ
مِنَ الدَّالَّةِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى التَّلَفِّ فَخَيْرُ الْأُمُورِ لِمَنْ أَطَاقَهُ أَنْ يُظْهَرَ بَعْضًا وَيُخْفِيَ
بَعْضًا. ثُمَّ يُظْهَرُ الْإِزْدِيَادُ حَالًا فَحَالًا، عَلَى أَنَّ الْحَالِ إِذَا اسْتَغْرَقَتْ صَاحِبَهَا
كَانَ اسْتِعْمَالُ الْإِخْتِيَارِ فِيهَا مُحَالًا.

ولقد أحسن العباس بن الأحنف حيث يقول:

مَنْ كَانَ يَزْعُمُ أَنَّ سَيِّئَكُمْ حُبُّهُ حَتَّى يُشَكَّكَ فِيهِ فَهُوَ كَذُوبُ
الْحُبِّ أَغْلَبَ لِلرِّجَالِ بِقَهْرِهِ مِنْ أَنْ يُرَى لِلْسَّرِّ فِيهِ نَصِيبُ
وَإِذَا بَدَا سِرُّ اللَّيْبِ فَإِنَّهُ لَمْ يَبْدُ إِلَّا وَهُوَ مَخْلُوبُ
إِنِّي لَا بُغْضَ عَاشِقًا مُتَحَفِظًا لَمْ تَتَّهَمْهُ أَعْيُنُ وَقُلُوبُ (٢٣)

□ □ □

(٢٣) لم أجِد الأبيات في الديوان.

(٢٢) المقطوعة في ديوان عمر ص ص ١٨٩، ١٩٠.

التذلل للحبيب من شيم الأديب

قَدْ ذَكَّرْنَا أَنْ تَقْصِيرَ الْمَحْبُوبِ عَنْ مُوَاصَلَةِ مُجِبِّهِ وَتَرَاجِيهِ عَنْ إِظْهَارِهِ
عَلَى كُلِّ مَالَةٍ فِي قَلْبِهِ إِنَّمَا يَتَوَلَّدَانِ عَنْ وَفُوعِ الْبَقَّةِ بِهِ. فَرُبَّمَا جَهَلَ الْمَحْبُوبُ
عَلَى نَفْسِهِ، فَتَوَهَّم أَنْ ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي بَابِ الْخِيَانَةِ وَالْغَدْرِ، فَكَافَى عَلَيْهِ
بِالْأَنْحِرَافِ وَالْهَجَرِ، فَيَجْنِي عَلَى نَفْسِهِ مَا لَا يَتَلَفَاهُ الْعُدُو. وَلَا يُقَاوِمُهُ الصَّبْرُ
وَالْحَازِمُ مَنْ صَبَرَ عَلَى مَضَاضَةِ التَّذَلُّلِ، وَالتَّمَسَّ الْعِزُّ فِي اسْتِشْعَارِ التَّذَلُّلِ،
فَجِيئْتُ بِتَمَكُّنٍ مِنْ وَدَادٍ مَحْبُوبِهِ وَيُظْفَرُ مِنْ هَوَاهُ بِمَطْلُوبِهِ.

قال الحسن بن هانيء:

يَا كَثِيرَ النَّوْحِ فِي الدِّمَنِ لَا عَلَيْهَا بَلْ عَلَى السَّكَنِ
سُنَّةُ الْعُشَاقِ وَاحِدَةٌ فَإِذَا أَحْبَبْتَ فَاسْتَكِنِ (١)

وقال معاذ ليلي (٢):

عَفَا اللَّهُ عَنْ لَيْلَى وَإِنْ سَفَكَتْ دَمِي فَإِنِّي وَإِنْ لَمْ تُعْزِزِي غَيْرُ عَاتِبٍ
عَلَيْهَا وَلَا مُبِدٍ لِلَيْلَى شِكَايَةً وَقَدْ يُشْتَكَى الْمَشْكِي إِلَى كُلِّ صَاحِبٍ
يَقُولُونَ تَبَّ عَنْ حُبِّ لَيْلَى وَذَكَرَهَا وَمَا جِلَّتْنِي عَنْ حُبِّ لَيْلَى بِتَائِبٍ (٣)

(١) البيتان في ديوان الحسن بن هاني (أبونواس) ص ٦٤٥.

(٢) معاذ ليلي هو معاذ بن كليب العقيلي (مجنون بني عامر) المشهور بالملوح صاحب ليل وهو أبوقيس المجنون. انظر معجم الشعراء ص ٢٩٢، وانظر الأغاني ١/١٦٨، الشعر والشعراء (ليدن) ص ٣٥٥.

(٣) الأبيات في ديوان المجنون ص ٧٥.

وقال عمر بن أبي ربيعة:

لَسْتُ مِنْ ظَالِمِي مُتَّصِفًا لَسْتُ مِنْ ظَالِمِي مُتَّصِفًا
وَفَتَاةٍ إِنْ تَغِبَ شَمْسُ الضُّحَى وَفَتَاةٍ إِنْ تَغِبَ شَمْسُ الضُّحَى
أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى تَفْضِيلِهَا أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى تَفْضِيلِهَا
وقال المؤمل (٥):

أَمِنْ فَقْدِ الْحَبِيبِ عَيْنَاكَ تَبْكِي أَمِنْ فَقْدِ الْحَبِيبِ عَيْنَاكَ تَبْكِي
بِرَائِي الْحُبُّ حَتَّى صِرْتُ عَبْدًا بِرَائِي الْحُبُّ حَتَّى صِرْتُ عَبْدًا
فَأَقْسِمُ لَوْ هَمَمْتُ بِمَدِّ قَلْبِي فَأَقْسِمُ لَوْ هَمَمْتُ بِمَدِّ قَلْبِي
إِلَى جَوْفِ السَّعِيرِ لَقُلْتُ مَدِّي إِلَى جَوْفِ السَّعِيرِ لَقُلْتُ مَدِّي

وقال أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي (٦):

مِئَنِي وَصَلْ وَمِنْكَ هَجْرٌ مِئَنِي وَصَلْ وَمِنْكَ هَجْرٌ
عَذَّبَنِي حُبُّكَ الْمُعْنِي عَذَّبَنِي حُبُّكَ الْمُعْنِي
قَدْ كُنْتُ حُرًّا وَأَنْتَ عَبْدٌ قَدْ كُنْتُ حُرًّا وَأَنْتَ عَبْدٌ
يَا ظَالِمًا لِي بِغَيْرِ جُرْمٍ يَا ظَالِمًا لِي بِغَيْرِ جُرْمٍ
أَنْتَ نَعِيمِي وَأَنْتَ بُؤْسِي أَنْتَ نَعِيمِي وَأَنْتَ بُؤْسِي
وَقَدْ يَسُوءُ الَّذِي يَسُرُّ (٧)

وقال آخر:

تُسِيءُ بِنَا هِنْدٌ وَنُحْسِنُ جُهْدَنَا تُسِيءُ بِنَا هِنْدٌ وَنُحْسِنُ جُهْدَنَا
وَأَجْبُنُ عَنْ تَقْرِيعِ هِنْدٍ بِذَنْبِهَا وَأَجْبُنُ عَنْ تَقْرِيعِ هِنْدٍ بِذَنْبِهَا
فَحَتَّى مَتَى هِنْدُ تُسِيءُ وَنُحْسِنُ فَحَتَّى مَتَى هِنْدُ تُسِيءُ وَنُحْسِنُ
وَلَوْ غَيْرُ هِنْدٍ كَانَ مَا كُنْتُ أَجْبُنُ وَلَوْ غَيْرُ هِنْدٍ كَانَ مَا كُنْتُ أَجْبُنُ

وأنشدني محمد بن الخطاب الكلابي، قال أنشدني ماني لنفسه (٨):

يَزِيدُنِي مَا اسْتَزَدْتُ مِنْ صِلَتِهِ يَزِيدُنِي مَا اسْتَزَدْتُ مِنْ صِلَتِهِ
وَعَنْ قَلِيلٍ يَعُودُ فِي هَيْئَةٍ وَعَنْ قَلِيلٍ يَعُودُ فِي هَيْئَةٍ

(٤) لم أجد الأبيات في ديوان عمر بن أبي ربيعة.

(٥) هو المؤمل بن أميل المحاربي الذي سبق التعريف به كذا جاء صدر البيت الأول!!

(٦) في «م» والمطبوع: أبو الوليد عبيد الطائي.

(٧) الأبيات في الديوان ١٠٥٠/٢ مع اختلاف في الرواية.

(٨) هو ماني الموسوس واسمه محمد بن القاسم، أبو الحسن من أهل مصر نزل ببغداد،

لَوْ حُزْتُ قَطَرَ السَّمَاءِ لَأَنهَمَلْتُ
كَمْ زَلَّةٍ مِنْهُ قَدْ ظَفِرْتُ بِهَا
تُفْنِي أَلْيَالِي وَعَيْدُهُ وَأَنَا
وَقَالَ أَبُو تَمَامٍ الطَّائِي:

ظَنَنْتُ بِهِ حَسَنَ لَوْلَا تَجَنَّبِهِ
عَمْتُ مَحَاسِنَهُ عَنِّي إِسَاءَتُهُ
تَاهَتْ عَلَى صُورَةِ الْأَشْيَاءِ صُورَتُهُ
وَأَنَّهُ لَيْسَ يَرْغَى عَهْدَ حَيِّهِ
حَتَّى لَقَدْ حَسُنْتُ عِنْدِي مَسَاوِيهِ
حَتَّى إِذَا خَضَعْتَ تَاهَتْ عَلَى أَلْيَتِهِ

لَمْ تَجْتَمِعْ فِرْقُ الْحُسَيْنِ الَّتِي أَفْتَرَقْتُ
عَنْ يُوسُفَ الْحُسَيْنِ حَتَّى اسْتَجَمَعَتْ فِيهِ^(٩)

وَقَالَ آخَرُ:

مُسْتَقْبَلُ بِالَّذِي يَهْوَى وَإِنْ كَثُرَتْ
فِي وَجْهِهِ شَافِعٌ يَمْحُو إِسَاءَتَهُ
مِنْهُ الْإِسَاءَةُ مَعْدُورٌ بِمَا صَنَعَا
مِنْ الْقُلُوبِ وَجِيهٍ حَيْثُ مَا شَفَعَا

وَأَنشَدَنِي بَعْضُ إِخْوَانِنَا:

يَا مَنْ أَرَاهُ أَحَقَّ بِي مِثْلِي
أَغْفَلْتَنِي لَمَّا أَعْتَلْتُ وَلَمْ
وَأَمْرٌ مَا ذَاقَ أَمْرُو فَهَمٌ
كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَمَا مَنَحْتُكَ
إِنْ غِبْتُ عَنْكَ فَلَمْ تَغِبْ عَنِّي
يَكُ ذَاكَ مِنْكَ يَدُورُ فِي ظَنِّي
مَا جَاءَهُ مِنْ مَوْضِعِ الْأَمْنِ
صَفُورٌ بِلَا كَدَرٍ وَلَا مَنٍ

وَقَالَ كَثِيرٌ:

أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُوءَةَ
لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةَ إِنْ تَقَلَّتْ

أَصَابَ الرُّدَى مَنْ كَانَ يَهْوَى لَكَ الرُّدَى
خَلِيلِي هَذَا رَسْمُ عَزَّةَ فَأَعْقِلَا

وَقَالَ آخَرُ:

إِنَّ أَلْهَوَانَ هُوَ أَلْهَوَى نَقْصُ أَسْمِهِ
وَإِذَا هَوَيْتَ فَقَدْ تَعَبَّدَكَ أَلْهَوَى

وَقَالَ آخَرُ:

صَفَحْتُ بِرُغْبِي عَنْكَ صَفْحَ ضَرُورَةٍ
خَضَعْتُ وَمَا ذُنْبِي أَنَّمَا الْحُبُّ عَزْزِي
وَمَا ذَاكَ بِي فَقَرُّ إِلَيْكَ مُنَازَعٌ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَنْ وَدِّي مُضِيعٌ

وَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَعْرَابِ:

بِنَفْسِي وَأَهْلِي مَنْ لَوَاتِي أَتَيْتُهُ
وَمَنْ لَوْ رَأَى الْأَعْدَاءَ يَتَضَلُّونِي
وَمَنْ قَدْ عَصَيْتُ النَّاسَ فِيهِ جَمَاعَةٌ
فَيَا أَخَوِي أَلَا تَمَيَّ عَلَى أَلْهَوَى
سَأَلْتُكُمْ بِاللَّهِ لِمَا جَعَلْتُمَا
وَلَا تَغْفَلَا إِنْ لَأَمْنِي نَمَّ لَأَيْتُمْ
فَأُقْسِمُ لَوْ خَيْرْتُ بَيْنَ فِرَاقِهِ
نَكَلْتُ أَبِي إِنْ كُنْتُ دَفْتُ كَرِيْقِهِ

وَجُنَّ اللَّوَاتِي قُلْنَ: عَزَّةُ جُنَّتْ
قُلُوصِيكُمَا ثُمَّ أَبْكَا حَيْثُ حَلَّتْ^(١٠)

فَإِذَا هَوَيْتَ فَقَدْ لَقَيْتَ هَوَانَا
فَأَخْضَعُ لِإِلْفِكَ كَائِنًا مَنْ كَانَا

إِلَيْكَ وَفِي قَلْبِي نُدُوبٌ مِنَ الْغَتَبِ
فَأَغْضَيْتُ ضَعْفًا عَنْ مُعَالَجَةِ الْحُبِّ
يُذَلِّلُ مِنِّي كُلَّ مُتَمَتِّعٍ صَعِبٍ
وَقَلْبِي جَمِيعٌ عِنْدَ مُقْتَسِمِ الْقَلْبِ

عَلَى الْبَحْرِ فَاسْتَسْقَيْتُهُ مَا سَقَانِيَا
لَهُمْ غَرَضًا يَرْمُونَنِي لَرْمَانِيَا
وَصَرَمْتُ خُلَايِي لَهُ وَجَفَانِيَا
أُعِيدُكُمْ بِاللَّهِ مِنْ بَثْلِ مَا بَيَا
مَكَانَ الْأَذَى وَاللُّومِ أَنْ تَرْتِيَا لِيَا
وَلَوْ سَخِطَ الْوَأَشُونَ أَنْ تَعُذْرَانِيَا
وَبَيْنَ أَبِي إِخْتَرْتُ أَنْ لَا أَبَالِيَا
لِشَيْءٍ وَلَا مَاءٍ مِنَ الْمُزْنِ صَافِيَا

(١٠) الأبيات في ديوان كثير ص ١٠١ وانظر تخريج القصيدة ص ص ١٠٤، ١٠٧، والبيت الثالث ص ٩٥.

وهو متوكلي. انظر معجم الشعراء ص ٣٨٧، طبقات الشعراء (نشرة

إقبال) ص ص ١٨١، ١٨٢.

(٩) الأبيات في الديوان ٢٩٣/٤.

وقال كثير:

وَقَائِلُهُ دَعْ وَصَلْ عَزَّةً وَاتَّبِعْ
أَرَاكَ عَلَيْهَا فِي الْمَوَدَّةِ زَارِباً
فَقُلْتُ دَرِينِي بِشَسِّ مَا قُلْتُ إِنِّي
عَلَى الْبُخْلِ لَا عَلَى الْجُودِ اتَّبِعْ^(١١)

وقال البحرني:

أَمِيلْ إِلَيْكَ عَنْ وَدِّ قَرِيبٍ
فَمَا ذَنْبِي بِأَنْ كَانَ ابْنُ عَمِّي
وَفِي عَيْنِيكَ تَرْجَمَةٌ أَرَاهَا
وَأَخْلَاقِي عَهْدْتُ اللَّيْنِ فِيهَا
وَقَدْ عَاقَدْتَنِي بِخِلَافِ هَذَا
وَمَا لِي قُوَّةُ تَنْهَاكَ عَنِّي
سَأَرْحَلُ عَائِياً وَيَكُونُ عَنِّي
وَأَحْفَظُ مِنْكَ مَا ضَيَّعْتُ مِنِّي
فَتَقْصِينِي عَلَى النَّسَبِ الْبَعِيدِ
سِوَاكَ وَكَانَ عُودُكَ غَيْرَ عُودِي
تَدُلُّ عَلَى الضَّغَائِنِ وَالْحَقُودِ
غَدَتُ وَكَأَنَّهَا زُبْرُ الْحَدِيدِ
وَقَالَ اللَّهُ أَوْفُوا بِالْعُقُودِ
وَلَا آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ
عَلَى غَيْرِ التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ
عَلَى رَغَمِ الْمَكَاشِيحِ وَالْحُسُودِ^(١٢)

هَذَا الْكَلَامُ وَإِنْ كَانَ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ التَّوَاضُّعِ وَالِاسْتِكَانَةِ، فَإِنَّ فِيهِ ضَرْباً
مِنَ الضَّجْرِ الدَّاعِي إِلَى الْخِيَانَةِ، لِأَنَّهُ صَاحِبُهُ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى التَّذَلُّلِ نَفْسِهِ عَلَى
مَا صَبَرَ عَلَيْهِ مَنْ بَدَأْنَا بِذِكْرِهِ.

وفي نحو هذا المعنى قول الآخر:

فَإِنْ يَكْ هَذَا مِنْكَ جِدّاً فَإِنِّي
وَمُنْصَرِفٌ عَنْكَ أَنْصَرِفَ ابْنِ حُرَّةٍ
مُدَاوِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ بِالْهَجْرِ
طَوَى وَدَّةً وَالطِّيَّ أَبْقَى عَلَى الشَّرِّ

وفي مثله يقول البحرني:

وَكُنْتُ أَرَى أَنَّ الصُّدُودَ الَّذِي مَضَى
دَلَالٌ فَمَا إِنْ كَانَ إِلَّا تَجَنُّباً

فَوَا أَسْفَا حَتَامَ أَسْأَلَ مَا بَعَا
سَأَتَّبِي فُؤَادِي عَنْكَ أَوْ أَتَّبِعَ آلِهَوِي
وَأَمِنْ خَوَاناً وَأُعْتَبُ مُذْنِباً
إِلَيْكَ إِنْ اسْتَعَصَى فُؤَادِي أَوْ أَبَى^(١٣)

وأنشدني أحمد بن أبي طاهر لنفسه في نحوه:

مَا لِي أَقْرَبُ مِنْكَ نَفْسِي جَاهِداً
وَأَرَاكَ مِنِّي جَاهِداً تَتَبَاعَدُ
قَدَّمْتُ دُونَ أَخِيكَ مَنْ هُوَ دُونَهُ
وَعِنْدْتُ عَنْهُ وَهَوَ مِنْكَ يُعَانِدُ
أَيَّاسَتِي بَعْدَ الرَّجَاءِ فَمَنْ تَرَى
يَرْجُوكَ بَعْدِي أَوْ عَلَيْكَ يُحَاسِدُ
أَمْ كَيْفَ يَأْمُلُ مِنْكَ يَوْماً صَالِحاً
أَحَدٌ وَرَأَيْكَ فِي رَأْيٍ فَاسِدُ

وقال ابن حازم في نحو ذلك^(١٤):

لَا تَرْضَى عَيْشاً عَلَى آمْتِهَانٍ
أَشَدُّ مِنْ عَيْلَةٍ وَفَقْرٍ
وَلَا تُرِدُ وَصَلَ ذِي آمْتِنَانٍ
إِغْضَاءُ حُرٍّ عَلَى هَوَانٍ
إِذَا نَبَا مَنَزِلٌ بِحُرٍّ
فَمِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ

وَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ وَمَنْ جَرَى فِي هَذَا الْقَوْلِ مَنَاجِرَاهُمْ، إِنَّمَا يَتَضَاجَرُونَ عَلَى
خُلَانِهِمْ لِتَقْلِيمِ إِيَّاهُمْ عَنْ عَادَاتِهِمْ، وَمَنْعِهِمْ إِيَّاهُمْ مَا اسْتَعْبَدُوهُ مِنْ
مُوَاصَلَاتِهِمْ، لِتَغْلِبِ الْخَيْرَةُ عَلَى قُلُوبِهِمْ. يَحْسِبُونَ أَنَّ أَنْجِرَافَهُمْ عَنْ أَحْبَابِهِمْ
أَقْلُّ أَدَى عَلَيْهِمْ، مِنْ الصَّبْرِ لَهُمْ عَلَى مَحَبَّتِهِمْ، وَلَوْ قَدْ أَنْفَدُوا مَا عَزَمُوا عَلَيْهِ
مِنَ الْفِرَاقِ وَالْهَجْرِ، لَشَاهَدُوا مَا يَضْطَرُّهُمْ إِلَى الرَّجُوعِ بِالصَّغَرِ وَالتَّوَسُّلِ إِلَى
الْصَّفْحِ بِالْعُذْرِ مَا لَمْ يَسْمَعْ الَّذِي يَقُولُ:

مَزَحْتَ بِأَلْهَجْرِ وَلَا عِلْمَ لِي
فَلَا يَضِيقُ عَفْوُكَ عَنْ تَائِبٍ
أَنْتَ مُشْتَقٌّ إِلَى الْهَجْرِ
تَضِيقُ عَنْهُ سَعَةُ الْعُذْرِ

(١٣) الأبيات في الديوان ١٩٧/١ مع اختلاف في الرواية.

(١٤) هو محمد بن حازم الباهلي. انظر كتاب «الورقة» ص ١٠٩، وطبقات ابن المعتز
ص ٣٠٨، الأغاني ١٥٨/١٢، كان هجاء لمحمد بن حميد الطوسي. وانظر معجم
الشعراء ص ٣٣٨.

(١١) الأبيات في الديوان ص ٤٠٥.

(١٢) الأبيات في الديوان ٥٧٧/١ - ٥٧٨ مع اختلاف في الرواية.

وفي مثل ذلك يقول الآخر:

يَا بَيْتَ خَنْسَاءَ الَّذِي أَتَجَنَّبُ
مَا لِي أَجْنُ إِذَا جَمَالُكَ قَرَبْتُ
لِلَّهِ دَرْكِ هَلْ لَدَيْكَ مَعُولُ
وَذَهَبَ الزَّمَانُ وَحُبُّهَا لَا يَذْهَبُ
وَأُصِدُّ عَنْكَ وَأَنْتَ بَيْنِي أَقْرَبُ
لِمُكَلَّفٍ أَمْ هَلْ لِدُودِكَ مَطْلَبُ

وفي نحو ذلك يقول البحري:

رَحَلْتُ عَنْكَ رَجِيلَ الْمَرْءِ عَنْ وَطْنِهِ
فَإِنْ تَحَمَلْتُ صَبْرًا عَنْكَ أَوْ مُنِيتُ
وَرِحَلَةَ السَّكِينِ الْمَشْتَاكِ عَنْ سَكْنِهِ
نَفْسِي بِهِ فَهُوَ صَبْرُ الطَّرْفِ عَنْ وَسْنِهِ^(١٥)

ولبعض الأعراب في مثل ذلك^(١٦):

وَأَيْنِي وَإِنْ لَمْ أَتِ لَيْلَى وَأَهْلَهَا
بُكَاءُ لَيْسَ بِالنَّزْرِ الْقَلِيلِ وَدَائِمُ
هَجْرَتِكَ أَيَّامًا بِذِي الْعُغْمَرِ إِنِّي
فَلَمَّا مَضَتْ أَيَّامُ ذِي الْعُغْمَرِ وَارْتَمَى
وَأَيْنِي وَذَاكَ الْهَجْرُ لَوْ تَعَلَّمِينَهُ
أَلَمْ تَعَلِّمِي أَبْنَى أَهْمٍ بِذِكْرِكُمْ
أَظُلُّ أُمِّي النَّفْسِ إِيَّايَ خَالِيًا
لَبَاكِ عَلَى لَيْلَى بُكَاءُ ذِي التَّمَائِمِ
كَمَا الْهَجْرُ مِنْ لَيْلَى عَلَى الْوَصْلِ دَائِمُ
عَلَى هَجْرٍ أَيَّامِي بِذِي الْعُغْمَرِ نَادِمُ
بِئْسَ الْهَجْرُ لَأَمْتِي عَلَيْكَ اللَّوَائِمُ
كَمَا ذِيَّةٌ عَنْ طِفْلَيْهَا وَهِيَ رَائِمُ
عَلَى حِينٍ لَا يَبْقَى عَلَى الْوَصْلِ دَائِمُ
كَمَا يَتَمَنَّى بَارِدُ الْمَاءِ صَائِمُ

ولقد أحسن العباس بن الأحنف حيث يقول:

لَا بُدَّ لِلْعَاشِقِ مِنْ وَقْفَةٍ
تَكُونُ بَيْنَ الْوَصْلِ وَالصَّرْمِ
حَتَّى إِذَا الْهَجْرُ تَمَادَى بِهِ
رَاجِعٌ مَنْ يَهْوَى عَلَى رَغْمِ^(١٧)

(١٥) انظر الديوان ٢٢٤٦/٤ مع اختلاف في الرواية.

(١٦) الفائق هو المجنون كما في الديوان ص ٢٣٧ مع اختلاف في الرواية. والأبيات في شرح
المرزوقي ص ١٣٤٥ من غير نسبة. والبيتان الثالث والخامس في ديوان ابن
الدمينة ص ١٩.

(١٧) البيتان في الديوان ص ٢٥١، وانظر العقد الفريد ٣٨٦/٦، الشعر
والشعراء ص ٨٠٧.

وأحسن أيضاً في قوله:

أَلْعَاشِقَانِ كِلَاهُمَا مُتَعَتِبُ
صَدْتُ مُرَاغِمَةً وَصَدُّ مُرَاغِمًا
رَاجِعٌ أَجْبَتَكَ الَّذِينَ هَجَرْتَهُمْ
إِنَّ الصُّدُودَ إِذَا تَمَكَّنَ مِنْكُمْ
وَكِلَاهُمَا مُتَذَلِّلٌ مُتَغَضِّبُ
وَكِلَاهُمَا مِمَّا يُعَالِجُ مُتَعَبُ
إِنَّ الْمُتَمِّمَ قَلَمًا يَتَجَنَّبُ
دَبَّ السُّلُوكُ لَهُ فَعَزَّ الْمَطْلَبُ^(١٨)

ولبعض أهل هذا العصر:

يَا مَتَّ قَبْلَكَ طَالَ الْحُزْنُ وَالْأَسْفُ
قَلْبِي إِلَيْكَ مَعَ الْهَجْرَانِ مُنْعَطِفُ
فَإِنْ تَكُنْ عَنْ إِخَائِي الْيَوْمَ مُنْصَرِفًا
هَبْنِي اعْتَرَفْتُ بِأَنِّي لَسْتُ ذَا شَغَفٍ
كَمْ قَدْ كَذَبْتُ عَلَى قَلْبِي فَكَذَّبَنِي
إِنْ كُنْتُ يَوْمًا مُقْبِلِي زَلَّةً سَلَفْتُ
أَلَلَّةَ أَلَلَّةٍ فِي نَفْسِي فَقَدْ عَطِبْتُ
قَدْ ذَلَّلَ الشَّوْقُ قَلْبِي فَهُوَ مُعْتَرِفُ
فَاعْمَلْ بِرَأْيِكَ لَا أَدْعُوكَ مُعْتَدِيًا
وَجَاوَزَ الشَّوْقُ بِي حَدَّ الَّذِي أَصِفُ
وَأَنْتَ عَيْنِي رَخِيَّ الْبَالِ مُنْحَرِفُ
فَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا لِي عَنْكَ مُنْصَرِفُ
أَلَمْ يَكُنْ كَمَدِي أَنْ لَسْتُ أَنْتَصِفُ
طُولُ الْحَنِينِ وَعَيْنُ دَمْعِهَا يَكْفُ
فَالآنَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُغْرَى بِي إِنْ تَلَفْتُ
وَلَيْسَ فِي قَلْبِهَا مِنْ شُكْرٍهَا خَلَفْتُ
إِنَّ التَّذَلُّلَ فِي حُكْمِ الْهَوَى شَرَفُ
وَلَا أَقُولُ لَشَيْءٍ قُلْتُهُ سَرَفُ

□ □ □

(١٨) الأبيات في الديوان ص ٢٨ مع اختلاف في الرواية، وانظر الأغاني (الدار) ٢٤١/٥.

مَنْ طَالَ سُرُورُهُ قَصُرَتْ شُهْرُهُ

مَنْ صَبَرَ عَلَى الْإِمْتِحَانِ لِمَنْ يَهْوَاهُ عَلَى مِثْلِ مَا ذَكَرْنَاهُ، كَانَ خَلِيقًا أَنْ يَبْلُغَ أَقْصَى مَنَاهُ. وَأَهْلُ هَذِهِ الْحَالِ الَّذِينَ يَحْمَدُونَ اللَّهَ وَيَشْكُرُونَهُ، وَيَصِفُونَ لَذَاتَهُ لِلَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَهُ، وَيَزُرُّونَ عَلَى عَيْشٍ مَنْ لَمْ يَنْتَظِعْ مَذَاقَهُ، وَلَمْ يُتَعَبَّدْ بِاسْتِرْقَاقِهِ. أَلَمْ تَسْمَعْ الَّذِي يَقُولُ:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعُشْ وَلَمْ تَذَرْ مَا أَلْهَى فَكُنْ حَجْرًا مِنْ يَابِسِ الصَّخْرِ جَلَمَدًا
فَمَا أَلْعَيْشُ إِلَّا مَا تَلَذُّ وَتَشْتَهِي وَإِنْ لَمْ فِيهِ ذُو الشَّانِ (١) وَفَنَدًا
تَبِعْتَ أَلْهَى جُهْدِي فَمَنْ شَاءَ لَا مَنِي وَمَنْ شَاءَ آسَى فِي الْبُكَاءِ وَأَسْعَدًا (٢)

والكميت أنصف من هذا حيث يقول:

مَا ذَاقَ بُؤْسَ مَعِيشَةٍ وَنَعِيمَهَا فِيمَا مَضَى أَحَدٌ إِذَا لَمْ يَعُشْ
أَلْحَبُّ فِيهِ خِلَاوَةٌ وَمَرَارَةٌ سَائِلٌ بِذَلِكَ مَنْ تَطْعَمَ أَوْ ذُقْ (٣)

وقال القطامي:

أَلَا عَلَّلَانِي كُلَّ حَيٍّ مُعَلَّلٌ وَلَا تَعْدَانِي الشَّرُّ وَالْخَيْرُ مُقْبِلٌ
فَإِنْكَمَا لَا تَذَرِيَانِ أَمَّا مَضَى مِنْ الدَّهْرِ أَمْ مَا قَدْ تَأَخَّرَ أَطْوَلُ (٤)

(١) في «م» و«المطبوع»: ذُو الشَّانِ فِيهِ.

(٢) الأبيات للأحوص، انظر: شعر الأحوص ص ٩٨، ٩٩ مع اختلاف في الرواية.

(٣) انظر شعر الكميت ٢٥٨/١، ٢٥٧.

(٤) انظر الديوان ص ٦٧.

أنشد أبو تمام لنفسه:

أَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ أَمْلَحَ مِنْ صَدِّ بَّ أَدِيبٍ مُتِّمٍ بِأَدِيبٍ
جَازَ حُكْمِي فِي قَلْبِهِ وَهَوَاهُ بَعْدَ مَا جَازَ حُكْمُهُ فِي الْقُلُوبِ
كَأَنَّ أَنْ يَكْتُبَ أَلْهَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ كِتَابًا هَذَا حَبِيبُ حَبِيبٍ
غَيْرَ أَنِّي لَوْ كُنْتُ أَعَشَقُ نَفْسِي لَتَنَغَّصْتُ عِشْقَهَا بِالرَّقِيبِ (٥)

فَهَوْلَاءِ الَّذِينَ قَدْ سَامَحَهُمُ الدَّهْرُ بِصَحَابِهِمْ فَاسْتَطَابُوا الْمَقَامَ عَلَى
حَالِهِمْ. وَمَنْ وَصَلَ إِلَى شَيْءٍ نَفْسِهِ تَقَاصَرَتْ عَلَيْهِ الْأَيَّامُ، وَرَاصَدَتْهُ
بِمَكْرُوهَاتِ الشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ.

قال جميل بن معمر:

يَطُولُ الْيَوْمُ لَا أَلْقَاكَ فِيهِ وَحَوْلُ نَلْتَقِي فِيهِ قَصِيرُ
وَقَالُوا لَا يَضُرُّكَ نَائِي شَهْرٍ فَقُلْتُ لِصَاحِبِي فَلِمَنْ يَضِيرُ (٦)

وقال آخر (٧):

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَالْعَيْشُ تَهْوِي بِنَا بَيْنَ الْمُنِيفَةِ وَالضَّمَارِ
تَمْتَعُ مِنْ شَمِيمِ عَرَارٍ نَجِدُ فَمَا بَعْدَ الْعِشْيَةِ مِنْ عَرَارٍ
أَلَا يَا حَبْدًا تَفْحَاتُ نَجِدُ وَرَبِّا رَوْضِهِ بَعْدَ الْقِطَارِ
وَأَهْلُكَ إِذْ يَحُلُّ الْقَوْمُ نَجِدًا وَأَنْتَ عَلَى زَمَانِكَ غَيْرُ زَارِي
شُهُورٌ يَنْقُضِينَ وَمَا عَلِمْنَا بِأَنْصَافٍ لَهْنٌ وَلَا سِرَارٍ (٨)

(٥) ديوان أبي تمام (الخياط) ص ٤٣٤.

(٦) انظر الديوان ص ٦٩.

(٧) اختلف في نسبة الأبيات فهي في السمت ص ١٤٠ للصمة بن عبد الله القشيري أو لجمعة العقيلي، وفي شرح المروزي للحماسة ص ١٢٤٠، وكذلك في «اللسان» (عر)، وانظر معجم البلدان ٤٧٩/٣، وهي في ديوان المجنون ص ١٩.

(٨) الأبيات في ديوان جميل ص ١٠٢ - ١٠٤، وكذلك في أمالي القالي ٢٠٦/٢، وقد نسبت إلى المجنون، الديوان ص ١٥٨، مع اختلاف في الرواية.

وقال آخر:

لِيَالِي أَعْطَيْتُ الصَّبَابَةَ مَقُودِي
مَضَى لِي زَمَانٌ لَوْ أُخِيرُ بَيْنَهَا
لَقُلْتُ ذُرُونِي سَاعَةً وَكَلَامُهَا
تَمُرُّ اللَّيَالِي وَالشُّهُورُ وَلَا أُدْرِي
وَبَيْنَ حَيَاتِي خَالِيًا آخَرَ الدَّهْرُ
عَلَى غَفْلَةِ الْوَاثِينَ ثُمَّ أَقْطَعُوا عُمْرِي (٨)

قوال أبو تمام لنفسه:

وَفَاتِنِ الْأَلْحَاطِ وَالْحَدِيدِ
صَيَّرَنِي عَبْدًا لَهُ حُسْنُهُ
مُعْتَدِلِ الْقَامَةِ وَالْقَدِيدِ
وَالطَّرْفِ قَدْ صَيَّرَهُ عَبْدِي (٩)

وقال بعض بني قشير:

لَوْ أَنَّكَ شَاهَدْتَ الصَّبَى يَا أَبْنَ بَرْزَلٍ
لَأَبْصَرْتَ عَيْشًا بَعْدَ سُخْطٍ مِنَ النَّوَى
بِجَزَعِ الْغَضَا إِذْ وَاجَهْتَنَا عَيَاطِلُهُ
وَبَعْدَ تَنَائِي الدَّارِ حُلُومًا شَمَائِلُهُ

وقال الطائي (١٠):

لَوْ كُنْتُ عِنْدِي أَمْسٍ وَهُوَ مُعَانِقِي
وَقَدْ أَرْتَوْتُ مِنْ عَيْبَتِي وَجَنَاتِهِ
لَرَأَيْتُ بَكَاءَ يَهُونَ عَلَى الْهَوَى
هَذَا الْفَتَى مُتَعَبَتٌ عَيْنِيهِ
وَرَأَيْتُ أَحْسَنَ مِنْ بُكَائِي قَوْلُهُ
وَمَدَامِيعِي تَجْرِي عَلَى خَدَّيْهِ
وَتَنْزَهَتْ شِفَتَايَ فِي شِفَتَيْهِ
وَتَهَوَّنَ تَخْلِيَةُ الدُّمُوعِ عَلَيْهِ
هَذَا الْفَتَى مُتَعَبَتٌ عَيْنِيهِ

وقال أيضاً:

ظَنُّكَ فِيَمَا أُسِرُهُ حَكْمٌ
فِيمَ سُلُوبِي وَأَنْتَ بِي كَلِيفٌ
أَرْضَى بِهِ لِي وَطَرْفُكَ الْفَهْمُ
لَيْسَ بِهَذَا تُعَاشِرُ الْيَنَمُ

كَفَيْتَ وَعَيْنِي إِلَيْكَ مُسْرِعَةً
أَظْهَرْتُ مِنْ لَوْعَةِ الْهَوَى جَزَعًا

وقال أيضاً:

نِعْمَ اللَّهُ فِيكَ لَا أَسْأَلُ اللَّهَ
وَلَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كُنْتُ كَمَنْ تَسَدَّ

وقال أيضاً:

أَيَّامُنَا مَضْفُولَةٌ أَطْرَافُهَا
هَمِيمِي مُعَلَّقَةٌ عَلَيْكَ رِقَابُهَا
وَمَوَدَّتِي لَكَ لَا تُعَارُ بَلَى إِذَا
وَالنَّاسُ غَيْرُكَ مَا تُغَيِّرُ حَبْرَتِي
وَلِلَّذَاكَ شِعْرِي فِيكَ قَدْ سَمِعُوا بِهِ

وقال علي بن محمد العلوي:

مِنْ قِصْرِ اللَّيْلِ إِذَا زُرْتَنِي
عَدُّوْ عَيْنَيْكَ وَشَانِيهِمَا

وقال أبو عبادة البحرني:

لَوْتُ بِالسَّلَامِ بَنَانًا خَضِيئًا
وَزَارَتْ عَلَى عَجَلٍ فَاكْتَسَى
فَكَانَ الْعَبِيرُ بِهَا وَاشِيًا

فِيكَ وَقَلْبِي عَلَيْكَ مُتَّهِمٌ
وَالصَّبْرُ إِلَّا عَنِ الْهَوَى كَرَمٌ (١١)

سَهْ إِلَيْهَا نُعْمَى سَوَى أَنْ تَدُومَا
سَأَلُهُ وَهُوَ قَائِمٌ أَنْ يَقُومَا (١٢)

بِكَ وَاللَّيَالِي كُلُّهَا أَسْحَارُ
مَغْلُولَةٌ إِنَّ الْوَفَاءَ إِسَارُ
مَا كَانَ تَأْمُورُ الْفُؤَادِ يُعَارُ
لِفِرَاقِهِمْ هَلْ أَنْجَدُوا أَمْ غَارُوا
سَجَرُ وَأَشْعَارِي بِهِمْ إِشْعَارُ (١٣)

أَبْكِي وَتَبْكِينَ مِنَ الطُّولِ
أَصْبَحَ مَشْغُولًا بِمَشْغُولِ

وَلَحْظًا يَشُوقُ الْفُؤَادَ الطُّرُوبَا
لِزَوْرَتِهَا أَبْرَقَ الْحَزَنُ طِيْبَا
وَجَرَسُ الْحُلِيِّ عَلَيْهَا رَقِيْبَا

(٨) الأبيات في ديوان جميل ص ١٠٢ - ١٠٤، وكذلك في أمالي القاضي ٢٠٦/٢، وقد نسبت إلى المجنون، الديوان ص ١٥٨، مع اختلاف في الدواية.

(٩) البيت في الديوان ١٨٦/٤.

(١٠) الأبيات في الديوان ٢٩٤/٤.

(١١) الأبيات في الديوان ٢٦٥/٤.

(١٢) الأبيات في الديوان ٢٣٠/٣.

(١٣) الأبيات في الديوان ١٨١/٢.

وَلَمْ أَنَسْ لَيْلَتَنَا فِي الْعِنا
كَمَا أَفْتَنَتِ الرِّيحُ فِي مَرِّهَا
قِي وَلَفَّ الصَّبَا بِقَضِيبٍ قَضِيَا
فَطَوْرًا خُفُوقًا وَطَوْرًا هُبُوبًا^(١٤)
وقال أيضاً:

تَأْبَى الْمَنَازِلُ أَنْ تُجِيبَ وَمِنْ جَوَى
وَقَصَارَ أَيَّامٍ بِهِ شَرَقَتْ لَنَا
سُقَيَّ الْغُصَا وَالنَّازِلِيهِ وَإِنْ هُمْ
وَلَهُ أَيْضًا:

وَأَخْ لَبَسْتُ الْغَيْشَ أَخْضَرَ نَاضِرًا
وَضِيَاءَ وَجْهِهِ لَوْ تَأَمَّلَهُ أَمْرُؤُ
فَدَعِ الْهَوَى أَوْ مُتْ بِدَائِكَ إِنْ مِنْ
وَلَهُ أَيْضًا:

أَلَنْتَ لِي الْأَيَّامَ مِنْ بَعْدِ قَسْوَةٍ
وَأَلْبَسْتَنِي التُّغْمَى الَّتِي غَيَّرَتْ أَخِي
وقال آخر:

وَلَمَّا خَلَوْنَا وَأَطْمَأْنَنْتَ بِنَا الْنَوَى
أَخَذْتُ بِكَفِّي كَفَّهَا فَوَضَعْتُهَا
قال محمد بن نصير^(١٨):

لَا أَظْلِمُ اللَّيْلَ وَلَا أَدْعِي
أَنْ نُجُومَ اللَّيْلِ لَيْسَتْ تَغُورُ

(١٤) الأبيات في الديوان ١٤٩/١، وفي «م» والمطبوع: كما أقبلت الريح...

(١٥) الأبيات في الديوان ٢٤٦/١.

(١٦) الأبيات في الديوان ٢٤١/١.

(١٧) المصدر السابق ٢٠١/١.

(١٨) لم أقف على ترجمته، ولكنني وجدت في معجم الشعراء ص ٦٣ محمد بن نصر الكاتب المصري... جاء إلى بغداد ثم انحدر إلى البصرة ومات سنة ٢٨٠هـ.

الَّيْلُ مَا شَاءَتْ فَإِنْ لَمْ تَزُرْ
طَالَ وَإِنْ زَارَتْ فَلَيْلِي قَصِيرٌ^(١٩)
وقال جميل:

تَذَكَّرَ مِنْهَا الْقَلْبُ مَا لَيْسَ نَاسِيًا
فَإِنْ كُنْتَ تَهْوَى أَوْ تُرِيدُ لِقَاءَنَا
فَقُلْتُ وَلَمْ أَمْلِكْ سَوَابِقَ عُبْرَةٍ
فَقَالَتْ أَخَافُ الْكَاشِحِينَ وَلَا تَقِي
وقال خالد الكتاب^(٢١):

عَشِيَّةَ حَيَّانِي بِوَرْدٍ كَأَنَّهُ
وَوَلَّى وَفَعَلَ السُّكْرِ فِي لَحَطَاتِهِ
وقال آخر^(٢٢):

وَقَصِيرَةَ الْأَيَّامِ وَدَّ جَلِيسَهَا
بَيْضَاءُ مِنْ بَقَرِ الْجَوَاءِ كَأَنَّمَا
حَفَنَ الْحَيَاةَ بِهَا وَدَاءُ سَقِيمٍ^(٢٣)

(١٩) البيتان من السريع ولا بد من سكان الراء في القافية لتمام الوزن، وفي «م» المطبوع بالضم.

(٢٠) انظر الديوان ص ٤٧ مع اختلاف في الرواية.

(٢١) هو خالد بن يزيد الكاتب، شاعر غزل، أحد كتاب الجيش أيام المعتصم، توفي ببغداد سنة ٢٦٢هـ. انظر: المنتظم، القسم الثاني من الجزء الخامس ص ٣٥، النجوم الزاهرة ٣٦/٣، إرشاد الأريب ١٧١/٤، وفيه وفاته في سنة ٢٦٩هـ سمط اللآلئ ص ٣١١، تاريخ بغداد ٣٠٨/٨، الأغاني ٣١/٢١.

(٢٢) اختلف في نسبة البيتين فهما لابن الدمينية في أمالي القاضي ٢٠٣/١، وهما لبشر بن عبد الرحمن الأنصاري في أمالي المرتضى ٤٩٤/١، ومصارع العشاق ١٦٥، وهما للمجنون في اللسان (ردع)، وكذلك في ديوان المجنون ص ٢٥٦.

(٢٣) ورواية عجز البيت الثاني:

تَرَكَ الْحَيَاءُ بِهَا رُدَاعَ سَقِيمٍ

وقال عروة بن أذينة:

فَإِذَا يَغْنِيهِمَا لِلْبَيْنِ فُرْقَتُهُ
مُسْتَقْبِلَانِ نَشَاطاً مِنْ شَبَابِهِمَا
لَا يَعْجَبَانِ بِقَوْلِ النَّاسِ عَنْ عُرْضِ

وقال العرجي:

لَقِيتُ بِهِ سِرْباً تَنْظُرُنْ مَوْعِدِي
أَمِنْ الْعُيُونِ الرَّامِقَاتِ وَلَمْ يَكُنْ
فَبِتُ صَرِيحاً بَيْنَهُنَّ كَأَنِّي
يُقَدِّسُنِي طَوْرًا وَيَضْمُنُنْ تَارَةً
لَعَمْرِي إِنْ أَبَدَيْنِ لِي الْوُدَّ إِنِّي

وقال البحري:

وَأَهَيْتُ مَاخُودٌ مِنَ النَّفْسِ شَكْلُهُ
وَلَمْ تَسْ نَفْسِي مَا سُقِيتُ بِكَفِهِ
أَرَى غَفْلَةَ الْأَيَّامِ إِعْطَاءَ مَا نَعِ

وقال آخر:

وَلَيْلٍ لَمْ يُقَصِّرْهُ رُقَادٌ
نَعِيمُ الْحُبِّ أَوْ رَقَّ فِيهِ حَتَّى
وَمَجْلِسٍ لَذَّةٍ لَمْ نَقَرْ فِيهِ
فَلَمَّا لَمْ نَطِقْ فِيهِ كَلَاماً

وَلَا يَمْلَأُنْ طُولَ الدَّهْرِ مَا اجْتَمَعَا
إِذَا دَعَا دَعْوَةً دَاعِي الْهَوَى سَمِعَا
وَيَعْجَبَانِ بِمَا قَالَا وَمَا صَنَعَا (٢٤)

وَقَدْ مَا وَقْتُ مِثِّي لَهْنُ الْمَوَاعِدِ (٢٥)
لَهْنٌ بِهِ عَيْنُ سَوَى الصُّبْحِ رَائِدُ
أَخُو سَقَمٍ تَخْنُو عَلَيْهِ الْعَوَائِدُ
كَمَا ضَمَّ مَوْلُوداً إِلَى الصُّدْرِ وَالِدُ
بِهِنَّ وَإِنْ أَخْفَيْتُ وَجْدِي لَوَاجِدُ (٢٦)

تَرَى الْعَيْنُ مَا تَحْتَاجُ أَجْمَعَ فِيهِ
مِنْ الرَّاحِ إِلَّا مَا سُقِيتُ فِيهِ
يُصِيئُكَ أَحْيَاناً وَجِلْمٌ سَفِيهِ (٢٧)

وَقَصَّرَهُ مُنَادَمَةُ الْحَبِيبِ
تَنَاوَلْنَا جَنَاهُ مِنْ قَرِيبٍ
عَلَى شَكْوَى وَلَا عُذْرَ الذُّنُوبِ
تَكَلَّمْتُ الْعُيُونُ عَنْ الْقُلُوبِ

وأنشدني ستيرة العصبية* (٢٨):

بِتَنَا بِأَطْيَبِ لَيْلَةٍ وَأَلَذِّهَا
حَتَّى إِذَا مَا اللَّيْلُ أَشْغَلَ لَوْنُهُ
نَادَى مُنَادٍ بِالصَّلَاةِ فَرَاغَنَا
فَنَهَضْنَا مِنْ حَذَرِ الْعُيُونِ هَوَارِباً
ثُمَّ أَطْلَعْنَا كَأَنَّهُنَّ غَمَائِمُ
حَتَّى دَفَعْنَا إِلَى فَتَى جَشْمَنُهُ

وقال بعض أهل هذا العصر:

خَلِيلِي أَغْرَانِي مِنَ الشَّوْقِ وَالْهَوَى
فَصَدَّرَ عَلَى صَدْرٍ وَنَحَرَ عَلَى نَحْرِ
يَظَلُّ حَسُودُ الْقَوْمِ فِينَا مُفَكِّراً

وقال عمر بن أبي ربيعة:

وَغَضِضَ الطَّرْفِ مَكْسَالِ الضُّحَى
مَرَّ بِي فِي بَقَرٍ يَخْفَفْنُهُ
رَاعِبِي مَنْظَرُهُ لَمَّا بَدَا
قُلْتُ: مَنْ هَذَا، فَقَالَتْ: بَعْضُ مَنْ
بَعْضُ مَنْ كَانَ سَتِيراً زَمَناً
قُلْتُ: حَقّاً، قُلْتُ: قَالَتْ قَوْلُهُ
قُلْتُ: يَا سَيِّدِي عَذَّبْتَنِي

أَمَّا هَذِهِ الْمُخَاطَبَةُ فَقُلْ مَا يَقَعُ الْطُفُّ مِنْهَا لَفْظاً وَلَا أَجَلٌ مِنْهَا مَوْعِداً.
وَلَوْ لَمْ يَصْبِرِ الْمُحِبُّ عَلَى امْتِحَانِ إِلْفِهِ إِلَّا بِسَمْعٍ مِثْلَ هَذَا مِنْ لَفْظِهِ لَكَانَ ذَلِكَ

(٢٨) لم أهد إلى ترجمتها وقد وردت ثلاث مرات في الكتاب.

(٢٩) المقطوعة في الديوان ص ٢١٣ - ٢١٤ مع اختلاف في الرواية.

(٢٤) انظر شعر عروة بن أذينة ص ٢٥٧، وانظر تخريج الأبيات ص ٢٣٩. وعروة بن أذينة من شعراء بني أمية. انظر ترجمته في الشعر والشعراء (ليدن) ص ٣٦٧ - ٣٦٨.

(٢٥) في (م) والمطبوع: لقيت به سر ينظرون (كذا) ولا يستقيم بذلك الوزن ولا المعنى.

(٢٦) انظر الديوان ص ١١٧، مع اختلاف في الرواية.

(٢٧) انظر الديوان ص ٢٣٩٨.

مَنْ كَانَ ظَرِيفًا فَلْيَكُنْ عَفِيفًا

قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ دَاوُدَ وَحَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: حَدَّثَنَا سُؤَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ الْخَدَنَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنْ أَبِي يَحْيَى الْفَتَّاتِ (١) عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ عَشِقَ فَعَفَّ فَكَتَمَهُ فَمَاتَ فَهُوَ شَهِيدٌ». وَلَوْ لَمْ تَكُنْ عَفَّةً لَمُتَحَابِّينَ عَنِ الْأُدْنَسِ، وَتَحَابَّيْهُمَا مَا يُنْكَرُ فِي عَرَفٍ كَافَّةٍ النَّاسِ، مُحَرَّمًا فِي الشَّرَائِعِ، وَلَا مُسْتَقْبَحًا فِي الطَّبَائِعِ، لَكَانَ الْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا تَرْكُهُ إِنْقَاءً وَدِهَ عِنْدَ صَاحِبِهِ، وَإِنْقَاءً عَلَى وَدِّ صَاحِبِهِ عِنْدَهُ.

أنشدني أحمد بن يحيى عن زبير عن محمد بن إسحاق عن مؤمل بن طالوت من أهل وادي القرى عن حمزة بن أبي ضيغم:

وَبِتْنَا خِلَافَ الْحَيِّ لَا نَحْنُ مِنْهُمْ وَلَا نَحْنُ بِالْأَعْدَاءِ مُخْتَلِطَانِ
وَبِتْنَا يَقِينًا سَاقِطَ الْطَّلِّ وَالْأَنْدَى مِنْ اللَّيْلِ بُزْدًا يُمْنَةً عَطِرَانِ
نَذُودُ بِذِكْرِ اللَّهِ عَنَّا غَوَى الصَّبَى إِذَا كَادَ قَلْبَانَا بِنَا بَرْدَانِ
وَنَصْدُرُ عَنْ رِيِّ الْعَفَافِ وَرُبَّمَا سُقِينَا عَلَيْكَ النَّفْسَ بِالرُّشْفَانِ *

وأنشدني أعرابية بالبادية:

وَيَوْمَ كَلْبَاهَامِ الْحَبَارَى لَهُوْتُهُ بِقَعْمَةٍ وَالْوَأْشُونَ فِيهِ تُحَرِّفُ
بِلَا حَرَجٍ إِلَّا كَلَامَ مَرْدَةٍ عَلَيْنَا رَقِيصَانِ التَّقَى وَالتَّعَفُّفُ
إِذَا مَا تَهَمَّمْنَا صَدَدْنَا نَفُوسَنَا كَمَا صَدَّ مِنْ بَعْدِ التَّهَمُّمِ يُوسُفُ

(١) لعله الفتات، وهو بائع الفت، أما الفتات فلم أجده شهرة بين رجال الحديث.

حَظًّا جَزِيلًا وَدَرَكًَا جَلِيلًا. فَكَيْفَ وَحَالَ الصَّفَاءِ إِذَا ابْتَدَأَتْ بَيْنَ الْمُتَحَابِّينَ *
بِالْمُشَاكَلَةِ الطَّبِيعِيَّةِ؟ ثُمَّ اتَّصَلَتْ بِالْجَرَّاسَةِ عَنِ الْأَخْلَاقِ الدِّنِّيَّةِ؟ ثُمَّ عَذُبَتْ
بِالرَّعَايَاتِ الْإِخْتِيَارِيَّةِ؟ بَلَغَتْ بِهِمَا الْحَالَ، إِلَى حَيْثُ انْقَطَعَتْ بِهِمَا (٣٠) دُونَهُ
الْأَمَالُ، وَعَلَى أَنَّ الْحَزْمَ لِمَنْ سُومِيَخَ بِالْوَصَالِ، أَلَّا يُرْسَلَ نَفْسُهُ كُلُّ
الْإِرْسَالِ، فَإِنَّ ذَلِكَ رُبَّمَا دَعَا الْمَحْبُوبَ إِلَى الْمَلَالِ، وَإِنْ كَانَ مُقِيمًا عَلَى
رِعَايَةِ الْحَالِ.

ولقد أحسن الذي يقول:

عَلَيْكَ بِإِقْلَالِ الزِّيَارَةِ إِنَّهَا تَكُونُ إِذَا دَامَتْ إِلَى الْهَجْرِ مَسْلَكًا
فَلَيْنِي رَأَيْتُ الْقَطَرَ يُسَامُ دَائِمًا وَيُسَالُ بِالْأَيْدِي إِذَا هُوَ أَمْسَكَا

□ □ □

وقال العباس بن الأحنف:

أَتَأَذُنُونَ لِيَصْبَ فِي زِيَارَتِكُمْ
لَا يُضْمِرُ السُّوءَ إِنْ طَالَ الْجُلُوسُ بِهِ
فَعِنْدَكُمْ شَهَوَاتُ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ
عَفْ الصُّمِيرِ وَلَكِنْ فَاسِقُ النَّظَرِ^(٢)

وأحسن من هذا قول عمر:

نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِأَلْمَحْصَبِ مِنْ مَنِي
فَقُلْتُ أَشْمَسُ أَمْ مَصَابِيحُ بَيْعَةٍ
بَعِيدَةٍ مُهَوًى الْقَرْطِ إِمَّا لِنَوْفَلٍ
طَلَبَنِ الصَّبَى حَتَّى إِذَا مَا أَصْبَهُ
وَلِي نَظَرٌ لَوْلَا التَّحَرُّجُ عَارِمٌ
بَدَتْ لَكَ خَلْفَ السَّجْفِ أَمْ أَنْتَ حَالِمٌ
أَبْرَاهَا، وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمٌ
نَزَعْنِ وَهْنُ الْمُسْلِمَاتِ الْكَرَائِمِ^(٣)

ولبعض أهل هذا العصر:

أَمْوَالِي لَمْ تَبْعُدْ عَلَيْكَ مَطَالِي
أَمْوَالِي لَا آيْنَ الْفَرُّ مِنَ الْهَوَى
أَنْسَيْتَ عَهْدَيْنَا بِوَادٍ مُعْظَمٍ
وَأَنْتَ حَرَامُ حُرْمَةِ الْحَجِّ وَالْهَوَى
أَخْتُكَ كَانَ الْعَفْوُ أَوْلَى بِذِي الْهَوَى
قَالَ: وَبَلَّغْنِي عَنِ الْأَصْمَعِيِّ أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَطُوفُ بِالْبَيْتِ إِذَا أَنَا
بِجَارِيَةٍ مُتَعَلِّقَةٍ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ وَهِيَ تَقُولُ:
لَنْ يَقْبَلَ إِلَهُ مِنْ مَعْشُوقَةٍ عَمَلًا
وَكَيْفَ يَأْجُرُهَا فِي قَتْلِ عَاشِقِهَا
يَوْمًا وَوَامِقُهَا غَضَبَانُ مَهْجُورُ
لَكِنَّ عَاشِقُهَا فِي ذَاكَ مَاجُورُ

قَالَ: فَقُلْتُ لَهَا: يَرْحَمُكَ اللَّهُ أَفِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ تُشِيدِينَ هَذَا؟
فَقَالَتْ: إِلَيْكَ عَيْنِي يَا عِرَاقِي لَا رَهَقَكَ، فَقُلْتُ لَهَا: وَمَا الْحُبُّ؟ فَقَالَتْ:

(٢) البيتان في ديوان العباس ص ١٤٧، وانظر الأغاني (الدار) ٣٥٦/٨ - ٣٥٧،
والموشى ص ٤٤.

(٣) الأبيات في ديوان عمر ص ١٨٢.

هَيْهَاتَ! جَلَّ وَاللَّهِ عَنْ أَنْ يُحْصَى، وَخَفِيَ عَنْ أَنْ يُرَى، فَهُوَ كَامِنٌ كَكُمُونَ
النَّارِ فِي حَجَرِهَا، إِنْ قَدَحْتَهُ وَرَى، وَإِنْ تَرَكْتَهُ تَوَارَى. ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ:

أَنْسُ غَرَائِرُ مَا هَمَمَنْ بِرِيَّةٍ كَطَبَائِ مَكَّةَ صَيْدُهُنَّ حَرَامُ
يُحْسِنُ مِنْ لَيْنِ الْحَدِيثِ فَوَاسِقًا وَيَصُدُّهُنَّ عَنِ الْخَنَا الْإِسْلَامُ^(٤)

وقال أبو صخر الهذلي:

وَلَلَّيْلَةٌ مِنْهَا تَعُودُ لَنَا فِي غَيْرِ مَا رَفَثٍ وَلَا إِنْ
أَهْوَى إِلَى نَفْسِي وَلَوْ نَزَحَتْ مِمَّا مَلَكَتْ وَمِنْ بَنِي سَهْمٍ^(٥)

وقال آخر:

فَلَمَّا اتَّقَيْنَا قَالَتْ: الْحُكْمُ فَآخَتِكُمْ سَوَى خِصْلَةٍ هَيْهَاتَ مِنْكَ مَرَامُهَا
فَقُلْتُ: مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ تِلْكَ خِصْلَةٍ تَمُوتُ وَيَبْقَى وَرُزْهَا وَإِسَامُهَا
فَبِتْ أَثْنِيهَا عَلَيَّ كَأَنَّهَا مِنْ النَّوْمِ سَكْرَى وَارِفَاتُ عِظَامُهَا

وقال مسعر بن كدام^(٦):

تَفَنَّى اللَّذَازَةُ مِمَّنْ نَالَ صَفْوَتَهَا مِنْ الْحَرَامِ وَيَبْقَى الْإِثْمُ وَالْعَارُ
تَبَقَّى عَوَاقِبُ سُوءٍ فِي مَغْبِيتِهَا لَا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا النَّارُ

وقال جرير:

كَانَتْ إِذَا أَخَذَتْ لِعَبْدٍ زِينَةً هَشَّ الْفَوَادُ وَلَيْسَ فِيهَا مَطْمَعُ
تَرَكْتُ حَوَائِمَ صَادِيَاتٍ هَيْمًا مُنِعَ الشِّفَاءُ وَطَابَ هَذَا الْمَشْرِعُ^(٧)

(٤) المختار من شعر بشار ص ١٩٧، في «م» والمطبوع: إِنْس (بكسر الهمزة).

(٥) لم أجد البيتَيْن في أشعار أبي صخر الهذلي، وأبو صخر الهذلي من شعراء

الحماسة ٣١١/١.

(٦) لم أعتد إلى ترجمته.

(٧) انظر الديوان ص ٩١٠.

وقال عبيد الراعي :

نُقَارِبُ أَفْسَانَ الصَّبَى وَيَرُدُّنَا
حَرَائِرُ مَا يَذْرِبْنَ مَا سُوءُ شَيْمَةٍ

وقال ذو الرمة :

أَرَيْنَ الَّذِي اسْتَوْدَعَنَ سَوْدَاءَ قَلْبِهِ
أَوَّلِيكَ أَجَالَ الْفَتَى إِنْ أَرَدْنَاهُ
يُقَارِبُنَ حَتَّى يَطْمَعَ التَّابِعُ الصَّبَى
إِذَا قَالَ يَا قَدْ حَلَّ دِينِي قَضَيْنَهُ

وقال أيضاً :

وَإِنَّا لَنَرْضَى حِينَ نَشْكُو بِخَلْوَةٍ
وَمَا إِلْفَقَرُ أَرَى عِنْدَهُنَّ بِوَصِيلِنَا

وأنشدني أعرابي ببلاد نجد :

وَقَدْ كُنْتُ وَدَّعْتُ النَّقَا لَيْلَةَ النَّقَا
وَمَا نِلْتُ شَيْئاً غَيْرَ أَنَّكَ قُلْتَ لِي :
سَبْتِكَ بِوَجْهِهِ كَالصَّحِيفَةِ وَاضِحٍ
وَفِي مِضْحَكٍ عَذْبٍ كَأَنَّ رِضَابَهُ
وَمَا لِي عِلْمٌ غَيْرَ أَنِّي أَظُنُّهُ

وقال آخر :

حَيَاءٌ إِذَا كِدْنَا نَلِجُ فَتَجَمَحُ
وَيَتَرَكُنْ مَا يُلْحَى عَلَيْهِ وَيَفْضَحُ^(٨)

هَوَى مِثْلَ شَكِّ بِالرِّمَاحِ النَّوَاجِمِ
يَقْتُلُ وَأَسْبَابُ السَّقَامِ الْمَلَاذِمِ
وَتَهْتَزُّ أَحْشَاءُ الْقُلُوبِ الْحَوَائِمِ
أَمَانِي عِنْدَ الزَّاهِرَاتِ الْعَوَائِمِ^(٩)

إِلَيْهِنَّ حَاجَاتِ الْفُؤُوسِ بِلَا بَذَلٍ
وَلَكِنْ جَرَتْ أَخْلَافُهُنَّ عَلَى الْبُخْلِ^(١٠)

بِمَا لَيْسَ يُبْلَى ثَوْبَ جَدَّتِهِ الدَّهْرُ
سَارِعَاكَ فَاحْفَظْنِي فَدَيْتَكَ يَا بَذْرُ
وَفِي مُقْلَتِي وَسَنَانٍ فِي طَرْفِهِ فَتَرُ
نُورَ أَفَاجِيٍّ يُدَجِّنُهَا الْقَطَرُ
وَمَا لِي عِلْمٌ غَيْرَ ظَنِّي وَلَا خُبْرُ

رِيَّاحٌ لِأَعْلَى مَتْنِهِ فَهَوَ قَارِسُ

فَمَا نُظْفَةُ مِنْ مَاءٍ مُزْنٍ تَسَمَّتْ

(٨) البيتان في الديوان ص ٣٩. وهما من قصيدة في «منتهى الطلب» مخطوطة يال، الورقة ٣٨٩.

(٩) الأبيات في ديوان ذي الرمة في ص ص ٦١٦، ٦١٨، ٦١٩.

(١٠) المصدر السابق ص ٤٨٧.

بِأَطْيَبِ مِنْ فِيهَا وَمَا دُقْتُ طَعْمُهُ

وأنشدني أحمد بن يحيى النحوي لزينب بنت فروة^(١١) :

وَمَا طَعْمُ مَاءٍ أَيْ مَاءٍ تَقُولُهُ
بِمُنْعَرِجٍ أَوْ بَطْنٍ وَإِ تَحَدَّثْتُ
عَلَيْهِ رِيَّاحُ الصَّيْفِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
نَفْتُ جَرِيَّةُ الْمَاءِ الْقَذَى عَنْ مُتُونِهِ
فَمَا إِنْ تَرَى فِيهِ مَعَاباً لِعَائِبِ
بِأَطْيَبِ مِمَّنْ يَقْصُرُ الطَّرْفُ دُونَهُ
تَقَى اللَّهَ وَاسْتَحْيَاهُ بَغْضِ الْعَوَائِبِ

وقال العدبُ الكناني^(١٢) :

جَزَى اللَّهَ الْوُشَاةَ جَزَاءَ سُوءٍ
وَلَوْ لَمْ نَخْشَ إِلَّا النَّاسَ كَانُوا
عَلَيْنَا فِي الْإِسَاءَةِ هَبِينَا
وَلَكِنَّا نَخَافُ اللَّهَ حَقًّا
وَنَخْشَى اللَّهَ إِسْلَاماً وَدِينَا
وَنَحْنُ عَلَى الْمَوَدَّةِ مُنْطَوِينَا
وَنَسْتَحْيِي وَنَرْعَى غَيْبَ جُمْلِ

وقال آخر :

وَأَقْصُرُ طَرْفِي دُونَ جُمْلِ كَرَامَةٍ
سَقَى اللَّهَ بَيْتاً لَسْتُ آتِي أَهْلِهِ
بِجُمْلٍ وَلِلطَّرْفِ الَّذِي أَنَا قَاصِرُهُ
وَقَلْبِي فِي الْبَيْتِ الَّذِي أَنَا هَاجِرُهُ

وقال آخر :

تَضَوَّعَ مِسْكَاً بَطْنُ نَعْمَانَ إِذْ مَشَتْ
خَرَجْنَ بِفَجٍّ رَائِحَاتٍ عَشِيَّةً
يُغْطِئْنَ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ التَّقَى
وَلَمَّا رَأَتْ نَكْتَ الثُّمِيرِيِّ أَعْرَضَتْ
بِهِ زَيْنَبُ فِي نِسْوَةِ عَطَرَاتٍ
يُلَبِّينَ لِلرَّحْمَانِ مُعْتِمِرَاتٍ
وَيَخْرُجْنَ بِالْأَسْحَارِ مُجْتَمِرَاتٍ
وَكُنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتٍ

(١١) لم أهد إلى ترجمة زينب بنت فروة.

(١٢) العدبُ بن مالك بن ذعر، انظر الاشتقاق لابن دريد ص ٣٧٨.

وقال الحسن بن هانئ:

أَحْسَنُ مِنْ رَحْفِ قَيْسَلَتَيْنِ
وَمِنْ نِزَالِ بِسْرَهَفَاتِ
فَمَنْ قَدْ أُعْبِلَ رِضَاعاً
لَمْ يَطْعَمَا الْغُمُضَ مِنْ نَفَارٍ
حَتَّى إِذَا الصُّبْحُ لَاحَ قَامَا

وقال آخر:

فَمَا أَنَسَ مِمَّا قَدْ رَأَيْتُ وَفَاتَنِي
فَلَنْ أَنَسَ مَسَرَّهَا وَسِرْباً سَرَتْ بِهِ
إِلَى مَوْعِدٍ مِنَّا وَمِنْهُمْ شَاقْنَا
فَبِتْنِ جُنُوحاً يَشْتَكِي وَنَشْتَكِي
عَفَائِفُ لَا يَدُنُونُ مِنَّا لِرِيَّةٍ
فَلَمَّا رَأَيْنَ الصُّبْحَ لَاحَ وَصَوَّتْ
فَمَا بَرِحَتْ حَتَّى وَدِدْتُ بِأَنِّي
وَأَعْلَنْتِ الشُّكُورَى حَصَانُ غَرِيرَةٍ
يَظُلُّ الْغُيُورُ أَرْغَمَ اللَّهُ أَنْفَهُ

وقال آخر:

أَلَا يَا شِفَاءَ النَّفْسِ لَمْ تُسْعِفِ النَّوَى
أُتِيبِي فَتَى حَقَّقْتَ قَوْلَ عَدُوِّهِ
أَجْبُكِ يَا سَلَمَى عَلَى غَيْرِ رِيَّةٍ

(١٣) لم أجد الأبيات في ديوان الشاعر.

وَمِنْ تَلَاقِي كَتِيبَتَيْنِ
بَيْنَ مَغَاوِرِ عَسْكَرَيْنِ
وَمَقَرِّ رِيَّتِي بِشِفَتَيْنِ
مُحَادِثَيْنِ مُلَازِمَيْنِ
عَلَى وَضُوءِ مُصَلِّيَيْنِ^(١٣)

بِهِ أَلْذَهْرُ مِمَّا كُنْتُ أُعْطِي وَأَرْزُقُ
بِعُورِ النَّفَا كَادَتْ لَهُ الْأَرْضُ تَشْرِقُ
إِلَيْهِ الْأَعَادِي وَالْهَوَى الْمُتَشَوِّقُ
إِلَيْهِ لَمْ يَهْبِطْ لَنَا الْأَرْضُ مِرْفَقُ
وَلَا نَحْنُ مَكْرُوهَا مِنَ الْأَمْرِ نَرْهَقُ
كَرَائِمُ طَيْرٍ لَمْ تَكُنْ قَبْلُ تَنْطِقُ
بِمَا فِي قُودِي مِنْ دَمِ الْجُوفِ أَشْرُقُ
تَجُودُ بِمَا ضِي دَمْعِهَا ثُمَّ تَشْهَقُ
عَلَى مُلْتَقَانَا قَائِماً يَتَحَنَّقُ

وَتُخَيِّي فُؤَاداً لَا تَنَامُ سَرَائِرُهُ
عَلَيْهِ وَقَلْتُ فِي الصَّدِيقِ مَعَاذَرُهُ
وَمَا خَيْرُ حَبٍ لَا تَعِفُّ سَرَائِرُهُ^(١٤)

(١٤) الأبيات نسبت إلى المجنون كما في الديوان ص ١٤٤ مع اختلاف في الرواية. وهي في

ولبعض أهل هذا العصر:

لَا تُلْزِمَنِي فِي رَغِي الْهَوَى سَرَفاً
لَوْ كُنْتُ شَاهِدَنَا وَالْدَّارُ جَامِعَةً
لَا بَلَّ مَسَاوَاةٍ وَدِي وَدَّهَ بِهِوَى
مُسْتَأْنَسِينَ بِمَا تُخْفِي ضَمَائِرُنَا
فَإِنْ مَحَا الشُّوقُ فَرَطُ الْأَنْسِ أَوْحَشَنَا
فَمَا نُدَافِعُ بِالْهَجْرَانِ فَهَوَ عَلَى
عَايَنْتَ مَنَزِلَةً فِي الظَّرْفِ عَالِيَةً
فِي عِقَّةٍ تَحَامَى أَنْ يُلِمَّ بِهَا

وقال آخر:

فَلَا بُخْلُ قِيُوسٍ مِنْكَ بُخْلُ
شَكُونَا مَا عَلِمْتَ فَمَا وَلَيْتُمْ
وَنُحْسَدُ أَنْ نَزُودَكُمْ وَنَرْضَى

وقال آخر:

وَيَخْشُونَ فِي لَيْلَى عَلَيَّ وَلَمْ أَنْلِ
سِوَى أَنْ حَبّاً لَوْ تَشَاءُ أَقْلَهَا
أَلَا حَبِّدَا أَطْلَالَ لَيْلَى عَلَى أَلْبَلَى
وَمَا يَتِمَادَى الْعَهْدُ إِلَّا تَجَدَّدَتْ

وَمَا أَوْفِيهِ إِلَّا دُونَ مَا يَجِبُ
وَالشَّمْلُ مُلْتِمٌ وَالْوُدُّ مُقْتَرِبُ
كَأَنَّهُ نَسَبٌ بَلَّ دُونَهُ النَّسَبُ
عَلَى الْعَفَافِ وَرَغِي الْوُدَّ نَضْطَجِبُ
أَنْسُ الْعَوَازِلِ إِنْ جَدُّوا وَإِنْ لَعِبُوا
أَنْ لَا يَزُولَ هَوَانَا مُشْفِقُ حَدْبُ
وَرُبَّةٍ قَصَّرَتْ عَنْ شَأُوهَا الرُّبُ
سُوءُ الظُّنُونِ وَأَنْ تَغْتَالَهَا الرِّيبُ

وَلَا جُودٌ فَيَنْفَعُ مِنْكَ جُودُ
وَبَاعَدْنَا فَمَا نَمَعِ الصُّدُودُ
يُدُونِ الْبَذْلُ لَوْ رَضِيَ الْحُسُودُ

مَعَ الْعَذْلِ مِنْ لَيْلَى حَرَاماً وَلَا جَلّاً
وَلَوْ تَبَتَّغِي ظِلّاً لَكَانَ لَهَا ظِلّاً^(١٥)
وَمَا بَدَلْتُ لِي مِنْ نَوَالٍ وَإِنْ قَلّاً
مَوَدَّتْهَا عِنْدِي وَإِنْ رَعِمَتْ أَنْ لَا^(١٦)

وَلَعَمْرِي إِنْ هَذَا مِنْ نَفِيسِ الْكَلَامِ، قَدْ جَمَعَ لَفْظاً فَصِيحاً وَمَعْنَى
صَحِيحاً، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يُخْبِرْ بِالْعِلَّةِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا لَمْ يَنْلِ حَرَاماً وَلَا حَلَالاً،

(١٥) في «د» والمطبوع: نحا.

(١٦) نسبت الأبيات إلى المجنون كما في الديوان ص ٢٣٥ مع اختلاف في الرواية.

فَيُقْضَى لَهُ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ، لِأَن مَن مَنَعَهُ مِنْ إِيْتَانِ الْمُنْكَرِ عَجَزَهُ عَنْهُ،
لَمْ يُشْكَرْ، وَإِنَّمَا يُسْتَطَرَفُ مِمَّنْ قَدِرَ عَلَى مَا يَهْوَاهُ فَتَعَفَّفَ.

كما قال مسلم بن الوليد:

وَمَا ذَمِّي الْأَيَّامَ أَنْ لَسْتُ حَامِداً لِعَهْدٍ لِيَا لَيْهَهَا الَّتِي سَلَفَتْ قَبْلُ
أَلَا رُبَّ يَوْمٍ صَادِقِ الْعَيْشِ نَلْتُهُ بِهَا وَنَدَامَايَ الْغَفَافَةِ وَالْبَذَلِ (١٧)

وقال بعض أهل هذا العصر:

يَا مُتْ قَبْلَكَ قَدْ وَاللَّهِ بَرَّحَ بِي شَوْقِي إِلَيْكَ فَهَلْ لِي فِيكَ مِنْ حَظٍّ
قَلْبِي يَغَارُ عَلَى عَيْنِي إِذَا نَظَرْتُ بُقْيَا عَلَيْكَ فَمَا أَرَوَى مِنَ اللَّحْظِ

فهَذَا يُخْبِرُ أَنَّ صَاحِبَهُ وَنَفَاسَتَهُ فِي صَدْرِهِ مَنَعَاهُ مِنَ الْأَسْتِمْتَاعِ بِالنَّظَرِ إِلَى
شَخْصِهِ، وَأَكْسَبَاهُ الْغَيْرَةَ لَهُ عَلَى نَفْسِهِ. وَلَهُ أَيْضاً فِي بَابِ التَّعْظِيمِ لِلنَّفْسِ
وَالْتَّقْدِيرِ لَهُ عَلَى نَفْسِهِ كَلَامٌ إِنْ لَمْ يَقْبَحْ مِنْ بَابِ الْإِفْرَاطِ وَالتَّكْثِيرِ، لَمْ يَسْهَلْ
مِنْ بَابِ التَّسَاهُلِ وَالتَّقْصِيرِ، وَهُوَ:

جَعَلْتُ فِدَاكَ إِنْ صَلَحَتْ فِدَاءَ لِنَفْسِكَ نَفْسٌ مِثْلِي أَوْ وَقَاءَ
وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ تَقْدِيرِكَ نَفْسِي وَلَيْسَ مَحَلُّ نَفْسَيْنَا سَوَاءَ

وَبَلَّغَنِي أَنْ أَعْرَابِيًّا خَلَا بِصَاحِبِيهِ فَقِيلَ لَهُ: مَا كَانَ بَيْنَكُمَا؟ فَقَالَ: مَا زَالَ
«لَقَمَرٌ يَزِينُهَا، فَلَمَّا غَابَ زَيْنَتُهُ، فَوَضَعْتُ كَفِّي عَلَى كَفِّهَا، فَقَالَتْ: مَهْ
لَا تُفْسِدْ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ مَا يَرَانَا إِلَّا الْكَوَاكِبُ، فَقَالَتْ: وَنَحَا! وَأَيْنَ
مُكْوِبُهَا؟ قَالَ: فَأَرْفَضَضْتُ وَاللَّهِ عَرَقًا وَلَمْ أَعُدْ.

وَبَلَّغَنِي أَنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ سَهْلٍ السَّاعِدِيَّ دَخَلَ عَلَى جَمِيلٍ وَقَدْ أَحْضَرَ،
فَقَالَ لَهُ جَمِيلٌ: بَلَّغْنَا أَتَظُنُّ رَجُلًا عَاشَ فِي الْإِسْلَامِ لَمْ يَزِنْ وَلَمْ يَسْرِقْ

وَلَمْ يَسْفِكْ دَمًا حَرَامًا، نَاجِيًا مِنْ هَوْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: الْعَبَّاسُ، فَقُلْتُ:
إِنِّي وَاللَّهِ، فَمَنْ ذَلِكَ، قَالَ: إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَهُ، قَالَ: فَتَبَسَّمْتُ وَقُلْتُ:
أَبَعْدَ إِيْتَانِكَ بُشَيْنَةَ عِشْرِينَ سَنَةً، فَقَالَ إِنِّي فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا، وَأَوَّلِ
يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْآخِرَةِ، فَلَا نَالَتَنِي شَفَاعَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ إِنْ كُنْتُ حَدَّثْتُ نَفْسِي
بِحَرَامٍ مِنْهَا قَطُّ، فَضْلاً عَمَّا وَرَاءَ ذَلِكَ، قَالَ: ثُمَّ مَاتَ مِنْ يَوْمِهِ.

□ □ □

لَيْسَ مِنَ الظَّرْفِ امْتِهَانُ الْحَبِيبِ بِالْوَصْفِ

مَنْ سَامَحْتَهُ الْأَيَّامُ لِمَحَابِهِ، وَرَزَقَ حُسْنَ الْوَفَاءِ وَالْمُسَاعَدَةَ مِنْ أَحْبَابِهِ، مَا يَجِبُ عَلَيْهِ فِي حُدُودِ الظَّرْفِ، دُونَ مَا يَجِبُ مِنْ رِعَايَةِ حُقُوقِ الْأَلْفِ، أَنْ يُقَابَلَ نَعَمَ اللَّهِ عَلَيْهِ، بِمَا يُوجِبُ الْمَزِيدَ فِيهَا لَدَيْهِ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ، فَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَعَرَّضَ لِأَسْبَابِ الْمَهَالِكِ، وَلْيَعْلَمْ أَنَّ وَصْفَ مَا فِي صَاحِبِهِ مِنْ الْخِصَالِ الْمُتَرْتِضَةِ مُغَرٍّ بِمَنْ عِلِمَهَا بِالْمُشَارَكَةِ لَهُ فِي هَوَاهُ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ الَّذِي يَقُولُ:

وَلَسْتُ بِرَاصِفٍ أَبَدًا خَلِيلًا أَعَرَضُهُ لِأَهْوَاءِ الرِّجَالِ
وَمَا بَالِي أَشَوْقَ عَيْنٍ غَيْرِي إِلَيْهِ وَدُونَهُ سَتَرُ الْحِجَالِ
كَأَنِّي آمَنُ الشُّرَكَاءَ فِيهِ وَآمَنُ فِيهِ أَحْدَاثَ الرِّمَالِ *

وأحسن أيضاً الذي يقول:

أَصُونُكَ أَنْ أَدُلَّ عَلَيْكَ وَهْمًا لِأَنَّ الظَّنَّ مِفْتَاحُ الْغُيُوبِ

وما قصر علي بن محمد العلوي حيث يقول:

رُبَّمَا سَرَّنِي صُبُودُكَ عَيْنِي وَتَسَانِيكَ وَأَمْتِنَاعُكَ مِنِّي
ذَاكَ أَرُّ أَكُونُ مِفْتَاحَ غَيْرِي وَإِذَا مَا خَلَوْتُ كُنْتَ التَّمَنِّي

وإذ قد دللنا على قبح وصف الخليل، بما فيه من الخلق والخلق الجميل، فلا حاجة لنا إلى دلالة على قبح الوصف لما حمل عليه نفسه من المسامحة بصاحبه والمشاركة إلى بلوغ محبته. فإن المحبوب ربما دعت

الرأفة بمحبته أو الإشفاق عليه، إلى أن يحمل نفسه له على ما لا يوجب حقه الهوى عليه. وعلى ما لم يوصله صاحبه منه وأن يدعه إليه تحقفاً بالرعاية لمن يهواه، وتظرفاً بالسياسة له إلى أكثر ما يتمناه، وإن لم يقع ذلك إلا بالحمل على النفس والغرض منها. فإذا كان وصف الخلقة التي لا تهيباً نقلها ولا يعاب بها صاحبها ليس بجميل، كان وصف الخلائق التي قد سُمح فيها أخرى أن يكون غير جميل.

ولعمري لقد أحسن جميل بن عبد الله بن معمر العذري حيث يقول:

هَلِ الْخَائِمُ الْعَطْشَانُ مُسْقًى بِشُرْبَةٍ مِنَ الْمُزْنِ تَرَوِي مَا بِهِ فَتُريحُ
فَقَالَتْ فَتُخْشِي إِنْ سَقَيْنَاكَ شُرْبَةً تُخْبِرُ أَعْدَائِي بِهَا فَتُبْسُخُ
إِذَنْ فَأَبَاحْتَنِي الْمَنَاسِيَا وَقَسَادِنِي إِلَى أَجَلِي غَضِبَ السِّلَاحِ سَفُوحُ
لَيْسَ إِذَنْ مَأْوَى الْكَرِيمَةِ سِرُّهَا وَإِنِّي إِذَنْ مِنْ حُبِّكُمْ لَصَحِيحُ^(١)

أما قوله: «لَيْسَ مَأْوَى الْكَرِيمَةِ سِرُّهَا» فكلام حسن، وأما^(٢) «وَإِنِّي إِذَا مِنْ حُبِّكُمْ لَصَحِيحُ» فكلام قبيح. أترأه إن صحا من حبها خبر الناس بسرها، حتى يجعل عليه في كتمانها إياه أنه مغرم بها؟

بلغني أن رجلاً قام بحضرة معاوية فقال: قبح الله المجوس، بلغني أن أحدهم يتزوج بأبيه، والله لو أعطيت عشرة آلاف درهم أن أفعل ذلك ما فعلته. فلما أنصرف قال معاوية: ما له! أسخن الله عينه أترى لو زيد على ذلك كان يفعل!

ولكن يتلقى هذا الكلام من جميل باليدين ويحمل على الرأس والعينين إذا سمع كلام الشيخ أمرئ القيس:

(١) الأبيات في الديوان ص ٣٢ مع اختلاف في الرواية.

(٢) في «م» والمطبوع: وأمله.

فَلَمَّا ذَنُوتُ تَسَدَّيْتُهَا فَتَوْباً نَسِيتُ وَتَوْباً أُجِزْ
وَلَمْ يَرْنَا كَالْيَاءِ كَاشِحُ وَلَمْ يُفَشْ مِنَّا لِيَذَا أَلْبَيْتِ سِرْ
وَقَدْ رَأَيْتِي قَوْلَهَا: يَا هَنَاهُ وَنَحْكَ أَلْحَقْتُ شَرّاً بِشَرٍّ^(٣)

فَمَا أَذْرِي مِنْ أَيْ أَمْرِيهِ أَعْجَبُ؟ أَمِنْ خِشْيَةٍ فِي نَفْسِي، أَمْ مِنْ جَهْلِي
بِأَمْرِي؟ يَفْرَحُ بِأَنْ لَمْ يَرَهُمْ [كَاشِحُ وَلَمْ] يُفَشْ لَهُمْ فِي أَلْبَيْتِ سِرٍّ وَمَا عَسَى
أَلْكَاشِحُ لَوَرَأَهُمْ أَنْ كَانَ يَصْنَعُ بِهِمْ! هَلْ كَانَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُشَيِّعَ عَلَيْهِمْ إِلَّا
بَعْضُ تَشْيِيعِهِمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ؟

ولعمري قد أحسن الذي يقول:

مَا يَبْلُغُ الْأَعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ مَا يَبْلُغُ الْجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ

فَأَمَّا هَذَا النَّحْوُ مِنَ الشَّعْرِ فَلَسْتُ أَنْشُطُ لِذِكْرِهِ، لَا مِنْ شِعْرِ أَمْرِي
أَلْقَيْسٍ وَلَا مِنْ شِعْرِ غَيْرِهِ. [فَهُوَ] فَعْلٌ خَارِجٌ عَنْ حِدِّ الدِّبَابَةِ وَالْمَرْوَةِ.
وَمَا خَرَجَ عَنْ حِدِّ هَذَيْنِ أَلْبَابَيْنِ تَعَدَّى عَيْنُهُ مِنْ فَاعِلِهِ إِلَى نَاشِرِهِ وَمُسْتَحْسِنِهِ.
وَأَمَّا مَا ذَكَرْنَاهُ فِي أَلْبَابِ الثَّامِنِ مِنْ وَصْفِ اجْتِمَاعِ الْمُحِبِّ مَعَ مَحْبُوبِهِ،
وَمُسَامَحَتِهِ لَهُ فِيمَا يَجُورُ مَحْبُوبُهُ، فَهُوَ لَعَمْرِي مُعِيبٌ مِمَّنْ حَكَاهُ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ
صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنَّهُ عَيْبٌ لَا يَنْهَيْتُكَ سِتْرُ الْمَوَدَّةِ بِمِثْلِهِ. فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ سَامَحْنَا
بِذِكْرِهِ وَإِنْ كَانَتْ مَرْتَبَةُ الْكَمَالِ مُوجِبَةً لِغَيْرِهِ. وَكَذَلِكَ تَتَسَاهَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي
ذِكْرِ بَعْضِ مَا وَصَفَهُ الْمُحِبُّونَ مِنْ صُورِ الْمَحْبُوبِينَ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ بَعْضُ أَلْهَجَةٍ
بِهِمْ، فَإِنْ فِيهِ بَعْضُ الْمُنْفَعَةِ لِغَيْرِهِمْ.

قال ذو الرمة:

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقُ رَجِيمِ الْحَوَاشِي لَا هَرَاءَ وَلَا نَزْرُ
وَعَيْنَانِ قَالِ اللَّهُ كُونَا فَكَانَتَا فَعُولَانِ بِالْأَلْبَابِ مَا تَفْعَلُ الْخَمْرُ^(٤)

(٣) الأبيات من قصيدة في الديوان ص ٩٦.

(٤) البيتان من قصيدة في الديوان ص ٢١٢.

وقال معن بن أوس:

ظَعَائِنُ مِنْ أَوْسٍ وَنَعْمَانُ كَالدُّمَى
أَوَانِسُ يَرْكُضُنَّ الْمُرُوطَ كَأَنَّمَا
حَوَاصِرُ لَمْ يُجْزِينَ عَمَّا وَلَا بَعْلَا
يَطَّانُ إِذَا اسْتَوْسَقَنَ فِي جَدِيدٍ وَحَلَا^(٥)

وقال ابن مرداس^(٦):

وَأَهْرَتْ لِنَتَّاشِ الرِّوَاقِ فَلَمْ تَقُمْ
قَلِيلَةَ لَحْمِ النَّسَاطِرِينَ يَزِينُهَا
إِلَيْهِ وَلَكِنْ طَاطَأَتْهُ أَلْوَلَايِدُ
شَبَابٌ وَمَخْفُوضٌ مِنَ الْعُيُوشِ بَارِدُ
تَنَاهَى إِلَى لَهْرِ الْحَدِيثِ كَأَنَّهَا
أَخْرَسَقَمٍ قَدْ أَسْلَمَتْهُ أَلْعَوَائِدُ
تَرَى الْقُرْطَ مِنْهَا فِي فِنَاءِ كَأَنَّهُ
بِمُهْلِكَةِ لَوْلَا أَلْعُرَى وَالْمَعَايِدُ

وقال قيس بن الحطيم:

وَلَمْ أَرَهَا إِلَّا ثَلَاثًا عَلَى مَنَى
تَبَدَّتْ لَنَا كَالشَّمْسِ تَحْتَ غَمَامَةٍ
وَعَهْدِي بِهَا عَذْرَاءُ ذَاتُ ذَوَائِبِ
بَدَا حَاجِبٌ مِنْهَا وَضُنْتُ بِحَاجِبٍ^(٧)

وقال محمد بن إبراهيم الأسدي^(٨):

وَأَصْبَحَ مَا رَجَيْتُ مِنْ أُمِّ وَاصِلٍ
يُقَطِّعُ إِلَّا حَاجَةً سَأَقُولُهَا

(٥) لم أجدهما في مجموع شعره الذي صنعه الدكتور نوري القيسي وحاتم الضامن، وانظر
تخريج القصيدة، ومعن بن أوس من شعراء الحماسة (التبريزي) ١٣٢/٣. «انظر
ترجمته في حماسة البحرني ص ١٤ والأغاني ١٦٤/١٠، والخزانة ٢٥٥/٣ والإصابة
١٧٩/٦ وشرح المزدوقي ١١٢٦، ١٧٩٠، والحيوان ١٦٠/٧ ومعاهد التنخيص
١٧/٤.

(٦) لم أجده في شعر عبدالله بن مرداس، وجاء في معجم الشعراء ص ٢٧٤: ذكر من اسمه
مرداس، ومنهم مرداس بن هماس في شرح المزدوقي، وفي هامش الخزانة ٢٤/٤، انظر
معجم الشعراء ص ٤٤٥، ومرداس بن حذام الأسدي، إسلامي كوفي، انظر
الأغاني ٩٣/١٠.

(٧) البيتان في ديوان قيس بن الحطيم ص ٣٥، ونسبا إلى المجنون كما في الديوان ص ٧٥،
ونسبا إلى القطامي في «المجازات» وليسا في ديوانه، وهما في ديوان المعاني ٢٢٩/١.

(٨) لم أهدت إلى ترجمته.

رَقُودُ الضَّحَى مِبْسَامَةٌ لَا يَهْمُهَا
إِذَا ضَحِكْتَ لَمْ تَنْبَسِطْ وَتَبَسَّمتْ
وقال الضحاك بن عقیل^(٩):

بِأَشْنَبِ صَافٍ تَعْرِفُ النَّفْسُ أَنَّهُ
وَكَفٍ كَقِنَوَانِ اللَّقَا لَا يَضِيرُهَا
وَمَتْنَانٍ يَزْدَادَانِ لِينًا إِذَا مَشَتْ
وقال محمد بن بشير الخارجي^(١٠):

وَتَرَى مَدَامِعَهَا تُرْفِقُ مُقْلَةً
خَوْدٌ إِذَا كَثُرَ الْحَدِيثُ تَعَوَّدَتْ
وقال الركاظ الزبيدي^(١١):

وَمَا أَثَرَتْ حُجِّي عَلَى نَوْمَةِ الضَّحَى
وَلَا أَتَمَّاتَ يَوْمًا حَدِيثًا لِحَارَةٍ
وقال صخر بن الجعد المحاربي^(١٢):

بِنَفْسِي وَأَهْلِي مَنْ إِذَا عَرَّضُوا لَهُ
وَلَمْ يَعْذِرْ عُذْرَ الْبَرِّي وَلَمْ تَزَلْ
لَقَدْ ظَلَمُوا ذَاتَ الْوُشَاحِ وَلَمْ يَكُنْ
سُقِيَتْ دَمَ الْحَيَاتِ إِنْ كُنْتُ بَعْدَهَا
بِبَعْضِ الْأَذَى لَمْ يَذَرِ كَيْفَ يُجِيبُ
بِهِ سَكَنَةً حَتَّى يُقَالَ مُرِيبُ
لَنَا مِنْ هَوَى ذَاتِ الْوُشَاحِ نَصِيبُ
مُجِبًّا وَلَوْ عُنِفَتْهُ لَحَيْبُ^(١٣)

(٩) لم أهدت إلى ترجمته.

(١٠) انظر ترجمته في شرح المازوني ص ٨٠٨، ١٥٩٩، والبيان والتبيين ١/١٦٨، ٣٤٣، ومعجم الشعراء ص ٧٧، وهومن شعراء الحماسة (التبريزي) ٣٠١/٢، ٣٠٢.

(١١) لم أهدت إلى ترجمته.

(١٢) في «م» و«المطبوع»: المحازي.

(١٣) نسبت الأبيات إلى ابن الدمينية، الديوان ص ١٣، وكذلك إلى المجنون، الديوان ص ٥٣.

وقال سويد بن أبي كاهل^(١٤):
حُرَّةٌ تَجْلُو شَتِيئًا وَاضِحًا
تَمْنَحُ الْمِرَّةَ لَوْنًا حَسَنًا

وقال إبراهيم النظام^(١٥):

هُوَ الْبَذْرُ إِلَّا أَنْ فِيهِ رَقَائِقًا
وَيَنْظُرُ فِي الْوَجْهِ الْقَبِيحِ بِحُسْنِهِ
وله أيضاً:

رَقٌ فَلَوْ بُرَّتْ سَرَابِيلُهُ
يَجْرَحُهُ اللَّحْظُ بِتَكَرُّرِهِ
وله أيضاً:

نَسَى الْمَحَاسِنَ فِي أَجْنَسِ نُورِي
تَمَّتْ عَلَى أَبْهَى الصِّفَاتِ فَلَمْ
أَبْدَعَهُ الْخَالِقُ وَآخْتَارَهُ
فَكُلٌّ مَنْ أَغْرَقَ فِي وَصْفِهِ
صَافِي الصَّرَائِبِ رُوحِي^(١٦)
يُطْلُقُ لَنَا عَنْ حَدِّ كَيْفِي^(١٧)
مِنْ مَازِجِ الْأَنْوَارِ عُلْوِي
أَصْبَحَ مَنْسُوبًا إِلَى الْعِي

وَهَذَا الْبَيْتُ لَا يَتَهَيَّأُ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَخَطَّاهُ، وَلَا يَأْتِي بِأَجْوَدَ مِنْ مَعْنَاهُ. وَقَدْ
قَالَ جَرِيرٌ فِي هَذَا النَّحْوِ فَأَحْسَنَ، غَيْرَ أَنَّهُ حَلَّ آخِرَ كَلَامِهِ مَا عَقَّدَ، فَإِذَا ضُمَّ
بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ فَسَدَ.

(١٤) انظر ترجمته في «الشعر والشعراء» (لیدن) ص ص ٢٥٠، ٢٥١.

(١٥) هو إبراهيم بن سيار. البصري النظام من أئمة المعتزلة، المتوفى سنة ٢٣١ هـ له مصنفات عدة. انظر تاريخ بغداد ٩٧/٦، أمالي المرتضى ١/١٣٢، اللباب ٣/٢٣٠، النجوم الزاهرة ٢/٢٣٤.

(١٦) البيت غير مستقيم الوزن، وهوليس من السريع الذي جرى في البيتين الرابع والخامس.

(١٧) وكذلك صدر البيت الثاني غير مستقيم.

قال جرير:

مَا اسْتَوْصَفَ النَّاسُ مِنْ شَيْءٍ يَرُوفُهُمْ
كَأَنَّهَا مُزْنَةٌ غَرَاءَ رَاحِحَةٍ
إِلَّا تَرَى أُمَّ عَمْرٍو فَوْقَ مَا وَصَفُوا
أَوْ دُرَّةً لَا يُؤَارِي لَوْنَهَا الصَّدْفُ (١٨)

وقال علي بن العباس الرومي:

بِأَبِي حُسْنٍ وَجْهَكَ الْيُوسُفِيُّ
فِيهِ وَرْدٌ وَنَرَجِسٌ وَعَجِيبٌ
يَا كَفِيُّ الْهَوَى وَفَوْقَ الْكَفِيِّ
إِجْتِمَاعُ الرَّبْعِيِّ وَالْخَرْفِيِّ (١٩)

وقال حبيب بن أوس:

لَمْ أَنْسَهَا وَصُرُوفُ الْبَيْنِ تَظْلِمُهَا
أَذْنْتُ نِقَاباً عَلَى الْخَدَّيْنِ وَأَنْتَسَبْتُ
وَلَا مُعَوَّلَ إِلَّا الْوَائِكُفُ السَّرْبُ
لِلنَّاطِرِينَ بِقَدِّ لَيْسَ يَنْتَقِبُ (٢٠)

وقال ذو الرمة:

أَسِيلَةٌ مَجْرَى الدَّمْعِ هَيْفَاءُ طِفْلَةٍ
كَأَنَّ عَلَى فِيهَا وَمَا ذُقْتُ طَعْمَهُ
رَدَّاحُ كَيْمَاضِ الْبُرُوقِ آتِسَامُهَا
رُجَاجَةٌ خَمْرٍ ضَاقَ عَنْهَا مَدَامُهَا (٢١)

وقال أبو ذؤلف العجلي (٢٢):

نَفْسِي الَّتِي لَمْ أَزَلْ بِالْحُبِّ أَعْرِفُهَا
شَمْسٌ بَدَتْ لَكَ فِي أَنْوَابِ جَارِيَةٍ
أَطْنَبْتُ مُجْتَهِداً فِي وَصْفِهَا فَلَقَدْ
تَحَيَّرْتُ دُونَ مَنْ أَهْوَى أَمَانِيهَا
الْشَّمْعُ تُشَبِّهُهَا وَالْبَذَرُ يَحْكِيهَا
أَفْنَى جَمِيعِ صِفَاتِي بَعْضُ مَا فِيهَا

وقال امرؤ القيس:

كَأَنَّ الْمَدَامَ وَصُوبَ الْغَمَامِ
وَرِيحَ الْخُزَامَى وَنَشْرَ الْقَطُرِ

يَعْلُ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا
إِذَا طَرَبَ الطَّائِرُ الْمُسْتَجِرُ (٢٣)

وقال يزيد بن الطثرية:

كَأَنَّ مَدَامَةً مِنْ خَمْرٍ دَنٍ
أَلَدُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا حَدِيثاً
تُصَبُّ عَلَى ثَنَائِهَا طُرُوقاً
وَأُطِيبُهُ بُعِيدَ النَّوْمِ رَيْقاً
جُعِلْتُ لَكَ أَلِفْدَاءً مِنَ الْمَنَايَا
وَإِنْ كَلَّفْتَنِي مَا لَنْ أُطِيقَا (٢٤)

وقال امرؤ القيس بن حجر:

خَلِيلِي مُرّاً بِي عَلَى أُمِّ جُنْدُبٍ
أَلَمْ تَرَيَانِي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقاً
لِنَقْضِي حَاجَاتِ الْفَوَادِ الْمُعَذِّبِ
وَجَدْتُ بِهَا طِيباً وَإِنْ لَمْ تَطِيبِ (٢٥)

وَهَذَا مَعْنَى لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَيْهِ أَحَدٌ قَبْلَهُ وَلَمْ يَلْحَقْهُ فِيهِ مَنْ بَعْدَهُ وَإِنَّهُ لِحَسَنُ
الْلَفْظِ مُسْتَوْفِي الْمَعْنَى.

وقال أبو تمام:

كَالْخُوطِ فِي الْقَدِّ وَالْغَزَالَةِ فِي الْبَهْ
وَمَا حَكَاهُ وَلَا نَعِيمَ لَهُ
جَعَلَتْ وَآبِنِ الْغَزَالِ فِي غَيْدِهِ
فِي جَيْدِهِ لِمَ حَكَاهُ فِي جَيْدِهِ (٢٦)

ولأبي تمام أيضاً:

مُتَّصِرَةٌ فِي الطَّرْفِ بَاطِنُ صَدْرِهَا
تُعْطِيكَ مَنْطِقَهَا فَتَعْلَمُ أَنَّهَا
مُتَفَنِّئٌ فِي الْحُسْنِ ظَاهِرُ صَدْرِهَا
لَحْنُ عُدُوبَتِهِ تَمَرُّ بِشَغْرِهَا
وَأَظُنُّ حَبْلَ وَصَالِهَا لِمُحِبِّهَا
أَوْهَى وَأَضْعَفَ قُوَّةً مِنْ خَصْرِهَا (٢٧)

(٢٣) البيتان في الديوان ص ٩٦.

(٢٤) الأبيات في مجموع شعره ص ٤٨ والمصدر كتاب الزهرة.

(٢٥) البيتان في الديوان ص ٤١.

(٢٦) البيتان في الديوان ٤٣١/١.

(٢٧) الأبيات في الديوان ٢١١/٤.

(١٨) البيتان في الديوان ص ١٦٩، ١٧٠ مع اختلاف في الرواية.

(١٩) البيتان في الديوان ص ٢٦٤١.

(٢٠) البيت في ديوان أبي تمام ص ٢٤٦.

(٢١) البيتان في الديوان ص ٦٤٢.

(٢٢) تقدمت ترجمته.

وقال علي بن محمد العلوي الكوفي:

وَهَيْفَاءَ تَلَحَّظُ عَنْ شَادِنٍ وَتَبْسِيمُ عَنْ زَهْرِ الْأَفْحَوَانِ
وَكَاثُغُصْنِ بَانَ وَجَذَلِ الْعِنَانِ وَمِيَادَةِ الْقُضْبِ الْخَيْرَانِ
تَرَى الشَّمْسَ وَالْبَدْرَ مَعْنَاهُمَا بِهَا وَاجِدًا وَهُمَا مَعْنَيَانِ

وقال آخر:

إِذَا أَحْتَجَبَتْ لَمْ يَكْفِكَ الْبَدْرُ فَقَدْهَا وَتَكْفِيكَ ضَوْءُ الْبَدْرِ إِنْ حُجِبَ الْبَدْرُ
وَحَسْبُكَ مِنْ خَمْرِ بِقُرْبِكَ رَيْقُهَا وَوَاللَّهِ مَا مِنْ رَيْقِهَا حَسْبُكَ الْخَمْرُ

وقال آخر:

هِيَ الْخَمْرُ حُسْنًا وَهِيَ كَالْخَمْرِ رَيْقُهَا وَرِقَّةُ ذَاكَ اللَّوْنِ فِي رِقَّةِ الْخَمْرِ
فَقَدْ جُمِعَتْ فِيهَا خُمُورٌ ثَلَاثَةٌ وَفِي وَاحِدٍ سُكْرٌ يَزِيدُ عَلَى السُّكْرِ

وقال آخر (٢٨):

وَفِي الضَّغْنِ بَيَضاءَ الْعَوَارِضِ طِفْلَةٌ مُبْتَلَةٌ يُضْبِي الْحَلِيمَ آتِسَامُهَا (٢٩)
إِذَا سُمَّتْهَا التَّقْبِيلُ صَدَّتْ وَأَعْرَضَتْ صُدُودُ شَمُوسِ الْخَيْلِ ضَلَّ لِجَامُهَا
وَعَضَّتْ عَلَى إِبْهَامِهَا جِئْنَ أَوْمَاءُتْ أَخَافُ الْعُيُونُ أَنْ تَهَبَّ نِيَامُهَا

وقال الأحمر الطائي (٣٠):

أَلَا مَ عَلَى لَيْلَى وَلَوْ أَنَّ هَامَتِي تَدَاوَى بِلَيْلَى بَعْدَ يَأْسٍ لَبَلَّتْ
بِذِي أَشْرٍ تَجْرِي بِهِ الرِّاحُ أَنُهِلَتْ أَخَاكَ بِهِ بَعْدَ الْعِشَاءِ وَعَلَّتْ
وَتَبْسِيمُ إِيْمَاضِ الْعِمَامَةِ إِنْ سَمَتْ إِلَيْهَا عُيُونُ النَّاسِ حِينَ اسْتَهْلَتْ

(٢٨) نسبت الأبيات إلى المجنون كما في ديوانه ص ٢٤٩ مع اختلاف في الرواية. وهي أيضاً في «الموشى» ص ٥٩، والحماسة البصرية ص ١٧٥.

(٢٩) في «م» و«المطبوع»: وفي الغصن.

(٣٠) نسبت الأبيات إلى المجنون، الديوان ص ٨٧، وهي كذلك في أمالي القالي ٢٣/١ و ١٠٧/٢.

وقال حسان بن ثابت:

يَا لَقَوْمِي هَلْ يَقْتُلُ الْمَرْءَ مِثْلِي وَاهِنُ الْبَطْشِ وَالْعِظَامِ سَوْومُ
شَأْنُهَا الْبَطْرُ وَالْفِرَاشُ وَيَعْلُو هَا لَجَيْنٌ وَلَوْ لَوْ مَنْظُومُ
لَوْ يَدُبُّ الْحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الدَّ رَ عَلَيْهَا لَأَنْدَبَتْهَا الْكُلُومُ (٣١)

وهذا سَرَفٌ شَدِيدٌ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مَأْخُذٌ مِنْ قَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ:

مِنْ الْقَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَوْ أَنَّ مُحَوِّلاً مِنْ الدَّرِّ فَوْقَ أَلْيَتِ مِنْهَا لِأَثَرِ
ولبعض أهل هذا العصر:

نَظَرْتُ إِلَيْهِ نَظْرَةً مُسْتَهَامَ فَأَثَرَ نَاطِرِي فِي وَجْنَتَيْهِ
فَلَا حَظَّنِي وَقَدْ أَثْبَتُ وَجْداً فَأَثَرَ فِي الْفُؤَادِ بِمُقَلَّتَيْهِ

وقال آخر:

فِيكَ لِي فَتْنَتَانِ لَحَظٌ وَلَفْظُ وَعَظَانِي لَوْ كَانَ يَنْفَعُ وَعَظُ
لَكَ وَجْهٌ كَأَنَّهُ رَقَّةُ الْمَاءِ وَقَلْبٌ كَأَنَّهُ الصُّخْرُ فُظُ
أَنْتَ حَظِّي فَمَا يَضُرُّكَ لَوْ كَا نَ لِمَنْ أَنْتَ حَظُّهُ مِنْكَ حَظُ

وقال الوليد بن عبيد الطائي:

أَلَمْعُ بَرَقِ سَرَى أَمْ ضَوْءُ بِضْبَاحٍ أَمْ آتِسَامُهَا بِالْمَنْظَرِ الصَّاحِي
يَا بُؤْسَ نَفْسٍ عَلَيْهَا جَدَّ آسَفَةٍ وَشَجَوَ قَلْبٍ إِلَيْهَا جَدَّ مُرْتَاحٍ
تَهْتَزُّ مِثْلَ اهْتِزَازِ الْغُصْنِ أَتَعَبَهُ مُرُورُ غَيْثٍ مِنَ الْوَسْمِيِّ سَحَاحٍ
أَرْسَلَتْ شُغْلَيْنِ مِنْ لَفْظِ مَحَاسِنِهِ تُرَوِّي الضُّجَيْعَ وَلَحْظِ يُسْكِرُ الصَّاحِي
أُنْبِي عَلَيْكَ بِأَنِّي لَمْ أَخَفْ أَحَدًا يَلْحَى عَلَيْكَ وَمَاذَا يَزْعُمُ الْأَلَاجِي (٣٢)

ولقد أنصف غاية الإنصاف الذي يقول:

فَمَا الشَّمْسُ يَوْمَ الدَّجَنِ وَافَتْ فَأَشْرَفَتْ وَلَا الْبَدْرُ وَافَى أَسْعَدًا لَيْلَةَ الْبَدْرِ

(٣١) الأبيات في الديوان ص ٢٢٦، مع اختلاف في الرواية.

(٣٢) انظر الديوان ص ٤٤٢.

بِأَحْسَنَ مِنْهَا بَلْ تَزِيدُ مَلَاَحَةً عَلَى ذَاكَ أَوْ رَأَيْتِ الْمَجِبَ فَلَا أَدْرِي (٣٣)
وَمُخْتَارُ مَا قَالَتْهُ الشُّعْرَاءُ فِي وَصْفِ الْخَلْقِ وَالْأَخْلَاقِ، أَكْثَرُ مِنْ أَنْ
تَتَضَمَّنَهُ [الْأَوْرَاقُ]، وَفِيمَا ذَكَرْنَا مِنْهُ بَلَغَ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، وَصَفُ الْخَلَائِقِ
وَالْأَفْعَالِ أَسْهَلُ مِنْ وَصْفِ الْخَلْقَةِ بِالْجَمَالِ. وَكِلَاهُمَا دَاخِلٌ فِي مَعْنَى
الدَّلَالَةِ عَلَى الشَّرْكََةِ فِي الْأَحْبَابِ، حَسَبَ مَا تَقَدَّمَ ذَكَرْنَا لَهُ فِي صَدْرِ
هَذَا الْكِتَابِ.

□ □ □

الباب العاشر:

سوء الظن من شدة الضن

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: قَالَ جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ: مَا رَأَيْتُ مُضْعَبًا يَخْتَالُ *
بِالْبَلَاطِ إِلَّا عَرَجَ عَلَى بُيُوتَةٍ وَهِيَ بِالْحَبَابِ وَبَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ.

وقال العباس بن الأحنف:

لَمْ أَلَقْ ذَا شَجْنٍ يَبُوحُ بِحُبِّهِ إِلَّا ظَنَنْتُكَ ذَلِكَ الْمَحْجُوبَا
حَذَرًا عَلَيْكَ وَإِنِّي بِكَ وَاثِقٌ أَلَّا يَنَالَ سِوَايَ مِنْكَ نَصِيبًا^(١)

ولبعض أهل هذا العصر:

أَيَا أَمَلِي هَلْ فِي وَفَائِكَ مَطْمَعُ فَإِنْ يَكْ مَا قَدْ خِفْتَ حَقًّا فَلَا تَعُدْ
فَلَنْ يَسْتَوِيَ مُوفِي الْفُؤَادِ وَعَاذِرُهُ وَإِلَّا فَلَا تَعْتَبْ عَلَيَّ فَإِنَّهُ
فَأَطْلُبُهُ أَمْ قَدْ تَنَاهَتْ أَوَاخِرُهُ إِذَا ظَنَّ قَلْبُ الْمَرْءِ سَاءَتْ خَوَاطِرُهُ

وله أيضاً:

قَسَمْتُ عَلَيْكَ الدَّهْرَ نِصْفًا تَعْتَبَا إِذَا اسْتَيْقَنْتَ نَفْسِي بِأَنْ لَسْتُ عَاذِرًا
لِي الظَّنُّ وَالْإِشْفَاقُ إِلَّا تَرِيًّا فَقَدْ وَالَّذِي لَوْ شَاءَ غَلَبَ وَاحِدًا
لِفِعْلِكَ فِي الْمَاضِي وَنِصْفًا تَرْقُبَا شَكَّكَتُ فَلَا أَدْرِي لِفَرْطِ مَوَدَّتِي
بِيَرِكَ أَمْرَضَنِي يَرِينِيكَ مُذْنِبًا^(٢) وَلَوْ كَانَ قَصْدِي مِنْكَ وَصَلًا أَنَالَهُ
لَقَدْ كُنْتُ لِي أُنْدَى جَنَابًا وَأَخْصَبَا

(١) لم أجِد البيتين في الديوان.

(٢) عجز البيت معدول عن حقيقته، ولا بد أن يكون فيه ضرب من التصحيف أو التحريف.

(٣٣) البيتان نسبا إلى المجنون، انظر الديوان ص ١٦٧. وهما منسوبان إلى الأقرع بن معاذ القشيري في لباب الآداب ص ٤١، مع اختلاف في الرواية.

لَوْ أَذْنُو لَأَقْلَلْتُ الْعِتَابَ وَلَمْ أَرِدْ
وَلَكِنْ بِي ظَنًّا أَبَى أَنْ يُقِيمَنِي
وله أيضاً:

لَقَدْ جَمَعْتُ أَهْوَايَ؟ بَعْدَ شَتَائِهَا
سِوَى خِصْلَةٍ ذَكَرِي رَهِيْنُ بِذِكْرِهَا
وَحَاشَاكَ مِنْهَا غَيْرَ أَنْ أَخَا الْهَوَى

وقال بشار بن برد:

كَأَنَّ فَوَادَهُ كُرَّةٌ تَنْزَى
يُروُّعُنَا السِّرَارُ بِكُلِّ شَيْءٍ

وقال آخر:

وَقَدْ خِفْتُ حَتَّى لَوْ تَطِيرُ حَمَامَةٌ
فَإِنْ قِيلَ خَيْرًا قُلْتُ هَذَا خَدِيعَةٌ

وقال آخر:

تَرَكَتَنِي الْوَشَاةُ نُصَبَ الْمَشِيرِينَ
لَا أَرَى خَالِيَيْنِ لِلسِّرِّ إِلَّا

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاتَّصَلَ بِي أَنَّ دِيكَ الْجِنِّ مِنْ سَفَرٍ لَهُ فَوَجَدَ جَارِيَتَهُ وَقَدْ
كَانَ يَهْوَاهَا عَبْدٌ أَخِيهِ تَسْأَلُهُ عَنْ خَبَرِهِ لِإِبْطَاءِهِ كَانَ عَيْنَهَا فَقَتَلَهَا وَقَتَلَ أُمُّهَا وَقَالَ
فِي ذَلِكَ:

يَا مُهَجَّةً طَلَعَ الْجَمَامُ عَلَيْهَا
حَكَمْتُ سِنِّي فِي مَجَالِ خِنَاقِهَا
وَجَنَى لَهَا ثَمَرَ الرَّدَى بِبَدَيْتِهَا
وَمَدَامِعِي تَجْرِي عَلَى خَدَيْهَا

(٣) لا بد أن تكون كلمة «أهواي» «أهوائي»، وقد عدل عنها ليستقيم الوزن.

(٤) البيتان في الديوان ٢٤٨/٣.

رَوَيْتُ مِنْ دِمِهَا الثَّرَى وَلَطَالَ مَا
فَوَحَى نَعْلَيْهَا وَمَا وَطِئَ الْخَصَى
مَا كَانَ قَتْلَيْهَا لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ
لَكِنْ بَخَلْتُ عَلَى الْعُيُونِ بِلَحْظِهَا
وله أيضاً فيها:

أَشْفَقْتُ أَنْ يَرِدَ الزَّمَانُ بِغَدْرِهِ
قَمَرُ أَنَا اسْتَخْلَصْتُهُ مِنْ دَجْنِهِ
فَقَتَلْتُهُ وَبِهِ عَلَيَّ كَرَامَةٌ
عَهْدِي بِهِ مِتًّا كَأَحْسَنِ نَائِمٍ
لَوْ كَانَ يَذْهَبُ الْمَيِّتُ مَاذَا بَعْدَهُ
غُصَصُ الزَّمَانِ تَقِيطُ مِنْهَا رُوحُهُ

وله أيضاً فيها:

لَيْسَنِي لَمْ أَكُنْ لِسَطْفِكَ مِلْتُ
فَالَّذِي مِنِّي اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ
قَالَ ذُو الْجَهْلِ لِمَ جَهِلْتُ وَلَا أَعُدُّ
لَايْمَ لِي بِجَهْلِهِ وَلِمَاذَا
سَوْفَ آسَى طَوْلَ الْحَيَاةِ وَأَبْكِيكَ
وَهَذَا وَإِنْ سَلِمَ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَغْلُوبًا عَلَى عَقْلِهِ فَظَنُّهُ الظَّنُّ الَّذِي لَا غَايَةَ

(٥) الأبيات في ديوان ديك الجن ص ص ٩٠، ٩١، وجاء في الأغاني ٥٧/١٤: وتروى لغير

ديك الجن، وهي في تزيين الأسواق ص ١٤٦، وفي الكشكول ص ٥٨.

(٦) الأبيات في ديوان ديك الجن ص ٩٢، وهي في العمدة ١٤٩/٢، والأغاني ٥٧/١٤

والكشكول ص ٤٨، مع اختلاف في الرواية.

(٧) ديوان ديك الجن ص ٨٧، وانظر الأغاني ٥٦/١٤، ٥٧ مع اختلاف في الرواية.

بَعْدَهُ وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ آيَسَ مِنْ حَيِّبِهِ بِقَتْلِهِ لَهُ وَهُوَ نَادِمٌ عَلَى فِعْلِهِ بَلْ مُصَوَّبٌ لَهُ وَرَاجِعٌ بِاللُّومِ عَلَى نَفْسِهِ فِيمَا آتَاهُ مِنَ الْعَدْرِ.

وقال آخر:

يَتَعَاتَبَانِ وَيَشْكُوَانِ هَوَاهُمَا
يَتَهَاجِرَانِ بِسُوءِ ظَنِّ فِي الْهَوَى
بِمَذَامِعِ جَلَّتْ عَنِ الْهَمَلَانِ
وَيَقِلُّ صَبْرُهُمَا فَيَضْطَلِحَانِ

وقال آخر:

عَجَلْتُ عَلَى الصَّدِيقِ بِسُوءِ ظَنٍّ
وَأَقْسِمُ صَادِقًا مَا خُنْتُ عَهْدًا
وَمَا كَانَ الَّذِي اسْتَوْحَشْتَ مِنِّي
وَكُنْتُ إِذَا أَتَيْتَكَ كُنْتُ حَسْبِي
فَهَلَّا إِذْ عَتَبْتَ بَحَثْتَ عَنِّي
وَلَمْ تُمْضِ الْحُكُومَةَ بِالتَّجَنِّي
وَعَتَبِ أُمُورِهِ فِي كُلِّ فَنٍّ
وَلَسْتُ بِخَائِنٍ مَا لَمْ تَخْنِي
عَلَى الْمَعْنَى الَّذِي بُلِغْتَ عَنِّي
فَلَمْ يَكْ فِي فَضْلٍ لِلتَّمَنِّي
وَلَمْ تُمْضِ الْحُكُومَةَ بِالتَّجَنِّي

وقال البحتري:

أَعْظَمُ الرَّزْءِ أَنْ تُقَدِّمَ قَبْلِي
حَذَرًا أَنْ تَكُونَ إِلْفًا لِغَيْرِي
وَمِنَ الرَّزْءِ أَنْ تُؤَخَّرَ بَعْدِي
إِذْ تَفَرَّدْتُ بِالْهَوَى فِيكَ وَحْدِي^(٨)

وقال بشار:

نَصَبًا لِعَيْنِكَ لَا تَرَى حَسَنًا
إِنِّي لِأَشْفِقُ أَنْ أَقْدِمَهَا
إِلَّا رَأَيْتَ بِهِ لَهَا شَبَهَا
قَبْلِي وَأَكْرَهُ أَنْ أُؤَخِّرَهَا^(٩)

وقال ماني^(١٠):

جَعَلْتُ عَنَانَ وَدِّي فِي يَدَيْكَ
فَلَمْ أَرِ ذَاكَ يَنْفَعُنِي لَدَيْكَ

وَقَدْ وَاللَّهُ ضَيِّقْتُ فَلَيْتَ رَبِّي
فَلَمْ أَرِ عَاشِقًا لَكَ قَطُّ مِثْلِي
قَضَى أَجْلِي عَلَيَّ وَلَا عَلَيَّكَ
أَغَارُ عَلَيْكَ مِنْ نَظْرِي إِلَيْكَ

وقال:

وَمَا فِي الْأَرْضِ أَشَقَى مِنْ مُجِبِّ
تَرَاهُ بِأَكْبَأَ فِي كُلِّ جَبِينٍ
فَيَبْكِي إِنْ نَأَوْا شَوْقًا إِلَيْهِمْ
فَتَسْخُنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّنَائِي
وَإِنْ وَجَدَ الْهَوَى عَذَبَ الْمَذَاقِ
مَخَافَةَ فُرْقَةٍ أَوْ لِاشْتِيَاقِ
وَيَبْكِي إِنْ دَنَوْا خَوْفَ الْفِرَاقِ
وَتَسْخُنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّلَاقِ

ولهذه المكاره كلها أثمار تلك المَلَاذِ التي قَبَلَهَا. وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ هَوَى
إِنْسَانًا فَإِنَّمَا قُصَارُهُ جِبْنٌ يَهْوَاهُ أَنْ يُعِيدَ نَظْرَهُ إِلَيْهِ فَيَرَوْى مِنْ شَخْصِهِ وَيَسْتَمْتِعَ
مِنْ لَفْظِهِ. فَإِذَا تَهَيَّأَ ذَلِكَ لَهُ أَزْدَادٌ وَجَدَهُ بِهِ أَضْعَافًا عَلَى مَا كَانَ فِي قَلْبِهِ، ثُمَّ
تَدْعُوهُ نَفْسُهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى كَثْرَةِ التَّلَاقِ وَالْمُوَاصَلَةِ، وَتَنْبَسِطُ لِلْمُسَاءَلَةِ
وَالْمُشَاوَرَةِ. وَهُوَ فِي كُلِّ هَذِهِ الْأَحْوَالِ مَشْغُولٌ بِحُطُوطِ نَفْسِهِ، غَيْرَ فَارِغٍ
مَعَهَا لِصَبَابَةِ غَيْرِهِ، بَلْ يُجِبُّ أَنْ يَكُونَ إِلْفُهُ سَمْحًا بِالْمُوَاصَلَةِ لِمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ
يَوَدُّهُ، لِيَكُونَ ذَلِكَ سَبَبًا لَهُ إِلَى مُوَاصَلَتِهِ، وَتَسْهِيلًا لَهُ السَّبِيلَ إِلَى مُعَاشَرَتِهِ. فَإِذَا
تَمَكَّنَ وَدُّهُ مِنْ نَفْسِ مَحْبُوبِهِ، فَاسْتَشْعَرَ الْوَفَاءَ لَهُ، وَدَفَعَ قِيَادَهُ إِلَيْهِ،
فَلَمْ يَعْتَرِضْ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِ عَلَيْهِ، لِكَسْبِهِ ذَلِكَ ضَنًّا بِهِ وَصِيَانَةً لَهُ.

وفي مثل ذلك يقول بعض أهل هذا العصر:

إِذَا أَزْدَادَ رَعِيًا لِلْهَوَى زِدْتُهُ هَوَى
وَضَيْبِي بِهِ مِقْدَارَ هَذَيْنِ يَضْعُفُ
قَفْوَهُ أَمْنِي رَائِدٌ فِي تَخَوُّفِي
وَلَا حَظَّ لِي فِي أَنْ يَزُولَ إِلْتَخَافُ
فَلَا يَتَشَاغَلُ عَادِلٌ بِصَبِيحَتِي
فَمِثْلِي عَلَى إِرْشَادِهِ لَا يُوقِفُ
وَلَا يَرِثُ لِي فِي ذِلَّتِي وَتَوَاضُعِي
فَلِإِنِّي بِهِذَا الدَّلِّ أَزْهَى وَأَشْرَفُ

فَمَا ظَنُّكَ بِتَرَادُفِ حَالَيْنِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا سَبَبٌ لِصَاحِبَتِهَا مَتَى يَكُونُ
انْقِضَاؤُهُمَا؟ أَمْ كَيْفَ يَتَوَهَّمُ زَوَالُهُمَا لَا سَبَبًا وَإِحْدَاهُمَا قَدْ كَانَتْ قُوَّتُهَا فِي

(٨) البيتان في الديوان ص ٥٢٣ مع اختلاف في الرواية.

(٩) انظر ديوان بشار ٢٤٨/٤.

(١٠) سبق التعريف به.

نَفْسِهَا مُنِمَّةٌ لَهَا قَبْلَ أَنْ تَبْدِيَ الْآخَرَى فِي مَعُونَتِهَا؟ فَإِذَا انْتَهَتْ الْحَالُ إِلَى
حَيْثُ وَصَفْنَا، فَرَعَ الْمُحِبُّ حَبِيدٌ مِنَ الْمُطَالِبَةِ بِحُطُوطِ نَفْسِهِ، وَتَشَاغَلَ
بِالْمُطَالِبَةِ بِحُقُوقِ إِلَهِهِ، فَأَيَّفَ لَهُ مِنْ مُعَاشَرَةِ غَيْرِهِ، بَلْ صَانَهُ وَأَشْفَقَ عَلَيْهِ مِنْ
مُخَالَطَتِهِ هَوَاهُ، وَعَادَ إِلَى مَا كَانَ يَحْسِبُ لَهُ بِهِ مَكْرَمَةً مِنْ بَرِّهِ بِهِ، فَجَعَلَهُ عَلَيْهِ
هُجْنَةً وَأَوْهَمَ نَفْسَهُ أَنَّ ذَلِكَ الَّذِي نَالَهُ غَيْرُهُ مَمْنُوعٌ مِنْ كُلِّ مَنْ سَأَلَهُ.
أَلَمْ تَسْمَعْ الَّذِي يَقُولُ:

فَلَا تُكْثِرِي قَوْلًا مَنَحْتُكَ وَدُنَا فَقَوْلُكَ هَذَا فِي الْفَوَادِ مُرِيبٌ
تَعْدِينَ مَا أَوْلَيْتَنِي مِنْكَ نَائِلًا وَلِلْقَابِسِ الْعَجَلَانِ فِيكَ نَصِيبٌ

وفي نحو هذا المعنى يقول الآخر:

نَمَتَّعَ بِهَا مَا سَاعَفْتُكَ وَلَا تَكُنْ عَلَيْكَ شَجَاً تُؤْذِيكَ حِينَ تَبِينُ
وَإِنْ هِيَ أَعْطَتْكَ أَلْيَانَ فَإِنَّهَا لِأَخِرَ مِنْ خُلَانِهَا سَتَلِينَ
فَحَبِيدٌ يَظُنُّ الْمُحِبُّ مَا لَا يَخْشَاهُ وَيَتَمَنَّى مَا لَا يَهْوَاهُ وَيَفْسُدُ عَلَيْهِ أَمْرُ دِينِهِ
وَدُنْيَاهُ وَهَذِهِ حَالُ الْوَلَةِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ.

وقال بعض الأدباء في نحو ذلك:

يُسِيءُ مِنْ كَثْرَةِ الظَّنِّ الظُّنُونُ بِهَا حَتَّى يَظُنُّ ظُنُونًا لَيْسَ يَخْشَاهَا
وَمَرْتَبَةُ الْعِشْقِ الَّتِي هِيَ فِي هَذَا الطَّرِيقِ إِلَى الْمَرْتَبَةِ تُوجِبُ عَلَى
الْمُحِبِّ طَاعَةَ الْمُحِبُّوبِ فِي كُلِّ مَا أَحَبَّهُ، حَتَّى لَا يَنْصَبِي لَهُ أَمْرًا وَلَا يَقْضِي لَهُ
فِعْلًا.

وفي مثل ذلك يقول بعضهم:

كُلُّ شَيْءٍ مِنْكَ فِي عَيْنِي حَسَنٌ وَنَصِيبِي مِنْكَ هَمٌّ وَحَزَنٌ

ويقول الآخر:

صَمِمْتُ عَنِ الْأَصْوَاتِ مِنْ غَيْرِ وَقَرَّةٍ وَإِنِّي لِأَذْنَى صَوْتِهَا لَسَمِيعٌ

شَفِيعِي إِلَيْهَا قَلْبُهَا إِنْ تَعَتَّبْتُ وَقَلْبِي لَهَا فِيمَا عَتَبْتُ شَفِيعُ
وَقَدْ ظَفِرْتُ مِنِّي بِسَمْعٍ وَطَاعَةٍ وَكُلُّ مُحِبٍّ سَامِعٌ وَمُطِيعٌ

ويقول الآخر:

يَقْرُ بِعَيْنِي مَا يَقْرُ بِعَيْنِهَا وَأَحْسَنُ شَيْءٍ مَا بِهِ أَلْعَيْنُ قَرَّتْ
كَأَنِّي أَنَادِي صَخْرَةً جِئْتُ أَعْرَضْتُ مِنَ الصَّمِّ لَوْ تَمَشَّى بِهَا الْعَصَمُ زَلَّتْ
صَفُوحٌ فَمَا تَلَقَّاكَ إِلَّا بِخَيْلَةٍ فَمَنْ مَلَّ مِنْهَا ذَلِكَ أَلْوَصَلُ مَلَّتْ (١١)

وَبَلَّغَنِي عَنِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ (*) الْكَاتِبِ أَنَّهُ قَالَ: أَمَا أَنَا فَإِذَا أَحْبَبْتُ
إِنْسَانًا نَظَرْتُ إِلَى فِعْلِهِ فَفَعَلْتُ مِثْلَهُ، فَإِنَّهُ إِنْ أَبْغَضَنِي أَبْغَضَ نَفْسَهُ، فَإِذَا
أَبْتَدَأَ أَهْلُ الْعِشْقِ يَرْتَفِعُونَ عَنْ هَذِهِ الْحَالِ، تَكْشِفُ لَهُمْ عَوَارِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ
حَالًا بَعْدَ حَالٍ.

ففي مثل ذلك يقول أبو عبادة البحتري:

يُرَيْبُنِي الشَّيْءُ تَأْتِي بِهِ وَأَكْبَرُ قَدْرِكَ أَنْ أَسْتَرِيبَا
وَأَكْرَهُ أَنْ أَتَعَادَى عَلَى سَبِيلِ اغْتِرَارٍ فَأَلْقَى شُعُوبَا
وَلَا بُدَّ مِنْ لَوْمَةٍ أَنْتَجِي عَلَيْكَ بِهَا مُخْطِئًا أَوْ مُصِيبَا
سَأَصْبِرُ حَتَّى أَلَاقِي رِضَاكَ إِمَّا بَعِيدًا وَإِمَّا قَرِيبَا
أَرَأَيْتَ رَأْيَكَ حَتَّى يَصِحَّ وَأَنْظُرُ عَطْفَكَ حَتَّى يَثُوبَا (١٢)

ولبعض أهل هذا العصر في هذا المعنى:

بَدَأْتُ بِمَوْعِدٍ وَرَجَعْتُ عَنْهُ وَكُنْتُ أَعْدُ وَعَدَّكَ مِنْ عَطَائِكَ

(١١) هذه الأبيات لكثير، وليس في الديوان البيت الأول، ولكنه ورد في حاشية ص ١٠٧
وقد وردت الأبيات في الأغاني ١١٠/١٦، وهي في الأغاني ٢٧٧/١ منسوبة إلى
الأحوص. والبيت الثاني والثالث في الديوان ص ص ٩٧، ٩٨.

(*) لعله الحسن بن وهب الكاتب وذلك لأن الحسن بن سهل وزير ولم يشتهر بالكتابة.

(١٢) انظر الديوان ص ١٥٢.

وَلَمْ تَزَلِ الْخَوَاطِرُ عَنْكَ تُنْبِي
فَلَوْ كَانَتْ عُهْدُكَ لَمْ تُغَيِّرْ
وَقَيْتَ بِمَا ابْتَدَأْتَ بِهِ وَلَكِنْ
فَإِنْ تَكُ قَدْ نَدِمْتَ عَلَى أَصْطِفَائِي
وَإِنْ تَكُ لَمْ تُخِنْ فَلَايَ شَيْءٍ
تَغَيِّرَ مَا عَهِدْنَا مِنْ إِحَاثِكَ

وله أيضاً في نحو ذلك:

أَمِنْتُ عَلَيْكَ صَرْفَ الذَّهْرِ حَتَّى
وَجَسَّرَنِي وَقَاؤُكَ لِي إِلَى أَنْ
فَجِثَّتْكَ شَاكِرًا وَأَقْلَّ حَقِّي
وَحَسْبُكَ رُبَّةٌ لَكَ مِنْ صَدِيقٍ
أَتَاكَ بِعَاتِبٍ فِي زِيٍّ شَاكِرٍ
إِذَا أَحْسَنْتَ أَنْ أَلْقَاكَ عَاذِرٍ
أَنَاخَ بِغَدْرِهِ مَا لَمْ أَحَاذِرِ
أَذَاقَنِي الرَّدَى غُبُ الَّتَجَاسُرِ
أَتَاكَ بِعَاتِبٍ فِي زِيٍّ شَاكِرٍ

ولغيره في نحوه أيضاً:

[و] كَذَبْتُ طَرْفِي عَنْكَ وَالطَّرْفُ صَادِقٌ
فَلَا كَمَدٌ يَبْلَى وَلَا لَكَ رَحْمَةٌ
وَلَمْ أَسْكُنِ الْأَرْضَ الَّتِي تَسْكُنُهَا
وَأَسْمَعْتُ أُذُنِي مِنْكَ مَا لَيْسَ يُسْمَعُ
وَلَا عَنْكَ إِقْصَارٌ وَلَا فِيكَ مَطْمَعُ
لَيْلًا يَقُولُوا صَابِرُ لَيْسَ يَجْزَعُ (١٣)

وَرُبَّمَا ضَعُفَ الْخَارِجُ عَنْ حَالِ الْعِشْقِ الَّتِي تُوجِبُ طَاعَةَ الْمُحِبُّوبِ
عَلَى الْمُحِبِّ، إِلَى حَالَةِ الْوَلَهِ الَّتِي تُوجِبُ الْإِعْتِرَاضَ عَلَيْهِ، لِفَرْطِ الْمِيلِ مِنْهُ
إِلَيْهِ فَيَرْجِعُ مِنْ قَرِيبٍ، وَيُنْقَادُ صَاحِرًا إِلَى كُلِّ مَا يُرِيدُهُ الْمُحِبُّوبُ.

وفي مثل ذلك يقول بعض أهل هذا العصر:

عَلَامٌ وَقَدْ أَذَبَتْ الْقَلْبَ شَوْقًا تَصُدُّ وَقَدْ عَزَمْتَ عَلَى آرْتِحَالِ
وَلَمْ أَكُ قَبْلَ ذَلِكَ أَتَيْتُ ذَنْبًا سِوَى أُنْبِي نَهَيْتُكَ عَنْ خِصَالِ

(١٣) تقدمت هذه الأبيات، وقد أشرت إلى أنها من الشعر المغنّى في عصرنا، وجاء في نص ما عني منه: «فلا كبدي تبلى...».

أَرَدْتُ بِذَاكَ أَنْ تُدْعَى رَشِيدًا
وَأَلَّا تُبْتَلَى بِدَنِيءٍ قَوْمِ
فَيَسْمَعَهُ الْمُصَادِقُ وَالْمُعَادِي
وَمَا كُلُّ يُصَدِّقُ فِيكَ قَوْلِي
فَصُنْ نَفْسًا عَلَيَّ أَعَزَّ مِنِّي
وَأَيِّقِنْ أَنَّنِي لَمْ أَتْ ذَنْبًا
تَجِدْنِي رَاضِيًا بِهَوَاكَ طَوْعًا
فَوَاللَّهِ الْعَظِيمِ لَوْ أَنَّ قَلْبِي
أَقْلَبْنِي تَدَخَّرَ فِي الْحَشْرِ أَجْرًا
إِذَا أَتَضَّحَ الْمَعَارِفُ بِالْمَقَالِ
فَيُكْثَرُ فِيكَ مِنْ قِيلٍ وَقَالَ
فَتَنْدَمَ عِنْدَ مُفْتَخِرِ الرِّجَالِ
فَكُنْتَ تَكُونُ فَوْقَ ذُرَى الْمَعَالِي
وَقَالَكَ السُّوءُ أَهْلِي ثُمَّ مَالِي
وَدُونَكَ مَا هَوَيْتُ مِنَ الْفَعَالِ
لَأْمُرِكَ فِي الْحَرَامِ وَفِي الْحَلَالِ
عَصَاكَ هَمَمْتُ عَنْهُ بِاتِّقَالِ
إِذَا أَحْتَاجَ الْمُقِيلُ إِلَى الْمَقَالِ

وَالْعَاشِقُ مَا دَامَتْ حَالُ الْعِشْقِ مَالِكَةً يَتَوَهَّمُ أَلَّا غَايَةَ بَعْدَهَا وَلَا رُبَّةَ
فَوْقَهَا. وَيَرَى أَنَّ اعْتِرَاضَ الْمُحِبِّ عَلَى مُحِبُّوبِهِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ نَقْصٍ (١٤) حَالِهِ
فِي قَلْبِهِ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ بِحَيْثُ عَلَا بَلْ هُوَ بِضِدِّهِ.

ولقد أحسن علي بن الرومي وقوله:

بَا أَحْيِ أَيْنَ رَيْعُ ذَاكَ آخَاءِ أَيْنَ مَا كَانَ بَيْنَنَا مِنْ صَفَاءِ
أَنْتَ عَيْنِي وَلَيْسَ مِنْ حَقِّ عَيْنِي طَبَقُ أَجْفَانِهَا عَلَى الْأَقْدَاءِ (١٥)

□ □ □

(١٤) في «م» والمطبوع: نقض.

(١٥) البيتان من قصيدة في الديوان ٦٤/١، ٦٦.

مَنْ وَفَى لَهُ الْحَبِيبُ هَانَ عَلَيْهِ الرَّقِيبُ

وَأِنَّمَا يَغْلُظُ أَمْرُ الرَّقِيبِ عَلَى مَنْ لَمْ يُمْتَحَنَ بِمَفَارِقَةِ الْحَبِيبِ. فَأَمَّا مَنْ غَلَبَهُ الْفِرَاقُ وَمَلَكَهُ الْإِسْفَاقُ، وَأَذَاعَ سِرَّهُ الْأَشْتِيَاقُ قَلَّ أَكْثَرَاتُهُ بِمَنْ يَرْتَقِيهِ. بَلْ سَهَّلَ عَلَيْهِ الْأَلْيَافُ مَنْ يُحِبُّهُ إِذَا وَثِقَ بِقُرْبِهِ مِنْهُ، وَأَمِنَ مِنْ إِعْرَاضِهِ عَنْهُ. وَرُبَّمَا كَانَتْ غَيَّةَ الْحَبِيبِ أَيْسَرُ مِنْ حُضُورِهِ مَعَ الرَّقِيبِ، وَهَذَا شَيْءٌ تَخْتَلِفُ فِيهِ الْأَرَءَاءُ، عَلَى حَسَبِ غَلَبَاتِ الْأَهْوَاءِ.

قال ابن الدمينية:

يَقُولُونَ قَصَرَ عَنْ هَوَاهَا فَقَدْ وَعَتْ
وَمَا إِنَّ تَبَالِي سُخْطَ مَنْ لَا تَجِبُهُ
ضَعَائِنَ شُبَّانٍ عَلَيْكَ وَشَيْبُ
إِذَا نَصَحْتَ مِمَّنْ تُحِبُّ جُيُوبُ^(١)

وقال أبو تمام الطائي:

مَا شِئْتُ مِنْ مَنْطِقِ أَدِيبٍ
لَمَّا رَأَى رَقَبَةَ الْأَعَاذِي
فِيهِ وَمِنْ مَنْظَرِ أَرِيبٍ
عَلَى مُعْنَى بِهِ كَيْبٍ
جَرَدَ لِي مِنْ هَوَاهُ نُصْحًا
صَارَ رَقِيبًا عَلَى الرَّقِيبِ^(٢)

وقال أيضاً:

مِنْ قَطْعِ الْأَفَاطِلِ تَوْصِيلُ مَهْلَكَتِي
رُزِقْتُ رِقَةً قَلْبٍ مِنْهُ نَغْصَهَا
وَوَصَلَ الْحَاطِلِ تَقْطِيعُ أَنْفَاسِي
مُنْغَصٌ مِنْ رَقِيبٍ قَلْبُهُ قَاسِي^(٣)

(١) البيتان من قصيدة في الديوان ص ١١٤، ١١٥ مع اختلاف في الرواية.

(٢) الأبيات في الديوان ١٦٣/٤.

(٣) البيتان في الديوان ٢١٦/٤.

وقال بعض الفصحاء:

طَلَعَ وَلَكِنَّا نَرَى الْحَدَّ
يَمْنَعُنَا أَنْ نَسْتَظِلَّ
يَاتِ رُقْطًا فِي خِلَالِهِ
مَنْ الْهَوَاجِرِ فِي ظِلَالِهِ

وقال الأخطل:

وَلَيْسَ الْقَدَى بِالْعُودِ يَسْقُطُ فِي الْإِنَا
وَلَكِنْ شَخْصًا لَا نَسُرُّ بِقُرْبِهِ
وَلَا بِذُبَابِ خَطْبِهِ أَيْسَرُ الْأَمْرِ
رَمَتْنَا بِهِ الْأَزْمَانُ مِنْ حَيْثُ لَا نَذَرِي^(٤)

وأشدد أعرابي بالبادية:

أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ وَارِدًا
وَلَا آتِيًا وَحْدِي وَلَا بِجَمَاعَةٍ
مِيَاهَ الْجَمَى إِلَّا عَلَيَّ رَقِيبُ
مِنْ النَّاسِ إِلَّا قِيلَ ذَاكَ مُرِيبُ
أَحِبُّ ظَبَاءَ الْوَادِيَيْنِ وَإِنِّي
أُمِيمٌ أَحْفَظِي عَهْدَ الْهَوَى لَا يَزُلْ لَنَا
عَنِ النَّأْيِ وَالْهَجْرَانِ مِنْكَ نَصِيبُ
أَمَّا سَاعَةٌ إِلَّا عَلَيْكَ رَقِيبُ^(٥)

وقال آخر:

صَغِيرٌ يَصِيرُ بِالَا كَثِيرٌ مُجْرَبٌ
أَوْ آخِرُ يَوْمِي بِالظُّنُونِ أَرِيبُ^(٦)

وقال آخر:

وَإِنِّي لَأَتِي الْبَيْتَ أَبْغِضُ أَهْلَهُ
تَطِيبُ لِي الدُّنْيَا مِرَارًا وَإِنَّهَا
وَأَكْثَرُ هَجَرَ الْبَيْتِ وَهُوَ حَبِيبُ
لَتَحُبُّ حَتَّى مَا تَكَادُ تَطِيبُ

(٤) ورد البيتان في أخبار الأخطل التي جمعها أنطون صالحاني في ديوان الأخطل.

(٥) هذه الأبيات نسبت إلى المجنون كما في الديوان ص ٥٠، وهي في الأغاني ٦٣/٢ والسقط ص ٨٥ وأمالى القالي ٢٠٣/١ و٤٠/٢ وشرح المروزني ص ١٣٦٤. وهي لابن الدمينية. كما في ديوانه. ونسبت لابن الطشيرة كما في مجموع شعره ص ٦١، ٦٢.

(٦) كذا ورد صدر البيت في «م» والمطبوع، ولعله: صغير يصير بالكثير مجرب.

وَأَعْرِضْ عَنْ أَشْيَاءِ مِنْكَ تُرِيْبِي

وَأَنشَدَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ:

حَبِيبِي حَبِيبٌ يَكْتُمُ النَّاسَ أَنَّهُ
يُبَاعِدُنِي فِي الْمُلْتَقَى وَفُؤَادُهُ
وَيُعْرِضُ عَنِّي [وَالْهَوَى مِنْهُ مُقْبِلٌ]
فَتَحَرَّسَ مِنَّا أَلْسُنٌ حِينَ نَلْتَقِي

وله أيضاً:

إِذَا مَا التَّقِينَا وَالْوُشَاةَ بِمَجْلِسٍ
فَإِنْ غَفَلَ الْوَاشُونَ فُزْتُ بِنَظَرَةٍ
أَسَارِقُ مَوْلَاهَا السُّرُورَ بِقُرْبِهَا

وقال آخر:

إِذَا غَفَلُوا عَنَّا نَطَقْنَا بِأَعْيُنٍ
شَكَا بَعْضُنَا لَمَّا التَّقِينَا تَسْتَرًّا

وقال مسلم بن الوليد:

جَعَلْنَا عَلَامَاتِ الْمَوَدَّةِ بَيْنَنَا
فَأَعْرِفْ مِنْهَا الْوَصْلَ فِي لَيْلٍ طَرَفِهَا

وَأَنشَدَنَا ابْنُ أَبِي طَاهِرٍ لِأَبِي تَمَامٍ:

أَزُورُ مُحَمَّدًا وَإِذَا التَّقِينَا
فَأَرْجِعْ لَمْ أَلْمَهُ وَلَمْ يَلْمَنِي

وَأَدْعَى إِلَى مَا نَابَكُمْ فَأُجِيبُ^(٧)

لَنَا حِينَ تَرْمِينَا الْعُيُونُ حَبِيبُ
وَإِنْ هُوَ أَبْدَى لِي الْبِعَادَ قَرِيبُ
إِذَا خَافَ عَيْنًا أَوْ أَنَارَ رَقِيبُ
وَتَنَطَّقُ مِنَّا أَعْيُنٌ وَقُلُوبُ

فَلَيْسَ لَنَا رُسُلٌ سِوَى الطَّرَفِ بِالطَّرَفِ
وَإِنْ نَظَرُوا نَحْوِي نَظَرْتُ إِلَى السَّقْفِ
وَأَهْجُرُ أَحْيَانًا وَفِي هَجْرِهِمْ حَتْفِي

مِرَاضٍ وَإِنْ خِفْنَا نَظَرْنَا إِلَى الْأَرْضِ
بِأَبْصَارِنَا مَا فِي النُّفُوسِ إِلَى بَعْضِ

دَقَائِقَ لَحْظٍ هُنَّ أَخْفَى مِنَ السَّحْرِ
وَأَعْرِفْ مِنْهَا الْهَجَرَ بِالنَّظَرِ الشَّرِّ^(٨)

تَكَلَّمْتُ الضَّمَائِرُ فِي الصُّدُورِ
وَقَدْ فَهِمَ الضَّمِيرُ مِنَ الضَّمِيرِ^(٩)

وقال آخر:

إِذَا نَحْنُ خِفْنَا الْكَاشِحِينَ فَلَمْ نَطِقْ
فَنَقْضِي وَلَمْ يُعْلَمْ بِنَا كُلِّ حَاجَةٍ
وَلَمْ نَظْهِرِ الشُّكُورَى وَلَمْ نَهْتِكِ السِّتْرَا
وَلَوْ قَذَفْتَ أَحْشَاؤُنَا مَا تَضَمَّنْتَ
مِنْ الْوَجْدِ وَالْبَلَوَى إِذَنْ قَذَفْتَ جَمْرًا

صَاحِبُ هَذَا الشَّعْرِ الْبَائِسُ مُغْتَرٌّ بِالزَّمَانِ، جَاهِلٌ بِصُرُوفِ الْأَيَّامِ، يَتَبَرَّمُ
بِالرَّقِيبِ مَعَ مُشَاهَدَةِ الْحَبِيبِ. وَهُوَ لَا يَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْحَالَ، تَنْقَاصُ عَنْهَا
الْأَمَالُ، وَتَنْقَطِعُ دُونَهَا الْأَجَالُ. وَلَكِنْ مَنْ لَمْ يَنْكُبْهُ الْفِرَاقُ وَلَا أَلْهَجُرُ،
وَلَمْ يَعْتَزْضِ إِلَى الْخِيَانَةِ وَالْغَدْرِ، حَسِبَ أَنَّ الرَّقِيبَ هُوَ مُتَهَيِّ كَيْدِ الدَّهْرِ،
وَعَلَى أَنَّهُ قَدْ أَمْتَحَنَ بِمَا لَا يَقُومُ لَهُ الصَّبْرُ.

وقد قال بعض أهل هذا العصر:

لَيْتَ كَانَ الرَّقِيبُ بَلَاءَ قَوْمٍ
حِجَابُ الْإِلْفِ أَيْسَرُ مِنْ نَوَاهِ
وَلَا وَأَيْسَرَ مَا عَايَنْتُ شَيْئًا
أَشَدَّ مِنَ الْفِرَاقِ عَلَى الْقُلُوبِ

وقال آخر:

أَشَارَتْ بِعَيْنَيْهَا إِشَارَةً خَائِفِي
فَرَدَّ عَلَيْهَا الطَّرْفُ مِنِّي سَلَامَهَا
وَأَوَمَّتْ إِلَى طَرَفِي يَقُولُ لِطَرَفِهَا
فَلَوْ سُئِلْتُ أَلْحَاطُنَا عَنْ قُلُوبِنَا
وَمَا هَكَذَا إِلَّا عُيُونُ ذَوِي الْهَوَى

وقال آخر:

وَقَفْنَا فَلَوْلَا أَنَّنَا رَاعَنَا الْهَوَى
لَهَتَّكَأ عِنْدَ الرَّقِيبِ نَحِيبُ

(٧) أقول لعلها من بائية ابن الدمينية المشهورة التي تقدمت قبل قليل.

(٨) البيتان في ديوان مسلم بن الوليد ص ١٠٥ مع اختلاف في الرواية.

(٩) لم أجد البيتين في الديوان.

(١٠) كذا في «م» وأما في المطبوع فقد جاء: للاديب.

وَفِي دُونِ مَا نَلَقَاهُ مِنْ أَلَمِ الْهَوَى
وَلَمَّا نَظَرْنَا بِالرَّقِيبِ وَلَحْظِهِ
صَدَدْنَا وَكُلُّ قَدْ طَوَى تَحْتَ صَدْرِهِ

وقال آخر:

إِذَا مَا أَلْتَقَيْنَا وَالْوُشَاءَ بِمَجْلِسِ
وَتَحْتَ مَجَارِي الصَّدْرِ مِنْ مَوْدَةٍ

وأنشد ابن أبي طاهر:

إِذَا خِفْنَا مِنَ الرُّقْبَاءِ عَيْنًا
وَفِي غَمَزِ الْحَوَاجِبِ مُسْتَرَاخٍ

وقال آخر:

وَمُرَاقِبِينَ يُكَاتِمَانِ هَوَاهِمَا
بِتَلَاخِظَانِ تَلَاخُظًا فَكَأَنَّمَا

وأنشد ابن أبي طاهر:

عَرَفْتُ بِالسَّلَامِ عَيْنَ الرَّقِيبِ
وَشَكَتْ لَوَعَةَ النَّوَى بِجُفُونِ
رُبَّ طَرْفٍ يَكُونُ أَفْصَحَ مِنْ لَفْظٍ

وقال آخر:

وَإِذَا أَلْتَقَيْنَا وَالْعُيُونُ رَوَامِقُ
تَشْكُو فَأَفْهَمُ مَا تَقُولُ بِطَرْفِهَا

تُشَقُّ جُيُوبٌ بَلْ تُشَقُّ قُلُوبُ
وَلَحْظِي عَلَى لَحْظِ الرَّقِيبِ رَقِيبُ
فَوَإِذَا لَهُ بَيْنَ الضُّلُوعِ وَجِيبُ

فَأَلْسُنُنَا حَرْبٌ وَأَعْيُنُنَا سِلْمُ
تَطْلُعُ سِرًّا حَيْثُ لَا يَذْهَبُ الْوَهْمُ

تَكَلَّمْتُ الْعُيُونُ عَنِ الْقُلُوبِ
لِحَاجَاتِ الْمُحِبِّ إِلَى الْحَبِيبِ^(١١)

جَعَلَا الصُّدُورَ لِمَا تَجِنُّ قُبُورًا
يَتَنَاسَخَانِ مِنَ الْجُفُونِ سُطُورًا

وَأَشَارَتْ بِلَحْظِ طَرْفٍ مُرِيبِ
أَعْرَبَتْ عَنْ لِسَانِ قَلْبٍ كَثِيبِ
ظِ وَأَبْدَى لِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ

صَمَتِ اللَّسَانُ وَطَرْفُهَا يَتَكَلَّمُ
وَيَرُدُّ طَرْفِي مِثْلَ ذَلِكَ فَتَفْهَمُ

وأنشدني ابن أبي طاهر:

كَتَبْتُ إِلَى الْحَبِيبِ بِكُسْرِ عَيْنِي
كِتَابًا لَيْسَ يَقْرَأُهُ سِوَاهُ
فَأَخْبَرَنِي تَوَرُّدُ وَجَنَّتِيهِ
وَكُسْرُ جُفُونِهِ أَنْ قَدْ قَرَأَهُ

وأنشدني أيضاً لنفسه:

لَقَدْ عَرَّضَ بِالْحُبِّ كَمَا عَرَّضْتُ بِالْحُبِّ
وَكَانَتْ أَعْيُنُ رُسُلًا مَكَانَ الرُّسُلِ بِالْكُتُبِ
عُيُونٌ تَنْقُلُ الْأَسْرَارَ مِنْ قَلْبٍ إِلَى قَلْبٍ

وقال آخر:

إِذَا نَظَرْتُ طَرْفِي تَكَلَّمَ طَرْفُهَا
فَكَمْ نَظَرَةٌ مِنْهَا تُخَيِّرُ بِالرِّضَا
وَجَاوَبَهُ طَرْفِي وَنَحْنُ سُكُوتُ
وَأُخْرَى لَهَا نَفْسِي تَكَادُ تَمُوتُ^(١٢)

وأنشدني ابن أبي طاهر:

وَمَلَاخِظِ سَرَقِ السَّلَامِ بِطَرْفِهِ
رَاجِعُهُ بِلِسَانِ طَرْفٍ نَاطِقِ
خَذَرَ الْعُيُونِ وَرَقِيبَةَ لِلْحَارِسِ
يُخْفِي أَلْيَانَ عَلَى الرَّقِيبِ الْجَالِسِ
نُخْفِي وَفَازَ مُجَالِسُ بِمُجَالِسِ
فَتَكَلَّمْتُ مِنْهُ الصَّمَائِرُ بِالَّذِي

وقال الطرماح:

كَأَنَّ لَمْ يَرُوعَكَ الظَّاعِنُونَ بَيْنَهُمْ
بُرَاقِبِينَ أَبْصَارَ الْغِيَارَى بِأَعْيُنِ
بَلَى إِنَّ بَيْنَ الظَّاعِنِينَ نَزُوعُ
حَوَازِرَ مَا تَجْرِي لَهُنَّ دُمُوعُ^(١٣)

وقال آخر:

أَشَارَتْ بِطَرْفِ الْعَيْنِ خَيْفَةَ أَهْلِهَا
فَأَيَقَنْتُ أَنَّ الطَّرْفَ قَدْ قَالَ مَرْحَبًا
إِشَارَةَ مَحْزُونٍ وَلَمْ تَتَكَلَّمْ
وَأَهْلًا وَسَهْلًا بِالْحَبِيبِ الْمُتَمِّمِ^(١٤)

(١٢) البيتان في شعر المجنون مع اختلاف في الرواية، انظر ديوان المجنون ص ٨٤.

(١٣) البيتان في الديوان ص ص ٢٩٠، ٢٩١ مع اختلاف في الرواية.

(١٤) البيتان في شعر المجنون مع اختلاف في الرواية، انظر الديوان ص ٢٥٥.

(١١) ورد البيتان في شعر المجنون، انظر الديوان ص ٨١.

وأنشدني ابن أبي طاهر:
أَلَا حِظُّهَا خَوْفَ الْمُرَاقِبِ لَحْظَةً
فَتَفْهَمُهُ عَنْ لَحْظِ عَيْنِي بِقَلْبِهَا

وله أيضاً:

تُحَدِّثُنَا الْأَبْصَارُ مَا فِي قُلُوبِنَا
عَلَامَاتُنَا مَكْتُوبَةٌ فِي جِبَاهِنَا

وقال آخر:

بَنَانٌ يَدُّ تُشِيرُ إِلَى بَنَانٍ
جَرَى الْإِيْمَاءُ بَيْنَهُمَا رَسُولًا

وأنشدني ابن أبي طاهر:

يُكَلِّمُهَا طَرْفِي فَتُؤْمِي بِطَرْفِهَا
فَإِنْ نَظَرَ الْوَأَشُونَ صَدَّتْ وَأَعْرَضَتْ

وقال بعض الأعراب:

فَلَمَّا أَدْرَكْنَا رَاعَهُنَّ مُنَادِيًا
فَنَارَعْنَنَا وَحِيًّا خَفِيًّا كَأَنَّهُ
يُوحِي لَوَآنَ الْعُصْمِ تَسْمَعُ رَجْعَهُ

وأنشدنا ابن أبي طاهر:

وَمَيِّ وَمَيِّهَا أَتْنَانِ قَلْبٌ وَمُقَلَّةٌ
وَطَرْفِي لَهَا عَمَّا بِقَلْبِي مِنَ الْهَوَى

وقال آخر:

يُكَلِّمُ طَرْفِي طَرْفَهَا حِينَ نَلْتَقِي
وَإِنْ كَانَ فِينَا لِلْعِتَابِ صُدُودُ

فَأَشْكُو بِطَرْفِي مَا بِقَلْبِي مِنَ الْوَجْدِ
فَتُؤْمِي بِطَرْفِ الْعَيْنِ آتِي عَلَى الْعَهْدِ

فَنَنْغِي بِهَا عَمَّا يُرَدِّدُ فِي الْكُتُبِ
حَيَّيَانِ مَوْفُوفَانِ فِي سُبُلِ الْحُبِّ

تُجَاوِبُنَا وَمَا يَتَكَلَّمَانِ
فَأَعْرَبَ وَحْيَهُ الْمُتَنَاجِيَانِ

فَتُخْبِرُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ مِنَ الْوَجْدِ
وَإِنْ غَفِلُوا قَالَتْ أَلَسْتُ عَلَى الْعَهْدِ

كَمَا رَاعَ خَيْلًا مِنْ لَجَامٍ صَلَاحِلُهُ
[جَنَى] الْمُجْتَنِي الرِّيحَانَ أَمْرَعُ حَاصِلُهُ
لَقَضِيقُصٍّ مِنْ أَعْلَى إِبَانٍ حَوَافِلُهُ

مَرِيضَانِ مَغْبُوطٌ وَآخِرُ يَرْحَمُ
إِذَا لَمْ أَطِقْ شَكْوَى إِلَيْهَا مُتَرْجِمُ

فَإِنْ نَحْنُ صِرْنَا لِلْفِرَاقِ تَلَاخُظْتُ
لَنَا بِهَوَانَا أَعْيُنٌ وَخُدُودُ
فَنَحْنُ كَأَنَّا بِالْقُلُوبِ وَذِكْرِهَا
إِذَا مَا أَفْتَرَقْنَا حَاضِرُونَ شُهُودُ
وقال الراعي:

يُنَاجِيَنَا وَالطَّرْفُ دُونَ حَدِيثِنَا

وَيَقْضِيَنَّ حَاجَاتِي وَهَنْ حَاجَاتٍ وَهَنْ مَوَازِحُ
فَلَمَّا تَقَرَّقْنَا شَجِينٍ بِعَبْرَةٍ
وَزُوْدُنَا شَوْقًا وَهَنْ فَوَاضِحُ
فَوَيْلُ آمِهَا مِنْ خُلَّةٍ لَوْ تَنَكَّرَتْ
لَأَعْدَانِنَا أَوْ صَالَحَتْ مَنْ تُصَالِحُ (١٥)

وقال آخر:

قَفِي أَخْبِرْنِي ثُمَّ حُكْمُكَ وَاجِبُ
عَلَيَّ إِذَا خَبَّرْتَ مَا أَنَا سَائِلُ
مَتَى أَنَا نَاجٍ يَا قَتُولَ فَأَوْمَاتُ
بِطَرْفٍ كَفَى رَجَعَ الَّذِي أَنَا قَائِلُ

وقال آخر:

أَلَا حَبِذَا الدَّهْنَا وَطِيبُ تُرَابِهَا
وَأَرْضُ خَلَاءٍ يَصْدَعُ اللَّيْلُ هَامُهَا
وَنَصُّ الْمَهَارِي بِالْعَشِيَّاتِ وَالضُّحَى
إِلَى بَقَرٍ وَحْيٍ أَلْعِيُونِ كَلَامُهَا (١٦)

وأنشدني أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر (١٧):

إِشَارَةٌ أَفْوَهِ وَغَمَزُ حَوَاجِبِ
وَتَكْسِيرُ أَجْفَانٍ وَكَفُّ تُسْلِمُ
وَأَلْسُنُنَا مَعْقُودَةٌ عَنْ شَكَايَتِنَا
وَأَبْصَارُنَا عَنْهَا الصَّبَابَاتِ نَفْهَمُ

وقال الوليد بن عبيد الطائي (١٨):

يَتَبَسَّمَنَّ مِنْ وَرَاءِ حَوَاشِي الرِّبِّ
حِطِّ عَنْ بَرْدِ أَقْحُوَانِ الثُّغُورِ

(١٥) الأبيات في ديوان الراعي ص ص ٤٧، ٤٨. وهما كما أشار جامع الديوان من قصيدة عدتها ٤٤ بيتاً في «منتهى الطلب» الورقة ١٥٨.

(١٦) في «م» والمطبوع: نفر، والبيتان نسبا إلى أعرابي سجن بحجر اليمامة، معجم البلدان (الدهناء).

(١٧) في «م» والمطبوع: وأنشدني الفضل بن أبي طاهر.

(١٨) في «م» والمطبوع: وقال بن الوليد عبيد الطائي.

وَيَسَاقِطُنَ وَالرَّقِيبُ قَرِيبٌ لَحَظَاتٍ يُعْلِنُ سِرَّ الضَّمِيرِ
ضَعُفَ الدَّهْرِ عَنْ هَوَاهَا وَمَا الدَّهْرُ رُ عَلَى كُلِّ دَوْلَةٍ بِقَدِيرِ
لَيْسَ فِي الْعَاشِقِينَ أَنْقَصُ حَظًّا فِي الْتَصَابِي مِنْ وَاصِلٍ مَهْجُورٍ^(١٩)
أَمَّا هَذَا الْكَلَامُ فَكَلَامٌ مَتَّعِطِرٍ عَلَى الْأَيَّامِ، وَقَدْ كَانَ يُقَالُ: «عِنْدَ
الْتَفَةِ بِالْأَيَّامِ تُحَذَرُ الْغَيْرُ».

وقال إبراهيم النظام^(٢٠):

وَنَشْكُو بِالْعُيُونِ إِذَا التَّقِينَا فَنَفْهَمُهُ وَيَعْلَمُ مَا أَرَدْتُ
أَقُولُ بِمُقَلَّتِي: أَنْ مِتُّ شَوْقًا فَيُوجِي طَرْفَهُ أَنْ قَدْ عَلِمْتُ

□ □ □

الباب الثاني عشر:

مَنْ مَنَعَ مِنْ كَثِيرِ الْوَصَالِ قَنَعَ بِقَلِيلِ الْتَوَالِ

قال ذو الرمة:

أَلَمَّا بِمَيِّ قَبْلَ أَنْ تَطْرَحَ النَّوَى أَلَمَّا بِمَيِّ قَبْلَ أَنْ تَطْرَحَ النَّوَى
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا مُعَرَّسُ سَاعَةٍ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا مُعَرَّسُ سَاعَةٍ
خَلِيلِي عُدًّا حَاجَتِي مِنْ هَوَاكُمَا خَلِيلِي عُدًّا حَاجَتِي مِنْ هَوَاكُمَا
وَمَنْ ذَا يَدَاوِي النَّفْسَ إِلَّا خَلِيلُهَا^(١) وَمَنْ ذَا يَدَاوِي النَّفْسَ إِلَّا خَلِيلُهَا^(١)

وقال أيضاً:

وَإِنِ كُنْتُ لَا أَرْضَى لَكُمْ بِقَلِيلٍ وَإِنِ كُنْتُ لَا أَرْضَى لَكُمْ بِقَلِيلٍ
مِنْ الْوَدِّ إِلَّا عُدْتُمْ بِجَمِيلٍ^(٢) مِنْ الْوَدِّ إِلَّا عُدْتُمْ بِجَمِيلٍ^(٢)

وقال جميل^(٣):

وَيَقُلْنَ إِنَّكَ قَدْ رَضِيتَ بِبَاطِلٍ وَمِنْهَا فَهَلْ لَكَ فِي اعْتِرَالِ الْبَاطِلِ
وَلَبَاطِلُ مِمَّنْ أُحِبُّ حَدِيثُهُ وَأَشْهَى إِلَيَّ مِنَ الْبَغِيضِ الْبَاطِلِ
وَلَرُبَّ عَارِضَةٍ عَلَيْنَا وَصَلَهَا بِالْجِدِّ تَخْلِطُهُ بِقَوْلِ الْهَازِلِ
فَأَجَبْتُهَا بِالْقَوْلِ عَلَيْنَا بَعْدَ تَسْتَرٍ حُبِّي بُثْنَةً عَنْ وَصَالِكَ شَاغِلِي^(٤)
لَوْ كَانَ فِي قَلْبِي كَقَدْرِ قَلَامَةٍ فَضْلٌ وَصَلْتُكَ أَوْ أَتَتْكَ رَسَائِلِي

أَمَّا هَذَا فَقَدْ دَلَّنَا بِغَايَةِ جُهْدِهِ عَلَى شِدَّةِ تَمَكُّنِهَا مِنْ قَلْبِهِ وَأَخْبَرَنَا مَعَ ذَلِكَ

(١) انظر الديوان ص ٥٥٠ مع اختلاف الرواية.

(٢) لم أجد البيت في الديوان.

(٣) نسبت الأبيات إلى المجنون، انظر الديوان ص ٢٢٥.

(٤) انظر ديوان جميل ص ١٠٧.

(١٩) الأبيات في الديوان ص ٨٨٥ مع اختلاف في الرواية.

(٢٠) هو إبراهيم بن سيار البصري أبو اسحاق النظام، من أئمة المعتزلة، توفي سنة ٢٣١ هـ، انظر تاريخ بغداد ٩٧/٦، الباب ٣/٢٣٠.

فِي شِعْرِهِ أَنَّهُ لَوْتَهُيَا خَلَاصُ شَيْءٍ مِنْ حُبِّهِ مِنْ يَدِهَا لَصَرْفَهُ إِلَى غَيْرِهَا وَهَذِهِ
حَالٌ لَا تُرْضِي أَهْلَ الْوَفَاءِ وَلَا يَسْتَعْمِلُهَا أَهْلُ الصَّفَاءِ.

وقال آخر (٥):

وَإِنِّي لَأَرْضَى مِنْكَ يَا لَيْلُ بِالَّذِي لَوَ أَخْبِرَهُ الْوَاثِي لَقُرْتُ بِلَابِلُهُ
بَلَا وَبِأَنْ لَا أَسْتَطِيعَ وَبِالْمَنَى وَبِالْوَعْدِ حَتَّى يَسَامَ الْوَعْدُ أَمَلُهُ (٦)
وَبِالنَّظَرِ الْعَجَلَى وَبِالْحَوْلِ تَنْقِضِي أَوَاخِرُهُ لَا تَلْتَقِي وَأَوَائِلُهُ

هَذِهِ لَعَمْرِي قَنَاعَةٌ شَدِيدَةٌ تَذُلُّ عَلَى أَنْ وَرَاءَهَا ذِلَّةٌ وَكِيدَةٌ، لِأَنَّ مَنْ يَتَهَيَّأُ
لَهُ مَنْ يَهْوَاهُ، لَا يَقْنَعُ بِأَنْ لَا يَرَاهُ، وَبِأَنْ يَعِدَهُ وَعَدَهُ أَلَّا يُطَالِبَهُ بِوَفَائِهِ. وَلَعَمْرِي
إِنْ هَذِهِ الْحَالُ تَقِرُّ عَيْنَ الْمُعَادِي وَتُسْخِنُ عَيْنَ الْمُوَالِي. إِلَّا أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ
بَاقٍ فِي الْقَنَاعَةِ، فَإِنَّهُ قَدْ أَلْتَمَسَ التَّعَلُّلَ بِالْوَعْدِ، وَبِتَأْمِيلِ الْإِقَاءِ عَلَى الْبُعْدِ.
وَمَنْ قَنِعَ بِتَرْكِ الْإِقَاءِ، وَأَقَامَ عَلَى حَالِ الْوَفَاءِ، كَانَ أَتَمَّ حَالًا.

كما قال أبو ذؤلف العجلي:

إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ لَا أَرَاكَ وَلَا لَقَائِعَ بِالسَّلَامِ يَبْلُغُنِي
وَأَذْفَعُ أَلْهَمَ بِالسُّرُورِ إِذَا أَطْمَعُ فِي ذَاكَ سَائِرَ الْأَبَدِ
أَشْفِي غَلِيلاً بِهِ مِنَ الْكَمَدِ أَيْقَنْتُ أَنَا جَارَانٍ فِي بَلَدٍ

ولبعض أهل هذا العصر:

أَيَّامَ هَذَا الدَّهْرِ كَمْ تَعْنِفِينَ بِي نَوَالًا كَرَجَعَ الظُّرْبُ أَعَجَلَهُ الْقَذَى
كَأَنَّ لَمْ تَرَى قَبْلِي مُعْنَى وَلَا بَعْدِي وَضَنَّا كَضَنَ الْجَفْنِ بِالْأَعْيُنِ الرَّمَدِ
فَمَنْ يَكُ مُشْتَقًا إِلَى نَجْعٍ مَوْعِدِ فَهِيَ أَنَا مُشْتَقٌّ إِلَى خُلْفِ الْوَعْدِ

(٥) قائل الأبيات جميل بثينة. والأبيات في الديوان ص ١١٥ والرواية: وإني لأرضى من
بثينة...

(٦) في «م» والمطبوع: بلى وبأن لا أستطيع...

فَلَا خُلْفَ إِلَّا بَعْدَ تَوْكِيدِ مَوْعِدٍ وَلَا وَعْدَ إِلَّا عَنْ صَفَاءٍ مِنَ الْوَدِّ
وَقَدْ قَذَفْتُ نَفْسِي أَجَلَ حُطُوطِهَا لَذِيكَ وَفَقْدَ الْحَظِّ مِنَ الْفَقْدِ

وقال آخر:

أَوْجَدْتُ عَلَى وَجْدٍ وَأَنْتِ بِخَيْلَةٍ وَقَدْ زَعُمُوا أَنْ لَا يُحِبُّ بِخَيْلٍ
بَلَى وَالَّذِي حَجَّ الْمَلْبُورُونَ بَيْتَهُ وَيَشْفَى الْجَوَى بِالنَّيْلِ وَهُوَ قَلِيلٌ (٧)

وقال آخر:

يَقْرُ بِعَيْنِي أَنْ أَرَى مِنْ مَكَانِهِ ذُرَى عَقَدَاتِ الْأَبْرِقِ الْمَتَقَاوِدِ
وَأَنْ أَرَدَ أَلْمَاءُ أَلْيَئِي وَرَدَّتْ بِهِ سَلِيمِي إِذَا مَلَ السُّرَى كُلُّ وَاحِدٍ
فَأَلْصِقُ أَحْشَائِي بِبَرْدِ تَرَابِهِ وَإِنْ كَانَ مَخْلُوطًا بِسَمِّ الْأَسَاوِدِ

وقال آخر:

يَقْرُ بِعَيْنِي أَنْ أَرَى كَفَّةَ الْغَضَا إِذَا مَا بَدَتْ يَوْمًا لِعَيْنِي فَلَالُهَا
وَلَسْتُ وَإِنْ أَحْيَيْتُ مَنْ يَسْكُنُ الْغَضَا بِأَوَّلِ رَاجٍ حَاجَةً لَا يَنَالُهَا

وقال جميل:

قَدْ مَاتَ قَبْلِي أَخُو فَهَيْدٍ وَصَاحِبُهُ مُرْقَشٌ وَاشْتَفَى مِنْ غُرْوَةِ الْكَمَدِ
إِنِّي لِأَحْسَبُ أَوْ [قَدْ] كَذْتُ أَعْلَمُهُ أَنْ سَوْفَ تُورِدُنِي الْحَوْضَ الَّذِي وَرَدُوا
فَمَا يَضُرُّ أَمْرًا أَمْسَى وَأَنْتِ لَهُ أَنْ لَا يَكُونَ مِنَ الدُّنْيَا لَهُ سَنْدٌ (٨)

وقال أيضاً:

يُكَذِّبُ أَقْوَالَ الْوُشَاةِ صُدُودُهَا وَيَجْتَازُهَا عَيْنِي كَأَنَّ لَا أُرِيدُهَا
وَتَحْتَ مَجَارِي الدَّمْعِ مَنَا مَوْدَةً تُلَاحِظُ سِرًّا لَا يُنَادِي وَلِيدُهَا

(٧) البيتان في شعر المجنون كما في الديوان ص ٢٢٣ مع اختلاف في الرواية. وهما في شرح

المرزوقي ص ١٢٩٦.

(٨) الأبيات في ديوان جميل ص ٤٥.

رَفَعْتُ عَنِ الدُّنْيَا أَلْمَنَى غَيْرَ وَدَّهَا
وقال أيضاً:

مِنَ الْخَفِرَاتِ الْبَيْضِ أَخْلَصَ لَوْنُهَا
فَمَا مُزْنَةٌ بَيْنَ السِّمَّاكَيْنِ أَوْمَضَتْ
بِأَحْسَنِ مِنْهَا يَوْمَ قَالَتْ وَعِنْدَنَا
تَعَايَيْتَ فَاسْتَعْنَيْتَ عَنَّا بِغَيْرِنَا
وَوَدِدْتُ وَلَا تُغْنِي السَّوَادَةُ أَنَّهَا
وقال آخر:

هَلْ أَلَّهْ عَافٍ عَن ذُنُوبٍ تَسَلَّفَتْ
وَكُنَّا إِذَا دَانَتْ بِذُلْفَاءِ نِيَّةٍ
وقال أيضاً:

عَاتِبَةٌ لَمْ أَغْنِ عَنْ وَصْلِهَا
إِنْ نَظَرْتُ قُلْتُ بِهَا ذِلَّةٌ
أَصْبَحْتُ لَا أَطْمَعُ فِي وَصْلِهَا
وقال آخر:

صُدُّوكَ عَنِّي إِذْ أَسَأْتُ يَسْرُنِي
سُرَرْتُ بِهِ أَنِّي تَيْقَنْتُ أَنَّمَا
وَلَوْ كُنْتُ فِي زَاهِدٍ لَمْ تُبَالِ بِي
فَيَا فَرَحَةً لِي إِذْ رَأَيْتُكَ عَاتِبًا

فَمَا أَسْأَلُ الدُّنْيَا وَلَا أَسْتَرِيدُهَا^(٩)

تَلَاجِي عَدُوًّا لَمْ تَجِدْ مَا يَعْيبُهَا
مِنَ النُّورِ ثُمَّ اسْتَعْرِضْتُهَا حُبُّوبَهَا
مِنَ النَّاسِ أَوْيَاشٌ يُخَافُ شُغُوبَهَا
إِلَى يَوْمٍ يَلْقَى كُلُّ نَفْسٍ حَسِيبَهَا
نَعِيبِي مِنَ الدُّنْيَا وَأَيُّ نَصِيبِهَا^(١٠)

أَمْ أَلَّهْ إِنْ [لَمْ] يَغْفِبْ عَنْهَا يُعِيدُهَا^(١١)
رَضِينَا بِدُنْيَانَا فَمَا نَسْتَرِيدُهَا

يَقْتُلُ فِي أَجْفَانِهَا السَّحَرُ
أَوْ خَطَرْتُ قُلْتُ بِهَا كِبَرُ
حَسْبِي أَنْ يَبْقَى لِي الْهَجْرُ^(١٢)

وَلَمْ أَرِ قَبْلِي عَاشِقًا سُرَّ بِالصَّدِّ
دَعَاكَ إِلَيْهِ رَغْبَةً مِنْكَ فِي وَدِّي
وَلَكِنَّمَا عَتَبَ الْمَجِبَ مِنَ الْوُجِدِ
عَلَيَّ لِذَنْبٍ كَانَ مِنِّي بِلا عَمْدٍ^(١٣)

(٩) الأبيات في ديوان جميل ص ٤٨.

(١٠) المصدر السابق ص ٤٨.

(١١) البيت في شرح الحماسة (التبريزي) ٣/٣٠٣ من مقطوعة للحسين بن مطير.

(١٢) لم أجد الأبيات في ديوان جميل.

(١٣) لم أجد الأبيات في ديوان جميل.

وقال البحتري:

أَخْ لِي لَمْ تَتَّصِلْ بِسَبْتِي
تَنَكَّرَ حَتَّى لَأَنكَرْتُهُ
وَمَا لِي مِنْهُ سِوَى رَقَّةٍ
كَذَا أَلْسِنُكَ مَا فِيهِ مُسْتَمَتٌ
بِقُرْبَى أَبِيهِ وَلَا أُمِّهِ
خَلَا أَنِّي عَارِفٌ بِأَسْمِهِ
يُرَاحُ بِهَا الشَّعْرُ مِنْ فَهْمِهِ
سَعٌ لِمُتَّخِذِيهِ سِوَى شِمِّهِ^(١٤)

وقال إبراهيم بن العباس:

مِنِّي الصَّبْرُ وَمِنْكَ أَلْهٌ
بَعُدَتْ هِمَّةُ عَيْنٍ
أَوْ مَا حَظُّ لِعَيْنٍ
أَوْ تَرَى مَنْ قَدْ رَأَى مَنْ
جَرُّ فَأَبْلَغُ بِي مَدَاكَ
طَمَحْتُ فِي أَنْ تَرَكََا^(١٥)
أَنْ تَرَى مَنْ قَدْ يَرَكََا
قَدْ رَأَى مَنْ قَدْ رَأَكََا^(١٦)

وقال بعض الأعراب:

أَيَا جَبَلِي نَعْمَانَ قَلْبِي إِلَيْكُمَا
كَتَمْتُ جَمِيعَ النَّاسِ وَجَدِي عَلَيْكُمَا
دَعَا لَكُمَا قَلْبِي الْحَنِينُ وَإِنَّهُ
مُسِرٌّ هَرَى مُسْتَأْنِسٍ بِلِقَاكُمَا
وَأَضْمَرْتُ فِي الْأَحْشَاءِ مِنِّي هَوَاكُمَا
لِيُسُونُ عَيْنِي أَنْ تَرَى مَنْ يَرَكََا

وقال بعض الأعراب:

وَإِنَّ أَلْدِي أَرْضِي بِهِ مِنْ نَوَالِهَا
سَلَامٌ بِعَيْنٍ أَوْ سَلَامٌ بِحَاجِبٍ
عَلَيْهَا وَإِنْ ضَنْتُ بِهِ لَسِيرُ
إِذَا مَا بِهِ لَمْ تَدْرِ كَيْفَ تُشِيرُ

(١٤) الأبيات في الديوان ص ١٩٨٩ مع اختلاف في الرواية.

(١٥) في «م» والمطبوع: طمعت.

(١٦) لم أجد الأبيات في ديوان إبراهيم بن العباس، وهو إبراهيم بن العباس الصوري، المتوفى

سنة ١٧٦هـ من كتاب الدولة العباسية. انظر: الأغاني ٩/٢٠، معجم الأدباء ١/٦١.

تاريخ بغداد ١/١١٧.

وقال الأحوص بن محمد:

وَقَدْ جِئْتُ الطَّبِيبَ لِسُقْمِ نَفْسِي
وَكُنْتُ إِذَا سَمِعْتُ بِأَرْضِ سُعْدِي
فَمَنْ هَذَا الطَّبِيبُ لِسُقْمِ نَفْسِي
سِوَى سُعْدِي إِذَا شَحَطَتْ نَوَاهَا^(١٧)

وقال أيضاً:

أَسْلَامٌ هَلْ لِمَتِّمٍ تَنْوِيلُ
لَا تَصْرِمْنِي مِنْ دَلَالِكَ إِنَّهُ
أَمْ قَدْ صَرَمْتَ وَغَالَ وَدَّكَ غُولُ
حَسَنٌ لَدَيَّ وَإِنْ بَخِلْتَ جَمِيلُ^(١٨)

وقال البحري:

وَيَحْسُنُ ذُلُّهَا وَالْمَوْتُ فِيهِ
أَقُولُ أَرِيدُ مِنْ سَقَمِ فُؤَادِي
وَقَدْ يُسْتَحْسَنُ السَّيْفُ الصَّقِيلُ^(١٩)
وَهَلْ يَزْدَادُ مِنْ قَتْلِ قَتِيلُ

وقال آخر^(٢٠):

إِنَّ الَّتِي زَعَمْتَ فُؤَادَكَ مَلْهَا
حَجَبَتْ تَحِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي
خُلِقْتَ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوَى لَهَا
مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقْلَهَا

ولبعض أهل هذا العصر:

فَإِنْ تَكُنِ الْقُلُوبُ إِذَنْ تُجَازَى
وَأَسْأَلُكَ فِي أَلْهَوَى سَنَاءً سَوِيًّا

(١٧) الأبيات في شعر الأحوص ص ٢٠٧، ومصدرها كتاب الزهرة.

(١٨) انظر شعر الأحوص ص ١٧٤، وفي «م» والمطبوع: أحلام، وسلام هي سلامة القس.

(١٩) البيت الأول في الديوان ص ١٨١٨.

(٢٠) البيتان من مقطوعة في الشعر والشعراء ص ٣٦٤، عيون الأخبار ٢٩/٤، زهر الآداب

الطبعة الثانية ٢٠٧/١ لعروة بن أذينة، وكذلك الأغاني ١٦٨/٢١، والحماسة البصرية

ص ١٦٩. وفي سمط اللآلئ ص ٤٠٩ قيل لعروة بن أذينة، وقيل: إنه لبشار. وفي

شرح المروزقي ص ١٢٣٥ من غير عزو، وفي شرح التبريزي لعروة، وفي الأمالي

١٥٥/١ - ١٥٦ من غير عزو، وهي من شعر المجنون الديوان ص ٣٣٦.

فَمَا لِي أَهْوَى الثَّقَلَيْنِ جَمْعًا
عَمَرْتُ سِنِينَ أَسْتَحْفِي التَّصَافِي
فَلَمْ تُقْلِعْ صُرُوفَ الدَّهْرِ حَتَّى
تَبْغُضَ مَا أَشْتَطَعْتَ وَعِشَ سَلِيمًا
عَلَيْكَ وَأَنْتَ أَكْرَمُهُمْ عَلَيَّا^(٢١)
وَلَا أَرْضَى مِنَ الْوَصْلِ الرِّضْيَا
حُبِسْتُ عَنْ أَنْ أَجِي أَوْ أَنْ أُحْيَى
فَأَنْتَ أَحَبُّ مَخْلُوقٍ إِلَيَّا

وقال أبو صخر الهذلي:

وَيَقِرُّ عَيْنِي وَهِيَ نَارِحَةٌ
أَنْبِي أَرَى وَأَظُنُّ أَنْ سَتَرِي
مَا لَا يَقِرُّ بِعَيْنِ ذِي الْجَلْمِ
وَضَحَّ النَّهَارِ وَعَالِي النُّجْمِ^(٢٢)

وَهَذِهِ لَعَمْرِي قَنَاعَةٌ مُفْرِطَةٌ فِي بَابِهَا، وَإِنْ كَانَتْ مُقْصَرَةً عَنْ حَالِ
الْتِمَامِ، لِأَنَّ صَاحِبَ هَذِهِ الْحَالِ يَسْتَجْلِبُ بَعْدًا لِنَفْسِهِ نَسِيمَ الْوَصَا. وَمَا قَصَرَ
عَنْ هَذَا النَّحْوِ الَّذِي يَقُولُ:

أَتَانِي عَنْكَ سُبُّكَ لِي فَسُبِّي
أَلَيْسَ جَرَى بِفِيكَ أَسْمِي فَحَسْبِي
فَسُبِّي مَا بَدَا لَكَ أَنْ تَسُبِّي
فَمَا ذَا كُلُّهُ إِلَّا لِحُبِّي

وقال آخر في هذا المعنى فما قصر:

تَعَالَلْتُ كَيْ أُشْجَى وَمَا بِكَ عِلَّةُ
لَنْ سَاءَ عَنِّي أَنْ نَلْتَنِي بِمَسَاءَةٍ
تُرِيدِينَ قَتْلِي قَدْ ظَفَرْتَ بِذَلِكَ
لَقَدْ سَرَّنِي أَنِّي خَطَرْتُ بِبَالِكَ

وأنشدني أحمد بن يحيى أبو العباس:

يَا أَيُّهَا الرَّائِبُ الْغَادِي لِطَيْبِهِ
عَرَجَ أُنْبُكَ عَنْ بَعْضِ الَّذِي أَجْدُ
مَا عَالَجَ النَّاسُ مِنْ وَجْدٍ أَلَمَ بِهِمْ
إِلَّا وَجَدْتُ بِهِ فَوْقَ الَّذِي وَجَدُوا
حَسْبِي رِضَاءُ وَأَتِي فِي مَسَرَّتِهِ
وَوَدَّهِ آخِرَ الْأَيَّامِ أَجْتَهْدُ^(٢٣)

(٢١) صدر البيت غير موزون.

(٢٢) البيتان في شرح الهذليين ٩٧٣/٢ مع اختلاف في الرواية.

(٢٣) الأبيات نسبت إلى ليلى صاحبة المجنون كما في الديوان (جمعه الوالبي).

ولعمري لقد أحسن الذي يقول ويقال أنه لأبي دود (٢٣):

لَا تُبْلِي الرِّضَا وَلَا تَهْوِي غَيْرِي فَكَفَانِي بِذَاكَ نَيْلًا وَرَفَقًا
غَايَتِي أَنْ أَرَكَ حَيًّا وَأُضْجِي أَمْنًا أَنْ تُعَيِّرَ طَرْفَكَ خَلْقًا
ثُمَّ لَا أَسْتَزِيدُ مِنْكَ وَلَا أَطُ لُبُّ نَيْلًا وَلَوْ تَقَطَّعَتْ عِشْقًا

ولبعض أهل هذا العصر في مثله:

أَمَرْتُ أَلَّا أَتَشْكِيَ الْهَوَى وَفَعَلْتُ مَا تَهْوَاهُ مَفْرُوضُ
فَلَسْتُ أَعْدُو حَدَّ مَا قُلْتُهُ حَسْبِي مِنَ التَّضَرُّيحِ تَعْرِضُ

وَكُلُّ هَذِهِ «لأحوال» ناقصة عن حد التمام، على عجب أصحابها بها
وآخيارهم بذكرها، وتوهمهم أن قد تهيأ لهم على أنفسهم ما لم يتهيأ لغيرهم
من صبرها لإحبابهم على الحظ اليسير من نوالهم. وأنتم من هؤلاء في
الحال، وأحسن صبراً على قليل النوال، بل على ترك جميعه من رضي من
النيل بسلامة محبوبه، وكان ذلك نهاية مطلوبه.

وفي مثل ذلك يقول بعض أهل هذا العصر:

إِلَّا تَكُنْ فِي الْهَوَى أَرَوَيْتَ مِنْ ظَمٍ وَلَا فَكَكْتَ مِنَ الْأَغْلَالِ مَأْسُورًا
لَقَدْ ذَلَّلْتُ عَلَى مَحْضِ الْهَوَى لَكَ لَا لِأَجْلِ مَا كَانَ مَرْجُوءًا وَمَذْخُورًا
فَحَسْبُ نَفْسِي عَنَّا عِلْمِي بِمَوْضِعِهَا مِنْ الْهَوَى وَحَسْبُ أَنْ كُنْتُ مَعْدُورًا (٢٤)
فَأَيْنَ أَذْهَبُ بَلْ مَاذَا أُرِيدُ مِنْ آلِ أَيَّامِ أَرَوِي عَلَيْهَا الْإِفْكَ وَالزُّورَا
وَأَنْتَ ذَاكَ وَقَلْبِي ذَا الَّذِي مَلَكَتْ هَوَاهُ نَسْفَكَ إِكْرَاهًا وَتَخِيرًا
لَمْ يَهْوِكَ الْقَلْبُ إِنْ أَظْهَرْتَ أَنْتَ لَهُ بِرًا فَيَسْلَاكَ إِذْ أَظْهَرْتَ تَقْصِيرًا
وَلَمْ يَكُنْ «بِاخْتِيَارٍ لِي فَأَتْرُكُهُ وَلَا أَضْطَرَّارٍ أَتَاهُ الْقَلْبُ مَقْهُورًا

(٢٣) أبو دود جارية بن الحجاج شاعر جاهلي، من وُصِفَ الخيل. انظر: سمط اللالي،

ص ٨٧٩.

(٢٤) عجز البيت غير موزون.

لَكُنْهُ مِنْ أُمُورِ اللَّهِ مُتَنَبِّعٌ فِي الْوَصْفِ قَدْرُهُ الرَّحْمَانُ تَقْدِيرًا
لَنْ يَضْبُطَ الْعَقْلُ إِلَّا مَا يُدَبِّرُهُ وَلَنْ تَرَى فِي الْهَوَى بِالْعَقْلِ تَبِيرًا
كُنْ مُحْسِنًا أَوْ مُسِيئًا وَآتِقْ لِي أَبَدًا تَكُنْ لَدَيَّ عَلَى الْحَالَيْنِ مَشْكُورًا

□ □ □

مَنْ حُجِبَ مِنَ الْأَحْبَابِ نَذَلَ لِلْحُجَابِ

أَصْلُ الْحُجَابِ يَكُونُ مِنْ جِهَتَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَقَعَ مِنَ الْمَحْبُوبِ اخْتِيَارًا، وَإِمَّا أَنْ يُوقِعَهُ غَيْرُهُ بِهِ اضْطِرَارًا. فَأَمَّا الْاضْطِرَارُ فَيَقْسَمُ وَاحِدٌ وَهُوَ صَوْنُ الْمَحْبُوبِ عَنِ الْمَحْبُوبِ. وَأَمَّا الْاخْتِيَارُ فَيَنْقَسِمُ عَلَى ضَرْبَيْنِ: فَرُبَّمَا كَانَ امْتِحَانًا لِلْمُحِبِّ مِنَ الْمَحْبُوبِ، وَرُبَّمَا كَانَ خَوْفًا عَلَيْهِ مِنَ الرَّقِيبِ، وَرُبَّمَا كَانَ اسْتِدْعَاءً فِي الْحَالِ، وَرُبَّمَا كَانَ إِشْفَاقًا عَلَى النَّفْسِ مِنَ الْعُدَالِ، وَتَصَوُّنًا عَنْ قَبِيحِ الْمَقَالِ، وَرُبَّمَا كَانَ عَلَى جَهَةِ الضَّجَرِ وَالْمَلَالِ، وَهَذَا هُوَ شَرْهُ الْأَحْوَالِ. وَفِي كُلِّ ذَلِكَ قَدْ قَالَتِ الشُّعْرَاءُ وَنَحْنُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ نَذْكُرُ مِنْ ذَلِكَ بَعْضَ مَا يَتَبَيَّنُ عَلَى حَسَبِ مَا يَحْتَمِلُهُ الْعَدَدُ الَّذِي شَرَطْنَاهُ.

وأنشدني أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر:

حُجَابٌ فَإِنْ تَبَدُّو فَلِلدَّمْعِ جَوْلَةٌ يَكُونُ لَهُ مِنْ دُونِ رُؤْيَيْهَا سِتْرًا
فَإِنْ غَاصَ دَمْعُ الْعَيْنِ أَقْبَلَ كَاشِحٌ يَرُدُّ جُفُونَ الْعَيْنِ قَدْ مُلِثَتْ دُعْرًا
وَمَنْ يَشْتَرِي مِنِّي حَيَاتِي بِمَيْتَةٍ أَبْعُهُ حَيَاةً يَشْتَرِي بَعْدَهَا قَبْرًا
وَمَنْ يَشْتَرِي عَيْنِي بِعَيْنٍ صَحِيحَةٍ أَرِذْهُ عَلَى عَيْنِي قَلْبًا أَبَى الصَّبْرَا

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر^(١):

إِنْ يَمْنَعُونِي مَمَرِي نَحْوَ بَابِكُمْ فَسَوْفَ أَنْظُرُ مِنْ بُعْدٍ إِلَى الدَّارِ

(١) في «م» والمطبوع: عبد الله بن طاهر. وعبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي، أبو أحمد المتوفى سنة ٣٠ من الأدباء الشعراء، رفيع المنزلة في عصر المعتضد العباسي. انظر: وفيات الأعيان ٢٧٣/١، تاريخ بغداد ٣٤٠/١٠، الأغاني (الدار) ٤٠/٩.

لَا يَقْدِرُونَ عَلَى مَنَعِي وَإِنْ جَهِدُوا إِذَا مَرَرْتُ وَتَسْلِيْمِي بِإِضْمَارٍ
مَا ضَرَّ جِيرَانَكُمْ وَاللَّهُ يَكْلَأُ لَهُمْ

وقال قيس بن ذريح^(٢):

فَإِنْ يَحْجُبُوهَا أَوْ يَحُلْ دُونَ وَصْلِهَا مَقَالَةٌ وَاشْ أَوْ وَعِيدُ أَمِيرٍ
فَلَنْ يَحْجُبُوا عَيْنِي مِنْ دَائِمِ الْبُكََا وَلَنْ يُذْهِبُوا مَا قَدْ أَجَنَ ضَمِيرِي

وقال بعض الأعراب:

فَإِنْ يَمْنَعُوا لَيْلِي وَحُسْنَ حَدِيثِهَا فَلَنْ يَمْنَعُوا مِنِّي الْبُكََا وَالْقَوَافِيَا
فَهَلَّا مَنَعْتُمْ إِذْ مَنَعْتُمْ كَلَامَهَا خِيَالًا يُؤَافِينَا عَلَى النَّأْيِ هَادِيَا^(٣)

وقال آخر:

لِي إِلَى الرِّيحِ حَاجَةٌ إِنْ قَضَتْهَا كُنْتُ لِلرِّيحِ مَا حَيْثُ غُلَامَا
حَجَبُوهَا عَنِ الرِّيحِ لِأَنِّي قُلْتُ لِلرِّيحِ بَلِّغِيهَا السَّلَامَا

وقال البحتري:

وَيَكْفِي أَلْفَتِي مِنْ نُصْحِهِ وَوَفَائِهِ تَمَنِّيهِ أَنْ يَرْدَى وَيَسْلَمَ صَاحِبُهُ
فَلَا تَحْسَبَنَّ تَرْكِي الزِّيَارَةَ جَفْوَةً وَلَا سُوءَ عَهْدٍ جَادَبْتَنِي جَوَادِبُهُ
وَمَنْ لِي بِإِذْنِ حِينَ أَعْدُو إِلَيْكُمَا وَدُونَكُمَا الْبَرْجُ الْمُطْلُ وَحَاجِبُهُ^(٤)

(٢) أحد عشاق العرب، وصاحبه ليلى، انظر: الشعر والشعراء (لیدن)، ص ٣٩٩، ٤٠٠ والبيتان له كما في تزيين الأسواق ص ٤٧، ومجموعة المعاني ص ٢٠٨، والأغاني ترجمة قيس بن ذريح، وفي الأغاني ١٨٠/٢ لعبد الله بن مصعب، وهما في شعر المجنون كما في الديوان ص ١٦٩.

(٣) البيتان في شعر المجنون كما في الديوان ص ٣٠٠.

(٤) الأبيات في ديوان البحتري ص ٢٠٢، والبيت الثاني في «م» والمطبوع: فلا تحسبا تركي...

وقال آخر:

خَلِيلِي لَيْسَ الْهَجْرُ أَنْ تَسْحَطَ النَّوَى
وَلَكِنَّمَا الْهَجْرَانِ أَنْ تَجْمَعَ النَّوَى

وقال البحري:

فَكَمْ جِئْتُ طَوْعَ الشُّوقِ مِنْ بَعْدِ غَايَةٍ
وَمَا بَالُهُ يَأْبَى دُخُولِي وَقَدْ رَأَى

وقال أيضاً:

إِذَا أَتَيْتُكَ إِجْلَالًا وَتَكْرِمَةً
فَإِنْ أَرَدْتُكَ عَرَضْتُ الرَّسُولَ لِمَا

وقال أبو تمام الطائي:

صَبْرًا عَلَى الْمَطْلِ مَا لَمْ يَتْلُهُ الْكَذِبُ
لَيْسَ الْحِجَابُ بِمُقْصَرٍ عَنْكَ لِي أَمَلًا

وقال ابن أبي طاهر:

حُجِبْتُ وَقَدْ كُنْتُ لَا أُحْجَبُ
وَمَا لِي ذَنْبٌ سِوَى أَنْبِي
وَأَنْ لَيْسَ دُونُكَ لِي مَطْلَبُ
فَلَيْتَكَ تَبْقَى سَلِيمَ الْمَحَلِّ

وقال العرجي:

لَقَدْ أَرْسَلْتُ لِيَلِي رَسُولًا بِأَنْ أَقِمَ
وَلَا تَقْرَبْنَا فَالْتَجِبْ أَمَثْلُ

بِالْفَيْنِ دَهْرًا ثُمَّ يَلْتَقِيَانِ
وَأُخْصِرَ عَمَّنْ قَدْ أَرَى وَيَرَانِي

إِلَى غَيْرِ مُشْتَقٍ وَمَا رَدَّنِي بِشْرُ
خُرُوجِي مِنْ أَبْوَابِهِ وَيَدِي صَفْرُ^(٥)

رَجَعْتُ أَحْمِلُ بَرًّا غَيْرَ مَقْبُولِ
يُخْشَى مِنَ الرَّدِّ وَأَسْتَأْذِنُ مِنْ مِيلِ^(٦)

فَلِلْخُطُوبِ إِذَا سَامَحْتُهَا عُقْبُ
إِنَّ السَّمَاءَ تُرْجَى جِئْنَ تَحْتَجِبِ^(٧)

وَأُبْعِدْتُ عَنْكَ فَمَا أَقْرُبُ
إِذَا أَنَا أَعْضِبْتُ لَا أَعْضِبُ
وَلَا دُونَ بَابِكَ لِي مَهْرَبُ
وَتَأْذُنُ إِنْ شِئْتَ أَوْ تَحْجِبُ

لَعَلَّ الْعُيُونَ الرَامِقَاتِ لِيُودِنَا
أُنَاسُ أَمْنَانِهِمْ فَنَمُوا حَدِيثَنَا
فَمَا حَفِظُوا الْعَهْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا
فَقُلْتُ وَقَدْ ضَاقتْ بِلَادِي بِرُحْبِهَا
سَأَجْتَنِبُ الدَّارَ الَّتِي أَنْتُمْ بِهَا
أَلَمْ تَعْلَمِي أَنِّي وَهَلْ ذَاكَ نَافِعِي
أَرَى مُسْتَقِيمَ الطَّرْفِ مَا الطَّرْفُ أَمَّكُمْ

وقال آخر:

أَلَا طَرَقْنَا آخِرَ اللَّيْلِ زَيْنَبُ
وَقَالَتْ تَجَنَّبْنَا وَلَا تَقْرَبْنَا

وقال آخر:

أَلَلَّهُ يَعْلَمُ مَا تَزْكِي زِيَارَتُكُمْ
وَلَوْ قَدِرْتُ عَلَى الْإِتْيَانِ جِئْتُكُمْ

وقال آخر^(١٠):

عُقَيْلِيَّةُ أَمَّا مَلَأَتْ إِزَارَهَا
تَقِيطُ بِأَكْنَافِ الْحِمَى وَيُظِلُّهَا
أَيَا مَنْ كَتَمْنَا حُبَّهَا لَمْ نَطْعْ بِهِ
وَيَا خَلَّةَ الْفَسْرِ الَّتِي لَيْسَ دُونَهَا
أَمَّا مِنْ مَقَامٍ نَشْتَكِي غُرْبَةَ النَّوَى

تُكَذِّبُ عَنَّا أَوْ تَنَامُ فَتَغْفُلُ
فَلَمَّا كَتَمْنَا السِّرَ عَنْهُمْ تَقُولُوا
وَلَا حِينَ هَمُّوا بِالْقَطِيعَةِ أَجْمَلُوا
عَلَيَّ بِمَا قَدْ قِيلَ وَالْعَيْنُ تَهْمِلُ
وَلَكِنْ طَرْفِي نَحْوَهَا سَوْفَ يَعْمَلُ
لَذَلِكَ وَمَا أُخْفِي مِنَ الْوَدِّ أَفْضَلُ
وَإِنْ رَامَ طَرْفِي غَيْرَكُمْ فَهَوَ أَحْوَلُ^(٨)

عَلَيْكَ سَلَامٌ هَلْ لِمَا فَاتَ مَطْلَبُ
فَكَيْفَ وَأَنْتُمْ حَاجَتِي أَنْجُبُ

إِلَّا مَخَافَةَ أَعْدَائِي وَخُرَاسِي
سَبَّحًا عَلَى الْوَجْهِ أَوْ مُشِيًّا عَلَى الرَّأْسِ^(٩)

فَدِعْصُ وَأَمَّا خَضْرُهَا فَبِتِيلُ^(١١)
بِنِعْمَانٍ مِنْ وَادِي الْأَرَاكِ مَقِيلُ
عَدُوًّا وَلَمْ يُؤْمِنْ عَلَيْهِ دَخِيلُ
لَنَا مِنْ أَجْلَاءِ الْأَصْفَاءِ خَلِيلُ
وَخَوْفُ الْعَدَى فِيهِ إِلَيْكَ سَبِيلُ

(٨) الأبيات في ديوان العرجي ص ١٢ مع اختلاف في الرواية.

(٩) البيتان من شعر أبي نواس (الديوان - صادر) ص ٣٧٤.

(١٠) المقطوعة لابن الطثرية كما في مجموع شعره ص ص ٨٧، ٩٠، مع اختلاف في الرواية.

(١١) في «م» و«المطبوع»: فتقيل.

(٥) البيتان في الديوان ص ١٠٦٦ مع اختلاف في الرواية.

(٦) المصدر السابق.

(٧) لم أجد البيت في الديوان.

فَدَيْتُكَ أَعْدَائِي كَثِيرٌ وَشَقِيئِي
وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ جِئْتُ بِعِلَّةٍ
فَمَا كُلُّ يَوْمٍ لِي بِأَرْضِكَ حَاجَةٌ
أَلَيْسَ قَلِيلاً نَظَرَةً إِنْ نَظَرْتُهَا

وقال البحرني:

قَدُمْتُ قُدَّامِي رَجَالاً كُلُّهُمْ
وَأَذَلَّنِي حَتَّى [لَقَدْ] أَشَمَّتْ بِي
أَوْعَدْتَنِي يَوْمَ الْخَمِيسِ وَقَدْ مَضَى

وأنشدني أحمد بن أبي طاهر لنفسه:

إِذَا كُنْتُ لَا تَحْفَى بِقُرْبِي وَلَا بُعْدِي
فَهَلْ أَنْتَ إِنْ حَكَمْتُ جُودَكَ مُنْصِفٌ
أَبَى الْحَقُّ أَنْ يَخْفَى وَأَقْضِي وَلَا أَرَى
وَيَدْفَعُ فِي صَدْرِي حِجَابَكَ بَعْدَمَا
فَمَا لِي قَدْ أَبْعَدْتُ عَنْكَ وَطَالَمَا
وَأَصْبَحْتُ قَدْ شُورِكْتُ فِيكَ وَلَمْ تَزَلْ
أَلْلَجِدْ هَذَا مِنْكَ أَمْ أَنْتَ مَارِحٌ
وَلَيْسَ دَوَامُ الشُّكْرِ يَوْمًا بِوَاجِدٍ

ولبعض أهل هذا الزمان:

بِعَيْنِكَ مَا أَلْقَى إِذَا كُنْتُ حَاضِرًا
فَفِيمَ أَرَى نَفْسِي لَقَى بِفَنَائِكُمْ
أَتَحْجِبُنِي أَنْ قُلْتُ تَحْسُدُ مَنْ بَغَى

(١٢) الأبيات في ديوان البحرني ص ١١٣٣.

أَجَلٌ إِنْ مَنْ يَبْغِي هَوَاكَ مُحْسَدٌ
إِذَا لَمْ أُنَافِسْ فِي هَوَاكَ وَلَمْ أَعْرِ
فَلَا تَحْتَقِرْ نَفْسِي وَأَنْتَ حَبِيبُهَا
عَلَيْكَ وَمَنْ يَهْوَى هَوَاهُ مُنَافِسٌ
عَلَيْكَ فَفِيمَنْ لَيْتَ شِعْرِي أُنَافِسُ
فَكُلُّ أَمْرِي يَصُبُّ إِلَى مَنْ يُجَانِسُ

وقال جرير:

قَتَلْنَا بِعُيُونٍ زَانَهَا مَرَضٌ
وَفِي الْمَرَاضِ لَنَا شَجْوٌ وَتَعَذِيبٌ
حَتَّى مَتَى أَنْتَ مَشْعُوفٌ بِغَايِبَةٍ
صَبُّ إِلَيْهَا طَوَالَ الدَّهْرِ مَكْرُوبٌ
قَدْ تَيَّمَّ الْقَلْبُ حَتَّى زَادَهُ حَبِلاً
مَنْ لَا يُكَلِّمُ إِلَّا وَهُوَ مُحْجُوبٌ (١٣)

وَأَرَى فِي هَذِهِ الْمَقْطُوعَةِ وَمَقْطُوعَاتٍ قَبْلَهَا مَا يَدُلُّ عَلَى ضَجَرٍ مِنْ
الْمُحْجُوبِ، وَقَلَّةِ صَبْرٍ مِنْهُ عَلَى نَازِلَاتِ الْخُطُوبِ. وَلَعَمْرِي كَانَ الضَّجَرُ عَلَى
مَا لَا يَصْلُحُ مِنْهُ الْإِنْتِصَارُ، وَلَا يَنْبَسِطُ عَلَيْهِ الْإِقْتِدَارُ، مُهْجِنًا لِمُظْهِرِهِ وَمُزْرِيًا
بِمُسْتَشْبِعِهِ. فَإِنْ مَنْ تَسَامَحَ لَهُ الزَّمَانُ، وَتَغَافَلَتْ عَنْهُ صُرُوفُ الْأَيَّامِ، فَوَقَعَ فِي
مَرَعَى خَصِيبٍ وَظَفِيرٍ بِمَا لَمْ يَأْمُلْهُ الْمُحْجُوبُ، ثُمَّ عَطَفَتْ عَلَيْهِ الْأَيَّامُ عَطْفَةً
الْحَنِينِ الْمُغْتَاطِ، فَاسْتَرْجَعَتْ مَا أَعْطَتْهُ، وَاسْتَرَدَّتْ مَا أَعَارَتْهُ، لَغَيْرِ مُعْتَفٍ عَلَى
الْحَيَرَةِ وَالْتَخْلِيطِ وَالتَّاسُفِ عَلَى مَا قَدَّمَ مِنْ التَّفْرِيطِ.

وفي هذا المعنى يقول بعض أهل هذا العصر:

أَلَا مَنْ لِقَلْبٍ قَدْ دَعَاهُ تَجَاسُرُهُ
وَصَاقَتْ بِهِ بَعْدَ الْوُرُودِ مَصَادِرُهُ
تَغَافَلَ عَنْهُ الدَّهْرُ فَاعْتَرَّ بِالْمُنَى
فَلَمَّا أَضَاعَ الْحَزَمَ كَرَّتْ عَسَاكِرُهُ
فَأَصْبَحَ كَأَلْمَاسُورٍ طَالَتْ عُدَاتُهُ
عَلَيْهِ وَذَلَّتْ بَعْدَ عِزِّ عَشَائِرُهُ
تَجَرَّتْ عَلَيْهِ النَّائِبَاتُ فَأَصْبَحَتْ
بِكُلِّ الرَّدَى غَيْرَ الْحِمَامِ تُبَادِرُهُ
وَقَدْ كَانَ صَرَفُ الدَّهْرِ يُقْبِلُ نَحْوَهُ
إِذَا جَالَ فِي بَحْرِ مِنَ الْفِكْرِ خَاطِرُهُ

(١٣) ديوان جرير (الصاوي) ص ص ٣٣، ٣٤.

وأشدني أبو طاهر الدمشقي في نحو ذلك:

رُبَّ قَوْمٍ قَدْ غَدَوْا فِي نِعْمَةٍ وَعَلَا عِزِّ عَلَا ثُمَّ بَسَقُوا
سَكَتَ الدَّهْرُ زَمَانًا عَنْهُمْ ثُمَّ أَبْكَاهُمْ دَمًا حِينَ نَطَقُوا

وفي مثله يقول عدي بن زيد:

قَدْ أَرَانَا وَأَهْلُنَا بِحَفِيرٍ نَحْسِبُ الدَّهْرَ وَالسَّيْنَ شُهُورًا (١٤)
فَأَمِنَّا وَغَرَّنا ذَاكَ حَتَّى رَاعِنَا الدَّهْرُ إِذْ أَتَانَا مُغِيرًا
إِنَّ لِلدَّهْرِ صَوْلَةً فَأَحْذَرُوهَا لَا تَبِينَنَّ قَدْ أَمِنْتَ الدَّهْرَ وَرَا
قَدْ يَنَامُ الْفَتَى صَحِيحًا فَيَرْدَى وَلَقَدْ بَاتَ آمِنًا مَسْتَوْرًا (١٥)

ولعمري لقد أحسن أبو تمام الطائي حيث يقول:

أَعْوَامٌ وَضَلَّ كَانَ يُنْسِي طَوْلَهَا ذِكْرُ النَّوَى فَكَأَنَّهَا أَيَّامٌ
ثُمَّ انْبَرَتْ أَيَّامٌ هَجَرَ أُرْدِفَتْ بِجَوَى أَسَى فَكَأَنَّهَا أَعْوَامٌ
ثُمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ السَّيْنُ وَأَهْلَهَا وَكَأَنَّهُمْ وَكَأَنَّهَا أَحْلَامٌ (١٦)

وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَبْغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يُقِرَّطَ فِي الْجَزَعِ مِنْ غَيْرِ الْأَيَّامِ ، فَإِنَّ
الدَّهْرَ حَالٌ بَعْدَ حَالٍ . وَكَمَا كَانَ اتِّصَالُ السُّرُورِ ذَرِيعَةً إِلَى وَقُوعِ الْمَحْذُورِ ،
فَكَذَلِكَ رَبُّمَا كَانَ وَقُوعُ الْمَكْرُوهِ مِنْ أَقْوَى الْأَسْبَابِ لِرُجُوعِ الْمُحَابِّ . وَلَقَدْ
أَحْسَنَ كُلُّ الْأَحْسَانِ الَّذِي يَقُولُ :

قَدْ يُنْعِمُ اللَّهُ بِالْبُلُوَى وَإِنْ عَظُمَتْ وَيَتَبَلَّى اللَّهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنِّعَمِ
وَقَدْ قِيلَ فِي دَمِ الْحَاجِبِ وَالْمَحْجُوبِ أَشْيَاءٌ لَا تَصْلُحُ مِنْ مُحِبٍّ إِلَى

(١٤) في «م» والمطبوع: بخفير. وحفير موضع بالحيرة، وهو اسم لعدة مواضع كما في «معجم البلدان».

(١٥) الأبيات في ديوان عدي بن زيد ص ٦٤.

(١٦) الأبيات في ديوان أبي تمام ١٥١/٣.

مَحْبُوبٍ . غَيْرَ أَنَّا نَصِلُ بِذِكْرِ بَعْضِهَا الْبَابَ لِأَنَّهَا وَإِنْ لَمْ تَكُنْ دَاخِلَةً فِي
حَقِيقَتِهِ ، فَإِنَّهَا غَيْرُ خَارِجَةٍ مِنْ جُمْلَتِهِ .

أشدنا أبو الضياء لنفسه (١٧):

كُلُّ حِجَابِ الْمَرْءِ نَقْصٌ بِهِ وَبَعْضُهُ أَقْبَحُ مِنْ بَعْضِهِ
وَحَاجِبُ الْمَرْءِ إِذَا اخْتَارَهُ لِنَفْسِهِ نَاهٍ عَلَى عَرْضِهِ
وَرُبَّمَا دَمٌ عَلَى تَيْهِهِ خَلِيفَةُ الرَّحْمَانِ فِي أَرْضِهِ
وَكَمْ رَأَيْنَا حَاجِبًا تَائِهًا قَدْ أَبْغَضَ الْمَحْجُوبُ مِنْ بَعْضِهِ

وأشدني أبو العباس أحمد بن يحيى:

لَمَّا رَأَيْتُ أَمِيرَنَا مُتَهَجِّمًا وَدَعَتْ عَرِصَةً دَارِهِ بِسَلَامٍ (١٨)
وَرَفَضْتُ صَفْحَتَهُ الَّتِي لَمْ أَرْضَهَا وَأَزَلْتُ عَنْ رُتَبِ الدُّنْيَا مَقَامِي
وَوَجَدْتُ آبَائِي الَّذِينَ تَقَدَّمُوا سَنُوا الْإِبَاءَ عَلَى الْمُلُوكِ أَمَامِي

وقال أيضاً أحمد بن يحيى:

سَأَتُوكَ هَذَا الْبَابَ مَا دَامَ إِذْنُهُ عَلَى مَا أَرَى حَتَّى تَلِينَ قَلِيلًا
إِذَا لَمْ نَجِدْ يَوْمًا إِلَى الْإِذْنِ سُلْمًا وَجَدْنَا إِلَى تَرْكِ الْمَجِيءِ سَبِيلًا

وقال البحري:

وَلَمَّا وَقَفْنَا بِبَابِ الْوَزِيرِ وَقَدْ رُفِعَ السِّتْرُ أَوْ جَانِبُهُ
ظَلَلْنَا نُرْجِمُ فِيكَ الظُّنُونِ أَحَاجِمُهُ أَنْتَ أَمْ حَاجِبُهُ (١٩)

وقال ابن عبدوس لنفسه:

قَدْ أَتَيْنَاكَ وَإِنْ كُنَّا بِنَا غَيْرَ حَقِيقِ

(١٧) سبق أن ورد (أبو الضياء) وكنت أشرت إلى عدم اهتدائي إلى معرفته.

(١٨) كذا في «م» والمطبوع. أقول لعل الأصل: متجهيًا.

(١٩) لم أجد البيتين في الديوان.

وَتَوَخَّيْنَاكَ بِأَلْبٍ رَّ عَلَى بُغْدِ الطَّرِيقِ
كُلَّمَا جِئْنَاكَ قَالُوا نَائِمٌ غَيْرُ مُفِيقٍ
لَا أَنَامَ اللَّهُ عَيْنِي كَ وَإِنْ كُنْتُ صَدِيقِي

□ □ □

الباب الرابع عشر:

مَنْ مَنَعَ مِنَ الْوُصُولِ اقْتَصَرَ عَلَى الرَّسُولِ

ذَكَرُوا أَنَّ جَمِيلًا وَكَثِيرًا اتَّقَيَا، فَقَالَ جَمِيلٌ لِكَثِيرٍ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَصِيرَ
إِلَى بُثَيْنَةَ، فَتَأْخُذَ لِي عَلَيْهَا مَوْعِدًا، فَقَالَ لَهُ: وَنَحَكَ مِنْ عِنْدِ عَمِّهَا جِئْتُ
وَعَاشِيَةً أَهْلِهَا كَثِيرًا فَقَالَ لَهُ جَمِيلٌ: إِنَّ الْحِيلَةَ تَأْتِي مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ
كَثِيرٌ: فَأَعْطِنِي عَلَامَةً تَعْرِفُهَا، قَالَ جَمِيلٌ: آخِرَ يَوْمٍ اتَّقَيْنَا كُنَّا فِي وَادِي
الدُّومِ، فَأَصَابَ ثَوْبَهَا شَيْءٌ مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ، فَعَسَلْتُهُ. فَمَضَى كَثِيرٌ إِلَى
عَمِّهَا، فَقَالَ لَهُ: مَا الَّذِي رَدَّكَ؟ فَقَالَ: أَبَيَاتُ صَنَعْتُهَا فِي عَزَّةٍ أَحْبَبْتُ أَنْ
تَسْمَعَهَا، قَالَ: وَمَا هِيَ؟ فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

أَقُولُ لَهَا يَا عَزَّ أَرْسَلَ صَاحِبِي عَلَى نَائِي دَارٍ وَالْمَوْكَلُ مُرْسَلُ
بِأَنْ تَجْعَلِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا وَأَنْ تَأْمُرِيَنِي مَا الَّذِي فِيهِ أَفْعَلُ
أَمَّا تَذْكُرِينَ الْعَهْدَ يَوْمَ لَقِيتُكُمْ بِأَسْفَلِ وَادِي الدُّومِ وَالثُّوبُ يُغْسَلُ^(١)

فَلَمَّا سَمِعَتْ ذَلِكَ بُثَيْنَةُ، قَالَتْ: إِخْسًا، قَالَ لَهَا عَمُّهَا: مَا الَّذِي أَخْسَأَتْ
يَا بُثَيْنَةُ؟ قَالَتْ: كَلْبًا كَانَ يَغْتَرِبُنَا لَيْلًا، وَقَدْ رَأَيْتُهُ نَهَارًا، فَأَنْصَرَفَ كَثِيرٌ إِلَى
جَمِيلٍ، وَعَرَفَهُ أَنَّهَا قَدْ ذَكَرَتْ اللَّيْلَ فَصَرَ إِلَيْهَا.

وقال آخر:

إِنَّ أَلْيَّ أَبْصَرَتْهَا سَحَرًا تُكَلِّمُنِي رَسُولُ
أَدَّتْ إِلَيَّ رِسَالَةً كَادَتْ لَهَا نَفْسِي تَسِيلُ

(١) الأبيات لكثير كما في ديوانه ص ٤٥٢ وانظر مصادر التخريج.

فَلَوْ [أَنْ] أَذْنُكَ بَيْنَنَا
لَرَأَيْتَ مَا اسْتَقْبَحْتَهُ
وقال آخر:

خَلِيلِي عُوجًا بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ
وَقُولًا لَهَا لَيْسَ الضَّلَالُ اخْتِيَارَنَا
وقال آخر:

أَلَا يَا نَسِيمَ الرِّيحِ إِنْ كُنْتَ هَابِطًا
لِتَقْرَأَ عَلَيَّ لَيْلَى السَّلَامِ وَأَهْلِهَا
وقال خليفة بن روح الأسدي (٣):

أَلَا يَا خَلِيلَ النَّفْسِ إِنْ جِئْتَ أَرْضَهَا
فَسَلِّ أَمْ سَلِّمْ هَلْ مَحَا عَهْدَهَا الْغَنَى
وَبِاللَّهِ سَلَهَا هَلْ تَطَاوَلَ لَيْلُهَا
وَإِنْ لِسَانِي بِاسْمِ لَيْلَى وَذِكْرِهَا
وقال ابن أبي أمية (٤):

أَقُولُ وَقَدْ أَجَدَّ رَجِيلٌ صَحْبِي
أَلَمَّا قَبْلَ بَيْنِكُمَا بِسُلْمَى
رَجَا مِنْكَ النَّوَالَ فَلَمْ تُبَيِّلِي
فَلِنْ وَصَلْتِكُمَا سُلْمَى فَقُولَا
وَإِنْ أَنْسَتُمَا بُخْلًا فَلَسْنَا

حَتَّى تَسْمَعَ مَا نَقُولُ
مِنْ فِعْلِنَا وَهُوَ الْجَمِيلُ

وَإِنْ لَمْ تَكُنْ [أَرْضِي] لَأَرْضِكُمَا قَصْدًا
وَلَكِنَّا جُزْنَا لِنَلْقَاكُمْ عَمْدًا

بِلَادِ سُلَيْمَى فَالْتِمِسْ أَنْ تَكَلَّمَا
وَكُنْ بَعْدَهَا عَنْ سَائِرِ النَّاسِ أَعْجَمًا (٢)

فَأَنْتَ لَمْشُهُورٌ هُنَاكَ رَسُولُ
وَمَالِ حَوْنُهُ بَعْدَنَا وَخَلِيلُ
كَمَا أَلَّيْلُ إِذْ بَانَ عَلَيَّ طَوِيلُ
إِذَا قُلْتَ تَشْيِبًا بِهَا لَذَلُولُ

لِيُخَذَنِي أَهْدِيًا هَدِيًا جَمِيلًا
فَقُولَا أَنْتِ ضَامِنَةٌ قَتِيلًا
وَقَدْ أَوْرَثْتِهِ سَقَمًا طَوِيلًا
نَرَى فِي الْحَقِّ أَنَّ نَصْلَ الْوُصُولَا
بِأَوَّلِ مَنْ رَجَا جَرَجًا بِخِيلًا (٥)

(٢) البيتان من شعر المجنون كما في الديوان ص ٢٥٨ مع اختلاف في الرواية.

(٣) كنا أشرنا إلى «خليفة» هذا وعدم اهتدائنا إلى معرفته.

(٤) لم أهد إلى ترجمة الشاعر.

(٥) الأبيات في طبقات ابن المعتز (إقبال) ص ١٥٢، ١٥٣، وقد جاء البيت الأخير في

«م» والمطبوع: حرجاً بخيلاً، وانظر «جرج» في «اللسان».

وقال المقدم بن ضيغم (٦):
أَخَا الْجِنِّ بَلَّغَهَا السَّلَامَ فَإِنِّي
أَخَا الْجِنِّ حَالِ النَّاسِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا

وقال يزيد بن الطثرية:

أَلَمَّا عَلَى ظَلَامَةِ الْيَوْمِ فَأَنْطَقَا
وَقُولَا إِذَا عَدْتُ ذُنُوبًا كَثِيرَةً
هَبِيهِ أَمْرًا إِمَّا بَرِيئًا ظَلَمْتِهِ

وقال أيضاً:

أَيَا رِفْقَةً مِنْ أَهْلِ بُصْرَى تَحَمَّلْتَ
إِذَا مَا بَلَّغْتُمْ سَالِمِينَ فَبَلَّغُوا
وَقُولَا تَرَكْنَا الْحَارِثِيَّ مُكْبَلًا

وقال عمر بن أبي ربيعة:

أَرْسَلْتُ أَسْمَاءً فِي مَعْتَبَةٍ
إِذْ أَتَى مِنْهَا رَسُولٌ مَوْهِنًا
ضَرَبَ الْبَابَ فَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ
قَالَ أَتَقَاطُ وَلَكِنْ حَاجَةٌ
وَلِهَذَا رَدَّنِي فَأَجْتَهَدْتُ
أَشْهَدُ الرَّحْمَانَ لَا يَجْمَعُنَا
قُلْتُ يَا هِنْدُ أَعْمِدِي لِي نَحْوَهَا
فَأَتَتْهَا طَبَّةٌ عَالِمَةٌ

مِنْ الْإِنْسِ مُزَوَّرُ الْجَنَانِ كَتُومُ
عَدُوٍّ وَمُسْتَحْيَا عَلَيَّ كَرِيمُ

بُعْذِرِي لَدَيْهَا وَأَذْكُرَانِي تَعَجُّبَا
عَلَيَّ تَجَنَّاهَا أَمْرُؤُ مَا تَغَيَّرَا
وَأَمَّا مُسِيئًا تَابَ بَعْدُ وَأَعْتَبَا (٧)

تَوُمُ الْحِمَى لُقَيْبٍ مِنْ رِفْقَةٍ رُشْدَا
تَحِيَّةٍ مَنْ قَدْ ظَنَّ أَنَّ لَا يَرَى نَجْدَا
يَكْبَلُ أَلْهَوَى مِنْ حُبِّكُمْ مُضْمِرًا وَجَدَا (٨)

عَبَّيْتُهَا وَهِيَ أَحْلَى مَنْ عَجِبَ
وَجَدَ الْحَيَّ نِيَامًا فَأَنْقَلَبَ
أَحَدٌ يَفْتَحُ عَنْهُ إِذْ ضَرَبَ
عَرَضَتْ تُكْتَمُ مِنَّا فَاخْتَجَبَ
بِیَمِينٍ حَلَقَتْ عِنْدَ الْغَضَبِ
سَقَفَ بَيْتٍ رَجَبًا حَتَّى وَجَبَ
وَأَخْلَفِي بِأَلَلِهِ كَشَافِ الْكُرْبِ
تَخْلِطُ الْجِدَّ مِرَارًا بِأَلَلِيبِ

(٦) لم أهد إلى معرفته.

(٧) الأبيات في مجموع شعر يزيد بن الطثرية ص ١٨ مع اختلاف في الرواية.

(٨) المصدر السابق ص ٣٣ والمصدر كتاب «الزهرة».

تَرْفَعُ الصَّوْتِ إِذَا لَأَنْتَ لَهَا وَتَرَاحِي عِنْدَ سَوَرَاتِ الْغَضَبِ
لَمْ تَزَلْ تَصْفُهَا عَنْ رَأْيِهَا وَتَأْتَاهَا بِرِفْقٍ وَأَدَبٍ^(٩)
فَبَلَّغْنِي أَنْ أَبْنُ عَتِيقٍ لَمَّا سَمِعَ هَذَا الشَّعْرَ قَالَ لِعُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ:
الْأَنَاسُ فِي طَلَبِ خَلِيفَةٍ مِثْلَ قَوَادَتِكَ هَذِهِ، مُنْذُ قُتِلَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ
فَمَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ.

وقال أبو تمام الطائي:

أَغْنَيْتَ عَنِّي غَنَاءَ الْمَاءِ فِي الشَّرْقِ وَكُنْتَ مُنْشِئَ وَبَلِّ الْغَارِضِ الْغَدِيقِ
يَا مَنَّةَ لَكَ لَوْلَا مَا أَخَفَّفُهَا بِهِ مِنَ الشُّكْرِ لَمْ تُحْمَلْ وَلَمْ تُطَقِ^(١٠)

وقال أيضاً في وصفه كتاباً ورد عليه وأحسن:

فَضَضْتُ خُتَامَهُ فَتَبَلَّجَتْ لِي غَرَائِبُهُ عَنِ الْخَبَرِ الْجَلِيلِ
وَكَانَ أَجَلٌ فِي عَيْنِي وَأَبْهَى عَلَى كَيْدِي مِنَ الزُّهْرِ النَّدِيِّ
وَأَحْسَنَ مَوْقِعاً مِنِّي وَعِنْدِي مِنَ الْبُشْرَى أَتَتْ بَعْدَ النَّعِيِّ
وَضَمِنَ صَدْرُهُ مَا لَمْ تَضْمَنْ صُدُورُ الْغَايَاتِ مِنَ الْحُلِيِّ^(١١)

وقال البحتري:

تَنَاءَتْ دَارُ غُلُوةٍ بَعْدَ قُرْبِ فَهَلْ رَكْبٌ يُبَلِّغُهَا السَّلَامَا
وَجَدَّدَ طَيْفُهَا عُنْباً عَلَيْنَا فَمَا يَغْتَادُنَا إِلَّا لِمَامَا
وَرُبَّتْ لَيْلَةٌ قَدْ بَتَّ أَسْقَى بِكَفِّهَا وَعَيْنَيْهَا الْمُدَامَا
قَطَعْنَا اللَّيْلَ لَثْمًا وَاعْتَنَاقًا وَأَفْنَيْنَاهُ ضَمًّا وَالتَّرَامَا^(١٢)

(٩) الأبيات في ديوان عمر ص ١٤، ١٥ وليس منها البيت السابع.

(١٠) البيتان في الديوان ٤٠١/٢.

(١١) ديوان أبي تمام (الخياط) ص ٣٠٩.

(١٢) الأبيات في ديوان البحتري ص ٢٠٠٥.

وقال أيضاً:

هَلْ رَكْبٌ مَكَّةَ حَامِلُونَ تَحِيَّةَ تَهْدِي إِلَيْنَا مِنْ مُعْنَى مُغْرَمٍ
رَدَّ الْجُفُونَ عَلَى كَرَى مُتَبَدِّدٍ وَحَنَى الصُّلُوعَ عَلَى جَوَى مُتَضَرِّمٍ
إِنْ لَمْ يَبْلُغْكَ الْحَجِيجُ فَلَا رَمَوْا بِالْجَمْرَتَيْنِ وَلَا سُقُوا مِنْ زَمَزَمِ^(١٣)

وقال زيادة بن زيد^(١٤):

أَلِمَّا بِلَيْلِي يَا خَلِيلِي فَاَنْظُرَا وَغُوجَا أَلَمَطَايَا طَالَمَا قَدْ هَجَرْتُهَا
مَتَى يَرَهَا أَلْعَجَلَانُ لَا يَثْنِ طَرْفَهُ إِلَى عَيْنِهِ حَتَّى يَحَارَ وَيَحْسَرَا
وَلَوْ خَلَيْتَ لَيْلَى عَلَى اللَّيْلِ مُظْلِمًا لَجَلَّتْ ظِلَامَ اللَّيْلِ لَيْلَى فَأَقَمَرَا
وَلَمْ أَرِ لَيْلَى بَعْدَ يَوْمٍ لَقَيْتُهَا تَكُفْ دُمُوعَ الْعَيْنِ أَنْ تَتَحَدَّرَا
فَمَا بَدَّدَ أَلْهَجْرَانُ يَا لَيْلُ بَيْنَنَا وَشَحَطَ النَّوَى إِلَّا أَلْهَوَى وَالتَّذَكُّرَا
وَكَمْ دُونَ لَيْلَى بَلْدَةٌ مُسَبَّطَرَّةٌ وَبِيدٌ مَلَاهَا أَلْعَيْنُ حَتَّى تَحِيرَا

وقال نصيب^(١٥):

خَلِيلِي تِلْكَ أَلْعَامِرِيَّةُ فَاَنْظُرَا أَيْقَى لَدَيْهَا أَلْوُدُّ أَمْ يَتَقَضَّبُ
وَقُولَا لَهَا إِنْ يَغْتَزِلُكَ فَلَا قَلَى وَلَكِنَّهُ عَنْ رِقَبَةٍ يَتَجَنَّبُ
يَرَى دُونَكُمْ مَنْ يَبْقَى وَهُوَ الْفَتْ لَكُمْ وَلَهُ مِنْ دُونِكُمْ مُتَرَقَّبُ
فَصَدِّ وَمَا يَسْطِيعُ صَرْمُكَ إِنَّهُ وَلَوْ صَدَّ رَهْنٌ فِي جِبَالِكِ مُنْشَبُ^(١٦)

(١٣) ديوان البحتري ص ٢٠٨١.

(١٤) من بني الحارث بن سعد آخر عذرة. قال أبو رياش: هو زيادة بن زيد من سعد

هذيم. . انظر شرح الحماسة (التبريزي) ٢٣٨/١.

(١٥) نصيب شاعر في عصر بني أمية، عبد أسود، مدح عبدالعزیز بن مروان. انظر الشعر

والشعراء (لیدن) ص ص ٢٤٢، ٢٤٤.

(١٦) الأبيات في شعر نصيب (المجموع) ص ٦١، والمصدر كتاب «الزهره».

وقال الأحوص :

إِذَا مَا أَتَى مِنْ نَحْوِ أَرْضِكَ رَاكِبٌ
فَأَبْدَا إِذَا اسْتَخْبِرْتُ عَمْدًا بِغَيْرِهَا
وَأَخْفِي إِذَا اسْتَخْبِرْتُ أَشْيَاءَ كَارِهَا
فَسِرُّكَ عِنْدِي فِي الْفُرَادِ مَكْتَمٌ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو لَا إِلَى النَّاسِ حَاجَتِي
أَلَا فَارْحَمِي مَنْ قَدْ ذَهَبَتْ بِعَقْلِهِ
إِذَا قُلْتَ هَذَا جِئِنْ أَسْلُو ذَكَرْتَهَا

إِنْ كَانَ أَحَدٌ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَى أَحْبَابِهِمْ وَالسَّائِلِينَ عَنْ أَخْبَارِهِمْ
مَعْدُورًا، فَصَاحِبُ هَذَا الشَّعْرِ مَعْدُورٌ لِأَنَّهُ قَدْ اخْتَلَطَ جَهْدُهُ وَكَتَمَ سِرَّهُ، بِحَسَبِ
مَا يُمَكِّنُهُ. وَلَيْسَ هَذِهِ حَالًا تَامَةً، وَلَا فِي بَابِ الْمُرَاسَلَاتِ حَالٌ تَامَةٌ. غَيْرَ [أَنْ]
كُلَّ مَا قُلَّ مِنَ الْإِظْهَارِ، وَأَنْكَتُمْ مِنَ الْأَسْرَارِ، كَانَ صَاحِبُهُ أَعْدَرَ مِمَّنْ أَفْرَطَ فِي
إِظْهَارِ حَالِهِ، وَأَتَمَّنَ النَّاسَ عَلَى أَسْرَارِهِ.

وقال آخر :

أَتَنَّا عُيُونٌ مِنْ بِلَادِكَ لَمْ تَجِءْ
وَأَنْ مِنْ الْخَلَايَ مَنْ تَشْحَطُ النَّوَى
وَمِنْهُمْ كَغَيْبِ الْعَيْنِ أَمَا لِقَاؤُهُ
فَحَلُّوْ وَأَمَا غَيْبُهُ فَخَوْوْ

وقال آخر (١٨) :

أَلَا أَيُّهَا الرُّكْبُ الْيَمَانُونَ عَرِّجُوا
نُسَائِلُكُمْ هَلْ سَالَ نُعْمَانُ بَعْدَنَا
عَهْدَنَا بِهِ صَيْدًا غَزِيرًا وَمَشْرَبًا
بِهِ نُقَعِ الْقَلْبُ الَّذِي كَانَ صَادِيَا

(١٧) المقطوعة في شعر الأحوص ص ١٤٠ وانظر التخريج .

(١٨) ورد البيت الأول في شعر المجنون في «بسط سامع المسامر» ص ٦٤، كما ورد الثاني في
المصدر نفسه ص ٧٣.

وأنشدني أعرابي بالبادية :

أَيَا رَبِّ أَنْتَ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَوَى
أَسَائِلُ عَنْهُمْ أَهْلَ مَكَّةَ كُلُّهُمْ
عَسَى خَبْرٌ مِنْهَا يُصَادِفُ رِفْقَةً
وَمُعْتَمِرٌ فِي رَكْبِ عَزَّةَ لَمْ تَكُنْ
لَيْنَ عَزَلْتُ يَا عَزَّ نَفْسِي عَنْكُمْ

ولبعض أهل هذا العصر :

أَتَذْكُرُ الْيَوْمَ مَا لَاقَيْتُ مِنْ كَمَدٍ
هَذَا مَقَامُ قَتَى أَقْصَاهُ مَالِكُهُ
بَيْنَا يُعَدِّدُ أَحْقَادًا وَيُضْمِرُهَا
لَمْ يَجِنْ ذَنْبًا فَيَذَرِي مَا يُمَحِّصُهُ
وَاللَّهِ وَاللَّهِ لَا تُشِمْتُ أَعَادِيَهُ

وقال سهيل بن عليل (٢٠) :

أَلَا أَيُّهَا الرُّكْبُ الْمَجْنُونُ هَلْ لَكُمْ
أَلَلَّتْ عَصَاهَا فَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى

وقال آخر :

بَعَثْتُ رَسُولًا فَأَصْحَى خَلِيلًا
وَكُنْتُ الْخَلِيلَ وَكَانَ الرَّسُولَ
كَذَا مَنْ يُوجِّهُ فِي حَاجَةٍ
إِلَى مَنْ يَحُبُّ رَسُولًا نَسِيلًا

(١٩) أقول لعل الأبيات من رائية كثير لورود «عزة» في البيت الأول، ورائية كثير في الديوان

ص ٤٢٩، وليس له رائية أخرى من الطويل.

(٢٠) لم أهدت إلى معرفته.

وَزَعَمُوا أَنَّ جَارِيَةً أَرْسَلَتْ جَارِيَتَهَا بِرِسَالَةٍ إِلَى خَلِيلٍ كَانَ لَهَا فَاتَهَمَتُهُ بِأَنَّهُ
جَمَّشَهَا فَكَتَبَ مُعْتَذِرًا مِنْ ذَلِكَ:

زَعَمَ الرَّسُولُ بِأَنِّي جَمَّشْتُهُ كَذَبَ الرَّسُولُ وَقَالَتِ الْإِصْبَاحُ (٢١)
إِنْ كُنْتُ خَمَّشْتُ الرَّسُولَ فَعَاقَصْتُ رُوحِي أَنَا مِلُّ قَابِضِ الْأَرْوَاحِ
شُغِلِي بِحُبِّكَ عَنْ سِوَاكَ وَلَيْسَ لِي قَلْبَانِ مَشْغُولٍ وَآخِرُ صَاحِ
قَلْبِي الَّذِي لَمْ يُبْقِ فِيهِ هَوَاكُمُ فَضْلًا لِتَخْمِيشٍ وَلَا لِمَزَاحِ

□ □ □

الباب الخامس عشر:

مَنْ أَحَبَّهُ أَحْبَابُهُ وَشَى بِهِ أَثْرَابُهُ

مَكَائِدُ الْوُشَاةِ كُلُّهَا تَنْقَسِمُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: فِسْعَايَةُ الْمُتَحَابِّينَ إِلَى
غَيْرِهِمَا، وَسِعَايَةُ الْمُحِبِّ إِلَى مَحْبُوبِهِ، وَسِعَايَةُ الْمَحْبُوبِ إِلَى مُحِبِّهِ، فَهَذِهِ
عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْأَدْبَاءِ أَوْعَفُ الْمَكَائِدِ أَثْرًا. وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ وَلَا هُوَ أَيْضًا
بِضِدِّ ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى تَقْصَانٍ. أَمَّا الْعُشَّاقُ وَالْمُتَمِيمُونَ فَلَا يَقْبَلُونَ قَوْلَ
الْوُشَاةِ، بَلْ لَا يَسْمَعُونَهُ لِأَنَّ الْيَقَظَةَ مِنْهُمْ بِأَحْبَابِهِمْ مَاجِيَةٌ لِقَوْلِ مَنْ وَشَى بِهِمْ.
وَأَمَّا أَهْلُ الْوَلَةِ الْمُدْلَهُونَ فَيَقْبَلُونَ مَا لَا يَسْمَعُونَ، فَضْلًا عَمَّا يَسْمَعُونَ، لِمَا
قَدَّمْنَا مِنْ وَصْفِهِمْ، وَغَلَبَةِ الظَّنِّ عَلَى أَنْفُسِهِمْ. وَنَحْنُ نَذْكُرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ
كُلِّ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ طَرَفًا.

وقال بعض الظرفاء:

وَلَمَّا رَأَيْنَا الْكَاشِحِينَ تَتَّبَعُوا هَوَانًا وَأَبَدُوا دُونَنَا أَعْيُنًا خُزْرًا
جَعَلْتُ وَمَا بِي مِنْ جَفَاءٍ وَلَا قِلَى أَزُورُكُمْ يَوْمًا وَأَهْجُرُكُمْ شَهْرًا
وَلَوْ نَظَرْتُ بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالْحَشَا رَأْتُ مِنْ كِتَابِ الْحَبِّ فِي كِبْدِي سَطْرًا

وقال الأحموس:

يَا بَيْتَ عَائِكَ الَّذِي أَتَعَزَّلُ حَذَرَ الْإِدَى وَبِهِ الْفُؤَادُ مُوَكَّلُ
أَصْبَحْتُ أَمْنُحَكَ الصُّدُودَ وَإِنِّي قَسَمًا إِلَيْكَ مَعَ الصُّدُودِ لِأَمِيلُ
وَتَجَنَّبِي بَيْتَ الْحَبِيبِ وَذَكَرَهُ أَرْضِي الْبَغِيضَ بِهِ حَدِيثُ مُعْضِلُ
هَلْ عَيْشُنَا بِكَ فِي زَمَانِكَ رَاجِعُ فَلَقَدْ تَفَحَّشَ بَعْدَكَ الْمُتَعَلِّلُ

(٢١) في «م» والمطبوع: خمشها وخشمتها. والتخمش معروف في شعر الحب.

وَلَوْ أَنَّ مَا عَالَجْتُ لَيْنَ فُؤَادِهِ فَقَسَا اسْتُلِينَ بِهِ لَلَانَ الْجَنْدَلُ^(١)

وقال معاذ ليلي^(٢):

إِذَا جِئْتُهَا وَسَطَ الْبَسَاءِ مَنَحْتُهَا
وَلِي نَظْرَةٌ بَعْدَ الصُّدُودِ مِنَ الْهَوَى

وقال بعض الأعراب:

لَعَمْرُ أَبِي الْمُحْصِينَ أَيَّامَ نَلْتَقِي
يَعْدُونَ يَوْمًا وَاحِدًا إِنْ أَتَيْتُهَا

وقال آخر:

أَمْرٌ مُجَنِّبًا عَنْ بَيْتِ لَيْلَى
أَمْرٌ مُجَنِّبًا وَهَوَايَ فِيهِ
وَقَلْبِي فِيهِ مُحْتَبِسٌ فَهَلْ لِي
أَوْمِلُ أَنْ أُعَلَّ بِشُرْبِ لَيْلَى

وقال جميل:

أَتَهْجُرُ هَذَا الرَّبْعَ أَمْ أَنْتَ زَائِرُهُ
رَأَيْتَكَ تَأْتِي الْبَيْتَ تُبْغِضُ أَهْلَهُ

وقال الحسين بن مطير:

بِنَفْسِي مَنْ لَا بُدَّ أَيْيَ هَاجِرُهُ
وَمَنْ أَنَا فِي الْمَيْسُورِ وَالْعُسْرِ ذَاكِرُهُ

(١) الأبيات في «شعر الأصوص» ص ١٦٦ وانظر التخريج.

(٢) معاذ ليل هو المجنون، وقد مر بنا وعرفنا به.

(٣) البيتان في شعر المجنون، انظر الديوان ص ١٠٧، وانظر مجموعة المعاني ص ٢١٠،

وأمالى القالي ٤٣/١، وشرح المروزقي ص ١٤١٤.

(٤) الأبيات في شعر المجنون، انظر الديوان ص ٣٢٧.

(٥) البيتان من قصيدة، ديوان جميل ص ٦٩.

وَمَنْ قَدْ رَمَاهُ النَّاسُ حَتَّى اتَّقَاهُمْ
وَمَنْ ضَنَّ بِالتَّسْلِيمِ يَوْمَ فِرَاقِهِ
وَمَنْ بَانَ مِنَّا يَوْمَ بَانَ وَمَا دَرَى
وَحَالَ بَنُو الْعَمَاتِ وَالْعَمُّ دُونَهُ
أَتَهْجُرُ بَيْتًا بِالْحِجَارِ تَكْنُفُ
فَإِنْ آتَيْهِ لَا أَنْجُ إِلَّا بِظَنِّهِ

وقال آخر:

وَلَمْ أَرْ مَحْزُونَيْنِ أَجْمَلَ لَوْعَةً
كِلَانَا يَذُودُ النَّفْسَ وَهِيَ حَزِينَةٌ

وقال أبو القمقام الأسدي^(٧):

[أ] عَفَرَاءُ كَمْ مِنْ مِيتَةٍ قَدْ أَذْقَنِي
بُلِينَا بِهِجْرَانٍ وَلَمْ يُرَ مِثْلُنَا
أَشَدُّ مُصَافَاةً وَأَبْعَدَ مِنْ قَلِي

وقال معاذ ليلي:

أَهَابُكَ إِجْلَالًا وَمَا بِكَ قَدْرَةٌ
وَمَا هَجَرْتُكَ النَّفْسُ يَا لَيْلُ إِنَّهَا
وَلَكِنَّهُمْ يَا أَمْلَحَ النَّاسِ أَكْثَرُوا
أَتَضْرِبُ لَيْلَى إِنْ مَرَرْتُ بِبَنِي الْعَصَى

(٦) الأبيات في شعر الحسين بن مطير، ص ص ٥٠، ٥١، ٥٢ وهي لابن الدمينه كما في

أمالى القالي ٧٨/١، والبيتان الأول والثاني في ديوان المجنون ص ١٤٣.

(٧) أبو القمقام الأسدي من شعراء الحماسة (التبريزي) ٣١٥/٣.

(٨) الأبيات في شعر المجنون، انظر ديوان المجنون ص ص ٧١، ٧٢، وهي في شرح

المروزقي ص ١٣٦٣ من غير عزو، وفي السمط ص ٤٠١ أنها لنصيب.

وقال عروة بن حزام:

تَكْنَفَنِي أَلْمَأْشُونُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
إِذَا مَا جَلَسْنَا مَجْلِسًا نَسْتَلِدُهُ
أَلَا لَعَنَ اللَّهُ أَلْوَشَاءَ وَقَوْلَهُمْ
أَلَا لَيْتَ كُلِّ اثْنَيْنِ بَيْنَهُمَا هَرَى
أَنَاسِيَةُ عَفْرَاءَ وَصَلِي بَعْدَ مَا
إِذَا رَامَ قَلْبِي هَجَرَهَا حَالُ دُونِهَا
إِذَا قُلْتُ لَا قَالَا بَلَى ثُمَّ أَصْبَحَا

وقال البحرني:

خَلِيلِي لَا أَسْمَاءَ إِلَّا أَدَكَرُهَا
تَمَادَى بِهَا أَلْهَجُرُ أَلْبَرَحَ وَالنَّوَى
وَقَدْ كَثُرَتْ مِنَّا أَلْمَعَاصَةُ لِلصَّبَى
هَلِ أَلْوَجْدُ إِلَّا عَبْرَةٌ أَسْتَرِدُّهَا

وقال آخر:

خَلِيلِي إِنِّي أَلْيَوْمَ شَاكٍ إِلَيْكُمَا
فَرُقُ أَلْأَفْ وَجَوْلَانُ عَبْرَةٍ
وَلَا يَلْبَثُ أَلْوَأْشُونُ أَنْ يَصْدَعُوا أَلْعَصَا

وقال أبو علي البصير:

لَقَدْ قَرَعَ أَلْوَأْشِي بِأَهْوَنِ سَعِيهِ

وَلَوْ كَانَ وَاشٍ وَاحِدٌ لَكَفَانِي
تَوَأْشُوا بِنَا حَتَّى أَمْلُ مَكَانِي
فُلَانَةٌ أَصَحَّتْ خُلَّةٌ لِفُلَانٍ
مِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ يَلْتَقِيَانِ
جَرَى أَلْدُمْعُ مِنْ عَيْنِي بِأَلْهَمَلَانِ
شَفِيعَانِ مِنْ قَلْبِي لَهَا جَدَلَانِ
جَمِيعًا عَلَى الرَّأْيِ أَلَّذِي يَرِيَانِ (٩)

وَلَا دَارَ مِنْ وَهْبَيْنِ إِلَّا طُلُوهَا
بِمَسْمَعِهَا قَالَ أَلْوَشَاءُ وَقِيلَهَا
وَلَوْ أَنَّهَا قَلَّتْ لَضُرَّ قَلِيلُهَا
أَوْ أَلْحُبُّ إِلَّا عَثْرَةٌ أَسْتَفِيلُهَا (١٠)

وَهَلْ تَنْفَعُ أَلشُّكْوَى إِلَى مَنْ يَزِيدُهَا
أَظْلُ بِأَطْرَافِ أَلْبَنَانِ أَدُودُهَا
إِذَا لَمْ يَكُنْ صَلْبًا عَلَى أَلْبَرِي عُوْدُهَا (١١)

صَفَاةٌ قَدِيمًا أَخْطَأَتْهَا أَلْقَوَارِغُ

فَأَقْلَقَنِي فِي ضَعْفِهِ وَهُوَ سَاكِنٌ وَشَرَّدَ عَنْ عَيْنِي أَلْكَرَى وَهُوَ هَاجِعٌ

وأنشدنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي ليزيد الغواني العجلي (١٢):
سَرَتْ عَرْضَ ذِي قَارٍ إِلَيْنَا وَنَطْنِهِ أَحَادِيثُ لِلْوَأْشِي بِهِنَّ دَبِيبُ
أَحَادِيثُ سَدَاهَا شَيْبٌ وَنَارُهَا وَإِنْ كَانَ لَمْ يَسْمَعْ بِهِنَّ شَيْبُ
وَقَدْ يَكْذِبُ أَلْوَأْشِي فَيَسْمَعُ قَوْلُهُ وَيَصْدُقُ بَعْضُ أَلْقَوْلِ وَهُوَ كَذُوبُ

وقال آخر:

فَإِنْ تَكُ لَيْلَى قَدْ جَفَنِي وَطَاوَعَتْ عَلَى صَرَمِ حَبْلِي مَنْ وَشَى وَتَكْذَبَا
لَقَدْ بَاعَدَتْ نَفْسًا عَلَيْهَا شَفِيقَةً وَقَلْبًا عَصَى فِيهَا أَلْحَبِيبَ أَلْمُقَرَّبَا
فَلَسْتُ وَإِنْ لَيْلَى تَوَلَّتْ بِوُدِّهَا وَأَصْبَحَ بَاقِي أَلرُّضَلِ مِنْهَا تَقْضُبَا
بِمُثْنِ سَوَى عُرْفٍ عَلَيْهَا وَمُثْمِتِ وَشَاءَ بِهَا كَانُوا شُهُودًا وَغِيَا
وَلَكِنِّي لَا بُدَّ أُنِّي قَائِلُ وَذُو أَلَلْبِ قَوَالٍ إِذَا مَا تَعَبَا
فَلَا مَرْحَبًا بِأَلشَّامَتَيْنِ بِهَجَرِنَا وَلَا زَمَنٍ أَمْسَى بِنَا قَدْ تَقَلَّبَا (١٣)

وقال معاذ ليلي:

فَلَوْ كَانَ وَاشٍ بِأَلْيَمَامَةِ دَارِهِ وَدَارِي بِأَعْلَى خَضْرَمَوْتَ أَهْتَدَى لِيَا
وَمَاذَا لَهُمْ لَا أَكْثَرَ أَللَّهُ خَيْرَهُمْ مِنْ أَلْحَظِّ فِي تَصْرِيمِ لَيْلَى جِبَالِيَا (١٤)

وقال بعض الأعراب: *

أَمَّا وَأَلرَّافِصَاتِ بِذَاتِ عِرْقِي وَمَنْ صَلَّى بِنُعْمَانِ أَلْأَرَاكِ
لَقَدْ أَضْمَرْتُ حُبَّكَ فِي فُؤَادِي وَمَا أَضْمَرْتُ حُبًّا مِنْ سِوَاكِ

(١٢) لم أهدد إلى «يزيد» هذا.

(١٣) الأبيات في شعر المجنون، انظر الديوان ص ٣٢٣.

(١٤) البيتان في شعر المجنون كما في الديوان ص ٣٠١.

(*) جاءت الأبيات في معجم البلدان (نعمان)، قال أبو العميث، والذي أراه أنه أنشد الأبيات.

(٩) الأبيات في شعر عروة بن حزام ص ٩، وانظر التخريج.

(١٠) انظر ديوان البحرني ص ١٧٧١.

(١١) أشار عبدالستار فراج في تعليق له في الصفحة ١٠٦ من ديوان المجنون: إن الأبيات من دالية المجنون، ولم يوثق ما أفاد به.

أَطْعَتِ الْأَمِيرِكِ بِصَرْمٍ حَبْلِي
فَإِنْ هُمْ طَاوَعُوكَ فَطَاوَعِيهِمْ

وقال ابن الدمينه (١٥):

دِيَارُ آلِي هَاجَرَتْ عَصْرًا وَلِلْهَوَى
لِتَسْلَمَ مِنْ قَوْلِ الْوُشَاةِ وَإِنِّي
أُمِيمٌ بِقَلْبِي مِنْ هَوَاكَ زُمَانَةً
أُمِيمٌ لَقَدْ غَنَيْتَنِي وَأَرَيْتَنِي

ولبعض أهل هذا العصر:

لَيْتَنِي رَفَقَ الْوَأَشِي سُرُورًا بِمَا رَأَى
لَقَدْ أَشْهَرَ الْعَيْنَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً
عَدِمْتُ الْهَوَى إِنْ كُنْتُ عَاشَرْتُ وَافِيًا
فَإِنْ لَمْ تَدْعُ مَا لَا أُحِبُّ تَطَرُّفًا

وأنشدني أحمد بن يحيى:

هَجَرْتُ فَلَمَّا أَنْ هَجَرْتُكَ أَصْبَحْتُ
فَلَا يَفْرَحُ الْوَأَشُونَ بِالْهَجْرِ رَبُّمَا
وَتَغْدُو النَّوَى بَيْنَ الْمُحِبِّينِ وَالْهَوَى

وأنشدتني منيرة العصبية (١٧):

مَا كَانَ ذَلِكَ الْهَجْرُ مِنِّي عَنْ قَلِي
إِنِّي لَيْسِيْنِي الْحَيَاءِ وَأَنْشِي
وَإِذَا الْمُنَاضِلُ لَمْ يَكُنْ مُنْتَبِئًا

مُرِيهِمْ فِي أَحْبَبَتِهِمْ بِذَاكَ
وَإِنْ عَاصُوكَ فَاغْصِي مِنْ عَصَاكِ

بِقَلْبِي إِلَيْهَا قَائِدٌ وَمُهَيْبٌ
لَهُمْ حِينَ يَفْتَسِبُونَهَا لَذْنُوبٌ
وَأَنْتَ لَهَا لَوْ تَبْدِيلِينَ طَبِيبٌ
بَدَائِعِ أَخْلَاقٍ لَهُنَّ ضُرُوبٌ (١٦)

وَهَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَقْرَأَ وَأَنْصَبَا
وَعَادَرَ قَلْبِي مُسْتَهَامًا مُعَذَّبَا
سِوَاكَ وَقَدْ طَوَّفْتُ شَرْقًا وَمَغْرِبَا
وَلَا رَاعِيًا عَهْدِي فَدَعُهُ تَحَوُّبَا

بِنَا شُمْنَا تِلْكَ الْعُيُونُ الْكَوَاشِحُ
أَطَالَ الْمَجِبُ الْهَجْرَ وَالْحَبِيبُ نَاصِحُ
مَعَ الْقَلْبِ مَطْوِيٌّ عَلَيْهِ الْجَوَانِحُ

لَا وَالَّذِي رَفَعَ السَّمَاءَ وَبَنَاهَا
وَأَصْدُ بَعْضِ مَوَدَّتِي أَسْتَيْقَاهَا
يَبْقَى مَوَاقِعَ نَبْلِهِ أَفْنَاهَا

(١٥) الأبيات في الديوان ص ٩٩، ١٠٠ مع اختلاف في الرواية.

(١٦) في «م» والمطبوع: غَيْتَنِي.

(١٧) أقول: لعلها ستيرة العصبية التي مرت في الصفحة (١١٥) ولم نهند إلى معرفتها.

وقال آخر:

وَتَحْسِبُ لَيْلِي أَنِّي إِنْ هَجَرْتُهَا
وَلَكِنَّ لَيْلِي لَا تَفِي بِأَمَاطِنَةٍ
وَبِي مِنْ هَوَاهَا [الدَّهْر] مَا لَوْ أَبَتْهُ

وقال رجل من أزد:

فَوَيْحَكُمَا يَا وَاشِيِي أَمَّ مَعْمَرٍ
لَقَلَّكُمَا إِنْ تُخْبِرَانِي قَلْبِيْنَهَا
بِنَفْسِي مَنْ لَوْ أَسْتَطِيعُ أَتَيْتُهُ
وَمَنْ لَوْ أَرَاهُ عَاتِيَا لَفَدَيْتُهُ

وقال الأقرع بن معاذ القشيري:

أَلَا أَيُّهَا الْوَأَشِي بِلَيْلِي أَلَا تَرَى
لَعَمْرُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ حَتَّى أُطِيعَهُ
إِذَا نَحْنُ رُمْنَا هَجْرَهَا صَمَّ حُبُّهَا

وقال آخر:

كَأَنَّ عَائِبَكُمْ يُلْدِي مَحَاسِنَكُمْ
مَا فَوْقَ حُيُوكِ حُبٌّ لَسْتُ أَعْلَمُهُ

وقال البحري:

يَمْلَأُ الْوَأَشِي جَنَانِي دُغْرًا

حَذَارَ الْأَعَادِي أَنَّمَا بِي هُونُهَا
فَتَحْسِبُ لَيْلِي أَنِّي سَأَخُونُهَا
جَمَاعَةَ أَعْدَائِي بَكَتْ لِي عُيُونُهَا (١٨)

لِمَنْ وَإِلَى مَنْ جِئْتُمَا تَشِيَانِ
وَأَطْمَعْتُهَا عِنْدِي لَهَا بِهِوَانِ
سَرِيعًا وَمَنْ لَوْ يَسْتَطِيعُ أَتَانِي
وَمَنْ لَوْ رَأَى عَاتِيَا لَفَدَانِي (١٩)

إِلَى مَنْ تَشِي [بِي] أَوْ يَمَنْ جِئْتَ وَاشِيَا
بِلَيْلِي إِذَنْ لَا يُصْبِحُ الدَّهْرُ رَاضِيَا
صَمِيرُ الْحَشَاضِمِ الْجَنَاحِ الْخَوَافِيَا (٢٠)

يَأْتِي لِيَنْفَصِّكُمْ عِنْدِي فَيَغْرِبِي
فَمَا يَضُرُّكَ أَلَّا نَسْتَزِيدَ بِنِي

وَيُعَيِّنِي الْحَدِيثُ الْمُخْتَلَقُ

(١٨) الأبيات من شعر المجنون كما في الديوان ص ٢٦٩، وكذلك في الأغاني ٢/ ٢٨.

(١٩) الأبيات من شعر المجنون كما في الديوان ص ص ٢٦٩، ٢٧٦.

(٢٠) الأبيات من شعر المجنون كما في الديوان ص ٢٩٦، وهي للأقرع بن معاذ في شرح

الحماسة (التبريزي) ٤/ ٢٤٩. وانظر ترجمته في الأغاني ١١/ ١٥١، ومعجم الشعراء

ص ٢٩١، شاعر أموي.

حُبُّهَا أَوْ فَرَقَ مِنْ هَجَرِهَا وَصَرِيحُ الْحُبِّ ذُلٌّ أَوْ فَرَقٌ (٢١)

وقال حباب بن ملك العشمي (٢٢):

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ مَا زَالَ الْوُشَاءُ بِنَا مِنْ غَيْرِ مَقْلِيَةٍ حَتَّى هَجَرْنَاهَا
أَلْحَمْدُ لِلَّهِ قَدْ كُنَّا وَلَوْ نَزَلَتْ مِنَّا بِأَبْعَدَ مِنْ هَذَا لَزُرْنَاهَا

وقال قيس بن ذريح:

تَكْنُفُنِي الْوُشَاءُ فَأَزْعُجُونِي فَيَا لِلنَّاسِ لِلْوَاشِي الْمُطَاعِ
فَأَصْبَحْتُ الْغَدَاةَ الْيَوْمَ نَفْسِي عَلَى أَمْرٍ وَلَيْسَ بِمُسْتَطَاعِ
كَمَغُوبٍ يَعْضُ عَلَى يَدَيْهِ تَبَيَّنَ غَبْنُهُ بَعْدَ الْبِيَاعِ
وَقَدْ عَشْنَا نَلْدُ الدَّهْرَ حِينًا لَوْ أَنَّ الدَّهْرَ لِلْإِنْسَانِ رَاعٍ
وَلَكِنَّ الْجَمِيعَ إِلَى زَوَالٍ وَأَسْبَابُ الْفِرَاقِ لَهَا دَوَاعِي (٢٣)

□ □ □

الباب السادس عشر:

مَنْ لَمْ يُعَاتِبْ عَلَى الزُّلَّةِ فَلَيْسَ بِحَافِظٍ لِلْخُلَّةِ

الْمُعَاتَبَةُ عَلَى الذُّنُوبِ مِنَ الْمُحِبِّ وَالْمَحْبُوبِ قَدْ تَجْرِي عَلَى ضُرُوبٍ:
فَمِنْهَا مُعَاتَبَةُ اسْتِثَابٍ تَقَعُ مِنَ الْأَرْثِيَابِ، لِيُزُولَ الشُّكُّ بِمَا يَجْرِي فِيهَا مِنَ
الْجَوَابِ، وَمُعَاتَبَةُ تَقَعُ بَعْدَ الْيَقِينِ يَقْصُدُ بِهَا الْعَاتِبُ إِلَى أَنْ يَعْلَمَ هَلْ مِنْ ذَلِكَ
الذُّنُوبِ عُذْرٌ، أَمْ هُوَ دَاخِلٌ فِي بَابِ الْغَدْرِ؟ وَمِنْهَا مُعَاتَبَةُ تَوْقِيفٍ تَجْرِي عَلَى
جَهَةِ التَّعْنِيفِ.

وَهَذِهِ حَالٌ لَا تَكَادُ تَجْرِي بَيْنَ الْمُتَحَابِّينِ إِلَّا عِنْدَ انْقِطَاعِ الْحَالِ
بَيْنَهُمَا. أَوْ عِنْدَ ضَجَرَةٍ شَدِيدَةٍ تَلْحَقُهُمَا أَوْ تَلْحَقُ أَحَدَهُمَا. وَأَحَدُ أَحْوَالِ
الْعِتَابِ صِيَانَةُ الْحَالِ عَنْ أَنْ يَجْرِيَ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الْإِخْتِلَالِ بَقِيًّا عَلَى
الْمُذْنِبِ لَا بَقِيًّا عَلَى الْمُؤْتَبِ. وَتَرُكُ جَمِيعِ الْمُعَاتَبَةِ يَدْخُلُ فِي بَابِ
الْإِهْمَالِ. وَالْمَوْقِفُ عَلَى كُلِّ ذَنْبٍ يُوجِبُ قَطْعَ الْمُوَاصَلَةِ وَاتِّصَالِ الْعُتْبِ.

قال الحسن بن هانئ:

مُنْقَطِعٌ عَنْكَ كَانَ مُتَّصِلًا أَوْ نَازِلٌ بِالْفَنَاءِ فَارْتَحَلَ
قَدْ كَانَ فِي الْحَقِّ أَنْ يُقَالَ لَهُ مَاذَا دَعَاهُ إِلَى الَّذِي فَعَلَ
مَا عَدَلَ النَّاسُ عَنْكَ لِي أَمَلًا إِلَّا ثَنَاهُ الرَّجَاءُ فَاعْتَدَلَا (١)

وقال آخر:

حَيٍّ طَيْفًا مِنَ الْأَجْبَةِ زَارًا بَعْدَمَا صَرَّعَ الْكَرَى السُّمَارًا

(١) لم أجد الأبيات في الديوان.

(٢١) ديوان البحري ص ١٤٦٨.

(٢٢) لعله: حباب بن مالك العشمي.

(٢٣) قيس بن ذريح أحد عشاق العرب، صاحبه لبني. الشعر والشعراء (ليدن)

ص ص ٣٩٩ - ٤٠٠. وانظر الأبيات في (مجموع شعره).

قَالَ إِنَّا كَمَا عَهِدْتَ وَلَكِنْ

شَغَلَ الْحَيُّ أَهْلَهُ أَنْ يُعَارَا

ولبعض أهل هذا العصر:

يَا أَخِي كَمْ يَكُونُ هَذَا الْجَفَاءُ
صَارَ ذَا الْهَجْرِ لِي غِذَاءً وَلَكِنْ
سَيِّدِي أَنْتَ أَيْنَ ذَاكَ الصَّفَاءُ
أَنْتَ ذَاكَ الْأَخُ الْقَدِيمُ وَلَكِنْ
لِي ذُنُوبٌ وَلَسْتُ أَنْكِرُ فَاغْفِرْ
لِي حُفُوقٌ أَيْضاً عَلَيْكَ وَلَكِنْ

وقال البحتري:

وَكُنْتُ إِذَا اسْتَبْطَأْتُ وَدَّكَ زُرْنَهُ
عِتَابٌ بِأَطْرَافِ الْقَوَافِي كَأَنَّهُ

وقال آخر:

فَلَا عَيْشَ كَوَصْلٍ بَعْدَ هَجْرٍ
تَوَاقَفَ عَاشِقَانِ عَلَى ارْتِقَابٍ
فَلَا هَذَا يَمَلُّ عِتَابٌ هَذَا

وقال آخر:

أَلْهَفَ أَبِي لَمَّا أَدَمْتُ لَكَ الْهَوَى
وَجَاهَرْتُ فِيكَ النَّاسَ حَتَّى أَضْرَبِي
وَكُنْتُ كَفَنِي الْعَصْنِ بَيْنَا يُظِلُّنِي
فَصَارَ لِعَبْرِي وَاسْتَدَارَتْ ظِلَالُهُ

(٧) من قصيدة في الديوان ص ٨٩٠.

ولبعض أهل هذا العصر:

إِذَا أَشْتَدَّ مَا أَلْقَاهُ هَوْنٌ عَلَيَّ
فَيَا مَنْ يُزِيلُ الْخَوْفَ عَيْنِي وَفَاؤُهُ
أَكَانَ جَمِيلاً أَنْ تَرَانِي مُهْمَلًا
سَأُرْعَاكَ إِنْ أَكْرَمْتَنِي أَوْ أَهْتَنِي
وَلِيَّي لَأَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ أَنْ أَرَى
سَاخِذٌ مِنْ نَفْسِي لِنَفْسِكَ حَقَّهَا
وَمَا بِي نَفْسِي وَحَدَهَا غَيْرَ أَنِّي
وَلَوْ قِيلَ لِي آخِرُ نَيْلُهُ أَوْ صَلَاحُهُ
وَقَدْ كُنْتُ أُولَى [بـ] مِنَ الشُّوقِ وَالْهَوَى
وَقَدْ كُنْتُ أَمْضِي فِي الضَّمِيرِ مُتَمِّمًا
فَمَا لِي قَدْ أَبْعَدْتُ حَتَّى كَأَنِّي

وانشدني أحمد بن أبي طاهر لنفسه:

يَا سَعْدُ لَمْ أَذْخَرْ عَلَيْكَ مَوَدَّةً
أَشْكَيْتَنِي فَشَكَوْتُ لَا مُتَشَاكِأً
وَلَيْنَ حُسِدْتُ عَلَيْكَ إِنَّكَ لِلَّذِي
وَرَعَمْتُ أَبِي لَا يَمُ لَكَ عَاتِبٌ
لَوُمْتُ إِذَنْ مِنِّي الْخَلَاتِقُ وَأَعْتَدَى
أَبِي أَدُمُّكَ يَا سَعِيدُ وَإِنَّمَا بِالْمَجْدِ
إِنْ كَانَ قَلْبُكَ فِي مُشْتَرَكِ الْهَوَى
كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَإِنِّي بِكَ وَاثِقٌ

وقال العرجي:

أَقُولُ لَهَا وَالْعَيْنُ قَدْ جَادَ غَرْبُهَا
أَرَيْتُكَ إِذْ أَعْرَضْتَ عَيْنِي كَأَنَّمَا

رَضَايَ بِأَنْ تَحْيِيَ سَلِيمًا وَأُسْقَمًا
بِعَهْدِي وَمَنْ لَوْلَاهُ لَمْ أَمْسِ مُغْرَمًا
وَتَسَكَّتْ عَنْ أَمْرِي وَنَهَيْتَنِي
وَحَسْبُكَ نَيْلًا أَنْ تُهَيِّنَ وَتُكْرِمًا
ظُلُومًا لِأَلْفِي أَرَى مُتَظَلِّمًا
وَأَصْفَحَ إِنْ لَمْ تَرَعْ عَهْدِي تَكْرُمًا
أَصُونُ خَلِيلِي أَنْ يَجُورَ وَيَظْلَمًا
لَا لَأَثَرْتُ أَنْ يُعْصَى هَوَايَ وَيَسْلَمًا
وَقَدْ كُنْتُ أَمْضِي فِي الضَّمِيرِ مُتَمِّمًا
عَدُوٌّ وَقَدْ كُنْتُ الْحَبِيبَ الْمَقْدَمًا

أَنْتَ الْمَقِيرُ بِهَا وَأَنْتَ الْجَاحِدُ
وَرَعَمْتُ أَبِي إِذْ شَكَوْتُكَ حَاسِدُ
حُسِدْتُ عَلَيْهِ أَقَارِبُ وَأَبَاعِدُ
وَقَصَائِدِي بِالذَّمِّ فِيكَ شَوَاهِدُ
بِالْحَمْدِ مِنْ هَرٍ قَائِمٌ بِي قَاعِدُ
مِنْكَ إِذَا فَحُورْتُ أَمَاجِدُ
فَالْقَلْبُ مِنِّي فِيكَ قَلْبٌ وَاحِدُ
وَلَيْنَ دَمَمْتُكَ إِنِّي لَكَ حَامِدُ

وَقَدْ كَانَ فِيهَا دَمْعُهَا قَدْ تَرَدَّدَا
تُلَاقِينَ مِنْ حَيَاتِ بَيْتَانِ أَسْوَدَا

أَسْلَاكِ عَيْبِ النَّأْيِ أَمْ عَاقِبِ الْإِعْدَى
أَلَمْ أَكْ أَعْصِي فِيكَ أَهْلَ قَرَابَتِي
فَقَالَتْ مَنَنْتَ^(٤) الْوَصْلَ مِنْكَ وَلِلَّذِي
لِأَشْيَاءٍ قَدْ لَاقَيْتَهَا فِيكَ لَمْ يَكُنْ
وَأِعْرَاضُنَا عَنْكُمْ فَغَيَّرِي بِهِ بَدَا
رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي فَعَادَتْ بِحِلْمِهَا
إِذَا أَمَلُوا وَشَكَ أَهْتِجَارٍ فَأَخْفَقُوا
فَلَنْ^(٥) لِلَّذِي تَهْوَى وَأَغْلِظْ عَلَى الَّذِي
وَلَا تَحْسِبَنَّ الصَّدِيقَ مُرُوءَةً

وكتب بعض أهل هذا العصر إلى أخ له يستأذنه في شكره:

أَتَأْذَنُ لِي يَا مُتَّ قَبْلَكَ فِي الشُّكْرِ
وَإِنِّي لَمُحْتَاجٌ إِنْ أَنْتَ أَذَنْتَ لِي
فَمَا حَقٌّ مِثْلِي أَنْ يُرَى لَكَ شَاكِرًا
فَرَأَيْكَ فِيمَنْ لَا يَرَى نَفْسَهُ إِذَا

فلم يأذن له في ذلك وكتب يعاتبه:

أَفِي الْعَدْلِ أَنْ تَنْهَى أَخَاكَ عَنِ الشُّكْرِ
أَجَلْ أَنْ دَا عَدَلَ عَلَى الصَّبِّ فِي الْهَوَى
أَيَجْمَلُ فِي حَقِّ الْجَوَارِ دَعِ الْهَوَى

(٣) في «م» والمطبوع: افترقوا.

(٤) في «م» والمطبوع: ضمنت.

(٥) في «م» والمطبوع: فكن.

(٦) المقطوعة في الديوان ص ١٢٦، وليس فيها الأبيات الثاني والسابع والثامن مع اختلاف في الرواية.

أَرَاغِي نُجُومًا لَمْ أُوكُلْ بِرَغِيهَا
وَأَنْتَ أَخٌ لِي قَادِرٌ أَنْ تُزِيلَ مَا
تَبَيَّتْ خِلْيَ الْقَلْبِ مِمَّا أَجْنُهُ
وَإِنِّي أَدْرِي أَنَّ فِي الصَّبْرِ رَاحَةً
أَرَانِي إِذَا وَاصَلْتُ سَاءَتَكَ عِشْرَتِي
أَجِينُ تَنَاهَى الْوُدَّ وَأَتَصَلَّ الْهَوَى
مَلَلْتُ إِخَائِي وَأَطْرَحْتُ مَوَدَّتِي
وله أيضاً:

جُعِلْتُ فِدَاكَ قَدْ طَالَ أَنْعِطَافِي
وَلَيْسَ أَخَاكَ مَنْ يَزْعَاكَ كُرْهًا
فَإِنْ تَرَعُ الْأَمَانَةَ لَا أُضِغُّهَا
يَطُولُ عَلَيْكَ أَنْ تَلْقَى خَلِيلًا
مَخَافَةَ أَنْ يَمْلَكَ بِاجْتِمَاعِ
فَإِنْ يَكُ ذَا الصَّدُودِ صُدُودَ عَنَبٍ
إِذَنْ قَتْلَافِي مِنْ قَبْلِ يَأْسٍ
وَلَا فَاطْرِحُ وُدِّي وَأَجْمِلُ
مَتَى يَصِلُ السَّقِيمُ إِلَى شِفَاءٍ

وقال بعض الأعراب^(٧):

[وَأُنِشْتُ لَيْلَى أَرْسَلْتُ بِشَفَاعَةٍ
أَكْرَمُ مِنْ لَيْلَى عَلَيَّ فَتَبَتْنِي

وَأَذْكِي هَوَى فِي الْقَلْبِ أَذْكِي مِنَ الْجَمْرِ
أُقَاسِيهِ لَا تَذْرِي بِمَا بِي أَوْ تَذْرِي
كَمَا أَنَا خِلَوُ فِي هَوَاكَ مِنَ الصَّبْرِ
وَلَكِنْ إِنْفَاقِي عَلَى الصَّبْرِ مِنْ عُمْرِي
وَإِنْ غَبْتُ لَمْ أَخْطُرْ بِبَالٍ وَلَا فُكْرٍ
وَصِرْتُ شَرِيكِي فِي السَّرِيرَةِ وَالْجَهْرِ
وَأَقْصَيْتَنِي حَتَّى تَحَيَّرْتُ فِي أَمْرِي

إِلَيْكَ وَأَنْتَ قَاسِي الْقَلْبِ جَافِي
وَلَا أَلْبَادِي بِوَصْلِكَ كَأَلْمُكَافِي
وَإِنْ لَا تَرَعُ يُوحِشُكَ أَنْصِرَافِي
تَطُولُ عَلَيْهِ أَيَّامُ التَّصَافِي
فَيَرْضَى مِنْ نَوَالِكَ بِالْكَفَافِ
وَأَنْتَ عَلَى الْمَوَدَّةِ وَالتَّوَافِي
يُولَدُ مَا يَجُلُّ عَنِ التَّلَافِي
بِتَعْرِضٍ مِنَ التَّضَرِّيحِ كَافِي
إِذَا كَانَ الضَّنَى ذَرَكُ الْمَعَافِي

إِلَيَّ فَهَلَّا نَفْسٌ لَيْلَى شَفِيعُهَا
بِهِ الْجَاهُ أَمْ كُنْتُ أَمْرًا لَا أُطِيعُهَا

(٧) نسبت الأبيات إلى المجنون كما في الديوان ص ١٩٥، وهي في شرح المروزقي ص ١٢٢٠، وفي الحماسة البصرية ص ١٨٣ للصمة القشيري أولابن المدينة أو بعض الأعراب.

وقال الحسين بن الضحاك * :

أَمَا نَاجَاكَ بِالنَّظَرِ الصَّحِيحِ
فَلَيْتَكَ حِينَ تَهْجُرُهُ ضَرَارًا
بِحُسْنِكَ كَانَ أَوَّلَ حُسْنِ ظَنِّي
وَمَا تَنَفَّكَ مُتَّهِمًا لِنُصْحِي
وَأَنْ إِلَيْكَ مِنْ قَلْبٍ قَرِيبِ
تَمُنْ عَلَيْهِ بِالْقَتْلِ الْمُرِيبِ
وَمَا يَنْهَاكَ حُسْنُكَ عَنْ قَبِيحِ
بِنَفْسِي نَفْسُ مُتَّهِمِ النَّصِيحِ (٨)

وقال آخر:

إِلَى كَمْ يَكُونُ الصَّدُّ فِي كُلِّ سَاعَةٍ
رُويْدَكَ إِنَّ الدَّهْرَ فِيهِ بَلَاغَةٌ
وَكَمْ لَا تَمْلِكُ الْقَطِيعَةَ وَالْهَجْرَا
لِتَفْرِيقِ ذَاتِ الْبَيْنِ فَانْتَظِرِي الدَّهْرَا

وقال يزيد بن الطثرية:

عَلَى حِينَ صَارَمْتُ الْأَجْلَاءَ كُلَّهُمْ
وَزِدْتُكَ أَضْعَافًا وَغَادَرْتُ فِي الْحَشَا
جَزِيَّتِكَ فَرَضَ الْوَدَّ ثَمَّتَ خِلَّتِي
فَلَمَّا تَنَازَعْنَا سِقَاطَ حَدِيثِهَا
إِلَيْكَ وَأَصْفَيْتُ الْهَوَى لَكَ أَجْمَعَا
عِظَامَ الْبَلَايَا بِأَدْيَاتٍ وَرُجْعَا
كَذِي الشُّكِّ أَذْنَى شُكِّهِ فَتَطَوَّعَا
عَشَاشًا فَلَانَ الطَّرْفُ مِنْهَا فَاطْمَعَا
مِنْ النَّاسِ نَخْشَى غَيًّا أَنْ تَطْلُعَا (٩)

□ □ □

الباب السابع عشر:

مَنْ عَاتَبَ عَلَى كُلِّ ذَنْبٍ أَخَاهُ فَخَلِيقٌ أَنْ يَمْلَهُ وَيَقْلَاهُ

أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَسْتَقْبِلِ الْأَمْرَ لَمْ تَجِدْ
بِكَفِّكَ فِي إِدْبَارِهِ مُتَعَلِّقَا
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَتْرُكْ أَخَاكَ وَزَلَّةً
إِذَا زَلَّهَا أَوْشَكْتُمَا أَنْ تَفْرَقَا

وقال العرجي:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَغْفِرْ ذُنُوبًا كَبِيرَةً
تُرِيكَ لَمْ يَسْلَمْ لَكَ الدَّهْرَ صَاحِبُ
وَمَنْ لَا يُغْمِضُ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ
وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يُمُتْ وَهُوَ عَاتِبُ * (١)

وقال آخر:

أَرَدْتُ لِكُنِّي مَا لَا تَرَى لِي زَلَّةً
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُعْطَى الْكَمَالَ فَيَكْمُلُ
وَمَنْ يَسْأَلُ الْأَيَّامَ نَأْيَ صَدِيقِهِ
وَصَرَفَ اللَّيَالِي يُعْطَى مَا كَانَ يَسْأَلُ

هؤلاء الذين ذكرنا أشعارهم يُخْبِرُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ إِنَّمَا يَتْرَكُونَ
مُعَاتَبَةَ أَحْبَابِهِمْ إِشْفَاقًا مِنْ تَغْيِيرِهِمْ لَهُمْ وَأَنْجِرَانِهِمْ عَنْهُمْ. فَإِنْ كَانَ مَا تَرَكُوا
الْمُعَاتَبَةَ عَلَيْهِ (٢) يَرْجِعُ عَلَى أَصْحَابِهِمْ فَقَدْ أَسَاؤُوا، إِذْ لَمْ يُبَيِّهُوهُمْ عَلَى
مَوْضِعِهِ، وَآثَرُوا مَنَفَعَةَ أَنْفُسِهِمْ عَلَى مَصَالِحِ أَحِبَّتِهِمْ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَنْبًا إِلَّا
يَتْرَكُوهُ، فَقَدْ كَانَ الْأَجْمَلُ بِإِخْوَانِهِمْ إِلَّا يَذْكُرُوهُ. بَلْ كَانَ مِنْ حَقِّ أَحْبَابِهِمْ
عَلَيْهِمْ إِلَّا يَتَوَهَّمُوهُ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَنْطِقُوا بِهِ لِأَوْلِيائِهِمْ، أَوْ يُجْرُونَهُ عَلَى خَوَاطِرِ

(١) لم أجد البيتين في ديوانه.

(٢) في الفراغ كلمة «فساه» في «م» والمطبوع، ولا معنى لها.

(٨) انظر تخريج الأبيات في «أشعار الحسين بن الضحاك الخليلع».

(٩) انظر مجموع شعره مع التخريج ص ٤٧.

أَعْدَائِهِمْ. وَسَبِيلٌ مِثْلُ هَذَا أَنْ يَعْتَرِفَ بِهِ الْمَحْبُوبُ مُبْتَدِئًا بِذِكْرِهِ وَمُتَّصِلًا مِنْ فَعْلِهِ، فَلَا يُضَيِّعُ الْمَحِبُّ لِفَهْمِهِ، وَلَا يُوهِمُ صَاحِبَهُ أَنَّهُ خَطَرَ عَلَى وَهْمِهِ.

ولقد أحسن غاية الإحسان الذي يقول:

وَمُعْتَذِرٍ قَرُطُ إِشْفَاقِهِ أَضَاقَ عَلَيْهِ الَّذِي تَمَّ مَا
وَلَمْ يَذَرِ أَنْ سَبِيلَ الْإِخَاءِ أَعْظَمُ مِنْ كُلِّ مَا عَظُمَا

وبلغني أن الوضاح الكوفي كتب إلى علي بن محمد العلوي (٣):

خُطَّةٌ فِي الذُّنُوبِ وَالْأَعْتِدَارِ لَيْسَ يُعْنَى بِهَا سِوَى الْأَحْرَارِ
ضَيِّقْتُ ذُرْعًا بِهَا وَقَدْ كُنْتُ أَشْفَى تَ عَلَى الْهَلَكِ مِنْ شَفِيرِ هَارِ
فَتَجَالَلْتُ عَنْ جَزَاءِ بِسْوَءٍ وَتَرَأَفْتُ عَنْ طَلَابِ بِشَارِ
ثُمَّ لَمْ تَرْضَ لِي بِذَلِكَ حَتَّى صُنِّتَنِي عَنْ مَذَلَّةِ الْأَعْتِدَارِ
ثُمَّ أَوْجَبْتَ لِي عَلَى غَيْرِ عَقْدٍ حُرْمَةَ الْمُسْتَجِيرِ بِالْمُسْتَجَارِ
لَمْ نَرِ الْعَفْوَ مِنْكَ يَقْدَحُ فِي عِرِّ ضِكَ لَمَّا عَفَوْتَ بَعْدَ أَقْتِدَارِ

فأجابه علي بن محمد:

لَيْسَ جَوْدُ الرَّبِّيعِ رَاشَفَ وَجْهَ الْأُ رَضٍ عَنْ مَبْسَمٍ مِنَ الْأَنْوَارِ
لَا وَلَا الْعَاشِقَانِ ضَمَّهْمَا الشُّو قُ عَلَى غَايَةِ الْضَنَى فِي إِزَارِ
فَهُمَا مُلْصَقَانِ كَالسَّاعِدِ الْيَبِّ ضَاءٍ عَضُّضَتْهَا بِضِيقِ السَّوَارِ
كَأَخِ عَهْدِهِ وَعَهْدِي فِي الْوُ دَ كَعَهْدِ الْأَنْوَاءِ وَالْأَمْطَارِ
رَقٌّ مَعْنَاهُمَا فَلَمْ يَلْبَسَا الْآيِ سَامَ إِلَّا عَلَى أَقْتِرَابِ الْمَزَارِ
لَجَّ فِي الْأَعْتِدَارِ مِنْ شَفَقِ الْوُجْدِ سِدِّ وَأَجَلَلْتُهُ عَنِ الْأَعْتِدَارِ

فَأَهْلُ الصَّفَاءِ هَكَذَا يَجِبُ أَنْ تَجْرِيَ أَحْوَالُهُمْ فِي تَرْكِهِ مَا كَانَ مِنْ حُقُوقِ أَنْفُسِهِمْ، وَالْإِبْتِدَاءُ بِسَطِّ الْعُدْرِ لِاحْتِبَائِهِمْ.

(٣) لم أهتم إلى الوضاح الكوفي، وأما علي بن محمد العلوي فقد نبهت عليه.

ولقد أحسن الذي يقول:

إِذَا شِئْتَ أَنْ تُدْعَى كَرِيمًا مُكْرَمًا حَلِيمًا ظَرِيفًا ضَاحِكًا فَطِنًا حُرًا
إِذَا مَا بَدَتْ مِنْ صَاحِبٍ لَكَ زَلَّةٌ فَكُنْ أَنْتَ مُحْتَالًا لِرِزَائِهِ عُدْرًا

هَذَا فِيمَا كَانَ مِنَ الْجَنَائِاتِ لَا يُعِيدُ عَلَى الْمَحْبُوبِ فِي نَفْسِهِ ضَرَرًا، وَلَا يُبَيِّنُ عَلَى غَيْرِ الْمَحِبِّ أَثَرًا. وَأَمَّا مَا كَانَ مُعِيدًا عَلَى الْمَحْبُوبِ عَارًا، فَلَا بُدَّ مِنْ تَنْبِيهِ عَلَيْهِ أَضْطِرَارًا. وَفِي هَذَا الْمَعْنَى لِمَخْيَسِ بْنِ أَرْطَاةِ التِّمِيمِيِّ (٤):

عَرَضْتُ نَصِيحَةً مِنِّي لِيَحْيَى فَرَدَّ نَصِيحَتِي وَالنُّصْحُ مَرُ
وَمَا بَيَّ أَنْ أَكُونَ أَعِيبٌ يَحْيَى وَيَحْيَى طَاهِرُ الْأَخْلَاقِ بَرُ
وَلَكِنْ قَدْ أَتَانِي أَنَّ يَحْيَى يُقَالُ عَلَيْهِ فِي نَفْعَاءِ شَرُ
فَقُلْتُ لَهُ تَجَنَّبْ كُلَّ شَيْءٍ يُعَابُ عَلَيْكَ إِنَّ الْحُرَّ حُرُ

ولبعض أهل هذا العصر في هذا النحو:

نَصَحْتُ لَكُمْ حِذَارًا أَنْ تُعَابُوا فَعَادَ عَلَيَّ نُصْحُكُمْ وَبَالَآ
فَإِنْ تَكُ قَدْ مَلَلْتُ فَلَا تُخْنِي وَقُلْ لِي أَنْ أُجَنِّبَكَ الْوَصَالَآ
فَمَنْ يَطْلُبُ لِصَاحِبِهِ اخْتِلَالًا لِيَنْقُصَ عَهْدَهُ يُذَرِّكَ مَقَالَآ
وَيَمْنَعُنِي الْوَفَاءَ لَكُمْ بِعَهْدِي وَحُسْنُ الظَّنِّ أَنْ أَجِدَ اخْتِلَالًا
فَتَزْدَادُونَ عِنْدِي كُلَّ وَقْتٍ وَأَنْقُصَ عِنْدَكُمْ حَالًا فَحَالًا
سَأَصْبِرُ إِنْ أَطَقْتُ الصَّبْرَ حَتَّى تَمَلَّ الْهَجْرَ أَوْ تَهْوَى الْوَصَالَآ

وقال بشار بن برد:

إِذَا كُنْتُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا صَدِيقَكَ لَمْ تَلْقَ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ
فَعِشْ وَاحِدًا أَوْ صِلْ صَدِيقَكَ إِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَدَى ظَمِئَتْ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ *

(٤) هو المخيس بن أرتاة الأعرجي كما في معجم الشعراء ص ٤٥٣، وهو أبو شمال الراجز،

شامي وهو مدرك بن حصن أيضاً، انظر الخزائن ١٨٧/٣.

(*) الأبيات في ديوان بشار (بدر الدين العلوي) ص ٤٤.

وقال العرجي:

ذَهَبَ النَّهَارُ وَمَا يَبُوحُ بِمَا بِهِ
اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَرَكْتَ عِتَابَهُ
لَكِنْ مَخَافَةٌ أَنْ أَصَاحِبَ صَاحِبًا
وَالصَّوْمُ تَنْبِيءٌ جَالِمًا أَسْبَابُهُ^(٥)

وقال آخر:

وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُوطِنُ نَفْسَهُ
وَفِي الشَّكِّ تَفْرِيطٌ وَفِي الْحَزْمِ قُوَّةٌ
وَلَسْتُ بِمُسْتَبَقٍ صَدِيقًا وَلَا أَحَا
عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ جِئْتُ تَنُوبُ
وَيُحْطَى فِي الْحَدْسِ الْفَتَى وَيُصِيبُ
إِذَا لَمْ تَعُدْ الشَّيْءَ وَهُوَ قَرِيبُ

وقال الحسن بن وهب^(٦):

دَعَوْتُكَ فِي الْجُلَى وَقَدْ صَاقَ مُصْذِرِي
فَأَصْمَمْتُ عَنِّي أَذْنَ سَمِيعَةٍ
فَمَا صَاقَ عَنْكَ الْعُدْرُ عِنْدِي وَلَا نَبَا
وَقُلْتُ زَمَانًا قَدْ نَهَى النَّاسَ كُلَّهُمْ
وَأَمَلْتُ أَمَّا تَنُوبُ وَرِجْعَةٌ

وقال عمر بن لجأ^(٧):

مَنْعَتْ عَطَاءَنَا وَلَوِيتَ دِينِي
فَمَا لَكَ إِنْ لَوِيتَ الدِّينَ عَنِّي
وَأَعْدَدْتَ الْخُصُومَةَ لِلْخَصِيمِ
مُعَاقَبَةً فَيَا لَكَ مِنْ غَرِيمِ

(٥) الأبيات في الديوان ص ٢٤ مع اختلاف في الرواية.

(٦) هو الحسن بن وهب... الحارثي، من الكتاب، كتب لمحمد بن عبد الملك الزيات.
انظر الأغاني ٥٣٣/٢٢ - ٥٦٣، أخبار أبي تمام ص ص ١٨٣ - ٢١٠، زهر
الأدب ٦٤٤/٣، تهذيب ابن عساكر ٢٥٢/٤ - ٢٥٤، فوات الوفيات ٢٦٧/١، ابن
خلكان ١٤٥/٢.

(٧) هو عمر بن لجأ من شعراء الدولة الأموية، اشتهر بما كان بينه وبين جر من معارضات،
انظر طبقات ابن المعتز ص ٨٩، الشعر والشعراء (ليدن) ص ص ٤٢٨ - ٤٢٩،
الخرانة ٥٨٣/٣. وقد جاء في «م» والمطبوع: عمر بن نجا.

وقال مسلم بن الوليد:

إِذَا التَّقِينَا مَنَعْنَا النَّوْمَ أَعِينَنَا
أَقْرُ بِالذَّنْبِ مِنِّي لَسْتُ أَعْرِفُهُ
وَلَا نُلَايْمُ نَوْمًا جِئْتُ نَفْتِرُقُ
كَيْمَا أَقُولُ كَمَا قَالَتْ فَتَنْفِقُ^(٨)

وقال آخر:

إِنْ سُمِّتِي ذُلًّا فَعِثْتُ أَحْتِمَالَهُ
فَهَا أَنَا مُسْتَرْضِيكَ لَا مِنْ جَنَائِهِ
عَضِبْتَ وَمَنْ يَأْتِ الْمَذَلَّةَ يُعْذِرُ
عَلَيْكَ وَلَكِنْ مِنْ تَجَنُّبِكَ فَأَعْذِرُ

ولبعض أهل هذا العصر:

زَعَمْتَ بِنَفْسِي [أَنْتَ] أَنْكَ مُغْرَمٌ
أَعِدْ نَظْرًا فِيمَا أَدْعَيْتَ وَلَا تَحُدْ
أَمَنْ يَتَجَنَّى ثُمَّ يُنْكَرُ مَا جَنَى
وَلَوْ كُنْتُ تَجْزَى بِاللَّيِّ تَسْتَحِفُّهُ
فَأَغْضِي عَلَى جَمْرِ الْغَضَا خَشْيَةَ الْقَلَى
فَحَتَّامٌ لَا أَنْفُكَ شَوْقًا إِلَى الرِّضَا
وَمَا لِي مِنْ ذَنْبٍ إِلَيْكَ تَعُدُّهُ
وَمَا غَرَضِي فِي أَنْ أَتَيْتَ حُجَّةً
إِلَيْكَ مَفْرِي مِنْكَ لَا عَنْ وَسِيلَةٍ
فَإِنْ تَأْتِ مَا أَهْوَى فَعَبْدٌ نَعِشْتُهُ
فَرَأَيْكَ فِيمَنْ أَنْتَ مَالِكُ رِقِّهِ
بِذِكْرِي وَأَنِّي عَنْ وَصَالِكَ مُضْرِبُ
لِتَعْلَمَ مَنْ مِنَّا الشَّقِيُّ الْمَعْدُبُ
عَلَى إِلْفِهِ أَمْ مَنْ يُقِرُّ وَيُعْتَبُ
عَضِبْتَ وَلَكِنِّي مِنَ الْهَجْرِ أَهْرُبُ
وَلَوْلَا الْهَوَى مَا صَاقَ عَنِّي مَهْرُبُ
أَصْدَقُ مَنْ صَدَّقِي لَدَيْهِ مُكَذِّبُ
عَلَيَّ سِوَى أَنْ لَيْسَ لِي عَنْكَ مَذْهَبُ
عَلَيْكَ وَمَا لِي غَيْرَ غَفْوِكَ مَطْلَبُ
إِلَيْكَ سِوَى أَنِّي بِحُبِّكَ مُتَعَبُ
وَأَنْ تَكُنِ الْأُخْرَى فَعَبْدُكَ مُذْنِبُ
فَقَدْ حَلَّتِ الْبُلُوى وَطَابَ التَّجَنُّبُ

وقال المؤمل^(٩):

شَفَّ الْمُؤْمَلُ يَوْمَ الْحِيرَةِ النَّظْرُ
لَيْتَ الْمُؤْمَلُ لَمْ يُخْلَقْ لَهُ بَصَرُ

(٨) البيتان في الديوان ص ٣٢٨، وفي طبقات ابن المعتز ص ١١١ مع بيت ثالث.

(٩) سبق التعريف به، وهو المؤمل بن أميل المحاربي.

حَسْبُ الْمُجِبِّينَ فِي الدُّنْيَا عَذَابُهُمْ
صِفِ الْأَجِبَةَ مَا لَا قِيَتَ مِنْ سَهَرٍ
لَمَّا رَمَتْ مَقْتَلِي قَالَتْ لِجَارَتِهَا
قَتَلْتُ شَاعِرَ هَذَا الْحَيِّ مِنْ مُضَرٍ
وَأِنَّمَا أَفْصَدْتُ قَلْبِي بِمُقْلَتِهَا
أَحْبَبْتُ مِنْ حُبِّهَا قَوْماً ذَوِي إِحْنٍ
إِنِّي لَأَصْفَحُ عَنْهَا حِينَ تَظْلِمُنِي

وقال آخر:

مَسْنِي مِنْ صُدُودٍ إِلَيَّ ضُرٌّ
مَسْنِي ضُرُّهُ فَأَوْجَعَ قَلْبِي

وقال آخر:

أَيَا سُلْمَى دَفَعْتُ إِلَيْكَ نَفْسِي
وَقَالُوا عَذَّبْتُكَ فَقُلْتُ كَلًّا

وقال أبو تمام حبيب:

أَسْرَفْتُ فِي مَنْعِي وَعَادْتُكَ أَلْتِي
لَمْ أَلْ فِيكَ تَلَطُّفاً وَتَعَسُفاً
وَأَرَاكَ تَدْفَعُ حُرْمَتِي فَأَظْنِي

وقال أيضاً:

وَجَدْتُ صَبْرِيحَ الْحَزْمِ وَالرَّأْيَ لِأَمْرِي
فَقَنَقَلْتُ بِالتَّخْفِيفِ عَنْكَ وَبَعْضُهُمْ

(١٠) الأبيات في الديوان ٤/٤٧٥.

(١١) المصدر السابق ٣/١٠٦، ١١١.

وَاللَّهِ لَا عَذَابَهُمْ بَعْدَهَا سَقَرُ
إِنَّ الْأَجِبَةَ لَا يَذَرُونَ مَا السَّهَرُ
إِنِّي قَتَلْتُ قَتِيلاً مَا لَهُ خَطَرُ
اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَرْضَى بِذَا مُضَرٍ
مَا كَانَ قَوْمٌ وَلَا سَهْمٌ وَلَا وَتَرُ
بَيْنِي وَبَيْنَهُمُ النَّيْرَانُ تَسْتَعِيرُ
وَكَيْفَ مِنْ نَفْسِهِ الْإِنْسَانُ يَتَصِيرُ

فَبَنَاتُ الْفُؤَادِ مَا تَسْتَعِيرُ
غَيْرَ أَنِّي بِذَاكَ مِنْهُ أَسْرُ

بَرِئْتُ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِي بَرِئْتُ
رَضِيتُ بِمَنْ يُعَذِّبُنِي رَضِيتُ

مَلَكَتْ عَنَانَكَ أَنْ تَجُودَ فُتْسِرَا
وَتَأْلُفَا وَتَحِيفَا وَتَعْطُفَا
ثَقُلْتُ غَيْرَ مُؤَنِّبٍ فَأُخَفِّقَا (١٠)

إِذَا مَلَكَتُهُ الشَّمْسُ أَنْ يَتَحَوَّلَا *
يُخَفِّفُ فِي الْحَاجَاتِ حَتَّى يُثَقِّلَا (١١)

وقال عمر بن أبي ربيعة:

بِاللَّهِ قُولِي لَهُ فِي غَيْرِ مَعْتَبَةٍ
إِنْ كُنْتُ حَاوَلْتُ دُنْيَا أَوْ قِنَعْتُ بِهَا
مَاذَا أَرَدْتَ بِطُولِ الْمَكْثِ بِالْيَمَنِ
فَمَا أَصَبْتَ بِتَرْكِ الْحَجِّ مِنْ ثَمَنِ (١٢)

وقال الراعي:

وَكَمْ جَسَمْنَا إِلَيْكُمْ سَيْرَ مُودِيَةٍ
حَمَاءُ غَبْرَاءَ يَخْشَى الْمُدْلُونُ بِهَا
كَأَنَّ أَعْلَامَهَا فِي [أَفْقِهَا] الْقَرْعِ
رَبِيعَ الْهَدَاةِ بِأَرْضِ أَهْلِهَا شَيْعِ
فَإِنْ تَجُودُوا فَقَدْ حَاوَلْتُ جُودَكُمْ
وَأِنْ تَضُنُّوا فَلَا لَوْمَ وَلَا فَرْعِ

وَهَذِهِ أَحْوَالُ كُلِّهَا لَطِيفَةٌ وَمُطَالِيَاتٌ جَمِيلَةٌ، وَأَشْنَعُ مِنْهَا لَفْظًا،
وَأَنْقَضُ (١٣) مِنْ هَذَا مَعْنَى قول البحري:

لَا تَهْتَبِلْ إِغْضَاءَتِي إِذْ كُنْتُ قَدْ
أَغْبَيْتُ سَيِّكَ كَنِي يَجْمُ وَإِنَّمَا
أَغْضَيْتُ مُشْتَمِلًا عَلَى جَمْرِ الْفَضَى
غَمَدَ الْحَسَامِ الْمَشْرِفِي لِيُتَضَى
وَسَكَتُ إِلَّا أَنْ أَعْرِضَ قَائِلًا
قَوْلًا وَصَرَخَ جَهْدَهُ مِنْ عَرَضَا (١٤)

وفي هذا النحو لبعض أهل هذا الزمان:

يَا عَالِمًا بِاللَّيْلِ أَلْقَى مِنَ الْكَرْبِ
لَا تَغْتَنِمَ صَفْحَ مَطْوِيٍّ عَلَى كَيْدِ
إِرْفِقْ بِعَيْنِكَ لَا تُعْطِبْ فِذَاكَ أَبِي
حَرَى وَقَلْبَ بِنَارِ الشُّوقِ مُلْتَهَبِ
لَوْ كُنْتُ مِثْلِي لَمْ تَصْبِرْ عَلَى كَمَدِي
أَوْ كُنْتُ مِثْلَكَ لَمْ أَفْعَلْ كَفْعَلِكَ بِي
إِنْ كَانَ ذَا الْهَجْرِ تَأْدِيًّا فَحَسْبُكَ مَا
قَدَّمْتُ مِنْهُ فَقَدْ بَالِغَتْ فِي أَدْبِي

وَقَدْ قَالَ الْمَتَلَمِّسُ مَا يَخْرُجُ قُبْحًا وَحَفَاءً عَنْ هَذَا الْبَابِ، وَلَا يَصْلُحُ أَنْ
يَجْرِيَ فِي الْمَخَاطَبَةِ بَيْنَ الْأَحْبَابِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ:

(١٢) البيتان في الديوان ص ٢١٧.

(١٣) الأبيات في الديوان مع اختلاف في الرواية. وانظر تخريج القصيدة.

(١٤) من الديوان ص ١٢٠١.

بَعْدُ الْقُلُوبِ عَلَى قُرْبِ الْمَزَارِ أَشَدُّ مِنْ بَعْدِ الدِّيارِ مِنَ الدِّيارِ

أَلْهَجَرُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَضْرَبٍ: هَجَرُ مَلَالٍ، وَهَجَرُ دَلَالٍ، وَهَجَرُ مَكَاافَةٍ عَلَى الذُّنُوبِ، وَهَجَرُ يُوْجِبُهُ التَّمَكُّنُ فِي الْقُلُوبِ. فَأَمَّا هَجَرُ الدَّلَالِ فَهُوَ الَّذِي مِنْ كَثِيرِ الْوِصَالِ. وَأَمَّا هَجَرُ الْمَلَالِ فَيَبْطُلُهُ مِنَ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي إِمَّا بِتَأْيِ الدَّارِ، وَإِمَّا بِطُولِ الْإِهْتِجَارِ.

وفي مثل ذلك يقول الشاعر:

لَا تَجْزَعَنَّ مِنْ هَجَرِ ذِي مَلَةٍ أَظْهَرَ بَعْدَ الْوَصْلِ هَجْرَانَا
يَمَلُّ هَذَا يَشْرُ مَا مَلَّ ذَا فَيَرْجِعُ الْوَصْلُ كَمَا كَانَا

وَأَمَّا أَلْهَجَرُ الَّذِي يَتَوَلَّدُ عَنِ الذَّنْبِ، فَالْتَوْبَةُ تُخْرِجُهُ عَنِ الْقَلْبِ. وَأَمَّا أَلْهَجَرُ الَّذِي يُوجِبُهُ الْبُغْضُ الطَّبِيعِيُّ، فَهُوَ الَّذِي لَا دَوَاءَ لَهُ، وَقَدْ قَالَ الْجَاحِظُ: بِكُلِّ شَيْءٍ رَفِيقٌ، وَرَفِيقُ الْمَوْتِ أَلْهَجَرُ. وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ، بَلْ لِكُلِّ شَيْءٍ رَفِيقٌ، وَرَفِيقُ أَلْهَجَرِ الْمَوْتُ.

ألم تسمع قول ذي الرمة:

سَأَلْتُ ذَوِي الْأَهْوَاءِ وَالنَّاسَ كُلَّهُمْ وَكُلَّ فَتًى دَانٍ وَآخَرَ يَنْزَحُ
أَتَقْرَحُ أَكْبَادُ الْمُجِيبِينَ كَالَّذِي أَرَى كَيْدِي مِنْ حَبِّ مِئَةٍ تُقْرَحُ
لَئِنْ كَانَتْ الدُّنْيَا عَلَيَّ كَمَا أَرَى تَبَارِيحَ مِنْ مَيٍّ فَلَلَمَوْتُ أَرْوَحُ^(١)

(١) لم أجد الأبيات في الديوان.

وَمَا كُنْتُ إِلَّا مِثْلَ قَاطِعِ كَفِّهِ بِكَفِّ لَهُ أُخْرَى فَأَصْبَحَ أَجْدَمًا
يَسْدَاهُ؟ أَصَابَتْ هَذِهِ حَتَفَ هَذِهِ فَلَمْ تَجِدِ الْأُخْرَى عَلَيْهَا مُقَدَّمًا
فَاطْرَقَ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ يَرَى مَسَاغًا لَنَابِيهِ الشُّجَاعُ لَصَمَّمَا^(١٥)

وَذَلِكَ أَنَّهُ يُخْبِرُ أَنَّ الْجَنَائَةَ قَدْ أَثَرَتْ فِي قَلْبِهِ وَوَلَدَتْ حِقْدًا فِي نَفْسِهِ. وَأَنَّ الَّذِي يَمْنَعُهُ مِنْ أَنْ يَنْتَقِمَ خَوْفُهُ مِنْ تَزَايُدِ الْأَلَمِ، وَأَنَّهُ عَلَى أَنْ يُعَاقَبَ إِذَا أَمِنَ الْعَوَاقِبَ وَالْمُعَاقِبَةُ أَحْسَنُ مِنَ الْأَغْضَاءِ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ. وفي نحو هذا المعنى يقول الوليد بن عبيد الطائي:

وَإِذَا رَجَوْتُ ثَنَّتْ رَجَائِي شَكِيَّةً مِنْ عَاتِبٍ فِي الْحَبِّ غَيْرِ مُعَاتِبٍ
لَوْ كَانَ ذَنْبِي غَيْرَ حُبِّكَ أَنَّهُ ذَنْبِي إِلَيْكَ لَكُنْتُ أَوَّلَ تَائِبٍ^(١٦)

أَفَلَا تَرَى أَنَّهُ يُخْبِرُ أَنَّ الْأَغْضَاءَ عَلَى الْمُعَاتِبَةِ عَلَى الذَّنْبِ مَعَ مَقَامِ الضَّمِيرِ عَلَى الْعُتْبِ يَقْطَعُ الرَّجَاءَ وَيُؤَيِّسُ مِنَ الْوَدَاءِ؟

□ □ □

(١٥) انظر ديوان المتلمس ص ٣٢ مع اختلاف في الرواية.

(١٦) ديوان البحري ص ١٥٩.

وفي مثله يقول بعض أهل هذا العصر:

مَا لِي أَلَيْتُ وَجْهًا غَيْرَ مُلْتَفٍ نَحْوِي وَأَعْطِفْتُ قَلْبًا غَيْرَ مُنْعَطِفٍ
يُغْرِي بِهَجْرِي كَمَا أُغْرِي بِأَلْفَتِهِ هَذَا لَعْمَرِي وَدَادُ جِدِّ مُخْتَلِفٍ
حَجَبْتُ عَيْنِي عَنِ الدُّنْيَا وَنَضَرْتُهَا شَوْقًا وَأَبْرَزْتُهَا لِلْحُزْنِ وَالْأَسْفِ
إِلَّا تَكُنْ تَلَفْتُ نَفْسِي عَلَيْكَ فَقَدْ أَصْبَحْتُ وَاللَّهِ مُشْتَاقًا إِلَى التَّلَفِ

وفي نحو ذلك يقول قيس بن الملوح:

فَوَاللَّهِ ثُمَّ اللَّهُ إِنِّي لَسَدَائِبُ أَفَكِرُ مَا ذَنْبِي إِلَيْهَا فَأَعْجِبُ
وَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي عَلَامَ صَرَمْتَنِي وَأَيُّ أُمُورِي فِيكَ يَا لَيْلُ أَرْكُبُ
أَقْطَعُ حَبْلَ الْوَصْلِ فَالْمَوْتُ دُونَهُ أَمْ أَشْرَبُ كَأَسَا مِنْكُمْ لَيْسَ تُشْرِبُ
أَمْ أَهْرُبُ حَتَّى لَا أَرَى لِي مُجَاوِرًا أَمْ أَفْعَلُ مَاذَا أَمْ أَبْرُحُ فَأُغْلِبُ
وَأَيْنَهُمَا يَا لَيْلُ إِنْ تَفْعَلِي بِنَا فَآخِرُ مَهْجُورٍ وَأَوَّلُ مُعْتَبٍ^(٢)

وَمَا قِيلَ فِي هَذَا الْمَعْنَى مِنَ الْأَشْعَارِ الْقَدِيمَةِ وَالْمُحَدَّثَةِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحِيطَ بِهِ كِتَابٌ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَتَضَمَّنَهُ بَابٌ.

وقال خالد الكاتب^(٣):

أَرَانِي ذَلِيلَ النَّفْسِ مُذْ أَنْتَ عَاتِبٌ وَآيَةَ نَفْسٍ لَا تَذِلُّ عَلَى الْهَجْرِ
يُعَاتِبُ بَعْضِي فِيكَ بَعْضًا وَكُلُّهُ إِلَيْكَ وَحُبُّ الْعَفْوِ يَسْمَحُ بِالْعُدْرِ

وقال بعض الإعراب:

خَلِيلِي هَلْ يُسْتَخْبَرُ الْأَثَلُ وَالْعَصَا وَمِمْتُ الرُّبَى مِنْ بَطْنِ نَعْمَانَ وَالسِّدْرُ
وَهَلْ يَتَقَالَى بَعْدَ مَا كَانَ صَافِيًا خَلِيلَانِ بَانَا لَيْسَ بَيْنَهُمَا وَتَرُ
نَأَتْ بِهِمَا دَارُ النَّوَى وَتَرَاقِبَا عَلَى الْضِغْنِ حَتَّى لَجَّ بَيْنَهُمَا هَجْرُ
إِذَا رُمَتْ إِلَّا مَا عَدَا الدَّهْرُ يَبْتَنَّا وَبَيْنَكَ لَمْ نَلْزِمَكَ مَا صَنَعَ الدَّهْرُ

(٢) الأبيات في ديوان المجنون ص ٤٥، وانظر الأغاني ٢/٢٠.

(٣) سبق التعريف به.

وقال ذو الرمة:

أَلَا لَا أَرَى مِثْلِي يَجُنُّ مِنَ الْهَوَى وَلَا مِثْلَ مَا أَلْقَى إِذَا الْحَيُّ فَارَقُوا
وَلَا مِثْلَ مَا أَلْقَى إِذَا الْحَيُّ فَارَقُوا كَفَى حَسْرَةً فِي النَّفْسِ يَا مَيَّ أَنِّي
أَدُورُ حَوَالِيكَ الْيَبُوتَ كَأَنِّي إِذَا جِئْتُ عَنْ إِيْتَانِ بَيْتِكَ مُحْرَمٌ^(٤)

وقال أيضا:

هَوَى لَكَ لَا يَنْفُكُ يَدْعُو كَمَا دَعَا إِذَا هَمَلْتُ عَيْنِي لَهُ قَالَ صَاحِبِي
عَلَامَ وَقَدْ فَارَقْتَ مَيَّا وَفَارَقْتَ أَطَاعَتْ بِكَ الْوَأَشِينَ حَتَّى كَانَمَا
كَلَامُكَ إِيَّاهَا عَلَيْكَ حَرَامٌ^(٥)

وأنشدنا أحمد بن أبي طاهر قال أنشدني أبو سعيد المخزومي:

بَقِيَ بِجَمِيلِ الصَّبْرِ مَيَّ عَلَى الدَّهْرِ وَلَا تَبْقَى بِالصَّبْرِ مَيَّ عَلَى الْفَجْرِ
فَإِنِّي لَصَبَّارٌ عَلَى مَا يَنْوِينِي وَحَسْبُكَ أَنْ اللَّهَ أَتَى عَلَى الصَّبْرِ
وَلَسْتُ بِنَظَارٍ إِلَى جَانِبِ الْغِنَى إِذَا كَانَتْ الْعَلْيَاءُ فِي جَانِبِ الْفَقْرِ

وقال الوليد بن عبيد الطائي:

عَذِيرِي مِنَ الْأَيَّامِ رَنْقَنَ مَشْرِبِي وَلَقَيْتَنِي نَحْسًا مِنَ الطَّيْرِ أَشَامَا
وَأَكْسَبَنِي سُخْطَ أَمْرِي بِتْ مَوْهِنَا أَرَى سُخْطَهُ لَيْلًا مَعَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا^(٦)
نَبْلَجُ عَنْ بَعْضِ الرِّضَا وَأَنْطَوَى عَلَى بَقِيَّةِ عَتَبٍ شَارَفَتْ أَنْ تَصْرَمَا
إِذَا قُلْتُ يَوْمًا قَدْ تَجَاوَزَ حَدَّهَا تَلَبَّثَ فِي أَعْقَابِهَا وَتَلَوَّمَا
وَأَصْبَدَ إِنْ نَارَعْتُهُ الطَّرْفَ رَدَّهُ كَلِيلًا وَإِنْ رَاجَعْتُهُ الْقَوْلَ أَحْجَمَا

(٤) الأبيات في الديوان ص ٥٦٤ مع اختلاف في الرواية.

(٥) لم أجد الأبيات في ديوان ذي الرمة.

(٦) في «م» والمطبوع: والبستني.

ثَنَاهُ الْعِدَى عَنِّي فَأَصْبَحَ مُعْرِضاً
وَلَوْ أَنِّي وَقُرْتُ شَيْئِي وَقَارَهُ
لَا تَجَبَّرْتُ أَنْ أُوْمِي إِلَيْكَ بِإِصْبَعٍ
وَكَانَ الَّذِي يَأْتِي بِهِ الدُّهْرُ هَيِّنًا
وَلَكِنِّي أَعْلِي مَحَلِّكَ أَنْ أَرَى
وَلَمْ أَدْرِ مَا أَلَذُّبُ الَّذِي سُوِّتَنِي بِهِ

وَوَهَمَهُ الْوَأَشُونَ حَتَّى تَوَهَّمَا
وَأَجَلَلْتُ شِعْرِي فِيكَ أَنْ يَتَهَضَّمَا
تَضَرَّعُ أَوْ أُذْنِي لِمَعْدِرَةٍ فَمَا
عَلَيَّ وَلَوْ كَانَ الْجَمَامُ الْمَقْدَمَا
مُذِلًّا وَاسْتَحْيَيْكَ أَنْ أُنْعَظَمَا
فَأَقْتُلْ نَفْسِي حَسْرَةً وَتَنْدَمَا^(٧)

وانشدني أحمد بن يحيى عن أبي عبد الله بن الأعرابي:

أَلَا أَبْلُغُ أَحَا قَنِسٍ رَسُولًا
وَلَكِنِّي طَوَيْتُ الْكَشْحَ لِمَا
فَلَسْتُ بِمُدْرِكٍ مَا فَاتَ مِنِّي
وَلَسْتُ بِأَمِينٍ أَبَدًا خَلِيلًا
وَصَلَّتْكَ ثُمَّ عَادَ الْوَصْلُ أَنِّي
فَإِنْ أَعْطَفَ عَلَيْكَ بِفَضْلِ جِلْمٍ

بِأَنِّي لَمْ أَخُنْكَ فَلَا تَخْنِي
رَأَيْتُكَ قَدْ طَوَيْتَ الْكَشْحَ عَنِّي
بِلَهْفٍ وَلَا بِلَيْتٍ وَلَا لَوَاتِي
عَلَى شَيْءٍ إِذَا لَمْ يَأْتِمِنِي
قَرَعْتُ نَدَامَةً مِنْ ذَاكَ سِنِي
فَمَا قَلْبِي إِلَيْكَ بِمُطْمَئِنٍّ

وقال العباس بن الأحنف:

لَوْ كُنْتُ عَاتِيَةً لَسَكَنْ عِبْرَتِي
لَكِنْ مَلَلْتُ فَلَمْ تَكُنْ لِي جِيلَةً

وقال آخر:

وَمُسْتَوْجَشٍ لَمْ يَمْشِ فِي أَرْضِ غُرْبَةٍ
إِذَا رَامَ كَيْتَمَانَ الْهَوَى نَمَّ دَمْعُهُ
أَلَا أَيُّهَا الْبَيْتُ الَّذِي لَا أَزُورُهُ

أَمَلِي رِضَاكَ غَيْرَ مُرَاقِبٍ
صَدَّ الْمَلُولُ خِلَافَ صَدِّ الْعَاتِبِ^(٨)

وَلَكِنَّهُ مِمَّنْ يَبُودُ غَرِيبُ
فَأَيُّهُ لِمَحْزُونٍ جَفَاهُ طَبِيبُ
وَهَجْرَانُهُ مِنِّي إِلَيْكَ ذُنُوبُ

(٧) المقطوعة في الديوان ص ١٩٧٨.

(٨) لم أجد البيتين في الديوان.

هَجَرْتُكَ مُشْتَقًا وَزُرْتُكَ خَائِفًا
سَلَامٌ عَلَى الدَّارِ الَّتِي لَا أَزُورُهَا

وقال أبو نواس:

غَصِصْتُ مِنْكَ بِمَا لَا يَذْفَعُ الْمَاءُ
قَدْ كَانَ يَقْبَعُكُمْ إِذْ كَانَ رَأْيُكُمْ
وَمَا جَهَلْتُ مَكَانَ الْأَمْرِكِ بِذَا
مَا زِلْتُ أَسْمَعُ حَتَّى صِرْتُ ذَاكَ بِمَنْ

وَمِنِّي عَلَى الدُّهْرِ فِيكَ رَقِيبُ
وَإِنْ حَلَّلَهَا شَخْصٌ إِلَيَّ حَبِيبُ^(٩)

وَصَحَّ هَجْرُكَ حَتَّى مَا بِهِ دَاءُ
أَنْ تَهْجُرُونِي مِنَ التَّضَرُّعِ إِيْمَاءُ
مِنْ الْوُشَاةِ وَلَكِنْ فِي فَمِي مَاءُ
قَامَتْ قِيَامَتُهُ وَالنَّاسُ أَحْيَاءُ^(١٠)

وقال أيضا:

صَلَيْتُ مِنْ حُبِّهَا نَارَيْنِ وَاجِدَةً
وَقَدْ مَنَعْتُ لِسَانِي أَنْ يَسُوحَ بِهِ
يَا وَنَحْ أَهْلِي أَبْلَى بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ
لَوْ كَانَ زُهْدُكَ فِي الدُّنْيَا كَزُهْدِكَ فِي

جَوْفِ الْفُؤَادِ وَأُخْرَى بَيْنَ أَحْشَائِي
فَمَا يُعْبِرُ عَنِّي غَيْرُ إِيْمَائِي
عَلَى الْفِرَاشِ وَلَا يَدْرُونَ مَا دَائِي
وَصَلِي مَشِيَّتِ بِلَا شَكٍّ عَلَى الْمَاءِ^(١١)

وَبَلَفَنِي عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَا أَنَا بِالْكَعْبَةِ إِذْ رَأَيْتُ أَبَا السَّائِبِ
الْمَخْزُومِيَّ مُتَعَلِّقًا بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ وَهُوَ يَقُولُ:

يَا هَجْرُكَ عَنْ الْهَوَى وَدَعِ الْهَوَى
مَاذَا تُرِيدُ مِنَ الَّذِينَ جُفُونُهُمْ
وَسَوَابِقُ الْعَبْرَاتِ بَيْنَ خُدُودِهِمْ
مُتَحَيِّرِينَ مِنَ الْهَوَى الْوَانِهِمْ

قَالَ: فَقُلْتُ: يَا أَبَا السَّائِبِ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ تَشْدُ مِثْلَ هَذَا؟

(٩) الأبيات في ديوان المجنون ص ٥٥، وهي في زهر الأدب ٧٥/٣ لراشد بن إسحاق.

(١٠) الأبيات في الديوان ص ١٠٩ مع اختلاف في الرواية.

(١١) المصدر السابق ص ٢٣٦.

فَقَالَ: إِلَيْكَ عَنِّي يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، فَوَاللَّهِ لِلدُّعَاءِ لَهُمْ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ أَفْضَلُ مِنْ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ.

ولقد أحسن الفرزدق حيث يقول:

عَرَفْتُ بِأَعْيَاشٍ وَمَا كِدْتُ تَعْرِفُ وَأَنْكَرْتُ مِنْ حَدَرَاءَ مَا كُنْتُ تَعْرِفُ
وَلَجَّ بِكَ الْهَجْرَانُ حَتَّى كَأَنَّمَا

تَرَى الْمَوْتَ فِي الْبَيْتِ الَّذِي كُنْتُ تَأْلُفُ^(١٢)

وقال^(١٣):

لَيْنَ كَانَ فِي الْهَجْرَانِ أَجْرٌ لَقَدْ مَضَى لِي الْأَجْرُ فِي الْهَجْرَانِ مِثْلَ سَتَانِ
فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي أَكُلُ ذَوِي هَوَى عَلَى مَا بَنَا أَمْ نَحْنُ مُبْتَلِيَانِ

وقال الحارث بن خالد المخزومي^(١٤):

إِنْ يُمَسِّرَ حَبْلُكَ بَعْدَ طَوْلٍ تَوَاصَلٍ خَلِقًا وَأَصْبَحَ بَيْنَكُمْ مَهْجُورًا
فَلَقَدْ أَرَانِي وَالْجَدِيدُ إِلَى بَلَى زَمَنًا بِوَصْلِكَ رَاضِيًا مَسْرُورًا
كُنْتُ الْهَوَى وَأَعَزُّ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى عِنْدِي وَكُنْتُ بِذَاكَ مِنْكَ جَدِيرًا

وقال آخر:

وَقَالَ نِسَاءً لَسَنَ لِي بِنَوَاصِحٍ لِيَعْلَمَنَّ مَا أَخْفَى وَيَعْلَمَنَّ مَا أُبْدِي
[أ] أَحْبَبْتُ لَيْلَى جُهْدَ حُبِّكَ كُلِّهِ لَعَمْرُ أَبِي لَيْلَى وَزِدْتُ عَلَى الْجُهْدِ
عَلَى ذَاكَ مَا يَمْحُو لِي أَلْذَنْبَ عِنْدَهَا وَتَمْحُو دَوَاعِي حُبِّهَا ذَنْبَهَا عِنْدِي
أَلَا إِنْ قُرْبَ الدَّارِ لَيْسَ بِسَافِعٍ وَقَلْبُ الَّذِي تَهْوَاهُ مِنْكَ عَلَى الْبُعْدِ^(١٥)

(١٢) لم أجد البيتين في ديوان الفرزدق.

(١٣) القائل غير الفرزدق، وكان ينبغي أن يقول: وقال آخر.

(١٤) الحارث المخزومي من شعراء دولة بني أمية. انظر شرح الحماسة (التبريزي) ٢٤٥/٣.

(١٥) الأبيات في شعر المجنون، انظر الديوان ص ٣٢٥.

ولبعض أهل هذا العصر:

لَعَمْرُكَ مَا قُرْبُ الدِّيَارِ بِسَافِعٍ إِذَا لَمْ يَصِلْ حَبْلُ الْحَبِيبِ حَبِيبُ
وَلَيْسَ غَرِيبًا مَنْ تَنَاءَتْ دِيَارُهُ وَلَكِنْ مَنْ يُجْفَى فِذَاكَ غَرِيبُ
وَمَنْ يَغْتَرِبُ وَالْإِلْفُ رَاحٍ لِعَهْدِهِ وَإِنْ جَاوَزَ السَّدَيْنِ فَهُوَ قَرِيبُ

وقال آخر:

لَوْ كُنْتُ فِي بِلَدٍ وَنَحْنُ بِغَيْرِهِ مَا كَانَ عِنْدَكَ فِي الْجَفَاءِ مَزِيدُ
قُرْبُ الْمَرَارِ وَأَنْتَ نَاءٌ لَا يَرَى وَإِذَا الْقَرِيبُ جَفَاكَ فَهُوَ بَعِيدُ

وقال أبو تمام:

وَنَأَى الْهَجْرُ بِالَّذِي لَا أَسْمِي فَأَنَا مِنْهُ فِي الْقَرِيبِ الْبَعِيدِ
فَفِرَاقُ أَصَابِنِي مِنْ فِرَاقِ وَفِرَاقُ أَصَابِنِي مِنْ صُدُودِ
لَيْسَ مَنْ كَانَ غَائِبًا فَقَدْتُهُ أَلَا سَعِينُ غَيْبًا كَالشَّاهِدِ الْمَفْقُودِ^(١٦)

وقال البحتري:

يَسُوءُكَ أَلَا عَطَفَ عِنْدَ أَنْعَاطِهِ وَيَشْجِيكَ أَلَا عَدَلَ عِنْدَ اعْتِدَالِهِ
فَمَا حِيلَةَ الْمُشْتَاكِ فِيمَنْ يَشُوقُهُ إِذَا حَالَ هَذَا الْهَجْرُ دُونَ أَحْتِيَالِهِ^(١٧)

ولقد أحسن علي بن محمد العلوي في قوله:

هَوَاكَ هُوَ الدُّنْيَا وَنَيْلُكَ مُلْكُهَا وَهَجْرُكَ مَقْرُونٌ بِكُلِّ هَوَانٍ
كَذَبْتُكَ مَا قُلْتُ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ بَلَى لَمْ يَجِدْ مَا فَوْقَ ذَاكَ لِسَانِي

□ □ □

(١٦) الأبيات ي ديوان أبي تمام ١٩٠/٤.

(١٧) ديوان البحتري ص ١٦١٩.

مَا عَتَبَ مَنْ اَعْتَفَرَ وَلَا اُذْنَبَ مَنْ اَعْتَذَرَ

اَلْمُعْتَذِرُ لَا يَنْفُكُ مِنْ اِحْدَى حَالَيْنِ: مَا اَنْ يَكُونَ صَادِقًا اَوْ كَاذِبًا، فَاِنْ كَانَ صَادِقًا فَعُدْرُهُ مَقْبُولٌ وَاِنْ كَانَ كَاذِبًا فَاِنَّهُ لَمْ يَنْجُسْهُم مَضَاضَةَ الْكُذِبِ فِي نَفْسِهِ اِلَّا لِنَفَاسَةِ صَاحِبِهِ فِي صَدْرِهِ. وَمَنْ كَانَ يَهْدِيهِ الْحَالُ قَبْلَ عُدْرِهِ، بَلَّ وَجَبَ شُكْرُهُ.

وقد قال البحرى:

اِقْبَلْ مَعَاذِيرَ مَنْ يَأْتِيكَ مُعْتَذِرًا
وَقَدْ اَجَلَّكَ مَنْ يَعْصِيكَ مُسْتَعْتِرًا^(١)

ولبعض أهل هذا العصر:

اَنْتَ اَبْتَدَأْتَ بِمِعَاذِي فَأَوْفِ بِهِ
وَلَا تَكِلْنِي اِلَى عُدْرِ تَزْخِرْفُهُ

وله أيضاً:

اِلَى اَللّهِ اَشْكُو مَنْ بَدَانِي بِوَصْلِهِ
سَاجِرُ نَفْسِي عَنْ تَقَاضِيهِ رَاضِيًا
وَاَخِذْ مِنْهُ اَلْعَفْوُ مَا دَامَ بَاخِلًا
فَرُبَّ اَعْتِذَارٍ قَدْ تَمَنَيْتُ اَنْبِي

(١) ديوان البحرى ص ١١٠٥.

وقال آخر:

لَمْ اَجْنِ ذَنْبًا فَاِنْ رَعِمْتَ بِاَنْ
قَدْ تَطَرَّفَ اَلْكَفُّ عَيْنَ صَاحِبِهَا

وقال آخر:

مَا اَحْسَنَ اَلْعَفْوَ مِنْ اَلْقَادِرِ
اِنْ كَانَ لِي ذَنْبٌ وَلَا ذَنْبٌ لِي
اَعُوذُ بِاَلْوَدِّ الَّذِي بَيْنَنَا

وقال آخر:

هَبْنِي اَسَاةً وَقَدْ اَتَيْتُ
فَاَنَا اُتَوْتُ وَمَا اَسَاةٌ

وقال آخر:

هَبْنِي يَا مُعَذِّبَتِي اَسَاةً
فَاِنَّ اَلْفَضْلَ مِنْكَ فَذَتِكَ نَفْسِي

ولبعض أهل هذا العصر:

لِجُرْمِي عِقَابٌ وَالتَّجَاوُزُ مُمَكِّنُ
فَاِنْ لَمْ تُجَاوِزْ حَسَبَ مَا تَسْتَحِقُّهُ

وله أيضاً:

اَلْعُدْرُ يَلْحَقُهُ اَلتَّحْرِيفُ وَاَلْكَذِبُ
وَقَدْ اَسَاةٌ فَبِالنُّعْمَى اَلَّتِي سَلَفَتْ

وقال آخر:

لَا وَالَّذِي اِنْ كَذَبْتُ اَلْيَوْمَ عَذْبَتِي
مَا قَرَّتْ اَلْعَيْنُ بِاَلْاَبْدَالِ بَعْدَكُمْ

إِنِّي وَجَدْتُ بِكُمْ مَا لَمْ يَجِدْ أَحَدٌ
وقال البحرني:

أَنْسَى مَنْ يُذَكِّرُنِيهِ إِلَّا
رَقْدُ أَكْدَى الصَّوَابِ عَلَيَّ حَتَّى
فَإِنْ لَا تَحْسِبِ الْحَسَنَاتِ مِنْهَا
أَتُوبُ مِنَ الْإِسَاءَةِ إِنْ أَلَمْتُ
وَأَعْرِفُ مَنْ يُسِيءُ وَلَا يُتُوبُ^(٢)

وقال أيضاً:

اللَّهُ يَعْلَمُ وَالْدُّنْيَا مُنْفَصَّةٌ
لَأَنْتَ عِنْدِي وَإِنْ سَاءَتْ ظُنُونُكَ بِي
أَحْظُوهُ مِنَ الْأَمْنِ عِنْدَ الْخَائِفِ الْوَجِلِ^(٣)

ولعبدالله بن عبدالله بن طاهر^(٤):

إِغْتَفِرْ زَلَّتِي لِتُحَرِّزَ فَضْلَ الشُّكْرِ
لَا تَكِلْنِي إِلَى التَّوَسُّلِ بِالْعُدَى
رِ مَنِّي وَلَا يَفُوتَكَ أَجْرِي
رِ لَعَلِّي إِلَّا أَقْرَمَ بِعُدْرِي

وقال آخر:

فَإِنْ لَا أَكُنْ لِلْفَضْلِ أَهْلًا فَإِنَّكُمْ
فَفَضْلُكَ أَرْجُو لَا الْبَرَاءَةَ إِنَّهُ
بِفَضْلِكُمْ لِلْعَفْوِ عَنْ مُذْنِبِ أَهْلِ
أَبَى اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَكَ الْفَضْلُ
وقال محمد بن عبد الملك الزيات^(٥):

رَفَعَ اللَّهُ عَنْكَ نَائِبَةَ الدَّهْرِ
رِ وَحَاشَاكَ أَنْ تَكُونَ عَلِيلاً

(٢) في «م» والمطبوع: يذكر فيه.

(٣) الديوان ص ٢٥٦ مع اختلاف في الرواية.

(٤) لم أجد البيت في ديوان البحرني.

(٥) في «م» والمطبوع: لعبدالله بن طاهر.

(٦) محمد بن عبد الملك الزيات، وزير المعتصم، من بلغاء الكتاب والشعراء، توفي سنة

٢٣٣هـ. انظر: وفيات الأعيان ٥٤/٢، تاريخ بغداد ٤٣٢/٢.

أَشْهَدُ اللَّهَ مَا عَلِمْتُ وَمَا ذَا
فَأَجْعَلَنِي لِي إِلَى التَّوَسُّلِ بِالْعُدَى
فَقَدِيمًا مَا جَادَ ذُو الْفَضْلِ بِالصَّفْحِ
كَ مِنْ الْعُذْرِ جَائِزًا مَقْبُولًا
رِ سَبِيلًا إِذْ لَمْ أَجِدْ لِي سَبِيلًا
وَمَا سَامَحَ الْخَلِيلُ الْخَلِيلًا

وقال الحسين الخليل:

بِنَفْسِي حَبِيبٌ لَا يَمْلُ السَّعْيَا
يُطِيلُ ضِرَارِي بِأَمْتِحَانِ صَبَابَتِي
فَلَسْتُ أَنَا حِي غَيْرُهُ مُذْ عَرَفْتُهُ
أَيَا مَنْ تَجَنَّى الذَّنْبَ أَعْلَمُ أَنَّهُ
إِذَا زِدْتُهُ فِي الْعُذْرِ زَادَ تَعَصُّبَا
وَقَدْ عَلِمَ الْمَكُونُ مِنْهَا الْمُغَيَّبَا
فَأَنْظُرْ إِلَّا خَائِفًا مُتَرَقِّبَا
عَلَى ثِقَةٍ أَنْ لَسْتُ بِالْغَيْبِ مُذْنِبَا
مِنْ السُّقْمِ [قَدْ يَشْفِي] الْمُلِحُ الْمُعَذَّبَا
أَمَّا لِيخْضُوعِي مِنْ ضَمِيرِكَ شَافِعُ

أَمَّا أَعْتَذَرُهُ بِأَنَّهُ لَا يُنَاجِي غَيْرَ صَاحِبِهِ إِلَّا خَائِفًا مُتَرَقِّبًا فَتَبَيَّحَ جِدًّا^(٧)
وَلَعَمْرِي إِنَّ الْإِصْرَارَ عَلَى الْعُذْرِ، أَصْلَحُ مِنَ التَّنَاضُلِ بِهَذَا الْعُذْرِ، [إِذْ] مَنْ لَمْ
يَكُنْ عَلَيْهِ رَقِيبٌ مِنْ نَفْسِهِ يَصُونُهَا عَنْ مَكَارِهِ إِفْهِهِ، فَلَا دَرْكَ فِي مَوَدَّتِهِ.

وقد قال بعض أهل هذا العصر في هذا النحو:

كَأَنَّ رَقِيبًا مِنْكَ يَرَعَى خَوَاطِرِي
فَمَا عَايَنْتُ عَيْنَايَ بَعْدَكَ مَنْظَرًا
وَلَا بَدَرْتُ مِنْ فِي بَعْدَكَ مَرْحَةً
وَلَا خَطَرْتُ مِنْ ذِكْرٍ غَيْرِكَ خَطَرَةً
إِذَا مَا تَسَلَّى الْغَابِرُونَ عَنِ الْهَوَى
وَجَدْتُ الَّذِي يُسَلِّي سِوَايَ يَشُوقُنِي
وَفَتَيَانِ صَدَقٍ قَدْ سَمِعْتُ لِقَاءَهُمْ
وَمَا الزُّهْدُ أَسْلَى عَنْهُمْ غَيْرَ أَنْبِي
وَأَخَرُ يَرَعَى نَاطِرِي وَلِسَانِي
يُسْوءُكَ إِلَّا قُلْتُ قَدْ رَمَقَانِي
لِغَيْرِكَ إِلَّا قُلْتُ قَدْ سَمِعَانِي
عَلَى الْقَلْبِ إِلَّا عَرَجَا بِعِنَانِ
بِشْرَبِ مُدَامٍ أَوْ سَمَاعِ قِيَانِ
إِلَى قُرْبِكُمْ حَتَّى أَمْلُ مَكَانِي
وَعَفَفْتُ طَرَفِي عَنْهُمْ وَلِسَانِي
أَرَاكَ عَلَى كُلِّ الْجِهَاتِ تَرَانِي

(٧) انظر تخرج الأبيات في أشعار الحسين الخليل.

وأتم من هذا قول مسلم بن الوليد:

رَحَلْتُ مَذْيُومَ نَادُوا بِالرَّجِيلِ عَلَى
أَغْضَتْ عَنِ الْخَلْقِ عَيْنِي مَا تَرَى حَسَنًا
وقال آخر:

لَا يَشِيءُ صَدَدَتْ عَيْنِي
أَكَا نَ مِنِّي فَعَالَ سُوءٍ
إِنَّ شَفِيعِي إِلَيْكَ مِنِّي
فِيَالَّذِي سَأَقْنِي ذَلِيلًا

وقال آخر:

كُلُّ يَوْمٍ يَقُولُ لِي لَكَ ذَنْبٌ
فَأَنَا الدُّهْرُ فِي اعْتِدَارٍ إِلَيْهِ
رُبَّمَا جِئْتُهُ أَسْلَفُهُ الْعُدُ

وقال علي بن الجهم:

عَفَا اللَّهُ عَنْكَ مَا حُرْمَةٌ
أَلَمْ تَرَ عَبْدًا عَدَا طَوْرَهُ
وَمُفْسِدًا أَمْرٍ تَلَا فَيْتَهُ
أَقْلَنِي أَقَالَكَ مَنْ لَمْ يَزَلْ
لَيْنَ جَلُّ ذَنْبٌ وَلَمْ أَعْتَمِدْهُ

وقال البحرري:

يُخَوِّفُنِي مِنْ سُوءِ رَأْيِكَ مَعَشَرٌ
أَعِيدُكَ أَنْ أَخْشَاكَ مِنْ غَيْرِ حَادِثٍ
وَلَا خَوْفَ إِلَّا أَنْ تَجُورَ وَتَظْلِمَا
أَتَيْتُ وَلَا جُرْمَ إِلَيْكَ تَقْدَمَا

(٨) لم أجد البيت في الديوان.

(٩) المقطوعة في الديوان ص ٧٧ وانظر التخريج.

أَقْرُبَمَا لَمْ أَجْنِهِ مُتَنَصِّلًا
إِلَيْكَ عَلَى أَنِّي إِخَالُكَ أَلْوَمًا^(١٠)
وقال أيضاً:

وَعَتَابِ خِلٍّ قَدْ سَمِعْتُ فَلَمْ أَكُنْ
طَافَ الْوُشَاةُ بِهِ فَأَحْدَثَ ظُلْمَةً
غَضَبَانِ حُمِلَ إِحْنَةً لَوْ حُمِلَتْ
مَهْلًا فِدَاكَ أَخْرُوكَ قَدْ أَلْهَيْتَهُ
خَزْيَانُ أَكْبَرَ أَنْ تَظُنَّ جَنَائِيَّةَ
مَاذَا تَوَهَّمُ أَنْ يَقُولَ وَقَوْلُهُ
أَنْبَوْتُ عَنْكَ بِرِغْمِهِمْ وَمَتَى نَبَا

وقال بعض أهل هذا العصر:

أَخْرُوكَ الَّذِي أَمْسَى بِذِكْرِكَ مُغْرَمًا
فَإِنْ لَمْ تَصِلْهُ رُغْبَةً فِي وَصَالِهِ
فَقَدْ وَالَّذِي عَافَاكَ مِمَّا آتَى بِهِ
وَبِاللَّهِ مَا كَانَ الصُّدُودُ الَّذِي مَضَى
فَلَا تَحْرَبَنَّ بِالْقَدْرِ مَنْ صَدَّ مُكْرَهَا
فَلَمْ يُلْهِهِ عَنْكَ السُّلُوكُ وَإِنَّمَا

وقال آخر:

كُحِلَتْ مُقْلَتِي بِشَوْكِ الْقَتَادِ
يَا أَجِي الْبَاذِلُ الْمَوْدَّةَ وَالنَّأَا
مَنْعَتْنِي عَلَيْكَ رِقَّةٌ قَلْبِي
لَوْ بِأَذْنِي سَمِعْتُ مِنْكَ أُنِينًا

(١٠) انظر الديوان ص ١٩٨٠.

(١١) المصدر السابق ص ص ١١٩٦، ١١٩٧.

إِذَا ظَهَرَ الْغَدْرُ سَهْلَ الْهَجْرِ

الْعَلَّةُ فِي سُهولةِ الْهَجْرِ عِنْدَ ظُهُورِ الْغَدْرِ ضَرْبٌ مِنَ الْمَكْرُوهِ. وَكُلُّ
مَكْرُوهِ فَبَعْدُ النَّفْسِ عَنْهُ خَيْرٌ لَهَا مِنَ الْقُرْبِ مِنْهُ. وَعَلَى أَنَّ نَفْسَ الْمُحِبِّ إِذَا
اسْتَيْقَنَتْ بِالْغَدْرِ لَمْ تَرْضَ بِمُقَاوَمَةِ الْهَجْرِ، لِأَنَّ فِي الْهَجْرِ ضَرْباً^(١) مِنَ التَّأْدِيبِ
وَضَرْباً^(٢) مِنَ الْإِنْتِقَامِ وَالنَّفْسُ الْمُرَّةُ لَا تَعْبَأُ بِمَنْ غَدَرَ بِهَا، وَلَا تَسْتَصْلِحُهُ
بِمُعَاتَبَةٍ وَلَا تَرْضِيهِ بِمُعَاقِبَةٍ. بَلْ تُخَلِّي فِكْرَهَا عَنْ ذِكْرِهِ، وَتَصُونُ خَوَاطِرَهَا عَنْ
الْخَوْصِ فِي أَمْرِهِ.

وفي هذا النحو يقول بعض أهل هذا العصر:

يَا قَلْبُ قَدْ خَانَ مَنْ كَلَفْتَ بِهِ فَخَلَّ عَنْكَ الْبُكَاءُ فِي آثَرِهِ
شُغْلُكَ بِالْفِكْرِ فِي تَغْيِيرِهِ أَعْظَمُ مِمَّا لَقِيتَ مِنْ غَيْرِهِ
فَارْحَلْ فَمَنْ لَا يُحِلُّ مَوْرَدَهُ يُفْضِرُ بِهِ صَفْوَهُ إِلَى كَدَرِهِ
وَأَرْجِعْ إِلَى اللَّهِ فِي الْأُمُورِ فَلَنْ تَقْدِرَ أَنْ تَسْتَجِيرَ مِنْ قَدَرِهِ

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ تَضَعُفُ قُوَاهُ عَنْ هَذِهِ الْحَالِ، فَلَا يَسْأَلُ عَمَّا يَصِيرُ إِلَيْهِ
مِنَ النِّكَالِ. وَكُلُّ ذَلِكَ عَلَى حَسَبِ التَّوْفِيقِ وَالْجَذَلَانِ، نَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرَ
عَوَاقِبِ الْأُمُورِ، وَنَسْتَكْفِيهِ كُلَّ مُهِمٍّ وَمَحْذُورٍ.

قال امرؤ القيس بن حجر:

إِذَا قُلْتُ هَذَا صَاحِبٌ قَدْ رَضِيَتْهُ وَقَرَّتْ بِهِ الْعَيْنَانِ بَدَلْتُ آخَرَا

(١) في «م» والمطبوع: ضرب.

(٢) في «م» والمطبوع: ضرب.

وقال علي بن الجهم:

إِنَّ دُونَ السُّؤَالِ وَالْإِعْتِذَارِ
لَيْسَ جَهْلًا بِهَا تَوَرَّدَهَا الْخُ
إِذْضَ لِلْسَّائِلِ الْخُضُوعَ وَلِلْقَا

وقال آخر:

هَاجَرْتَنِي ثُمَّ لَا كَلَمَتِي أَبَدًا
أَوْ أَتَجَنَّبُ نَجِيًّا فِي خِيَانَتِكُمْ
فَسَوِّغْنِي أَلْمُنَى كَيْمَا أَعِيشَ بِهَا
ثُمَّ أَطْلِقِي الْبُخْلَ مَا أَطْلَقْتَ آمَالِي

ولبعض أهل هذا العصر:

أَتَرُبُ إِلَيْكَ مِنْ نَقْضِ الْعُهُودِ
أَسَأْتُ فَلَا تُعْنَى بِالِدَّعَاوَى
وَقَدْ كَانَ الْجُحُودُ عَلَيَّ سَهْلًا
وَلَكِنِّي أَنْفَتُ مِنَ الْجُحُودِ
بِمَا اسْتَحْلَلْتُ نَقْضَ عُرَى الْعُهُودِ
أَتَيْتُ فَإِنْ نَجَوْتُ فَلَا تَعُودِي
فَعَادَ فَلَمْ يَذُقْ طَعْمَ الْهَجُودِ

وقال منصور النمري:

لَعَلَّ لَهُ عُذْرًا وَأَنْتَ تَلُومُ
أَخْ لَكَ مُشْتَاقٌ تَذَكَّرَ خُلَّةَ
سَلَامَ عَايَ أُمِّ الْوَلِيدِ وَذَكَرَهَا
وَكَمْ لَا يَمُ قَدْ لَامَ وَهُوَ مُلِيمٌ
لَهَا عِنْدَهُ وَدُ قَبَاتَ يَهِيمُ
وَعَهْدُ لَهَا لَمْ يَنْسَ وَهُوَ قَدِيمٌ^(١٣)

(١٢) لم أجد الأبيات في الديوان.

(١٣) البيت الأول في طبقات ابن المعتز ص ٢٤٧ وكذلك في التمثيل والمحاضرة ص ٨٣
ونهاية الأرب ٨٦/٣.

وَذَلِكَ أَنِّي لَمْ أَتُفِ بِمُصَاحِبٍ مِنْ النَّاسِ إِلَّا خَانَنِي وَتَغَيَّرَ (٣)
وقال الأحموس:

أَقُولُ لَمَّا اتَّفَقْنَا وَهِيَ صَادِقَةٌ عَنِّي لِيُهْنِكَ مَنْ تُذْنِبُهُ دُونِي
إِنِّي سَأَمْنُحُكَ الْهَجْرَانَ مُعْتَزِماً مِنْ غَيْرِ بَغْضٍ لَعَلَّ الْهَجْرَ يُسْلِنِي
[وَأَوْ] مُثْبِتاً رَجَعَ أَيَّامٌ لَنَا سَلَفَتْ سَقِيّاً وَرَغِيّاً لِدَاكَ الدِّينِ مِنْ دِينِ (٤)

وَبَلَّغَنِي: أَنَّ نُصِيّاً أَتَى إِلَى صَاحِبَتِهِ فَدَفَعَ الْبَابَ لِيَدْخُلَ إِلَيْهَا، فَرَأَى
عِنْدَهَا فَتًى تُحَدِّثُهُ، فَقَالَتْ لَهُ: أَدْخُلْ يَا أَبَا مِحْجَنٍ فَإِنَّا يَقُولُ:

أَرَاكَ طَمُوحَ الْعَيْنِ مَذَاقَةَ الْهَوَى لِكُلِّ خَلِيلٍ مِنْكَ وَضَلَّ مُطَرِّفُ
مَتَى تَجْمَعِي رَدْفَيْنِ لَا أَكُ مِنْهُمَا فَهَبِي بِفَرْدٍ لَسْتُ مِمَّنْ يُرَدَّفُ
ثُمَّ تَرَكَ الْبَابَ وَلَمْ (٥) يَسُدَّهُ وَأَنْصَرَفَ.

وقال أبو نواس:

وَمُظْهِرَةَ لِيَخْلُقِ اللَّهُ عِشْقاً وَتُلْقَى بِالْمَحَبَّةِ وَالسَّلَامِ
أَتَيْتُ فَوَادَهَا أَشْكُو إِلَيْهِ فَلَمْ أَخْلُصْ إِلَيْهِ مِنَ الزَّحَامِ
فَيَا مَنْ لَيْسَ يُقْنِعُهُ خَلِيلٌ وَلَا أَلْفَا خَلِيلٍ كُلِّ عَامٍ
أَرَاكَ بَقِيَّةً مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَهُمْ لَا يَصْبِرُونَ عَلَى طَعَامِ (٦)

وقال العباس بن الأحنف:

كَتَبْتُ تَلُومَ وَتَسْتَرْيبُ زِيَارَتِي وَتَقُولُ لَسْتُ لَنَا كَعَهْدِ الْعَاهِدِ
فَأَجَبْتُهَا وَمَدَامِعِي مُنْهَلَةٌ تَجْرِي عَلَى الْخَدَّيْنِ غَيْرَ جَوَامِدِ

(٣) انظر الديوان ص ٩١ مع اختلاف في الرواية.

(٤) الأبيات في شعر الأحموس ص ٢٠٦، وانظر التخريج.

(٥) في «م» والمطبع: ولن.

(٦) الأبيات في الديوان ص ٥٨٥ مع اختلاف في الرواية.

يَا فَوْزُ لَمْ أَهْجُرْكُمْ لِمَلَالَةٍ بِأَقْوَرُ لَمْ أَهْجُرْكُمْ لِمَلَالَةٍ
لَكِنِّي جَرَّبْتُكُمْ فَرَجَدْتُكُمْ لَكِنِّي جَرَّبْتُكُمْ فَرَجَدْتُكُمْ
وقال أبو القمقام الأسدي:

أَصَارِمَةٌ أَمْ لَا جِبَالِكَ زَيْنُ بَلَى إِنَّ أَرْمَاقاً ضِعَافاً هِيَ الَّتِي
وَمَا أَنَا بِأَنْكَسِ الدُّنْيَى وَلَا أَرَى وَلَكِنَّهُ مَا دَامَ دُمْتُ وَإِنْ يَكُنْ
سِوَاهُ وَخَيْرُ الْوُدِّ وَدُّ تَطَوَّعَتْ وَمَا بَيْنَ صَرَمِ الْحَبْلِ وَالْوَصْلِ مَذْهَبُ
يُغَرُّ بِهَا الْأَنْكُسُ الدُّنْيَى وَيُكَذَّبُ إِذَا رَامَ صَرَمِي وَ الْمَوَدَّةُ أَغْضَبُ
لَهُ مَذْهَبُ عَنِّي يَكُنْ لِي مَذْهَبُ بِهِ النَّفْسُ لَا وَدُّ أَتَى وَهُوَ مُتَعَبُ

وقال بعض الأعراب:

أَبِينِي أَفِي يُعْنَى يَدِيكَ جَعَلَنِي فَإِنْ كُنْتُ فِي الْيَمْنَى فَيَا لَيْتَ عَيْشَتِي
فَأَفْرَحَ أَمْ صَبَّرْتَنِي فِي شِمَالِكَ وَإِنْ كُنْتُ فِي الْيَسْرَى فَضَلَّ ضَلَالِكَ
إِذَا لَمْ تَنَالِنَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ وَلَمْ تَرْفَعِي رَأْساً بِنَا لَمْ تُبَالِكَ

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

أَنَا لَا أَبْدَا بِسَخَرٍ [أَبْدَا] فَإِذَا مَا غَدَرْتُ لَمْ أَتْرِكْ
أَتْرَانِي أَقْعُدُ اللَّيْلَ لَهَا سَاهِراً أَطْلُبُ وَضْلاً قَدْ هَلَكَ
وَهِيَ فِيمَا تَشْتَهِي لَاهِيَةً مُتٌ إِنْ دَارَ بِهِذَيْنِ الْفَلَكَ (٧)

وقال آخر:

وَمِنْ شَيْبِي أَنِّي إِذَا الْمَرْءُ مَلَنِي وَأَظْهَرَ إِعْرَاضاً وَمَالَ إِلَى الْهَجْرِ

(٧) في «م» والمطبع: يا عتب.

(٨) الأبيات في الديوان ص ١٠٦. مع اختلاف في الرواية. وانظر الأغاني (الساسني)

١٣٧/١٥ وشر نهج البلاغة ٤/٥٠٨، والشعر والشعراء ص ٧٩٢.

(٩) في «م» والمطبع: القعقاع الأسدي. ولوجود النسبة (الأسدي) أميل إلى أنه أبو القمقام

الأسدي، وقد كنا عرفنا به.

(١٠) الأبيات ليست في الديوان.

أَطَلْتُ لَهُ فِيمَا يُجِبُّ عَنَانَهُ
فَإِنْ عَادَ فِي وَضْلِي رَجَعْتُ لِوَضْلِهِ

وقال بعض أهل هذا العصر:

تَحَيَّرَ مِنَ الْإِخْوَانِ مَنْ شِئْتُ وَأَتَخَذْتُ
أَتُوبُ إِلَيْكَ الْيَوْمَ مِنْ كُلِّ تَوْبَةٍ
إِذَا لَمْ يَجِدْ إِلْفِي عَنِ الْغَدْرِ مَذْهَباً
فَوَاللَّهِ لَا أَرْضَيْتُ دَاعِيَةَ الْهَوَى

وقال محمد بن عبد الملك الزيات:

رَأَيْتُكَ سَمَحَ الْبَيْعِ سَهْلاً وَإِنَّمَا
يُغَالِي إِذَا مَا ضَنَّ بِالشَّيْءِ بَائِعُهُ
فَأَمَّا الَّذِي هَانَتْ بَضَائِعُ بَيْعِهِ
فَيُوشِكُ أَنْ تُبْقِيَ عَلَيْهِ بَضَائِعُهُ
هُوَ الْمَاءُ إِنْ أَجْمَعْتَ طَابَ وَرُودُهُ
وَيَفْسُدُ مِنْهُ مَا تُبَاحُ شَرَائِعُهُ

وقال آخر:

أَمِيطِي الْهَوَى عَمَّنْ فَلَاكِ وَعَرَضِي
فَلَوْ كُنْتُ لِي كَفْأً إِذْنًا لَقَطَعْتُهَا
وَلَوْ كُنْتُ لِي عَيْنًا إِذَا لَفَقَأْتُهَا
وَإِنِّي وَإِنْ حَنَنْتُ إِلَيْكَ ضَمَائِرِي
لَغَيْرِي بِهِ وَأَسْتَرْزِقِي اللَّهَ فِي سِتْرِ
وَلَوْ كُنْتُ لِي أَذْنًا رَمَيْتُكَ بِالْوَقْرِ
وَلَوْ كُنْتُ لِي قَلْبًا نَزَعْتُكَ مِنْ صَدْرِي
فَمَا قَدَرْتُ حُبِّي أَنْ أُذِلَّ لَهُ قَدْرِي

وقال عبد قيس بن خفاف البرجمي:

دَارَ الْهَوَى [وَأ] لَمَنْ رَأَاهَا دَارَهُ
فَصَلِّ الْمَوَاصِلَ مَا صَفَا لَكَ وَدُهُ
وَأَحْذَرْ مَحَلَّ السُّوءِ لَا تَحُلْ بِه
أَفْرَاجِلُ عَنْهَا كَمَنْ لَمْ يَرْحَلْ
وَأَضْرِمِ جِبَالَ الْخَائِنِ الْمُتَبَدِّلِ
وَإِذَا نَبَا بِكَ مَنْزِلٌ فَتَحَوَّلِ (١١)

(١١) من شعراء الحماسة، انظر الشرح (التبريزي) ٢/ ٢٥٨.

وقال بعض الأعراب:

وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ أَنْ أَرَى
وَأَنْ أَرِدَ الْمَاءَ الْمَوْطَأَ طِينُهُ

وقال البحري لنفسه:

تَرَكْتُكَ لِلْقَوْمِ الَّذِينَ تَرَكْتَنِي
وَقَالَ لِي الْأَعْدَاءُ مَا أَنْتَ صَانِعٌ
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقُرْبَ يُدْوِي اتِّصَالُهُ
وَإِنِّي لَأَسْتَبْقِي وَدَادَكَ لِأَتِي
وَأَسْأَلُكَ النُّصْفَ أَحْتِجَازاً وَرُبَّمَا
وَإِنِّي لَمَحْسُودٌ عَلَيْكَ مُنَافِسُ
لَهُمْ وَسَلَا الْإِلْفُ الْمَشُوقُ عَنِ الْإِلْفِ
وَلَيْسَ يَرَانِي اللَّهُ أَنْجَحْتُ مِنْ جُرْفٍ
بُعْدْتُ لَعْلَ الْبُعْدِ مِنْ ظَالِمِي يَشْفِي
تِلْكَ وَأَرْضَى مِنْكَ دُونَ الَّذِي يَكْفِي
أَبَيْتُ فَلَمْ أَسْمَحْ لِغَيْرِكَ بِالنُّصْفِ
وَإِنْ كُنْتُ أَسْتَبْقِي كَثِيراً وَأَسْتَجْفِي (١٢)

وأنشدني بعض أهل الأدب:

أَنْقَذَنِي سُوءُ مَا صَنَعْتَ مِنَ الرَّ
فَصِرْتُ عَبْدًا لِلْسُّوءِ فِيكَ وَمَا
قِي فَيَا بَرْدَهَا عَلَى كَبِيدِي
أَحْسَنَ سُوءٍ قَبْلِي إِلَى أَحَدٍ

وأنشدني أحمد بن أبي طاهر لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَرْءَ تَلْوِي يَمِينُهُ
فَكَيْفَ تَرَاهُ بَعْدَ يُمْنَاهُ صَانِعاً
فَيَطْطَعُهَا عَمْداً لَيْسَلَمَ سَائِرُهُ
بِمَنْ لَيْسَ مِنْهُ جِئَن تَبْدُو سَرَائِرُهُ

وقال أبو القمقام الأسدي:

وَلَمَّا بَدَا لِي مِنْكَ مَيْلٌ مَعَ الْعَدَى
صَدَدْتُ كَمَا صَدَّ الرَّيْئُ تَطَاوَلَتْ
عَلَيَّ وَلَمْ يَخْدُثْ سِوَاكَ بَدِيلُ
بِهِ مُدَّةُ الْأَجَالِ فَهَوَ قَتِيلُ

[وقال آخر]:

وَعَزَّيْتُ نَفْساً عَنْ هَوَاكِ كَرِيمَةً
عَلَى مَا يَبْهَا مِنْ لَوَعَةٍ وَعَلِيلِ

(١٢) البيتان في «مجموع شعر يزيد بن الطثيرة» ص ٨٤، وانظر التخریج.

(١٣) ديوان البحري ص ١٣٩٧.

بَكَتْ مَا بَكَتْ مِنْ شَجْوَاهَا ثُمَّ أَغْقَبَتْ
فَأَصْبَحَتْ مِنْ مِيعَادِهَا مِثْلَ قَابِضٍ

وقال بعض الأعراب:

فَإِنْ تَشْبِعِي مِنَّا وَتَرَوِي مَلَائِكَةً
وَأَنْ تَجِدِي مَا خَلْفَ ظَهْرِكَ وَاسِعاً
وَأَنْ تَقْضِي الْعَهْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا

وقال المتلمس:

قَلَيْتُكَ فَأَقْلَيْتَنِي فَلَا وَضَلَ بَيْنَنَا
خَلِيلٌ بَدَا لِي النَّضْحُ مِنْهُ فَلَمْ أَكُنْ
عَصَانِي فَمَا لَأَقَى الرَّشَادَ وَإِنَّمَا

وقال الحسين بن الضحاك:

أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُ بَذَلْتُهُ
أَبَاحَ جِمَى أَلْمِيشَاقِ وَاللَّهُ بَيْنَنَا
فَلَيْتُكَ لَا تُجْزِي بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ
عَدِمْتُكَ مِنْ قَلْبٍ أَقَامَ لِغَايِرٍ

وقال أيضاً:

تَعَزَّوْا بِبَاسٍ عَنْ هَوَايَ فَإِنِّي
أَبَى الْقَلْبُ إِلَّا نَبْوَةً عَنْ جَمِيعِكُمْ
إِذَا حُتُّكُمْ بِالْغَيْبِ عَهْدِي فَمَا لَكُمْ

يَعْرِفَانِ هَجْرٍ مِنْ نُورٍ طَوِيلٍ
عَلَى الْمَاءِ لَمْ يَرْجِعْ يَدَا بَقِيلٍ^(١٤)

فَنَحْنُ وَبَيْتِ اللَّهِ أَرَوَى وَأَشْبَعُ
فَمَا خَلَفْنَا مِنْ سَائِرِ الْأَرْضِ أَوْسَعُ
فَنَحْنُ لِمَا ضَيَّعْتَ أَنْسَى وَأَضْيَعُ

كَذَلِكَ مَنْ يَسْتَعْنِ يَسْتَعْنِ صَاحِبُهُ
لِأَصْرِمِهِ مَا سَوَّغَ الْمَاءُ شَارِبُهُ
تَبَيَّنَ عَنْ أَمْرِ الْغَوِيِّ عَوَاقِبُهُ^(١٥)

لِمَنْ خَانَنِي وَدَيَّ وَلَمْ يَرَعْ لِي عَهْدًا
فَلَمْ يَبْقِ لِلْجِيْشَاقِ قَبْلًا وَلَا بَعْدًا
وَأَنْ كُنْتُ قَدْ أَشْرَقْتَنِي بِدَمِي حِفْدًا
عَلَى الْعَهْدِ حَتَّى كَادَ يَقْتُلْنِي وَجَدًا^(١٦)

إِذَا أَنْصَرَفَتْ نَسِي فَهَيْهَاتَ مِنْ رَدِّي
كَتَبْتُكُمْ عَنِّي فَنِي السُّخَى وَالْبُعْدِ
تُدَلُّونَ إِذْ لَالَ الْمُقِيمِ عَلَى الْعَهْدِ

(١٤) انظر «مجموع شعر ابن الطثرية» ص ٩١، وقد وردت الأبيات في «الوحشيات» بلا عزو.

(١٥) ديوان المتلمس (ما نسب إليه) ص ٢٧٣، والمصدر كتاب الزهرة.

(١٦) الأبيات في «أشعار الحسين الخليل» وانظر تخريجها.

فَكُنْ مِنْ قَتِيلٍ كَانَ لِي قَبْلُ فِيكُمْ
فَوَاسَفَا مِنْ صَبْوَةٍ ضَاعَ شُكْرُهَا

ولبعض أهل هذا العصر:

فَصَرْتُ عَلَيْكَ النَّفْسَ حَتَّى تَوَهَّمْتَ
فَرَامْتَ بَدِيلًا مِنْكَ لَمَّا جَفَوْتَهَا
فَأِنْ تَتَفَكَّرْ فِي أَنْصِرَافِي خَائِبًا
كَسَبْتَ مَلَامًا وَاتَّخَسَبْتَ بَصِيرَةً
سَأَشْكُرُ ذَنْبَ الدَّهْرِ فِيكَ وَلَمْ أَكُنْ

وله أيضاً:

مَا زِلْتُ أَكْذِبُ فِيكَ إِرْجَافَ الْعَدَى
حَتَّى حَسَرْتُ لِنَاطِرِي عَنْ سَوْءَةٍ
فَظَلَلْتُ حِينَ خَبَرْتُكُمْ مُتَعَرِّضًا
فَأَمَضُوا عَلَيْكُمْ لَعْنَةَ اللَّهِ أَرْتَمُوا

أَمَّا سُلُو الْمُجِبِّ عَمَّنْ عَذَرَ بِهِ فَغَيْرُ مَجِيبٍ عَلَيْهِ، إِذْ لَيْسَ ذَلِكَ مُفَوَّضًا
إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا يُوجِبُهُ نَفْوَرُ النَّفْسِ عَمَّنْ خَالَفَ شَكْلَهَا كَمَا تَوْجِبُ الْمَحَبَّةُ سُكُونَ
النَّفْسِ إِلَى شَيْءٍ شَاكِلٍ طَبِيعَتِهَا. وَأَمَّا تَشْنِيعُهُ بِالْعَذْرِ عَلَى مَحْبُوبِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ
لَعَمْرِي قَبِيحٌ وَمَا عَلَى مَنْ سَلَا عَنْ إِلْفِهِ أَنْ يُضْمِرَ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ، وَلَا يَقْصُرَ
عَلَى غَيْرِهِ مَا ظَهَرَ لَهُ مِنْ سُوءٍ فِعْلِهِ، فَإِنْ ظَهَرَ مِنْهُ عَلَى تَرْكِ الْمُواصَلَةِ، عَارِضٌ
فِي ذَلِكَ بِضَرْبٍ مِنَ الْمَجَامِلَةِ.

كما فعل الذي يقول:

وَقَائِلٍ كَيْفَ تَهَاجَرْتُمَا
لَمْ يَكْ مِنْ شَكْلِي فَنَاكَرْتُهُ

فَهَاءُ نَدَا فِيكُمْ نَذِيرٌ لِمَنْ بَعْدِي
مَضَتْ سَلَفًا فِي غَيْرِ أَجْرِ وَلَا حَمْدٍ^(١٧)

بَلِ اسْتَيْقَنْتَ أَنْ لَيْسَ غَيْرُكَ مَطْلَبًا
فَحَارَتْ كَأَنَّ لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ مُنْجِيًا
وَعَذْرُكَ تَعْلَمُ أَيْنَا عَادَ أَخِيْسَا
بِأَمْرِكَ فَانْظُرْ أَيْنَا عَادَ مُكْسِبَا
عَلَى غَيْرِ الْأَيَّامِ أَشْكُرُ مُذْنِبَا

وَالْعَذْرُ فِي عِظْفَيْكَ لَيْسَ بِخَافٍ
أَغْنَتْ أَعَادِيكُمْ عَنِ الْإِرْجَافِ
عَنْكُمْ بِأَوْسَطِ سُورَةِ الْأَعْرَافِ
فِي صُحْبَةِ الْأَوْغَادِ وَالْأَجْلَافِ

أَمَّا سُلُو الْمُجِبِّ عَمَّنْ عَذَرَ بِهِ فَغَيْرُ مَجِيبٍ عَلَيْهِ، إِذْ لَيْسَ ذَلِكَ مُفَوَّضًا
إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا يُوجِبُهُ نَفْوَرُ النَّفْسِ عَمَّنْ خَالَفَ شَكْلَهَا كَمَا تَوْجِبُ الْمَحَبَّةُ سُكُونَ
النَّفْسِ إِلَى شَيْءٍ شَاكِلٍ طَبِيعَتِهَا. وَأَمَّا تَشْنِيعُهُ بِالْعَذْرِ عَلَى مَحْبُوبِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ
لَعَمْرِي قَبِيحٌ وَمَا عَلَى مَنْ سَلَا عَنْ إِلْفِهِ أَنْ يُضْمِرَ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ، وَلَا يَقْصُرَ
عَلَى غَيْرِهِ مَا ظَهَرَ لَهُ مِنْ سُوءٍ فِعْلِهِ، فَإِنْ ظَهَرَ مِنْهُ عَلَى تَرْكِ الْمُواصَلَةِ، عَارِضٌ
فِي ذَلِكَ بِضَرْبٍ مِنَ الْمَجَامِلَةِ.

فَقُلْتُ قَوْلًا فِيهِ إِنْصَافٌ
وَالنَّاسُ أَشْكَالٌ وَأَلَافٌ

(١٧) المصدر السابق.

وكما قال الآخر (١٨):

أَرَى عَرَضَ الدُّنْيَا وَكُلَّ مُصِيبَةٍ تَهُونُ إِذَا عَنْكَ الْحَوَادِثُ زَلَّتْ
فَإِنْ سَأَلَ الْوَاثُونَ كَيْفَ هَجَرَتْهَا فَقُلْ نَفْسٌ حَرِيٌّ سَلَّتْ فَتَسَلَّتْ

□ □ □

الباب الحادي والعشرون:

مَنْ رَاعَهُ الْفِرَاقُ مَلَكَهُ الْأَشْتِيَاقُ

الْتَرَوِيحُ بِالْفِرَاقِ هُوَ السَّهْمُ الَّذِي لَا يَعْدِلُ عَنْ مَقَاتِلِ الْعُشَاقِ. مَنْ رَمَى
بِهِ مِنَ الْمَحْبُوبِينَ أَصَابَ، وَمَنْ دُعِيَ بِهِ مِنَ الْمُحِبِّينَ أَجَابَ. وَرُبَّمَا وَلَعَتْ
نُفُوسُ الْعُشَاقِ مُحَاذَرَةً وَقُوعَ الْفِرَاقِ عَنْ غَيْرِ سَبَبٍ يُوجِبُهُ إِظْهَارُ الْأَشْفَاقِ،
وَتِلْكَ حَالٌ لَا يَتَهَيَّأُ مَعَهَا وَصَالٌ.

وفي نحو ذلك يقول الحسين بن الضحاك:

أَبَاحَنِي قُرْبَهُ وَوَسَّدَنِي يُعْمَى يَدَيْهِ وَبَاتَ مُلْتَزِمِي
فَقُلْتُ لَمَّا اسْتَخَفَّنِي فَرَجِي أَشُوبُ عَيْنَ الْيَقِينِ بِأَلْتَهُمِ
أَصْبَحَ مِنِّي مُسْتَشْبِئًا نَظْرِي إِخَالَنِي نَائِمًا وَلَمْ أُنْمِ (١)

وللبحتري في مثله:

حَبِيبُ سَرَى فِي خَيْفَةٍ وَعَلَى دُغْرِ يَجُوبُ الدُّجَى حَتَّى أَلْتَقَيْنَا عَلَى قَدْرِ
تَشَكُّكَ (٢) فِيهِ مِنْ سُرُورٍ وَخِلْتُهُ خَيَالًا أَتَى فِي النَّوْمِ مِنْ طَيْفِهِ يَسْرِي

وَعَلَى أَنَّ مِنَ الْعُشَاقِ مَنْ يَتَحَاقَرُ رُوعَاتِ الْفِرَاقِ. وَذَلِكَ إِذَا لَمَّا نَالَهُ مِنْ
مَضَاضَةِ هَجْرٍ، أَوْ مُوَاقَعَةٍ غَرِرٍ. وَإِذَا لُطِغِيَانِ النَّفْسِ وَنَشَاطِهَا وَأَنْبَسَاطِهَا فِي
مَحَابِثِهَا، وَأَسْتَظْهَارِهَا بِغَرَّةِ الْجَهْلِ عَلَى أَحْبَابِهَا، وَلَمَنْ كَانَ بِهِذِهِ الْخَلَلُ بَابٌ
مُفْرَدٌ وَوَصَفٌ مُجَرَّدٌ.

(١) انظر «شعر الحسين الخليل» وانظر تخريج الأبيات. وقد سقطت كلمة «مني» من صدر البيت الثالث.

(٢) كذا في الديوان ص ١٠٥٢.

(١٨) البيتان في ديوان كثير، وهما في تائيته المشهورة ص ٩٧.

وقال جميل بن معمر:

كَفَى حَزَنًا لِلْمَرْءِ مَا عَاشَ أَنَّهُ
فَوَا حَزَنًا لَوْ يَنْفَعُ الْحُزْنَ أَهْلُهُ
فَأَيُّ فُؤَادٍ لَا يَذُوبُ بِمَا أَرَى
بَيْنَ حَبِيبٍ لَا يَزَالُ يُرَوِّعُ
وَوَاجِزًا لَوْ كَانَ لِلنَّفْسِ مَجْزَعُ
وَأَيُّ عُيُونٍ لَا تَجُودُ فَتَدْمَعُ^(٣)

وأنشدني أحمد بن أبي طاهر^(٤):

أَذَاهِبَةُ نَفْسِي شِعَاعًا فَبَيَّتْ
مَخَافَةَ بَيْنٍ لَا تَلَايِي بَعْدَهُ
وَمُنْصَدِعُ قَبْلِ أَنْصَدَاعِ النَّوَى قَلْبِي
وَسَحْطُ النَّوَى بَعْدَ الزِّيَارَةِ وَلَقُرْبِ

وقال آخر:

ظَلَلْتُ كَأَنِّي خَشْيَةُ الْبَيْنِ إِذْ جَرَى
إِذَا الْغَيْنُ أَفْنَتْ عِبْرَةً مِنْ سِجَامِهَا
أَخُو جِنَّةٍ لَا يَسْتَبِيلُ صَرِيحُهَا
بَكْنَهَا بِأُخْرَى تَسْتَهْلُ دُمُوعُهَا

وقال آخر:

خَلِيلِي مِنْ عَلِيَا هَوَازَنْ لَمْ أَجِدْ
غَدًا تُمْطِرُ الْغَيْنَانِ مِنْ لَوْعَةِ الْهَوَى
لِنَفْسِي مِنْ شَحْطِ النَّوَى مَنْ يُجِيرُهَا
وَيَبْدُو مِنَ النَّفْسِ الْكُتُومِ ضَمِيرُهَا
غَدًا طَيِّرَةٌ لَا بُدَّ أَنْ سَيَطِيرُهَا

وقال الطائي:

يَا بَعْدَ غَايَةِ دَمْعِ الْغَيْنِ إِنْ بَعْدُوا
قَالُوا الرَّحِيلُ غَدًا لَا شَكَّ قُلْتُ لَهُمْ
هِيَ الصَّبَابَةُ طُولَ الدَّهْرِ وَالسَّهْدُ
الْيَوْمَ أَيْقَنْتُ أَنَّ أَسْمَ الْجِمَامِ غَدُ^(٥)

وقال أبو نواس:

طَرَحْتُمْ مِنَ التَّرْحَالِ أَمْرًا فَعَمْنَا
فَلَوْ قَدْ فَعَلْتُمْ صَبَحَ الْمَوْتُ بَعْضَنَا

رَعَمْتُمْ بِأَنَّ النَّأْيَ يُحْزِنُكُمْ نَعَمَ
تَصَالُوا نَقَارِعُكُمْ لِيُثَبَّتَ عِنْدَنَا
أَطَالَ قَصِيرَ اللَّيْلِ يَا رَحْمَ عِنْدَكُمْ
وَلَا يَعْرِفُ اللَّيْلُ الطُّوِيلَ وَكَرْبَهُ

وقال العرجي:

مَا زِلْتُ مِنْ رَوْعَةِ الْبَيْنِ الَّذِي ذَكَّرُوا
كَأَنِّي حَارِمَ بِالْأَلِيلِ مُرْتَهَنُ

وله أيضاً:

غَدًا فَأَعْلَمِي أَنِّي أَشَدُّ صَبَابَةً
نُقْطِعُ إِلَّا بِالْكِتَابِ عِتَابَنَا
فَقَالَتْ وَأَذَرْتُ دَمْعَهَا لَا بَعْدَتْكُمْ
غَدًا يَكْثُرُ الْبَاكُونَ مِنَّا وَمِنْكُمْ

وله أيضاً:

بَلَغَ قُرْبِيَّةً أَنَّ الْبَيْنَ قَدْ أَفْدَا
كَمْ بِالْحَجَّازِ وَإِنْ نُكَاثِرُهُمْ
وَذَاتِ وَجْدٍ عَلَيْنَا مَا تَبَوَّحُ بِهِ^(٦)
يَا لَيْلَةَ السَّبَبِ قَدْ زَوَّدَنِي سَقَمًا

وقال غيره:

فِرَاقُكَ فِي غَدٍ وَغَدًا قَرِيبُ

سَيُحْزِنُكُمْ عَلَيَّ وَلَا مِثْلَ حُزْنِنَا
مَنْ أَشْجَى قُلُوبًا أَوْ مَنْ أَسْخَنُ أَغْنَا
فَإِنْ قَصِيرَ اللَّيْلِ قَدْ طَالَ عِنْدَنَا
مِنْ النَّاسِ إِلَّا مَنْ يُنْجِمُ أَوْ أَنَا^(٧)

أُذِرِي الدُّمُوعَ وَمِنِّي يُحْفَظُ النَّفْسُ
سَاهِي الْفُؤَادِ عَلَيْهِ الْأَمْرُ مُلْتَبِسُ^(٨)

وَأَحْسَنُ عِنْدَ الْبَيْنِ مِنْ غَيْرِنَا عَهْدًا
سِوَى ذِكْرَةٍ لَا أَسْتَطِيعُ لَهَا رَدًّا
يَعُزُّ عَلَيْنَا أَنْ نَرَى لَكُمْ فَقْدًا
وَتَزْدَادُ دَارِي مِنْ دِيَارِكُمْ بَعْدًا^(٩)

وَأَنَّا إِنْ سَلِمْنَا رَائِحُونَ غَدًا
مِنْ الدُّمُوعِ وَدِدْنَا لَا نَرَى أَبَدًا
تُحْصِي الْإِلْيَالِي إِذَا غَبْنَا لَنَا عَدَدًا
حَتَّى الْمَمَاتِ وَحُزْنًا صَدَّعَ الْكِبْدَا

فَوَا كِبْدًا مِنَ الْبَيْنِ الْقَرِيبِ

(٦) انظر الديوان ص ٧٤.

(٧) انظر الديوان ص ١٥٠، وفي «م» والمطبوع: حازم.

(٨) المصدر السابق ص ص ١٠٩، ١١٠.

(٩) في ديوان العرجي ص ١٣٢: «ومات وجدنا ما يبوح به».

(٣) ديوان جميل ص ١١٩، مع اختلاف في الرواية.

(٤) في «م» والمطبوع: وأنشد لأحمد.

(٥) ديوان أبي تمام (نشرة الخياط) ص ص ٩٦ - ٩٧.

فَيَا صَدْرَ النَّهَارِ إِلَيْكَ عَنِّي

وَيَا شَمْسَ الْأَصَابِلِ لَا تَغِيْبِي

وقال آخر:

خَلِيلِي غَدَا لَا شَكَّ فِيهِ مُوَدَّعٌ
فَإِنْ لَمْ أَشْبِعْهُ تَقَطَّعَتْ حَسْرَةٌ
فَيَا يَوْمَ لَا أَذْبَرْتُ هَلْ لَكَ مَحْبَسٌ

فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي بِهِ كَيْفَ أَصْنَعُ
وَوَاكِدَا إِن كُنْتُ فِيمَنْ أَشْبِعُ
وَيَا غَدُ لَا أَقْبَلْتُ هَلْ لَكَ مَدْفَعُ

وقال آخر:

يَا صَاحِبِي مِنَ الْمَلَامِ دَعَانِي
زَعَمْتُ بُيُوتَهُ أَنْ رَحَلَتْهَا غَدَا

إِنَّ الْبَلِيَّةَ فَوْقَ مَا تَصِفَانِ
لَا مَرْحَبًا بِغَدٍ فَقَدْ أَبْكَانِي

وقال أشجع السلمي (١٠):

غَدَا يَتَفَرَّقُ أَهْلُ الْهَوَى
وَتُخْلِفُ الدَّارُ بِالظَّاعِنِينَ
وَتَبْقَى الطُّلُولُ وَتَفْنَى الْهَوَى
فَأَنْتَ تَبْكِي وَهُمْ جِيرَةٌ

وَيَكْثُرُ بَاكِ وَمُسْتَرْجِعُ
فَنُونًا تَشْتِ فَلَا تُجْمَعُ
وَيَصْنَعُ ذُو الشُّوقِ مَا يَصْنَعُ
فَكَيْفَ تَكُونُ إِذَا وَدَّعُوا

وقال ذو الرمة:

وَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي وَالنَّوَى مُطْمَئِنَّةً
وَأَشْفِي مِنْ هِجْرَانِكُمْ وَتَشْفِينِي
وَأَهْجُرُكُمْ هَجْرَ الْبَغِيضِ وَحُبُّكُمْ

مُحَاذَرَةٌ مِنْ عِلْمٍ مَا الْبَيْنُ صَانِعُ
مَخَافَةٌ وَشَكُّ الْبَيْنِ وَالشُّمْلُ جَامِعُ
عَلَى كَيْدِي مِنْهُ شُؤْنٌ صَوَارِعُ (١١)

(١٠) هو أشجع بن عمرو بن بني سليم، اختلف بالبرامكة، ولهم فيهم شعر كثير. انظر الشعر والشعراء (لیدن) ص ٥٦٢ - ٥٦٥، وهو من شعراء الحماسة (التبريزي) ٣٢٨/١، وطبقات ابن المعتز (إقبال) ص ١١٧ - ١١٩.

(١١) ديوان ذي الرمة ص ٣٣٦.

وقال آخر:

أَخَافُ الْفِرَاقَ فَأَشْتَاكُكُمْ
فَلَا تَبْرَحِ الدَّهْرَ أَوْ نَشْتَفِي
وقال العرجي:

فَمَا أَنَسَ مِنَ الْأَشْيَاءِ لَا أَنَسَ مَوْقِفًا
وَلَا قَوْلَهَا وَهْنًا وَقَدْ بَلَ جَنِّيهَا
أَأَنْتَ الَّذِي خَيْرْتَ أَنْكَ بَاكِرُ
فَقُلْتُ يَسِيرُ بَعْضُ شَهْرِ أَغْيِيهُ
أَحِينَ عَصَيْتُ الْعَادِلِينَ إِلَيْكُمْ
وَبَاعَدَنِي فِيكَ الْأَفَارِبُ كُلُّهُمْ
فَقُلْتُ لَهَا قَوْلَ أَمْرِي شَفْهُ الْهَوَى
فَمَا أَنَا إِنْ شَطَطَ بِي الدَّارُ أَوْ دَنْتُ
وقال آخر:

إِذَا رِيحَ قَلْبِي بِالْفِرَاقِ تَحَدَّرْتُ
كَأَنَّ فُرَادِي عَظُمَ سَاقٍ مَهِيضَةٍ
فَإِنْ عَصَبُوهَا بِالْجَبَارِ تَوَجَّعْتُ
غَدَا تُصْبِحُ الْخَوْدُ الْمَلِيحَةَ غُرْبَةً
وقال توبة بن الحمير:

كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْلَةً قَبِيلُ يُغْدَى
قَطَاةً غَرَهَا شَرَكُ فَبَانَتْ
فَلَا فِي اللَّيْلِ نَامَتْ فَاطْمَأْنَنْتْ

كَأَنَّا أَفْتَرَقْنَا وَلَمْ نَفْتَرِقْ
وَهَلْ يَشْتَفِي أَبَدًا مَنْ عَشِقَ

لَنَا وَلَهَا بِالسَّفْحِ دُونَ نَيْسِرِ
سَوَابِقُ دَمْعٍ مَا يَجِفُّ غَزِيرِ
غَدَاةً غَدٍ أَوْ رَائِحَ فَمُهْجَرُ
وَمَا بَعْضُ يَوْمٍ غَيْثُهُ يَسِيرِ
وَنَارَعُ حَبْلِي فِي هَوَاكَ أَمِيرِي
وَبَاحَ بِمَا يُخْفِي اللِّسَانُ ضَمِيرِي
إِلَيْهَا وَلَوْ طَالَ الزَّمَانُ فَقِيرِ
بِي الدَّارُ عَنْكُمْ فَأَعْلَمِي بِصُبُورِ (١٢)

دُمُوعِي مِمَّا حَادَرَتْ مَنْ يُجِيرُهَا
عَنِيفٌ مُدَاوِيهَا بَطِيءٌ جُبُورُهَا
وَأِنْ تَرَكَوْهَا زَادَ صَدْعًا نَفُورُهَا
تُزَارُ وَتُغْشَى لَسْتُ بِمَنْ يَزُورُهَا

بَلِيلَى الْعَامِرِيَّةِ أَوْ يُرَاحُ
تُجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ
وَلَا فِي الصُّبْحِ كَانَ لَهَا بَرَاحُ (١٣)

(١٢) ديوان العرجي ص ٧٥ مع اختلاف في الرواية.

(١٣) الأبيات في مجموع شعر توبة، وانظر تخريجها. وقد وردت الأبيات في ديوان المجنون ص ٩٠، وفي الأغاني ٤٨/٢، ٦٢، ٨٩، ٩٢ وكذلك في السمط ص ٢٩٦ ونسبت فيه إلى نصيب أوقيس بن ذريح كما وردت في أمالي القالي ٦١/٢.

وقال آخر:

أَبَيْتُ وَاللَّهِ تَغْشَانِي طَوَارِقُهُ
قَدْ صَدَعَ الْقَلْبُ حُزْنَ لَا أَرْجِعُ لَهُ
مِنْ خَوْفِ رَوْعَةِ بَيْنِ الظَّاعِنِينَ غَدَا
إِذْ الْانْصِدَاعُ إِلَيْهِ الْعَمْدَا (١٤)

وقال آخر:

قَالُوا يَسِيرُونَ لَا سَارُوا بَلَى وَقَفُوا
إِذَا تَحَمَّلَ مَنْ هَامَ الْفُؤَادُ بِهِ
وَلَا اسْتَقَلَّتْ بِهِمُ اللَّبَنِينَ أَكْوَارُ
فَلَا أَبَالِي أَقَامَ الْحَيُّ أَمْ سَارُوا

وقال آخر:

مَا زِلْتُ مِنْ حَذَرِ التَّفَرُّقِ مُشْفِقًا
إِذَا تَرَى الْمُحِبَّ قَرِيرَ عَيْنٍ بِالْهَوَى
لَوْ كَانَ أَغْنَى ذَلِكَ الْإِسْفَاقُ
حَتَّى يُنْخِصَهُ عَلَيْهِ فِرَاقُ

وقال آخر:

رَوْعْتُ بِالْبَيْنِ حَتَّى مَا أَرَاكَ بِهِ
لَمْ يَتْرِكْ الدَّهْرُ لِي خِدْنًا أَسْرُ بِهِ
وَبِالْتَّفَرُّقِ فِي أَهْلِي وَجِيرَانِي
إِلَّا أَصْطَفَاهُ بَيْنِي أَوْ بِهِجْرَانِي

وقال آخر:

يَجُنُّ إِذَا خَافَ الْفِرَاقَ مِنْ أَجْلِهَا
وَكَاثِنٌ تَرَى مِنْ صَاحِبِ حَيْلٍ دُونَهُ
حَيْنَ الْمَرْجِي وَجْهَةً لَا يُرِيدُهَا
وَمُتَبِعٍ إِلْفٍ نَظْرَةً لَا يُعِيدُهَا

ولبعض أهل هذا العصر:

عَلَى كَيْدِي مِنْ خِيْفَةِ الْبَيْنِ لَوْعَةٌ
يَخَافُ وَقُوعَ الْبَيْنِ وَالشُّمْلُ جَامِعُ
فَلَوْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَا هُوَ وَاقِعُ
لَكَانَ سَوَاءً بُرْؤُهُ وَسَقَامُهُ
يَكَادُ لَهَا قَلْبِي أَسَى يَتَصَدَّعُ
فَيَنْكِسِي بِعَيْنٍ دَمْعُهَا مُتَسَرِّعُ
كَمَا هُوَ مَسْرُورٌ بِمَا يَتَوَقَّعُ
وَلَكِنْ وَشَكَّ الْبَيْنُ أَذْهَى وَأَوْجَعُ

(١٤) عجز البيت الثاني ورد على هذا النحو من عدم الوضوح وعدم الوزن في «م» والمطبوع.

وَأَكْثَرُ اسْتِظْهَارِ خَوْفِ الْفِرَاقِ إِنَّمَا هُوَ عَلَى الْمُتَيَّمِينَ وَالْعُشَّاقِ الَّذِينَ
اسْتَعْرِقَهُمُ الضَّعْفُ بِأَحْبَابِهِمْ، وَجَرَتْ خَلَائِقُ أَحْبَبَتْهُمْ عَلَى نَهَايَةِ مَحَلِّهِمْ،
فَأَمَّا لَهُمْ مَقْصُورَةٌ إِلَى الْحَذَرِ مِنْ زَوَالِهِمْ. فَأَمَّا مَنْ قَدْ خَرَجَ عَنْ حُدُودِ الْعُشَّاقِ
وَالْمُتَيَّمِينَ إِلَى مَرْتَبَةِ الْمُؤَلَّهِينَ فَإِنَّ حِذَارَهُ مِنَ الْخِيَانَةِ وَالْعَدْرِ يَسْغُلُهُ عَنْ مُحَادَرَةِ
الْفِرَاقِ وَالْهَجْرِ.

وقال توبة بن الحمير:

قَالَتْ مَخَافَةٌ بَيْنَنَا وَبَكَتْ لَهُ
لَوْ مَاتَ شَيْءٌ مِنْ مَخَافَةِ فُرْقَةٍ
وَالْبَيْنُ مَبْعُوثٌ عَلَى الْمُتَخَوِّفِ
لَأَمَاتَنِي لِلْبَيْنِ طُولُ تَخَوُّفِي
مَلَأَ الْهَوَى قَلْبِي فَضِضْتُ بِحِمْلِهِ
حَتَّى نَطَقْتُ بِهِ بِغَيْرِ تَكْلُفٍ (١٥)

فَلَيْلَى الْأَخْيَلِيَّةُ - عَفَا اللَّهُ عَنْهَا - إِنْ كَانَ مَا حَكَاهُ لَنَا تَوْبَةً عَنْهَا
فِي الْبَيْتِ الثَّانِي حَقًّا، فَإِنَّهَا كَانَتْ جَاهِلَةً بِأَحْوَالِ الْعُشَّاقِ، غَافِلَةً عَمَّا تَوَلَّدَهُ
رَوْعَاتُ الْفِرَاقِ. وَلَعَمْرِي إِنْ مِنْ مَرَاتِبِهَا فِي تَوْبَةٍ بَعْدَ وَفَاتِهِ لَدَالَةٌ. عَلَى أَنَّهَا
لَمْ تَتَعَلَّقْ بِنِ الْهَوَى إِلَّا بِأَطْرَافِهِ، إِذْ لَوْ كَانَ الْهَوَى قَدْ بَلَغَ بِهَا أَقْصَى الْحَالِ،
كَانَتْ حَيَاتُهَا بَعْدَ وَفَاتِهِ تَوْبَةً ضَرْبًا مِنَ الْمُحَالِ.

وَمَا أُحْصِي مَا اتَّصَلَ بِي مِنْ أَخْبَارٍ مَنْ تَخَوَّفَ بِمُفَارَقَةِ حَبِيبِهِ فَتَلَفَتْ مِنْ
سَاعَتِهِ. وَلَقَدْ اتَّصَلَ بِي خَبَرٌ لَمْ أَسْمَعْ بِأَعْجَبَ مِنْهُ، وَإِنْ صَاحِبَتَهُ وَلَيْلَى
الْأَخْيَلِيَّةُ لَفِي الطَّرَفَيْنِ، هَذِهِ عِنْدَهَا أَنَّهُ لَا يَمُوتُ أَحَدٌ مِنْ مَخَافَةِ فُرْقَةٍ، وَتِلْكَ
تَلَفَتْ مِنْ جَرَّيَانِ خَاطِرٍ بِالْفِرَاقِ عَلَى قَلْبِهَا، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَيْهِ نَظَرُهَا
وَلَا سَمْعُهَا.

ذَكَرَ أَبُو مَالِكٍ الرَّاوِيَةَ أَنَّهُ سَمِعَ الْفَرَزْدَقَ يَقُولُ: أَبَى غُلَامَانِ لِرَجُلٍ مِنْ
بَنِي نَهْشَلٍ، يُقَالُ لَهُ الْخَضِرُ، قَالَ: فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِمَا، وَأَنَا عَلَى نَاقَةٍ لِي

(١٥) البيت في مجموع شعره، وانظر التخريج.

عِيسَاءُ^(١٦) أُرِيدَ الْيَمَامَةُ، فَلَمَّا صِرْتُ فِي مَاءٍ لِبَنِي حَنِيفَةَ، ارْتَفَعَتْ لِي سِحَابَةٌ
فَرَعَدَتْ وَبَرَقَتْ وَأَرْحَتْ عَزَائِهَا، فَعَدَلْتُ إِلَى بَعْضِ دِيَارِهِمْ، وَسَأَلْتُهُمْ الْقِرَى
فَأَجَابُوا، فَدَخَلْتُ الدَّارَ وَأَنْخَتُ النَّاقَةَ، وَجَلَسْتُ تَحْتَ ظِلَالِهِمْ مِنْ جَرِيدِ
النَّخْلِ. وَفِي الدَّارِ جُوزِيرَةٌ سُودَاءُ، إِذْ دَخَلْتُ الدَّارَ جَارِيَةً كَأَنَّهَا فَلَقَةُ قَمَرٍ،
وَكَأَنَّ عَيْنَيْهَا كَوَكَبَانِ دُرِّيَّانِ، فَسَأَلْتُ السُّودَاءَ: لِمَنْ هَذِهِ الْعِيسَاءُ؟ فَقَالَتْ:
لِضَيْفِكُمْ هَذَا، فَعَدَلْتُ إِلَيْهَا فَقَالَتْ: أَلَسْلَامُ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: وَعَلَيْكَ أَلَسْلَامُ،
فَقَالَتْ لِي: مَنْ الرَّجُلُ؟ فَقُلْتُ: مِنْ بَنِي حَنْظَلَةَ، فَقَالَتْ: مِنْ أَيِّ بَنِي
حَنْظَلَةَ؟ قُلْتُ: مِنْ بَنِي نَهْشَلٍ، قَالَتْ: فَأَنْتَ الَّذِي يَقُولُ فِيكَ الْفَرَزْدَقُ:

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ
بَيْتًا زُرَّارَةً مُحْتَبٍ بِفَنَائِهِ وَمُجَاشِعٍ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلُ^(١٧)

قَالَ: قُلْتُ نَعَمْ، فَتَبَسَّمتْ وَقَالَتْ: فَإِنَّ ابْنَ الْخَطَمِيِّ جَرِيرٌ هَدَمَ عَلَيْهِ بَيْتَهُ
هُوَ الَّذِي يَقُولُ:

أَخْرَى الَّذِي رَفَعَ السَّمَاءَ مُجَاشِعًا وَبَنَى بِنَاءَكَ بِالْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ
بَيْتًا يُحَمُّ قَيْنُكُمْ بِفَنَائِهِ دَنَسٌ مَقَاعِدُهُ خَبِيثُ الْمَدْخَلِ^(١٨)

قَالَ فَأَعَجَبْتَنِي فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ فِي وَجْهِِي، قَالَتْ: إِلَى أَيْنَ تَوْمُ؟ قُلْتُ:
الْيَمَامَةَ قَالَ: فَتَنَفَّسَتِ الصُّعْدَاءُ ثُمَّ قَالَتْ: هَاهِي تِلْكَ أَمَامَكَ، ثُمَّ
أَنْشَأَتْ تَقُولُ:

تُذَكِّرُنِي بِلَادًا خَيْرُ أَهْلِهَا بِهَا أَهْلُ الْمُرُوءَةِ وَالْكَرَامَةِ
أَلَا فَسَقَى الْمَلِكُ أَجَشُّ صَوْبٍ يَدِيرُ بِسِحِّهِ تِلْكَ الْيَمَامَةَ
وَحَيَّى بِالسَّلَامِ أَبَا نُجَيْدٍ فَأَهْلٌ لِنُتْجِيَةِ وَالسَّلَامَةِ

(١٦) عيساء مؤنث أعيس، من صفات الإبل، وليس «عيساء» كما جاءت في (م) والمطبوع.

(١٧) ديوان الفرزدق ١٥٥/٢.

(١٨) ديوان جرير (صادر) ص ٣٥٧.

قَالَ: فَأَنْسَتْ بِهَا فَقُلْتُ: أَذَاتُ حَدِنٍ أَمْ ذَاتُ بَغْلٍ؟ فَأَنْشَأَتْ تَقُولُ:
إِذَا رَقَدَ الْخَلِي فَإِنَّ عَمْرًا تُورِّقُهُ الْهُمُومُ إِلَى الصَّبَاحِ
تُقَطِّعُ قَلْبَهُ الذِّكْرَى وَقَلْبِي فَلَا هُوَ بِالْخَلِي وَلَا بِصَاحِ
سَقَى أَلَلُّهُ الْيَمَامَةُ دَارَ قَوْمٍ بِهَا عَمُرُو يَجْنُ إِلَى الرُّوَّاحِ
قَالَ: فَقُلْتُ لَهَا: مَنْ عَمُرُو؟ فَأَنْشَأَتْ تَقُولُ:

فَإِنْ تَكُ ذَا قَبُولٍ إِنَّ عَمْرًا هُوَ الْقَمَرُ الْمُضِيءُ لِمُسْتَنِيرِ
وَمَا لِي بِالتَّبَعْلِ مُسْتَرَّاحٍ وَلَوْ رَدَّ التَّبَعْلُ لِي أُسِيرِي
قَالَ: ثُمَّ سَكَتَتْ سَكَنَةً كَأَنَّهَا تَسْتَمِعُ إِلَى كَلَامِي، ثُمَّ تَهَافَّتَتْ وَأَنْشَأَتْ
تَقُولُ:

يُخَيِّلُ لِي أَبَا عَمُرُو بَنَ كَعْبٍ كَأَنَّكَ قَدْ حُمِلْتَ عَلَى سَرِيرِ
فَإِنْ يَكُ هَكَذَا يَا عَمُرُو إِنِّي مُبَكِّرَةٌ عَلَيْكَ إِلَى الْقُبُورِ

قَالَ: ثُمَّ شَهَقَتْ فَمَاتَتْ، فَقُلْتُ لَهُمْ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: هَذِهِ عَقِيلَةُ بِنْتُ
الضَّحَّاكِ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُؤَذَّرِ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ، قُلْتُ: وَمَنْ عَمُرُو هَذَا؟ قَالُوا:
ابْنُ عَمَّهَا، قَالَ: فَارْتَحَلْتُ مِنْ عِنْدِهِمْ فَدَخَلْتُ الْيَمَامَةَ، فَسَأَلْتُ عَنْ عَمُرُو فَإِذَا
بِهِ قَدْ دُفِنَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

□ □ □

قَلَّ مِنْ سَلَا إِلَّا غَلَبَهُ الْهُوَى

مَنْ كَانَ سُلوهُ تَابِعاً لظَفَرِهِ بِمَا مِنْ أَجْلِهِ، كَانَ آتِئَاءَ مَحَبَّتِهِ، فَإِنَّ الْهَجَرَ وَالْفِرَاقَ لَا يُعِيدَانِ لَهُ هَوَى، وَلَا يُتَبَعَانِ عَلَى ضَمِيرِهِ أَسَى. وَمَنْ كَانَتْ طَبِيعَتُهُ بِمُشَاكَلَةِ طَبِيعَتِهِ فَسَلَا لِضَجَرَةِ لِحَقَّتِهِ مِنْ مُخَالَفَةِ مَحْبُوبِهِ، أَوْ مِنْ تَعَذُّرِ بَعْضِ مَطْلُوبِهِ، أَوْ لِتَأَذٍ بِحَاجِبٍ أَوْ رَقِيبٍ، أَوْ لِمَلَالٍ مِنْ سِعَايَةٍ وَاشٍ أَوْ عَدُولٍ، فَإِنَّ أَذْنَى عَارِضٍ يُطِيفُ بِهِ مِنْ فِرَاقٍ أَوْ هَجَرٍ، أَوْ مِنْ مَخَافَةِ خِيَانَةٍ أَوْ عَذْرِ يُعِيدُ عَلَيْهِ قَلْقَ الْإِشْفَاقِ، وَيَرُدُّهُ بَعْدَ السُّلُوِّ إِلَى مَوَاقِفِ الْعُشَاقِ، وَرُبَّمَا أَلَمَ بِمَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ فِي الْأَمْنَامِ طَائِفٌ مِنْ خِيَالٍ، فَرَدَّهُ إِلَى أَتَمِّ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَالِ.

وقال البحرى:

لِي خَلِيلٌ قَدْ لَجَّ فِي الصَّرْمِ جَدًّا وَأَعَادَ الصُّدُودَ مِنْهُ وَأَبْدَى
دُو فُنُونٍ يُرِيكَ فِي كُلِّ يَوْمٍ خُلُقًا مِنْ جَفَائِهِ مُسْتَجِدًّا
يَتَأَبَّى مُنْعًا وَيُنْعِمُ إِسْعَا فَا وَيَدْنُو وَضَلًّا وَيُبْعِدُ صَدًّا
أَعْتَدِي رَاضِيًا وَقَدْ بَتَّ غَضْبًا نَ وَأُمْسِي مَوْلَى وَأُصْبِحَ عَبْدًا
أَتَرَانِي مُسْتَبْدِلًا بِكَ مَا عَشْتُ تُ بَدِيلًا أَوْ وَاجِدًا مِنْكَ نِدًّا
حَاشَ لِيْلِهِ أَنْتِ أَفْتَنُ أَلْحَا ظَا وَأَحْلَى شَكْلًا وَأَمْلَحُ قَدًّا(١)

أَمَّا هَذَا الشَّعْرُ فَمِنْ أَوْعَفِ شَيْءٍ أَعْرَفُ. وَذَلِكَ أَنَّ صَاحِبَهُ إِذَا اسْتَحْسَنَ صُورَةَ وَقَدْ أَفْتَى تَغَيَّرَ حُسْنُهَا، أَوْ رَأَى مَا هُوَ أَحْسَنُ فِي عَيْنِهِ مِنْهُ أَتَّبَعَهُ وَتَرَكَهَا. عَلَى أَنَّهُ مَعَ أَفْتِقَارِهِ إِلَى خَلِيلِهِ، وَعَدَمِهِ لِشَكْلِهِ وَنَظِيرِهِ، مُنْتَبِهًا

(١) ديوان البحرى ص ٧١١ مع اختلاف في الرواية.

فِي هَوَاهُ، فَمَرَّةً يَتَسَخَّطُ وَمَرَّةً يَتَرْضَاهُ، حَتَّى «يُمْسِي مَوْلَى وَيُصْبِحَ عَبْدًا». وَهَذِهِ حَالُ خَسِيسَةٍ فَإِنْ كَانَ [لَا بُدَّ] لِلْمُحِبِّ مِنَ التَّبَاعُدِ عَنِ الْمَحْبُوبِ فَلْيَكُنْ ذَلِكَ ظَاهِرًا فِي الْأَفْعَالِ غَيْرِ مُعْتَقَدٍ فِي الْقُلُوبِ.

كما قال عبدالله بن أبي الشيص:

إِنْ لَمْ أَرَى بِفَنَاءِ بَيْتِكَ وَاقِفًا فَالْقَلْبُ مُحْتَبَسٌ عَلَيْهِ وَوَاقِفٌ
هَذِي الْجُنُونُ فَضَمِينُهُنَّ الْهُوَى وَثِقِي بِهِنَّ فَإِنَّهُنَّ عَفَائِفُ
لَا يَكْتَجِلْنَ مِنَ الْخُدُودِ بِزَهْرَةٍ حَتَّى تَعَطَّفَ بِي إِلَيْكَ عَوَاطِفُ
أَنْتِ الَّتِي غَمَرَ الضَّمَائِرُ حُبَّهَا فَلَهَا التَّلِيدُ مِنَ الْهُوَى وَالطَّارِفُ
وَكَأَنَّ لِي قَلْبَيْنِ عِنْدَكَ وَاحِدٌ دَانٍ وَآخَرُ عَنْ دِيَارِكَ عَازِفٌ(٢)

وكما قال البحرى:

الْدَارُ تَعْلَمُ أَنَّ دَمْعِي لَمْ يَغْضُ فَأَرْوَحُ حَامِلَ مَنَّةٍ مِنْ مُسْعِدٍ
مَا كَانَ لِي جَدًّا فَيُودِي إِنَّمَا أَوْدَى غَدَاةَ الظَّاعِنِينَ تَجَلْدِي(٣)

وكما قال بعض أهل هذا العصر:

لَقَدْ بَاعَدْتَ عَنْكَ أَخَا شَقِيقًا عَلَيْكَ فَلَا يَغُرُّكَ حُسْنُ صَبْرِي
فَلَوْ جُمِعَ الْأَنْسَامُ لَكُنْتَ فَرْدًا أَحَبَّهُمْ إِلَيَّ بِكُلِّ سِعْرِ
فَلَا تَحْسِبْ رَعَاكَ اللَّهُ أَنِّي غَدَرْتُ وَلَا هَمَمْتُ لَكُمْ بِغَدْرِ
فَوَاللَّهِ الْعَظِيمِ لَوْ أَنَّ قَلْبِي أَحَبَّ سِوَاكَ لَمْ أُسْكِنُهُ صَدْرِي
وَأَعْظَمُ مَا أَلَا قِي مِنْكَ أَنِّي أَدُومُ عَلَى الْوَفَاءِ وَلَسْتُ تَذْرِي

وهذا أتم من قول بشار:

أَهْمُ بِأَنْ أَقُولَ وَدَدْتُ أَنِّي سَلَوْتُ فَمَا يُطَاوِعُنِي لِسَانِي

(٢) لم أجد الأبيات في مجموع شعره الذي صنعه عبدالله الجبوري.

(٣) ديوان البحرى ص ٥٤٤ مع اختلاف في الرواية.

لِأَنَّ شَاراً خَيْرٌ أَنَّهُ قَدْ هَمَّ، ثُمَّ أَمْتَنَعَ وَ[مَنْ] لَمْ يُرِدْ أَنْ يَقْدِرَ أَنْتُمْ مِمَّنْ أَرَادَ^(٤) ذَلِكَ فَلَمْ يَقْدِرْ. وَأَنْقَضَ مِنْ بَشَارٍ فِي هَذِهِ «لِحَالٍ».

أبو المنيع الحضرمي^(٥) حيث يقول:

أَلَمْ تَرَنِي أَرْمَعْتُ صَرْمًا وَهَجْرَةً لِلَّيْلِ فَلَمْ أَطِغْ صُدُودًا وَلَا هَجْرًا
وَمَا مَرَّ يَوْمٌ [دُونَهَا] إِنْ هَجَرْتُهَا وَلَا سَاعَةً إِلَّا أَجَدَّ لَهَا ذِكْرًا
فَيَا عَجَبًا مِنْ وَصْلِي الْحَبْلِ كَيْ يَرَى جَدِيدًا وَقَدْ أَمْسَتْ عَلَائِقُهُ بُتْرًا
فَإِنْ تُصْبِحِي بَعْدَ التَّجَاوُزِ وَالْهَوَى صَدَدَتْ فَقَدْ غَادَرَتْ فِي كَيْدِي عَقْرًا

والأحوص بن محمد حيث يقول:

أَدْعُو إِلَى هَجْرَهَا قَلْبِي فَيَتَّبِعُنِي حَتَّى لَقَدْ قُلْتُ هَذَا صَادِقٌ نَزْعًا
قَدْ زَادَهُ كَلْفًا بِأَلْحَبٍ أَنْ مُنِعْتُ أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعَا
وَكَمْ دَنِي لَهَا قَدْ صِرْتُ أَتْبَعُهُ وَلَوْ صَحَا الْقَلْبُ عَنْهَا كَانَ لِي تَبَعًا^(٦)

ومحمد بن بشير حيث يقول^(٧):

وَلَقَدْ أَرَدْتُ الصَّبْرَ عَنْكَ فَعَاقَنِي عَلَقٌ بِقَلْبِي مِنْ هَوَاكَ قَدِيمٌ
يَبْقَى عَلَى حَدَثِ الزَّمَانِ وَرِيهِ وَعَلَى جَفَائِكَ إِنَّهُ لَكَرِيمٌ

وذو الرمة حيث يقول:

إِذَا قُلْتُ أَسْلُو عَنْكَ يَا مَيِّ لَمْ يَزَلْ مَحَلٌّ لِدَارِي مِنْ دِيَارِكَ نَاكِسٌ
فَكَيْفَ بِمَيِّ لَا تُؤَاتِيكَ دَارُهَا وَلَا أَنْتَ طَاوِي الْكَشْحَ عَنْهَا فَيَأْتِسُ^(٨)

(٤) ديوان بشار ٢٣٩/٤ من مستدرك المحقق، والبيتان من كتاب الزهرة.

(٥) لم أهتم إلى معرفته.

(٦) انظر شعر الأحوص ص ١٥٣، وانظر التخريج. والأبيات في ديوان المجنون ص ٢١١.

(٧) محمد بن بشير الخارجي من شعراء الحماسة (التبريزي) ص ص ٣٠١/٢، ٣٠٢. انظر ترجمته في الأغاني (دار الثقافة) ٦١/١٦، شرح المزدق ص ص ٨٠٨، ١٥٩٩، البيان

والتبيين ١/١٦٨، ٣٤٣، طبقات ابن المعتز (إقبال) ص ص ١٣٢، ١٣٣.

(٨) ديوان ذي الرمة ص ٣١٢.

وللبحتري:

وَإِذَا هَمَمْتُ بِوَصْلِ غَيْرِكَ رَدَّنِي وَلَهُ عَلَيْكَ وَشَافِعَ لَكَ أَوَّلُ
وَأَعِزُّ ثُمَّ أَذِلُّ ذِلَّةَ عَاشِقٍ وَالْحُبُّ فِيهِ تَعَزُّزٌ وَتَذَلُّلٌ^(٩)

ولبعض أهل هذا العصر في هذا النحو وإن لم يكن على ذلك التمام

في باب النقصان:

أَيَا حَالِفًا أَنِّي عَلَى الْعَهْدِ نَاكِثٌ تَأَكَّدُ رَعَاكَ أَلَلُّهُ أَنَّكَ حَانِثٌ
تَجَنَّيْتُ مُذْ عَامِنِينَ ذَنْبًا لَمْ آجِنِهِ عَلَيْكَ وَهَذَا أَلْعَامُ قَدْ تَمَّ ثَالِثٌ
إِذَا عَرَضْتُ نَفْسِي فَقُمْتُ بِسَلْوَةٍ أَمَا ذَاكَ إِشْفَاقٌ قَدِيمٌ وَحَادِثٌ
تَسْحَبُ عَلَى صَرْفِ اللَّيَالِي وَلَا تُرْعُ فَجُرْمُكَ مَنْسِيٌّ وَحَبُّكَ لَا بَثٌ
وَكُلُّ أَدَى تَأْتِيهِ كَيْمَا تُبْلِنِي فَذَاكَ عَلَى أَلَّا أَمْلَكَ بَاعِثٌ

وقال الحسين بن الضحاك:

كَأَنِّي إِذَا فَارَقْتُ شَخْصَكَ سَاعَةً لِفَقْدِكَ بَيْنَ الْعَالَمِينَ غَرِيبٌ
وَقَدْ رُمْتُ أَسْبَابَ السُّلُوفِ فَخَانِنِي ضَمِيرٌ عَلَيْهِ مِنْ هَوَاكَ رَقِيبٌ
فَمَا لِي مَا تَشْتَهِيَنَّ مُسَارِعُ وَفِعْلُكَ مِمَّا لَا أَحِبُّ قَرِيبٌ
أَغْرَكَ صَفْحِي عَنْ ذُنُوبٍ كَثِيرَةٍ وَغَضِي عَلَى أَشْيَاءَ مِنْكَ تُرِيبٌ
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ فِي النَّاسِ قَبْلِي مُتِمٌّ وَلَمْ يَكْ فِي الدُّنْيَا سِوَاكَ حَبِيبٌ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو إِذْ ذُكِرْتَ فَلَمْ يَكُنْ بِشُكْوَايَ مِنْ عَطْفِ الْحَبِيبِ نَصِيبٌ^(١٠)

وقال محرز العكلي^(١١):

يَظَلُّ فُؤَادِي فَاخِصًّا مِنْ مَكَانِهِ [وَرَاءَ] أَلْغَوَانِي مُسْتَهَامًا مُتِمًّا
إِذَا قُلْتُ مَاتَ الشُّوقُ مِنْهُ تَنَسَّمْتُ لَهُ أَرْيَجِيَّاتُ الصَّبَى فَتَنَسَّمَا

(٩) ديوان البحتري ص ١٥٩٦.

(١٠) أشعار الحسين الخليل وانظر تخريج الأبيات.

(١١) لم أهتم إلى ترجمته. وقد ورد اسم «محرز» لأربعة شعراء في معجم الشعراء:

ص ص ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٤٥٥.

وقال آخر:

لَعَمْرُكَ مَا يَذْرِي غُنْيِي بَن مَالِكٍ
وَمَا تُحَدِّثُ الْأَيَّامُ وَالذَّهْرُ لَمْ تَزَلْ

وقال قيس بن ذريح (١٢):

وإِنِّي وَإِنْ أَرَمْتُ عَنْهَا تَجَلُّدًا
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو فَقَدْ لُبِنِي كَمَا شَكَا

ولبعض أهل هذا العصر:

أَبَى لِي الْوَفَاءُ دَوَامَ الْجَفَا
قَعَدْتُ إِلَى الْوَصْلِ مُسْتَغْطَفًا
وَإِنِّي لَفِي طُولِ كَثَمِ الْهَوَى
كَمَنْ يَنْفُخُ الْبُوقَ مُسْتَخْفِيًا
فَيَا قَلْبَ وَيَحَاكَ كُنْ حَازِمًا
وَلَا تَكْ ذَا عَزْمَةٍ جَاهِلًا
فَسَلِّ الْحُقُودَ بِرَغِي الْعُهُودِ
فَأَوْجِعْ مِنْ حَمَلِ غَتَبِ الصَّفَا
فَسَامِحْ هَوَاكَ وَكُنْ مُدْنِفًا

وأنشدني أحمد بن يحيى لمجنون بني عامر:

وَدَاعٍ دَعَا إِذْ نَحْنُ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنَى
فَهَيَّجَ أَطْرَارَ الْفُؤَادِ وَمَا يَذْرِي
دَعَا بِأَسْمِ لَيْلَى غَيْرَهَا فَكَأَنَّمَا
أَطَارَ بِلَيْلَى طَائِرًا كَانَ فِي صَدْرِي (١٤)

(١٢) تقدمت ترجمته.

(١٣) البيتان نسبا إلى المجنون أيضاً، ديوان المجنون ص ٢٤٤.

(١٤) البيتان في ديوان المجنون ص ١٦٢، وكذلك في الأغاني ٢٢/٢، ٥٥، وأمثالي القالي ٦١/٢ وفي محاضرات الأدباء نسبا إلى قيس بن ذريح ٢٤/٢.

وزادني غيره:

عَرَضْتُ عَلَى قَلْبِي الْعَزَاءَ فَقَالَ لِي
مِنْ الْآنِ فَاجْنَحْ لَا أَغْرُكَ بِالصَّبْرِ (١٥)

فهَذَا عَلَى كُلِّ حَالٍ أَقْرَبُ إِلَى دَرَجَةِ الْكَمَالِ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُخْبِرُ أَنَّ
أَشْتِيَاقَهُ ظَهَرَ بَعْدَ أَنْ كَانَ كَامِنًا. وَأَنَّهُ عَرَضَ عَلَى قَلْبِهِ الْعَزَاءَ فَأَبَى عَلَيْهِ إِلَّا
الْوَفَاءَ. وَظُهُورُ الشُّوقِ بَعْدَ كُفُونِهِ، أَحْسَنُ مِنْ رُجُوعِ الْعِشْقِ بَعْدَ سُكُونِهِ.
وَفِي هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي اخْتَرْنَاهُ يَقُولُ امْرُؤُ الْقَيْسِ:

سَمَا لَكَ شَوْقٌ بَعْدَ مَا كَانَ أَقْصَرَا
وَحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ خَبْتٍ فَعَرَعَرَا *
كِنَانِيَّةً بَاتَتْ فِي الصَّدْرِ وَدَّهَا
مُجَاوِرَةَ النُّعْمَانِ وَالْحَيَّ يَعْمَرَا (١٦)

وفي ضده وهو المعنى الذي ذمناه بقول المتلمس:

صَبَا مِنْ بَعْدِ سَلَوَتِهِ فُؤَادِي
وَأَسْمَحَ لِلْقَرِينَةِ بِالْقِيَادِ
كَأَنِّي شَارِبٌ يَوْمَ اسْتَقَلُّوا
وَحَتَّ بِهِمْ إِلَى الْمَوْمَةِ حَادِي
عُقَارًا عُنِقْتُ فِي الدَّنِّ حَتَّى
كَأَنَّ حُبَابَهَا حَدَقَ الْجَرَادِ (١٧)

وقال البحرني:

عَنَانِي مِنْ صُدُودِكَ مَا عَنَانِي
وَعَاوَدَنِي هَوَاكَ كَمَا بَدَانِي
وَذَكَّرَنِي التَّبَاعُدَ ظِلُّ عَيْشٍ
لَهْوُنَا فِيهِ أَيَّامُ التَّدَانِي
أَلَامٌ عَلَى هَوَى الْحُسْنَاءِ ظِلْمًا
وَقَلْبِي فِي يَدِ الْحُسْنَاءِ عَانِ (١٨)

وأنشدني أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي لزياد بن منقذ (١٩):

لَا حَبْدًا أَنْتَ يَا صَنْعَاءُ مِنْ بَلَدٍ
وَلَا شُعُوبٌ هَوَى مِنَّا وَلَا نَقْمُ

(١٥) ديوان المجنون ص ١٦٢.

(١٦) ديوان امرئ القيس ص ٨٣ مع اختلاف في الرواية.

(١٧) ديوان المتلمس ص ص ١٦٥ - ١٦٦ مع اختلاف في الرواية.

(١٨) ديوان البحرني ص ٢٢٢٨.

(١٩) من شعراء الحماسة، شرح التبريزي ٥٧٧/٣، وفيه الأبيات المذكورة. والأبيات في

معجم ما استعجم ١٦١/١ منسوبة إلى المزار العدوي.

وَحَبَّذَا حَيْثُ تُمْسِي الرِّيحُ بَارِدَةً
الْمُوسِعُونَ إِذَا مَا جَرَّ غَيْرُهُمْ
لَمْ أَلْقُ بَعْدَهُمْ قَوْمًا فَأَخْبِرُهُمْ
مُخَدَّمُونَ يُقَالُ فِي مَجَالِسِهِمْ

وقال امرؤ القيس:

تَأَوَّبَنِي دَائِي الْقَدِيمُ فَغَلَسَا
وَلَمْ يَرِمِ الدَّارَ الْكَئِيبُ فَشَعَشَعَا
فَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الدَّارِ فِيهَا كَمَهْدِهِمْ
فَلَا تُنْكِرِينِي إِنِّي أَنَا جَارُكُمْ

وقال آخر:

وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ أَحْسِبُ أَنِّي
فَأَشْرَفْتُ يَوْمًا لِلْوَدَاعِ فَشَاقِنِي
فَمَا بَرَحْتُ نَفْسِي تَسَاقُطُ أَنْفُسًا

وقال بشار:

إِرْجِعْ إِلَى سَكْنٍ تُعَزُّ بِهِ
نَرْجُو غَدًا وَغَدٌ كَحَامِلَةٍ

وقال أبو تمام:

أَلْبَيْنُ جَرْعَنِي نَقِيعَ الْحَنْظَلِ
مَا حَسَرْتَنِي أَنْ كِدْتُ أَتْلَفُ إِنَّمَا

(٢٠) في «م» والمطبوع: الرجال.

(٢١) الديوان ص ص ١١٥، ١١٦ مع اختلاف في الرواية.

(٢٢) ديوان بشار ٦٢/٣، ٦٣.

وَادِي أَشْيٍ وَفَتَيَانُ بِهِ هُضُمُ
عَلَى الْعَنْبِيرَةِ وَالْكَافُونَ مَا جَرَمُوا
إِلَّا يَزِيدُهُمْ حُبًّا إِلَيَّ هُمُ
وَفِي الرِّحَالِ (٢٠) إِذَا صَاحَبْتَهُمْ خَلَمُ

أَحَادِرُ أَنْ يَزِدَادَنِي فَأُنْكَسَا
كَأَنِّي أَبْنَادِي أَوْ أَكَلِمُ أَخْرَسَا
وَجَدْتُ مَقِيلًا فِيهِمْ وَمُعَرَّسَا
لِيَالِي حَلَّ الْحَيِّ غَوْلًا فَالْعَسَا (٢١)

ذُلُّ لِيَالِمِ الْفِرَاقِ أَرِيبُ
وَذُو الشَّوْقِ فِي أَعْلَى الْبِقَاعِ طَرُوبُ
وَتَجْمُدُ رُوحِي مَرَّةً وَتَذُوبُ

أَيْدِ الزَّمَانِ وَأَنْتَ مُنْفَرِدُ
فِي الْحَيِّ لَا يَذُرُونَ مَا تَلِدُ (٢٢)

[و] أَلْبَيْنُ أَتَكَلَّنِي وَإِنْ لَمْ أَتُكَلِّ
حَسَرَاتُ نَفْسِي أَنِّي لَمْ أَفْعَلْ

كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلَفُهُ الْفَتَى
نَقْلُ فَوَادِكَ حَيْثُ ثَبَتَ مِنَ الْهَوَى

وقال زرة الجعدي (٢٤):

إِذَا مَا التَّقِينَا بَعْدَ شَحْطٍ مِنَ النَّوَى
أَهَابُ وَأَسْتَحْيِي فَلَسْتُ بِقَائِلِ
رَمَتْ غَيْنَ مَنْ يَهْوَى بَعَيْنِ خَلِيلَةٍ
إِذَا الْمَوْتُ نَسَى حُبَّ لَيْلَى فَإِنَّهُ

وقال الوليد بن عبيد الطائي:

أَحْبَبُ إِلَيَّ بِطَيْفِ سَعْدَى الْآتِي
أَنِّي أَهْتَدَيْتُ لِمُحْرِمِينَ تَصَوَّبُوا
ذَكَّرْتَنَا عَهْدَ الشَّامِ وَعَيْشَنَا
إِذْ أَنْتَ شَكْلُ مُوَافِقٍ وَمُخَالِفِ
أَبْنِي عُيَيْدٍ شَدَّ مَا أَخْتَرَقَتْ لَكُمْ
أَلْقَى مَكَارِمَكُمْ شَجَى لِي بَعْدَكُمْ
لَمْ تُحْدِثِ الْآيَامُ لِي بَدَلًا بِكُمْ

وقال آخر:

إِذَا قِيلَ إِنَّ النَّأْيَ يُسْلِيكَ ذِكْرَهَا
فَمَنْ لَأَمْنِي فِي أَنْ أَهْيِمَ بِذِكْرَهَا

(٢٣) الديوان ٢٥٣/٤.

(٢٤) لم أقف على زرة الجعدي، غير أني وجدت زرة بن عمرو في شرح الحماسة

(التبريزي) ٢٥٦/٤.

(٢٥) أقول كأن الأبيات من العينية المشهورة المنسوبة إلى المجنون، وفي البيت الرابع

ذكر «للي».

(٢٦) ديوان البحري ص ٣٦٣.

وَحَيْنُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلِ
مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ (٢٣)

تَعَرَّضَ بَخْلُ بَيْنَنَا مُتَابِعُ
صَلْبِي وَلَا مَعْرُوفُهَا لِي نَافِعُ
وَأُخْرَى إِلَيْنَا بِالْمَوْدَةِ طَائِعُ
إِذَا رَاجَعْتَ نَفْسِي الْحَيَاةَ لَرَّاجِعُ (٢٥)

وَطُرُوقِهِ فِي أَغْجَبِ الْأَوْقَاتِ
لِسُفُوحِ مَكَّةَ مِنْ رَبِّي عَرَفَاتِ
بَيْنَ الْقَنَانِ السُّودِ فَالْهَضْبَاتِ
وَالدَّهْرِ فِيكَ مُمَانِعُ وَمَوَاتِ
كَبِدِي وَفَاضَتْ فِيكُمْ عِبْرَاتِي
وَأَرَى سَوَابِقَ دَمْعِكُمْ حَسَرَاتِي
أَيَّهَاتِ مِنْ بَدَلٍ بِكُمْ أَيَّهَاتِ (٢٦)

أَلَمْ خَيَالٍ مِنْ أُمِيمَةٍ يُسْعِفُ
تَكَلَّفَ مِنْ وَجَدٍ بِهَا مَا أَكَلَّفُ

فَإِذَا كَانَ طَيْفُ الْخَيَالِ يَرُدُّ الْهَوَى عَلَى مَنْ قَدْ سَلَاهُ، وَيُفَكِّرُ عَهْدَ أَصْبَا
مَنْ قَدْ تَنَاسَاهُ، فَمَا ظَنُّكَ بِحُضُورِ الْفِرَاقِ وَالْهَجْرَانِ وَمُقَاسَاةِ الْأَسْتَبْدَالِ
بِالْإِخْوَانِ؟ هَذِهِ أَحْوَالٌ لَا يُقَاوِمُهَا الْجَفَاءُ، وَلَا يُعَارِضُهَا الْعَزَاءُ، غَيْرَ أَنَّ مَنْ كَانَ
سُلُوكُهُ سُلُوكَ اسْتِغْنَاءٍ لَمْ يَكْتَرِدْ لِرُؤُودِ شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ.

□ □ □

الباب الثالث والعشرون:

مَنْ غَلَبَهُ هَوَاهُ عَلَى الصَّبْرِ صَبَرَ لِمَنْ يَهْوَاهُ عَلَى الْغَدْرِ

هَذِهِ الْحَالُ لَيْسَتْ جَارِيَةً عَلَى التَّرْتِيبِ، فَيَقَعُ لِصَاحِبِهَا عُذْرٌ أَوْ تَأْنِيبٌ.
لِأَنَّهَا حَالٌ قَدْ تَجَاوَزَتْ حَدَّ الْعِشْقِ بِرِضَى الْمُحِبِّ بِكُلِّ فِعْلٍ الْمَحْبُوبِ،
وَهُوَ صَاحِبُهَا، فَأَوْقَعَ لَهُ اخْتِيَارُهُ الرِّضَى بِهَا وَالْمَحَبَّةَ مَعَهَا. ثُمَّ تَبَعَتْهَا أَشْيَاءُ
مِنْ غَيْرِ جَنْسِهَا، إِلَّا أَنَّهَا لَيْسَتْ هَتَكَ لِحِجَابِ الْمَوَدَّةِ، فَاجْتَمَعَتْ مَعَهَا. وَهَذِهِ
حَالٌ وَقَعَتْ بِالْمَحْبُوبِ بَعْدَ أَنْ وَقَعَ الرِّضَى مِنْ مُحِبِّهِ بِخِلَافِهَا. ثُمَّ وَقَعَ السُّخْطُ
مِنْهُ بِحُدُوثِهَا وَالتَّبَاعُدِ مِنْ صَاحِبِهَا. ثُمَّ عَرَضَتْ الْحَيْرَةُ الَّتِي لَا تُمَيِّزُ مَعَهَا فَرَدَّتْهُ
بِالصُّغْرِ إِلَى مَا لَا يَرْضَاهُ، وَصَبَّرَتْهُ عَلَى مَا كَانَ قَبْلَ وَقُوعِهِ يَخْشَاهُ، وَبَيَّنَّ
الرِّضَى الْإِخْتِيَارِيَّ وَبَيَّنَّ الرِّضَى الْإِضْطِرَّارِيَّ بَوْنُ بَعِيدٍ. قَالَ ذُو الرِّمَّةِ:

أَجْدَكَ قَدْ وَدَعْتَ مَيَّةً إِذْ نَأَتْ	فَوَلَّى بَقَايَا الْحُبِّ إِلَّا أَمِينُهَا
وَإِنِّي لَطَاوُ سِرَّهَا مَوْضِعَ الْحَشَا	كُمُونَ الثَّرَى فِي عَهْدَةٍ يَسْتَبِينُهَا
لَئِنْ رُؤِجَتْ مَيِّ خُنَيْسًا لَطَالَ مَا	بَغَى مُنْذِرُ مَيَّا خَلِيلًا يُهِينُهَا
تَزِينِكَ إِنْ جَرَّدَتْهَا مِنْ ثِيَابِهَا	وَأَنْتَ إِذَا جُرِّدْتَ يَوْمًا تَشِينُهَا
وَلَمَّا أَتَانِي أَنَّ مَيَّا تَزَوَّجَتْ	خُنَيْسًا بَكَى سَهْلُ الْمَعَى وَحَزُونُهَا
فَيَا نَفْسُ ذَلِّي بَعْدَ مَيِّ وَسَامِحِي	فَقَدْ سَامَحْتَ مَيِّ وَذَلَّ قَرِينُهَا ^(١)

وقال عمر بن لجا^(٢):

أَتَى الْبُخْلُ دُونَ الْجُودِ مِنْ أُمِّ وَاصِلٍ وَضَنَّ عَلَيْنَا بِالْعَطَاءِ ضَنِيقُهَا

(١) الديوان ص ص ٦٤٧، ٦٤٨.

(٢) في «م» والمطبوع: عمر بن نجا.

فَلِلَّهِ دَرِي يَوْمَ مَالَتْ مَوَدَّتِي
وَمَا خُتُّهَا إِنْ أَلْخِيَانَةَ كَأَسَمِهَا
مَذْدَتْ جِبَالاً مِنْكَ حَتَّى تَقْطَعَتْ
فَكَيْفَ أَشَعَّتِ الشَّرَّ يَا أُمِّ وَاصِلٍ

وقال آخر:

أَكْرُ إِلَى لَيْلَى وَأَحْسِبُ أَنِّي
فَأَصْبَحْتُ قَدْ أَجْمَعْتُ هَجْراً لَيْتَهَا
لَيْتَ آثَرْتُ بِالْوُدِّ أَهْلَ بِلَادِهَا
وَمَا يَسْتَوِي مَنْ لَا يَرَى غَيْرَ لَمَّةٍ

وقال بعض الإعراب:

شَكَوْتُ إِلَى رَفِيقِي الَّذِي بِي
وَجَاءَ بِالطَّيِّبِ لِيَكُونَانِي
فَلَوْ ذَهَبَا إِلَى لَيْلَى فَشَاءَتْ
تَقُولُ نَعَمْ سَأُقْضِي ثُمَّ تَلَوِي
أَصَارِمَةً جِبَالِ الْوَصْلِ لَيْلَى
وَمُؤَثَّرَةً الرِّجَالِ عَلَيَّ لَيْلَى
وَلَوْ كَانَتْ تَسُوسُ الْبَحْرَ لَيْلَى
فَمُرّاً صَاحِبِي بِدَارِ لَيْلَى
أَرَيْتُكَ إِنْ مَنَعَتْ كَلَامَ لَيْلَى

إِلَيْهَا وَلَمْ تَرْجِعْ إِلَيَّ يَمِينُهَا
وَلَا نَصَحْتَ نَفْسِي لِنَفْسٍ تَخُونُهَا
إِلَيَّ وَمَا خَانَ الْجِبَالَ مَتِينُهَا
وَمَا أَخْلَصَ الْأَسْرَارَ إِلَّا أَمِينُهَا

كَرِيمٌ عَلَى لَيْلَى وَغَيْرِي كَرِيمُهَا
وَفِي الْعَيْنِ مِنْ لَيْلَى قَذَى مَا يَرِيهَا
عَلَى نَازِحٍ مِنْ أَرْضِهَا لَا يَرِيهَا
وَمَنْ هُوَ ثَاوٍ عِنْدَهَا لَا يَرِيهَا (٣)

فَجَاءَ أَنِّي وَقَدْ جَمَعَا دَوَاءً
وَمَا أَبْغِي عِدْمَهُمَا أَكْتَوَاءً
لَأَهْدَتْ لِي مِنَ السَّقَمِ الشِّفَاءَ
وَلَا تَنُوي وَإِنْ قَدِرتَ قَضَاءً
لِاخْضَعْ يَدَ عِي دُونِي وَلَاَاءً
وَلَمْ أُؤَثِّرْ عَلَى لَيْلَى النِّسَاءَ
صَدَرْنَا عَنْ شَرَائِعِهِ ظِمَاءً
جُعِلَتْ لَهَا وَإِنْ بَخِلَتْ فِدَاءً
أَتَمَنُّعُنِي عَلَى لَيْلَى الْبُكَاءِ (٤)

(٣) الأبيات مما نسب إلى المجنون، ديوان المجنون ص ٢٥٣، مع اختراق في الرواية. وكذلك في «الحماسة الصغرى» ص ١٦٠.

(٤) أميل إلى أن المقطوعة مما نسب إلى المجنون لتردد «لَيْلَى» في أكثر أبياتها.

ولبعض أهل هذا العصر:

وَتَزْعُمُ لِلْوَاشِينَ أَنِّي فَاسِدٌ
وَمَا فَسَدْتُ لِي يَشْهَدُ اللَّهُ بَيَّةً
غَدَرْتُ بِعَهْدِي عَامِداً وَأَخْفَتَنِي
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو إِلَيْكَ فَطَالَما

وله أيضاً:

أَفَوْضُ أَسْبَابِي إِلَى اللَّهِ كُلَّهَا
وَأَسْمَحُ بِالتَّقْوِيزِ حَتَّى إِذَا أَتَيْتَنِي
وَبِاللَّهِ لَوْ خَيْرْتُ بَيْنَكَ غَادِراً
رَضِيْتُكَ حَظاً مِنْهُمَا غَيْرَ أَنِّي

وله أيضاً:

أَبَتْ غَلَبَاتُ الشُّوقِ إِلَّا تَقَرُّبَا
عَلَيَّ رَقِيبٌ مِنْكَ خَالٍ بِمُهْجَتِي
فَهَاءَ نَذَا وَقَفْتُ عَلَيْكَ مُجَرَّبٌ
وَمَا كَانَ صَدِّي عَنْكَ صَدٌّ مَلَالَةٍ
وَلَا كَانَ ذَاكَ الْعَدْلُ إِلَّا نَصِيحَةً
وَلَا الْهَجْرُ إِلَّا فَرْطٌ مِنْ وَلَا الرِّضَى
وَمَنْ يُنْمِيعُ الْعَذْبَ الرُّلَالَ وَيَمْتَنِعُ
خَلِيقٌ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ شُرْبَ غَيْرِهِ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَقْدِرْ لَهُ مَا يُرِيدُهُ

وأشد أعرابي ببلاد نجد:

فَيَا عَجَباً مِنْ صَوْنِي الْوُدِّ فِي الْحَشَا
وَمِنْ طَلْبِي بِالْوُدِّ ثَأْرِي وَلَمْ يَكُنْ

عَلَيْكَ وَأَنِّي لَسْتُ مِمَّا عَهَدْتَنِي
وَلَكِنَّمَا اسْتَفْسَدْتَنِي فَأَتَهَمْتَنِي
فَخَفْتُ وَلَوْ أَمْنْتَنِي لَأَتَمْتَنِي
شَكُوتُ الَّذِي أَلْقَى إِلَيْكَ فَرَدْتَنِي

وَأَفْنَعُ بِالْمَقْدُورِ فِيهَا وَأَرْتَضِي
ضَمِيرِي إِلَى مَا بَيْنَنَا لَمْ أَفَوْضِ
وَبَيْنَ كِلَا الْمُلْكَيْنِ تَخْيِيرٌ مُقْتَضٍ
بِهَذَا الَّذِي تَرْضَاهُ لِي غَيْرُ مُرْتَضٍ

إِلَيْكَ وَنَأْيُ الْعَدْلِ إِلَّا تَجُنَّبَا
إِذَا أَنَا سَهَلْتُ أَطْرَاحَكَ صَعْبَا
إِذَا مَا نَبَا بِي مَرْكَبٌ رُمْتُ مَرْكَبَا
وَلَا كَانَ إِقْبَالِي عَلَيْكَ تَطَرُّبَا
وَلَا ذَلِكَ الْأَغْضَاءُ إِلَّا تَهَيُّبَا
بِلَا سَبَبٍ إِلَّا أَشْتِيقَا مُعَذِّبَا
مِنْ الشُّرْبِ مِنْ سِوْرِ الْكِلَابِ تَغَضُّبَا
وَخَافَ الْمَنَابَا أَنْ يَذِلَّ فَيُشْرَبَا
أَرَادَ الَّذِي يُقْضَى لَهُ شَاءَ أَمْ أَبَى

لِمَنْ هُوَ فِيمَا قَدْ بَدَا لِي وَاتِرُ
لِيُذْرِكَ تَبَلاً بِالْمَوَدَّةِ نَائِرُ

فَيَا عَجَبًا مِنِّي وَمِنْهَا تُضِيعُنِي
وَيَا عَجَبًا كَيْفَ اتَّفَقْنَا فَنَاصِحُ

وقال البحتري:

مُقْتَرِبُ الدَّارِ إِنْ أَرَمَهُ أَجْدُ
رَاجِعْتُهُ الْقَوْلُ فِي مُلَاطَفَةٍ

وقال آخر:

سَأَعْرِضُ بِالشُّكِّ دُونَ الْيَقِينِ
وَأَقْنَعُ إِذْ خُنْتَنِي مُعْلِنًا

وقال مسلم بن الوليد:

سَلَوْتُ وَإِنْ قَالَ الْعَوَازِلُ لَا يَسْلُو
أَجَارَتْنَا مَا فِي فِرَاقِكَ رَاحَةً
أَمَا وَاعْتِيَالِ الدُّهْرِ خُلَّةً بَيْنَنَا
فَمَا بِي إِلَى مُسْتَطَرَفِ الْعَيْشِ وَخَشَّةُ
تَنَالِي بِكَ الْأَمْرُ الَّذِي تَكْرَهِيَنَّهُ
عَلَيْكَ سَلَامٌ مِنْ أَخٍ كَانَ صَاحِبًا
إِذَا تَمَّ حَالٌ وَهُوَ غَايَةُ مَنْ بَكَى

وَأَحْفَظُهَا هَذَا اخْتِلَافُ السَّرَائِرِ
مُصِرٌّ وَمَطْوِيٌّ عَلَى الْغَيْشِ غَادِرُ

مَسَافَةَ النُّجْمِ دُونَ مُغْتَرِبَةٍ (٦)
أَهْرُبُ مِنْ صِدْقِهِ إِلَى كَذِبِهِ (٧)

حَتَّى أَحْسِنَ غَيْرَ الْحَسَنِ
بِقَوْلِكَ فِي السِّرِّ لِي لَمْ أَخُنْ

وَأَقْسَمْتُ لَا يَزُقَى إِلَى سَمْعِي الْعَذْلُ
وَلَكِنْ جَرَى قَوْلٌ فَأَنْتَ بِهِ بَسْلُ
لَقَدْ غَالَ الْفَأْ سَاكِنًا بِهِمُ السَّمْلُ
وَإِنْ كُنْتُ لَا مَالَ لَدَيَّ وَلَا أَهْلُ
إِلَى الْجِلْمِ بِالْعَتَبَى وَقَدْ سَبَقَ الْجَهْلُ
بِهِ تَنْزِلُ الشُّكْوَى وَيُحْتَمَلُ الثَّقَلُ
حَلَا بَعْدَكَ الْعَيْشُ الَّذِي قُلْتُ لَا يَحْلُو (٨)

وَهَذَا كَلَامٌ يَسْتَعْنِي قَارِئُهُ بِقَرَاءَتِهِ عَنِ التَّنْبِيهِ عَلَى تَنَاقُضِهِ وَاسْتِحَالَتِهِ.
وَلَا عُدْرَ فِي ذَلِكَ إِلَّا غَلَبَةُ الْحَيْرَةِ عَلَى قَائِلِهِ. وَفِي دُونَ هَذِهِ الْحَالِ مَا يُدْهِلُ
الْعُقُولَ وَيُطِيشُ الْأَلْبَابَ، وَلَيْسَ الْعَجَبُ مِمَّنْ أَخْطَأَ فِي هَذَا وَإِنَّمَا الْعَجَبُ
مِمَّنْ أَصَابَ.

(٦) في «م» والمطبوع: أرضه.

(٧) ديوان البحتري ص ٢٤١، مع اختلاف في الرواية.

(٨) المقطوعة في الديوان ص ٨٩، ٩١ مع اختلاف في الرواية.

وقال علي بن محمد العلوي:

لِيَالِي يَأْلُفُكَ الْغَانِيَاتُ
وَقَدْ كُنْتُ تَمْلِكُ الْحَاضِرِينَ
فَأَصْبَحْنَ أَعْقَبْنَ بَعْدَ الْوَدَادِ
فَلَا غَرْنِي غَرَّرَ الْحَادِثَاتِ
وَكُنْ وَكُنْتُ صَغِيرًا صَغَارًا
فَصِرْنَ يُعِزُّنَكَ لَحْظًا مُعَارًا
بِعَادًا وَبَعْدَ الْسُكُونِ النَّفَارًا
وَقَدْ كُنْتُ أَوْسَعُهُنَّ اغْتِرَارًا

وقال البحتري:

أَخْفِي هَوَى لَكَ فِي الضُّلُوعِ وَأُظْهِرُ
وَأَرَاكَ خُنْتَ عَلَى النَّوَى مَنْ لَمْ يَخُنْ
وَطَلَبْتُ مِنْكَ مَوَدَّةً لَمْ أُعْطِهَا
هَلْ دَيْنٌ عَلَوَةٌ يُسْتَطَاعُ فَيُقْتَضَى
وَالْأَمُّ فِي كَمَدٍ عَلَيْكَ وَأُعْذَرُ
عَهْدَ الْهَوَى وَهَجَرَتْ مَنْ لَا يَهْجُرُ
إِنْ أَلْمَعْنَى طَالِبٌ لَا يَظْفَرُ
أَوْ ظَلَمُ عَلَوَةٌ يَسْتَفِيقُ فَيَقْصُرُ (٩)

وقال أيضاً:

تَمَادَى بِهَا وَجْدِي وَمُلْكُهَا وَصَلَهَا
وَمَا النَّاسُ إِلَّا وَاجِدٌ غَيْرُ مَالِكٍ
سَقَى الْغَيْثُ أَكْنَافَ الْجِمَى مِنْ مَحَلَّةٍ
إِلَى الْحَفَفِ مِنْ رَمْلِ اللَّوَى الْمُتَقَاوِدِ (١٠)

وقال آخر:

طَلَبْتُ أَخًا مَحْضًا صَاحِبًا مُسْلِمًا
لَا مَنَحَهُ وَدِي فَلَمْ أُدْرِكِ الَّذِي
نَقِيًّا مِنَ آفَاتِ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ
طَلَبْتُ وَمَنْ لِي بِالصَّحِيحِ لِمُسْلِمٍ

وقال الأحوص:

قَدْ وَدَّعْتُكَ وَدَاعَ الصَّارِمِ الْقَالِي
وَعَادَ مَا وَدَّعْتَنِي مِنْ مَوَدَّتِهَا
نَعَمْ وَدَاعَ بِنَاءٍ غَيْرِ إِذْلالٍ
بَعْدَ أَلْمَوَاتِيكَ كَالْجَارِي مِنْ آلَالٍ

(٩) الديوان ص ١٠٧٠.

(١٠) ديوان البحتري ص ٦٢٢، ٦٢٣ مع اختلاف في الرواية.

فَقُلْتُ لَمَّا أَتَانِي أَنَّهَا خَتَرْتُ
إِنْ تَصْرِمِ الْحَبْلُ أَوْ تُرْضِ الْوُشَاةَ بِنَا
فَقَدْ أَرَاهَا وَمَا تَبَغِي بِنَا بَدَلًا
أَبْقَى لَهَا الدَّهْرُ مِنْ وَدْيِ الَّذِي عَهَدْتُ
شَوْقًا إِلَيْهَا إِذَا بَتَّ مَنَاسِبُهَا
وَحَفِظَ مَا اسْتَوْدَعْتَ عِنْدِي وَقَدْ زَعَمْتُ
إِنْ كَانَ يُسْلِي فُؤَادِي مَا أَتَيْتَ بِهِ
جُهِدًا لِإِعْلَمَهَا الْوُدَّ الَّذِي [عَهَدْتُ]
وقال أيضاً:

وَطَاوَعْتُ قَوْلَ أَعْدَائِي وَعُدَّالِي
أَوْ تُمْسِ قَدْ رَضِيتُ مِنَّا بِأَبْدَالِ
وَلَا تُطِيعُ بِنَا فِي سَالِفِ الْحَالِ
أَمْرَيْنِ لَمْ يَبْرَحَا مِنِّي عَلَى بَالِ
يَوْمًا وَأَبْصَرْتُ مِنْهَا رَسْمَ أَطْلَالِ
أَنْ لَيْسَ يُحْسِنُ حِفْظَ أَلْسِرِ أُمَثَالِي
فَلَا رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي وَلَا مَالِي
عِنْدِي وَأَكْدْتُ أَقْوَالَ بِأَقْوَالِ (١١)

مَتَى مَا تَحْلِي مِنْ [ذُرَى] الْأَرْضِ تَلْعَةً
وَأِنْ كِدْتُ شَوْقًا مَوْهِنًا وَذَكَرْتُهَا
وَقُلْتُ لِعَيْنِي قَدْ شَقِيتُ بِذِكْرِهَا
أَجْدُكَ تَنْسَى أُمَّ عَمْرٍو وَذَكَرْتُهَا
فَإِنْ تَتَبَعَهَا تُغْضِرُ عَيْنًا عَلَى الْقَدَى

أَزْرُكَ وَيَكْثُرُ حَيْثُ كُنْتَ تَرْدُدِي
لِأَرْجِعَ بِالرُّوحَاءِ عَوْدِي عَلَى يَدِي
فَجُودِي بِمَاءِ الْمُقْلَتَيْنِ أَوْ أَجْمُدِي
شِعَارَكَ دُونَ التُّوبِ فِي كُلِّ مَرْقَدِي
وَإِنْ تَجَنَّبْتُهَا بَعْدَ مَا نِلْتَ تَكْمِدِي (١٢)

أَمَّا مَبْدَعُهُ الضَّرُورَةُ إِلَى الصَّبْرِ عَلَى مَنْ عَدَرَ بِهِ، فَلَا مَدْخَلَ لَنَا فِي
أَمْرِهِ. وَأَمَّا مَنْ يَتَمَنَّى لِإِلْفِهِ أَنْ يَمِيلَ إِلَى حُبِّ غَيْرِهِ، لِيَكُونَ ذَلِكَ عَاطِفًا لَهُ
عَلَيْهِ * وَدَاعِيًا لَهُ إِلَى وَصْلِهِ، فَهُوَ مِنَ الْحُمَقِ فِي مَحَلِّ قَلِّ مَا يَتَهَيَّأُ مِثْلُهُ.
وَمَا أَحْسَبُ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ يَكُونُ إِلَّا دَاخِلًا فِي جُمْلَةِ مَنْ وَقَعَتْ لَهُمُ الْمَحَابُّ
لِتَنْفِيذِ ضَرْبٍ مِنَ الشُّهُوَاتِ.

وقال بعض المحدثين:

وَلَمَّا بَدَا لِي أَنَّهَا مَا تُجِبُّنِي وَأَنْ فُؤَادِي لَيْسَ عَنْهَا بِمُنْسِي
تَمَنَيْتُ أَنْ تَهْوَى سِوَايَ لَعَلَّهَا تَذُوقُ حَرَارَاتِ الْهَوَى فَتَرُقَ لِي

(١١) انظر شعر الأصوص ص ١٨٤، وانظر تخريج الآيات.

(١٢) انظر شعر الأصوص ص ١٠٨.

وأحسن من هذا ومن كل ما تقدمه قول الآخر:

وَاللَّهُ لَا نَظَرْتَ عَيْنِي إِلَيْكَ [وَلَا]
إِلَّا رِيَاءً لِدَفْعِ الْقَوْلِ عَنْكَ وَلَا
نَارَعْتُكَ أَلَدَّهْرٍ إِلَّا مُكْرَهًا كَلِمًا
إِنْ كُنْتُ خُنْتُ فَلَمْ أَضْمِرْ خِيَانَتَكُمْ
وَاللَّهُ يَأْخُذُ بِمَنْ خَانَ أَوْ ظَلَمًا
سَمَاحَةً لِمُحِبِّ خَانَ صَاحِبُهُ
مَا خَانَ قَطُّ مُحِبٌّ يَعْرِفُ الْكُرْمَا

هَذَا الْبَائِسُ قَدْ أَلَزَمَ نَفْسَهُ قَطِيعَةً مَنْ عَدَرَ بِهِ، وَصَبَّرَهَا عَلَى الْمَكْرُوهِ
كُلِّهِ، إِلَّا أَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ غَيْرُ مُضِيعٍ، لِمَا فِي ذِمَّتِهِ مِنْ رِعَايَةِ صَاحِبِهِ بِنَفْيِ الظُّنُونِ
عَنْهُ. وَهَذَا أَكْثَرُ مَا يُمْكِنُ مِنَ الرِّعَايَةِ، أَوْ أَتَمُّ مَا يَتَهَيَّأُ مِنَ الصِّيَانَةِ، لِمَنْ بَادَرَ
بِالْخِيَانَةِ، وَلَمْ يَنْصَبْ حُقُوقَ الْأَمَانَةِ. وَمَنْ مَنَعَ نَفْسَهُ مِنْ طَاعَةِ الْأَشْتِيَاقِ،
وَهُوَ بَعْدَ مُقِيمٍ تَحْتَ رَايَةِ الْإِشْفَاقِ، فَقَدْ قَدَّرَ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ، وَظَفَرَ
بِحِظٍّ جَسِيمٍ.

وقال جميل:

أَتُونِي فَقَالُوا يَا جَمِيلُ تَبَدَّلْتُ بَيْتِنَا أَبَدَالًا فَقُلْتُ لَعَلَّهَا
وَعَلَّ جِبَالًا كُنْتُ أَحْكَمْتُ عَقْدَهَا أُتِيحَ لَهَا وَاشْرَفِي فَقُلْتُ لَعَلَّهَا (١٣)

وَحَدَّثَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى النُّحْوِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا
عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شَيْبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مَشِيخَتَنَا، قَالَ: بَيْنَمَا الْحَكَمُ بْنُ عَمْرِو الْعِفَارِيِّ
صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَسِيرُ بِخُرَاسَانَ فِي بَعْضِ
الْبِلَادِ وَهُوَ وَإِلَيْهَا، إِذْ سَمِعَ فِي بَعْضِ غِيَاظِهَا رَجُلًا يُغْنِي بِهِذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ:

تَعَزَّرَ بِصَبْرِ لَا وَجَدَكَ لَا تَرَى [بَوَادِي] الْحَصَى أُخْرَى اللَّيَالِي الْغَوَارِي
كَأَنَّ فُؤَادِي مِنْ تَذَكُّرِهِ الْحِمَى وَأَهْلُ الْحِمَى يَهْفُو بِهِ رِيَشَ طَائِرٍ (١٤)

(١٣) لم أجد البيتين في ديوان جميل.

(١٤) البيتان من شعر المجنون، ديوان المجنون ص ١٥١، وقد نسبنا في الأغاني ١٢٥/٥،

١٢٦، إلى الصمة القشيري. وهما من شعر ابن الدمينه كما في الديوان ص ٢٤.

مَنْ تَجَلَّدَ عَلَى النَّوَى فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلْبَلَاءِ

اجْتِرَاءُ الْعُشَّاقِ عَلَى الْمُبَادَرَةِ إِلَى الْفِرَاقِ يَكُونُ إِذَا لِنَفْسِي أَقْوَالِ الْوُشَاةِ عَنْهُمْ وَعَنْ أَنْفُسِهِمْ، وَإِذَا لَصُجْرَةٍ تَلَحُّقُهُمْ مِنْ مَكْرُوءَةٍ يَقَعُ بِهِمْ. وَإِذَا لِيَشَاطِ فِي النَّفْسِ وَزُهْدٍ يَلْحَقُهَا لِقْوَةُ الظَّفَرِ بِمَا قَدْ حَصَلَ لَهَا فَتَرَى نَفْسَهَا أَجَلَ مِنْ مَحْبُوبِهَا، لِأَنَّهَا مَالِكَةٌ وَلَا شَيْءَ فِي الْعَالَمِ يَغْدِلُهُ، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ مَالِكًا لَهَا فَإِنَّهَا لَا تَرَى نَفْسَهَا فِي حَدِّ مَا يَفْتَحِرُ بِمُلْكِهِ، فَهِيَ لِهَذِهِ الْعِلَّةِ تَتَكَبَّرُ عَلَيْهِ.

ولبعض أهل هذا العصر:

أَصُولُ بِهِ تَبَهَّأَ عَلَيْهِ فَمَنْ رَأَى مِنَ النَّاسِ قَبْلِي عَاشِقًا يَتَصَلَّفُ
إِذَا خِفْتُ مِنْهُ الْغَدْرَ أَبَدَى تَوَافِيًا يَزُولُ بِهِ خَوْفِي وَيَبْقَى التَّخَوُّفُ
وَرُبَّمَا أَعْرَضَ الْعَاشِقُ عَنِ الْمَعْشُوقِ، إِذَا مِنْ جِهَةِ الْأَمْتِحَانِ لِلصَّبْرِ،
وَإِذَا لِيَجْدِيدَ حَالِهِ عِنْدَ مَحْبُوبِهِ، وَكَثِيرًا مَا يَجْرِي الْأَمْرُ فِي ذَلِكَ عَلَى صِدْقِ
تَقْدِيرِهِ.

وفي هذا النحو يقول بعض أهل هذا العصر:

أَلَا يَا لَقُومِي لِلْهَوَى الْمَتَزَايِدِ وَطُولِ أَشْتِيَاقِ الرَّاحِلِ الْمَتَبَاعِدِ
رَحَلْتُ لِكَيْ أَحْظَى إِذَا أُبْتُ قَادِمًا فَأُورِدَنِي التَّرْحَالِ سُوءِ الْمَوَارِدِ
كَأَنِّي لَدَيْغٍ حَارٍ عَنْ كُنْهِ دَائِهِ طَبِيبٌ فَدَاوَاهُ بِسُمِّ الْأَسَاوِدِ
فَمَالَ مَعَ الْأَدَاءِ الْقَدِيمِ دَوَاؤُهُ فَيَا لَكَ مِنْ دَاءٍ طَرِيفٍ وَتَالِدِ

وقال أبو تمام:

هِيَ الْبَدْرُ يُغْنِيهَا تَوَدُّدُ وَجْهِهَا إِلَى كُلِّ مَنْ لَاقَتْ وَإِنْ لَمْ تَوَدِّدْ

فَوَقَفَ وَقَالَ: عَلَيَّ بِالرُّجُلِ، فَأَتَيْتُ بِهِ، فَقَالَ: وَيْحَكَ! مَا أَنْتَ؟ قَالَ:
رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ مِنْ بَنِي عَامِرٍ، كُنْتُ فِي الدَّهْرِ مِنْ بَنِي عَامِرٍ فَقَالَ: هَلْ
لَكَ فِي الْحِمَى؟ فَقَالَ: مَا لِي إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ، وَلِي بِالْبِلَادِ أَهْلٌ وَوَلَدٌ، قَالَ:
فَأَتَيْتُ أَحْمِلُ مَعَكَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ، قَالَ: فَكَيْفَ بِالْمَعَاشِ، لَا حَاجَةَ لِي فِي
هَذَا؟ قَالَ: مَا مِنْ ذَلِكَ بُدٌّ، وَأَمْرٌ بِهِ أَنْ يُحْمَلَ، قَالَ: فَأَضْطَرَبَ فِي أَيْدِيهِمْ
حَتَّى مَاتَ. وَهَذَا مِنْ أَعْجَبِ مَا سَمِعْتُ فِي مَعْنَاهُ، وَلَا أَعْرِفُ لِهَذَا الرَّجُلِ
عُدْرًا فِي الْفِرَارِ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي يَهْوَاهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ اتَّصَلَ بِهِ عَنْ
مَحْبُوبِهِ مِنَ الْغَدْرِ، مَا لَا تَنْبَسِطُ عَلَى مِثْلِهِ يَدُ الصَّبْرِ، فَكَانَ الْمَقَامُ عَلَى
الْفِرَاقِ، وَالتَّجَلُّدُ عَلَى دَوَاعِي الْأَشْتِيَاقِ، أَهْوَنَ عَلَيْهِ مِنْ مُشَاهَدَةِ مَا لَا طَاقَةَ لَهُ
بِهِ عِنْدَ التَّلَاقِ.

□ □ □

عَلَى أَنِّي لَمْ أَحْوَ وَفراً مَجْمَعاً
وَلَمْ تُعْطِنِي الْأَيَّامُ نَوْماً مُسَكِّناً
وَطُولُ مَقَامِ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ مُخْلِقٌ
فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً

وله أيضاً:

أَقْلِي قَدْ أَضَاقَ بُكَاءُكَ ذَرْعِي
أَلْفَةَ النَّحِيبِ كَمْ أَفْتِرَاقٍ
وَلَيْسَتْ فَرْحَةُ الْأَوْبَاتِ إِلَّا

وقال زهير بن أبي سلمى:

لَعَمْرُكَ وَالْخُطُوبُ مُعْبِرَاتُ
لَقَدْ بَالَيْتُ مَطْعَنَ أُمِّ أَوْفَى

وقال آخر:

وَأَعْرِضْ حَتَّى يَحْسِبَ النَّاسُ إِنَّمَا
وَلَكِنْ أَرَوْضُ النَّفْسِ أَنْظُرْ هَلْ لَهَا

وقال آخر:

سَأَرْفُضُ مَا يُخَافُ عَلَيَّ مِنْهُ
لِسَانَ الْمَرْءِ يُنْبِي عَنْ نَجَاهُ

وقال آخر:

وَكُنْتُ كَذِي دَاءٍ وَأَنْتَ دَوَاؤُهُ

فَقَزْتُ بِهِ إِلَّا بِشَمْلٍ مُبَدَّدٍ
أَلَذُّ بِهِ إِلَّا بِنَوْمٍ مُشْرِدٍ
لِدِيَّاجَتِهِ فَاغْتَرَبَ تَجَدُّدٍ
إِلَى النَّاسِ أَنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدٍ^(١)

وَمَا ضَاقَتْ بِنَازِلَةٍ ذِرَاعِي
أَلَمْ فَكَانَ دَاعِيَةً أَجْتِمَاعٍ
لِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَحُّ الدَّوَاعِ^(٢)

وفي طولِ الْمَعَاشِرَةِ الْقَتَالِي
وَلَكِنْ أُمُّ أَوْفَى لَا تَبَالِي

بِي الْهَجْرُ لَا وَاللَّهِ مَا بِي لَكَ الْهَجْرُ
إِذَا فَارَقْتُ يَوْماً أَحْبَبْتُهَا صَبْرُ

وَأَتْرُكُ مَا هَوَيْتُ لِمَا خَشِيتُ
وَعَيَّ الْمَرْءُ يَسْتُرُهُ السُّكُوتُ

فَهَبْنِي لِذَائِي إِذْ مَنَعْتَ شِفَائِيَا

شِفَائِي أَنْ تَخْتَصِنِي بِكَرَاهَةٍ
فَالَا تَنْلِي مِنْ يَدَيْكَ كَرَامَةً
وَأَرْضِي بِأُخْرَى قَدْ تَبَدَّلْتُ إِنِّي
وَالْفِ صَبْرْتُ النَّفْسَ عَنْهُ وَقَدْ أَرَى
وَقَدْ قَادَنِي الْجِيرَانُ حُبًّا وَقَدْ تُنْهَمُ

وقال آخر:

وَفَارَقْتُ حَتَّى مَا أَبَالِي مِنَ النَّوَى
فَقَدْ جَعَلْتَ نَفْسِي عَلَى النَّأْيِ تَنْطَوِي

وقال عمر بن أبي ربيعة:

وَكَمْ مِنْ خُلَّةٍ أَعْرِضْتُ عَنْهَا
أَرَدْتُ فِرَاقَهَا فَصَدَدْتُ عَنْهَا

وقال عمر بن لجأ^(٥):

تَقَطَّعَ مِنْهَا أَلُودٌ إِلَّا بَقِيَّةً
فَأَصْبَحَ هَذَا النَّأْيُ شَيْئاً كَرِهْتُهُ
وَلَمْ أَرْ مِنْهَا غَيْرَ مَقْعَدِ سَاعَةٍ

وقال أبو تمام:

تَصَدَّدَتْ وَحْبَلُ الْبَيْنِ مُسْتَحْصِدُ شَزْرُ
بَكَتُهُ بِمَا أَبَكَّتُهُ أَيَّامَ صَدْرُهَا
[و] قَالَتْ أَتَنْسَى أَلْبَدْرَ قُلْتُ تَجَلُّدًا

وَتَذَرَأُ عَنِّي الْكَاشِحِينَ الْأَعَادِيَا
أَوَّلَ وَأَصْبَحُ مِنْ قُرَى الشَّامِ خَالِيَا
إِذَا سَاءَنِي وَإِذَا تَبَدَّلْتُ وَإِذَا
غَدَاةَ فِرَاقِ الْحَيِّ إِلَّا تَلَاقِيَا
وَفَارَقْتُ حَتَّى مَا تَجُنُّ جَمَالِيَا

وَأَنْ بَانَ جِيرَانُ عَلِيٍّ كِرَامُ
وَعَيْنِي عَلَى فَقْدِ الْحَبِيبِ تَنَامُ

لِغَيْرِ قَلِي وَكُنْتُ بِهَا ضَمِينَا
وَلَوْ جُنَّ أَلْفُودٌ بِهَا جُنُونَا^(٤)

وَحَالَ الْهَوَى عَمَّا تُرِيدُ فَأَبْعَدَا
عَسَى أَنْ تَرَى مَا تَكْرَهُ النَّفْسُ أَرْشَدَا
بِهِ أَحْتَبَلْتُ عَقْلِي فَيَا لَكَ مَقْعَدَا

وَقَدْ سَهَّلَ التَّوَدُّعُ مَا وَعَرَ الْهَجْرُ
خَلِيٍّ وَمَا يَخْلُو لَهُ مِنْ هَوَى صَدْرُ
إِذَا الشَّمْسُ لَمْ تَغْرُبْ فَلَا طَلَعَ أَلْبَدْرُ

(٤) البيتان في الديوان ص ٢٢٨.

(٥) في «م» والمطبوع: عمر بن نجأ.

(١) ديوان أبي تمام ٢٣/٢ مع اختلاف في الرواية.

(٢) الديوان (نشرة الخياط) ص ١٩٣، وقد جاء البيت الأول في «م» والمطبوع: أفلبي.

(٣) شرح ديوان زهير ص ٣٤٢.

فَأَبَدَتْ حَنَانًا مِنْ دُمُوعِ نِظَامِهَا
وَمَا الدَّمْعُ ثَانٍ عَزَمْتِي وَلَوْ أَنَّهَا
عَلَى الْخَدِّ إِلَّا صَائِغَهَا الشُّفْرُ
سَقَى خَدَّهَا مِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَهَا شَفْرُ^(٦)

وقال آخر:

إِذَا مَا أَرَادَ الْغَزْوُ لَمْ يَنْ هَمُّهُ
نَهْنُهُ فَلَمَّا لَمْ تَرَ النَّهْيَ عَاقَهُ
حَصَانٌ عَلَيْهَا نَظْمٌ دُرٌّ يَزِينُهَا
بَكَتْ فَبَكَى مِمَّا عَنَاهَا قَطِينُهَا

وأنشدني أحمد بن يحيى النحوي:

لَمْ أُنْسَ يَوْمَ الرَّجِيلِ عَبْرَتَهَا
وَقَوْلُهَا وَالرِّكَابُ وَاقِفَةٌ
وَطَرَفُهَا فِي دُمُوعِهَا غَرِقُ
تَتْرُكُنِي هَكَذَا وَتَنْطَلِقُ

وَقُلَّ مَنْ اجْتَرَأَ هَذَا الضَّرْبَ مِنَ الْاجْتِرَاءِ، وَحَمَلَ نَفْسَهُ عَلَى هَذِهِ
الْفُظَاظَةِ وَالْجَفَاءِ، إِلَّا كَانَ سَرِيعَ النَّدَمِ عَلَى صَنِيعِهِ، شَدِيدَ الْأَسْفِ عَلَى
تَصْنِيعِهِ، فَكَانَ كَالَّذِي يَقُولُ مُعْنِفًا لِنَفْسِهِ وَمُؤَيِّدًا لَهَا عِنْدَ مَا نَزَلَ بِهِ:

بَكَتْ دَمًا حَتَّى الْقِيَامَةِ وَالْحَشْرِ
أَنْظَعُنْ طَوْعَ النَّفْسِ عَمَّنْ تُجِبُهُ
وَلَا زِلْتُ مَغْلُوبَ الْعَرِيمَةِ وَالضَّبْرِ
وَتَبَكِّي كَمَا يَبْكِي الْمَفَارِقُ عَنْ صُغْرِ
وَدَمْعُكَ بَاقٍ فِي جُفُونِكَ لَا يَعْجُرِي
أَقَمْ لَا تَسِرْ وَالْهَمُّ عَنْكَ بِمَعْرِزِلِ

وكالذي يقول:

أَنْظَعُنْ عَنْ حَبِيبِكَ ثُمَّ تَبَكِّي
كَأَنَّكَ لَمْ تَلْقُ لِلْبَيْنِ طَعْمًا
عَلَيْهِ فَمَنْ دَعَاكَ إِلَى الْفِرَاقِ
فَتَعْلَمَ أَنَّهُ مُرُّ الْمَذَاقِ
وَلَا تَنْظَعُنْ وَتَكْتُبِ بِأَشْتِيَاقِ
وَلَوْ يُعْطَى الشَّامَ مَعَ الْعِرَاقِ

(٦) لم أجد الأبيات في الديوان.

وقال يزيد بن الطثرية:

أَتَبْكِي عَلَى لَيْلَى وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ
وَمَا حَسَنًا أَنْ تَأْتِي الصَّرْمَ طَائِعًا
مَزَارَكَ مِنْ لَيْلَى وَشَعْبَاكُمَا مَعًا
وَتَجَزَعُ أَنْ دَاعِي الصَّبَابَةِ أَسْمَعًا
قِفَا وَدَعَا نَجْدًا وَمَنْ حَلَّ بِالْحِمَى
وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحِمَى ثُمَّ أَنْشِنِي
وَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحِمَى بِرَوَاجِعِ
عَلَيْكَ وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنِيكَ تَذَمُّعًا^(٧)

وقال أبو تمام:

أَصْغَى إِلَى الْبَيْنِ مُعْتَرًا فَلَا جَرَمًا
أَصْمَنِي سِرُّهُمْ أَيَّامَ فُرْقَتِهِمْ
إِنْ أَلْتَوَى أَسَارَتْ فِي عَقْلِهِ لَمَمًا
هَلْ كُنْتُ تَعْرِفُ شَيْئًا يُوْرِثُ الصَّمَمَا
تُبْدِي نَجِيمًا وَيُبْدِي جِسْمَهُ سَقَمًا
لَوْ مَاتَ مِنْ شُغْلِهِ بِالْبَيْنِ مَا عَلِمَا^(٨)

وقال علي بن الجهم:

يَا رَحْمَتَا لِلْغَرِيبِ فِي الْبَلَدِ النَّا
فَارَقَ أَحْبَابَهُ فَمَا اتَّفَعُوا
زِحَ مَاذَا بِنَفْسِهِ صَنَعَا
بِالْعَيْشِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَا اتَّفَعَا^(٩)

وقال المجنون:

فَإِنْ تَرَجَعَ الْأَيَّامُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
أَشَدُّ بِأَعْنَاقِ أَلْتَوَى بَعْدَ هَذِهِ
بِذِي الْأَثَلِ صَيْفًا مِثْلَ صَيْفِي وَمَرَبَعِي
مَرَائِرَ إِنْ جَادَبْتَهَا لَمْ تَقْطَعْ^(١٠)

(٧) الأبيات في الأغاني ٦٧/٢، ٥/٦ - ٦، تزيين الأسواق ص ٦٣، ٨٨، السمط
ص ٣٥٠، ٤٦٢، مصارع العشاق ص ٣٦٣ - ٣٦٤، أمالي القاضي ١/١٩٠،
١٩١، شرح المازوني ص ١٢١٥، وفي مجموع شعره ص ٧٨، ونسبت إلى المجنون
الديوان ص ١٩٨ - ١٩٩.

(٨) الديوان (الحياطة) ص ٣:١ - ٣٠٢ مع اختلاف في الرواية.

(٩) الديوان ص ١٥٤.

(١٠) ديوان المجنون ص ١٩٧، والبيتان في شرح المازوني ص ١٣٨٧ من دون نسبة،
ومحاضرات الأدباء ٣٠/٢.

وقال زياد بن أبي زياد^(١١):
أَطَعْتُ بِهَا قَوْلَ الْوُشَاةِ فَلَا أَرَى أَلَّ
فَلَا تَكْ كَالنَّاسِي الْخَلِيلِ إِذَا دَنْتَ

وقال هدبة بن خشرم^(١٢):

أَلَا يَا لَقَوْمِي لِلنَّوَائِبِ وَالْدَهْرِ
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ إِلَى أُمِّ مَعْمَرٍ
تَبَارِيحُ يَلْقَاهَا الْقَوَادُ صَبَابَةٌ
فِيَا قَلْبُ لَمْ يَأْلَفْ كَالْفِكَ أَلْفُ
وَمَا عِنْدَهَا لِلْمُسْتَهَامِ فَوَادَةٌ

وقال آخر:

بَكَرْتَ عَلَيْكَ فَهَيَّجْتَ وَجَدًا
أَتَجَنُّ مِنْ شَوْقِي إِذَا ذُكِرْتَ

وقال آخر:

أَلَا هَلْ إِلَى لَيْلَى قُبِلَ مَنِيَّتِي
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو يَتَّةً شَقَّتِ الْعَصَا
لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ جِرْعَاءٍ مَالِكٍ
مَضَى زَمَنٌ وَالنَّاسُ يَسْتَشْفِعُونَ بِي
نَدِمْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنِّي نَدَامَةٌ

وُشَاةٌ أَتَتْهُوَ عَنَّا وَلَا الدَّهْرَ اعْتَبَا
بِهِ الدَّارُ وَالْبَاكِي إِذَا مَا تَغَيَّيَا

وَلِلْمَرْءِ يُرِيدِي نَفْسُهُ وَهُوَ لَا يَذْهَبُ
عَلَى مَا لَقِينَا مِنْ ثَنَاءٍ وَمِنْ هَجْرٍ
إِلَيْهَا وَذُكْرَاهَا عَلَى حِينٍ لَا ذِكْرٍ
وَيَا حُبَّهَا لَمْ يُغَيِّرْ شَيْءٌ كَمَا تُغَيِّرُ
بِهَا [إِنْ] أَلَمْتُ مِنْ جَزَاءٍ وَمِنْ شُكْرِ^(١٣)

بُسْرَى الرِّيحِ وَأَذْكَرْتَ نَجْدًا
نَجْدٌ وَأَنْتَ تَرَكْتَهَا عَمْدًا

سَبِيلٌ وَهَلْ لِلنَّاجِعِينَ رُجُوعُ
هِيَ الْيَوْمَ شَتَّى وَهِيَ أَمْسٍ جَمِيعُ
لَنَاصٍ لِأَمْرِ الْعَاذِلِينَ مُضِيعُ
فَهَلْ لِي إِلَى لَيْلَى الْغَدَاةَ شَفِيعُ
كَمَا نَدِمَ الْمَغْبُوءُ حِينَ يَبِيعُ

(١١) لم أتبين زياد بن أبي زياد، ولكنني وجدت بين شعراء الحماسة (التبريزي) ٢٣٨/١

زياد الحارثي ووجدت في المصدر نفسه ١١٥/١ زيادة بن زيد وقد تقدمت ترجمته.

(١٢) هدبة بن الخشرم شاعر مفلق، وهو قاتل ابن عمه زيادة بن زيد العذري في زمن معاوية، انظر معجم الشعراء ص ٤٦٠، وهو من شعراء الحماسة (التبريزي) ٤٣/٢.

(١٣) الأبيات في (مجموع شعره) ص ٩٥، ٩٦، وانظر فيه التخريج.

فَقَدْتُكَ مِنْ قَلْبٍ شُجَاعٍ فَإِنِّي
وَقَرُبْتُ لِي غَيْرَ الْقَرِيبِ وَأَشْرَفْتُ

وقال الوليد بن عبيد الطائي:

قُلْ لِلرِّيحِ إِذَا جَرَيْتَ فَيَلْغِي
أُخِذْتُ عَنْكَ وَأَنْتَ بَدْرٌ خَادِعُ
وَوَلَّمْتُ نَفْسِي جَاهِدًا فِي ظُلْمِهَا
كَرَمَ الزَّمَانِ وَلَمْتُ فِيكَ وَلَا أَرَى
لَا كَانَ حُبِّي أَيْنَ كَانَ وَأَنْتَ لِي
الآنَ أَطْمَعُ فِي الْوِصَالِ وَدُونَنَا

وقال الأحوص:

فَوَانَدَمِي إِذْ لَمْ أَعُجْ إِذْ تَقُولُ لِي
فَأَصْبَحْتُ مِمَّا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا

وقال الحسين بن مطير الأسدي:

لَقَدْ كُنْتُ جَلْدًا قَبْلَ أَنْ تَوْقِدَ النَّوَى
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَمُوتَ صَبَائِي
فَقَدْ جَعَلْتَ فِي حَبَّةِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا

وقال آخر:

هَمَمْتُ بِفُرْقَةٍ وَالْمَوْتُ فِيهَا
فَلَا تَجَسَّرْ عَلَى أَمْرِ قَوِيٍّ
كَأَنَّكَ حَتَفَ نَفْسِكَ تَسْتَشِيرُ
عَلَيْكَ فَرُبَّمَا هَلَكَ الْجَسُورُ

(١٤) الأبيات من شعر المجنون كما في الديوان ص ١٩١ مع اختلاف في الرواية.

(١٥) ديوان البحري ص ١٩٩٠ مع اختلاف في الرواية.

(١٦) لا يوجد في «شعر الأحوص».

(١٧) الأبيات في شعر الحسين بن مطير ص ٤٦، ٤٧، وانظر التخريج.

وقال قيس بن ذريح:

وَحَبَّرْتَنِي يَا قَلْبُ أَنَّكَ صَابِرٌ عَلَى الْهَجْرِ مِنْ لُبِّي فَسَوْفَ تَذُوقُ
فَمَتَّ كَمَدًا أَوْ عِشَّ سَقِيمًا فَإِنَّمَا تُكَلِّفُنِي مَا لَا أَرَاكَ تُطِيقُ

وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود^(١٨):

فَيَا مَنْ لِنَفْسٍ لَا تَمُوتُ فَيَنْقُضِي عَنَاهَا وَلَا تَحْيِي حَيَاةَ لَهَا طَعْمُ
فَذُقْ هَجْرَهَا قَدْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّهُ رَشَادٌ أَلَا يَا رَبِّمَا كَذَبَ الزَّعْمُ

وقال ابن الدمينية:

وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْمُحِبَّ إِذَا دَنَا يَمَلُّ وَأَنَّ النَّائِيَّ يَشْفِي مِنَ الْوَجْدِ *
بِكُلِّ تَدَاوَيْنَا فَلَمْ يُشَفَّ مَا بَنَا عَلَى ذَاكَ قُرْبُ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ الْبُعْدِ^(١٩)

وقال آخر:

وَأَكْثَرَ مَا فِي النَّفْسِ أَبِي صَرَمَتُهَا وَلَمْ يَتَحَوَّلْ حُبُّهَا عَنْ فُؤَادِيَا
طَلَبْنَا دَوَاءَ الْحُبِّ عَصْرًا فَلَمْ نَجِدْ مِنَ الْحُبِّ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ مُدَاوِيَا

□ □ □

الباب الخامس والعشرون:

فِي الْوَدَاعِ قَبْلَ الْفِرَاقِ بَلَاغٌ إِلَى وَقْتِ لَتْلَاقِ

فِعْلُ الْوَدَاعِ ، وَتَرْكُهُ نَقْصُ كُلِّهِ مَنْ قَدَرَ أَنْ يَرُدَّ الْفِرَاقَ عَنْ نَفْسِهِ ، وَذَلِكَ
إِنَّ الْحَزْمَ لِأَهْلِ الْهَوَى أَلَّا يَتَسَطَّوْا عَلَى أَرْوَاحِهِمْ يَدَ النَّوَى ، فَإِنَّ عَذَابَ الْهَوَى
مَعَ حُضُورِ الْمَحْبُوبِ يَنْغُصُ الْعَيْشَ وَيُبْرِخُ الْقُلُوبَ . فَكَيْفَ إِذَا تَحَكَّمَ فِيهِ
سُلْطَانُ الْفِرَاقِ ، وَأَمَدَّتْ صَاحِبَهُ الْفِكْرُ بِخَوَاطِرِ الْإِشْفَاقِ ، وَانْتَهَبَتْ فِي الضَّمِيرِ
لَوْعَاتُ الْإِشْتِيَاقِ؟ حِينَئِذٍ تُسَكَّبُ الْعَبْرَاتُ وَتَتَمَكَّنُ الْحَسَرَاتُ . وقال حبيب بن
أوس الطائي:

أَمَّا الْهَوَى فَهُوَ الْعَذَابُ فَإِنْ جَرَتْ فِيهِ النَّوَى فَالْيَمُّ كُلُّ الْيَمِ^(١)
فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنْ فِرَاقٍ فَلَا يَكُنْ إِلَّا بَعْدَ تَشْيِيعِ وَوَدَاعٍ . بَلَغَنِي عَنْ
مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ أَنَّهُ قَالَ: إِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنْ قَيْدٍ فَلْيَكُنْ مَجْلِيًّا .

وفي هذا المعنى يقول بعض أهل هذا العصر:

تَمَتَّعْ مِنْ حَبِيْبِكَ بِالْوَدَاعِ فَمَا بَعْدَ الْفِرَاقِ مِنْ اجْتِمَاعِ
فَكَمْ جَرَعَتْ مِنْ هَجْرٍ وَغَدْرِ وَمِنْ حَالِ ارْتِفَاعٍ وَاتِّضَاعِ
وَكَمْ كَاسٍ أَمَرَ مِنَ الْمَنَايَا شَرِبْتُ فَلَمْ يَضُقْ عَنْهَا ذِرَاعِي
فَلَمْ أَرْ فِي الَّذِي قَاسَيْتُ شَيْئًا أَشَدَّ مِنَ الْفِرَاقِ بِلَا وَدَاعِ
تَعَالَى اللَّهُ كُلُّ مُوَاصِلَاتٍ وَإِنْ طَالَتْ تَوُولُ إِلَى انْقِطَاعِ

وَاخْتِيَارَاتُ الْعُشَّاقِ تَفَاوَتْ فِي أَمْرِ الْوَدَاعِ تَفَاوُتًا شَدِيدًا ، فَبَعْضُهُمْ
مُسَارِعٌ إِلَى الْفِرَاقِ تَغْنَمًا لِلْوَدَاعِ فَمِنْهُمْ الَّذِي يَقُولُ:

(١) البيت من قصيدة في الديوان ٢٦١/٣ .

(١٨) في «م» والمطبوع: عبد الله بن عتبة . . . وقد تقدم التعريف به .

(١٩) في ديوان ابن الدمينية ص ٨٢ وكذلك في شرح المازوني ص ١٢٩٨ ، وتزيين الأسواق

ص ٦٨ ، وهما في ديوان المجنون ص ١١٣ .

مَنْ يَكُنْ يَكْرَهُ الْفِرَاقَ فَإِنِّي أَشْتَهِيهِ لِمَوْضِعِ التَّسْلِيمِ
إِنَّ فِيهِ عِنَاقَهُ لِدَوَاعٍ وَأَنْتِظَارِي عِنَاقَهُ لِلْقُدُومِ

ومنهم الذي يقول:

لَسْتُ مِمَّنْ يَسُدُّ يَوْمَ الْفِرَاقِ وَلَهُ مِنَّةٌ عَلَى الْعُشَاقِ
إِنَّ فِيهِ أَعْتِنَاقَهُ لِدَوَاعٍ وَأَنْتِظَارَ أَعْتِنَاقِ يَوْمِ التَّلَاقِ

وقال البحرني في هذا المعنى وله في ضده وما منهما إلا مختار

في بابه:

فَأَحْسِنْ بِنَا وَالِدَمْعَ بِالْدَمْعِ وَاشِجْ يُمَازِجُهُ وَالْخُدَّ بِالْخَدِّ مُلْصَقٌ
وَقَدْ ضَمَّنَا وَشَكَ التَّلَاقِي وَلَفَّنَا عِنَاقٌ عَلَى أَعْنَاقِنَا ثُمَّ ضَيَّقُ
فَلَمْ تَرَ إِلَّا مُخْبِرًا عَنْ صَبَابَةٍ بِشَكْوَى وَإِلَّا عَبْرَةً تَتَرَفَّرُ
وَمِنْ قُبُلٍ قَبْلَ التَّشَاكِي وَبَعْدَهُ نَكَادُ بِهَا مِنْ شِدَّةِ اللَّثَمِ نَشْرُقُ
فَلَوْ فَهِمَ النَّاسُ التَّلَاقِي وَحُسْنَهُ لَحَبَّبَ مِنْ أَجْلِ التَّلَاقِي التَّفَرُّقُ^(٦)

وَمِنْهُمْ مَنْ يَصْبِرُ عَلَى الْفِرَاقِ، وَيَتَعَمَّدُ التَّخْلُفَ عَنِ الدَّوَاعِ إِشْفَاقًا مِنْ
مَضَاضَةٍ، وَعَجْزًا عَنْ مُعَاتَبَةِ سَاعَتِهِ.

فمنهم البحرني حيث يقول:

أَلَلُّهُ جَارُكَ فِي أَنْطِلَاقِكَ تَلْقَاءَ شَامِكَ أَوْ عِرَاقِكَ
لَا تَعْدُلْنِي فِي خُرُوجِي يَوْمَ سِرْتِ وَلَمْ أَلَاقِكَ
إِنِّي عَرَفْتُ مُوَاقِفًا لِثَنِينَ تَسْفُحُ غَرْبَ مَاقِكَ
وَعَرَفْتُ مَا يَلْقَى الْمَوَدَّ عِنْدَ ضَمِّكَ وَأَعْتِنَاقِكَ
وَعَلِمْتُ أَنَّ لِقَاءَنَا سَبَبُ أَشْتِيَاقِي وَأَشْتِيَاقِكَ
وَتَرَكْتُ ذَاكَ تَعَمُّدًا وَخَرَجْتُ أَهْرُبُ مِنْ فِرَاقِكَ^(٣)

(٢) ديوان البحرني ص ١٥٣١ مع اختلاف في الرواية.

(٣) المصدر السابق ص ١٤٩٥ مع اختلاف في الرواية.

وَحَكِي أَبُو سَلَيْمَانَ عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ لِعُمَارَةَ بْنِ
عَقِيلٍ بْنِ بِلَالٍ بْنِ جَرِيرٍ^(٤) مَا كَانَ أَبُوكَ صَانِعًا حَيْثُ يَقُولُ:

لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخِرَ عَهْدِكُمْ يَوْمَ الْفِرَاقِ فَعَلْتُ مَا لَمْ أَفْعَلْ

قَالَ: فَمَا يَهْمُنِي إِنْ قَالَ كَانَ يَقْلَعُ عَيْنِيهِ، وَلَا يَرَى أَحْبَابَهُ الظَّاعِنِينَ؟ فَمَنْ
يَقَعُ بِهِ الْفِرَاقُ اضْطِرَّارًا، وَيَتْرُكُ هُوَ الدَّوَاعِ اخْتِيَارًا، فَهُوَ أَحْسَنُ حَالًا مِمَّنْ
يُضْطَرُّ إِلَى الْأُمُورِ جَمِيعًا، فَإِنَّ اجْتِمَاعَ الْهَجْرِ وَالْفِرَاقِ يَتْلَفُ مُهْجَةَ الْمُشْتَاكِ.

وفي مثل ذلك يقول البحرني:

عَدْتُنَا عَوَادِي الْحَبِّ عَنْهَا وَزَادَنَا بِهَا كَلَفًا أَنَّ الدَّوَاعِ عَلَى عَتَبِ
وَلِي ظَمًا لَا يَمْلِكُ الْمَاءُ دَفْعَهُ إِلَى نَهْلَةٍ مِنْ رَيْقِهَا الْخَصِيرِ أَلْعَذِبِ^(٥)

وفي نحوه يقول أبو تمام^(٦):

أَنَابًا وَاجْتِنَابًا أَيَّ صَبْرٍ مَعَ الْبَلْوَى يُعْرِسُ بَيْنَ ذَيْنِ
أَلَمْ يُقْنِعْكَ فِيهِ الْهَجْرُ حَتَّى جَمَعْتَ لِقَائِهِ هَجْرًا بَيْنِ

وَعَلَى أَنَّ مِنَ الْمَحْبُوبِينَ مَنْ يَدْعُوهُ حُضُورُ الْفِرَاقِ، إِلَى الْحِرْصِ عَلَى
التَّوَدُّيعِ وَالتَّلَاقِ، فَيَكُونُ وَقُوعُ النَّوَى سَبَبًا لِاسْتِخْرَاجِ مَا فِي نَفْسِهِ
مِنْ الضَّغْنِ.

فمن ذلك يقول أبي تمام:

أَعْرَضْتُ بُرْهَةً فَلَمَّا أَحَسْتُ بِالنَّوَى أَعْرَضْتُ عَنِ الْإِعْرَاضِ
نَظَرْتُ فَالْتَفَتْتُ مِنْهَا إِلَى أَحَدٍ عَلَى سَوَادٍ رَأَيْتُهُ فِي بَيَاضِ^(٧)

(٤) في «م» والمطبوع: لعمار بن عقيل بن بلال بن جرير، وقد تقدمت ترجمته.

(٥) ديوان البحرني ص ١٠٤ مع اختلاف في الرواية.

(٦) ديوان أبي تمام (الخياط) ص ٣٣١ مع اختلاف في الرواية.

(٧) ديوان أبي تمام ٣٠٩/٢.

ومنه قول الآخر:

أَلَمْ تَرَ قَيْسَ كُلِّهَا أَنْ عَزَّهَا
هَذَاكَ جَادَتْ بِالْذُّمِّ مَوَانِعُ آلِ
غَدَاةَ غَدٍ عَنْ ذَابِرِهِ الدُّهْرَ ظَاعِنُ
سَعْيُونِ وَسُلَّتْ بِالْفِرَاقِ الضُّغَائِنُ

وقال آخر:

عَشِيَّةً أَدْعُو مُسْعِدِي فَلَمْ أَجِدْ
عَشِيَّةً زُمُوا لِلْفِرَاقِ جَمَالَهُمْ
إِلَى حَرٍّ مَا أَلْقَى مِنَ الشَّرِّ مُسْعِدَا
فَلَمْ تَرَ إِلَّا وَاضِعاً فِي يَدِي يَدَا

وقال آخر:

فَمَا أَنَسَ مِ الْأَشْيَاءِ لَا أَنَسَ قَوْلَهَا
تَمَتُّعٌ بِذَا الْيَوْمِ الْقَصِيرِ فَإِنَّهُ
وَأَدْمَعُهَا يُذَرِّينَ حَشَوَ الْمَكَاحِلِ (٨)
رَهِينُ بِأَيَّامِ الشُّهُورِ الْأَطَاوِلِ

وقال آخر:

أَقُولُ لِمُقَلَّتِي لَمَّا التَّقَيْنَا
خُذِي لِي الْيَوْمَ مِنْ نَظَرٍ بِحَظِّ
وَقَدْ شَرَقَتْ مَاقِيهَا بِمَاءِ
فَسَوْفَ تُوَكِّلِينَ إِلَى الْبُكَاءِ

وقال آخر:

أَقُولُ لَهُ يَوْمَ وَدَّعْتُهُ
لَئِنْ رَجَعْتَ عَنْكَ أَجْسَامُنَا
وَكُلُّ بِعَبْرَتِهِ مُبْلِسُ
لَقَدْ سَافَرْتُ مَعَكَ الْآنْفُسُ

وأشدنا أحمد بن يحيى:

إِنَّ الطُّعَّائِينَ يَوْمَ جَوِّ سُوَيْفَةٍ
غَيْظُنْ مِنْ عَبْرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي
أَبْكَيْنَ عِنْدَ فِرَاقِهِنَّ عُيُونَا
مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقَيْنَا

وقال جرير:

وَدَّعْ أُمَامَةَ حَانَ مِنْكَ رَجِيلُ
إِنَّ الْوَدَاعَ لِمَنْ تُحِبُّ قَلِيلُ

(٨) في «م» والمطبوع: فلا أنس، وهو خطأ والكلام شرط وليس «لا» من أدوات الشرط.

بَلَّكَ الْقُلُوبُ صَوَادِيأً تَيَمَّتْهَا
أَعْذَرْتُ فِي طَلَبِ النَّوَالِ إِلَيْكُمْ

وَأَرَى الشِّفَاءَ وَمَا إِلَيْهِ سَبِيلُ
لَوْ كَانَ مِنْ مَلَكِ النَّوَالِ يُبِيلُ (٩)

وقال ذو الرمة:

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ جَرَعَاءَ مَالِكِ
فَأَخَذُ الْهَوَى فَوْقَ الْخَلَائِمِ مُخْرَسُ
فَلَمَّا عَرَفْنَا آيَةَ الْبَيْنِ بَغْتَةً
لِحَقْنَا وَرَاجَعْنَا الْحُمُولَ وَإِنَّمَا
فَلَمَّا تَلَاخَقْنَا وَلَا بِثَلِّ مَا بَنَا
غَدَوْنُ فَأَحْسَنَ الْوَدَاعَ فَلَمْ نَقُلْ
وَحَالَسَنَ تَبَسَاماً إِلَيْنَا كَأَنَّمَا
لِشَوْفِي مُنْقَادُ الْجَنِينَةِ تَابِعُ
لَنَا إِذْ بُحِيَّا أَنْ نُسَلِّمَ مَانِعُ
وَهَذَا النَّوَى بَيْنَ الْخَلِيطَيْنِ فَاطِعُ *
تُقْضِي دِيَانَاتِ الْوَدَاعِ الْمَرَّاجِعُ
مِنْ الْوَجْدِ لَا تَقْضُ مِنْهُ الْأَصَالِعُ
كَمَا قُلْنَ إِلَّا أَنْ تُشِيرَ الْأَصَابِعُ
تُصِيبُ بِهِ حَبَّ الْقُلُوبِ الْقَوَارِعُ (١٠)

وقال الحسين بن الضحاك:

هَلَّا رَجِمْتَ تَلَدَّدَ الْمُشْتَقِ
نَفْسِي الْفِدَاءُ لِيَخَانِفِ مُتَرَقِّبِ
إِذْ لَا جَوَابَ لِمُفْحَمٍ مُتَحَيِّرِ
وَمَنْنَتْ قَبْلَ فِرَاقِهِ بِتَلَاقِي
جَمَلَ الْوَدَاعِ إِشَارَةً بِعِنَاقِ
إِلَّا الدُّمُوعُ تُصَانُ بِالْإِطْلَاقِ (١١)

وقال الصمة بن عبدالله (١٢):

وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْعَامِرِيَّةِ قَبْلَهَا
شَكُوتُ إِلَيْهَا فِئْصَةَ الْحَبِّ بِالْحَشَا
وَلَا بَعْدَهَا يَوْمَ التَّقَيْنَا مُوَدَّعَا
وَحَشِيَّةَ شَمْلِ الْجِيِّ أَنْ يَتَصَدَّعَا

(٩) الأبيات في ديوان جرير (الصاوي) ص ٤٧٢.

(١٠) ديوان ذي الرمة ص ص ٣٣٤، ٣٣٦، مع اختلاف في الرواية.

(١١) الأبيات في «أشعار الحسين الخليل» وانظر تخريجها.

(١٢) في «م» والمطبوع: عبداً بن الصمة. والصمة بن عبدالله القشيري شاعر بدوي من

شعراء الدولة الأموية، انظر الأغاني ١٢٤/٥، والأغاني (الثقافة) ٣/٦، والمؤتلف ●

فَمَا رَاجَعْتَنَا غَيْرَ صَمْتٍ وَإِنَّهُ
لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لَا تَقْنَعَ النَّفْسُ دُونَهَا
وَأَعْدُلُ فِيهَا النَّفْسُ إِذْ حِيلَ دُونَهَا
تَكَادُ لَهُ الْأَحْشَاءُ أَنْ تَتَقَطَّعَا
بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ مُقْنِعَا
وَتَأْبَى إِلَيْهَا النَّفْسُ إِلَّا تَطَلَّعَا^(١٣)

وقال الطرماح:

كَأَنَّ لَمْ يَرُعَكَ الظَّاعِنُونَ بَيْنَهُمْ
يُرَاقِبْنَ أَبْصَارَ الْغِيَارَى بِأَعْيُنٍ
بَلَى مِثْلَ فَقْدِ الظَّاعِنِينَ يَرُوعُ
عَوَازِرَ مَا تَجْرِي لَهُنَّ دُمُوعُ^(١٤)

وقال البحتري:

وَقَفْنَا وَالْعُيُونُ مُثْقَلَاتٌ
نَهْتُهُ رَقَبَةُ الْوَاشِيشِ حَتَّى
يُغَالِبُ طَرْفَهَا نَظْرَ كَلِيلٍ
تَعَلَّقَ لَا يَفِيضُ وَلَا يَسِيلُ^(١٥)

وقال قيس بن الحداية الخزاعي^(١٦):

أَجْدَكَ إِنْ نَعَمْ ثَأْتُ أَنْتَ جَارِعُ
وَحَسْبِي مِنْ نَأْيِ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ
وَقَالَتْ وَعَيْنَاهَا تَفِيضَانِ بِالْبُكَاءِ
فَقُلْتُ لَهَا تَأَلَّلِهِ يَذْرِي مُسَافِرُ
وَقَدْ قَرُبْتُ أَوْ أَنَّ ذَلِكَ نَافِعُ
وَمِنْ جَزَعٍ إِنْ زَادَ شَرْفَكَ رَابِعُ
بِأَهْلِي خَبَرْنِي مَتَى أَنْتَ رَاجِعُ
إِذَا أَصْمَرْتَهُ الْأَرْضُ مَا أَلَّهُ صَانِعُ

(١٣) والأبيات من العينية المشهورة التي ورد شيء منها في مصادر كثيرة منها الأغاني ٦٧/٢،

٦٥/٥-٦، تزيين الأسواق ٦٣، ٨٨، سمط اللآلئ ٣٥٠، ٤٦٠، مصارع العشاق

٣٦٣-٣٦٤، أمالي القاضي ١٩٠/١-١٩١ شرح المزدوقي ١٢١٥، معجم البلدان

(البشر) الحماسة البصرية ص ١٦٥، عيون الأخبار ١٤١/٤، محاضرات الأدباء

٣٧/٢، وديوان المجنون ص ١٩٨.

(١٤) ورد البيت في صفحة سابقة.

(١٥) لم أجد البيت في الديوان.

(١٦) قيس بن الحداية الخزاعي هو قيس بن منقذ بن عبيد، انظر الأغاني ٦/١٣، أمالي

البيزدي ص ١٥٣.

وقال آخر:

رَاعَكَ الْبَيْنُ وَالْمُحِبُّ يُرَاعُ
لَسْتُ أَنْسَى مَقَالَهَا يَوْمَ وَلْتُ
حِينَ قَالُوا تَشْتُتُ وَأَنْصِدَاغُ
وَقُصَارَى الْمَشْيَعِينَ الْوُدَاغُ

وقال آخر:

لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْفِرَاقِ إِذَا كَا
أَحْرَقَ مِنْ وَقْفَةِ الْمَشْيَعِ لِلْقَلْبِ
نَ أَخُو الْحُبِّ وَالِهَا كَلِفَا
بِ يُرِيدُ الْوُدَاغَ مُنْصَرِفَا

وقال طريح^(١٧):

يَا لَيْتَ شِعْرِي عَنْ الْحَيِّ الَّذِينَ عَدُوا
أَتَبَعْتُهُمْ مُقَلَّةً جَادَتْ بِأَذْمُعِهَا
هَلْ بَعْدَ فُرْقَتِهِمْ لِلشَّمْلِ مُجْتَمِعُ
وَالْقَلْبُ مِنِّي عَلَى أَثَارِهِمْ قِطْعُ
فَلَيْسَ لِي مِنْ فِرَاقٍ مَرَّةً جَزَعُ
فَكُلُّ مَا كُنْتُ أَخْشَى قَدْ فُجِعْتُ بِهِ

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي:

تَقَضَّتْ لَبَانَاتٌ وَجَدَّ رَجِيلُ
وَمُدَّتْ كُفُوفُ لِلْوُدَاغِ فَصَافَحَتْ
وَلَمْ يُشَفِّ مِنْ أَهْلِ الصَّفَاءِ خَلِيلُ
وَكَادَتْ عُيُونٌ لِلْفِرَاقِ تَسِيلُ
وَلَا بُدَّ لِلْإِلْفَيْنِ مِنْ يَوْمٍ لَوَعَةٍ
وَكَمْ مِنْ دَمٍ قَدْ طُلَّ يَوْمَ تَحَمَّلَتْ
غَدَاةً جَعَلَتْ الصَّبْرَ شَيْئًا نَسِيْتُه
وَإِذَا مَا خَلِيلُ بَانَ عَنْهُ خَلِيلُ
أَوَانِسُ لَا يُودَى لَهُنَّ قَتِيلُ
وَأَعُولْتُ لَوْ أَجْدَى عَلَيَّ عَوِيلُ^(١٨)

وقال آخر:

تَفَرَّقَ أَهْلِي مِنْ مُقِيمٍ وَظَاعِنٍ
أَقَامَ الْآلَى لَا أَسْتَطِيعُ فِرَاقَهُمْ
فَلِلَّهِ دَرِي أَيُّ أَهْلِي أَتَّبِعُ
وَبَانَ الْآلَى قَلْبِي بِهِمْ يَتَقَطَّعُ

(١٧) هو طريح بن إسماعيل الثقفي، شاعر أموي، وله في الوليد بن يزيد أبيات. انظر:

الشعر والشعراء (ليدن) ص ص ٤٢٧ - ٤٢٨ وانظر حماسة البحتري ص ٧٧.

(١٨) لم أجده في ديوان إسحاق الذي جمعه ماجد العزبي.

بِعَيْنِي تِلْكَ أَلْعِيرُ حَتَّى تَجَاوَزْتَ
وَأَعْرَضَ مِنْ رَضْوَى مَعَ اللَّيْلِ دَائِسٌ

وقال البحرني:

قَدْ رَأَيْتُكَ أَلْدُمُوعُ يَوْمَ تَوَلَّيْتُ
عَبْرَاتُ مِلَاءِ الْجُفُونِ مَرَّتْهَا
إِنْ تَبْتَ وَاذِغِ الضَّمِيرَ فِعْنِدِي
فُرْقَةً لَمْ تَدْعُ لِعَيْنِي مُجِبَّ

وقال أيضاً:

رَحَلُوا فَأَيُّهُ عَبْرَةٌ لَمْ تُسَكَبِ
لَوْ كُنْتَ شَاهِدَنَا وَمَا صَنَعَ أَلْهَوَى

وقال أيضاً:

مَنْزِلُ هَاجٍ لِي الصَّبَابَةِ وَالشُّرُ
وَتَوَدُّ الْقُلُوبُ يَوْمَ اسْتَقَلَّتْ
فَاتْرُكَايَ فَمَا أُطِيعُ عَذُولاً

وقال أبو تمام:

لَا أَظْلَمَ النَّأْيُ قَدْ كَانَتْ خَلَاثُفُهَا
وَإِذْ فَوَادَكَ تَوْدِيعُ الْفِرَاقِ فَمَا

وَحَتَّى أَتَى مِنْ دُونِهَا الْخَبْتُ أَجْمَعُ
هَضَابُ تَرْدُ الطَّرْفِ عَمَّنْ تُشِيعُ

ظُنُّنُ الْحَيِّ مَا وَرَاءَ الدُّمُوعِ
حُرْقُ لِلْفِرَاقِ مِلَاءُ الضُّلُوعِ
نَصَبٌ مِنْ عَشِيَّةِ التَّوْدِيعِ
نَظَرًا بِأَلْعَقِيقِ غَيْرِ الرَّبُوعِ (١٩)

أَسْفَاً وَأَيُّ عَزِيمَةٍ لَمْ تُغْلَبِ
بِقُلُوبِنَا لَحَسَدَتْ مَنْ لَمْ يُحِبَّ (٢٠)

قُ قَرِينِي وَسَاءَ ذَاكَ قَرِينَا
ظُنُّنُ الْحَيِّ أَنْ تَكُونَ عُيُونَا
وَأَخْذُلَايَ فَمَا أُرِيدُ مُعِينَا (٢١)

مِنْ قَبْلِ وَشِكِ النَّوَى عِنْدِي نَوَى قُدْفَا
أَرَاهُ مِنْ سَفَرِ التَّوْدِيعِ مُنْصَرِفَا (٢٢)

(١٩) كذا في الديوان وأما في «م» والمطبوع: إن يثب واذع. . والأبيات في ديوان البحرني

ص ١٢٧٩ مع اختلاف في الرواية.

(٢٠) ديوان البحرني ص ٧٨ مع اختلاف في الرواية.

(٢١) المصدر السابق ص ٢١٦٢ مع اختلاف في الرواية.

(٢٢) ديوان أبي تمام ٣٦١/٢.

وقال آخر:

لَمْ أُنْسَ إِذْ قَالَتْ غَدَاةَ النَّوَى
لَأَنْتَ أَحْلَى مِنْ لَذِيذِ الْكَرَى
وَدَمَعُهَا مُنْحَدِرٌ وَإِكْفُ
وَمِنْ أَمَانٍ نَالَهُ خَائِفُ

وقال البحرني:

وَأَنْشَتُ وَجْهَةَ الْفِرَاقِ فَأَرْسَلْتُ
نَظْرَةً خَلْفَهَا أَلْدُمُوعُ عَجَالاً
تَتَمَارَى وَدُونَهَا أَلْتَّشْهِدُ
بِمِثْلِ يَوْمِي بِسَرَامَتَيْنِ يَعُودُ (٢٣)

وقال بعض الطاهريين (٢٤):

قَفِي وَدَعِينَا قَبْلَ أَنْ تَصْدَعَ النَّوَى
وَلَا تَجْمَعِي هَجْراً عَلَيَّ وَفُرْقَةً
بِوَصْلِكَ شَملاً لَمْ يَكُنْ مُتَصَدِّعَا
فَمَا جُمِعَا قَبْلِي عَلَى عَاشِقٍ مَعَا

□ □ □

(٢٣) ديوان البحرني ص ٧٢١.

(٢٤) كافي استرجح الطاهريين بالطاء وهم الذين ينتسبون إلى طاهرين الحسين وليس

الظاهريين كما ورد في «م» والمطبوع.

مَا خَلِقَ الْفِرَاقُ إِلَّا لِتَعْدِيبِ الْعُشَّاقِ

أَمَا الْفِرَاقُ فَمُسْتَعْنٍ بِشَاعَةِ اسْمِهِ عَنِ الْإِعْرَاقِ فِي وَصْفِهِ.

ولقد أحسن حبيب بن أوس الطائي في قوله:

أَخْ لِي لَوْ أُعْطِيتُ الْمُنَى بِاسْمِ فَقْدِهِ بَلَا فَقْدِهِ كَانَتْ بِهِ ثَمَنًا بَخْسًا
فَلَوْ أَنَّ نَفْسِي أَلْفُ نَفْسٍ لَمَا أَتَشَتُّ يَدَ الْبَيْنِ أَوْ تُودِي بِأَجْرِهَا نَفْسًا^(١)
وَقَدْ اخْتَلَفَ الْعُشَّاقُ فِي التَّفْصِيلِ بَيْنَ الْهَجْرِ وَالْفِرَاقِ، فَمِنْ أَهْلِ
الْهَوَى مَنْ يُعْظِمُ شَأْنَ الْهَجْرِ عَلَى شَأْنِ النَّوَى وَيُنْشِئُ مُحْتَجًّا لِدَلِيلِهِ:

وَأَنْقَذَهَا مِنْ غَمْرَةِ الْمَوْتِ أَنَّهُ صُدُودُ فِرَاقٍ لَا صُدُودُ تَعَمُّدٍ
فَأَجْرَى لَهَا الْإِشْفَاقُ دَمْعًا سُورِدًا مِنْ الدَّمِ يَجْرِي فَوْقَ حَدِّ مُورِدٍ
وَأَكْثَرُ أَهْلِ هَذَا الشَّانِ يُغْلِبُونَ شَأْنَ النَّوَى عَلَى شَأْنِ الْهَجْرِ، بَلْ يُغْلِبُونَهُ
عَلَى كُلِّ مَكْرُوهِ مِنَ الْأَمْرِ غَيْرِ الْخِيَانَةِ وَالْغَدْرِ.

ولقد أحسن أبو تمام حبيب بن أوس الطائي حيث يقول:

وَكَانَ عَزِيزًا أَنْ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ حِجَابًا فَقَدْ أَصْبَحْتُ مِنْكُمْ عَلَى شَهْرِ
وَأَبْكَاهُمَا لِلْعَيْنِ وَاللَّهِ إِنِّي أَحَازِرُ أَنْ لَا نَلْتَقِيَ آخِرَ الدَّهْرِ
وَكَمْ دُونَنَا مِنْ مَهْمَةٍ مُتَنَازِحٍ وَمِنْ جَبَلٍ وَغَيْرِ وَمِنْ بَلَدٍ قَفَرٍ
وَمَا زِلْتُ أَرْضَى مِنْ خَلِيلِي بِهِجْرِهِ فَأَحْسِبُ أَنْ لَا دَاءَ أَدْوَى مِنَ الْهَجْرِ
إِلَى أَنْ رَمَانَا دَهْرُنَا بِتَفَرُّقٍ فَأَيَقُنْتُ أَنَّ الْبَيْنَ قَاصِمَةُ الظَّهْرِ^(٢)

(١) البيتان في الديوان (الحياطة) ص ٤٤٨.

(٢) لم أجد الأبيات في الديوان.

وَنَحْنُ نَقُولُ الْآنَ الْفُرْقَانُ بَيْنَ الْفِرَاقِ وَالْهَجْرِ الَّذِي يُعْظِمُ عِنْدِي أَمْرَ
الْهَجْرِ، إِنَّمَا هُوَ مُنَاسِبُهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْغَدْرِ. لِأَنَّ الْهَجْرَ إِذَا خَرَجَ عَنْ أَنْ يَكُونَ
عِقَابًا عَلَى ذَنْبٍ، أَوْ تَذَلُّلًا بِإِظْهَارِ تَجَنُّهِ أَوْ عُتْبٍ، أَوْ مُرَاقَبَةً لَوَاشٍ، أَوْ مَثَلًا مِنْ
الْعَدْلِ، فَلَا مُعْذِرَ لَهُ غَيْرَ الْغَدْرِ وَالْخِيَانَةِ، وَتَرَكَ الْمَقَامَ لِلْهَوَى بِحَقِّ الرِّعَايَةِ.
فَهَذَا أَصْعَبُ أَسْبَابِ الْهَجْرِ، وَمِمَّا يُنْقِصُ مِنْ صُعُوبَتِهِ وَيَكُفُّ مِنْ عَادِيَّتِهِ، أَنَّهُ
إِذَا جَرَى هَذَا الْمَجْرَى لِحَقِّ الْمَقْصُودِ بِهِ ضَرْبٌ مِنَ الْغَيْظِ، لِيُفْحَ مَا صَنَعَ بِهِ
عَنْ غَيْرِ سَبَبٍ مُوجِبٍ لَهُ. وَلَيْسَ شَخْصٌ الْمَحْبُوبُ بِنَاءً عَنْ نَظَرِهِ، فَيَتِمَّا لَكَ
عَنْهُ مِنْ إِزْعَاجِ الشُّوقِ بِفِكْرِهِ، مَا يَذْهَبُ بِغَيْظِهِ وَيُلِينُ مِنْ قَلْبِهِ. وَمَعَ الْفِرَاقِ
زَوَالُ ذَلِكَ كُلِّهِ، لِأَنَّ غَيْبَةَ الشَّخْصِ عَنِ النَّاطِرِ مُزِيلَةٌ لِكُلِّ غَيْظٍ، وَغَافِرَةٌ لِكُلِّ
ذَنْبٍ، وَذَاهِبَةٌ بِكُلِّ عُجْبٍ، يَتَدَاخَلُ الْمَحْبُوبُ وَالْمُحِبُّ فَالْنَفْسُ تَذِلُّ
لِلْفِرَاقِ، وَتَتَفَادَى مَعَهُ لِدَوَاعِي الْإِشْفَاقِ وَالْإِشْتِيَاقِ، فَهَذَا مِقْدَارُ مَا يَتَسَهَّلُ لَنَا مِنْ
وَصْفِهِمَا وَيَجُوزُ أَنْ نَقْطَعَ بِهِ مِنَ الْحُكْمِ بَيْنَهُمَا.

قال ابن ميادة:

سَلِّ إِلَهَ صَبْرًا وَاعْتَرِفْ بِفِرَاقٍ عَسَى بَعْدَ بَيْنٍ أَنْ يَكُونَ تَلَاقِي
أَلَا لَيْتَنِي قَبْلَ الْفِرَاقِ وَبَعْدَهُ سَقَانِي بِكَأْسٍ لِلْمَيْتَةِ سَاقِي^(٣)

وقال آخر:

فَوَا حَسْرَتًا لَمْ أَقْضِ مِنْكُمْ لُبَانَةً وَلَمْ أَتَمَتَّعْ بِالْجَوَارِ وَبِالْقُرْبِ
وَفَرِقَ بَيْنِي فِي الْمَسِيرِ وَبَيْنَكُمْ فَهَاءَ نَدَا قَاضٍ عَلَى إِنْزِكُمْ نَحْبِي

[وقال آخر]:

أَلَا مَنْ لِقَابٍ مُعَرَّضٍ لِلنَّوَابِ رَمَتْهُ خُطُوبُ الدَّهْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
تَبَيَّنَ يَوْمَ الْبَيْنِ أَنَّ اعْتِرَافَهُ عَلَى الصَّبْرِ مِنْ إِحْدَى الظُّنُونِ الْكَوَادِبِ

(٣) ورد البيتان في أمالي الزجاجي ص ٤٣، الوحشيات ص ١٨٨ مع اختلاف في الرواية.

وقال آخر:

مَنْ كَانَ لَمْ يَذُقِ الْهَوَىٰ أَوْ ذَاقَهُ
فَلَقَدْ أَخَذْتُ مِنَ الْهَوَىٰ بِصِيبِ
فَرَأَيْتُ أَنْ أَشَدَّ كُلِّ لَيْلِيَّةٍ
فُضِيتَ عَلَى أَحَدٍ فِرَاقُ حَبِيبِ

وقال أبو تمام:

لَوْ كَانَ فِي اللَّيْلِ إِذْ بَانُوا لَهُمْ دَعَا
فَكَيْفَ وَاللَّيْنُ مَوْصُولٌ بِهِ تَعَبٌ
لَوْ أَنَّ مَا تَبْتَلِيَنِي الْحَادِثَاتُ بِهِ
لَوْ كَانَ بِالْعِيسِ مَا بِي يَوْمَ رَحَلْتَهُمْ
كَأَنَّ أَيْدِي مَطَايَاهُمْ إِذَا وَخَذَتْ
لَكَانَ بَيْنَهُمْ مِنْ أَعْظَمِ الْخَطَرِ
يُكَلِّفُ الْبَيْدَ فِي الْإِذْلَاجِ وَالْبَكْرِ
يَكُونُ بِالنَّمَاءِ لَمْ يُشْرَبْ مِنَ الْكَدَرِ
أَعْيَتْ عَلَى السَّاقِ الْحَادِي فَلَمْ تَسِرْ
يَقَعْنَ فِي حُرُوجِهِ أَوْ عَلَى بَصَرِي (٤)

وقال ابن الدميني:

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مُضْمَرَاتِ مِنَ الْهَوَى
أَقَامَ يَنْحِرُ الْمَاءِ قَلْبِي وَبَاعَدَتْ
طَوَاهُنَّ طُولَ النَّأْيِ طَيِّ الصَّحَائِفِ
بَسَائِرِ جِثْمَانِي قِلَاصُ الْعَلَائِفِ (٥)

وقال معاذ ليلي العقيلي:

أَقَامَ فَرِيقٌ مِنْ أُنَاسٍ تَوَدُّهُمْ
بِحَاجَةِ مَحْزُونٍ ثَبَاتُ فُؤَادِهِ
تَحْمَلْنَ أَنْ هَبَّتْ لَهُنَّ عَشِيَّةٌ
فَوَاكِدِي أَكْوَى عَلَيْهَا وَإِنَّهَا
بَذَاتِ الشَّرَى عِنْدِي وَبَانَ فَرِيقٌ
رَهْمِينَ بَيِّضَاتِ الْجِبَالِ صَدِيقٌ
جُنُوبٌ وَأَنْ لَاحَتْ لَهُنَّ بُرُوقُ
مَخَافَةِ هَيْضَاتِ النَّوَى لَخْفُوقُ (٦)

وقال المعلوط (٧):

دَعَوْتُ رَبِّي دُعَائِي فَاسْتَجَابَ لَهُ
كَمَا دَعَا رَبَّهُ نُوحٌ وَإِيُوبُ

(٤) لم أجد الأبيات في الديوان.

(٥) البيتان في ديوان ابن الدميني ص ١٧٥ عن كتاب الزهرة.

(٦) الأبيات في ديوان المجنون ص ٢٠، وكذلك في مصارع العشاق ص ٢١٥.

(٧) هو المعلوط بن بدل السعدي من شعراء الحماسة (شرح التبريزي) ٣/٣١٨.

أَنْ يَنْزِعَ الدَّاءَ مِنْ قَلْبِي وَيَجْعَلَهُ
لِيُبْرِئَ اللَّهَ قَلْبًا مِنْ صَبَائِيهِ
قَلْبِي بِنَجْدٍ وَأَجْلَادِي تَهَامِيَّةٍ
فِي قَلْبِ سُلْمَى وَحَمْلُ الدَّاءِ تَغْطِيبُ
فَلَا أَجِنُ إِذَا حَنَ الْمَطَارِيبُ
مَا بَعْدَ هَذَا مِنَ التَّعْذِيبِ تَعْذِيبُ

وقال جبران العود (٨) ومن الناس من يرويه لذي الرمة:

أَيَا كَبِيدِي كَادَتْ عَشِيَّةٌ غُرَبٍ
عَشِيَّةٌ مَا فِيمَنْ أَقَامَ بِغُرَبٍ
عَشِيَّةٌ مَا لِي حِيلَةٌ غَيْرَ أَنَّنِي
أَخْطُ وَأَمْحُو كُلَّ خَطِّ خَطَطَتُهُ
كَأَنَّ سِنَانًا فَارِسِيًّا أَصَابَنِي
وَمَا يَرْجِعُ الشُّوقُ الزَّمَانَ الَّذِي مَضَى
فَمَا كَانَ مَشْهُومًا لَنَا طَائِرُ الْهَوَى
مِنْ الْوَجْدِ إِثْرُ الظَّاعِنِينَ تَصَدَّعُ
مُقَامٌ وَلَا فِيمَنْ مَضَى مُتَسَرِّعُ
بَلَقَطِ الْحَصَى وَالْخَطِّ فِي الدَّارِ مُوَلِّعُ
بِكَيْفِي وَالْغُرَبَاءُ فِي الدَّارِ وَقَعَ
عَلَى كَبِيدِي بَلْ لَوْعَةُ الْحَبِّ أَوْجَعُ
وَلَا لِفَتَى فِي دِمْنَةِ الدَّارِ مَجْزَعُ (٩)
وَلَا ذَلْ لِلْبَيْنِ الْفُؤَادُ الْمَرْوَعُ (١٠)

وأشدنا أحمد بن أبي طاهر لطيف الغنوي (١١):

وَمَا أَنَا بِالْمُسْتَنْكِرِ اللَّيْلِ إِنَّنِي
جَدِيرًا بِهِ مِنْ كُلِّ حَيٍّ لَقِيَتُهُمْ
بِذِي لَطْفِ الْجِرَانِ قَدَمًا مُفْجَعُ
إِذَا أَنَسَ عَزُّوا عَلَيَّ تَصَدَّعُوا (١٢)

وقال آخر:

أَمَّا الرَّحِيلُ فَحِينَ جَدُّ تَرَحَّلَتْ
مُهْجُ الْنُفُوسِ لَهُ عَنِ الْأَجْسَادِ

(٨) جبران العود شاعر جاهلي، انظر ترجمته في الشعر والشعراء (ليدن) ص ص ٤٥٠ - ٤٥٣.

(٩) الأبيات الثالث والرابع والخامس والسادس من شعر ذي الرمة الديوان ص ٣٤٢ وهي في شعر المجنون الديوان ص ٧١٨٨.

(١٠) لم أجد الأبيات في ديوان جبران العود.

(١١) هو أبو محمد طيفيل بن كعب، شاعر جاهلي... انظر الشعر والشعراء (ليدن) ص ص ٢٧٥ - ٢٧٦.

(١٢) ديوان طيفيل ص ٥١.

مَنْ لَمْ يَمُتْ وَالْبَيْنُ يَصْدَعُ شَمْلَهُ
لَمْ يَذِرْ كَيْفَ تَفَتْ الْأَكْبَادُ

وقال إسحاق الموصلي (١٣):

إِشْرَ السَّلَامِ عَلَى الدَّلْفَاءِ إِذْ شَحَطْتُ
فَمَا وَجَدْتُ عَلَى إِلْفٍ فُجِعْتُ بِهِ
وَقُلْ لَهَا قَدْ أَذَقْتُ الْقَلْبَ مَا خَافَا
وَجِدِي عَلَيْكَ وَقَدْ فَارَقْتُ الْأَفَا (١٤)

وأنشدني أحمد بن أبي طاهر:

خَلِيلِي إِنِّي لَمْ أَجِدْ بَرْدَ مَشْرَبٍ
وَمَا زَالَ مُدُّ لَمْ يَلْقَهَا الْقَلْبُ صَادِيًا
وَلَا طَعْمَ نَوْمٍ مُدُّ نَاتٍ أَمْ حَاجِبٍ
وَلِنْ كَانَ يُسْقَى مِنْ لَذِيذِ الْمَشَارِبِ

وقال آخر:

أَحْجَاجَ بَيْتِ اللَّهِ فِي أَيِّ هَوْدَجٍ
أَنْبَى أَسِيرِ الْحَبِّ فِي أَرْضِ غُرْبَةٍ
وَفِي أَيِّ خَيْدٍ مِنْ خُدُورِكُمْ قَلْبِي
وَحَادِيكُمُ يَحْدُو بِقَلْبِي مَعَ الرُّكْبِ (١٥)

وقال الحسين الخليل:

بِنَفْسِي حَيْبٌ أَمْ مَكَّةٌ مُكْرَهًا
سَلَاتَنَا وَحِيدٌ لَا يُسَرُّ بِمُؤْنِسٍ
أَجِنُّ إِلَى شَهْرِ الْمَحْرَمِ لَيْتَهُ
الْأَمُّ عَلَى شُغْلِي بِمَنْ شُغِلُهُ
يُعَالِجُ مَسْتُورًا مِنَ الْحُزَنِ وَالْأَلَمِ
مِنَ النَّاسِ حَتَّى تَنْقُضِيَ الْأَشْهُرَ الْحُرْذَمِ
عَدَاةً عَدِدَ قَدْ كَانَ أَوْ بَانَ فَانْصَرَمَ
إِذَا طَافَ أَوْ أَصْغَى إِلَى الرُّكْنِ فَاسْتَلَمَ
وَنَحْفَظُ عَهْدَيْنَا عَلَى رَغَمٍ مِنْ رَغَمٍ (١٦)

(١٣) هو إسحاق بن إبراهيم الموصلي من أشهر الندماء في العصر العباسي تفرد بالغناء والموسيقى وكان عالماً بالأدب والتاريخ، وكان شاعراً، توفي سنة ٢٣٥هـ. انظر وفيات الأعيان ٦٥/١، سبط اللالي ص ١٣٧، الأغاني (الدار) ٢٦٨/٥، تاريخ بغداد ٣٣٨/٦.

(١٤) البيتان في أمالي القاضي ٥٥/١.

(١٥) البيتان مما نسب إلى المجنون، الديوان ص ٧٧.

(١٦) انظر «أشعار الحسين الخليل» وفيه تخريج الأبيات.

وقال ذو الرمة:

أَرَاخَ فَرِيْقٍ جِيَرَتِكَ الْجَمَالَا
كَأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَنْتِقَالَا
فَكِدْتُ أَمُوتُ مِنْ حُزْنٍ عَلَيْهِمْ
وَلَمْ أَرِ صَاحِبَ الْأُطْعَانِ آلَا
وَمَيَّةٌ فِي الطَّعَائِنِ وَهِيَ شَكْتُ
سَوَادَ الْقَلْبِ فَأَقْتَلِ أَفْسَالَا
وَلَمْ أَرِ مِثْلَهَا نَظْرًا وَعَيْنَا
وَلَا أُمَّ الْغَزَالِ وَلَا الْغَزَالَا
هِيَ السُّقْمُ الَّذِي لَا بُرءَ مِنْهُ
وَبُرءُ السُّقْمِ لَوْ بَدَلْتُ نَوَالَا (١٧)

وقال معقل بن عيسى أخو أبي دلف (١٨):

لَعَمْرِي لَنْ قَرَّتْ بِقُرْبِكَ أَعْيُنُ
لَقَدْ سَخِنَتْ بِالْقُرْبِ مِنْكَ عُيُونُ
فَسِرْ أَوْ أَقِمْ وَتَفَتْ عَلَيْكَ مَوَدَّتِي
مَكَانَكَ مِنْ قَلْبِي عَلَيْكَ مَصُونُ

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي:

رَاحُوا وَرُحْنَا عَلَى آثَارِهِمْ أَصْلًا
مُحَمِّلِينَ مِنَ الْأَثْقَالِ أَوْقَارًا
كَأَنَّ أَنْفُسَنَا لَمْ تَرْتَجِلْ مَعَنَا
أَوْسِرْنَا فِي أَوَّلِ الْحَيِّ الَّذِي سَارَا (١٩)

وقال آخر:

عَجَلَ الْفِرَاقُ بِمَا كَرِهْتُ وَطَالَمَا
كَانَ الْفِرَاقُ بِمَا كَرِهْتُ عَجُولًا
وَأَرَى الْبَتِي هَامَ الْفُؤَادُ بِذِكْرِهَا
أَصْبَحْتُ مِنْهَا فَارِعًا مَشْغُولًا

وقال آخر:

بِنَفْسِي مَنْ أُمْسِي وَأُصْحِي لِنَابِهِ
وَشَوْقِي إِلَيْهِ فِي عَنَاءٍ وَفِي كَرْبٍ
فَإِنْ يَرْتَجِلْ جِسْمِي مَعَ الرُّكْبِ مُكْرَهًا
يُقِمُّ عِنْدَهَا قَلْبِي وَأَمْضِي بِلَا قَلْبٍ

(١٧) انظر الديوان ص ٤٢٩، وهذه الأبيات تتوزع في صفحات مختلفة.

(١٨) في «م» والمطبوع: الدلف.

(١٩) ديوان إسحاق الموصلي ص ٥٨، وهو ديوان مجموع، ومصدر التخريج كتاب الزهرة.

ولبعض أهل هذا العصر:

وَكُنْتُ أَرَى أَنْ قَدْ تَنَاهَى بَنَى الْهَوَى
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا تَذَكَّرْتُ مَا مَضَى
فَقَدْ وَالَّذِي لَوْ شَاءَ لَمْ يَخْلُقِ النَّوَى
إِلَى غَايَةِ مَا بَعْدَهَا لِي مَذْهَبٌ
فَأَيْقَنْتُ أَنِّي إِنَّمَا كُنْتُ الْعَبُّ
عَرِضْتُ فَمَا أَذْرِي إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ

وقال آخر:

وَأَخَلْتُ فَشَطْتُ عَنْ مُقَامِي وَخَانِي
لَقَدْ غَادَرْتَنِي لَا صَاحِبًا لِصَحَّتِي
وَمَا... مِنْ ضَنْى الْمَوْتِ لَا تُخْلِي (٢٠)
وَلَا رَاجِيًا بَرًّا وَلَا مُدْرِكًا تَبْلِي

وقال آخر:

أَعَارَ عَلَيْنَا الدَّهْرُ حَتَّى كَانَمَا
بِتَشْتِيتِ أُلَافٍ وَتَغْرِيبِ مَنْزِلِ
وَقَدْ عَلِمَ الدَّهْرُ الْخَوُونَ بِأَنِّي
يُطَالِنَا الدَّهْرُ الْمُغِيرُ بِأَوْتَارِ
وَتَفْرِيقِ إِخْوَانٍ وَتَقْلِيلِ أَوْطَارِ
أَصُولٍ عَلَيْهِ صَوْلَةُ الْأَسَدِ الضَّارِي

وقال علي بن محمد العلوي الكوفي:

وَلَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى الْفِرَاقِ وَلَمْ أَجِدْ
يَا سَاعَةَ الْيَتِيمِ أَنْبِرِي فَكَأَنَّمَا
لِلْمَوْتِ لَوْ فَقَدْ الْفِرَاقُ سَبِيلًا
وَأَصَلَتْ سَاعَاتِ الْقِيَامَةِ طُولًا

وقال الطائي (٢١):

يَوْمَ الْفِرَاقِ لَقَدْ خُلِقْتَ طَوِيلًا
لَوْ حَارَ مَنْ قَادَ الْمَيِّتَةَ لَمْ يُرَدْ
قَالُوا الرَّجِيلُ فَمَا شَكَّكَ بِأَيْنَهَا
فِي الْحُبِّ أُخْرَى أَنْ يَكُونَ جَمِيلًا
لَمْ تُبْقِ لِي صَبْرًا وَلَا مَعْقُولًا
إِلَّا الْفِرَاقَ عَلَى النَّفْسِ دَلِيلًا
نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا تُرِيدُ رَجِيلًا
لَمْ يَكُنْ جَمِيلًا غَيْرَ أَنْ تَلْدُذَا

(٢٠) في «م» والمطبوع فراغ بقدر كلمة.

(٢١) هو أبو تمام.

أَتُظَنُّنِي أَجِدُ السَّيْلَ إِلَى الْعَزَا
رَدُّ الْجَمُوحِ الصَّعْبِ أَسْهَلُ مَطْلَبًا

وقال أبو تمام:

نَوَى كَانَقِضَاضِ النُّجْمِ كَانَتْ نَتِيجَةً
فَلَا تَحْسِبَا هِنْدًا لَهَا الْغَدْرُ وَحَدَهَا
وَكَمْ تَحْتَ أَرْوَاقِ الصَّبَابَةِ مِنْ فَتَى
مُحَمَّدُ يَا أَبْنَ الْهَيْثَمِ أَتَقَلَّبْتَ بِنَا
وَحَقْدٌ مِنَ الْأَيَّامِ وَهِيَ قَدِيرَةٌ
مِنْ الْهَزَلِ يَوْمًا إِنَّ هَزَلَ الْهَوَى جِدُّ
سَجِيَّةُ نَفْسٍ كُلُّ غَايَةِ هِنْدُ
مِنْ الْقَوْمِ حَرَّ دَمْعُهُ لِلْهَوَى عَبْدُ
نَوَى خَطَأً فِي عَقِبِهَا لَوْعَةٌ عَمْدُ
وَشَرُّ السَّجَايَا قُدْرَةٌ حَاذَهَا حَقْدُ (٢٢)

وقال علي بن محمد العلوي:

أَتَبْعُهُمْ نَفْسًا تَدْمِي مَسَالِكُهُ
مَا زِلْتُ أَعْرِفُ أَيَّامِي وَأُنْكِرُهَا
خَاصَّتْ بِي الشُّكُّ حَتَّى قَالَ قَائِلُهَا
كَأَنَّهُ مِنْ جِمَى الْأَحْشَاءِ مَقْدُودُ
حَتَّى أَنْبَرْتُ وَهِيَ لَا بِيضَ وَلَا سُودُ
لَا الْقُرْبُ قُرْبٌ وَلَا التَّبَعِيدُ تَبَعِيدُ

وقال آخر:

لَعَمْرِي لَئِنْ شَطْتُ بِعُتْمَةِ دَارِهَا
أَرْوَحُ بِهِمْ ثُمَّ أَغْدُو بِمِثْلِهِ
لَقَدْ كُنْتُ مِنْ وَشَكِ الْفِرَاقِ أَلِيحُ (٢٤)
وَنَحِيبُ أَنِّي فِي الْثِيَابِ صَحِيحُ

وقال آخر:

سَنَحَ الْهَوَى فَكَتَمْتُ نَفْسِي حَاجَةً
نَهَوَى الْخَلِيطِ وَإِنْ أَقَمْنَا بَعْدَهُ
بَلَغَ التَّجَلُّدُ ذُو الْعَسَاءِ الصَّابِرِ
إِنَّ الْمَقِيمَ مُكَلَّفَ بِالسَّائِرِ

(٢٢) ديوان أبي تمام ٦٦/٣.

(٢٣) المصدر السابق ٨١/٢.

(٢٤) لعل الأصل: بعثمة أو بعثبة.

وقال آخر:

وَفِي الْجَبَرَةِ الْغَادِيَةِ مِنْ بَطْنٍ وَجَرَةٍ
فَلَا تَحْسَبِي أَنَّ الْغَرِيبَ الَّذِي نَأَى
غَزَالَ أَحْمُ الْمُقْلَتَيْنِ رَبِيبُ
وَلَكِنْ مَنْ تَنَائَيْنَ عَنْهُ غَرِيبُ (٢٥)

وقال آخر:

تَرَكْتُ بِقَلْبِي مِنْ فِرَاقِكَ لَوْعَةً
أَرْوَحُ وَأَغْدُو مُسْتَكِينًا كَأَنِّي
سَتَلِفُ مَا أَبْقَى وَدَاعُكَ مِنْ نَفْسِي
أُرَاقِبُ حَتْفِي حِينَ أَصْبَحُ أَوْ أُمْسِي

□ □ □

الباب السابع والعشرون:

مَنْ غَابَ قَرِينُهُ كَثُرَ حَيْنُهُ

مِنْ شَأْنٍ مَنْ غَابَ عَنْ خَلِيلِهِ أَنْ تَنَالَهُ حَيْرَةٌ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، يَصْحُو
عَنْهَا وَيَرْجِعُ إِلَيْهِ تَمَيِّزُهُ، فَمَنْ كَانَ الْمُتَنَاولُ لَهُ مِنْ تِلْكَ الْحَيْرَةِ، وَالْأَخِذُ بِعَيْنَانِهِ
مِنْ تِلْكَ الْعَمْرَةِ، دَاعِيًا^(١) مِنْ غَلَبَاتِ الْإِشْتِيَاقِ، وَنَاهِيًا^(٢) عَنِ الْمُقَامِ فِي
قَبْضَةِ الْفِرَاقِ، لَمْ يَتِمَّاكَ عَنْ أَحِبَّاهِ وَقْتُاً مِنَ الْأَوْقَاتِ، وَلَمْ يَتَشَاغَلَ عَنْهُمْ
بِضَرْبٍ مِنَ اللَّذَاتِ. وَمَنْ كَانَ الْأَخِذُ بِيَدِهِ مِنْ تِلْكَ الْعَمْرَاتِ وَالْمُتَخَلِّصُ
بِخَوَاطِرِهِ مِنْ تِلْكَ السَّكَرَاتِ ضَرْبًا مِنَ الْإِشْتِيَاعِ بِغَيْرِ تِلْكَ الْحَالِ، سَلَا عَلَى
مَرِّ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي. وَمَا دَامَ فِي تِلْكَ الْحَيْرَةِ فَهُوَ مُتَشَاغِلٌ بِتَذْكَرٍ مِنْ فَارَقِهِ،
وَالشُّوقِ وَالْحَيْنِ إِلَى مَنْ خَلْفَهُ أَلَمْ تَسْمَعْ. الَّذِي يَقُولُ:

وَإِنَّ أَمْرًا فِي بَلَدَةٍ نَصَفُ قَلْبِهِ
وَدَذْتُ مِنَ الشُّوقِ الْمُبْرَحِ أَنَّنِي
وَنَصَفْتُ بِأُخْرَى غَيْرَهَا لَصَبُورُ
أَعَارُ جَنَاحِي طَائِرٍ فَأَطِيرُ
فَمَا فِي نَعِيمِ الْعَيْشِ بَعْدَكَ لَذَّةٌ
وَلَا لِسُرُورٍ لَسْتُ فِيهِ سُرُورُ

والذي يقول:

بِأَكْنَافِ الْحَجَّازِ هَوَى دَفِينُ
أَجِنُّ إِلَى الْحَجَّازِ وَسَاكِينِهِ
يُؤَرِّقُنِي إِذَا هَدَتْ أَلْعُيُونُ
حَيْنِ الْإِلْفِ فَارَقَهُ الْقَرِينُ
وَأَبْكِي حِينَ تَرَقَّدُ كُلُّ عَيْنٍ
بُكَاءَ بَنٍ زَفَرْتِهِ أُنِينُ

(١) في «م» والمطبوع: داعٍ.

(٢) في «م» والمطبوع: ناهٍ.

(٢٥) البيتان في ديوان المجنون ص ٦١، وكذلك في مصارع العشاق ص ص ٢٩٢، ٣٧٢
وشرح المازوقي ص ١٣٢٧.

وقال آخر:

ذَكَرْتُكَ ذَكَرَى هَائِمٍ بِكَ تَنْتَهِي
وَلَيْسَتْ بِذَكَرَى سَاعَةٍ بَعْدَ سَاعَةٍ
إِلَيْكَ أَمَانِيهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ وَصْلُ
وَلَكِنَّهَا مَوْصُولَةٌ سَا [لَهَا] فَصْلُ

وقال أبو عطاء السندي (٣):

ذَكَرْتُكَ وَالْخِطْبِيُّ يَخْطُرُ بَيْنَنَا
فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي وَإِنِّي لَصَادِقُ
وَإِنْ يَكُ سِحْرًا فَأَعْذِرْنِي عَلَى الْهَوَى
وَقَدْ نَهَكْتُ مِنَّا الْمُنْقَفَةَ السُّمُرُ
أَذَاءَ عَسَانِي مِنْ وَدَادِكَ أَمْ سِحْرُ
وَلِنْ يَكُ ذَاءَ غَيْرِهِ فَلِكِ الْعُذْرُ

وقال آخر:

أَلَا يَا لِقَوْمِي لِلصَّبَابَةِ وَالذِّكْرِ
وَلِلشَّيْءِ تَنْسَاهُ وَتَذْكُرُ غَيْرَهُ
وَلَقَدْ رَسَايَ إِلَيْكَ وَلَا تَذْرِي
وَلِلشَّيْءِ لَا تَنْسَاهُ إِلَّا عَلَى ذِكْرِ

وقال آخر:

رَعَاكَ ضَمَانُ اللَّهِ يَا أُمَ مَالِكِ
يُذَكِّرُنِيكَ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ وَالَّذِي
وَلَلَّهُ أَنْ يَشْفِينِ أَغْنَى وَأَوْسَعُ
أَخَافُ وَأَرْجُو وَالَّذِي أَتَوَقَّعُ (٤)

وقال مسلم بن الوليد:

يُذَكِّرُنِيكَ الْبُخْلُ وَالْجُودُ وَالْعُلَى
فَالْقَاكَ عَنْ مَكْرُوهِهَا مُتَنَزِّهَا
وَقِيلُ الْخَنَا وَالْجِلْمُ وَالْعِلْمُ وَالْجَهْلُ
وَالْقَاكَ فِي مَحْمُودِهَا وَلَكَ الْفَضْلُ (٥)

وقال آخر:

ذَكَرْتُ بِهِ مَنْ لَنْ أَبَالِي بِذِكْرِهِ
تَفَرَّقَ شَعْبٌ فِي آلِنَى مُتَزَايِلِ

(٣) أبو عطاء، واسمه مرزوق، مولى أسد بن خزيمة شاعر من شعراء العصر الأموي...

انظر: الشعر والشعراء (لیدن) ص ٤٨٢ - ٤٨٥.

(٤) البيتان مما نسب إلى المجنون، ديوان المجنون ص ١٨٩، وهما في محاضرات الأدباء ٢٤/٢، وشرح المرزوقي ص ١٣١٦.

(٥) ديوان مسلم بن الوليد ص ٣٣٣ مع اختلاف في الرواية.

وَإِنْ أَمَرًا بِالشَّامِ أَكْثَرُ أَهْلِهِ
وَبُطْنَانٍ لَيْسَ الشُّوقُ عَنْهُ بِغَائِلِ

وقال آخر:

وَذَكَرْتُ هِنْدًا وَالْمَطَايَا تَعْتَلِي
بِالْقَوْمِ قَدْ قَطَعُوا الْعَقِيْقَ وَأَنْجَدُوا
بَعْدَ الطَّرِيقِ فَبَاتَ يَقْسِمُ أَمْرَهُ
أَيُّجُودُ بِالْعَبْرَاتِ أَمْ يَتَجَلَّدُ
وَلَقَدْ حُبِسْتُ عَلَى الْبِعَادِ فَرَادِي
طُولُ الْبِعَادِ حَرَارَةٌ لَا تَبْرُدُ

وقال معاذ ليلي:

ذَكَرْتُكَ حَيْثُ اسْتَأْمَنَ الْوَحْشُ وَالتَّقَتْ رِفَاقُ مِنْ آفَاقٍ شَتَّى شُعُوبُهَا
وَعِنْدَ الْحَظِيمِ قَدْ ذَكَرْتُكَ ذِكْرَةً
أَرَى أَنْ نَفْسِي سَوْفَ يَأْتِيكَ حُوبُهَا
دَعَا الْمُحْرَمُونَ اللَّهَ يَسْتَغْفِرُونَهُ
بِمَكَّةَ يَوْمًا أَنْ تُمَحَّى ذُنُوبُهَا
فَنَادَيْتُ أَنْ يَا رَبِّ أَوَّلَ سِئَلَتِي
لِنَفْسِي لَيْلَى ثُمَّ أَنْتَ حَسِبُهَا
فَإِنْ أَعْطَ لَيْلَى فِي حَيَاتِي لَا يَتَّبِ
إِلَى اللَّهِ عَبْدٌ تَوْبَةً لَا أَنْوِبُهَا (٦)

وقال آخر:

لَقَدْ زَادَنِي الْحُجَّاجُ شَوْقًا إِلَيْكُمْ
وَمَا كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ لِلْحَجِّ قَالِيَا
وَمَا نَظَرْتُ عَيْنِي إِلَى شَخْصٍ قَادِمٍ
مِنْ الْحَجِّ إِلَّا بَلَّ دَمْعِي رِدَائِيَا

وقال آخر:

فَمَا وَجَدْتُ كَوَجْدِي أُمَ سَقْبٍ
أَصَاعَتُهُ فَرَجَعَتِ الْحَنِينَا
وَلَا شَمَطَاءَ لَمْ تَتْرُكْ شَفَاهَا
لَهَا مِنْ تِسْعَةٍ إِلَّا حُنِينَا

وقال بعض الإعراب:

[وَمَا وَجَدْتُ أَعْرَابِيَّةً قَدَقَتْ بِهَا
تَمَنَّتْ أَحَالِيْبَ الرِّعَاءِ وَخِيَمَةً
نَوَى غُرْبَةً مِنْ حَيْثُ لَمْ تَكُ طُلُبِ
بِنَجْدٍ فَلَمْ يَقْدَرْ لَهَا مَا تَمَنَّتْ]

(٦) الأبيات في ديوان المجنون ص ٦٧، وهي في مصارع العشاق ص ٢٥١، الموشى

ص ٥٨، الوساطة ص ٤٣٩، سرح العيون ١١٨/٢، أمالي القالي ٢٧/٢.

إِذَا ذَكَرْتَ مَاءَ الْعِصَاهِ وَطِيبَهُ
بِأَعْظَمَ مِنْ وَجْدٍ بِرِيًّا وَجَدْتُهُ
فَإِنْ يَكُ هَذَا آخِرَ الْعَهْدِ مِنْهُمْ

وقال الحسين الخليل:

يَا مَنْ شَغَلْتُ بِهِجْرِهِ وَوَصَالِهِ
وَاللَّهِ مَا أَلْتَقَتِ الْجُفُونُ بِطَرْفَةٍ

وقال ذو الرمة:

إِذَا خَطَرْتُ مِنْ ذِكْرِ مَيَّةَ خَطَرَةٌ
عَلَى جِنِّ رَاهِقَتِ الثَّلَاثِينَ وَأَرْعَوْتُ
ذَكَرْتُكَ أَنْ مَرَّتْ بِنَا أُمُّ شَادِنٍ
رَأَتْنَا كَأَنَّا عَامِدُونَ لِقَصْدِهَا
هِيَ النَّبِيَّةُ أَعْطَافًا وَجِيدًا وَمُقَلَّةً

وأنشدتني أعرابية بالبادية:

هَلِ الشَّوْقُ إِلَّا مِثْلُ مَا أَتَكَلَّفُ
تَذَكَّرْتُ بَيْتًا مِنْ نَعِيمَةِ وَالنَّوَى
فَقَدْ ظَنُّ هَذَا الْقَلْبُ أَنْ لَيْسَ نَاطِرًا
فَيَا قَلْبُ صَبْرًا وَأَعْتِرَافًا بِمَا قَضَى
تَجَلَّدَ وَأَجْمَلَ وَأَصْطَبِرْ وَأَرْجُرْ أَلْأَسَى
عَسَى دَارُهَا أَنْ تَرْعَوِي بَعْدَ بُعْدِهَا

وَبَرَدَ الْحَصَى مِنْ نَحْوِ نَجْدٍ أَرَنْتِ
عَدَاةَ عَدُوِّنَا غُرْبَةً وَأَطْمَأْنَنْتِ
فَهَذَا الَّذِي كُنَّا ظَنَّنَا وَظَنَنْتِ^(٧)

هَمَمَ أَلْمَنَى وَنَسِيتُ يَوْمَ مَعَادِي
إِلَّا وَذَكَرْتُكَ خَاطِرُ بِفُؤَادِي^(٨)

عَلَى الْقَلْبِ كَادَتْ فِي فُؤَادِكَ تَجَرُّحُ
لِدَاتِي وَكَادَ الْجِلْمُ بِالْجَهْلِ يَرْجَحُ
أَمَامَ الْمَطَايَا تَشْرِبُ وَتَسْنَحُ
بِهِ فَهِيَ تَذْنُو نَارَةً وَتَرْحُزُحُ
وَمَيَّةُ أَبْهَى بَعْدَ مِنْهَا وَأَمْلَحُ^(٩)

أَبِينُ وَعَيْنِي مَاتَنِي الدَّهْرُ تَذَرِفُ
قَرِيبٌ وَقَدْ كَانَ الَّذِي أَتَخَوَّفُ
إِلَى وَجْهِهَا مَا كَذَّبَ اللَّهُ خَنْدِفُ
[لَكَ] اللَّهُ إِنَّ الْحُرَّ بِالصَّبْرِ يُعْرِفُ
لَعَلَّ النَّوَى يَوْمًا بِنَعْمَةٍ تُسَعِفُ
عَلَيْكَ وَتَلْقَاهَا كَمَا كُنْتَ تَعْرِفُ

(٧) الأبيات مما نسب إلى المجنون، الديوان ص ٨٥-٨٦، مع اختلاف في الرواية،

وهي كذلك في أمالي اللي ٢٣/١، ١٣١، ١٠٧/٢-١٠٩، الأغاني ١٦٦/٨.

(٨) انظر «أشعار الحسين الخليل» وانظر تحريجيها.

(٩) الديوان ص ٧٨ مع اختلاف في الرواية.

وقال آخر:

هَلِ الشَّوْقُ إِلَّا أَنْ يَجْنَ غَرِيبٌ
لِيَالِي يَدْعُونِي الصَّبَى فَأُجِيبُهُ
وَقَائِلَةٌ مَا بَالُ لَوْنِكَ شَاحِبًا
فَقُلْتُ لَهَا فِي الصَّدْرِ مِنِّي بَلَابِلُ

وقال بعض الأعراب:

وَلَوْ أَنَّ مَا أَلْقَى وَمَا بِي مِنَ الْهَوَى
تَفْطَرُ مِنْ وَجْدٍ وَذَابَ حَدِيدُهُ
ثَلَاثُونَ يَوْمًا كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ

وقال آخر:

أَصَابَنِي بَعْدَكَ ضُرُّ الْهَوَى
وَيَعْلَمُ اللَّهُ بِحَسْبِي بِهِ

وقال آخر:

أَجْنُ إِلَى لَيْلَى وَقَدْ شَطَطَ النَّوَى
يَقُولُونَ لَيْلَى عَذَّبْتُكَ بِحَبِّهَا

وقال آخر:

أَجْنُ إِلَى أَرْضِ الْحِجَازِ وَحَاجَتِي
وَمَا نَظَرِي مِنْ نَحْوِ نَجْدٍ بِنَافِعِي
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ نَظَرَةٌ ثُمَّ عَبْرَةٌ
مَتَى يَسْتَرِيحُ الْقَلْبُ إِمَّا مُجَاوِرُ

(١٠) البيتان مما نسب إلى المجنون، الديوان ص ٤٧، وقد وردا في محاضرات الأدباء

٢٠/٢.

(١١) الأبيات مما نسب إلى المجنون، الديوان ص ١٣٣، وهي في زهر الآداب (الطبعة

الثانية) ١٢٦/٢ وقد نسبت إلى أعرابي من بني عقيل.

ولبعض أهل هذا العصر:

كَفَى حَزْناً أَلَا أَعَابِينَ بُقْعَةً
وَإِنِّي مَتَى مَا طَابَ لِي خَفَضُ عَيْشَةٍ
فَنَقُصُّ تَذَكَّارِي لَهَا طِيبَ عَيْشَتِي
وقال آخر:

لَئِنْ دَرَسْتَ أَسْبَابَ مَا كَانَ بَيْنَنَا
وَلَا أَنَا مِنْ أَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ بَيْنَنَا
وقال آخر:

خَلِيلِي لَا تَسْتَسْلِمَا وَأَدْعُوا [الَّذِي]
حَيًّا لِإِلَادِ طَيْرِ الْمَحَلِّ أَهْلَهَا
عَسَى أَنْ يَجِلَّ الْحَيُّ جَرَعَاءً وَابِلٍ
أَنِّي كُلَّ عَامٍ زَفْرَةً مُسْتَجِدَّةً
وقال أبو تمام:

إِذَا بَنَتْ لَمْ أَحْزَنْ لِفَقْدِ مُفَارِقِ
فَمَا لَيْتَنِي أَفْدِيكَ مِنْ غُرْبَةِ النَّوَى
وقال آخر:

إِذَا كُنْتُ لَا يُسْلِيكَ عَمَّنْ تُجِبُهُ
فَهَلْ أَنْتَ إِلَّا مُسْتَعِيرُ حُشَاشَةٍ

وقال يزيد بن الطثرية:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْبِشْرَ قَدْ حَالَ دُونَهُمْ
تَلَفْتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى رَأَيْتَنِي

(١٢) لم أجدهما في الديوان.

(١٣) وردا في «شعر يزيد بن الطثرية» ص ١٨٠، وهما في ديوان المجنون ص ١٩٩.

مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا زِدْتُ شَوْقًا إِلَيْكُمْ
تَذَكَّرْتُ أَيَّامًا مَضَتْ لِي لَدَيْكُمْ
فَقُلْتُ سَيَفْنِي ذَا فَيَأْسَى عَلَيْكُمْ

مِنَ الْوَصْلِ مَا شَوْقِي إِلَيْكَ بِدَارِسٍ
عَلَى جُبَلٍ مَا كُنَّا عَلَيْهِ بِبَائِسٍ

لَهُ كُلُّ أَمْرٍ أَنْ يَصُوبَ رَيْعُ
وَجَبْرًا لِعَظَمٍ فِي شَطَاهُ صُدُوعُ
وَعَلَّ النَّوَى بِالظَّاعِنِينَ تَرْبِعُ
تَضْمَنُهَا مِنِّي حَشَى وَضُلُوعُ

سِوَاكَ وَلَمْ أَفْرَحْ بِقُرْبِ مُقِيمٍ
بِكُلِّ خَلِيلٍ وَاصِلٍ وَحَمِيمٍ (١٢)

فِإِرَاقٍ وَلَا يَشْفِيكَ طُولُ تَلَاقٍ
بِمُهْجَةٍ نَفْسٍ آذَنْتُ بِفِرَاقٍ

وَوَافَتْ بَنَاتُ الصَّدْرِ يَهْوِينَ نُرْعَا
وَجَعْتُ مِنَ الْإِصْغَاءِ لَيْتًا وَأَخْدَعَا (١٣)

وقال ابن الدمينة:

حَنَنْتُ لِذِكْرِي مِنْ أُمَيْمَةٍ وَأَرْعَوَى
حَيْنِيًا وَلَوْعَاتٍ يَقْضُنُ لَهَا سِوَى

وقال بعض الأعراب:

فَلَا تُشْرِقَنَّ رَأْسَ الْيَفَاعِ فَإِنِّي
إِذَا شَرِفَ الْمَحْزُونُ بِشْرًا رَأَيْتُهُ

وقال الحسين بن مطير:

إِذَا أَرْتَحَلْتَ مِنْ سَاحِلِ الْبَحْرِ رِفْقَةً
فَإِنْ لَا يُصَاحِبُهَا يُتَبِّعُ بِأَعْيُنٍ

وقال أيضاً:

أَجْنُ وَتَيْسِنِي الْهَوَى نَحْوَ يَثْرِبٍ
كَذَاكَ الْهَوَى يُزْرِئُ مَنْ كَانَ عَاشِقًا

وقال آخر:

فَمَا سِرْتُ مِنْ مِيلٍ وَلَا بَتٌ لَيْلَةٍ
وَكَمْ مِنْ بَدِيلٍ قَدْ وَجَدْنَا وَطُوفَةٍ

وقال زيادة بن زيد (١٧):

تَذَكَّرَ عَنْ شَحْطِ أُمَيْمَةٍ فَأَرْعَوَى
وَإِنْ أَمْرًا قَدْ جَرَّبَ الدَّهْرَ لَمْ يَخَفْ
هَلِ الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ إِلَّا كَمَا أَرَى

(١٤) البيت الأول في ديوان ابن الدمينة ص ١٣٥.

(١٥) البيتان في شعر الحسين بن مطير ص ٧٥، انظر تخريجها.

(١٦) البيتان في المصدر السابق ص ٦٦، انظر تخريجها.

(١٧) لقد مر التعريف به.

ولبعض أهل هذا العصر:

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو عَبْرَةً قَدْ أَظْلَمَتْ وَنَفْسًا إِذَا مَا عَزَّهَا الشُّوقُ ذَلَّتْ
تَجُنُّ إِلَى أَرْضِ الْحِجَازِ وَدُونَهَا تَنَائِفُ لَوْ تَسْرِي بِهَا الرِّيحُ ضَلَّتْ
وَلِيَنِي بِهَا لَوْ لَا أَمَانِي تَغْرُهَا وَقَدْ أَرْجَفْتُ هُوجَ الْمَطَايَا وَكَلَّتْ
أَأْمَنُ مِنْ وَادِي زُبَالَةٍ شَرِبَتْ وَقَدْ نَهَلْتُ مِنْهُ الْكِلَابُ وَعَلَّتْ
سَقَى اللَّهُ رَمْلَ الْقَاعِ [وَالْقَاعِ] فَالَلَوَى فَقَدْ عَطَفْتُ نَفْسِي إِلَيْهِ وَحَنَّتْ
وَأَسْقَى لَوَى جَبَلِي زُرُودَ وَمُرْبَحًا سَحَائِبُ لَا يَلْقَى الظُّلْمَا مَا أَظْلَمَتْ
هَمَمْتُ فَلَمْ أَرْبِعْ عَلَى الْفِكْرِ لَحْظَةً وَقَدْ كَانَ حَظُّ النَّفْسِ أَنْ لَوْ تَأَنَّتْ
وَأَصْبَحْتُ لَهْفَانًا عَلَى مَا أَضَعْتُهُ كَذَاكَ يَكُونُ الرَّأْيُ مَا لَمْ يُثَبَّتْ

□ □ □

الباب الثامن والعشرون:

مَنْ لَمْ يَلْحَقْ بِالْحُمُولِ بَكَى عَلَى الطُّلُولِ

إِذَا كَانَ صَحْوُ الْمَفَارِقِ لِأَحْبَابِهِ مِنَ التَّخَنُّنِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ بِقَلْبِهِ دَاعِيًا لَهُ
قَبْلَ هَوَاهُ، نَدِمَ عَلَى مَقَامِهِ بَعْدَ مُضِيِّ أَحْبَابِهِ أَوْ عَلَى اجْتِرَائِهِ عَلَى السَّفَرِ،
وَأَحْبَبْتُهُ مُقِيمُونَ فِي الْحَضَرِ، فَاسْتَقْبَحَ صَنِيعَهُ، وَتَلَا فَيَ تَصْنِيعَهُ، فَإِنْ كَانَ
الْمُحِبُّ هُوَ الْمَسَافِرُ عَنْ حَبِيبِهِ.

كان كالذي يقول:

بَيْنَمَا هُنَّ مِنْ بِلَاكِتٍ فَالَقَا عِ سِرَاعًا وَالْعَيْسُ تَهْوِي هَوِيًا
خَطَرَتْ خَطَرَةً عَلَى الْقَلْبِ وَهَنًا مِنْ هَوَاهَا فَمَا اسْتَطَعْتُ مُضِيًا
قُلْتُ لَيْتَ إِذْ دَعَانِي لَكَ الشُّو قُ وَلِلْحَادِيَيْنِ كُذَا الْمَطِيًّا^(١)

وكما قال عبيد الراعي:

دَعَانِي آلَهُوَى مِنْ أُمِّ وَبِرٍ وَدُونَهَا ثَلَاثَةُ أَخْمَاسٍ فَدَيْتُكَ دَاعِيَا
فَعُجْنَا لِذِكْرَاهَا وَتَشْبِيهِ صَوْتِهَا قِلَاصًا بِمَجْهُولِ الْفَلَاةِ صَوَادِيَا
بَغْبَرَاءَ مُحْرَافٍ يَبِيتُ دَلِيلُهَا مُشِيحًا عَلَيْهَا لِلْفَرَاقِدِ رَاعِيَا

(١) الأبيات مما نسب إلى المجنون كما في الديوان ص ٢٩١، وقد وردت الأبيات في محاضرات الأدباء ٣٥/٢، زهر الآداب ٥٩/٤ (الطبعة الثانية) وهي منسوبة للمخزومي، الشعر والشعراء ص ص ٣٥٥ - ٣٥٦ كقول أبي بكر بن عبد الرحمن بن السوربن مخزومي، مصارع العشاق ص ٢١٣ رجل من ولد عبد الرحمن بن عوف، ومثله تزيين الأسواق ص ١١٠، وشرح المرزوقي ص ١٢٤٥ لبعض القرشيين.

وَإِنْ كَانَ الْمَحْبُوبُ الْمَسَافِرُ وَالْمُحِبُّ هُوَ الْمُتَخَلِّفُ عَنْ إِلْفِهِ، تَعَسَّفَ (٢)
رُكُوبَ الْمَهَالِكِ فِي الْحَقِيقِ.

كما قال العرجي:

كَمْ قَدْ عَصَيْتُ إِلَيْكَ مِنْ مُتَنَصِّحٍ دَانِي الْقَرَابَةِ أَوْ وَعِيدِي- أَعَادِي
وَتَنُوفَةٍ [عَبْرَاءِ] أَرَبِي عَرَضَهَا شَوْقًا إِلَيْكَ بِلَا هِدَايَةِ هَادِي (٣)

وقال (٤):

قُلْ لِحَادِي الْمِطْيِ يَرْفُقْ قَلِيلًا يَجْعَلِ الْغَيْسَ سَيْرَهُنَّ ذَمِيلًا
لَا تَقْفُهَا عَلَى السَّيْلِ وَدَعُهَا يَهْدِيهَا شَوْقٌ مِنْ عَلَيْهَا السَّيْلًا

وقال (٥):

أَمَّا الدِّبَارُ فَقَلَمًا لَبِثُوا بِهَا بَعْدَ أَشْيَاقِ الْغَيْسِ وَالرُّكْبَانِ
وَضَعُوا سِيَاطَ الشَّوْقِ فِي أَعْنَاقِهَا حَتَّى وَرَدَنَ بِهِمْ عَلَى الْأَوْطَانِ

وقال:

وَيَوْمَ كَتَنُورِ الطَّوَاهِي سَجَرْنَهُ وَالْقَيْنَ فِيهِ الْجَزَلَ حَتَّى تَضُرَّمَا (٦)
قَذَفْتُ بِنَفْسِي فِي أَجِيحِ سَمُومِهِ وَبِالْغَيْسِ حَتَّى بُلَّ مِشْفَرُهَا دَمًا
أَوَّلُ أَنْ أَلْقَى مِنَ النَّاسِ عَالِمًا بِأَخْبَارِكُمْ أَوْ أَنْ أَلِمَّ مُسْلِمًا (٧)

(٢) الأبيات في ديوان الراعي ص ص ٢٨٣ - ٢٨٤ مع اختلاف في الرواية. وهي من قصيدة منتهى الطلب الورقة ١٤٧.

(٣) ديوان العرجي ص ٩٦.

(٤) قول المصنف: «وقال» يعني أن القائل هو الشاعر العرجي أي السابق، ولو كان غيره لقال: وقال آخر، غير أني لم أجِد البيتين في ديوان العرجي.

(٥) وهذا أيضاً مجهول آخر وليس العرجي، ولم أجِد البيتين في الديوان.

(٦) في «م» والمطبوع: سحرته بالحاء، وسجر التنور معروف وهو أن يملا وقوداً.

(٧) وليس الأبيات في ديوان العرجي.

وأنشدني بعض أعراب البادية:

بَانَتْ أُنَيْسُ فَمَا بِالْقَلْبِ مَعْقُولُ وَلَا عَلَى الْجِيرَةِ الْغَادِينَ تَعْوِيلُ
حَتَّى شَدَدْتُ بِرَحْلِي قَبْلَ بَرْدَعِي وَالْقَلْبُ مُخْتَبِلُ وَاللُّبُّ مَتَبُولُ
ثُمَّ آغْتَوَرْتُ عَلَى نِضْوِي لِيُلْحِقَنِي أُخْرَى الْحُمُولِ الْغَوَادِي وَهُوَ مَعْقُولُ

وقال الراعي:

بَانَ الْأَحْبَةُ بِالْعَهْدِ الَّذِي عَهَدُوا فَلَا تَمَالِكْ عَنْ أَرْضِ لَهَا عَمَدُوا
حَتَّى إِذَا حَالَتْ الْأَرْجَاءُ دُونَهُمْ أَرْجَاءُ تَرُمَدُ كُلُّ الطَّرْفِ أَوْ بَعْدُوا
لَوْلَا الْمَخَاوِفُ وَالْأَوْصَابُ قَدْ قَطَعَتْ عَرَضَ الْفَلَاةِ بِنَا الْمَهْرِيَّةِ الْأَجْدُ (٨)

وَلَيْنَ كَانَ أَفْرَطَ فِي الْإِحْسَانِ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ، لَقَدْ أَفْرَطَ فِي الْإِسَاءَةِ
فِي الْبَيْتِ الْآخِرِ. وَلَوْلَا أَنَّ قَوْلَهُ: «فَلَا تَمَالِكْ عَنْ أَرْضِ لَهَا عَمَدُوا» مِنْ
أَحْسَنِ الْكَلَامِ لَفُظًا وَأَصَحِّهِ مَعْنَى وَالْبِقَهِ بِمَا قَصَدْنَاهُ، لَأَضْرَبْنَا عَنْ ذِكْرِهِ لِقَبَاحَةِ
مَا عَقِبَ بِهِ. وَمَا «الْمَخَاوِفُ وَالْأَوْصَابُ» حَتَّى يَعْتَذِرُ بِهَا فِي التَّخَلُّفِ
عَنِ الْأَحْبَابِ؟

لَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ بَشْرَبْنَ مَرَوَانَ كَانَ فِي مُعَسْكَرٍ لَهُ يَظْهَرُ الْبَصْرَةُ، فَنَادَى
بِكَثْرَةِ أَنْصَرَفِ الْجُنْدِ مِنَ الْعَسْكَرِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَنَادَى مُنَادِيهِ: مَنْ وَجَدَ
بِالْبَصْرَةِ مِنَ الْجُنْدِ سُمِرَتْ كَفُّهُ بِمِسْمَارٍ وَكَانَ فِي الْعَسْكَرِ فَتَى يَأْلُفُ خُلَّةً لَهُ
بِالْبَصْرَةِ فَكَتَبَ إِلَيْهَا:

لَوْلَا مَخَافَةُ بَشْرٍ أَوْ عُقُوبَتُهُ وَأَنْ يُسَمَرَ فِي كَفِّي بِمِسْمَارٍ
إِذَنْ لَعَطَلْتُ ثَغْرِي ثُمَّ زُرْتُكُمْ إِنْ الْمُحِبُّ إِذَا مَا أَشْتَاقَ زَوَارٍ

(٨) الأبيات في ديوان الراعي ص ص ٥٤، ٥٥، ٥٧، والقصيدة طويلة أصلها في منتهى الطلب الورقة ١٤١.

فكُتبت إليه :

لَيْسَ الْمُجِبُّ الَّذِي يَخْشَى الْعِقَابَ وَلَوْ
إِنَّ الْمُجِبُّ الَّذِي لَا عَيْشَ يَنْفَعُهُ
كَانَتْ عُقُوبَتُهُ فِي كَيْفَةِ النَّارِ
أَوْ يَسْتَقِرُّ وَمَنْ يَهْوَاهُ فِي السَّادِرِ

فَلَمَّا قَرَأَ الْأَيَّاتَ دَخَلَ الْبَصْرَةَ، فَأَخَذَهُ صَاحِبُ الْحَرَسِ فَجَاءَ بِهِ إِلَى
بِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ، فَقَالَ لَهُ بِشْرٌ: أَلَمْ تَسْمَعْ الْبَدَاءَ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ فَمَا حَمَلَكَ
عَلَى مُخَالَفَتِيهِ؟ قَالَ: هَذِهِ الْأَيَّاتُ، وَدَفَعَهَا إِلَى بِشْرِ، فَلَمَّا قَرَأَهَا أَمَرَ مُنَادِيَهُ
فَنَادَى: مَنْ أَحَبَّ الْمَقَامَ فِي الْعَسْكَرِ فَلْيَقِمْ، وَمَنْ أَحَبَّ دُخُولَ
الْبَصْرَةِ فَلْيَدْخُلْ.

وقال آخر:

فَلَوْ حَشَدُوا بِالْإِنْسِ وَالْجِنِّ دُونَهَا
لَسَقَيْتُ مِنْهُ نَهْلَةً فَرَوَيْتُ (٩)

ولبعض أهل هذا العصر:

سَقَى اللَّهُ الْقَاعَ وَبَلًا وَدِيمَةً
أَشَوْقًا إِلَى نَجْدٍ وَدُونِ لِقَائِهَا
عَلَى أَنَّ عَبْدَ الشُّوقِ لَيْسَتْ تَهْوُلُهُ
بِمَا حَبَلَتْ فَلْتَأْتِي مِنْ بَلَائِهَا
لِتَحْيَى بِهِ تِلْكَ الرُّسُومُ الدَّوَارِسُ
أَهَاوِيلُ يُخْشَى قَطْعُهَا وَبَسَاسُ
حُزُونِ الْفَيَافِي وَاللِّيَالِي الدَّوَامِسُ
فَلَيْسَ لِمَا يَقْضِي بِهِ اللَّهُ حَابِسُ

وله أيضاً:

دَعَانِي الشُّوقُ وَالرُّكْبَانُ قَدْ هَجَدُوا
وَالْقَيْطُ مُحْتَدِمٌ وَالرُّوحُ مُنْصَرِمٌ
وَالْيَبْدُ مُغْبِرَةٌ الْأَرْجَاءِ مُقْفِرَةٌ
فَظَلْتُ طَوْعًا لِدَاعِي الشُّوقِ أَوْقِظُهُمْ
وَالشَّمْسُ فِي آخِرِ الْجُزَاءِ تَتَقَدُّ (*)
وَالرَّأْيُ مُخْتَلَفٌ وَالْحَتَفُ مُطْرَدٌ
كَأَنَّ أَعْلَامَهَا فِي الْآلِ تَرْتَعِدُ
وَعَلَّ أَكْثَرُهُمْ سَاهُونَ مَا رَقَدُوا

(٩) البيتان مما نسب لى المجنون، الديوان ص ٨٤.

(*) صدر البيت غير مستقيم.

حَتَّى إِذَا قُلْتُ شُدُّوا قَالَ بَعْضُهُمْ
يَذْرُونَ مَا وَجَدُوا مِنْ حَرِّ يَوْمِهِمْ
حَرُّ الْفِرَاقِ إِذَا مَا أَلْهَجُرُ سَاعِدَهُ

وقال أبو دهل:

أَتَرُكَ لَيْلَى لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
هَبُونِي أَمْرًا مِنْكُمْ أَضِلُّ بِعِيرِهِ
وَلِلصَّاحِبِ الْمَتْرُوكِ أَعْظَمُ ذِمَّةً
عَفَا اللَّهُ عَنْ لَيْلَى الْغَدَاةَ فَإِنَّهَا

وأنشدني أعرابي ببلاد نجد:

فَلَوْ أَنَّ شَرَقَ الشَّمْسُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
لَدَاوَرْتُ قَطَعَ الْأَرْضِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا

ولبعض أهل هذا العصر:

يَا مَنْ تَجَاوَزَ حَدَّ السَّمْعِ وَالْبَصْرِ
لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا أَلْقَى مِنَ السَّهْرِ
وَمَا تَضَمَّنَ قَلْبِي مِنْ هَوَاكَ إِذَا
أَنْنَى يَضُرُّ نَدَى الْأَمْطَارِ ذَا كَبِدٍ
لَوْ كَانَ دُونَكَ بَحْرُ الصَّبِينِ مُعْتَرِضًا
وَلَوْ أَذِنْتَ وَفِيمَا بَيْنَنَا سَقَرُ
لَا تُكْذِبَنَّ فَمَا حَالَ تَضَمَّنَهَا

قَدْ جُنَّ هَذَا فَخَلُّوا عَنْهُ وَابْتَعِدُوا
وَقَتِ التَّزُولِ وَلَا يَذْرُونَ مَا أَجْدُ
حَرُّ تَخْصُ بِهِ الْأَحْشَاءُ وَالْكَبِدُ

سَوَى لَيْلَى إِنِّي إِذَا لَصُبُورُ
لَهُ ذِمَّةٌ إِنَّ الدِّمَامَ كَبِيرُ
عَلَى صَاحِبٍ مِنْ أَنْ يَضِلَّ بِعِيرُ
إِذَا وَلَّيْتُ حُكْمًا عَلَيَّ تَجُورُ (١٠)

وأهلي وراء [الغرب حيث] تَغِيْبُ
وَقَالَ الْهَوَى لِي إِنَّهُ لَقَرِيبُ

وَمَنْ يَفُوقُ ضِيَاءَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
وَمَا أَقَاسِي مِنَ الْأَشْجَانِ وَالْفِكْرِ
لَمَّا رَأَيْتَ لِحْجَمِي مِنْ أَدَى الْمَطَرِ
حَرَى وَقَلْبٍ بِنَارِ الشُّوقِ مُسْتَعِيرِ
لَخَلْتُ ذَاكَ سَرَابًا دَارِسَ الْأَثَرِ
لَهُوَ الشُّوقُ خَوْضَ النَّارِ فِي سَقَرِ
قَلْبُ الْمَشُوقِ تُوَاظِي حَالَ مُنْتَظَرِ

(١٠) الأبيات في ديوان أبي دهل ص ٧٧. وهي في ديوان المجنون ص ١٣٩ وكذلك في

الأغاني ٧٥/٢، ١٣١/١٨، لباب الآداب ص ٤١٤، وقد نسبت لى مجهول (آخر) في

شرح المازوقي ص ١٣٠٥.

وقال بعض الأسديين:

فَإِنْ تَدْعِي نَجْدًا نَدْعُهُ وَمَنْ بِهِ
وَإِنْ كَانَ يَوْمَ الْوَعْدِ يَوْمَ لِقَائِنَا
وقال نوال^(١١):

وَإِنْ تَرْتَبِعَ رِيًّا بَغُورَ تَهَامَةٍ
وَإِنْ حَارَبْتَ رِيًّا نُحَارِبُ وَإِنْ تَدْنُ
وقال امرؤ القيس بن حجر:

[وَأَصْبَحْتُ وَدَعْتُ الصَّبَى غَيْرَ أَنِّي
فَمِنْهُمْ نَصُّ الْعَيْسِ وَاللَّيْلُ دَامِسُ
خَوَارِجٍ مِنْ بَرِّيَّةٍ نَحْوَ قَرْيَةٍ
أَرَأَيْتَ خَلَّاتٍ مِنْ الْعَيْشِ أَرْبَعًا
يُمَيِّمْنَ مَجْهُولًا مِنَ الْأَرْضِ بَلَقًا
يُجَدِّدْنَ وَصَلًا أَوْ يُقَرِّبْنَ مَطْمَعًا^(١٢)

وقال ذو الرمة:

تَذَكَّرْتُ مَيًّا بَعْدَمَا حَالَ دُونَهَا
إِذَا لَامِعَاتُ الْبَيْدِ أَعْرَضْنَ دُونَهَا
سُهُوبٌ تَرَامَى بِالْمَرَايِسِلِ بِيَدِهَا
تَقَارَبَ لِي مِنْ حُبِّ مَيِّ بَعِيدَهَا^(١٣)

وقال ضبابي بن الحارث بن أرطاة البرجمي^(١٤):

وَكَمْ دُونَ سُلْمَى مِنْ فَلَاةٍ كَأَنَّمَا
مُحَقَّقَةٌ لَا يَهْتَدِي لِسَبِيلِهَا
يُهَا بِهَا رَكْبُ الْفَلَاةِ مِنَ الرَّدَى
قَطَعَتْ إِلَى مَعْرُوفِهَا مُنْكَرَاتِهَا
تَجَلَّلَ أَعْلَاهَا مُلَاءٌ مُفَصَّلًا
مِنْ الْقَوْمِ إِلَّا مَنْ مَضَى وَتَوَكَّلَا
وَمِنْ خَوْفِ حَادِيهِمْ وَمَا قَدْ تَحَمَّلَا
إِذَا آلَالُ الْبَيْدِ الْبَسَاسِ هَرُولا

(١١) لم أقف على «نوال» إلا في كتابنا هذا، ولعله شيء من عبث الناسخ. والبيتان من قوله كما ورد في كتابنا وجدتها في ديوان المجنون مع اختلاف في الرواية في الصفحة ١١٧.

(١٢) انظر الديوان ص ١٣٠.

(١٣) انظر الديوان ص ١٦٤ مع اختلاف في الرواية.

(١٤) شاعر جاهلي، وأدرك الإسلام (أبام عثمان، انظر الشعر والشعراء (لیدن) ص ٢٢٦

المعاني الكبير ص ص ٧٣٥، ٧٥٥ والأبيات في الأصمعيات ص ٢٠٦.

وقال جميل بن معمر:

أَلَا أَيُّهَا الْعُشَّاقُ وَيَحْكُمُ هُبُوا
أَلَا رَبُّ رَكْبٍ قَدْ رَفَعْتُ وَجِيهَهُمْ
لَهَا النُّظْرَةُ الْأُولَى عَلَيْهِمْ وَبَسْطَةُ
أَسْأَلُكُمْ هَلْ يَقْتُلُ الرَّجُلَ الْحُبُّ
إِلَيْكَ وَلَوْزَ أَنْتَ لَمْ يُوجِبِ الرُّكْبُ
وَإِنْ كَرَّتِ الْأَبْصَارُ كَانَ لَهَا الْعَقَبُ^(١٥)

وقال جرير:

لَشَتَّانَ يَوْمٌ بَيْنَ سِجْفٍ وَكِلَّةٍ
نَقِيسُ بَقِيَّاتِ الْبَطَافِ عَلَى الْحَصَى
وَيَوْمٌ مِنَ الْجَوَازِ مُسْتَوْدِ الْحَصَى
شَدِيدِ اللَّطَى حَامِي الْوَدِيقَةِ رِيحُهُ
نَضَبْتُ لَهُ وَجْهِي وَحَرْفًا كَأَنَّهَا
وَمَرُّ الْمَطَايَا تَغْتَدِي وَتَرْوُحُ
وَهْنٌ عَلَى طَيِّرِ الْحَيَازِيمِ جُنْحُ
تَكَادُ صَيَاصِي الْعَيْنِ فِيهِ تَصِيحُ
أَشَدُّ لَطَى مِنْ شَمْسِهِ حِينَ يَضْمَحُ
مِنْ الْجَهْدِ وَلَا سَادَ قَرْمٍ مُلَوِّحُ^(١٦)

وقال علي بن محمد العلوي:

هَذَا وَحَرْفٌ إِذَا مَاتَتْ [مَقَاصِلُهُ]
بِهِمَا لَا يَخْطُهَا الدَّلِيلُ [سُرَى]
جَاوَزَتْهَا وَالرَّدَى رَحْبٌ مَعَالِمُهُ
عَنْ رَاكِبٍ وَصَلَتْ أَكْفَالُهُ بِيَدُ
إِلَّا وَنَاطِرُهُ بِالنَّجْمِ مَعْقُودُ
فِيهَا وَمَسْلُكُهَا بِالْخَوْفِ مَسْدُودُ

ولبعض أهل هذا العصر:

كَأَنَّ أَعْلَاهُ بِالْأَفْلَاكِ مُتَسَيِّجُ
كَأَنَّ حَصْبَانَهَا تَحْتَ الدُّجَى سُجُ
حَسِبْتَنَ أَعْلَامَهَا فِي آلَالٍ تَخْتَلِجُ
لِلْجَنِّ بِاللَّيْلِ فِي أَقْطَارِهَا وَهَجُ
كَمْ دُونَ أَرْضِكَ مِنْ وَادٍ وَمِنْ عِلْمٍ
وَمِنْ مُرُوجٍ كَظْهَرِ التُّرْسِ مُظْلِمَةٍ
حَتَّى إِذَا الشَّمْسُ لَاحَتْ فِي سَبَاسِبِهَا
وَكَمْ فَلَاةٍ يَقُوتُ الطَّرْفُ آخِرَهَا

(١٥) لم أجد الأبيات في ديوان جميل، ولكني وجدتها فيما نسب إلى المجنون، الديوان ص ٣١٧، كما وجدتها في شرح المروزقي ص ١٤٢٤، وكذلك في أمالي القاضي

٢٩٨/٢.

(١٦) ديوان جرير ص ص ٨٣٥ - ٨٣٦.

يَهْمَاءُ غَبْرَاءُ لَا يَذْرِي الدَّلِيلُ بِهَا فِي أَيِّ أَرْجَائِهَا يُرْجَى لَهُ الْفَرْجُ
قَطَعْتُهَا بِأَبْنِ حَرْفٍ ضَامِرٍ قَطِمٍ صَلَبَ الْمَنَاسِمِ فِي إِرْقَالِهِ هَوَجُ
شَوْقًا إِلَيْكَ وَلَوْلَا مَا أَكْبَدُهُ لَكَانَ لِي فِي بِلَادِ اللَّهِ مُنْفَرَجُ
فَإِنْ تَجِدْ لِي فَمَحْفُوقٌ بِذَلِكَ وَإِنْ تَبَخَّلَ عَلَيَّ فَلَا لَوْمَ وَلَا حَرْجُ

قَوْلُهُ: «فَمَحْفُوقٌ بِذَلِكَ» يَعْنِي: أَنْتَ مَحْفُوقٌ بِالْفَضْلِ لَيْسَ تَجَشُّبِي
مَا وَصَفْتَهُ لَكَ أَوْجَبَ ذَلِكَ لِي عَلَيْكَ بِذَلِكَ. عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ «بِذَلِكَ» قَوْلُهُ: «وَإِنْ
تَبَخَّلَ عَلَيَّ فَلَا لَوْمَ وَلَا حَرْجُ» لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ حَقًّا لَهُ كَانَ ظَالِمَهُ حَرْجًا. فَعَلَى هَذَا
التفسير يَصِيرُ مَعْنَى الْكَلَامِ صَحِيحًا، وَلَوْ قَصَدَ ذَلِكَ الْمَعْنَى الْآخَرُ كَانَ
خَطْلًا قَبِيحًا.

وقال آخر:

أَقُولُ لِصَاحِبِي بِأَرْضِ نَجْدٍ وَجَدْتُ مَسِيرُنَا وَدَنَا الطَّرُوقُ
أَرَى قَلْبِي سَيَنْقَطِعُ أَشْتِيَاقًا وَأَحْزَانًا وَمَا أَنْقَطَعَ الطَّرِيقُ

وقال آخر:

لَمَّا وَرَدْتُ التَّغْلِبَ يَّةً عِنْدَ مُنْصَرَفِ الرِّفَاقِ
وَسَمَمْتُ مِنْ أَرْضِ الْحِجَا زِ نَسِيمِ أَرْوَاحِ الْعِرَاقِ
أَيَقَنْتُ لِي وَلَمَنْ أَجَدَ بٌ بِجَمْعِ شَمْلٍ وَأَتَّفَاقِ

قوال القعقاع الذهلي (١٧):

خَلِيلِي مَا مِنْ لَيْلَةٍ تَسْرِيَانِيهَا مِنْ الدَّهْرِ إِلَّا نَفَسْتُ عَنْكُمَا كَرَبَا
أَلَيْسَ يَزِيدُ السَّيْرُ عَنْ كُلِّ لَيْلَةٍ [وَيَزِدَادُ] يَوْمٌ مِنْ أَحْيَيْنَا قُرَبَا
إِذَا الْجَبَلُ النَّائِي حَوَاكِ مَقِيلُهُ جَعَلْنَا عَلَيْنَا أَنْ نَجَاوِرَهُ نَحْبَا
فَمَا ذَكَرْتُ عِنْدِي لَهَا مِنْ سَمِيَّةٍ فَتَمْلِكَ عَيْنِي مِنْ مَدَامِعِهَا غَرَبَا

(١٧) القعقاع الذهلي بن شور الربيعي، انظر معجم الشعراء ص ٢٠٩.

مِنْ شَأْنٍ مَنْ قَصَدَ لِقَاءَ أَحْبَابِهِ أَنْ تَتَطَاوَلَ عَلَيْهِ الطَّرِيقُ عِنْدَ اقْتِرَابِهِ
وَيَلْحَقَهُ حِينُودٌ مِنَ الضُّجْرِ مَعَ قُرْبِهِ مِنْهُ أَضْعَافُ مَا نَالَهُ إِذْ كَانَ مُتَبَاعِدًا عَنْهُ.

وفي ذلك يقول الموصلي (١٨):

طَرِبْتُ إِلَى الْأَصْبِيَّةِ الصَّغَارِ وَهَاجَكَ مِنْهُمْ قُرْبُ الْمَزَارِ
وَأَبْرَحُ مَا يَكُونُ الشَّوْقُ يَوْمًا إِذَا دَنَتْ الدِّيَارُ مِنَ الدِّيَارِ
فَهَذَا لَعَمْرِي قَوْلٌ حَقٌّ غَيْرُ أَنَّهُ لَمْ يُخْبِرْ بِعَلَّتِيهِ.

ولقد أحسن الذي يقول في نحوه:

هَلِ الْحُبُّ إِلَّا زَفْرَةٌ بَعْدَ غَبْرَةٍ وَحَرٌّ عَلَى الْأَحْشَاءِ لَيْسَ لَهُ بَرْدُ
وَقَيْضُ دُمُوعِ الْعَيْنِ يَا مَيِّ كُلَّمَا بَدَأَ عِلْمٌ مِنْ أَرْضِكُمْ لَمْ يَكُنْ يَبْدُو

وقد ذكر عمر بن أبي ربيعة هذا المعنى فجوده أنشدني له أبو العباس
أحمد بن يحيى:

خَلِيلِي مَا بَالُ الْمَطَايَا كَانَتْهَا نَرَاهَا عَلَى الْأَدْبَارِ بِالْقَوْمِ تَنْكِصُ
وَقَدْ أَتَعَبَ الْحَادِي سُرَاهُنَّ وَأَنْشَنِي بِهِنَّ فَمَا بِالرَّاجِعَاتِ مُقْلِصُ
وَقَدْ قُطِعَتْ أَعْنَاقُهُنَّ صَبَابَةً فَأَنْفُسُهَا مِمَّا يُلَاقِينَ شَخْصُ
يَزِدُنَ بِنَا قُرَبًا فَيَزِدَادُ شَوْقُنَا إِذَا أَرْدَادُ طَوْلِ الْعَهْدِ وَالْبُعْدِ يَنْقُصُ (١٩)

أَفَلَا تَرَى إِلَى إِبْضَاحِهِ أَنَّ الْعِلَّةَ فِي تَزَايِدِ شَوْقِهِ إِنَّمَا هِيَ تَطَاوُلُ مَدَّةٍ.
وَأَنَّهُ كُلَّمَا قُطِعَ جُزْءٌ مِنَ الطَّرِيقِ فَقَرُبَ الْمَقْصُودُ زَادَ فِي مَدَّةِ الْمَفَارَقَةِ وَقَتُّ،
فَزَادَ الْأَشْتِيَاقُ عَلَى حَسَبِ تَزَايِدِ مَدَّةِ الْفِرَاقِ. عَلَى أَنَّ عَمَرَ قَدْ أَوْضَحَ أَشْيَاءَ

(١٨) أكبر الظن أن «الموصلي» هو إسحاق، وقد مرت ترجمته، والبيتان في أمالي القاضي

٥٥/١، زهر الآداب ٥١٠/٢.

(١٩) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ١١٤.

وَأَغْفَلَ شَيْئًا، مَنْ أَنْ تَطَاوَلَ الْمُدَّةُ يَزِيدُ فِي الشُّوقِ مَعَ تَقَارُبِ الشُّقَّةِ. وَلَمْ يَذْكُرْ
أَنْ قُوَّةَ الرَّجَاءِ لِسُرْعَةِ الْإِلْقَاءِ مِنْ أَقْوَى الْأَسْبَابِ فِي تَقْوِيَةِ الشُّوقِ
عِنْدَ الْإِقْتِرَابِ.

□ □ □

الباب التاسع والعشرون:

مَنْ قَصَرَ عَنْ مُصَاحَبَةِ الْجَارِ لَمْ تَنْفَعُهُ مُسَاءَلَةُ الدَّارِ

حَدَّثَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى التَّحَوِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ
قَالَ: حَدَّثَنَا الْهَرَوِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ جَعْفَرِ بْنِ كَثِيرٍ قَالَ: كَانَ الْمَجْنُونُ
لَمَّا أَصَابَهُ مَا أَصَابَهُ يَخْرُجُ فَإِذَا أَتَى الشَّامَ، قَالَ لَهُمْ: أَتَيْنَ أَرْضَ بَنِي عَامِرٍ؟
فَقَالُوا: لَهُ وَآيَنَ أَنْتَ مِنْ أَرْضِ بَنِي عَامِرٍ؟ وَقَفَ عِنْدَ جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ التَّوْبَادُ ثُمَّ
أَنْشَدَ:

وَأَجْهَشْتُ لِلتَّوْبَادِ لَمَّا رَأَيْتُهُ وَهَلَّلَ لِلرَّحْمَانِ حِينَ رَأَيْتُ *
وَأَذْرَيْتُ دَمْعَ الْعَيْنِ لَمَّا رَأَيْتُهُ وَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ فَدَعَانِي
وَقُلْتُ لَهُ أَتَيْنَ الَّذِينَ عَاهَدْتُهُمْ حَوَالِيكَ فِي عَيْشٍ وَخَيْرِ زَمَانٍ
فَقَالَ مَضَوْا وَاسْتَوْدَعُونِي بِلَادَهُمْ وَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْقَى عَلَى الْخَدَّائِنِ
وَلَيْتَنِي لَا بَكِي الْيَوْمَ مِنْ حَذْرِي غَدًا فِرَاقَكَ وَالْحَيَّانِ مُؤْتَلِفَانِ
سَجَالًا وَتَهْتَانًا وَوَيْلًا وَدِيمَةً وَسَحًا وَتَسْجَامًا وَيَنْهَمِلَانِ^(١)

قَالَ: ثُمَّ يَمْضِي حَتَّى يَأْتِيَ الْعِرَاقَ فَيَقُولُ مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَأْتِي الْيَمْنَ فَيَقُولُ
مِثْلَ ذَلِكَ.

وقال الوليد بن عبيد الطائي:

ذَاكَ وَادِي الْأَرَاكِ فَاحْسٍ قَلِيلًا مُقْصِرًا مِنْ صَبَابَةٍ أَوْ مُطِيلًا
قِفْ مَشُوقًا أَوْ مُسْعِدًا أَوْ حَزِينًا أَوْ مُعِينًا أَوْ عَازِرًا أَوْ عَدُولًا

(١) الأبيات في ديوان المجنون ص ٢٧٥، وكذلك في الأغاني ٥٣/٢، وأما

القال ٢٠٧/١، أمالي المرتضى ٣١٠/٢.

إِنَّ بَيْنَ الْكَيْبِ فَالْجَزَعِ فَالْأَلَا
أَبْلَتْ الرِّيحُ وَالرَّوَائِحُ وَالْأَلَا
وَحِلَافُ الْجَبِيلِ قَوْلُكَ لِلدَّاءِ
لَا تَلْمِهُ عَلَى مُوَاصِلَةِ الدَّمِ
لَمْ يَكُنْ يَوْمَنَا طَوِيلًا بِنُعْمَا

وقال يحيى بن منصور^(٣):

أَمَّا يَسْتَفِيقُ الْقَلْبُ إِلَّا أَنْبَرَى لَهُ
أَخَادِعُ عَنْ عِرْفَانِهَا الْعَيْنُ إِنَّهَا
عَهْدَنَا بِهَا وَحُشًا عَلَيْهَا بَرَاقِعُ

وقال ذو الرمة:

أَنَّ تَرَسَّمْتَ مِنْ خَرَقَاءَ مَنْزِلَةً
مَنَازِلُ الْحَيِّ إِذْ لَا الدَّارُ نَارِخَةً
تَعْتَادُنِي زَفَرَاتُ جِبِنٍ أَذْكُرُهَا

وقال أيضاً:

كَأَنَّ دِيَارَ الْحَيِّ بِالزُّرْقِ حَلَقَةً
إِذَا قُلْتُ تَعْفُوا لَأَحَ مِنْهَا مُهَيِّجُ
وَمَا أَنَا فِي دَارٍ لِمَيَّ عَرَفْتُهَا
إِذَا قُلْتُ بَعْدَ الْجُهْدِ يَا مَيَّ نَلْتَقِي
وَدَوِيَّةٍ مِثْلُ السَّمَاءِ اعْتَسَفْتُهَا

(٢) ديوان البحري ص ١٧٦٢ مع اختلاف في الرواية.

(٣) هو يحيى بن منصور الحنفي من شعراء الحماسة (التبريزي) ٣١٠/١. قال أبو رياش:

هذا غلط من أبي تمام، يحيى بن منصور هو ذهلي.

(٤) الديوان ص ٥٦٧ مع اختلاف في الرواية.

(٥) المصدر السابق ص ١٣٨.

رَامَ رَبْعاً لَّالٍ هِنْدٍ مَجِيلًا
يَامُ مِنْهُ مَعَالِمًا وَطُلُولًا
كِرَ عَهْدِ الْأَحْيَابِ صَبْرًا جَمِيلًا
عَ وَلَوْ لَوْمُ الْخَلِيلِ الْخَلِيلًا
نِ وَلَكِنْ كَانَ الْبُكَاءُ طَوِيلًا^(٢)

تَوَهُمُ دَارٍ مِنْ سَعَادٍ وَمَرْبَعٍ
مَتَى تَثْبِتِ الْأَطْلَالَ عَيْنِي تَذَمُّعٍ
وَهَيْذِي وَحُوشُ حُسْرٍ لَمْ تُزْزَعْ

مَاءُ الصَّبَابَةِ مِنْ عَيْنَيْكَ مَسْجُومُ
بِالْأَصْفِيَاءِ وَإِذْ لَا الْغَيْشُ مَذْمُومُ
تَكَادُ تَنْقُذُ مِنْهُمْ الْحَيَازِيمُ^(٤)

مِنْ الْأَرْضِ أَوْ مَكْتُوبَةً بِمَدَادٍ
عَلَيَّ الْهَوَى مِنْ طَارِفٍ وَنَلَادٍ
بِجَلْدٍ وَلَا عَيْنِي بِهَا بِجَمَادٍ
عَذَنِي بِكُرْهِ أَنْ أَرَاكَ عَوَادِي
وَقَدْ صَبَغَ اللَّيْلُ الْحَصَى بِسَوَادٍ^(٥)

أَمَّا تَشْبِيهُهُ رُسُومَ الدَّارِ بِالْحَلَقَةِ مِنْ الْأَرْضِ فَهَذَا إِحْسَانٌ فِي مَعْنَاهُ،
وَأَعْرَابٌ فِي لَفْظِهِ. وَمَا أَسَاءَ فِي تَشْبِيهِهَا بِالْكِتَابَةِ بِالْمَدَادِ، غَيْرَ أَنَّ هَذَا مَسْبُوقٌ
إِلَيْهِ فَالْمُعِيدُ لِذِكْرِهِ غَيْرُ مَلُومٍ فِيهِ، وَلَا مَحْمُودٌ عَلَيْهِ. وَأَمَّا إِخْبَارُهُ بِأَنَّهَا تَهْيِجُ
هَوَاهُ وَأَذْكَارُهُ، فَهُوَ أَيْضًا مَعْنَى غَيْرُ مُبْتَدَعٍ، إِلَّا أَنَّهُ يَذَلُّ عَلَى ضَعْفٍ فِي
الْحَالِ، وَنَقْصٍ فِي الْجَزَعِ. وَيَشْهَدُ بِمَا قُلْنَا أَعْتِدَارُهُ إِلَى مَنْ يَهْوَاهُ، وَمَنْ
تَرْكِبُهُ الْقَصْدُ إِلَى لِقَائِهِ بِأَنَّهُ إِذَا عَزَمَ عَلَى ذَلِكَ، عَدَاهُ عَنْهُ مُكْرَهُ مِنْ أَشْغَالِهِ،
وَكُلُّ هَذِهِ الْأَوْصَافِ تَذَلُّ عَلَى قُصُورِ حَالِهِ.

ولقد قال البحري في أكثر هذه الأحوال فأحسن فيما قال فمن ذلك

قوله:

دَمِنْ كَمِثْلِ طَرَائِقِ الْوُشَى أَنْجَلَتْ
يَضْعُفْنَ عَنْ إِذْكَارِنَا عَهْدَ الصَّبَى
وَلَرُبَّ دَهْرٍ قَدْ تَبَسَّمَ ضَاحِكًا
مِنْ قَبْلِ دَاعِيَةِ الْفِرَاقِ وَرَحَلَةَ
لَا كَلِيفَنَّ الْعَيْسَ أَبْعَدَ غَايَةِ
لَمَعَاتُهُنَّ مِنَ الرِّدَائِ الْمُنْهَجِ
أَوْ أَنْ يَهْجَنَ صَبَابَةً لَمْ تَهْتَجِ
عَنْ طَرَّتِي زَمَنٍ يَهْنُ مُدْبَجِ
مَنْعَتْ مُغَازِلَةَ الْغَزَالِ الْأَدْعَجِ
يَجْرِي إِلَيْهَا خَائِفٌ أَوْ مُرْتَجِ^(٦)

وله أيضاً:

لَا تَقِفْ بِي عَلَى الدِّيَارِ فَإِنِّي
لَاخِي الْحُبِّ عَنْ بُكَاءِ الطُّلُولِ^(٧)
لَسْتُ مِنْ أَزْبَعِ وَرَسْمِ مُجِيلِ
فِي بُكَاءٍ عَلَى الْأَجْبَةِ شُغْلِ

على أنه نقض أيضاً على نفسه هذا المعنى الذي استحسناه بقوله:

أَيْنَ أَهْلُ الْقِيَابِ بِالأَجْرَعِ الْفَرِّ دِ تَوَلَّوْا [لَا] أَيْنَ أَهْلُ الْقِيَابِ

(٦) ديوان البحري ص ٤٠٠ مع اختلاف في الرواية.

(٧) المصدر السابق ص ١٦٧٤.

سَقَمَ دُونَ أَعْيُنِ ذَاتِ سُقْمٍ وَعَذَابَ دُونَ الثَّنَائِيَا الْعَذَابِ
وَكَمِثْلِ الْأَحْبَابِ لَوْ يَعْلَمُ الْعَالَمُ ذِلَّ عِنْدِي مَنَازِلُ الْأَحْبَابِ (٨)

فَهُوَ يُؤْهِمُنَا فِي الْأَيَّاتِ الْأُولَى أَنَّ الصَّبَابَةَ قَدْ مَلَكَتْ هِمَمَهُ وَأَفْكَارَهُ،
وَتَنَاوَلَتْ خَوَاطِرُهُ وَأَذْكَارُهُ، حَتَّى لَمْ تَدَعْ فِيهِ فَضْلاً لِعَارِضٍ يَهْجُهُ، وَلَا لِمَنْزِلٍ
يُذَكِّرُهُ. وَأَنَّ شُغْلَهُ بِالتَّفَرُّدِ بِالبَّكَاءِ عَلَى إِلْفِهِ يَمْنَعُهُ مِنَ التَّشَاغُلِ بِالْوُقُوفِ عَلَى
مَنْزِلِهِ. وَهُوَ فِي هَذِهِ الْأَيَّاتِ لَا يَرْضَى أَنْ يَجْعَلَ الْبُكَاءَ عَلَى الدَّارِ، لِضُرُوبٍ
مِنْ ضُرُوبِ الْإِذْكَارِ، بِرُغْمِ أَنْ مَوْقِعَهَا فِي فُؤَادِهِ، كَمَوْقِعِ مَنْ كَانَ فِيهَا مِنْ
أَحْبَابِهِ. وَهَذَا أَفْرَطُ فِي التَّفَاوُتِ وَالْمُنَاقَضَاتِ، غَيْرَ أَنَّ مَنْ تَكَلَّمَ عَلَى قَدْرِ
الْأَوْقَاتِ، وَجَرَى مَعَ أَحْكَامِ الْهَوَى عَلَى حَسَبِ الْغَايَاتِ، غَدَرَ بَلْ تَحِيلَ فِي
قَوْلِهِ فَضْلاً عَنْ أَنْ يَخَالِفَ مَذْهَباً إِلَى غَيْرِهِ.

ولقد أنصف الذي يقول:

لَحَمْرُكَ مَا أَبْكِي عَلَى الدَّارِ إِذْ خَلْتُ وَلَكِنْ لِأَهْلِ الدَّارِ إِذْ وَدَّعُوا الدَّارَا
تَوَلَّوْا قَوْلِي الْعَيْشُ مِنْ بَعْدِ غِبْطَةٍ وَأَبْقُوا بِقَلْبِي مِنْ تَذَكُّرِهِمْ نَارَا

وقال ذو الرمة:

بَجَرَعَائِهَا مِنْ سَاكِنِ الْحَيِّ مَلْعَبٌ وَآرِي أَفْرَاسٍ كَجُرْثُومَةِ الشَّمْلِ
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْهَا الْحَيُّ إِذْ أَنْتَ مَرَّةً بِهَا مَيِّتُ الْأَهْوَاءِ مُجْتَمِعِ الشَّمْلِ
بَكَيْتُ عَلَى مَيِّ بِهَا إِذْ عَرَفْتُهَا

وَهَجَتْ الْهَوَى حَتَّى بَكَيْلَا الْقَوْمُ مِنْ أَجْلِي
فَظَلُّوا وَمِنْهُمْ دَمْعُهُ غَالِبٌ لَهُ وَآخِرُ يَثْنِي عِبْرَةَ الْعَيْنِ بِالْهَمْلِ
وَهَلْ هَمَلَانَ الْعَيْنِ رَاجِعٌ مَا مَضَى مِنْ الْوَجْدِ أَوْ مُذْنِكِ يَا مَيِّ مِنْ أَهْلِي
أَلَا لَا أَبَالِي الْمَوْتِ إِنْ كَانَ قَبْلَهُ [لِقَاءُ] لِمَيِّ وَارْتِجَاعُ مِنَ الْوُضُلِ (٩)

(٨) المصدر السابق ص ٨٣.

(٩) الديوان ص ٨٥ مع اختلاف في الرواية.

وقال أيضاً:

قِفْ الْعَيْسَ فِي أَطْلَالِ مَيَّةٍ فَاسْأَلْ رُسُوماً كَأَخْلَاقِ الرِّدَاءِ الْمُسْلَسِ
أَطْنُ الَّذِي يُجِدِّي عَلَيْكَ سُؤَالَهَا دُمُوعاً كَتَبْذِيرِ الْجَحَانِ الْمَفْصَلِ
وَكَاثِنُ تَخَطَّتْ نَاقَتِي مِنْ مَفَازَةٍ وَمِنْ نَائِمٍ عَنْ لَيْلَةٍ مُتَزَمِّلِ (١٠)

وقال ذو الرمة:

وَقَفْتُ عَلَى رَبْعٍ لِمَيَّةٍ نَاقَتِي وَفَمَا زِلْتُ أَبْكِي عِنْدَهُ وَأَخَاطِيطُهُ
وَأُسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَبْثُهُ تَكَلِّمُنِي أَحْجَارُهُ وَمَلَاعِبُهُ
أَلَا لَا أَرَى مِثْلَ الْهَوَى دَاءً مُسْلِمٍ كَرِيمٍ وَلَا مِثْلَ الْهَوَى لَيْمَ صَاحِبُهُ (١١)

وقال أيضاً:

أَمَنْزِلَتِي مَيِّ سَلَامٌ عَلَيْكُمَا هَلْ الْأَرْزُومُنُ اللَّاتِي مَضَيْنَ رَوَاجِعُ
وَهَلْ يَرْجِعُ التَّسْلِيمُ أَوْ يَكْشِفُ الْعَمَى ثَلَاثُ الْأَثَافِي وَالِدِيَارُ الْبَلَاغِ
تَوَهَّمْتُهَا يَوْمًا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي وَلَيْسَ بِهَا إِلَّا الطَّبَاءُ الْخَوَاضِعُ
قِفْ الْعَيْسَ تَنْظُرُ نَظْرَةً فِي دِيَارِهَا وَهَلْ ذَاكَ مِنْ دَاءِ الصَّبَابَةِ نَافِعُ
فَقَالَ أَمَا تَغْشَى لِمَيَّةَ مَنْزِلًا مِنْ الدَّهْرِ إِلَّا قُلْتُ هَلْ أَنْتَ رَابِعٌ (١٢)

وقال أبو تمام:

أَوْ مَا رَأَيْتَ مَنَازِلَ ابْنَةِ مَالِكٍ رَسَمَتْ لَهُ كَيْفَ الزَّفِيرُ رُسُومَهَا
وَكَاثِنًا أَلْقَى عَصَاهُ بِهَا أَلْبَلَى مِنْ شُقَّةٍ قُذِفَ فَلَيْسَ يَرِيْمُهَا
وَالْحَادِثَاتُ وَإِنْ أَصَابَكَ بُؤْسُهَا فَهُوَ الَّذِي أَنْبَاكَ كَيْفَ نَعِيمُهَا
فَلَقَبْلُ أَظْهَرَ صَقْلُ سَيْفٍ إِثْرُهُ فَبَدَا وَهَذَبَتْ الْقُلُوبُ هُمُومَهَا (١٣)

(١٠) المصدر السابق ص ٥٠١.

(١١) المصدر السابق ص ٣٨.

(١٢) المصدر السابق ص ٣٣٢.

(١٣) ديوان أبي تمام ٢٧٣/٣.

وقال البحرني:

أَمَحَلَّتْنِي سُلْمَى بِكَاطِمَةَ أَسْلَمَا
أَبْكَيْكُمَا دَمْعاً وَلَوْ آتَى عَلَى
طَلَلًا أَكْفَكِفْ فِيهِ دَمْعاً مُعْرِباً
تَأَبَّى رَبَّاهُ أَنْ تُحِيبَ وَلَمْ يَكُنْ

وقال أيضاً:

يَا يَوْمَ عَرَجَ بَلْ وَرَاءَكَ يَا عَدُو
فِي كُلِّ يَوْمٍ دِمْنَةٌ مِنْ حُبِّهِمْ
دَمِنْ تَقْصَاضَاهُنَّ أَعْلَامُ الْبَلَى
حَتَّى فَيَنْ وَمَا الْبَقَاءُ لِوَاحِدٍ

وقال أبو تمام:

دِيَارُ هَرَاقَتْ كُلَّ عَيْنٍ شَجِيحَةٍ
فَعُوجًا صُدُورُ الْأَرْحَبِيِّ وَأَسْهَلًا
فَلَا تَسْأَلَانِي عَنْ هَوِيٍّ طِعْمَتُمَا

وقال البحرني لنفسه:

لَا دِمْنَةَ يَلُوى حَبْتٍ وَلَا طَلُلُ
إِنْ عَنْ دَمْعِكَ فِي إِثْرِ الرُّسُومِ فَلَمْ
هَلْ أَنْتَ يَوْمًا مُعِيرِي نَظْرَةَ فَتَرَى
شَبُوهَا النَّوَى بِحُدَاةٍ مَا لَهَا وَطَنُ

(١٤) ديوان البحرني ص ١٩٥٤.

(١٥) المصدر السابق ص ٦٢٧.

(١٦) ديوان أبي تمام ١١٩/٢.

(١٧) الديوان ص ١٧٥٤.

وقال ذو الرمة:

يَقُولُ بِالزُّرْقِ صَحْبِي إِذْ وَقَفْتُ بِهِمْ
لَوْ كَانَ قَلْبُكَ مِنْ صَخْرٍ لَصَدَّعَهُ
وَرَفْرَفَةٌ تَغْتَرِيْنِي كُلَّمَا دُكِرَتْ
مَا زِلْتُ أَطْرُدُ فِي آثَارِهِمْ نَظْرِي

وقال أيضاً:

عَرَفْتُ لَهَا دَاراً فَأَبْصَرَ صَاحِبِي
فَقُلْتُ لِنَفْسِي مِنْ حَيَاءٍ رَدْدَتْهُ
أَمِنْ أَجْلِ دَارٍ طَيْرٌ أَلْبِنُ أَهْلَهَا
فَوَؤَاذُكَ مَبْثُوثٌ عَلَيْكَ شُجُونُهُ

وقال الراعي:

أَلَا أَيُّهَا الرَّبْعُ الْخَلَاءُ مَشَارِبُهُ
فَلَمَّا رَأَيْنَا أَنَّهَا هُوَ مَنْزِلُ
مَضِيَّتْ عَلَى شَأْنِي بِمِرَّةٍ مُخْرَجٍ

ولبعض أهل هذا العصر:

أَتَهْجُرُ مَنْ تُحِبُّ وَأَنْتَ جَارُ
وَتَسْكُنُ بَعْدَ نَأْيِهِمْ أَشْتِيَاقاً
تَرَكْتَ سُؤَالَهُمْ وَهُمْ جَمِيعُ
فَأَنْتَ كَمُشْتَرِي أَثَرٍ بَعِينِ
فَنَفْسِكَ لَمْ وَلَا تَلَمْ الْمَطَايَا

فِي دَارٍ مَيَّةٍ اسْتَسْقَى لَهَا الْمَطَرُ
هَيْجُ الدِّيَارِ لَكَ الْأَحْزَانُ وَالذِّكْرُ
مَيٍّ لَهُ أَوْ نَحَا مِنْ نَحْوِهَا الْبَصَرُ
وَالشُّوقُ يَفْتَادُ فِي ذِي الْحَاجَةِ النَّظْرُ

صَحِيفَةً وَجْهِي قَدْ تَغَيَّرَ حَالُهَا
إِلَيْهَا وَقَدْ بَلَ الْجُفُونُ بِأَلَالِهَا
أَيَادِي سَبَا بَعْدِي وَطَالَ أَحْتِيَالُهَا
وَعَيْنُكَ يَعْصِي عَاذِلِيكَ أَنْهَمَالُهَا^(١٩)

أَشِيرُ لِلْفَتَى مِنْ أَيْنَ صَارَ حَبَائِثُهُ
وَمَوْقِدُ نَارٍ قَلَمًا عَادَ حَاطِبُهُ
عَنِ الشَّأْوِذِيِّ شَغْبٍ عَلَى مَنْ يُحَارِبُهُ^(٢٠)

وَتَطْلُبُهُمْ وَقَدْ بَعُدَ الْمَزَارُ
وَتَسْأَلُ فِي الْمَنَازِلِ أَيْنَ سَارُوا
وَتَرْجُو أَنْ تُخْبِرَكَ الدِّيَارُ
فَقَلْبُكَ بِالصَّبَابَةِ مُسْتَطَارُ
وَمَتَّ أَسْفَاً فَقَدْ حَقَّ الْجِدَارُ

(١٨) الديوان ص ١٨٤.

(١٩) المصدر السابق ص ٥٢٣.

(٢٠) الديوان ص ١٩ ومصدر التخريج كتاب الزهرة.

مَنْ مَنَعَ مِنَ الْبَرَّاحِ تَشْوَقَ بِالرِّيَّاحِ

كُلُّ مُتَشَوِّقٍ مِنَ الْعُشَّاقِ بِنَسِيمِ رِيحٍ ، أَوْ لَمَعَانِ بَرَقٍ أَوْ سَجَعِ حَمَامٍ
فَهَوْنًا قِصٌّ عَنْ حَالِ التَّمَامِ مِنْ جِهَتَيْنِ: إِحْدَاهُمَا [قِلَّةُ صَبْرِهِ] عَلَى فَقْدِ
صَاحِبِهِ حَتَّى يَحْتَاجَ أَنْ يَرَى مَا يَشْوَقُهُ بِذِكْرِهِ ، وَالْأُخْرَى أَنَّ مَنْ كَانَتْ هَذِهِ
صِفَتُهُ فَإِنَّ الصَّبَابَةَ لَمْ تَمَّا لَكَ عَلَى قَلْبِهِ ، فَتَشْغَلُهُ عَنْ أَنْ يَتَشَوَّقَ بِشَيْءٍ يُلِمُّ بِهِ .
غَيْرَ أَنَّ الشَّوْقَ بِمَا ذَكَرْنَاهُ إِنَّمَا يَقْصُرُ بِأَهْلِهِ عَنْ دَرَجَةِ الْكَمَالِ ، وَلَيْسَ بِمُدْخِلٍ
لَهُمْ فِي جُمْلَةِ الْمُوصُوفِينَ بِالنَّقْصِ وَالْإِخْلَالِ . وَمِنْ مُخْتَارِ مَا قِيلَ فِي الشَّوْقِ
بِالرِّيَّاحِ قول ذي الرمة:

إِذَا هَبَّتِ الرِّيَّاحُ مِنْ نَحْوِ جَانِبٍ بِهِ أَهْلٌ مَيَّ هَاجَ شَوْقِي هُبُوبَهَا
هَوًى تَذْرِفُ الْعَيْنَانِ مِنْهُ وَإِنَّمَا هَوًى كُلِّ نَفْسٍ حَيْثُ حَلَّ حَبِيبُهَا^(١)

وقال آخر:

وَقَدْ عَاوَدْتُنَا الرِّيحُ مِنْهَا بِنَفْحَةٍ عَلَى كَيْدٍ مِنْ [طِيبِ] أُرْوَاحِهَا بَرْدُ
عِدِينِي بِنَفْسِي أَنْتِ وَعَدَا فَرُبَّمَا جَلَا كَرْبَةُ الْمَكْرُوبِ عَنْ قَلْبِهِ الْوَعْدُ
فَقَدْ بَتَ لَا قَوْمٌ وَلَا كَبِيلَتِي وَلَا مِثْلُ وَجْدِي فِي الشِّفَا بِكُمْ وَجْدُ^(٢)

وقال مجنون بني عامر:

أَيَا جَبَلِي نُعْمَانُ بِإِلَّهِ خَلِيَا طَرِيقَ الصَّبَا يَخْلُصُ إِلَيَّ نَسِيمُهَا

(١) ديوان ذي الرمة ص ٦٦ .

(٢) هذه الأبيات مما نسب إلى المجنون ، الديوان ص ص ٩٧ - ٩٨ .

سَمِعْتُ بِنَائِبِهِمْ وَظَلَلْتُ حَيًّا
إِذَا مَا الصَّبُّ أَسْلَمَهُ صُدُودُ
تَبَاعَدَ مَنْ هَوَيْتَ وَأَنْتَ دَانٍ
إِذَا مَا بَانَ مَنْ تَهَوًى فَوَلَّى
وله أيضاً:

أَمَرْتُ عَلَى الْمَنَازِلِ كَالْغَرِيبِ
وَمَا يُغْنِي الْقُوفُ عَلَى الْأَثَافِي
حَسَبْتُ بِهَا الْمَطِيَّ فَلَمْ تُجِبْنِي
فَقُلْتُ لَهَا سُكُوتُكَ ذَا عَجِيبٍ
شَكُوتُ إِلَى الدِّيَارِ فَمَا شَفَتْنِي
فَمَنْ يُنْجِي الْعَلِيلَ مِنَ الْمَنَايَا
أَسْأَلُ مَنْ لَقِيتُ عَنْ الْحَبِيبِ
وَنُؤْيِ الدَّارِ عَنْ ذَنْفِ كَيْبِ
وَلَمْ تَرْحَمْ بِلَا شَكِّ نَجِيبِي
وَأَعْجَبُ مِنْ سُكُوتِكَ أَنْ تُجِيبِي
بَلَى شَاقَتْ إِلَى وَجْهِ الْحَبِيبِ
إِذَا كَانَ الْبَلَاءُ مِنَ الطَّبِيبِ

□ □ □

أَجْدُ بَرْدَهَا أَوْ تَشْفِ مِنِّي حَرَارَةً
فَإِنَّ الصَّبَا رِيحٌ إِذَا مَا تَنَسَّمْتُ
عَلَى كَبِدٍ لَمْ يَبْقَ إِلَّا صَمِيمُهَا
عَلَى نَفْسٍ مَغْمُومٍ تَجَلَّتْ غُومُهَا^(٣)

وقال ابن الدمينية:

وَقَدْ جَعَلْتُ رِيًّا الْجَنُوبَ إِذَا جَرْتُ
جَنُوبٌ بِرِيًّا مِنْ أُمَيْمَةٍ تَغْتَدِي
عَلَى ضَعْفِهَا تَنْدَى لَنَا وَتَطِيبُ^(٤)
حِجَارِيَّةٌ عُلُوبَةٌ وَتَوُوبُ^(٥)

وقالت وجيهة بنت أوس الضبية^(٦):

فَلَوْ أَنَّ رِيحاً بَلَغَتْ وَحْيَ مُرْسَلٍ
إِلَيْهِمْ تَحِيَّتِي
خَفِيَ لَنَاجَيْتُ الْجَنُوبَ عَلَى اللَّقَبِ
فَلَا تَخْلِطِيهَا طَالَ سَعْدُكَ بِالتَّرَبِ
هَلْ أَزْدَادَ صُدَاحِ النُّمَيْرَةِ مِنْ قُرْبِ
فَلِإِنِّي إِذَا هَبْتُ شَمَالَ سَأَلْتُهَا

وقال يزيد بن الطثرية:

إِذَا مَا الرِّيحُ نَحْوَ الْأَثَلِ هَبْتُ
فَمَاذَا يَمْنَعُ الْأُرُوحَ تَسْرِي
وَجَدْتُ الرِّيحَ طَيِّبَةً جَنُوبًا
بَرِيًّا أَمْ عَمُرُو أَنْ تَطِيبَا
كَمَا شَاءَتْ وَجِئْتَ الْغُيُوبَا^(٧)
أَلَيْسَتْ أُعْطِيتَ فِي حُسْنِ خَلْقٍ

وقال آخر:

خَلِيلِي مِنْ سُكَّانِ مُرَّانٍ هَاجِنِي
فَإِنْ تَسْأَلَانِي مَا دَوَائِي فَإِنِّي
سُكُونُ الْجَنُوبِ مَرَّةً وَآيِسَامُهَا
بِمَنْزِلَةٍ أَغْنِي الطَّيِّبَ سَقَامُهَا

(٣) ديوان المجنون ص ٢٥١، وانظر الأغاني (الدار) ٢٦/٢، الحماسة البصرية ص ١٤٩.

(٤) في «م» والمطبوع: تبدأ.

(٥) الديوان ص ١٠٧.

(٦) انظر شرح الحماسة (التبريزي) ٣٣٨/٣، وانظر شيئاً من الأبيات في هذا المصدر.

(٧) انظر «شعر يزيد بن الطثرية» ص ٧٠ مع اختلاف في الرواية، وانظر تحريج الأبيات.

وقال صخر الحرمازي^(٨):

لَعَمْرُكَ مَا مِيعَادُ عَيْنِكَ بِأَلْبِكَ
أَعَاشِرُ فِي دَارَاءٍ مَنْ لَا أُجِبُهُ
بِذَارَاءٍ إِلَّا أَنْ تَهْبَّ جَنُوبُ
وَبِالرَّمْلِ مَهْجُورٍ إِلَيَّ حَبِيبُ^(٩)

وقال آخر:

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ أَمَا قُلُونَا
وَأِنِّي لَأَسْتَسْقِي بِكُلِّ سَحَابَةٍ
فَمَرْضَى وَأَمَّا وَدُنَا فَصَحِيحُ
تَمْرُ بِهَا مِنْ نَحْوِ أَرْضِكَ رِيحُ

قال آخر:

هَوَى صَاحِبِي رِيحُ الشَّمَالِ إِذَا جَرْتُ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا إِلَّا أَنَّهَا حِينَ تَنْتَهِي
وَأَهْوَى لِنَفْسِي أَنْ تَهْبَّ جَنُوبُ
تَنَاهَى وَفِيهَا مِنْ أُمَيْمَةٍ طِيبُ
فَوَيْلِي مِنَ الْعُدَالِ مَا يَتْرُكُونِي
يَقُولُونَ لَوْ عَزَيْتَ قَلْبَكَ لَأَرْعَوَى
بَغَمِي أَمَا فِي الْعَازِلِينَ لَيْبُ
فَقُلْتُ وَهَلْ لِلْعَاشِقِينَ قُلُوبُ^(١٠)

وقال مهدي بن الملوح:

إِذَا الرِّيحُ مِنْ نَحْوِ الْحَبِيبِ تَنَسَّمْتُ
عَلَى كَبِدٍ قَدْ كَادَ يُبْدِي بِهَا الْجَوَى
وَجَدْتُ لِرِيَّاهَا عَلَى كَبِدِي بَرْدًا
صُدُوعًا وَبَعْضَ الْقَوْمِ يَحْسِبُنِي جَلْدًا^(١١)

وقال آخر:

تَمْرُ الصَّبَا صَفْحًا بِسَاكِنِ ذِي الْغَضَا
فَيَصْدَعُ قَلْبِي أَنْ يَهْبَّ هُبُوبُهَا

(٨) قائل البيت في الحماسة البصرية ص ١٤٩ الأقرع بن معاذ، وانظر: معاهد التنصيص

١٢٦/١، الأغاني ١١/١٥١.

(٩) البيتان في ديوان المجنون ص ٦٢، وانظر أمالي القاضي ٤٠/٢، ومحاضرات الأدباء

٣٢/٢.

(١٠) الأبيات مما نسب إلى المجنون، وهي في الديوان ما عدا البيت الثاني ص ٥٨.

(١١) البيتان في ديوان المجنون ص ١١٩ مع اختلاف في الرواية، وقد ورد البيت الثاني

منسوباً لابن هرمة في الأغاني ٨٠/٢.

قَرِيبَةً عَهْدٍ بِأَلْحَبِ وَإِنَّمَا
وقال الجويرية (١٣):

يُصْبِحُ أَوْصَابِي عَلَى النَّايِ وَالْهَوَى
وَمَا اعْتَرَضْتُ لِلرَّكَبِ أَدْمَاءَ حُرَّةٍ
وَعَاتِبَةٍ عِنْدِي لَهَا قُلْتُ أَقْصِرِي

وقال الورد بن الورد العجلي (١٤):

أَمُغْتَرِبًا أَصْبَحْتَ فِي دَارِ مَهْرَةٍ
إِذَا هَبَّ غُلُوبِي الرِّيحَ وَجَدْتَنِي
أَلَا حَبْدًا الْأَضْعَادُ لَوْ تَسْتَطِيعُهُ
فَإِنْ مَرَّ رَكْبٌ مُضْعِدُونَ فَقَلْبُهُ
سَلَّ الرِّيحَ إِنْ هَبَّتْ جَنُوبًا ضَعِيفَةً
مَتَى عَهْدُهَا بِأَلْمُوقَلَاتِ [وَحَبْدًا
وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تَزُرْ

وقال آخر:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَعُودُنَّ مَا مَضَى
وَهَلْ عَائِدٌ قَبْلَ أَلْمَمَاتِ فَرَاغِعُ

هَوَى كُلِّ نَفْسٍ حَيْثُ كَانَ حَبِيبُهَا (١٢)

مُهَيِّجُ الصَّبَا مِنْ نَحْوِهَا حِينَ تَتَفَحُّ
مِنْ الْعَيْنِ إِلَّا ظَلَّتْ الْعَيْنُ تَسْفَحُ
فَغَيْرُكَ خَيْرٌ مِنْكَ قَوْلًا وَأَنْصَحُ

أَلَا كُلُّ نَجْدِي هُنَاكَ غَرِيبُ
كَأَنِّي لِعُلُوبِي الرِّيحَ نَسِيبُ
وَلَكِنْ أَجَلٌ لَا مَا أَقَامَ عَسِيبُ
مَعَ الْمُضْعِدِينَ الرَّائِحِينَ جَنِيبُ
مَتَى عَهْدُهَا بِالدَّيْرِ زِيرِ حَبِيبُ
شَوَاكِلُ [ذَاكَ] الْغَيْشِ حِينَ يَطِيبُ
حَبِيبًا وَلَمْ يَطْرُبْ إِلَيْكَ حَبِيبُ (١٥)

لِيَالِي عَيْشِ الْأَصْفِيَاءِ رَطِيبُ
عَلَى عَهْدِهِ ذَهْرٌ إِلَيَّ حَبِيبُ

وَلِيَّ لَتَحِينِي الصَّبَا وَتُبِينِي
وَتَبْرُدُ نَفْسِي بَلْ تُعِيشُ حُشَايَتِي
وَأَزْرَاحُ لِلْبَرْقِ الْيَمَانِي كَأَنِّي
وقال ابن الدمينية:

أَلَا لَا أَحِبُّ السَّيْرَ إِلَّا مُصْعِدًا
إِذَا هَبَّ غُلُوبِي الرِّيحَ وَجَدْتَنِي

وقال آخر:

إِذَا هَبَّتِ الْأَرْوَاحُ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهِمْ
وَمَنْ يَلْبِسُ الدُّنْيَا وَنَعْمَى وَيَخْتَلِفُ

وقال ابن الدمينية:

فَيَا حَسْرَاتِ النَّفْسِ مِنْ غُرْبَةِ النَّوَى
وَمَنْ خَطَرَاتِ تَغْتَرِبِي وَزَفَرَةٍ
وَقَدْ جَعَلْتَ رِيَا الْجَنُوبِ إِذَا جَرَتْ
جَنُوبٌ بِرِيَا مِنْ أُمَيْمَةٍ تَغْتَدِي

وقال هذبة بن خشرم (١٩):

أَلَا لَيْتَ الرِّيحَ مُسْخَرَاتٍ
فَتُبْلَغُنَا الشَّمَالَ إِذَا أَتُنَا

إِذَا مَا جَرَتْ بَعْدَ الشَّمَالِ جَنُوبُ
شَمَالَ بِهَا بَعْدَ الْهُدُوءِ هُبُوبُ
لَهُ حِينَ يَجْرِي فِي السَّمَاءِ نَسِيبُ

وَلَا الرِّيحَ إِلَّا أَنْ تَهَبَّ جَنُوبُ
كَأَنِّي لِعُلُوبِي الرِّيحَ نَسِيبُ (١٦)

وَجَدْتُ لِرَبَّاهَا إِذَا مَا جَرَتْ بَرْدًا
عَلَيْهِ جَدِيدَاهَا يُجِدَا لَهُ فَقْدَا

إِذَا قَسَمْتَهَا نَيْةً وَشُعُوبُ
لَهَا بَيْنَ جِلْدِي وَالْعِظَامِ دَيْبُ
عَلَى طَيْبِهَا تَنْدَى لَنَا وَتَطِيبُ (١٧)
جَجَازِيَّةُ غُلُوبَةٍ وَتَوْوُوبُ (١٨)

لِحَاجَتِنَا تُرَاوِحُ أَوْ تَوْوُوبُ
وَتُبْلَغُ أَهْلُنَا عَنَّا الْجَنُوبُ (٢٠)

(١٦) لم أجِد البيتين ولكن البيت الثاني في ديوان المجنون ص ٦٢.

(١٧) في «م» والمطبوع: تبدأ.

(١٨) ديوان الدمينية ص ١٠٧.

(١٩) شاعر أموي في عهد معاوية كثير الأمثال في شعره، انظر الأغاني ٢١/٢٦٤، الشعر والشعراء ص ٦٨١، معجم الشعراء ص ٤٦٠.

(٢٠) البيتان في «شعر هذبة» ص ٥٤، وانظر تحريجهما.

(١٢) البيتان مما نسب إلى المجنون الديوان ص ٦٩، وهما في الأغاني ٨٥/٢، تزوين الأسواق ص ٦٢، سبط اللاء ص ٦٤١، ذيل الأمل ص ٩٢ منسوين إلى بعض الأعراب.

(١٣) الجويرية بنت الحارث إحدى أزواج النبي (ص)، انظر طبقات ابن سعد ٨٣/٨، لإصابة ٢٦٥/١، صفة الصفوة ٢٦/٢.

(١٤) لم أهتم إلى ترجمته.

(١٥) البيتان الثاني والرابع في ديوان المجنون ص ٦٢ من مقطوعة وردت في أمالي القالي ٤٠/٢، محاضرات الأدباء ٣٢/٢، الحماسة البصرية ص ١٤٩ وفيها أنها للأقرع بن معاذ.

ولبعض أهل هذا العصر في هذا المعنى:

مُبَاشَرَةُ النَّسِيمِ لِشَخْصٍ إِلْفِي أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ فَقْدِ الْحَبِيبِ
نَأَى عَنِّي الْحَبِيبُ فَصَارَ قَلْبِي يَغَارُ عَلَى الصَّبَا وَعَلَى الْجَنُوبِ
وَلَوْ يَسْطِيعُ مَا دَرَجَتْ دُبُورُ إِذْنٍ وَنَهَى الشَّمَالَ عَنِ الْجَنُوبِ
خَلِيلِي مِنْ نَوَاكٍ أَخَذْتُ حَظِّي فَهَلْ لِي فِي نَوَالِكَ مِنْ نَصِيبِ
نُفِيتُ مِنَ الْهَوَى إِنْ كَانَ قَلْبِي دَعَى وَدَا كَوْدُكَ فِي الْمَغِيبِ

وقال حميد بن ثور (٢١):

يَهْشُ لِنَجْدِي الرِّيحَ كَأَنَّهُ أَخُو كُرْبَةٍ دَانِي الْإِسَارِ طَلِيقُ
فِيَا طِيبَ رِيَاهَا وَبَرْدَ نَسِيمِهَا إِذَا حَانَ مِنْ حَامِي النَّهَارِ طُرُوقُ

وقال جرير:

يَا حَبْدًا جَبَلُ الرِّيَّانِ مِنْ جَبَلٍ وَحَبْدًا سَاكِنُ الرِّيَّانِ مَنْ كَانَا
وَحَبْدًا نَفَحَاتُ مِنْ يَمَانِيَةِ تَأْتِيكَ مِنْ قِبَلِ الرِّيَّانِ أَحْيَانًا (٢٢)

وقال آخر:

إِذَا هَبَّ عُلوِّي الرِّيحِ وَجَدْتَنِي يَهْشُ لِعُلوِّي الرِّيحِ فُوَادِيَا
فَإِنْ هَبَّتِ الرِّيحُ الصَّبَا هَيَّجَتْ لَنَا دَوَاعِي حُزْنٍ لَمْ يَجِدْنَ مُدَاوِيَا
وَمَا هَبَّتِ الرِّيحُ الصَّحِيحَةَ مَوْهِنًا مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا بَتُّ لِلرِّيحِ ضَاوِيَا
وَالَا عَلْتَنِي عَبْرَةً ثُمَّ زَفَرَةً وَإِلَّا تَدَاعَى الْقَلْبُ مِنِّي تَدَاعِيَا

وقالت امرأة من مرة:

أَلَا خَلِيَا بَرْدَ الْجَنُوبِ فَإِنَّهُ يُدَاوِي فُوَادِي مِنْ هَوَاهُ نَسِيمِهَا
وَكَيْفَ تُدَاوِي الرِّيحُ شَوْقًا مُمَاطِلًا وَعَيْنًا طَوِيلًا لِلدُّمُوعِ سُجُومِهَا

(٢١) شاعر إسلامي مجيد، الشعر والشعراء (بيروت، دار الكتب العلمية) ص ١٨٧،

الأغاني (الدار) ٣٥٦/٤، سمط الآلى ص ٣٧٦.

(٢٢) ديوان جرير (الضاوي) ص ٥٩٦.

وقال آخر:

حَبِيبْتُ الْغَضَا يَشْفِي هَيَامِي فَلَمْ أَجِدْ شَمِيمَ الْغَضَا يَشْفِي هَيَامَ فُوَادِيَا
بَلَى لَوْ أَتْنَا الرِّيحَ تُدْلِجُ مَوْهِنًا بِرِيحِ الْخَزَامِي كَانَ أَشْفَى لِمَا بِيَا

وقال الوقاف وهو الورد بن الورد الجعدي (٢٣):

إِذَا تَرَكْتُ وَحْشِيَّةً نَجَدَ لَمْ يَكُنْ لِعَيْنِكَ مِمَّا يَشْكُوَانِ طَبِيبُ
إِذَا رَاحَ رَكْبٌ مُصْعِدُونَ فَقَلْبُهُ مَعَ الْمُصْعِدِينَ الرَّائِحِينَ جَنِيبُ
وَكَانَتْ رِيَّاحُ الشَّامِ تُبْغِضُ مَرَّةً فَقَدْ جَعَلَتْ تِلْكَ الرِّيحُ تَطِيبُ
وَقَدْ كَانَ عُلوِّي الرِّيحِ أَحَبَّهَا إِلَيْنَا فَقَدْ دَارَتْ هُنَاكَ جَنُوبُ

وقال آخر:

أَلَا حَبْدًا يَوْمَ تَهَبُّ بِهِ الصَّبَا لَنَا وَعَشِيَّاتُ تَدَانَتْ غُيُومُهَا
بُنْعَمَانِ إِذْ أَهْلِي بِنْعَمَانِ جِيرَةٍ لِيَالِي إِذْ يَرْضَى بِدَارٍ مُقِيمُهَا (٢٤)

وقال كلاب بن عقبة:

بِأَهْلِي وَنَفْسِي مَنْ تَجَنَّبْتُ دَارَهُ وَمَنْ لَا أَرَى لِي مِنْ زِيَارَتِهِ بُدَا
وَمَنْ رَدَّنِي إِذْ جِثْتُ زَائِرَ بَيْتِهِ وَلَوْ زَارَ بَيْتِي مَا أَهَيْنَ وَلَا رُدَا
وَمَنْ لَا تَهَبُّ الرِّيحُ مِنْ شَقِّ أَرْضِهِ فَتَبْلُغْنِي إِلَّا وَجَدْتُ لَهَا بَرْدَا

وقال آخر:

مَا هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ أَرْضِكُمْ إِلَّا وَجَدْتُ لَهَا بَرْدًا عَلَى كَبْدِي
وَلَا تَنْسَمْتُ أُخْرَى أَسْتَفِيقُ لَهَا إِلَّا وَجَدْتُ خِيَالًا مِنْكَ بِالرَّصِدِ

(٢٣) مر بنا قبل صفحتين: الورد بن الورد الجعدي، ورأينا هذا العلم نفسه، ولكنه

الجعدي، مع زيادة «الوقاني» ثم سيأتي نفسه وشهرته العباسي، فهل لي أن أقول أنهم

واحد، والخطأ في اختلاف الشهرة، وقد أشرت إلى أني لم أقف له على ترجمة، ولكني

وجدت ورد الجعدي بين شعراء الحماسة، شرح التبريزي ٢٨٦/٣.

(٢٤) البيتان في شعر المجنون، الديوان ٢٥٢، وفي الأغاني (الدار) ٨٤/٢.

وقال ابن الدمينه:

يَمَانِيَّةٌ هَبَّتْ طِبْلِيلٌ فَأَرْقَتْ
أَبْنِي إِذَا اسْتُخِيرَتْ هَلْ تَحْفَظُ الْهَوَى

وقال الورد بن الورد العبسي:

أَلَا لَيْتَ أَنَّ الرِّيحَ فِي ذَاتِ بَيْنِنَا
فَتُخِيرَهَا مَاذَا لَقِينَا مِنَ الْهَوَى

وقال آخر:

أَلَا يَا جِبَالَ الْغُورِ خَلَيْنَ بَيْنَنَا
فَقَدْ طَالَ مَا حَالَتْ دُرَاكُنْ بَيْنَنَا

وقال طريح بن اسمعيل (٢٦):

هَلِ الرِّيحُ مِنْ صَبِّ مُقِيمٍ مُرِيحَةٍ
وَكَيْفَ تَنَاسَى مَنْ تُجَدِّدُ ذِكْرَهُ

وقالت العيوق بنت مسعود (٢٧):

إِذَا هَبَّتِ الْأَرْوَاحُ زَادَتْ صَبَابَةً
أَلَا لَيْتَ أَنَّ الرِّيحَ مَا حَلَّ أَهْلُنَا
وَأَلَتْ يَمِينًا لَا تَهُبُّ شَمَالَهَا

وقال آخر:

أَلَا حَبْذَا رِيحُ الْأَلَا إِذَا جَرَتْ
وَأَيُّ لَمْعَدُورٍ إِلَى الشُّوقِ كُلَّمَا

(٢٥) البيتان في الديوان ص ١٧٦ عن كتاب «الزهرة».

(٢٦) طريح بن اسماعيل الثقفي شاعر، كان له في الوليد بن يزيد، انظر: الشعر والشعراء

(ليدن) ص ص ٤٢٧ - ٤٢٨، وانظر شرح التبريزي ١٤٠/٤.

(٢٧) لم أهدت لي ترجمتها.

وقال آخر:

هَلِ الرِّيحُ أَوْ بَرَقَ الْيَمَامَةُ مُخِيرٌ
سُلَيْمَى سَقَاهَا اللَّهُ حَيْثُ تَصَرَّفَتْ
إِذَا دَرَجَتْ رِيحُ الصَّبَا وَتَنَسَّمَتْ
تَقَرَّفَ قَرَحُ الْقَلْبِ بَعْدَ انْدِمَالِهِ
صَمَائِرُ حَاجٍ لَا أُطِيقُ لَهَا ذِكْرًا
بِهَا غُرَبَاتُ الدَّارِ عَنْ دَارِنَا الْقَطْرًا
تَعَرَّفْتُ مِنْ نَجْدٍ وَسَاكِينِهِ نَشْرًا *
فَهَيَّجَ دَمْعًا لَا جَمُودًا وَلَا نَذْرًا

□ □ □

وَبَيْنَ الصَّبَا يَخْرُجُ عَلَيْنَا سَيْنُهَا
وَبَيْنَ ذُرَى نَجْدٍ فَمَا نَسْتَيْبُهَا

عَلَى الظَّاعِنِ النَّائِي سَلَامَ الْمُسْلِمِ
نَسِيمُ الرِّيحِ لِلصَّبَا الْمُتَسِمِ

عَلَيَّ وَبَرَحًا فِي فُرَادِي هُبُوبُهَا
بِصُحْرَاءِ نَجْدٍ لَا تَهُبُّ جُنُوبُهَا
وَلَا نَكْبًا إِلَّا صَبَا نَسْتَطِيبُهَا

بِرِيَاهُ هَبَّتِ الرِّيحُ الْجَنَائِبُ
بَدَا لِي مِنْ نَخْلِ الصَّبَاحِ النَّصَائِبُ

في لوامع البروق أنس للمستوحش المشوق

حَدَّثَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى النَّحْوِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَيْبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ اللَّيْثِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَعْنٍ الْغَفَارِيُّ قَالَ: أَقْتَحَمَتِ السَّنَةُ [وَدَخَلَ] الْمَدِينَةَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ مِنْهُمْ صُرَّةٌ مِنْ كِلَابٍ، وَكَانُوا يَدْعُونَ عَامَهُمْ ذَلِكَ الْجَرَّافَ. قَالَ: فَأُبْرِقُوا لَيْلَةً فِي النَّجْدِ وَغَدَوْتُ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا غَلَامٌ مِنْهُمْ قَدْ عَادَ جِلْدًا وَعَظْمًا ضَيْعَةً وَمَرَضًا وَضَمَانَةً حَبٍ، وَإِذَا هُوَ قَدْ رَفَعَ عَقِيرَتَهُ بِأَيَّاتٍ وَالِهَا مِنْ اللَّيْلِ:

أَلَا يَا سَنَا بَرَقَ عَلَى فَلَكِ الْحِمَى لِيَهْنِكَ مِنْ بَرَقٍ عَلَيَّ كَرِيمٌ
لَمَعَتْ أَقْتِدَاءُ الطَّيْرِ وَالْقَوْمِ هُجْعٌ فَهَيَّجَتْ أَسْقَامًا وَأَنْتَ سَلِيمٌ
فَبِتْ بِحَدِّ الْمَرْفَقَيْنِ أَشِيمُهُ كَأَنِّي لِبَرَقٍ بِالسَّتَارِ حَمِيمٌ
فَهَلْ مِنْ مُعِيرٍ طَرْفَ عَيْنٍ جَلِيَّةٍ فَإِنْسَانُ عَيْنِ الْعَامِرِيِّ كَلِيمٌ
وَفِي قَلْبِهِ الْبَرَقُ الْمَلَالِي رَمِيَّةٌ بِذِكْرِ الْحِمَى وَهَذَا تَكَادُ تَهِيمٌ^(١)

قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: فِي دُونَ مَا بِكَ يُفَحِّمُ عَنِ الشَّعْرِ، فَقَالَ: صَدَقْتُ، وَلَكِنَّ الْبَرَقَ أَنْطَقَنِي. ثُمَّ مَا لَبِثَ يَوْمُهُ ذَلِكَ حَتَّى مَاتَ.

وقال آخر:

أَقُولُ لِإِبْرَاهِيمَ وَالسَّجْنِ مُغْلَقٌ وَطَالَ عَلَيَّ اللَّيْلُ مَا تَرَيَانِ

(١) جاء في «م» والمطبوع: البرق الملاي (كذا) وليس له من وجه، وهو من غير شك البرق البماني، ولم يكن لي أن أثبت ما رأيت.

فَقَالَ نَرَى بَرَقًا يَلُوحُ وَمَا الَّذِي
فَقُلْتُ أَفْتَحَا لِي الْبَابَ أَجْلِسْ إِلَيْكُمَا
فَقَالُوا أَمَرْنَا بِالْوَثَاقِ وَمَا لَنَا
أَلَا لَبِثَ شِعْرِي وَهُوَ مِمَّا يَهْمُنِي

وأنشدني أحمد بن يحيى:

أَكَلَّمَا لَمَعَتْ بِالْغُورِ بَارِقَةً
إِنْ كُنْتَ مَثَلَتَهَا مِنْ كُلِّ رَابِعَةٍ
لَتَصْبَحَنَّ قَتِيلًا طُلُ مَصْرَعُهُ

وقال الأحوص:

أَصَاحِ أَلَمْ تُحْزِنِكَ رِيحُ مَرِيضَةٍ
فَإِنْ غَرِبَ الدَّارِ مِمَّا يَشُوقُهُ
وَمِنْ دُونَ مَا أَسْمُو بِطَرْفِي لِأَرْضِهِمْ
فَأَبَدْتُ كَثِيرًا نَظَرَتِي مِنْ صَبَابَتِي
أَهْمٌ لِأَنَسَى ذِكْرَهَا وَيَشُوقُنِي

وقالت رامة بنت الشماخ^(٣):

الْأَمُ عَلَى نَجْدٍ وَمَنْ تَكَ دَارُهُ
تُهْجُهُ جَنُوبٌ حِينَ تَبْدُو بِنَشْرِهَا

وقالت امرأة من طي:

إِذَا مَا صَبِيرُ الْمَزْنِ أَوْمَضَ بَرَقُهُ
وَلَكِنْ مَتَى مَا تَبَدُّ مِنْهُ مَخِيلَةٌ

يَشُوقُكَ مِنْ بَرَقٍ يَلُوحُ يَمَانٍ
لَعَلِّي أَرَى الْبَرَقَ الَّذِي تَرَيَانِ
بِمَعْصِيَةِ السُّلْطَانِ فِيكَ يَدَانِ
مَتَى أَنَا وَالصَّهَّالُ مُلْتَقِيَانِ

هَذَا إِلَيْهَا جَنَاحَا قَلْبِكَ الْخَفِيقِ
لِلشَّمْسِ وَالْبَدْرِ أَوْ لِلْمَنْظَرِ الْأَتَنِ
مِنْ طَعْنَةٍ فِي الْحَشَا مَكْتُومَةٍ الْعَلَقِ

وَبَرَقَ تَلَالَا بِالْعَقِيقَيْنِ لَامِعُ
نَسِيمُ الرِّيحِ وَالْبُرُوقِ اللَّوَامِعُ
مَفَاوِزُ مُغْبَرٍّ مِنْ آتِيهِ وَاسِعُ
وَأَكْثَرُ مِنْهُ مَا تَجُنُّ الْأَصَالِعُ
رِفَاقٌ إِلَى أَهْلِ الْحِجَازِ نَوَانِعُ^(٢)

بَنَجْدٍ يَهْجُهُ الشُّوقُ شَيْءٌ يُرَابِعُهُ^(٤)
يَمَانِيَّةٌ وَالْبَرَقُ إِذْ لَاحَ لَامِعُهُ

يَبْغِدَادَ لَمْ تَبْلُغْ بِعَيْنِي بَوَارِقُهُ
بَنَجْدٍ فَذَلِكَ الْبَرَقُ لَا بُدَّ شَائِقُهُ

(٢) الأبيات في «شعر الأحوص» ص ١٤٥، وانظر التخريج.

(٣) لم أهدت لي ترجمتها.

(٤) لا بد أن تكون الكلمة «يرابعه» مصحفة عن كلمة أخرى لم أهدت إليها.

وقالت الخنساء:

أَمْبَدِرُ قَلْبِي إِنْ أَلْعَيْنُ آنَسَتْ
فَلَيْتَ سِمَاكِياً يَطِيرُ رَبَابُهُ
فَيُشْرَبُ مِنْهُ جَحْشُوشٌ وَيَشِيمُهُ
فَأَقْسِمُ أَنِّي قَدْ وَجَدْتُ لِحْجُوشٍ
فَإِنْ كُنْتُ مِنْ أَهْلِ الْحِجَارِ فَلَا تَلِخْ
فَأَهْلُ الْحِجَارِ مَعْشَرٌ مَا أَحِبُّهُمْ

وقال عبدالرحمان بن دارة^(٦):

نَظَرْتُ وَدُورٌ مِنْ نَصِيبَيْنِ دُونَنَا
لِكَيْمَا أَرَى الْبَرْقَ الَّذِي أَوْمَضَتْ بِهِ
وَأَنِّي وَنَجْدًا كَالْقَرِيبَيْنِ قَطْعًا

وقال أبو القمقام الأسدي^(٧):

خَلِيلِي طَالَ اللَّيْلُ وَاشْتَغَلَ الْقَدَى
خَلِيلِي إِلَّا تَبَكَّيَا لِأَخِيكُمَا
... مَا بِي أَقْلُ

وقال آخر:

أَرَقْتُ وَهَاجَنِي الْبَرْقُ الْبَعِيدُ
أُرِيدُ لِكَيْ أَزُورَ بِلَادَ لَيْلِي
عَلَيَّ أَلِيَّةٌ إِنْ كُنْتُ أَدْرِي

(٥) لم أجد الأبيات في ديوان الخنساء.

(٦) لم أهتم إلى ترجمته.

(٧) تقدمت الإشارة إليه.

(٨) البيت الأخير في «بسط سامع المسامر» ص ٣٦ من شعر المجنون.

ولبعض أهل هذا العصر:

أَرَقْتُ لِبَرْقٍ مِنْ تَهَامَةٍ خَافِقٍ
يَلُوحُ فَأَزْدَادُ أَشْتِيَاقًا وَمَا أَرَى
مَتَى تَذُنْ لَا يَمْلِكُ لِي الشُّوقُ لَوْعَةً
فَرَأَيْكَ فِي عَيْنِ إِلَيْكَ مَفْرُهُ
وأنشدني أبو طاهر الدمشقي:

أَعَيْنِي عَلَى بَارِقٍ نَاصِبٍ
كَأَنَّ تَأَلَّفَهُ فِي السَّمَاءِ
خَفِيَ كَلَمَحُكَ بِالْحَاجِبِ
يَدَا كَاتِبٍ أَوْ يَدَا حَاسِبٍ

وقال علي بن محمد العلوي:

شَجَاكَ الْوَمِضُ وَلَذَعُ الْمَضِضِ
كَأَنَّ تَأَلَّفَهُ فِي السَّمَاءِ
كَأَنِّي لَمْ أَدْرِ أَنَّ الرَّدَى
أَخْلَايَ أَحْفِيسُ طَائِعًا
وَلَكِنْ يَدُ الدَّهْرِ رَهْنٌ بِمَا
عَسَى الدَّهْرُ أَنْ يَنْ لِي عِظْفُهُ

وقال البحرني:

خَيَالٌ مِلْمٌ أَوْ حَبِيبٌ مُسَلِّمٌ
تَقِيضُ لِي مِنْ حَيْثُ لَا أَعْلَمُ النَّوَى
وَبَرْقٌ تَجَلَّى أَوْ حَرِيقٌ مُضَرَّمٌ
وَيَسْرِي إِلَيَّ الشُّوقُ مِنْ حَيْثُ أَعْلَمُ^(٩)

وقال النابغة:

أَرَقْتُ وَأَصْحَابِي هُجُوعٌ بِرَبْوَةٍ
فَأَبْدَى هُمُومًا مِنْ هُمُومٍ أَجْلَهَا
لِبَرْقٍ تَلَالَا فِي تَهَامَةٍ لَامِعٍ
وَأَكْثَرُ مِنْهَا مَا تَجُنُّ الْأَضَالِعُ^(١٠)

(٩) ديوان البحرني ص ١٩٢٣.

(١٠) لم أجد البيتين في الديوان.

وقال آخر:

أَرَقْتُ لِبَرْقٍ آخِرِ اللَّيْلِ يَلْمَعُ
سَرَى كَأَحْسَاءِ الطَّيْرِ وَاللَّيْلِ ضَارِبُ
سَرَى دَائِباً فِيمَا نَهَبُ وَنَهَجُ
بِأَرْوَاقِهِ وَالصُّبْحُ قَدْ كَادَ يَسْطَعُ

وقال آخر:

بَدَا الْبَرْقُ مِنْ نَحْوِ الْحِجَازِ فَشَاقِنِي
سَرَى مِثْلَ تَبْصُرِ الْعَبْرِ وَاللَّيْلِ دُونَهُ
وَكُلُّ حِجَازِي لَهُ الْبَرْقُ شَائِنُ
وَأَعْلَامُ نَجْدٍ كُلُّهَا وَالْأَسَالِقُ

وقال دعبيل:

مَا زِلْتُ أَكَلًا بَرْقاً فِي جَوَانِبِهِ
بَرْقُ تَجَاسَرَ مِنْ خَفَانٍ لَأَمِعُهُ
كَطَرَفَةِ الْعَيْنِ تَحْبُو ثُمَّ تَخْتَطِفُ
يَقْضِي الصَّبَابَةَ مِنْ قَلْبِي وَيَنْصَرِفُ^(١١)

وقال آخر:

شَبَّهْتُ فِي أُخْرِيَاتِ اللَّيْلِ مِنْ رَجَبٍ
صَنْجاً بِصَنْعَائِهِ الْأَوْتَارُ قَدْ نُصِبَتْ
بَرْقاً أَتَتْنَا بِهِ الْجَوَازُاءُ شُؤْبَوَا
بَيْنَ السَّمَاءِ وَبَيْنِ الْأَرْضِ مَضْرُوبَا

وقال آخر:

أَضَاءَ الْبَرْقُ لَيْلَةَ أَذْرِعَاتٍ
هَوَى يَتَهَامَةً وَهَوَى يَنْجِدُ
هَوَى لَا يَسْتَطِيعُ لَهُ طَلَابَا
فَأَيُّ هَوَاكَ تَتْرُكُ حِينَ آبَا

وقال كثير:

أَهَاجَكَ بَرْقُ آخِرِ اللَّيْلِ وَاصِبُ
تَأَلَّقَ وَأَحْمَوْنِي وَخَيْمَ فِي الرُّبَى
إِذَا حَرَّكَتُهُ الرِّيحُ أَرْزَمَ جَانِبُ
كَمَا أَوْمَضَتْ بِالْعَيْنِ ثُمَّ تَبَسَّمَتْ
سَمِعَ النَّدَى لَا يَذْكُرُ السَّيْرَ أَهْلُهُ
تَضَمَّنَهُ فَرَشَ الْحَيَا فَالْمَسَارِبُ
أَحْمُ الدَّرَى ذُو هَيْدَبٍ مُتْرَاكِبُ
بِلَا هَرَقٍ مِنْهُ وَأَوْمَضُ جَانِبُ
جَرِيْعٌ بَدَا مِنْهَا جَبِينٌ وَحَاجِبُ
وَلَا يَرْجِعُ أَلْمَاشِي بِهِ وَهُوَ جَادِبُ^(١٢)

(١١) ديوان دعبيل ص ١٨٩.

(١٢) في «م» والمطبوع: يصح. والأبيات في الديوان ص ٥١ - ١٥٢.

وقال آخر:

وَأَرْتَاجُ لِلْبَرْقِ أَلِيمَانِي كَأَنِّي
وَلِي كِبْدُ حَرَى بِمَا قَدْ تَضَمَّنْتُ
أَصْعَدُ أَنْفَاساً حِيناً وَلَوْعَةً
لَهُ حِينَ يَجْرِي فِي السَّمَاءِ نَبْهٌ
عَلَيْهِ وَعَيْنٌ بِالدُّمُوعِ سَكُوبُ
كَمَا حَنَ مَقْصُورُ أَلْيَدَيْنِ قَضِيبُ

وقال أبو هلال الأسدي^(١٣):

أَشَاقَتَكَ الْبَوَارِقُ وَالْجَنُوبُ
أَتَتْكَ بِتَفَحَةٍ مِنْ رِيحٍ نَجْدٍ
وَشِمْتُ أَلْبَارِقَاتٍ قَلْتُ جَادَتْ
وَمِنْ عَالِي الرِّيَّاحِ لَهَا هُبُوبُ
تَضَوُّعٌ وَالْعَرَارُ بِهَا مَشُوبُ
جِيَالُ الْقَاعِ أَوْ مُطَرُّ الْقُلُوبُ

وقال محمد بن عبدالله الفقعسي^(١٤):

أَقُولُ لِقَمْقَامِ بْنِ زَيْدٍ أَمَا تَرَى
فَإِنْ تَبَكَّ لِلْبَرْقِ الَّذِي هَيَّجَ أَلْهَوَى
سَقَى أَلَّهُ حَيّاً بَيْنَ صَارَةٍ وَالْجَمَى
إِلَيْهِمْ وَوَقَّاهُ جِمَامُ الْمَقَادِرِ^(١٥)
أَمِينٌ وَادَ أَلَّهُ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ
أَمِينٌ وَادَ أَلَّهُ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ

وقال بعض العامرين:

عَدِمْتُ جِدَاراً يَمْنَعُ الْبَرْقَ أَنْ يُرَى
وَسَقِياً لِذَاكَ الْبَرْقِ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ
مَعَ اللَّيْلِ عَلُوياً شَقَائِقُهُ
وَلَكِنْ عَدِمْنَا نِيَّةَ مَا تُوَافِقُهُ

وقال آخر:

أَعْيَنِي عَلَى بَرْقِ أُرَيْكَ وَمِیْضُهُ
إِذَا أَكْتَحَلْتُ عَيْنَا مُجِبٍ بِضَوْنِهِ
قَبَاتٍ وَسَادِي سَاعِدٌ قُلُّ لَحْمُهُ
تَضِيءُ دُجْنَاتِ الظَّلَامِ لَوَائِمُهُ
تَجَافَتْ بِهِ حَتَّى الصَّبَاحِ مَضَاجِعُهُ
عَنِ الْعَظَمِ حَتَّى كَادَ تَبْدُو أَشَاجِعُهُ

(١٣) لم أهدت إليه.

(١٤) لم أهدت إليه.

(١٥) الأبيات مما جاء منسوباً إلى المجنون، الديوان ص ١٥١ مع اختلاف في الرواية.

وقال آخر:

نَفَى النَّوْمَ عَنِّي فَالْفَوَادُ كَثِيبٌ
وَمَا جَزَعًا مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ أَخْضَلْتُ
وَأَنِّي لَأَرَعَى النُّجْمَ حَتَّى كَأَنِّي

ولبعض أهل هذا العصر:

أَرَاكَ بَرَقَ فِي دُجَى اللَّيْلِ لَامِعٌ
أَلَّا نَ تَخْشَى الْبُرْقَ وَالْإِلْفَ حَاضِرٌ
وَهَاجَتْ رِيَّاحُ زِدَنْ ذَا الشُّوقِ صَبُوءٌ
وَعَاشَرَتْ أَقْوَامًا فَلَمْ تَلَقْ فِيهِمْ
وَأَصْبَحْتَ لَا تَرَوِي مِنَ الشَّيْءِ إِذْ نَأَى
سَوَى قَوْلِ غِيلَانَ بْنِ عُقْبَةَ نَادِمًا
هُنَاكَ تَمَنَّى أَنَّ عَيْنَكَ لَمْ تَكُنْ
فَكُلُّ الَّذِي تَلْقَى يَسُوءُكَ إِنْ دَنَا
فَيَا وَنِكَ لَا تُسْرِعْ إِلَى الْبَيْنِ إِنَّهُ

وله أيضاً^(١٦):

أَمِنْ أَجْلِ سَارٍ فِي دُجَى اللَّيْلِ لَامِعٍ
عَلَامَ تَخَافُ الْبَيْنَ وَالْبَيْنَ رَاحَةً
إِذَا لَمْ تَزَلْ يَمُنُّ تُحِبُّ مُرُوعًا

□ □ □

نَوَائِبُ هَمٍّ مَا تَزَالُ تُنُوبُ
دُمُوعِي وَلَكِنَّ الْقَرِيبَ غَرِيبُ
عَلَى كُلِّ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ رَقِيبُ

أَجَلُ كُلِّ مَا يَلْقَاهُ ذُو الشُّوقِ رَائِعُ
فَكَيْفَ إِذَا مَا لَاحَ وَالْإِلْفُ شَاسِعُ
وَبَاكَرَتْ أَلْيُكَ الْحَمَامُ السُّوَاجِعُ
خَلِيلُكَ فَاسْتَعَصَتْ عَلَيْكَ الْمَدَامِعُ
هَوَاكَ وَبَاتَ الشَّيْءُ لِلنَّاسِ وَاسِعُ
هَلِ الْأَزْمُنُ اللَّاتِي مَضَيْنَ رَوَاجِعُ
وَأَنَّكَ لَمْ تَزَحَلْ وَإِلْفُكَ رَابِعُ
وَكُلُّ الَّذِي تَلْقَى إِذَا بَانَ فَاجِعُ
هُوَ الْمَوْتُ فَاحْذَرْ غِبًّا مَا أَنْتَ صَانِعُ

جَفَوْتَ حِذَارَ الْبَيْنِ لَيْنَ الْمَضَاجِعِ
إِذَا كَانَ قُرْبُ الدَّارِ لَيْسَ بِنَافِعِ
يَخْذِرُ فَإِنَّ الْهَجَرَ لَيْسَ بِرَائِعِ

الباب الثاني والثلاثون:

فِي تَلْهُبِ النَّيِّرَانِ أُنْسٍ لِلْمُدْنَفِ الْحَيْرَانِ

أنشدني أبو طاهر الدمشقي قال: أنشدني محمد بن الوليد الحيدري من

أهل فلسطين^(١):

رَأَيْتُ بِجَزْمٍ عُذْرَةَ ضَوْءِ نَارٍ
فَشَبَّهَ صَاحِبَايَ بِهَا سُهَيْلًا
أَنَارُ أَوْقَدَتْ فَتَنُورَاهَا
وَكَيْفَ وَدُونَهَا الْفَلَجَاتُ تَبْدُو
كَأَنَّ الرِّيحَ تَصْدَعُ مِنْ سَنَاهَا
تَلَالًا وَهِيَ نَازِحَةُ الْمَكَانِ
فَقُلْتُ تَبَيَّنَا مَا تُبْصِرَانِ
بَدَتْ لَكُمَا أَمِ الْبَرْقُ الْيَمَانِي
وَكَيْفَ وَأَنْتُمَا لَا تَرْفَعَانِ
بَنَائِقَ جَنَّةٍ مِنْ أَرْجَوَانِ

وقال جامع الكلابي^(٢):

وَأَنِّي لِنَارٍ أَوْقَدَتْ بَيْنَ ذِي الْغَضَا
أَضَاءَتْ لَنَا وَخَشِيَّةٌ غَيْرَ أَنَّهَا
عَلَى مَا بِعَيْنِي مِنْ قَدَى لَبِصِيرُ
مَعَ الْإِنْسِ تَرَعَى مَا رَعَوْا وَتَسِيرُ

وقال جميل بن معمر:

أَكْذَبْتُ طَرْفِي أَمْ رَأَيْتُ بِذِي الْغَضَا
إِلَى ضَوْءِ نَارٍ مَا تَبْخُوحُ كَأَنَّهَا
لِبُثْنَةٍ نَارًا فَارْفَعُوا أَيُّهَا الرُّكْبُ
مِنَ الْبُعْدِ وَالْإِفْوَاءِ جَيْبٌ لَهَا نَقْبُ^(٣)

وقال كثير:

رَأَيْتُ وَأَصْحَابِي بِأَيْلَةٍ مَوْهِنَا
وَقَدْ عَادَ نَجْمُ الْفَرْقَدِ الْمُتَصَوِّبِ

(١) لم أهتمد إلى معرفة محمد بن الوليد الحيدري هذا.

(٢) لم أهتمد إلى ترجمته.

(٣) البيتان في ديوان جميل ص ١٦.

(١٦) أقول قول المصنف: «وله أيضاً» يعني القائل السابق الذي أشار إليه «ولبعض أهل هذا العصر» وكأنني قد اطمأن رأيي إلى أنه يريد نفسه، وعلى هذا فقوله في هذه الأبيات: «وله أيضاً» من الخطأ والسهو وسبق القلم، وهذه الأبيات وجدتها مما نسب إلى المجنون، الديوان ص ١٩٦.

لِعِزَّة نَاراً مَا تَبُوحُ كَأَنَّهَا إِذَا مَا رَمَقْنَاهَا مِنْ أَلْبَعْدِ كَوَكَبٌ^(٤)

وقال آخر:

يَا مُوقِدَ النَّارِ يُذِكِّهَا وَيُخِمِّدُهَا قُمْ فَاصْطَلِ النَّارَ مِنْ قَلْبِي مُضَرَّمَةً
وَيَا أَخَا الدَّوْدِ قَدْ طَالَ الظَّمَاءُ بِهَا رَدِّ بِالْعِطَاشِ عَلَى عَيْنِي وَمِحْجَرِهَا
لَمْ تَذَرِ مَا أَلَرِّي مِنْ جَذْبٍ وَإِقْفَارٍ تُرَوِّي الْعِطَاشَ بِدَمْعٍ وَاكْفِ جَارِي^(٥)

وقال آخر:

يَا مُوقِدَ النَّارِ بِالزَّنَادِ دَغْ عَنْكَ شَكَاً وَخُذْ يَقِيناً
وَطَالِبَ الْجَمْرِ فِي الرَّمَادِ وَأَقْتَسِرِ النَّارَ مِنْ فُؤَادِي

وقال الشماخ^(٦):

وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ لَيْلَى تَبَرَّقَتْ وَأَشْرِفَ بِالْغُورِ الْفِئَاعِ لَعَلِّي
لَقَدْ رَأَيْتُ مِنْهَا أَلْعَدَاءَ سُفُورِهَا أَرَى نَارَ لَيْلَى أَوْ يَرَانِي بِصِيرِهَا
حَمَامَةً بَطْنِ الْوَادِيَيْنِ تَرْنَمِي سَقَاكَ مِنَ الْغَرِّ أَلْعَذَابِ مَطِيرِهَا
أَبِينِي لَنَا لَا زَالَ رِيَشِكَ نَاعِماً وَلَا زَلَّتْ فِي خَضْرَاءِ دَانٍ بَرِيرِهَا^(٧)

وقال الأحوص بن محمد:

ضَوْءُ نَارٍ بَدَا لِعَيْنَيْكَ أَمْ شُ بَتَّ بِذِي الْأَثَلِ مِنْ سُلَامَةِ نَارٍ
تِلْكَ دَارُ الْغَضَا وَحَسّاً وَقَدْ يَأْ لَفُهَا الْمُجْتَدُونَ وَالزُّوَارُ

(٤) انظر الديوان ص ١٥٨ مع اختلاف في الرواية.

(٥) الأبيات مما نسب للمجنون، الديوان ص ١٤٩.

(٦) الشماخ بن ضرار شاعر مخضرم، وهو معقل بن ضرار. انظر الشعر والشعراء (البدن) ص ص ١٧٧ - ١٧٩.

(٧) الأبيات في ديوان المجنون ص ١٤٨، وهي في زهر الآداب ٨٣/٤، وتزيين الأسواق ص ٩٧ منسوبة إلى توبة بن الحمير.

أَصْبَحَتْ دِمْنَةً تَلُوحُ بِمَتْنٍ وَكَذَلِكَ الزَّمَانُ يَذْهَبُ بِآلِ
تَعْتَفِيهَا الرِّيَّاحُ وَالْأَمْطَارُ نَاسٍ وَتَبْقَى الدِّيَارُ وَالْآثَارُ^(٨)

وقال آخر:

يَا مُوقِدَ النَّارِ بِالصَّخْرَاءِ مِنْ عُمَيِّ نَارُ قَلْبِي لَا تَطْفَأُ مِنَ الْحَرَقِ
قُمْ فَاصْطَلِ مِنْ فُؤَادِ هَائِمٍ قَلِقِ وَنَارُ قَلْبِي لَا تَطْفَأُ مِنَ الْحَرَقِ

وقال بعض الأعراب:

أَنَارَ بَدَتْ يَا عَبْدُ مِنْ سَاكِنِ الْغَضَا فَأَحْبِبْ بِتِلْكَ النَّارِ وَالْمُوقِدِ الَّذِي
مَعَ اللَّيْلِ أَمْ بَرَقَ تَلَالُاً نَاصِبٌ لَهُ عِنْدَ جَرَعَاءِ النُّمَيْرَةِ حَاطِبٌ

وقال آخر:

لِمَنْ ضَوْءُ نَارٍ بِالْبِطَاحِ كَأَنَّهَا إِذَا صَدَعَتْهَا الرِّيحُ بَانَ بِضَوْنِهَا
مِنْ أَلْأَثَلِ فَرَعُ يَابِسٍ وَرَطِيبٌ يَرَاهَا فَيَرْجُوهَا وَلَيْسَ بِأَيْسٍ
فَأَمَّا عَلَى طَلَابٍ بَانَ فَسَاعَةً مِنْ أَلَوْحِشٍ بَيْضَاءِ اللَّبَانِ سَلُوبٌ
وَفِيهَا عَنِ الْقَصْدِ أَلْمَبِينِ نُكُوبٌ وَأَمَّا عَلَى ذِي حَاجَةٍ فَقَرِيبٌ

وقال آخر:

وَنَارٍ كَسَحَرَ الْعُودِ تَرْفَعُ ضَوْءُهَا أَجِيدُ بِأَيْدِي الْعَيْسِ عَنْ قَصْدِ دَارِهَا
مَعَ اللَّيْلِ هَبَّتْ الرِّيَّاحُ الصَّوَارِدُ وَقَلْبِي إِلَيْهَا بِالْمُودَةِ قَاصِدُ

وقال آخر:

وَطَيِّئَةً قَالَتْ أَوْقِدِ النَّارَ عَلَيَّ يَرَاهَا مُضِلٌّ قَدْ سَرَى فَيُؤُوبُ
لَهَا مُوقِدٌ مِنْ أَهْلِهَا وَكَأَنَّهُ إِذَا أُوقِدَتْ [لَيْلاً] أَعْنُ غَضُوبُ

(٨) شعر الأحوص ص ١٢٤ وانظر تخريجها.

وقال ربيعة بن ثابت^(٩):

لَمَنْ ضَوْءُ نَارٍ قَابَلَتْ أَغْيَنَ الرُّكْبِ
فَقُلْتُ لَقَدْ آتَسْتُ نَاراً كَأَنَّهَا
تُشَبُّ بِلَذَنِ الْعُودِ وَالْمَنْدَلِ الرُّطْبِ
صَفَا كَوَكْبٍ لَاحَتْ فَحَنُّ لَهَا قَلْبِي^(١٠)

وقال ابن الدمينه:

بَدَتْ نَارُ أُمِّ الْعَمْرُو بَيْنَ حَوَائِلِ
فَيَا حَبْدًا مِنْ ضَوْءِ بَرْقٍ بَدَا لَنَا
وَبَيْنَ أَلْوَى كَالْبَرْقِ ذِي اللِّمَعَانِ^(١١)
وَيَا حَبْدًا مِنْ مَوْقِدٍ وَدُخَانِ
وَيَا حَبْدًا مِنْ مُصْطَلَى وَمَكَانِ^(١٢)

وقال آخر:

أَلَا لَيْتَ أَنْ الطَّلَّ يُطْفِئُ نَارَنَا
وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ تَصَلَّى بِضَوْءِهَا
فَيَقْسِي مِنْ نَارٍ وَجَنَاءَ قَابِئِ
عَلَى النَّايِ مَشْبُوحِ الدَّرَاعِينَ بَائِسِ^(١٣)

وقال ابن مقبل^(١٤):

إِذَا النَّاسُ قَالُوا كَيْفَ أَنْتَ وَقَدْ بَدَا
إِذَا قِيلَ مِنْ دَهْمَاءَ حُيرتَ أَنَّهَا
وَكَيْفَ وَلَا نَارٌ لِدَهْمَاءَ أَوْقَدَتْ
وَلِيَنِي لِيَلْحَانِي عَلَى أَنْ أُجِبَهَا
وَلَوْ أَنَّ مَا أَلْقَى مِنَ الشُّوقِ وَالْهَوَى
ضَمِيرُ الَّذِي بِي قُلْتُ لِلنَّاسِ صَالِحِ
مِنْ الْجَنِّ لَمْ يُوقِدْ لَنَا النَّارَ قَادِحِ
قَرِيباً وَلَا كَلْبٌ مِنَ اللَّيْلِ نَابِحِ
رِجَالُ تَقْوِيهِمْ قُلُوبُ صَحَائِحِ^(١٥)
لَأَهْلِكَ مَالٌ لَمْ تَسْعُهُ الْمَسَارِحُ

(٩) هو ربيعة الرقي، أبو ثابت، شاعر غزل في عصر المهدي العباسي، انظر الأغاني ٣٧/١٥، إرشاد الأريب ٢٠٧/٤.

(١٠) انظر شعر ربيعة الرقي ص ٣٥، والأبيات في معجم الأدباء ١٣٤/١١، والأغاني ٢٥٤/٦، ونكت الهميان ص ١٥١.

(١١) في «م» والمطبوع: داني المغان.

(١٢) ديوان ابن الدمينه ص ١٧٦.

(١٣) ذهب ظي الى أن البيتين من سينية ذي الرمة ولكني لم أجدهما فيها.

(١٤) ابن مقبل هو تميم بن أبي بن مقبل شاعر نخصرم، الشعر والشعراء ص ص ٢٧٦ - ٢٧٨.

(١٥) في «م» والمطبوع: ألحاني والأبيات في الديوان ص ص ٤٢ - ٤٣.

وقال امرؤ القيس:

تَسَوَّرْتَهَا مِنْ أَذْرَعَاتٍ وَأَهْلُهَا
نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَالنُّجُومُ كَأَنَّهَا
فَقَالَتْ سَبَاكَ اللَّهُ إِنَّكَ فَاضِحِي
فَقُلْتُ يَمِينَ اللَّهُ أَبْرَحُ قَاعِداً
فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْحَدِيثَ وَأَسْمَحْتُ
فَصِرْنَا إِلَى الْحُسْنَى وَرَقَى كَلَامُنَا
حَلَفْتُ لَهَا بِاللَّهِ جِلْفَةً فَاجِرِ
سَمَوُهُ إِلَيْهَا بَعْدَمَا نَامَ أَهْلُهَا
فَأَصْبَحْتُ مَعْشُوقاً وَأَصْبَحَ بَعْلُهَا
يَشْرِبُ أَذَى دَارِهَا نَظَرَ عَالِ
مَصَابِيحُ رُهْبَانٍ تُشَبُّ لِقْفَالِ
أَلَسْتُ تَرَى السُّمَارَ وَالنَّاسَ أَحْوَالِي
وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي
هَضَرْتُ بِغُضْنِ ذِي شَمَارِيخِ مَيَالِ
وَرُضْتُ فَذَلْتُ صَعْبَةً أَيْ إِذْلالِ
لَنَامُوا فَمَا إِنْ مِنْ حَدِيثٍ وَلَا صَالِ *
سُمُو حَبَابِ أَلْمَاءِ حَالاً عَلَى حَالِ
عَلَيْهِ أَلْقَتَامِ سَيِّءِ الظَّنِّ وَالْبَالِ^(١٦)

أَمَّا أَلْبَيْتُ الْأَوَّلُ فَهُوَ نِهَائَةٌ لَا يَتَهَيَّأُ مُجَاوِزَتُهَا، بَلْ لَا تَتِمُّكُنْ مَقَارِبَتُهَا، لِأَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ تَخَيَّلَ نَارَهَا مِنَ الْمَدِينَةِ وَهُوَ بِالشَّامِ فَسَاقَهُ الشُّوقُ إِلَيْهَا مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ.

وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ أَعْرَابِيًّا ذَكَرَ صَاحِبَةً لَهُ فَقَالَ: إِنِّي لِأَذْكُرُهَا وَبَيْنِي وَبَيْنَهَا عُقْبَةٌ طَائِرٌ، وَأَجِدُ مِنْ ذِكْرِهَا رِيحَ الْمِسْكِ. وَيُقَالُ: إِنَّ عُقْبَةَ الطَّائِرِ مِثْلُ فَرَسَخٍ، فَهَذَا لَعَمْرِي مُقَارِبٌ لَبَيْتِ امْرِئِ الْقَيْسِ. وَلِذَلِكَ عَلَيْهِ فَضْلُ السَّابِقِ عَلَى الْمَسْبُوقِ، وَفَضْلُ النَّظْمِ عَلَى الْمَثُورِ، وَفَضْلُ الطَّاعَةِ لِاشْتِيَاقِهِ وَانْقِيَادِهِ مَعَهُ إِلَى إِلْفِهِ الَّذِي ثَاقَهُ. غَيْرَ أَنَّهُ عَقَّبَ ذَلِكَ بِمَا عَقَى عَلَى حُسْنِيهِ وَمَحَا مَوْضِعَ الْفَخْرِ لَهُ بِهِ.

وقال الأصوص:

صَاحِ هَلْ أَبْصَرْتَ بِالْخَبِ
مَوْهِنًا شُبَّتْ لِعَيْنِي
تَيْنِ مِنْ أَسْمَاءَ نَارَا
كَ فَلَمْ تُوقِدْ نَهَارَا

(١٦) الأبيات في الديوان ص ١٦١.

كَتَلَالِي الْبَرْقِ فِي الْعَا
أَذَكَّرْتَنِي الْوَصْلَ مِنْ سُلْد
لَمْ تُبْثْ بِالْوَصْلِ سُلْمَى
عَاشِقًا أَفْنَى طَوَالَ الدُّ

وقال أيضاً:

رَأَيْتُ لَهَا نَاراً تُشْبُّ وَدُونَهَا
فَحَفَّضْتُ قَلْبِي بَعْدَ مَا قُلْتُ إِنَّهُ
فَقُلْتُ لِعَمْرُو تِلْكَ يَا عَمْرُو دَارَهَا
تَقَادِمَ مِنِّي الْعَهْدُ حَتَّى كَأَنِّي
وَفِي مِثْلِ مَا جَرَّبْتُ مِنْذُ صَحْبَتِي
كَرِيمٍ يُمِيتُ السِّرَّ حَتَّى كَأَنَّهُ
إِذَا قُلْتُ أَنْسَاهَا وَأَخْلَقْتُ ذِكْرَهَا

وقال أيضاً:

أَمِنْ خُلَيْدَةٍ وَهْنًا شُبَّتِ النَّارُ
بَاتَتْ تُشْبُّ وَبَتْنَا اللَّيْلَ نَرْقُبُهَا
يَا حَبِذَا مِنْ نَارٍ وَمَوْقِدُهَا
خُلَيْدٌ لَا تَبْعُدِي مَا عَنْكَ إِقْصَارُ
فَمَا أَبَالِي إِذَا أَمْسَيْتِ جَارَتَنَا
لَوْ دَبَّ حَوْلِي ذَرٌّ تَحْتَ مِدْرَعِهَا

رَضِ ذِي الْمُزْنِ اسْتَطَارَا
مَى وَأَيَّاماً قِصَارَا
جَارَهَا إِذْ كَانَ جَارَا
هَرِ خَوْفًا وَأَسْتَارَا^(١٧)

بَوَاطِنُ مِنْ ذِي رَجَرٍ وَظَوَاهِرُ
إِلَى نَارِهَا مِنْ عَاصِفِ الشُّوقِ طَائِرُ
تُشْبُّ بِهَا نَارٌ فَهَلْ أَنْتَ نَاطِرُ
تَذَكَّرْتُهَا مِنْ طُولِ مَا مَرَّ هَاجِرُ
عَذَرْتُ أَبَا يَحْيَى لَوْ أَنَّكَ عَاذِرُ
عَمِ بِسَوَاجِي أَمْرَهَا وَهَوَّ خَابِرُ
تَشَّتْ بِذِكْرِهَا هُمُومٌ نَوَافِرُ^(١٨)

وَدُونَهَا مِنْ ظِلَامِ اللَّيْلِ اسْتَارُ
تُعْنَى قُلُوبُ بِهَا مَرَضَى وَأَبْصَارُ
وَأَهْلُنَا بِاللَّوَى إِذْ نَحْنُ أَجْوَارُ
وَإِنْ بَخَلْتِ وَإِنْ سَطَطْتَ بِكَ الدَّارُ
مُقِيمَةً هَلْ أَقَامَ النَّاسُ أَمْ سَارُوا
أَضْحَى بِهَا مِنْ دَيْبِ الدَّرِّ آثَارُ^(١٩)

(١٧) الأبيات في «شعر الأصوص» ص ١٢٩ وانظر تخريجها.

(١٨) المصدر السابق، وانظر التخرُّج.

(١٩) المصدر السابق.

وقال أيضاً:

يَا مُوقِدَ النَّارِ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ إِضْمٍ
يَا مُوقِدَ النَّارِ أَوْقِدْهَا فَإِنَّ لَهَا
نَارُ أَضَاءَ سَنَاهَا إِذْ تُشْبُّ لَنَا
وَلَاثِمٍ لَأَمْنِي فِيهَا فَقُلْتُ لَهُ
فَمَا طَرِبْتُ لِشَجْوِ كُنْتُ تَأْمَلُهُ
أَوْقِدْ فَقَدْ هَجَتْ شَوْقًا غَيْرَ مُنْصَرِمٍ
سَنًا يَهِيحُ فُوَادِ الْعَاشِقِ السَّلِمِ
سَعْدِيَّةٌ دَلَّهَا يَشْفِي مِنَ السَّقَمِ
قَدْ شَفَّ جِسْمِي الَّذِي أَلْقَى بِهَا وَدَمِي
وَلَا تَأْمَلْتُ تِلْكَ الدَّارَ مِنْ أَمَمٍ^(٢٠)

وقال آخر:

كَأَنَّ فُوَادِي فِي يَدٍ عَلِفْتُ [بِهِ]
وَأَشْفَقْتُ مِنْ وَشَكِ الْفِرَاقِ وَإِنِّي
نَظَرْتُ وَدُونِي السُّحْقُ مِنْ نَخْلِ بَارِقِ
لِابْصَرَ نَاراً بِالْجَوَاءِ وَدُونَهَا
فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي أَغَالِبَنِي الْهَوَى
فَإِنْ اسْتَطَعْتُ أَغْلِبُ وَإِنْ يَغْلِبِ الْهَوَى
مُحَادَرَةٌ أَنْ يَقْضِبَ الْحَبْلُ قَاضِبُهُ
أَطْنُ لِمَحْمُولٍ عَلَيْهِ فَرَاجِبُهُ
بِنَظَرَةٍ سَامِي الْأَطْرَفِ حُجْنٍ مَخَالِبُهُ
مَسِيرَةُ شَهْرٍ لَا يَغْرَسُ رَاكِبُهُ
إِلَى أَهْلِ تِلْكَ الْأَرْضِ أَمْ أَنَا غَالِبُهُ
فَمِثْلُ الَّذِي لَاقَيْتُ يُغْلِبُ صَاحِبُهُ

وقال آخر:

أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ رَائِيَا
وَلَا مُبْصِرًا بِالْأَجْرَعِ الْفَرْدِ نَارَهَا
وَلَا قَائِلًا تَقْضِي الدُّيُونَ فَإِنَّهَا
أُمِيمَةً إِنْ حَاضَرْتُ أَوْ كُنْتُ بَادِيَا
وَلَا ثَانِيَا يُمْنَى يَدَيْهَا وَسَادِيَا
دُيُونُ غَرِيمٍ مَا أَسَاءَ التَّقَاضِيَا

ولبعض أهل هذا العصر:

أَرَقْتُ لِنَارٍ بِالطُّلَيْحَةِ أَوْقَدْتُ
عَلْتُ وَخَبْتُ ثُمَّ أَنْجَلْتُ وَتَطَاوَلْتُ
فَلَمْ يَخْبُ شَوْقِي إِذْ خَبْتُ بَلْ تَلَهَّبْتُ
تَرَءَتْ لِلْحَظِّ الْعَيْنِ ثُمَّ تَسْتَرْتُ
عَلَى هَضْبَاتِ الرَّمْلِ ثُمَّ تَخَفَّضْتُ
صَبَابَةُ قَلْبِي بِالْهَوَى إِذْ تَلَهَّبْتُ

(٢٠) المصدر السابق.

وَمَا رَدَّ عَنْهَا الطَّرْفَ بَعْدَ مَكَانِهَا وَلَكِنْ دُمُوعُ الْعَيْنِ لَمَّا تَهَلَّلَتْ
ذَكَرْتُ بِهَا الدَّهْرَ الَّذِي لَيْسَ عَائِداً وَمَا نَسِيتُ أَيَّامَهُ بَلْ تَنْسِيَتْ
فَمَا أَنْصَبْتُ أَذْكَتَ هَوَى جِينٍ أَذْكَتَ وَلَمْ تُطْفِئِ نِيرَانُ الْهَوَى جِينٍ أَطْفِئَتْ

□ □ □

الباب الثالث والثلاثون:

في نوح الحمام أنس للمنفرد المستهام

ذَكُّرُوا أَنَّ مَجْنُونٍ بَنَى عَابِرٍ رَقْدَ لَيْلَةٍ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَاتَّبَعَهُ بِتَغْرِيدِ
طَائِرٍ فَأَنْشَأَ:

لَقَدْ هَتَفْتُ فِي جُنْحِ لَيْلٍ حَمَامَةً عَلَى فَنٍّ تَدْعُو وَإِنِّي لَنَائِمٌ
فَقُلْتُ أَعِزَّاداً عِنْدَ ذَلِكَ وَإِنِّي لِنَفْسِي فِيمَا قَدْ رَأَيْتُ لَلَّائِمٌ
أَأْزَعُمُ أَنِّي عَاشِقٌ ذُو صَبَابَةٍ بَلِيلِي وَلَا أَبْيِي وَتَبْكِي الْحَمَائِمُ
كَذَبْتُ وَبَيَّتَ اللَّهُ لَوْ كُنْتُ عَاشِقاً لَمَّا سَبَقْتَنِي بِالْبُكَاءِ الْحَمَائِمُ^(١)

وقال شقيق بن سليك الأسدي^(٢):

وَلَمْ أَبْلِكْ حَتَّى هَيَّجْتَنِي حَمَامَةٌ بِعَيْنِ الْحَمَامِ الْوُرْقِ فَاسْتَخْرَجَتْ وَجْدِي
فَقَدْ هَيَّجَتْ مِنِّي حَمَامَةٌ أَيْكَةً مِنْ الْوَجْدِ شَوْقاً كُنْتُ أَكْتُمُهُ جُهْدِي
تُنَادِي هُذْبِلاً فَوْقَ أَخْضَرَ نَاعِمٍ غِذَاهُ رِبْعٌ بَاكِرٌ فِي ثَرَى جَعْدٍ
فَقُلْتُ تَعَالَى نَبْلِكَ مِنْ ذِكْرِ مَا خَلَا وَنَذَكُرُ مِنْهُ مَا نُسِرُ وَمَا نُبْدِي
فَإِنْ تُسْعِدِينِي نَبْلِكَ عَبَرَتْنَا [مَعاً] وَإِلَّا فَأَنِّي سَوْفَ أَسْفُحُهَا وَخُدي

وهذه حال ناقصة منها في المَحَبَّةِ مَنْ لَيْسَتْ لَهُ حَالٌ.

جحدر الفقعسي حيث يقول^(٣):

وَكُنْتُ قَدْ أَنْدَمَلْتُ فَهَاجَ شَوْقِي بُكَاءَ حَمَامَتَيْنِ تَجَاوَبَانِ

(١) الأبيات مما نسب إلى المجنون، ديوان المجنون ص ٣٨، والأبيات في الأغالي ٧٦/٢،

وهي في الحيوان ٢٠٦/٣ من غير عزو، وكذلك وردت في الموشى ص ٥٨.

(٢) من شعراء الحماسة (التبريزي) ٢٧٦/٢.

(٣) ورد في «م» والمطبوع: تبة جحدر الفقعسي (كذا).

تَجَاوَيْتَنَا بِلَحْنٍ أَعْجَمِيٍّ عَلَى غُضْنَيْنٍ مِنْ غَرْبٍ وَبَانَ^(٤)

أَفْتَرَاهُ إِنْ سَلَا عَنْ يَهْوَاهُ لَمْ يَبْقَ لَهُ فِي قَلْبِهِ أَثَرٌ مِنْ حُبِّهِ، وَلَا خَاطِرٌ شَارِدٌ مِنْ ذِكْرِهِ، يُعِيدُ هَوَاهُ عَلَى فِكْرِهِ، فَيَغْطِفُ قَلْبُهُ عَلَيْهِ. إِذْ لَمْ يَسْتَطِيعْ أَنْ يَرُدَّ وَجْدَهُ إِلَيْهِ حَتَّى يَكُونَ نَوْحُ الْحَمَامِ أَقْوَى شَيْئًا فِي رَدِّ قَلْبِهِ إِلَى أَحْبَابِهِ. فَمَنْ كَانَ السَّبَبُ فِي تَعْذِيبِهِ نَوْحُ الْحَمَامِ، كَانَ السَّبَبُ فِي تَبْعِيدِهِ أَضْعَفُ نَوَائِبِ الْأَيَّامِ. وَلَكِنْ أَبَا صَخْرٍ الْهَذَلِيُّ قَالَ قَوْلًا لَا يَهْجُنُ مِنْ ابْتِدَاعِهِ، وَلَا يُقَالُ عَلَى مَنْ أُنْتَحِبَهُ وَهُوَ:

وَلَيْسَ الْمَعْنَى بِالَّذِي لَا يَهْجُنُهُ
وَلَا بِالَّذِي إِنْ صَدَّ يَوْمًا خَلِيلُهُ
وَلَكِنَّهُ سَقَمُ الْجَوَى وَمِطَالُهُ
رَشَاشًا وَنَهْتَانًا وَوَبْلًا وَدِيمَةً

إِلَى الشُّوقِ إِلَّا إِلَهَاتِفَاتِ السَّوَاجِعِ
يَقُولُ وَيَبْدِي الصَّبْرُ إِنِّي لَجَارِعُ
وَمَوْتُ الْحَقِّ ثُمَّ الشُّوْنُ الدَّوَامِ
كَذَلِكَ تَبْدِي مَا تَجُنُّ الْأَصَالِغُ^(٥)

وقال آخر:

أَلَا يَا حَمَامَاتِ اللَّوَى عُذْنُ عَوْدَةٍ
فَعُذْنٌ فَلَمَّا عُذْنٌ كِذْنٌ يُمْتَنِي
وَلَمْ تَرَ عَيْنِي قَبْلَهُنَّ حَمَائِمًا

فَلِإِنِّي إِلَى أَصْوَاتِكُنَّ حَزِينُ
وَكِذْتُ بِأَسْرَارِي لَهُنَّ أُبِينُ
بَكَيْنٌ وَلَمْ تَذْمَعْ لَهُنَّ عُيُونُ^(٦)

وقال آخر:

يَا طَائِرَيْنِ عَلَى غُضْنٍ أَنَا لَكُمْ
كُونَا إِذَا طَرْتُمَا زَوْجًا إِخَالُكُمَا
هَذَا أَنَا لَا عَلَى غَيْرِي أَذْلُكُمَا

مِنْ أَنْصَحِ النَّاسِ لَا أَبْغِي بِهِ ثَمَنًا
لَا تَأْمَنَانِ إِذَا أَفْرَدْتُمَا حَزَنًا
لَا قَيْتُ جُهْدًا بِتَرْكِ الْإِلْفِ وَالْوَطَنِ

(٤) الأبيات في أمالي القاضي ٢٧٧/١ - ٢٧٨.

(٥) الأبيات في شرح أشعار الهذليين ٩٣٥/٢ مع اختلاف في الرواية.

(٦) الأبيات من شعر المجنون، الديوان ص ٢٦٣ مع اختلاف في الرواية، وهي في الأغاني (بولاق) ٣٧/٥ من غير عزو، وهي في شعر ابن الدمينية، الديوان ص ١٨، وفي العقد الفريد ٤١٥/٥.

وقال آخر:

أَلَا يَا حَمَامَ الْأَيْكِ الْفُكَّ حَاضِرُ
أَفِنْ لَا تَنْحَ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ فَلِإِنِّي

وقال آخر:

دَعَانِي الْهَوَى وَالشُّوقُ لَمَّا تَرْنَمْتُ
تُجَاوِبُهَا وَرَقٌ يُرْعَنُ لَصَوْتِهَا
أَلَا يَا حَمَامَ الْأَيْكِ مَا لَكَ بَاكِيًا

عَلَى الْأَيْكِ مِنْ بَيْنِ الْغُصُونِ طَرُوبُ
وَكُلُّ لِكُلِّ مُسْعِدٍ وَمُجِيبُ
أَفَارَقْتُ إِلْفًا أَمْ جَفَاكَ حَبِيبُ^(٧)

وقال آخر:

أَلَا عَلَى فَيْضِ الدُّمُوعِ وَإِنِّي
أَيْبُكِي حَمَامُ الْأَيْكِ مِنْ فَقْدِ إِلْفِهِ

بِفَيْضِ الدُّمُوعِ الْجَارِيَاتِ جَدِيرُ
وَأَحْسِ دَمْعِي إِنِّي لَصَبُورُ

وقال بعض الأعراب:

أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ الْحَمَامَاتِ عُذْوَةٌ
تَغْنَّتْ غِنَاءً أَعْجَمِيًّا فَهَيَّجَتْ
نَظَرْتُ بِصَحْرَاءِ الْبَرِيدَيْنِ نَظْرَةً
وَلَوْ هَمَلْتُ عَيْنٌ دَمًا مِنْ صَبَابَةٍ

عَلَى الْفَرَعِ مَاذَا هَيَّجَتْ جِينَ غَنَّتِ
هَوَايَ الَّذِي كَانَتْ ضُلُوعِي أَجْنَّتِ
حِجَارِيَّةً لَوْ جُنَّ طَرَفٌ لُجْنَتِ
إِذَا هَمَلْتُ عَيْنِي دَمًا وَأَهْمَتِ^(٨)

وقال ابن الدمينية:

أَلَا يَا صَبَا نَجْدٍ مَتَى هِجَّتْ مِنْ نَجْدٍ
أَأَنْ هَتَفَتْ وَرَقَاءَ فِي رَوْنَتِي الضُّحَى

لَقَدْ زَادَنِي مَسْرَاكِ وَجَدًا عَلَى وَجْدٍ
عَلَى غُضْنِ غَضْرِ النَّبَاتِ مِنَ الرُّنْدِ^(٩)

(٧) الأبيات في ديوان المجنون ص ٥٨ مع اختلاف في الرواية.

(٨) الأبيات مما نسب إلى المجنون أيضاً ص ٨٦، وهي الثلاثة (١، ٢، ٣)، وكذلك في الأمالي ٢٣/١، ١٣١، ١٠٧/٢ - ١٠٩، الأغاني ١٦٦/٨.

(٩) في «م» والمطبوع: إن.

بَكَيتَ كَمَا يَبْكِي الْوَلِيدُ وَلَمْ يَكُنْ
جَلِيداً وَأَبْدَيْتَ الَّذِي كُنْتَ لَا تَبْدِي (١٠)
وقال ناقد بن عطار العبشمي (١١):

وَيَبْكِي الشُّوقُ حِينَ أَقُولُ يَخْبُو
مُطَوِّقَةُ الْجَنَاحِ إِذَا اسْتَقَلْتُ
يَمِيلُ بِهَا وَيَرْفَعُهَا مِرَاراً
كَأَنَّ بِنَحْرِهَا وَالْجِيدِ مِنْهَا
مَخْطَأٌ كَانَ مِنْ قَلَمٍ لَطِيفٍ
وقال نيهان العبشمي:

أَحَقّاً يَا حَمَامَةَ بَطْنِ قَصْرِ
غَلْبَتِكَ يَا حَمَامَةَ بَطْنِ قَصْرِ
غَلْبَتِكَ فِي الْبُكَاءِ بِأَنَّ لَيْلِي
وَأَنِّي أَشْتَكِي فَأَقُولُ حَقّاً
وَأَنَّكَ أَجْرَأُ الْأَحْيَاءِ طُرّاً
وقال أبو تمام الطائي:

أَتَضَعُضَعْتُ عَبْرَاتَ عَيْنِكَ إِذْ دَعْتُ
لَا تَنْشِجَنَّ لَهَا فَإِنَّ بُكَاءَهَا
هُنَّ الْحَمَامُ فَإِنْ كَسَرْتَ عَيَافَةً
وَرَقَاءَ تَضَعُضَعُ الْأَظْلَامُ (١٤)
ضِحْكَ وَإِنَّ بُكَاءَكَ أَسْتِغْرَامُ
مِنْ حَائِثِينَ فَإِنَّهُمْ جَمَامُ (١٥)

(١٠) الأبيات في الديوان ص ٨٥، وهي في ذيل الأملاني ص ١٠٤ ليزيد بن الطثرية، وكذلك في الأغاني ١٥/١٥٦، وفي الأغاني ٣٨/٥، بدون نسبة، وهي في شرح المازوني ص ١٢٩٨ لابن الدمنية وفي الحماسة البصرية ص ١٤٩ كذلك، وقد نسبت إلى المجنون ص ١١٢.

(١١) لم أهد إلى ترجمته.

(١٢) البيتان الرابع والخامس في ديوان المجنون ص ٢٨٢.

(١٣) لم أهد إلى الأبيات ولا إلى القائل.

(١٤) في «م» والمطبوع: أتضعضعت.

(١٥) الأبيات في الديوان ٣/١٥٢.

وقال البحرني:

مَا لِحُضْرٍ يُنْحَنُ فِي الْقُضْبِ الْخُضْ
عَاطِلَاتٌ بَلَّ حَالِيَاتٌ يُرَدِّدُ
زِدْنِي صَبْوَةً وَدَكَّرْتَنِي عَنْهُ
مَا يُرِيدُ الْحَمَامُ فِي كُلِّ وَادٍ
كُلَّمَا أُخِمِدَتْ لَهُ نَارُ شَوْقٍ
هَجَنَهَا بِالْبُكَاءِ وَالتَّغْرِيدِ (١٦)

وقال بعض الأعراب:

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مُقَلَّةَ أَرْحِيَّةٍ
وَنَفْسًا تَمْنَى مَخْرَجاً مِنْ طَوَاعِيهَا

وقال يزيد بن الطثرية:

وَأَسْلَمْنِي الْبَاكُونَ إِلَّا حَمَامَةً
إِذَا نَحْنُ أَنْفَدْنَا الدَّمُوعَ عَيْشَةً
مُطَوِّقَةً قَدْ صَانَعَتْ مَا أَصَانِعُ
فَمَوْعِدُنَا قَرْنٌ مِنَ الشَّمْسِ طَالِعُ (١٧)

وقال بعض الأدباء:

نَاحَتْ مُطَوِّقَةً بِبَابِ الطَّاقِ
حَنْتَ إِلَى أَرْضِ الْحِجَازِ بِحَرْفَةِ
إِنَّ الْحَمَائِمَ لَمْ تَزَلْ بِحَيْنِهَا
كَانَتْ تُفْرَخُ بِالْأَرَاكِ وَرُبَّمَا
فَأَتَى الْفِرَاقُ بِهَا الْعِرَاقَ فَأُصْبَحَتْ
فَتَبِعَتْهَا لَمَّا سَمِعَتْ حَيْنَهَا
بِي مِثْلَ مَا بِكَ يَا حَمَامَةً فَاسْأَلِي
فَجَرَتْ سَوَابِقُ دَمْعِكَ الْمُهْرَاقِ
تُسْجِي فُرَادِ الْهَائِمِ الْمُشْتَاقِ
قَدَمًا تُبْكِي أَعْيُنَ الْعُشَّاقِ
سَكَنْتَ بِنَجْدٍ فِي فُرُوعِ السَّاقِ
بَعْدَ الْأَرَاكِ تَشُوخُ فِي الْأَسْوَاقِ
وَعَلَى الْحَمَامَةِ جُدْتُ بِالْإِطْلَاقِ
مَنْ فَكَّ أَسْرَكَ أَنْ يَفُكَّ وَثَاقِي (١٨)

(١٦) ديوان البحرني ص ٦٣٢.

(١٧) انظر: شعر يزيد ص ٧٨، والبيتان لابن الدمنية الديوان ص ٩٠.

(١٨) قرأت الأبيات في مصادر عدة واختلف في نسبتها وبينهم «البندنجي»!

وقال بعض الأعراب:

صَدُوحُ الضُّحَى هَيَّاجَةُ اللَّحْنِ لَمْ تَزَلْ
جَزُوعُ جُمُودِ الْعَيْنِ دَائِمَةُ الْبُكَاءِ
مُطَوَّقَةٌ لَمْ تُطْرِبِ الْعَيْنَ فِضَّةً
قِيُودُ الْهَوَى تُهْدِي لَهَا وَتَقُودُهَا
وَكَيْفَ بُكَاءُ ذِي مُقْلَةٍ وَجُمُودُهَا
عَلَيْهَا وَلَمْ يَعْطَلْ مِنَ الْجَلِي جِيدُهَا

وقال آخر:

مُطَوَّقَةٌ لَا تَفْتَحُ أَلْفَمَ بِالْذِي
تُؤَلِّفُ أَحْزَانًا تَفْرُقَنَّ بِالْهَوَى
دَعَتْ سَاقَ حُرٍّ بِالْمَرَاوِجِ وَأَتَتْحَتْ
وَحَقُّ لِمَصْبُوبٍ أَلْحَشَا بِيَدِ الْهَوَى
تَقُولُ وَقَدْ هَاجَتْ لِي الشُّوقُ أَجْمَعًا
إِذَا وَافَقَتْ شُعْبَ الْفُؤَادِ تَصَدَّعًا
لَهَا الرِّيحُ فِي وَادٍ فِرَاحٍ فَأَسْرَعَا
إِذَا حَنَّ بَاكِ أَنْ يَحْنُ وَيَجْزَعَا

وقال آخر:

أَلَا هَلْ إِلَى قُمْرِيَّةٍ فِي حَمَائِمٍ
فَتَلْسِنِي قُمْرِيَّةً مِنْ جَنَاحِهَا
مُطَوَّقَةٌ طَوْفًا تَرَى لِفُصُوصِهِ
بِنَخْلَةٍ أَوْ بِالْمَرْجَتَيْنِ سَبِيلُ
وَذَلِكَ نَيْلٌ لِلْمُحِبِّ قَلِيلُ
رَوَائِعِ يَأْقُوتٍ لَهْنُ فُصُولٍ (١٩)

وقال آخر:

رُؤَيْدَكَ يَا قُمْرِي لَسْتُ بِمُضْمِرٍ
لِيَكْفِكَ أَنْ أَلْقُبَ مِنْذُ تَنَكَّرَتْ
سَقَى اللَّهَ أَيَّامًا خَلَتْ وَلَيْلِيًا
لَئِنْ كَانَتْ الدُّنْيَا عَتْنًا إِسَاءَةً
مِنْ الشُّوقِ إِلَّا دُونَ مَا أَنَا مُضْمِرٌ
أَمَامَةً مِنْ مَعْرُوفِهَا مُتَنَكِّرٌ
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا عَهْدُهَا وَالتَّذْكَرُ
لَمَّا أَحْسَنْتُ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ أَكْثَرُ

وقال بعض العقيليين:

لَقَدْ هَاجَ لِي شَوْقًا وَمَا كُنْتُ سَالِيًا
حَمَامَةً وَإِذْ هَيَّجَتْ بَعْدَ هَجْعَةٍ
وَلَا كُنْتُ لَوْ رُئْتُ أَصْطَبَارًا لِأَصْبِرَا
حَمَائِمَ وَرَقًا مُسْعِدًا أَوْ مُعْذِرَا

(١٩) لم أهتمد إليها.

كَأَنَّ حَمَامَ الْوَادِيَيْنِ وَدُومَةٍ
مُحَلَّاةٌ طَوْقٍ لَيْسَ تَخْشَى أَنْفِضَابَهُ
دَعَتْ فَوْقَ سَاقٍ دَعْوَةً وَتَنَاولَتْ
نَوَائِحُ قَامَتْ إِذْ دَجَى اللَّيْلُ حُسْرًا
إِذَا هُمْ أَنْ يَهْوِي تَبَدَّلَ آخِرَا
بِهَا صَحْرًا عَلَى بَدِيلٍ لِيَتَحَذَّرَا (٢٠)

وإِنَّ هَذَا لَمِنْ نَفِيسِ الْكَلَامِ قَدْ اشْتَمَلَ عَلَى لَفْظٍ فَصِيحٍ وَمَعْنَى
صَحِيحٍ. أَلَا تَرَى إِلَى اخْتِرَازِهِ مِنْ أَنْ يَتَوَهَّمُ سَامِعُ كَلَامِهِ أَنَّ الْحَمَامَ أَعَادَ لَهُ
الشُّوقَ بَعْدَ سَلُوتِهِ، أَوْرَدَ عَلَيْهِ مَا كَانَ ذَهَبَ مِنْ صَبُونِهِ؟ ثُمَّ مَا عَقَّبَ بِهِ بَعْدَ
ذَلِكَ مِنَ الْجَزَالَةِ السَّهْلَةِ وَالرِّقَّةِ الْمُسْتَحْسَنَةِ.

ولقد أحسن الذي يقول:

وَقَبْلِي أَبْكَى كُلِّ مَنْ كَانَ ذَا هَوَى
وَهُنَّ عَلَى الْأَطْلَالِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
مُزَبَّرَجَةٌ الْأَعْنَاقِ نَمُرُ ظُهُورُهَا
وَمِنْ قَطْعِ أَلْيَاقُوتٍ صِيغَتْ عَقُودُهَا
هَتُوفُ الْبَوَاكِي وَالذِّيَارُ الْبَلَاغُ
نَوَائِحُ مَا تَخْضَلُ مِنْهَا الْمَدَامِغُ
مُخْطَمَةٌ بِالذِّرِّ خَضِرُ رَوَائِعِ
خَوَاضِبُ بِالْحَنَاءِ مِنْهَا الْأَصَابِغُ

وأحسن أيضاً الذي يقول:

وَقَدْ كِدْتُ يَوْمَ الْحَزَنِ لَمَّا تَرْنَمْتُ
أُمُوتُ لِمَبْكَاهَا أَسَى إِنْ لَوَعْتَنِي
فَلَوْ قَبْلَ مَبْكَاهَا بِكَيْتُ صَبَابَةٍ
وَلَكِنْ بَكَتْ قَبْلِي فَهَيَّجَ لِي الْبُكَاءُ
هَتُوفُ الضُّحَى مَحْزُونَةٌ بِالتَّرْنَمِ
وَوَجْدِي بِسُغْدِي قَاتِلٌ لِي فَأَعْلَمِ
بِسُغْدِي شَفِيتُ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنْدَمِ
هَوَاهَا فَقُلْتُ الْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ (٢١)

(٢٠) لم أهتمد إليها.

(٢١) البيتان الثالث والرابع من مقطوعة في أربعة أبيات من شعر عدي بن الرقاع كما في
الكامل للمبرد ٨٦/٢، رغبة الأمل ٢٩/٧ شرح المقامات للشربشي ٣٣/١ مع
اختلاف في الرواية الحماسة البصرية ١٤٢/٢ مع اختلاف في الرواية، الأشباه والنظائر
للخالدين ١/١، الرسالة الموضحة في سرقات المتنبي ص ١٣٠.

وقال حميد بن ثور:

وَمَا هَاجَ هَذَا الشُّوقَ إِلَّا حَمَامَةً
بَكَتْ شَبَجَوْتُكَلَى قَدْ أَصِيبَ حَمِيمُهَا
فَلَمْ أَرِ مِثْلِي شَاقَهُ صَوْتُ مِثْلِهَا

وقال آخر:

يَهِيحُ عَلَيَّ الشُّوقُ نَوْحُ حَمَامَةٍ
دَعَتْ فَبَكَتْ عَيْنَا مُجِبَّ لَصَوْتِهَا
يَلْدُ بِهَا الرَّائِي جَنَاحاً مُوَلَّجاً
خَفَضْتُ إِلَيْهَا الْقَلْبَ حَتَّى تَشْرَبَتْ
أَقُولُ لَهَا نُوحِي أَعْنِكَ وَلَمْ أَكُنْ

ولبعض أهل هذا العصر:

أَرَى نَوْحَ الْحَمَامِ يَشُوقُ قَوْمًا
إِذَا بَكَتْ الْحَمَائِمُ وَهِيَ وَحْشٌ
فَمَا جَزَعَ الْأَنْبَسُ مِنَ التَّصَابِي

دَعَتْ سَاقَ حُرِّ نَوْحَةٍ وَتَرَنَّمَا
مَخَافَةَ بَيْنَ يَتْرُكُ الْحَبْلُ أَجْذَمَا
وَلَا عَرَبِيًّا شَاقَهُ صَوْتُ أَعْجَمًا (٢٢)

دَعَتْ شَجْوَهَا فِي إِثْرِ أَلْفِ تَشْوُقَا
وَقَاضَ لَهَا مَاءَ الْهَوَى فَتَرَقَّرَا
وَمَتْنًا سَمَويًا مِنَ اللَّوْنِ أَزْرَقَا
حَلَاوَتَهَا أَحْشَاؤُهُ فَتَشَوَّقَا
لِاسْمِدِ بِالْأَمْسِ الْمُطَوَّقَا

وَفِي نَوْحِ الْحَمَائِمِ لِي عَزَاءُ
وَأَزْعَجِيهَا التَّفَرُّقُ وَالْجَفَاءُ
إِذَا أَمْتَنَعَ التَّزَاوُرُ وَاللِّقَاءُ

□ □ □

الباب الرابع والثلاثون:

مَنْ أَمْتَحَنَ بِالْمُفَارَقَةِ وَالْهَجْرِ أَشْتَغَلَ فِكْرُهُ بِالْعِمَاقَةِ وَالزُّجْرِ

سَبِيلُ كُلِّ مَشْغُوفٍ بِشَيْءٍ مَا كَانَ أَنْ يَحْذَرَ عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي قَبْضَتِهِ وَبَرَجُ
رُجُوعِهِ إِذَا خَرَجَ عَنْ يَدِهِ. فَالْمُجِبُّ مَا دَامَ مُقِيمًا مَعَ مَحْبُوبِهِ فَخَوَاطِرُهُ مَوْقُوفَةٌ
عَلَى الْحَذَرِ عَلَيْهِ مِنَ الزَّوَالِ، وَفِكْرُهُ مُرْتَهَنَةٌ بِالْخَوْفِ مِنْ تَغْيِيرِ الْحَالِ، فَإِذَا
فَارَقَ مَحْبُوبَهُ، وَافْتَقَدَ مَطْلُوبَهُ، أَشْتَغَلَتْ خَوَاطِرُهُ بِتَأْمِيلِ أَوْبَتِهِ، كَأَشْتَغَالِهَا
بِمُحَادَرَةِ فُرْقَتِهِ. إِذْ هُوَ غَيْرُ خَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ فَتَرَاهُ حِينئِذٍ يَتَيَّمُنُ بِالسَّوَانِحِ،
حَسَبَ تَشَاوِيهِمِ بِالْبَوَارِحِ. وَقَدْ قَالَتِ الشُّعْرَاءُ فِي كُلِّ ذَلِكَ، وَنَحْنُ إِنْ شَاءَ
اللَّهُ نَذْكُرُ مِنْ أَقَاوِيلِهِمْ حَسَبَ مَا يَحْتَمِلُهُ الْبَابُ، إِذْ كُنَّا غَيْرَ مُتَجَاوِزِينَ لِمَا
شَرَطْنَاهُ فِي صَدْرِ الْكِتَابِ.

قال عبيد الله بن قيس الرقيات:

بَشَّرَ الطَّبِيَّ وَالْغُرَابُ بِسُعْدِي
قَالَ لِي إِنْ خَيْرَ سُعْدِي قَرِيبٌ
قُلْتُ أَنَّى تَكُونُ سُعْدِي قَرِيبًا
حَبْدًا الرِّيمُ وَالْوَشَّاحَانِ وَالْقَصْـ
فَعَسَى أَنْ يُؤْتِيَ اللَّهَ أَمْرًا
مَرْحَبًا بِأَلَّذِي يَقُولُ الْغُرَابُ
قَدْ أَنَّى أَنْ يَكُونَ مِنْهُ أَقْتِرَابُ
وَعَلَيْهَا الْحُصُونُ وَالْأَبْوَابُ
رُ الَّذِي لَا تَنَالُهُ الْأَسْبَابُ
لَيْسَ فِي غَيْهِ عَلَيْنَا آرْتِقَابُ (١)

قال آخر:

نَعَبَ الْغُرَابُ بِرُؤْيَا الْأَحْبَابِ فَلِذَاكَ صِرْتُ أَلِيفَ كُلِّ غُرَابٍ

(١) أربعة الأبيات في الديوان ص ٨٤، ولم أجد الخامس.

(٢٢) البيت الأول جاء في الديوان ص ٢٤، وقد جاء الثالث في ص ٢٧، ولم أجد الثاني.

لَا شُكَّ رِيْشُكَ إِذْ نَعَبْتَ بِقُرْبِهِمْ
وَسَكَنْتَ بَيْنَ حَدَائِقِي فِي جَنَّةٍ
وَسَقَيْتَ مُزْنَ صَيِّبٍ كُلِّ سَحَابٍ
مَحْفُوفَةٍ بِالنَّخْلِ وَالْأَعْنَابِ

وقال الراعي:

جَرَى يَوْمَ رُحْنَا عَامِدِينَ لِأَهْلِهَا
وَكَرَّ رَجَالٌ مِنْهُمْ وَتَرَا جَعُوا
عُقَابٌ بِأَعْقَابٍ مِنَ الدَّارِ بَعْدَمَا
وَقَالُوا نَرَاهُ هُذْهَدًا فَوْقَ بَانَةٍ
وَقَالُوا دَمٌ دَامَتْ مَوْدَةٌ بَيْنَنَا
وَدَامَ لَنَا صَفْوٌ صَفَاهُ صَرِيحٌ^(٢)

وقال جبران العود:

جَرَى يَوْمَ جِئْنَا بِالْجَمَالِ نَزْفُهَا
فَأَمَّا الْعُقَابُ فَهِيَ مِنْهَا عُقُوبَةٌ
أَفَلَا تَرَى إِلَى تَقَارُبِ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ التَّأْوِيلَيْنِ الرَّاعِي لِأَنَّهُ كَانَ مُفَارِقًا
لِأَحْبَابِهِ، وَجَرَى الْعُقَابُ بِالْأَعْقَابِ مِنَ الدَّارِ وَرُجُوعِ الْحَالِ، إِلَى مَا يَهْوَى
لِضَعْفِ الْمَخَافَةِ مِنَ الْمَفَارِقِ وَقُوَّةِ الْآمَالِ. وَهَذَا لِأَنَّهُ كَانَ مُقِيمًا مَعَ أَحِبَّتِهِ،
وَجَرَى الْعُقَابُ بِالْعُقُوبَةِ مِنْ صَاحِبَتِهِ، فَهَذَا كُلُّهُ شَاهِدٌ لِمَا قَدْ ذَكَرْنَاهُ.

وقال جحدر الفقعسي:

تَغْنَى الطَّائِرَانِ بَيْنِي سَعْدَى
فَقُلْتُ لِصَاحِبَتِي وَكُنْتُ أُحَرَى
فَقَالَا الدَّارُ جَامِعَةٌ بِسَعْدَى
فَقُلْتُ بَلْ أَنْتُمَا مُتَمَنِّيَانِ

(٢) لم أجد الأبيات في الديوان.

(٣) البيتان في الديوان ص ٣٩ مع اختلاف في الرواية.

(٤) انظر البيتين في الصفحة ٢٤٠، والأبيات من مقطوعة في معجم البلدان «حجر» ومعها خبر جحدر مع الحجاج.

وَكَانَ أَلْبَانُ أَنْ بَانَتْ سُلَيْمَى
إِذَا جَاوَزْتُمَا سُعْفَاتِ حِجْرِ

وقال آخر:

رَأَيْتُ غُرَابًا وَقِيعًا فَوْقَ بَانَةٍ
فَقُلْتُ لَوَأْنِي لَوْ أَشَارَ زَجْرَتُهُ
فَقَالَ غُرَابٌ بِأَغْتِرَابٍ مِنَ النَّوَى
فَمَا أَغَيْفَ النَّهْدِيِّ لَا دَرَّ دَرُهُ
يُشْرِشِرُ أَعْلَى رِيْشِهِ وَيُطَايِرُهُ^(٥)
بِنَفْسِي لِلنَّهْدِيِّ هَلْ أَنْتَ زَا جِرُهُ
وَفِي أَلْبَانِ بَيْنَ مَنْ حَبِيبٌ تُجَاوِرُهُ
وَأَزْجَرُهُ لِلطَّيْرِ لَا عَزَّ نَاصِرُهُ

وقال عروة بن حزام^(٦):

أَلَا يَا غُرَابِي دِمْنَةَ الدَّارِ بَيْنَنَا
فَإِنْ كَانَ حَقًّا مَا تَقُولَانِ فَانْهَضَا
وَلَا يَذْرِيَنَّ النَّاسُ مَا كَانَ مِيتِي
فَعَفْرَاءُ أَصْفَى النَّاسِ عِنْدِي مَوْدَةٌ
أَبِالصَّرْمِ مِنْ عَفْرَاءٍ تَتَجَبَّانِ
بِلَحْمِي إِلَى وَكْرِيكُمَا فَكَلَابِي
وَلَا يَأْكُلَنَّ الطَّيْرُ مَا تَذْرَانِ
وَعَفْرَاءُ عَنِي الْمَعْرِضُ الْمُتَوَانِي^(٧)

وقال قيس بن ذريح^(٨):

أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ قَدْ طَرْتُ بِالَّذِي
أَتَّبِكِي عَلَى لُبْنَى وَأَنْتَ تَرْكُتْهَا
وَطَارَ غُرَابُ الْبَيْنِ وَأَنْشَقَّتِ الْعَصَا
أَحَاذِرُ مِنْ لُبْنَى فَهَلْ أَنْتَ وَاقِعٌ
فَقَدْ ذَهَبَتْ لُبْنَى فَمَا أَنْتَ صَانِعٌ
بِلُبْنَى كَمَا شَقَّ الْأَيْدِيمَ الصَّوَانِعُ^(٩)

(٥) في «م»: يطائره.

(٦) عروة بن حزام، من عذرة، أحد عشاق العرب من شعراء صدر الإسلام، الشعر والشعراء (ليدن) ص ص ٣٩٤ - ٣٩٩.

(٧) انظر شعر عروة بن حزام ص ص ٦ - ٧.

(٨) قيس بن ذريح أحد عشاق العرب وصاحبه لبنى. الشعر والشعراء (ليدن) ص ص ٣٩٩ - ٤٠٠ تقدمت ترجمته ص ١٨٨.

(٩) الأبيات في الشعر والشعراء.

وقال آخر:

أَلَا يَا غُرَابِي دَارِ أَسْمَاءَ بَشِيرًا
فَقَدْ كُنْتُمَا وَاللَّهِ حِينَ نَعَبْتُمَا
وَلَا وَجَدَ إِلَّا دُونَ وَجِدِ وَجَدْتُهُ

وقال آخر:

جَرَى نَارِجٌ مِنْ آلِ زَيْنَبِ غُدُوَّةٍ
وَأَسْحَمُ شَحَاجٍ عَلَى غُضَنِ بَانَةٍ
فَلَا طَارَ إِلَّا فِي النَّوَاهِضِ بَعْدَهَا

وقال الضحاك الخفاجي^(١١):

أَلَا يَزْجُرُ الْأَلْفُ وَالنَّاشِطُ الْفَرْدَا
جَرَى بِأَنْجَلَالِ الشُّوقِ فِي دَاخِلِ الْحَشَا

وقال ثوبان بن زيات الأسدي^(١٢):

أَلَا يَا غُرَابِي بَيْنَ ظَمِيَاءٍ طَالَمَا
فَيَا لَكُمْ مِنْ طَائِرِينَ شَحِيئَتُمَا

وقال عدي بن زيد^(١٣):

دَعَا صُرْدٌ يَوْمًا عَلَى عُودِ شَوْحِطٍ
فَقُلْتُ أَتَضَرِّدُ وَحَطًّا وَغَرَبَةً

(١٠) لم أعتد إلى ترجمته.

(١١) لم أعتد إلى ترجمته.

(١٢) عدي بن زيد بن حماد... شاعر جاهلي، سكن الحيرة، الشعر والشعراء (ليدن)

ص ص ١١١ - ١٧٧.

(١٣) لم أجد البيتين في الديوان.

وقال قيس بن ذريح:

أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ لَوْ أَنَّكَ شَاحِبٌ
فَإِنْ كَانَ حَقًّا مَا تَقُولُ فَأَصْبَحْتَ
وَدُرْتَ بِأَعْدَاءِ حَبِييبِكَ فِيهِمْ

وقال جميل بن معمر:

أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ فِيمَ تَصِيحُ
وَكُلُّ غَدَاةٍ لَا أَبَا لَكَ تَنْتَحِي
تُحَدِّثُنِي أَنْ لَسْتُ لَاقِي نِعْمَةٍ
فَإِنْ لَمْ تَهْجِنِي ذَاتَ يَوْمٍ فَإِنَّهُ

وقال أبو ذؤيب الهذلي^(١٦):

أَبِالْصَّرْمِ مِنْ أَسْمَاءَ خَبَرَكَ الَّذِي
رَجَرْتُ لَهَا طَيْرَ الشِّمَالِ فَإِنْ تُصِبْ
عَصَانِي إِلَيْهَا الْقَلْبُ أَنِّي لِأَمْرِهِ
فَقُلْتُ لِقَلْبِي يَا لَكَ الْخَيْرُ إِنَّمَا

وقال جرير:

بَانَ الْخَلِيطُ بِرَامَتَيْنِ فَوَدَّعُوا
أَوْ كُلَّمَا رَفَعُوا لِبَيْنٍ تَجَزَّعُ

(١٤) الأبيات نسبت إلى المجنون، الديوان ١٤١، وهي في الأغاني ٨٩/٢، ٩١، وتزين

الأسواق ص ٦٥ لقيس بن ذريح.

(١٥) ديوان جميل ص ٣١.

(١٦) أبو ذؤيب الهذلي، وهو خويلد بن خالد، جاهلي إسلامي، الشعر والشعراء

ص ص ٤١٣ - ٤١٦ والأبيات وأولها مطلع قصيدة للشاعر في شرح أشعار

الهذليين ٧٠/١ - ٧١.

(١٧) انظر شرح أشعار الهذليين ص ص ٤٢ - ٤٤.

أَنْ الشَّوَّاجِحَ بِالضُّحَى هَيَّجَنِي
نَعَبَ الْغُرَابِ فَقُلْتُ بَيْنَ عَاجِلِ

فِي دَارِ زَيْنَبَ وَالْحَمَامِ الْوَقْعُ
وَجَرَى بِهِ الصَّرْدُ الْغَدَاةَ الْأَلْمَعَ^(١٨)

وقال آخر:

أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ مَا لَكَ كُلَّمَا
أَعْنَدَكَ عِلْمُ الْغَيْبِ أَمْ أَنْتَ مُخْبِرِي
فَلَا حَمَلَتْ رِجْلَاكَ عُشًّا لِيَيْضَةَ

ذَكَرْتُ لُبَيْنَى طَرْتُ لِي عَنْ شِمَالِيَا
بِحَقِّ عَنِ الْأَمْرِ الَّذِي قَدْ بَدَا لِيَا
وَلَا زَالَ رَيْشٌ مِنْ جَنَاحِكَ بَالِيَا^(١٩)

وقال بعض الأعراب:

أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ هَلْ أَنْتَ بَائِعِي
فَمَا زِلْتُ أَبْكِي عِنْدَهُ وَأَبْشُهُ

جَنَاحِيكَ أَمْ مُسْتَبْدِلًا بِهِمَا بُرْدِي
مِنْ الشَّوْقِ حَتَّى جَاءَنِي فَبَكَا عِنْدِي

وقال آخر:

كَذَبْتَ غُرَابَ الْبَيْنِ مَا أَنْتَ وَاجِدُ
زَعَمْتَ لِحَاكَ اللَّهُ أَنَّكَ مُدَنِّفُ
يُتْرَجُّ مَا يُخْفِي الْمَجِبُ دُمُوعُهُ
فَكَيْفَ هَوَانًا وَاحِدًا وَقَصَاحَتِي

بِإِلْفٍ وَمَا شَوْقِي وَشَوْقَكَ وَاحِدُ
فَهَلْ لَكَ فِي دَعْوَاكَ وَنَحَاكَ شَاهِدُ
وَدَمْعِي مُنْصَبٌ وَدَمْعُكَ جَامِدُ
تُصْرِحُ عَنْ وَجْدِي وَلَفْظُكَ جَاجِدُ

وقال آخر:

فَأَوَّلَ طَيْرٍ جِئَ رُحْنَا عَشِيَّةً
فَقُلْتُ جَنُوبُ بِاجْتِنَابِكَ أَهْلَهَا
وَقَالَ غُرَابٌ بِاغْتِرَابٍ مِنَ النَّوَى

جَنُوبٌ أَصِيلَانًا وَقَدْ جَنَحَ الْعَصْرُ
وَنَفَحَ الصَّبَا بِلَاكِ الصَّبَابَةِ وَالْهَجْرُ
وَقَطَعَ الْقَوَى بِلَاكِ الْعَيَافَةِ وَالزَّجْرُ

(١٨) ديوان جرير (الصاوي) ص ص ٣٤٠ - ٣٤١.

(١٩) الأبيات للمجنون كما في الديوان ص ٣١٤، وهي لقيس بن ذريح في الحماسة البصرية ص ١٥١، وفي أسالي النضالي ٢١٥/١، ٢١٦، (٧)، (٨)، (١٠)، (١١) نسبت إلى المجنون.

وقال المرقش السدوسي^(٢٠):

وَلَقَدْ غَدَوْتُ وَكُنْتُ لَا
فَإِذَا الْأَشْيَاءُ كَالْأَيَا
وَكَذَلِكَ لَا خَيْرَ وَلَا
أَعْدُو عَلَى وَاقٍ وَحَاتِمٍ
مِنْ وَالْأَيَّامِ؟ كَالْأَشْيَاءِ
شَرٌّ عَلَى أَحَدٍ بِدَائِمٍ

وقال الحارث بن سمر الحنفي^(٢١):

وَلَسْتُ بِمُشْفِقٍ مِنْ ضَرِّ نَجْمٍ
وَمَا نَعَبَ الْغُرَابِ لَنَا بِئْسَ
وَلَكِنْ مَا أَرَادَ اللَّهُ أَمْضَى
وَلَا أَرْجُو الْمَنَافِعَ فِي النُّجُومِ
وَمَا نَعَبَ الْغُرَابِ لَنَا بِشُومِ
كَذَلِكَ قُدْرَةُ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ

ولبعض أهل هذا العصر:

أَيَا قَلْبَ لَا تَجَزَّعْ مِنَ الْبَيْنِ وَأَصْطَبِرْ
تَوَكَّلْ عَلَى الرَّحْمَانِ إِنْ كُنْتَ مُؤْمِنًا
فَكُلُّ الَّذِي قَدْ قَدَّرَ اللَّهُ وَقَعَ
فَلَسْتُ لِمَا يُقْضَى عَلَيْكَ بِدَافِعٍ
يُجْرِكَ وَدَعْنِي مِنْ نُحُوسِ الطَّوَالِعِ
وَمَا لَمْ يُقْدِرْهُ فَلَيْسَ بِوَاقِعٍ

وقال جهم بن عبد الرحمان الأسدي^(٢٢):

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْعَائِفِيَّ طُنَّ وَلَوْ حَوَتْ
يَسْطَنَانِ ظَنًّا مَرَّةً يُخْطِئَانِيهِ
فَقَضَى اللَّهُ أَلَّا يَعْلَمَ الْغَيْبَ غَيْرُهُ
لَكَ الطَّيْرُ عَمَّا فِي غَدٍ عَمِيَانٍ
وَأُخْرَى عَلَى بَعْضِ الَّذِي يَصْفَانِ
فَفِي أَيِّ أَمْرِ اللَّهِ تَمْتَرِيَانِ

وقال عروة بن الورد^(٢٣):

تَقُولُ سَلِيمِي لَوْ أَقَمْتُ بِسِرْنَا
وَلَمْ تَذِرِ آتِي لِلْمُقَامِ أُطُوفُ

(٢٠) لم أهدت إلى ترجمته.

(٢١) لم أهدت إلى ترجمته، ولعل الأصل: الحارث بن سمر.

(٢٢) لم أهدت إلى ترجمته.

(٢٣) عروة بن الورد من الصعاليك، شاعر جاهلي. انظر الأغاني ١٨٤/٢ - ١٩٠، الشعر والشعراء ص ٤٢٥ - ٤٢٧، الاشتقاق ص ١٧٠، الموشح ص ٨١، السمط ص ٨٢٣.

أَرَى أَمْ حَسَانَ الْغَدَاةِ تَلُومُنِي
لَعَلَّ الَّذِي خَوَّفْتَنَا مِنْ أَمَانِنَا

وقال الكميت:

وَمَا أَنَا مِمَّنْ يَزْجُرُ الطَّيْرَ هُمُهُ
وَلَا السَّائِحَاتُ الْبَارِحَاتُ عَشِيَّتُهُ

وقال معجون بن عامر:

أَلَا يَا غُرَابًا صَاحَ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهَا
وَلَا كُنْتُ مِنْ رَبِّبِ الْحَوَادِثِ سَالِمًا

وقال آخر:

أَمِنْ أَجْلِ غُرْبَانٍ تَصَايَحْنَ غُدُوَّةَ
أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ لَا صِحْتَ بَعْدَهَا

وقال آخر:

كَأَنِّي غَدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ صَاحَ شَاحِجٌ
سَلِيمٌ رَمَاهُ الْحُزْنُ أَمَّا نَهَارُهُ

وقال آخر:

يَا طَائِرِي بَيْنَ سَعْدِي لَوْ أَبْثُكُمَا
لَمْ تَفْجَعَانِي بَيْنَ تَبَعَانِ بِهِ

وقال آخر:

وَكَاذَ غَدَاةَ سَارَ الْخِيَّ يُّبْدِي

تُخَوِّفُنِي الْأَقْدَارُ وَاللَّهُ أَخْرَفُ
يُصَادِقُهُ مِنْ أَهْلِنَا الْمُتَخَوِّفُ (٢٤)

أَصَاحَ غُرَابٌ أَمْ تَعْرِضُ نَعْلَبُ
أَمْرٌ سَلِيمٌ. الْقَلْبُ أَمْ مَرَّ أَعْضَبُ (٢٥)

أَفَقُ لَا أَفَقْتَ الدَّهْرَ مِنْ صَيِّحَانِ
جَنَاحَكَ إِنْ أَرْمَعْتَ بِالطَّيْرَانِ (٢٦)

بَيْنَ حَبِيبِ مَاءِ عَيْنِكَ يَسْفَحُ
وَأَمُكُنْ مِنْ أَوْدَاجِ خَلْقِكَ مَذْبَحُ

مِنْ الطَّيْرِ مَشْنِي الصَّبَاحِ لَعِينُ
فَغَشْنِي وَأَمَّا لَيْلُهُ فَأَنْبِيْنُ

نَجِي نَفْسِي وَحَاجَاتِي وَأَسْرَارِي
وَلَمْ تُحَقِّقْ بِهِ وَجْدِي وَاحْدَارِي

ضَمِيرَ الْقَلْبِ تَشْحَاجُ الْغُرَابِ

غَدَا بِي شَامِتًا وَعَدُوْتُ صَبَاً
يُضَاحِكُنِي فَيُضْحِكُ جِئَنَ أَبْكِي
فَلَوْ أَنَّ الْغُرَابَ يَرِقُّ يَوْمًا
لَعَلَّ الدَّهْرَ يَقْلُبُ حَالَتِيهِ
فَيُقْلِقُهُ أَشْتِيَاقُ وَارْتِيَاخُ

يُرِينِي مَا بِهِ وَأَرِيهِ مَا بِي
كَذَلِكَ ذَابُهُ أَبَدًا وَذَابِي
لَرَقُّ لَطُولِ وَجْدِي وَاكْتِشَابِي
فَإِنَّ الدَّهْرَ حَوْلُ ذُو انْقِلَابِ
وَيُوجِشُهُ أَغْتِرَابُ كَأَغْتِرَابِي

□ □ □

(٢٤) الأبيات في الديوان ص ١١.

(٢٥) لم أجِد البيتين في «شعر الكميت».

(٢٦) البيتان في ديوان المعجون ص ٢٧١ مع اختلاف في الرواية.

في حنين البعير المفارق أنس لكل صب وامق

قال مرة بن عقيل^(١):

لعمري لقد هاجت عليّ حمامة
تعدت لها والليل ملق رواقه
قلوص العباديين ليلة حلت
فجاوبنها حتى مللن وملت

وقال تميم بن كميل الأسدي^(٢):

بحن قعودي بعدما كمل السرى
بحن إلى ورد الحشاشة بعدما
وبات يحوب أليد والليل مائل
وبي مثل ما يلقي من الشوق والهوى
فقلت له لما رأيت الذي به
قلت الذي ينسى تذكر إليه
بنخلة والضمر الحراجيح ضم
ترامى به خرق من اليد أغبر
يثنى لتعريس يحن وأزفر
على أنني أخفي الذي بي وأظهر
كلانا إلى ورد الحشاشة أضور
وسرنا بأحواض الحشاشة ينحر

وقال أيضاً:

بحن قعودي ذو الجياض صبابه
تذكر نجداً موهناً بعدما أنطوت
تذكر نجداً حادياً بعد قادم
فقلت له قد هجت بي شاعف الهوى
بمكة وهناً من تذكره نجداً
ثميلته وأزداد عن إليه بعداً
ولا يلبث أيشوقان أن يصدعا الكبد
أصاب حمام الموت أضعفنا وجداً

وقال آخر:

أيضرب جوى أن تحن غريبه
يقولون لا تنظر وتلك ليلة
وما ذنب جوى أن تحن الأباغر
بلى كل ذي عينين لا بد ناظر

وقال آخر:

باتت تشوقني برجع حنينها
نضوين مقتربين تهامة
وأزيدها شوقاً برجع حنيني
طويلاً الضلوع على جوى مكثون
لو خبرت عني القلوص لخبرت
عن مستقر صبابه المحزون

وقال عروة بن حزام:

هوى ناقتي خلفي وقدامي الهوى
فلو تركتني ناقتي من حنينها
وإني وإياها لمختلفان
وما بي من وجد إذن لكفاني
فإن تحملي شوقي وشوقك ثقلي
وما لك بالحمل الثقيل يدان^(٣)

وقال آخر:

تحن قلوصي نحو نجد وقد أرى
ولا وإرداً أمواه أجيلة الحمى
بعيني أنني لست مودها نجداً
وإن زهقت نفسي على وريدها جهداً

وقال النجاشي^(٤):

رأت ناقتي ماء الفرات ودوقه
وربعت من العاقول لما رأت به
أمر من السم الدعاف وأمقرا
صباح النبط والسفين المقيرا
فؤاداً إلى أن يدرك الربو أضورا
كوجدك إلا إني كنت أصبرا
فقلت لها بعض الحنين فإن بي

(٣) شعر عروة بن حزام ص ١٢، وانظر التخريج.

(٤) هو النجاشي الحارثي، انظر حماسة البحري ص ٨٣، الخزانة ١٠٥/٢ - ١٠٧ سمط
اللائي ص ٨٩٠.

(١) لم أهد إلى ترجمته.

(٢) لم أهد إلى ترجمته.

وقال آخر:

حَنْتُ وَمَا عَقِلْتُ فَكَيْفَ إِذَا بَكَى
ذَكَرْتُ قَرَى نَجْدٍ فَأَقْلَقَهَا أَلْهَوَى
وَكَأَنَّمَا يُجْنَى لَهَا وَلِرَكْبِهَا
وَتَمَرُّ مِنْ لُجَجِ السَّرَابِ مَوَارِقاً
فَعَدْتُ وَأَيْدِي الصُّبْحِ تَلْمَعُ فِي الدُّجَى

وقال جرير:

أَرَى نَاقَتِي [تَشْكُرُ] طُرُقاً وَشَاقِهَا
فَقُلْتُ لَهَا جِئِي رُوَيْدَا فَيَأْتِي
فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّ لَا قُفُولَ وَإِنَّمَا
تَمَطَّتْ لِمَجْدُولٍ طَوِيلٍ فَطَالَعَتْ

وقال آخر:

وَحَنْتُ قَلُوصِي آخِرَ اللَّيْلِ حَنَةً
سَعَتْ فِي عِقَالِهَا وَلَاحَ لِعَيْنِهَا
فَمَا بَرَحَتْ حَتَّى أَرْعَوَيْنَا لِصَوْتِهَا
تَجَنُّ إِلَى أَهْلِ الْحِجَازِ صَبَابَةً
فَيَا رَبِّ أَطْلُقْ قَيْدَهَا وَجَرِيرَهَا

وقال آخر:

أَرَادَ اللَّهُ نَفْيَكَ فِي السُّلَامَى
فَلَسْتُ وَإِنْ حَنْتَ أَشَدَّ وَجْداً
وَبِي مِثْلُ الَّذِي بِكَ غَيْرَ أَبِي

شَوْقاً يُلَامُ عَلَى الْبُكَاءِ مَنْ يَعْقِلُ
وَقَرَى الْعِرَاقَ وَلَيْلَهُنَّ الْأَطْوَلُ
يَنْطَافِ دَجَلَةٌ وَالْفَرَاتِ الْحَنْظَلُ
وَالْخَرْقُ أَغْبَرُ وَالْقَتَامُ مُجَلِّلُ
كَالْبَيْضِ تُغْمَدُ تَارَةً وَتُسَلِّلُ

وَمِيضٌ إِلَى ذَاتِ السَّلَاسِلِ لَامِعُ
إِلَى أَهْلِ نَجْدٍ مِنْ تَهَامَةٍ نَارِعُ
لَهَا مِنْ هَوَاهَا مَا تَجَنُّ الْأَصَالُ
وَمَاذَا مِنَ الْبَرْقِ الْيَمَانِي تَطَالِعُ^(٥)

فَيَا رَوْعَةً مَا رَاعَ قَلْبِي حَيْنِهَا
سَنَا بَارِقٍ وَهناً فَجَنُّ جُنُونِهَا
وَحَتَّى أَتَبَرَّى مِنَّا أَلْمَعِينُ يُعِينُهَا
وَقَدْ بَتَّ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ قَرِينُهَا
فَقَدْ رَاعَنِي بِالْمَسْجِدَيْنِ حَيْنِهَا

عَلَى مَنْ بِالْحَيْنِ تَعَوَّلِينَا^(٦)
وَلَكِنِّي أُسِرُّ وَتَعْلِينَا
أَجَلٌ عَنِ الْعِقَالِ وَتَعْقِلِينَا

وقالت امرأة من دارم:

أَلَا أَيُّهَا الْبُكَرُ الْآنَانِيُ إِنِّي
تَجَنُّ وَأَبْكِي إِنَّ ذَا لَبَلِيَّةُ
فَمَنْ يَكُ لَمْ يَغْرَضْ فَإِنِّي وَنَاقَتِي
تَجَنُّ فَتُبْدِي مَا بِهَا مِنْ صَبَابَةٍ

وقال آخر:

كَتَمُوا غَدَاةَ أَلْبِينِ رِحْلَتَهُمْ
فَتَبِعْتُهُمْ وَظَنَنْتُ أَنْ بَعُدُوا
مَا زَالَ هَادِي الشَّوْقِ يُرْشِدُنِي
ظَلَّتْ مَطَايَاهُمْ تَلَا حِظْنَا
أَتَخَالَهَا عَشِيقَتْ فَهَنْ إِذَا

وقال الأحوص:

تَذَكَّرَ سُلْمَى بَعْدَ مَا حَالَ دُونَهَا
فَأَنْتَ إِلَى سُلْمَى تَجَنُّ صَبَابَةً
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي قَبْلَهَا أَنَّ ذَا أَلْهَوَى
أَلَا حَبَّذا سُلْمَى الْفَوَادِ وَحَبَّذا
لَقَدْ بَخَلْتُ بِالنَّوْدِ حَتَّى كَانَتْهَا
فَإِنْ أَكْ قَدْ وَدَّعْتُهَا وَهَجَرْتُهَا
أَلَا لَيْتَ أَنَا لَمْ نَكُنْ قَبْلَ جِيرَةٍ
سَيَلَقَى لَهَا فِي الصَّدْرِ مِنْ مُضْمَرِ الْحَشَا

وَأَيَّاكَ فِي كَلْبٍ لَمُغْتَرِيَانِ
وَأَنَا عَلَى الْبُلُوَى لَمُصْطَلِحَانِ
جَمِيعاً إِلَى أَهْلِ الْحِمَى غَرَضَانِ
وَأُخْفِي الَّذِي لَوْلَا أَلْمَنَى لَعَصَانِي^(٧)

فَعَرَفْتُهَا بِخَوَاطِرِ الْقَلْبِ
وَإِذَا هُمْ مِنَّا عَلَى قُرْبِ
حَتَّى لَحِقْتُ بِأَوَّلِ الرُّكْبِ
وَدُمُوعُهَا سَكَباً عَلَى سَكْبِ
شُرَكَائُنَا وَأَيِّكَ فِي الْحَبِّ

مِنَ النَّأْيِ مَا يُسْلِي فَهَلْ أَنْتَ صَابِرُ
كَمَا حَنَ الْأَفْ الْمَطِيَّ السَّوَاجِرُ
يَزِيدُ أَشْتِيَاقاً أَنْ تَجَنُّ الْأَبَاعِرُ
زِيَارَتُهَا لَوْ يُسْتَطَاعُ التَّرَاوُرُ
خَلِيلُ صَفَاءٍ غَيْثُهُ أَلْمَقَابِرُ
فَمَا عَنْ تَقَالٍ كَانَ ذَاكَ التَّهَاجِرُ
جَمِيعاً أَلَا لَيْتَ دَامَ التَّجَاوُرُ
سَرِيرَةً وَدِ تَبْلَى السَّرَائِرُ^(٨)

(٧) البيتان في اللسان (غرض).

(٨) شعر الأحوص الأنصاري ص ١١٧.

(٥) الديوان ص ٩٢١ وفيها البيتان الأول والثاني مع اختلاف في الرواية.

(٦) الأبيات مما نسب إلى المجنون، الديوان ص ٢٨٣، مع اختلاف في الرواية.

وَقَدْ قَالَتِ الشُّعْرَاءُ أَيْضاً فِي تَفْضِيلِ مَا بَيْنَ حَيْنِهِمْ وَحَيْنِ الْإِبِلِ فِي تَشَاوُهِهِمْ بِهَا وَتَطْيِيرِهِمْ مِنْهَا أَشْعَاراً كَثِيراً فِيمَا ذَكَرُوهُ فِي وَصْفِ حَيْنِهِمْ وَحَيْنِهَا قَوْلُ ثعلبة بن أوس الكلابي:

وَمَا عَوْدُ يَحْلُ بِبَطْنِ نَجْدٍ مَعَانِي الشُّوقِ مُضْطَمَّرٌ قَلِيلاً (٩)
إِلَى وَإِ تَذَكَّرَ عُذْوَتِيهِ أَسَنُّ بِهِ وَكَانَ بِهِ فَصِيلاً
فَبَدَلَ مَشْرَباً مِنْ ذَلِكَ مِلْحاً وَظُمّاً بَعْدَ قِصْرَتِهِ طَوِيلاً
يَحْنُ إِلَى الْجَنَائِبِ هَيْجَتُهُ ضَحِيّاً أَوْ هُبَيْنَ لَهُ أَصِيلاً
بِأَكْثَرِ غَلَّةٍ مِنِّي وَجْهَداً عَلَى إِضْمَارِي الْهَجَرَ الطَّوِيلاً

وقال أيضاً:

وَمَا ذُو شُقَّةٍ يَقْضِي [حَيْناً] يَنْجِدُ كَانَ مُغْتَرِباً مَرِيحاً
يُمَارِسُ رَاعِياً لَا لَيْنَ فِيهِ وَقِيداً قَدْ أَضْرَبَ بِهِ وَجِيعاً
إِذَا مَا الْبَرَقُ لَاحَ لَهُ سَنَاهُ حِجَازِيّاً سَمِعَتْ لَهُ سَجِيعاً

وأنشدني أعرابي بالبادية:

خَلِيلِي جَمَعْتُ الْهَوَى وَكَتَمْتُهُ زَمَاناً فَقَدْ أَضْحَى بِجِسْمِي بَادِيَا
كَمَا جَمَعْتُ [وَجَنَاءَ] قَدْ طَالَ حَبْسُهَا وَأَكْثَرَ فِيهَا النَّاطِرُونَ التَّمَادِيَا
فَلَمَّا اسْتَبَانُوا مَا بِهَا جَعَلُوا لَهَا سَوَى مَرْبَعِ الْأَلْفِ قِيداً وَرَاعِيَا

وقال آخر:

لَعَمْرُكَ مَا خُوصُ الْعُيُونِ شَوَارِقُ رَوَائِمُ أَظْآرَ عَطْفَنَ عَلَى سَقَبِ
يُغْلِيْنُهُ لَوْ يَسْتَطِيعُنَ ارْتَشَفْنَهُ إِذَا اسْتَفْنَهُ يَزْدَدُنْ نَكْباً عَلَى نَكْبِ
بِأَوْجَدَ مِنِّي يَوْمَ وَلْتُ حُمُولَهُمْ وَقَدْ طَلَعَتْ أُولَى الرِّكَابِ مِنَ النَّقَبِ

(٩) في «م» والمطبوع: يحن، مغالي، ولم أهند إلى ثعلبة هذا.

وأنشدني أعرابي ببلاد نجد:

مَتَى تَطْعَنِي يَا مَيِّ مِنْ دَارِ جِيرَتِي أَكُنْ مِثْلَ ذِي الْأَلْفِ شُدَّ وَظِيفُهُ
أُمْتُ وَالْهَوَى بَرَحَ عَلَى مَنْ يُطَالِبُهُ إِلَى يَدِهِ الْأُخْرَى وَوَلَّى صَوَاحِبُهُ
عَنِ الدُّودِ تَفْنِيداً وَهَنْ حَبَائِثُهُ تَبَارِيزَ أَطْلَافاً وَقَارَبَ خَطْوُهُ
فَلَا أَلْقَيْدُ مُنْحَلٍّ وَلَا هُوَ قَاضِيَةُ (١٠) إِذَا حَنَ لَمْ يُسْمَعْ رَجِيعُ حَيْنِهِ
وقال عروة بن أذينة (١١):

وَتَفَرَّقُوا بَعْدَ الْجَمِيعِ لِيْنَةٍ لَا بُدَّ أَنْ يَتَفَرَّقَ الْجِيرَانُ
لَا تَصِيرُ الْإِبِلُ الْجِلَادُ تَفَرَّقَتْ حَتَّى تَحْنُ وَيَصْبِرُ الْإِنْسَانُ (١٢)
ومما ذكروا في التطير منها والكراهية لها قول عوف الراهب:

غَلِطَ الَّذِينَ رَأَيْتُهُمْ بِجَهَالَةٍ يَلْحَوْنَ كُلُّهُمْ غُرَاباً يَنْعَقُ
مَا الذَّنْبُ إِلَّا لِلْأَبَاعِرِ أَنَّهَا مِمَّا يُشْتِ جَمِيعُهُمْ وَيُفَرِّقُ
إِنَّ الْغُرَابَ يُمْنُهُ تُدْنِي النَّوَى وَتُشْتِ بِالشَّمْلِ الشَّتِيتِ الْأَلْبَنُ
وقال أبو الشيص في مثل ذلك (١٣):

مَا فَرَّقَ الْأَخْبَابَ بَعْدَ هَذَا أَلَّهُ إِلَّا الْإِبِلُ
وَالنَّاسُ يَلْحَوْنَ غُرَا بَ الْبَيْنِ لَمَّا جَهِلُوا
وَمَا عَلَى ظَهْرِ غُرَا بَ الْبَيْنِ تُمَطَّى الرُّحُلُ
وَلَا إِذَا صَاحَ غُرَابٌ فِي آلِ حَذِيَارٍ أَحْتَمَلُوا
وَمَا غُرَابُ الْبَيْنِ إِلَّا نَاقَةٌ أَوْ جَمَلُ (١٤)

(١٠) الأبيات لذي الرمة، الديوان ص ٤٨ مع اختلاف في الرواية.

(١١) عروة بن أذينة من شعراء العصر الأموي، انظر الشعر والشعراء (ليدن) ص ٣٦٧ - ٣٦٨ وهو من شعراء الحماسة (التبريزي) ٢٥٣/٣.

(١٢) انظر: شعر عروة ص ٤٠٣.

(١٣) أبو الشيص محمد بن عبدالله بن رذين ابن عم دعبل الخزاعي، كان في زمن الرشيد انظر الشعر والشعراء (ليدن) ص ٥٣٥، وقد تقدمت ترجمته.

(١٤) لم أجد الأبيات في «مجموع شعره».

قال آخر:

مَا أَلْمَنَّا إِلَّا أَلْمَطَايَا وَمَا فَرَّ
ظِلَّ حَادِيهِمْ يَسُوقُ بِقَلْبِي

ولبعض أهل هذا العصر:

وَلَمَّا أَتَوْنَا بِالْمَطَايَا وَقَرَّبُوا
تَيَمُّمُكُمْ عَمْدًا لِأَحْظَىٰ بِلَحْظَةٍ
فَلَمْ أُنْسَ إِذْ قِيدْتُ رَحْلَ مِطْيَتِي
كَأَنَّكَ لَمْ تَعْلَمْ بِأَنْ رَبَّ لَحْظَةٍ
فَلَوْ لَمْ تَكُنْ تَهْوَى الْفِرَاقَ نَحَرْتَهَا
فَيَا عَجَبًا مِنِّي وَمِنْ صَبْرٍ مُّهْجَتِي
أَضِنُّ بِهَا عَمَّنْ يَرَى الْمُلُوكَ دُونَهَا

□ □ □

الباب السادس والثلاثون:

مَنْ فَاتَهُ الْوِصَالُ نَعَشَهُ الْخَيَالُ

قَدْ تَقَدَّمَ قَوْلُنَا فِي عَيْبٍ مَنْ خَلَفَ خَلِيلَهُ، أَوْ تَخَلَّفَ عَنْهُ فِي وَقْتِهِ، أَوْ عَنِ
الْلُّحُوقِ بِهِ عَلَى حَسَبِ طَاقَتِهِ. ثُمَّ وَكَلَدْنَا عَيْبَ مَنْ لَمْ يَرْضَ حَتَّى أَقَرَّ بِأَنَّ
الْمُشَوِّقَ لَهُ إِلَى إِلْفِهِ عَارِضٌ غَيْرُ مُتَمَكِّنٍ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ. وَأَصْحَابُ هَذَا الْبَابِ
الَّذِي نَحْنُ فِي أَوَّلِهِ يَلْحَقُهُمْ ذَلِكَ الْعَيْبُ كُلُّهُ وَيَزْدَادُونَ مَعَهُ لَوْماً عَلَى
مُسَامَحَتِهِمْ أَنْفُسَهُمْ فِي التَّلَذُّذِ بِرُقَادِهِمْ وَأَجْلَاؤِهِمْ طَاعِنُونَ عَنْ بِلَادِهِمْ. وَمِنْ
الصُّوْفِيَةِ مَنْ لَا يَقْنَعُ لَهُمْ بِمَا أَلْحَقْنَاهُ مِنَ الْعَيْبِ بِهِمْ، حَتَّى يَقُولُوا: إِنَّ النُّومَ
لَوْ كَانَ مَانِعاً لَهُمْ لَكَانَ تَخْصِيصُهُمْ إِيَّاهُ بِأَنَّهُ يُرِيهِمْ أَحِبَّتَهُمْ نَقْصاً بَيِّناً فِي مَوَدَّتِهِمْ
فَإِنَّ الْحَالَ إِذَا تَمَكَّنَتْ لَمْ تَفْتَرِقِ الرُّوحَانِ وَإِنْ أَفْتَرَقَ الشَّخْصَانِ. فَالْمُحِبُّ
الْمُشَاهِدُ لِصَاحِبِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ مُسْتَعِنٌ عَنِ الْإِسْتِعَانَةِ عَلَى إِحْضَارِهِ بِرُؤْيَةِ
الْخَيَالِ. وَمِنْ طَرَائِفِ مَا قِيلَ فِي الْخَيَالِ وَأَدْلِيهِ عَلَى ضَعْفِ قَائِلِهِ فِي الْحَالِ
قول ذي الرمة:

فَيَا مَيِّ هَلْ يُجْزَى بُكَائِي بِمِثْلِهِ مِرَاراً وَأَنْفَاسِي عَلَيْكَ الزَّوْافِرُ
وَأَنْ لَا يَنِي يَا مَيِّ مِنْ دُونَ صُحْبَتِي لَكَ الدَّهْرُ مِنْ أَحْدُوثَةِ النَّفْسِ ذَاكِرٌ^(١)
وَأَنْ لَا يَنَالَ الرُّكْبُ يَا مَيِّ وَقْفَةً مِنْ اللَّيْلِ إِلَّا أَعْتَادَنِي لَكَ زَائِرُ

فَهَذَا أَحْسَنُ اللَّهِ جَزَاءَهُ لَمْ يَرْضَ بِالْعَيْبِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ حَتَّى طَالَ
مَحْبُوبُهُ بِأَنْ يُجَازِيَهُ عَلَى تَخْيِيلِهِ إِيَّاهُ فِي مَنَامِهِ ثُمَّ لَمْ يَقْنَعُهُ أَنْ يَجَازِيَ بِمِثْلِ

(١) في «م» والمطبوع: لامي.

بُكَائِهِ مِرَارًا. فَأَمَّا أَعْيَادُهُ بِأَنَّهُ لَا يَرْقُدُ إِلَّا أَعْتَادَهُ مِنْهَا زَائِرٌ^(٢)، فَقَدْ يَتَهَيَّأُ أَنْ يُخَفِّفَ جُرْمَهُ فِيهِ فَضْرَبُ مِنَ أَلْمَعَادِرِ، فَيُقَالُ: إِنَّهُ إِنَّمَا عَنَى أَنَّهُ لَا يَنْفَكُ خَاطِرُهُ مِنْ ذِكْرِهَا، فَإِذَا رَقَدَ رَأَى خَيَالَهَا بِقَلْبِهِ لِشِدَّةِ غَلَبَتِهِ فِي حَالِ الْيَقَظَةِ عَلَى فِكْرِهِ. وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ سِوَى ذَلِكَ مِنَ أَلْمُحَالَاتِ، فَإِنَّهُ يَتَّبِعُ عَنْ مَرَاتِبِ الْإِعْتِدَارَاتِ. وَقَدْ قَالَ قَيْسُ بْنُ أَلْمُلُوحِ مَا إِنْ لَمْ يَكُنْ مُوفِيًّا عَلَى حَدِّ أَلْكَمَالِ، فَإِنَّهُ إِلَى أَلْجَلِيلَةِ مِنَ أَلْأَحْوَالِ، وَهُوَ:

وَإِنِّي لَأَسْتَسْقِي وَمَا بِي عَطْشَةٌ لَعَلَّ خَيَالًا مِنْكَ يَلْقَى خَيَالِيَا
وَأَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ أَلْجُلُوسِ لَعَلَّنِي أُحَدِّثُ نَفْسِي عَنْكَ فِي أَلْسِرِ خَالِيَا^(٣)

فَهَذَا أَلْبَابُ إِذَا تَنَاعَسَ، وَلَيْسَ بِنَاعَسٍ لِيَتَعَلَّلَ بِخَيَالِهَا، إِذَا فَاتَهُ مَا يُؤْمَلُهُ مِنْ وَصَالِهَا. فَتَحْنُ نَشْهَدُ لَهُ بِأَلْتِمَامِ فِي هَذِهِ أَلْحَالِ، وَلَا نَذَرِي مَا أَلَّذِي يُوجِبُ لَهُ أَلْغَيْبَةَ عَنْ إِلْفِهِ حَتَّى أَضْطَرَّهُ إِلَى أَلْتَعَلُّلِ بِطَيْفِهِ فَتَعْلَمُ أَيْنَ مِنْهُ ذَلِكَ تَمَامًا أَمْ يُوجِبُ عَلَيْهِ مَلَامًا.

وما قصر أيضاً الحسن^(٤) بن وهب حيث يقول:

أَرَقْتُ وَكَيْفَ لِي بِأَلْنُومِ كَيْفَا فَاَلْقَى مِنْ حَبِيبِ أَلْنَفْسِ طَيْفَا
أَقُولُ لَهَا مَتَى وَتَقُولُ حَتَّى وَتَمُطِّلُنِي أَلْهَوَى بِنَعْمَ وَسَوْفَا
وَلَوْلَا فَرْطُ إِشْفَاقِي عَلَيْهَا غَدَوْتُ مُحْكَمًا وَشَهْرْتُ سَيْفَا
وَلَكِنِّي إِذَا فَكَّرْتُ فِيهَا نَهَيْتِي أَلْنَفْسُ إِشْفَاقًا وَخَوْفَا

وَمِنْ مَلِيحٍ مَا يَدْخُلُ فِي هَذَا أَلْبَابٍ وَإِنْ كَانَ مَشْهُورًا فِي أَلنَّاسِ:

فَقُلْتُ لَهَا بِخَلَّتْ عَلَيَّ يَفْظِي فُجُودِي فِي أَلنَّمَامِ لِمُسْتَهَامِ
فَقَالَتْ لِي وَصِرْتُ تَنَامُ أَيْضًا وَتَطْمَعُ أَنْ تُوَاصَلَ فِي أَلنَّمَامِ

(٢) ديوان ذي الرمة ص ٢٤٠.

(٣) البيتان في ديوان المجنون ص ص ٢٩٦، ٢٩٤.

(٤) في «م» والمطبوع: الحسين، وقد تقدمت ترجمته.

ولبعض أهل هذا العصر:

جُعِلَتْ فِدَاكَ لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِي فَقَدْ وَهَوَاكَ زَادَنِي أَشْتِيَاقًا
وَأَكَّدَ ذَاكَ أَنِّي مُدُّ لَيْالٍ فَبِتُّ عَلَى أَلْفِرَاشٍ كَأَنَّ قَلْبِي
وَكَانَ أَلطِّيفُ يَكْشِفُ بَعْضَ مَا بِي فَقُلْ لِي بِأَلَّذِي أَصْفَاكَ وَدِي
أَمِ أَلْسَهْرِ أَلَّذِي أَلزَمْتَنِيهِ حُضُورُ أَلْبَيْنِ إِلَّا مُدُّ لَيْالِي
عَلَى شَوْقِي نَوَاكَ وَأَنْتَ قَالِي سَهَرْتُ فَلَمْ يَزُرْ طَيْفُ أَلْخَيَالِ
يُقَلِّبُهُ هَوَاكَ عَلَى أَلْمَقَالِي وَلَسْتُ تَرَاهُ يَطْرُقُنِي بِحَالِ
أَأَنْتَ نَهَيْتَ طَيْفَكَ عَنْ وَصَالِي نَفَى عَنِّي أَلْخَيَالُ فَلَا أَبَالِي

ولبعض أهل الأدب:

أَعَادَ عَلَيَّ أَللَّهُ يَوْمَ وَصَالِكَ وَأَخْطَرَنِي قَبْلَ أَلْمَمَاتِ بِبَالِكَا
يُضَاعِفُ مَا بِي أَنَّنِي لَكَ وَامِقُ أَمِيرٌ بِمَا تَهْوَى وَلَسْتُ كَذَلِكَا
مَنْعَتْ جُفُونِي أَنْ تَنَامَ قَرِيرَةً وَلَوْ نِمْتُ أَرْضَانِي طُرُوقُ خَيَالِكَا
وَحَلَلْتُ عَهْدِي فِي أَلْهَوَى وَتَرَكْتَنِي أَعَقِدُ مَا حَلَلْتَهُ مِنْ جِبَالِكَا

وَمِنْ مُخْتَارٍ مَا قَالَتْ أَلشُّعْرَاءُ فِي أَلْخَيَالِ عَلَى تَقْصِيرِ قَائِلِهِ عَنْ بُلُوغِ
دَرَجِ أَلْكَمَالِ:

أَسْرَتْ لِعَيْنِكَ لَيْلَى بَعْدَ مَغْفَاهَا يَا حَبَّذَا بَعْدَ نَوْمِ أَلْعَيْنِ مَسْرَاهَا
فَقُلْتُ حَيَّتْ مِنْ طَيْفِ أَلْمِ بِنَا إِنْ كُنْتُ تِمْنَالَهَا أَوْ كُنْتُ إِيَّاهَا^(٥)

وقال العرجي:

وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ نَأْيِكَ رَاحَةً وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ أَلطِّيفَ إِنْ نِمْتُ طَالِبِي
فَوَاللَّهِ لَا يُنْكِي مُجِبٌ بِمِثْلِهَا وَإِنْ كَانَ مَكْرُوهًا فِرَاقُ أَلْحَبَائِبِ^(٦)

(٥) أقول: كان البيتين مما نسب إلى المجنون، ولم أجدهما فيما نسب إليه.

(٦) البيتان في الديوان ص ١٤٥ مع اختلاف في الرواية.

وأنشدني أعرابي بالبادية:

حَلِمْتُ أَقْرَّ اللَّهُ عَيْنِي أَنِّي
أَرَى أَمْ لَهْرِ الْقَلْبِ فِيْمَنْ أَجَاوِرُ
فَلَمَّا أَنْتَبَهْنَا بِالْخَيَالِ الَّذِي سَرَى
إِذَا صَنُوتُ جَنِّ وَالنُّجُومِ الزَّوَاهِرُ
فَعُدْتُ لِكَيْمَا أَنْ تَعُودَ فَلَمْ تَعُدْ
وَعَاوَدَنِي مِنْهَا الَّذِي قَدْ أَحَاذِرُ

وقال بعض الأعراب وكان محبوساً في سجن الطائف:

فَأَنَّى أَهْتَدْتُ تَسْرِي وَأَنَّى تَخَلَّصْتُ
إِلَيَّ وَبَابُ السَّجْنِ بِالْعَتَلِ مُوثِقُ
عَجِبْتُ لِمَسْرَاهَا وَسِرْبِ سَرَتْ بِهِ
بُعَيْدَ الْكَرَى كَادَتْ لَهُ الْأَرْضُ تُشْرِقُ
فَلَا تَحْسِبِي أَنِّي تَخَشَعْتُ بَعْدَكُمْ
لِشَيْءٍ وَلَا أَنِّي مِنَ الْمَوْتِ أَفْرَقُ
وَلَكِنْ مَا بِي مِنْ هَوَاكَ ضَمَانَةٌ
كَمَا كُنْتُ أَلْقَى مِنْكَ إِذْ أَنَا مُطْلَقُ
فَأَمَّا الْهَوَى مَيِّى إِلَيْكَ فَطَائِحُ
يَمَانٍ وَلَكِنِّي بِمَكَّةَ مُوثِقُ
أَلَمْتُ فَحَيْثُ نُمُ قَامَتْ فَوَدَّعْتُ
فَكَادَتْ عَلَيْهَا مُهْجَةُ النَّفْسِ تَزْهَقُ
فَمَا بَرِحْتُ حَتَّى وَدَدْتُ بِأَنِّي
بِمَا فِي فُؤَادِي مِنْ دَمِ الْجَوْفِ أَشْرِقُ

وقال الأقرع القشيري^(٧):

أَلَمْتُ فَحَيَّاهَا فَهَبْ فَحَلَقْتُ
مَعَ النَّجْمِ رُؤْيَا فِي الْمَنَامِ كَذُوبُ
لَقَدْ شَغَفْتَنِي أُمُّ عَمْرٍو وَبَغَضْتُ
إِلَيَّ نِسَاءَ مَا لَهْنُ ذُنُوبُ^(٨)

وأنشدني ستيرة العصبية^(٩):

أَلَمْ خَيَالُ طَيْبَةٍ أَجْنَبِيًّا
فَحَيَّا الرُّكْبَ دُونِي وَالْمَطِيًّا
لِمَا حَيَّيْتَهُمْ يَا طَيْفُ دُونِي
وَأَنْتَ أَحَبُّهُمْ شَخْصاً إِلَيَّا
أَلَمْ بِنَا فَسَلَّمْ نُمُ وَلَّى
عَلَى الْهَجَادِ تَسْلِيماً خَفِيًّا
فَلَمَّا أَنْ كَشَفْتُ غِطَاءَ رَأْسِي
إِذَا أَنَا لَا أَرَى إِلَّا النَّضِيًّا

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) البيت الثاني ص ٦٣.

(٩) لقد مرت بنا وأشرنا إلى أننا لم نهند إلى ترجمتها.

وَأَيْنُقْنَا الثَّلَاثَ مُلَقِّيَاتٍ
وَزُرْقاً بِالْجَفِيرِ مُنْشَبَاتٍ
فَكَلَّفْنَا سُرَاهَا أَنْ رَحَلْنَا

وأنشدني أعرابي ببلاد نجد:

أَلَا طَرَقَتْ جُمْلُ وَبَيْنِي وَبَيْنَهَا
مَهَامُهُ أَمَرَاتٌ وَدَاوِبَةٌ قَفَرُ
فَقُلْتُ لَهَا كَيْفَ أَهْتَدَيْتِ لِصَاحِبِ
وَنَضَوْ طَوَاهُ السَّيْرِ مَمْسَاهَا وَغَرُ
فَقُلْتُ عَدَائِي النَّأْيُ وَالْأَعْيُنُ الْخُزُرُ
فَقَالَتْ أَمِنْتَ الدَّهْرَ أَلَّا تُجِيبَنِي
عَلَى أَنِّي أَهْوَاكَ مَا هَبَّتِ الْأَصْبَا
وَمَا هَتَفَتْ يَوْمًا لِأَلْفِ حَمَامَةٍ
وَمَا سَكَنْتِ سَلَمَى وَأَكْنَأَهَا الْعَفْرُ
فَدُوِمِي عَلَى الْعَهْدِ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا
عَلَى بَانَةِ أَفْسَانُهَا عُطْفُ خُضْرُ
فَمَا يُبْتَغَى مَيِّى وَلَا مِنْكَ لِي عُذْرُ

وقال الحسين بن الضحاك^(١٠):

سَقِيًّا لِسُورٍ مِنْ طَيْفٍ مُحْتَجِبٍ
عَابَتْهُ فِي الْمَنَامِ فَأَعْتَذَرَ
فَزَالَ حَقْدُ الضَّمِيرِ عَنْ سَكَنِ
يُسْخِطُنِي رَائِحاً وَمُبْتَكَرَا
رَضِيْتُ مِنْ عُذْرِ مَنْ أَقَامَ عَلَى الذَّنْ
بِ بِطَيْفٍ أَلَمْ مُعْتَذِرَا

وقال الرقاد بن المنذر الضبي^(١١):

أَلَا طَرَقَتْ أَسْمَاءُ وَاللَّيْلُ دَامِسُ
فَأَحْبَبَ بِهَا مِنْ طَارِقٍ جِئِنَ يَطْرُقُ
وَمَا طَرَقَتْ إِلَّا لِتُحَدِّثَ ذِكْرَةَ
وَتُحْكِمَ وَصْلاً بَيْنَنَا كَادَ يَخْلُقُ

وقال أبو تمام الطائي:

عَادَكَ الزُّورُ لَيْلَةَ الرَّمْلِ مِنْ رَمٍ
لَهُ بَيْنَ الْجَمَى وَبَيْنَ الْمَطَالِي

(١٠) انظر تخريج الأبيات في «أشعار الحسين الخليل».

(١١) من شعراء الحماسة (التبريزي) ١/١٣٠، ١٣٢.

نَمْ فَمَا زَارَكَ الْخَيَالَ وَلِكِ

وقال البحتري:

وَلَيْلَةٌ هَوَمْنَا عَلَى الْغَيْسِ أَرْسَلَتْ
فَلَوْلَا بَيَاضُ الصُّبْحِ طَالَ تَشْبِيهِ
وَكَمْ مِنْ يَدٍ لِلَّيْلِ عِنْدِي حَمِيدَةٌ

وقال أيضاً:

مِثَالُكَ مِنْ طَيْفِ الْخَيَالِ الْمَعَاوِدِ
يُحْيِي هُجُوداً مَيِّتِينَ مِنَ الْكَرَى

وقال أيضاً:

إِذَا نَسِيتُ هَوَى لَيْلَى أَشَادَ بِهِ
دَنَا إِلَيَّ عَلَى بُعْدٍ فَأَرْقِنِي
عَجِبْتُ مِنْهُ تَخْطَى الْقَاعَ مِنْ إِضْمٍ

وقال أبو تمام:

إِسْتَزَارَتْهُ فِكْرَتِي فِي الْمَنَامِ
فَاللَّيَالِي أَحْفَى بِقَلْبِي إِذَا مَا
يَا لَهَا لَيْلَةٌ تَنْزَهَتْ الْأَرْ
مَجْلِسٌ لَمْ يَكُنْ لَنَا فِيهِ عَيْبٌ

سَنَكِ بِأَلْفِكْرِ زُرْتَ طَيْفَ الْخَيَالِ (١٢)

بَطْنِيفِ خَيَالٍ يُشْبِهُ الْحَقَّ بَاطِلُهُ
بِعِطْفِي غَزَالٍ بَتَّ وَهْنًا أَغَارِلُهُ
وَلِلصُّبْحِ مِنْ خُطْبٍ تَذَمُّ غَوَائِلُهُ (١٣)

أَلَمْ يَنَا مِنْ أَفْقِهِ الْمُنْتَبَاعِدِ
وَمَا نَفَعُ إِهْدَاءِ السَّلَامِ لِهَاجِدِ

طَيْفٌ سَرَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ إِذْ جَنَحَا
حَتَّى تَبْلُجَ وَجْهُ الصُّبْحِ فَاتَّضَحَا
وَجَاوَزَ الرَّمْلَ مِنْ خَبْتٍ وَمَا بَرَحَا (١٤)

فَأَتَانِي فِي خَفِيَّةٍ وَأَكْتَسِمَ
جَرَحَتُهُ النَّوَى مِنَ الْأَيَّامِ
وَأَحْ فِيهَا سِرّاً مِنَ الْأَجْسَامِ
غَيْرَ أَنَا فِي دَعْوَةِ الْأَحْلَامِ (١٥)

وقال عمر بن ربيعة المرقش (١٦):

أَمِنْ بِنْتِ عَجَلَانَ الْخَيَالِ الْمُبْرَحِ
فَلَمَّا أَنْتَبَهْنَا بِالْخَيَالِ وَرَاعِنِي
وَلَكِنَّهُ زَوْرٌ يُوقِظُ نَائِماً
بِكُلِّ مَيِّتٍ يَغْتَرِبُنَا وَمَنْزِلِ
فَوَلَّتْ وَقَدْ بَثَّتْ تَبَارِيحَ مَا تَرَى

وقال أبو عبادة الطائي (١٨):

أَمَّا وَهَوَاكَ جِلْفَةً ذِي اجْتِهَادِ
لَقَدْ أَذَكَى فِرَاقُكَ نَارَ وَجْدِي
وَمَا نَادَيْتَنِي لِلشُّوقِ إِلَّا
وَهَجْرُ الْقُرْبِ مِنْهَا كَانَ أَشْهَى

وقال أيضاً:

وَإِنِّي وَإِنْ ضَنْتُ عَلَيَّ بِوُدِّهَا
يَعِزُّ عَلَيَّ الْوَاشِينَ لَوْ يَعْلَمُونَهَا
فَكَمْ غُلَّةٌ لِلشُّوقِ أَطْفَأَتْ حَرَّهَا
أَضْمُ عَلَيْهِ جَفْنٍ عَيْنِي تَعْلَقُ

وقال أيضاً:

دَعَا عَبْرَتِي تَجْرِي عَلَى الْجَوْرِ وَالْقَصْدِ
خَلَا نَاطِرِي مِنْ طَيْفِهِ بَعْدَ شَخْصِهِ

أَلَمْ وَرَحْلِي سَاقِطٌ مُتَزَحْزَحُ
إِذَا هُوَ رَحْلِي وَالْبِلَادُ تَوَضُّعُ
وَيُحَدِّثُ أَشْجَاناً بِقَلْبِكَ تَجْرَحُ
فَلَوْ أَنَّهَا إِذْ تُدْلِجُ اللَّيْلُ تُصْبِحُ
وَوَجْدِي بِهَا مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ أَبْرَحُ

يَعُدُّ أَلْغَى فِيكَ مِنَ الرِّشَادِ
وَعَرَفَ بَيْنَ عَيْنِي وَالسُّهَادِ
عَجَلْتُ بِهِ فَلَيِّتُ الْمُنَادِي
إِلَى الْمُسْتَقِ مِنْ وَصْلِ الْبُعَادِ (١٩)

لَأَرْتَاحَ مِنْهَا لِلْخَيَالِ الْمُرْقِ
لَيَالٍ لَنَا نَزْدَارُ فِيهَا وَنَلْتَقِي
بَطْنِيفٍ مَتَى يَطْرُقُ دُجَى اللَّيْلِ يَطْرُقُ
بِهِ عِنْدَ إِجْلَاءِ النَّعَاسِ الْمُرْقِ (٢٠)

أُظُنُّ نَسِيماً قَارَفَ الْهَجْرَ مِنْ بَعْدِي
فَيَا عَجَباً لِلدَّهْرِ فَقْدَاً عَلَى فَقْدِ

(١٧) كذا، ولا أدري أيكون عمرو بن سعد المرقش الأكبر؟.

(١٨) في «م» والمطبوع: وقال عبادة...

(١٩) ديوان البحتري ص ٧٢٤.

(٢٠) لم أجد الأبيات في ديوان البحتري.

(١٢) الديوان ٢٥٩/٤، وفي «م» والمطبوع: قم.

(١٣) الديوان ص ١٦٠٧.

(١٤) المصدر السابق ص ٦٢٢.

(١٥) المصدر السابق ص ٤٤٠.

(١٦) الديوان ٢٦٢/٤ مع اختلاف في الرواية.

مَنْ مَنَعَ مِنَ النَّظَرِ اسْتَأْنَسَ بِالْأَثَرِ

قال بعض الأعراب:

أَيَا شَجَرَاتِ الْوَابِثِيَّاتِ إِنِّي لَكُنَّ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ صَدِيقُ
وَلَوْ لَمْ تُجَاوِرْكُنَّ أَسْمَاءُ لَمْ يَصِلْ إِلَيَّكَ مِنْ قَلْبِي الْغَدَاةُ فَرِيقُ
يَمِيلُ الْهَوَى [بِي] نَحْوُكَ وَقَدْ أَرَى بِعَيْنِي مَا لِي نَحْوُكَ طَرِيقُ
فَلَوْ كُنْتُ أَهْدِي أَلْفَيْتَ أَوْ كُنْتُ وَإِلَيَّ عَلَى الْمَاءِ لَمْ تَعْطَشَ لَكُنَّ عُروُفُ

وقال آخر^(١):

يَا سَرَحَةَ الدُّوْحِ أَيْنَ الْحَيِّ وَابِدِي لَهْفًا تَدُوبُ وَبَيْتَ اللَّهِ مِنْ حَسْرِ
هَذَا أَنْتِ عَجَمَاءُ عَمَّا قَدْ سُلِّتَ فَمَا بِأَلِ الْمَنَازِلِ لَمْ تَنْطِقْ وَلَمْ تَحْرِ
يَا قَاتِلَ اللَّهِ غَادَاتٍ قَرَعْنَ لَنَا حَبَّ الْقُلُوبِ بِمَا اسْتَوْدَعْنَ مِنْ حَوْرِ
عَنْتَ لَنَا وَعُيُونُ مِنْ بَرَاقِعِهَا مَكْنُونَةٌ مُقْلُ الْغُزْلَانِ وَالْبَقْرِ
بِاللَّهِ يَا ظَلِيَّاتِ الْقَاعِ قُلْنَ لَنَا لَيْلَايَ مِنْكُمْ أَمْ لَيْلَى مِنْ الْبَشْرِ
يَا مَا أُمِيلُحْ غِزْلَانًا شَدَنَ لَنَا هَوْلِيَاءَ بَيْنَ الضَّالِّ وَالسُّمْرِ^(٢)

وقال بعض الأعراب:

أَلَا هَلْ إِلَى شَمِّ الْخُزَامَى وَنَظَرَةٍ إِلَى قَرَقَرَى قَبْلَ أَلَمَاتِ سَبِيلُ

(١) الأبيات مما نسب إلى المجنون، الديوان ص ١٦٨.

(٢) الأبيات في معاهد التنصيص ١٦٧/٢. والبيت الأخير مختلف في نسبه فنسب إلى المجنون وإلى الحسي بن عبدالله الغربي، ولذي الرمة وللعرجي، ونسبه الباهرزي في دمية القصر ليدوي اسمه كامل الثقفي، وانظر: الخزانة ٤٥/١ - ٤٧، والبيت الأخير في «اللسان» (شذن) منسوب إلى علي بن حمزة العريبي.

خَلِيلِي هَلْ مِنْ نَظَرَةٍ تُوَصِّلَانِيهَا
وَقَدْ كَادَ هَذَا الْقَلْبُ يَنْقُدُ دُونَهُ
فَلَوْ تُمْكِنُ الشَّكْوَى لَخَبَّرَكَ الْبُكَاءُ
حَقِيقَةً مَا عِنْدِي وَإِنْ جَلَّ مَا عِنْدِي^(٢١)

وقال أيضاً:

أَنْسِيْمُ هَلْ لِلدَّهْرِ وَعْدُ صَادِقُ
مَا لِي فَقَدْتُكَ فِي أَلَمَانٍ وَلَمْ يَزَلْ
أُمْنِعْتَ أَنْتَ مِنَ الزَّيَارَةِ رَقَبَةً
الآنَ جَارَ بِنَا الْهَوَى مَقْدَاظِرُهُ
فِيمَا يُؤَمِّلُهُ الْمَجِبُ الْوَامِقُ
عَوْنُ الْمَشُوقِ إِذَا جَفَاءَ الشَّائِقُ
مِنْهُمْ فَهَلْ مَنَعَ الْخِيَالُ الطَّارِقُ
فِي أَهْلِهِ وَعَلِمْتُ أَنِّي عَاشِقُ^(٢٢)

ولبعض أهل هذا العصر:

وَقَدْ كُنْتُ لَا أَرْضَى مِنَ النَّيْلِ بِالرِّضَا
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا وَشَطَطَ بِنَا النَّوَى
فَسَاعَفَنِي وَهْنًا خِيَالُكَ فِي الْكَرَى
بِنَفْسِي وَأَهْلِي مِنْ خِيَالِ أَلَمِ بِي
فَوَاحِشَرْنَا لَمْ أَدْرِ أَنَّى أَهْتَدَى لَنَا
رَعَاهُ ضَمَانُ اللَّهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ
وَأَقْبَلُ مَا فَوْقَ الرِّضَى مُتَلَوِّمًا
فَنِعْتُ بِطَيْفٍ مِنْكَ يَأْتِي مُسَلِّمًا
فَزَارَ وَحِيًّا ثُمَّ قَامَ فَسَلِّمًا
فَذَاوَى سَقَامِي ثُمَّ بَانَ فَاسْقَمًا
وَلَمْ أَدْرِ إِذْ وَلَّى إِلَى أَيْنَ يَمَّمَا
وَإِنْ ذَرَفَتْ عَيْنِي لِفَرْقَتِهِ دَمًا

□ □ □

(٢١) ديوان البحري ص ٥٥٧ مع اختلاف في الرواية.

(٢٢) المصدر السابق ص ١٥٠٩.

أَيَا أَثْلَاتِ الْقَاعِ مِنْ بَطْنِ تُوْضِحِ
وَيَا أَثْلَاتِ الْقَاعِ قَدْ مَلَّ صُحْبَتِي
وَيَا أَثْلَاتِ الْقَاعِ قَلْبِي مُعَلَّقُ
وَيَا أَثْلَاتِ الْقَاعِ ظَاهِرُ مَا بَدَا
وقال بشر بن هذيل العبسي:

فَيَا طَلْحَتِي لَوْ ذَانَ لَا زَالَ فِيكُمْ
وَأِنْ كُنْتُمْ قَدْ هِجْتُمْ لَوْعَةَ الْهَوَى
وقال آخر:

تَجَرَّمْ أَهْلُوهَا لَيْنٌ كُنْتُ مُشْعِرًا
وَمَا لِي مِنْ ذَنْبٍ إِلَيْهِمْ عَلِمْتُهُ
بَلَى فَاسْلِمِي ثُمَّ اسْلِمِي ثُمَّ اسْلِمِي
وقال حميد بن ثور:

أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ سَرَحَهُ مَالِكُ
نَمَى النَّبْتُ حَتَّى نَالَ أَفْنَانَهَا أَلْعَلَى
فَيَا طَيْبَ رِيَاهَا وَيَا ظِلَّهَا
وَهَلْ أَنَا إِنْ عُلِّلْتُ نَفْسِي بِسَرَحَةٍ
خَمَى ظِلَّهَا شَكْسُ الْخَلِيقَةِ خَائِفُ
فَلَا الظِّلُّ مِنْهَا بِالضُّحَى نَسْتَطِيعُهُ

وقال آخر:

حَنِينِي إِلَى أَفْيَاكُنَّ طَوِيلُ
سُرَايَ فَهَلْ فِي ظِلِّكُنَّ مَقِيلُ
يَكُنْ وَجَدَوِي خَيْرُكُنَّ قَبِيلُ
بِجَسَمِي عَلَى مَا فِي الْفُؤَادِ دَلِيلُ^(٣)

لِمَنْ يَبْتَغِي ظِلِّي كَمَا فَنَنَانِ
وَدَانِيَتُمَا مَا لَيْسَ بِالْمُتَدَانِ

جَنُوبًا بِهَا يَا طُولَ هَذَا التَّجَرُّمِ
سَوَى أَتْنِي قَدْ قُلْتُ يَا سَرَحَهُ اسْلِمِي
ثَلَاثَ تَحِيَّاتٍ وَإِنْ لَمْ تَكَلِّمِي

عَلَى كُلِّ آفَاقِ الْعِضَاهِ تَرُوقُ
وَفِي الْمَاءِ أَضَلُّ ثَابِتٌ وَعُرُوقُ
إِذَا حَانَ مِنْ شَمْسِ النَّهَارِ زُرُوقُ
مِنْ السَّرْحِ مُوجُودٌ عَلَيَّ طَرِيقُ
عَلَيْهَا غَرَامُ الطَّائِفِينَ شَفِيقُ
وَلَا أَلْفِيءُ مِنْهَا فِي الْعَيْشِ نَدُوقُ^(٤)

مُهَيِّجُ الرَّبَى وَالْمُدْجَنَاتِ رَوَاكُمَا

وَيَا نَخْلَتِي أَوَّلِ إِذَا هَبَّتِ الصَّبَا
وَيَا نَخْلَتِي أَوَّلِ بَلِيَتْ وَأَتَمَّا
وقال خلف بن روح الأسدي^(٥):

أَيَا نَخْلَتِي بَطْنِ الْعَقِيقِ أَمَانِعِي
لَقَدْ خِفْتُ أَلَّا تَنْفَعَانِي بَطَايِ

وقال بعض الأعراب:

أَيَا مَنْ لِعَيْنٍ لَا تَرَى قَلَّلَ الْحِمَى
لَجُوجٍ إِذَا لَجَّتْ بَكِّي إِذَا بَكَتْ
نَعْمَنَا زَمَانًا بِالْلَوَى ثُمَّ أَصْبَحَتْ
أَلَّا قَاتَلَ اللَّهُ اللَّوَى مِنْ مَحَلَّةٍ
وقال آخر:

إِقْرَأْ عَلَى التَّوْشَلِ السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ
شَقِيًّا لِظِلِّكَ بِالْعَيْشِ وَبِالضُّحَى
لَوْ كُنْتُ أَقْدِرُ مَنَعَ مَائِكَ لَمْ يَذُقْ

وقال آخر:

أَلَا حَبْدًا أَعْطَانُ فَلَجَّةَ بِالضُّحَى
يَقُولُونَ مِلْحُ مَاءٍ فَلَجَّةَ أَجْنُ

وَأَمْسَيْتُ مَقْرُورًا ذَكَرْتُ ذُرَاكُمَا
جَدِيدَانِ كَالْبُرْدَيْنِ طَابَ شِدَاكُمَا^(٥)

جَنَى النَّخْلِ وَالْبَيْنُ أَنْتَظَارِي جَنَاكُمَا
وَيَكْتَبُ فِي الدُّنْيَا لِعَيْرِي جَدَاكُمَا

وَلَا جَبَلَ الْأَوْشَالِ إِلَّا اسْتَهْلَتْ
يَكْتُ فَادَقْتُ فِي الْبُكَاءِ وَأَجَلْتُ
بِرَاقِ اللَّوَى مِنْ أَهْلِهَا قَدْ تَخَلَّتْ
وَقَاتَلَ دُنْيَانَا بِهَا كَيْفَ وَلَّتِ^(٦)

كُلُّ الْمَشَارِبِ مُذْ هُجِرَتْ دَمِيمُ
وَلِبَرْدِ مَائِكَ وَالْمِيَاهُ حَمِيمُ
مَا فِي قِلَاتِكَ مَا حَيْثُ لَيْمُ^(٨)

وَحَيْمُ ذَرَى فِي جَلْهَتَيْهَا الْمُنْصَبُ
أَجَلٌ هُوَ مَمْلُوحٌ إِلَى النَّفْسِ طَيْبُ

(٥) معجم البلدان (أون)، وهو في «م» والمطبوع: أول.

(٦) لقد مر بنا «خليفة بن روح» ولا أدري أهو خلف هذا؟ وكلاهما من لم أهتمد إليها، وقد نسب البيتان إلى أعرابي في «معجم البلدان» (العقيق).

(٧) البيت الأخير في ديوان المجنون ص ٨٦.

(٨) الأبيات في ديوان المجنون ص ٢٤٦، وكذلك الأماي ٤١/١، وهي في معجم البلدان (وشل)، وفي سمط اللآلئ ص ٣٨٥-٣٨٦، وشرح المروزقي لأبي القمقام الأسدي، ص ١٣٧٧.

(٣) وردت الأبيات في سمط الآلئ ص ٣٦٣ منسوبة إلى يحيى بن طالب وكذلك في مصارع العشاق ص ٩٢ وأماي القالي ١٢٣/١، وهي مما نسب إلى المجنون، الديوان ص ٢٢١.

(٤) الديوان ص ٣٣-٤١.

وقال ابن الدمينه:

خَلِيلِي رُوحًا بِالْهَجِينِ فَسَلِمَا
وَقِيلًا بِنَا فِي ظِلِّهِنَّ وَرَمَيْنَا
وَقُولًا لِمَنْ لَا قِيَمًا يَا هُدَيْتُمَا
فَلَا نَصَّ فِيهِنَّ أَلَّتِي كَبُرَ هَمُّهَا

ولبعض بني كلاب:

أَلَا حَبْدًا أَلَمَاءُ الَّذِي قَابَلَ الْجَحْمَى
وَلَوْ سَأَلْتُ [ظُمِيَاءَ] يَوْمًا بِوَجْهِهَا

وقال آخر:

يَقْرُ بِعَيْنِي أَنْ أَرَى بِمَكَانِهِ
وَأَنْ أَشْرِفَ الْفَارَاتِ مِنْ أَيْسَرِ الْجَحْمَى
ذَكَرْتُكَ ذِكْرِي مِثْلَهَا صَدْعُ الْخَشَا
وَيَوْمَ تَعَالَتْ بِي السَّفِينَةُ وَأَرْتَمَى

وقال ورد الهلالي:

سَقَى إِلَهُ مِنْ رَبِيعٍ وَمَصِيفٍ
بَلَى إِنَّهُ قَدْ كَانَ لِلْبَيْضِ مَرَّةً

وقال آخر:

أَلَا حَبْدًا أَلَدُّهَا وَطِيبُ ثُرَابِهَا
وَنَصُّ أَلْمَهَارِي بِالْعَشِيَّاتِ وَالضُّحَى

عَلَى الْخَيْمِ أَوْ مُرًّا بِذِي الْعُشَرَاتِ
دُرَاهُنْ رَمَى الْمُحَرَّمِ الْجَمَرَاتِ
أَحْثًا لَنَا فِي الطَّوَابِ مِنْ بَكَرَاتِ
أَيْنِ وَتُذْرِي أَلْدَمَعَ بِالزَّفَرَاتِ^(٩)

وَيَا حَبْدًا مِنْ أَجْلِ ظُمِيَاءَ حَاصِرُهُ
سَحَابَ الثُّرَيَّا لَأَسْتَهْلَتْ مَوَاطِرُهُ

سُهَيْلًا كَطَرْفِ الْأَخْذَرِ الْمَشَاوِسِ
فَتَبَدُّوْا وَالْأَنْضَاءُ حُوصُ خَوَاسِمِ
بِتَوِّ وَأُخْرَى مِثْلَهَا يَوْمَ حَابِسِ
بِي الْبَحْرِ فِي أَذْيِهِ الْمَتَلَطِّسِ

وَمَاذَا تُرْجِي مِنْ رَبِيعٍ سَقَى نَجْدًا
وَلِلْعَيْشِ وَالْفَتَيَانِ مَنَزَلَةٌ حَمْدًا^(١٠)

وَأَرْضُ خَلَاءٍ يَصْدَعُ اللَّيْلُ هَامُهَا
إِلَى بَقَرٍ وَحْيٍ أَلْعُيُونِ كَلَامُهَا^(١١)

وقال آخر:

خَلِيلِي إِنِّي وَاقِفٌ فَمُسَلِّمٌ
وَلَوْ زَالَ هَضْبُ الرُّمْلِ عَنْ سَكَنَاتِهِ
وَلَوْ نَطَقَتْ ضُمُرُ الْجِبَالِ لِعَاشِقِي

وقال آخر:

سَلِمَ عَلَى قَطْنٍ إِنْ كُنْتَ لَا قِيَهُ
أُجِبُهُ وَالَّذِي أَرَسَى قَوَاعِيَهُ
يَا لَيْتَنَا لَا نَرِيْمُ أَلْدَهَرَ سَاحَتَهُ

وقال جرير:

أَلَا حَيَّ رَهْبَى ثُمَّ حَيَّ الْمَطَالِيَا
أَلَا أَيُّهَا الْوَادِي الَّذِي ضَمَّ سَيْلُهُ
نَظَرْتُ بِرَهْبَى وَالْمَطْعَانِ بِاللَّوَى

وقال آخر:

أَيَا نَخْلَتِي شَرِّ الْعَذَابِ هَلْ أَنْتُمَا
تَفَرَّقَ أَلَا ف كَثِيرٌ وَأَنْتُمَا
[كَأَنْتُمَا] قُدَّامَ جَيْشِ طَلِيعَةٍ

وقال آخر:

أَلَا حَبْدًا نَجْدٌ وَطِيبُ ثُرَابِهَا
نَظَرْتُ بِأَعْلَى أَلْجَلْهَتَيْنِ فَلَمْ أَجِدْ

عَلَى خَالَطَ اللَّحْمَ وَالْدِّمَاءَ^(١٢)
لَيْمَمْتُ مِنْ وَجْدٍ [بِهِ] حَيْثُ يَمَّمَا
حَزِينٍ لَحْيَانَا إِذَا وَتَكَلَّمَا

سَلَامَ مَنْ كَانَ يَهْوَى مَرَّةً قَطْنَا
حُبًّا إِذَا ظَهَرَتْ آيَاتُهُ بَطْنَا
أَوْ كَانَ إِنْ نَحْنُ سِرْنَا غُرْبَةً مَعًا^(١٣)

فَقَدْ كَانَ مَأْنُوسًا فَأَصْبَحَ خَالِيَا
إِلَيْنَا نَوَى ظُمِيَاءَ حَيْثُ وَإِيَا
فَطَارَتْ بِرَهْبَى شُعْبَةً مِنْ فُؤَادِيَا^(١٤)

إِذَا أَحْتَمَلَ الْجِيرَانُ مُحْتَمِلَانِ
مُقِيمَانِ يَنْبُو عَنْكُمَا الْحَدَثَانِ
عَلَى حَاضِرِ الرُّوحَاءِ مُرْتَبِيَانِ^(١٥)

وَعِلَظَةُ دُنْيَا أَهْلِ نَجْدٍ وَلِيْنَهَا
سَيَوَى مِنْ سُهَيْلٍ لَمَحَةً أَسْتَبِينَهَا

(١٢) فراغ في ٢٠٠.

(١٣) لبعض الأعراب كما في معجم البلدان (قطن) مع اختلاف في الرواية.

(١٤) الديوان (الصابي) ص ص ٦٠١ - ٦٠٢.

(١٥) في معجم البلدان (حاضر الروحاء) أبيات من نحو هذا لبعض الأعراب.

(٩) في الديوان ص ١٧٦ عن كتاب «الزهرة».

(١٠) البيتان في ديوان المجنون ص ١١٩.

(١١) البيتان في معجم البلدان (الدهنا).

فَكَذَّبْتُ طَرْفَ الْعَيْنِ ثُمَّ رَدَدْتُهُ

فَرَاغَعَ نَفْسِي بَعْدَ شَكِّ يَقِينَهَا^(١٦)

وقال آخر:

بَلَيْتُ بِلَى الْبُرْدِ الْيَمَانِي وَلَا أَرَى
أَلْسِي حَيَازِيمِي بِهِنْ صَبَابَةٌ

جَنَانًا وَلَا أَكْنَفَ ذُرْوَةَ تَخْلُقُ
كَمَا تَتَلَوَّى الْحَيَّةُ الْمَتَسَرِّقُ^(١٧)

وقال آخر:

أَيَا سَرَوْتِي وَادِي الْعَقِيقِ سَقِيتُمَا
تَسَرَّوْتُمَا مَجَّ النَّدَى وَتَغْلَغَلْتُ
وَلَا يَهْنَأُنْ ظِلَاكُمَا إِنْ تَبَاعَدَتْ

حَيًّا غَضَّةَ الْأَنْفَاسِ طَيِّبَةَ الْوَرْدِ
عُرُوقَكُمَا تَحْتَ النَّدَى فِي ثَرَى جَعِدِ
بِئِ الدَّارِ مَنْ يَرْجُو ظِلَاكُمَا بَعْدِي^(١٨)

وقال آخر:

تَذَكَّرْنِي خُزَامًا كُلُّ أَرْضٍ
بِهَذَا الزَّادِ يَحْيَى كُلُّ صَبٍّ

مِنْ الْأَرْضَيْنِ حَلَّ بِهَا خُزَامُ^(١٩)
فَلَيْتَ الزَّادَ كَانَ هُوَ الْجِمَامُ

وقال آخر:

تَحَنُّنٌ إِلَى الرُّمْلِ الْيَمَانِي صَبَابَةٌ
فَأَيْنَ الْأَرَاكِ الدُّوْحُ وَالسِّدْرُ وَالْغَضَا
هُنَاكَ يُغْنِينَا الْحَمَامُ وَنَجَّتِنِي

وَهَذَا لَعَمْرِي لَوْ قَنَعَتْ كَيْبُ
وَمُسْتَخْبَرُ عَمَّنْ تُحِبُّ قَرِيبُ
جَنَى النَّخْلِ يَخْلُو لِي لَنَا وَيَطِيبُ

وقال آخر:

أَقَمْنَا مُكْرَهَيْنَ بِهَا فَلَمَّا
وَمَا حُبُّ الْبِلَادِ بِنَا وَلَكِنْ

أَلْفَنَاهَا خَرَجْنَا كَارِهَيْنَا
أَمْرُ الْعَيْشِ فُرْقَةٌ مِنْ هَوِينَا

وقال ورد بن عبد الرحمن الأسدي:

أَيَا كَبِدِي مَاذَا أَلَا قِي مِنَ الْهَوَى
ضَمِنْتُ الْهَوَى لِلرَّسِّ فِي مُضْمَرِ الْحَشَا
وَلَمْ يُضْمَرْ الرَّسُّ الْغَدَاةَ الْهَوَى لِيَا
أَعُدُّ اللَّيَالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ
لِلْقِيَانِ لَاهٍ لَا يَعُدُّ اللَّيَالِيَا^(٢٠)

وقال آخر:

أَرَى كُلَّ أَرْضٍ دَمْنَتْهَا وَإِنْ مَضَتْ
أَلَمْ تَعْلَمَنْ يَا رَبِّ أَنْ رَبُّ دَعْوَةٍ
لَعَمْرُ أَبِي لَيْلَى لَيْثِنْ هِيَ أَصْبَحَتْ
بَوَادِي الْقُرَى مَا ضَرَّ غَيْرِي أَغْتَرَابَهَا^(٢١)

وقال آخر:

أَمَّا وَالَّذِي حَجَّ الْمَلِيبُونَ بَيْتَهُ
وَرَبِّ الْقِلَاصِ الْحَوْصِ تَذَمَّى أُتُوفُهَا
لَقَدْ صِرْتُ أَبِي الْأَرْضِ مَا يَسْتَفْزِنِي
لَيْثِنْ قَطَعَ الْيَأْسُ الْحَيْنِ فَإِنَّهُ
سَلَا [مَأ] وَمَوْلَى كُلِّ بَاقٍ وَهَالِكِ
بِنَخْلَةٍ وَالسَّاعُونَ حَوْلَ الْمَتَاسِكِ
لَهَا الشُّوقُ لَوْلَا أَنَّهَا مِنْ دِيَارِكِ
رُقُوءٌ لِأَذْرَافِ الدُّمُوعِ السَّوَاغِكِ^(٢٢)

ولبعض أهل هذا العصر:

سَقَى اللَّهُ رَمْلَ الْقَاعِ فِي النَّخْلَاتِ
فَقَبَرَ الْعِبَادِيَّ الَّذِي دُونَ مَرْبِخِ
فَذَاكَ الْكَيْبِ الْفَرْدِ فِي السَّمَرَاتِ
..... وَالْغُدْرَانِ فَالْهَضْبَاتِ (*)

فَجَبَلِي زُرُودٍ فَالطَّلِيحَةَ فَالْإِلَوَى
وَلَمْ يَبْقَ مِنْ لَذَاتِهَا غَيْرُ ذِكْرَةٍ
تَقَطَّعَ نَفْسِي عِنْدَهَا حَسَرَاتِ
أَكْفَكِفْ فِي أَكْنَفِهِ عِبْرَاتِي
لِقَصْرِ عَلَى وَادِي زُبَالَةٍ مُشْرِفِ

(٢٠) البيت الثالث في ديوان المجنون ص ٢٨٤.

(٢١) الأبيات مما نسب إلى المجنون ص ٦٦.

(٢٢) الأبيات لذي الرمة في معجم البلدان (نخلة اليمانية)، وانظر الديوان

ص ص ٤٢٠ - ٤٢١.

(*) كذا في الأصل والمطبوع.

(١٦) في معجم البلدان (نجد) مع اختلاف في الرواية لبعض الأعراب.

(١٧) البيت الأول في معجم البلدان (ذروة) لصخر بن الجعد (من شعراء الحماسة).

(١٨) لم أهند إلى البيتين.

أَحَبُّ إِلَى نَفْسِي وَأَشَقَى لِشَجَرِهَا
عَسَى اللَّهُ لَا تَيَاسُّ سَيَّاذُنْ عَاجِلًا
وَتَرْضَى قُلُوبٌ قَدْ تَوَاتَرَ سُخْطُهَا
وَأُولَى بِهَا مِنْ هَذِهِ الْقَرِيَّاتِ
بِنَصْرَةٍ مَظْلُومٍ وَفِكَ عُنَاةٍ
عَلَيَّ فَعَادَتْنِي بِغَيْرِ بَرَاتٍ

□ □ □

الباب الثامن والثلاثون:

مَنْ حُجِبَ عَنِ الْأَثْرِ تَعَلَّلَ بِالذِّكْرِ

قال القمقام الأسدي^(١):

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَرَى تَذَكِّرُنِي
وَهَلْ لِي نَصِيبٌ مِنْ فُؤَادِكَ ثَابِتٌ
رَأَيْنَا نَفُوسًا هُمًّا طَالَ حَبْسُهَا
يَحْمُنُ حَيَّامَ الْهَيْمِ لَمْ تَلَقَ سَاقِيًا
فَلَسْتُ بِمَتْرُوكٍ فَاشْرَبْ شُرْبَةً
فَذِكْرُكَ فِي الدُّنْيَا إِلَيَّ حَبِيبُ
كَمَا لَكَ عِنْدِي فِي الْفُؤَادِ نَصِيبُ
عَلَى غَيْرِ جُرْمٍ مَا لَهُنَّ دُنُوبُ
أَنْتَابَ الْنُفُوسِ الْحَيَّمَاتِ مُثِيبُ
وَلَا النَّفْسُ عَمَّا لَا تَنَالُ تَطِيبُ

وقال حميد بن ثور:

فَلَا يُبْعِدُ اللَّهُ الشَّبَابَ وَقَوْلَهَا
لَيْلِي سَمِعُ الْغَانِيَاتِ وَطَرَفَهَا
وَأَرْضِي بِقَوْلِ النَّاسِ [أَنْتِ] مُهَوَّنٌ
إِذَا مَا صَبَوْنَا صَبَوَةً سَتُوبُ
إِلَيَّ وَإِذْ رِيحِي لَهُنَّ جُنُوبُ
عَلَيْنَا وَإِذْ غَضُنُ الشَّبَابِ رَطِيبُ^(٢)

وقال النابغة الجعدي:

تَذَكَّرْتُ وَالذِّكْرَى تَضُرُّ بِذِي الْهَوَى
نَدَامَايَ عِنْدَ الْمُنْذِرِ بِنِ مُحَرِّقٍ
وَمِنْ حَاجَةِ الْمَحْزُونِ أَنْ يَتَذَكَّرَا
أَرَى الْيَوْمَ مِنْهُمْ ظَاهِرَ الْأَرْضِ مُقْفِرًا^(٣)

(١) من شعراء الحماسة (التبريزي) ٣/٣١٥.

(٢) انظر الديوان ص ٥٢ مع اختلاف في الرواية.

(٣) لم أجد الأبيات في الديوان.

وقال متمم بن نويرة^(٤):

وَكُنَّا كَنَدَمَانِي جَذِيمَةَ حِقْبَةٍ
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا
فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ فَرَقْنَ بَيْنَنَا
مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَّصِدَعَا
لِطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نُقَمِ لَيْلَةٌ مَعَا
فَقَدْ بَانَ مُحْمُودًا أَخِي يَوْمَ وَدَعَا^(٥)

وقال عدي بن زيد:

فَإِنْ أُمْسَيْتُ مُكْتَبِيًّا حَزِينًا
فَقَدْ بَدَلْتُ ذَاكَ بِنُغْمٍ بَالٍ
كَثِيرَ آلَهَمٍ يُسْهِدُنِي الْجَذَارُ
وَأَيَّامٍ لَيَالِيهَا قِصَارُ^(٦)

وأنشدني أحمد بن أبي طاهر قال أنشدنا أبو تمام لنفسه:

أَلَا إِنَّ صَدْرِي مِنْ غَرَامِي بِلَاقِعٍ
لَيْتَن كَانَ أَمْسَى شَمْلٌ وَخَشِكٌ جَامِعَا
أُسِيءَ عَلَى الدَّهْرِ الشَّاءُ فَقَدْ قَضَى
عَشِيَّةَ شَاقَتِنِي الدِّيَارُ الْبِلَاقِعُ
لَقَدْ كَانَ شَمْلٌ بِأَنْسِكَ جَامِعُ
عَلَيَّ بِجَوْرِ صَرْفِهِ الْمَتَابِعُ^(٧)

وقال حميد بن ثور:

قَضَى اللَّهُ فِي بَعْضِ الْمَكَارِهِ لِلْفَتَى
شَرِبْنَا بِشُعْبَانٍ مِنَ الطُّودِ بَرْدَهَا
لَيَالِي دُنْيَانَا عَلَيْنَا رَحِيْبَةٌ
رَشَادًا وَفِي بَعْضِ الْهَوَى مَا يُحَازِرُ
وَقَدْ كُنْتُ فِي بَعْضِ الصَّبَابَةِ أَتَقِي
وَأُخْشَى عَلَيْنَا أَنْ تَدُورَ الدَّوَائِرُ
وَأَعْلَمُ أَنِّي إِنْ تَغَطَّيْتُ مَرَّةً
مِنَ الدَّهْرِ مَكْشُوفٌ غِطَائِي فَنَظَرُ^(٨)

(٤) متمم بن نويرة، شاعر إسلامي، انظر الإصابة ٤٠/٦، الأغاني (دار الثقافة)

٢٣٩/١٥، الشعر والشعراء (لیدن) ص ٢٩٦، المفضليات ٦٥/٢، معجم الشعراء

ص ٤٣٢.

(٥) انظر مجموع شعر متمم ص ١١١، ١١٢، وانظر تخريج المقطوعة.

(٦) البيتان في ذيل الديوان عن كتاب «الزهرة».

(٧) الديوان ص ٤٧٨ (نشرة الخياط) مع اختلاف في الرواية.

(٨) الديوان ص ص ٨٧ - ٨٨ مع اختلاف في الرواية.

وقال أيضاً:

خَلِيلِي إِنْ دَامَ هُمُ النُّفُوسِ
عَلَى أَنْ شَيْئاً سَمِعْنَا بِهِ
يُسَمَّى السُّرُورُ مَضَى مَا فَعَلَ^(٩)

وقال البحتري:

عَيْشُ لَنَا بِالْأَبْرَقَيْنِ تَأَبَّدَتْ
وَالْعَيْشُ مَا فَارَقْتُهُ فَذَكَرْتُهُ
أَيَّامُهُ وَتَجَدَّدَتْ ذِكْرَاهُ
لَهْفًا وَلَيْسَ الْعَيْشُ مَا تَنْسَاهُ^(١٠)

وقال محمد بن عبيد الأزدي^(١١):

فَلَمَّا قَضَيْنَا عِصْمَةً مِنْ حَدِيثِنَا
جَرَى بَيْنَنَا مِنْ رَسِيْسٍ يَزِيدُنَا
كَأَنَّ لَمْ تُجَاوِرْنَا أُمَمٌ وَلَمْ تُقَمِ
وَقَدْ قَاضَ مِنْ بَعْدِ الْحَدِيثِ الْمَدَامُ
سَقَامًا إِذَا مَا اسْتَيْقَتَتْهُ الْمَسَامِعُ
بِفَيْضِ الْحَمَى إِذْ أَنْتَ بِالْعَيْشِ قَانِعُ
فَهَلْ مِثْلُ أَيَّامٍ تَسْلُفُنَ بِالْحَمَى
عَوَائِدُ أَوْ عَيْشُ السِّتَارَيْنِ وَاقِعُ

وقال قيس بن ذريح:

فَإِنْ تَكُنِ الدُّنْيَا بِلَيْلَى تَقَلَّبَتْ
فَقَدْ كَانَ فِيهَا لِلْأَمَانَةِ مَوْضِعُ
وَلِلْهَائِمِ الظُّمآنِ رِيٌّ بِرِيقِهَا
عَلَيَّ وَلِلدُّنْيَا بُطُونٌ وَأَظْهَرُ
وَلِلْكَفِّ مُرْتَادٌ وَلِلْعَيْنِ مَنْظَرُ
وَلِلدَّنْفِ خَمْرٌ مُسَكَّرُ^(*)

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ النَّحْوِيُّ: فَقُلْنَا لَهُ فَمَا الَّذِي بَقِيَ بَعْدَهَا وَصَفَتْ؟ قَالَ بَقِيََتِ الْمُوَافَقَةُ.

وقال البحتري:

كَانَ الْوِصَالُ بُعِيدَ هَجَرٍ مُتَقَضٍ
زَمَنَ الْلَوَى وَقَبِيلَ بَيْنِ آفِدٍ

(٩) لم أجدهما في الديوان.

(١٠) البيتان في الديوان ص ٢٤٠٢.

(١١) شاعر أدرك الدولة العباسية. انظر: معجم الشعراء ص ٣٥٢.

(*) الأبيات في مجموع شعره (صنعة حسين نصار) عن «الزهرة».

مَا كَانَ إِلَّا لَفْتَةً مِنْ نَاطِرٍ
عَجَلٍ بِهَا أَوْ نَهْلَةً مِنْ وَارِدٍ^(١٢)

ولبعض أهل هذا العصر:

رَعَى اللَّهُ دَهْرًا فَاتَ لَمْ أَقْضِ حَقَّهُ
لِيَالِي مَا كَانَتْ رِيَا حُكْ شَمَالًا
لِيَالِي وَفَيْتُ الْهَوَى فَوْقَ حَقِّهِ
فَلَمْ أَرُودًا عَادَ ذَنْبًا وَقَدْ مَضَتْ
وَلَمْ أَرُ سَهْمًا هَتَكَ الدَّرْعَ وَأَنْتَهَى
وَلَا عُدْرٍ لِلصَّمْصَامِ إِنْ بَلَغَ الْحَشَا
وَلَا لِحَوَادِ سَابِقِ الرِّيحِ سَالِمًا
فَأَنَّى بَعْدُ فِي أَطْرَاجِي وَجَفَوْتِي
إِذَا عَرَفَ الْجَانِي عَلَى قَدْرِ جُرْمِهِ

وقال ابن ميادة^(١٣):

أَلَا يَا لَقَوْمِي لِلْهَوَى وَالْتَذَكُّرِ
فَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَ قَلْبِي لَمْ يَطُرْ
وَعَيْنٌ قَذَى إِنْسَانِيهَا أَمْ جَحْدَرٍ
وَلَا كَضُلُوعِي فَوْقَهُ لَمْ تَكْسِرْ^(١٤)

وقال الطرماح^(١٥):

عَرَفْتُ لِسَلَمَى رَسَمَ دَارٍ تَخَالُهَا
وَعَهْدِي بِسَلَمَى وَالشَّبَابُ كَأَنَّهُ
مَلَاعِبَ جِنَّ أَوْ كِتَابًا مُنَمَّنَا
عَسِيبٌ نَمَى فِي رِيهِ فَتَقَوَّمَا

(١٢) لم أجدهما في الديوان.

(١٣) ابن ميادة، شاعر عباسي انظر ترجمته وأخباره في طبقات ابن المعتز (إقبال) ص ص ٤٣ - ٤٥.

(١٤) البيتان في «مجموع شعره» ص ١٥٦ عن كتاب «الزهرة».

(١٥) الطرماح بن حكيم شاعر من شعراء الدولة الأموية، انظر: الشعر والشعراء (ليدن) ص ص ٣٧١ - ٣٧٤.

ض سَوَارَهَا جَلَانًا لَوَانَهَا
إِذَا بَلَّغَا الْكَفَيْنِ أَنْ يَتَقَدَّمَا

وقال الحسن بن وهب:

أَلْدُمُعُ مِنْ عَيْنِي أَخِيكَ غَزِيرُ
ذَكَرٌ يَجُولُ بِهَا الضَّمِيرُ كَأَنَّمَا
فِي لَيْلِيهِ وَسَهَارِهِ مَحْدُورُ
يُذَكِّي بِهَا تَحْتَ الْفَوَادِ سَعِيرُ

وقال علي بن محمد العلوي:

شَاكَ الزَّمَانُ بِكَرِّ الزَّمَانِ
إِسَاءَةً دَهْرِكَ مَحْفُوفَةً
لِيَالِي لَا يَشْبَعُ النَّاطِرَا
لِيَالِي لَمْ يَكْتَسِي الْعَارِضَا
فَإِنْ يَكُ هَذَا الزَّمَانُ [أَنْقَضَى]
فَلَا بِأَلْقَى تَتَنَاسَى أَلْصَبَى
وَنَازِلَةٍ كُنْتُ مِنْ حَدِّهَا
وَمِنْ نَكَبَاتِ حُطُوبِ الزَّمَا
أَلَا هَلْ سَبِيلٌ إِلَى نَظَرَةٍ
وَهَلْ أَذُنُونَ مِنْ وُجُوهِ نَأَتْ
أُنَاسٌ هُمْ الْأُنُسُ دُونَ الْأُنُسِ

وله أيضاً:

وَاهَا لِأَيَّامِ الشَّبَا
وَزَوَالِهِنَّ بِمَا عَرَفَ
أَيَّامَ ذِكْرِكَ فِي دَوَا
وَقَفَ النَّعِيمُ عَنِ الصَّبَا
بِوَمَا لَيْسَنَ مِنَ الزَّخَارِفِ
تُ مِنْ الْمَنَاكِرِ وَالْمَعَارِفِ
وَبِأَلْصَبَى صَدَرَ الصَّحَائِفِ
وَزَلَّتْ عَنْ تِلْكَ الْمَوَاقِفِ

(١٦) الأبيات في ذيل الديوان ص ٥٨٣ مع اختلاف في الرواية.

وقال البحري:

أَرْسُومُ دَارٍ أَمْ سَطُورُ كِتَابٍ
يَجْتَازُ زَائِرَهَا بِغَيْرِ لُبَانَةٍ
وَلَرُبَّمَا كَانَ الزَّمَانُ مُحِبِّياً
أَيَّامِ عَوْدِ الدَّهْرِ أَخْضَرُ وَالْهَوَى
لَوْ تُسَعِّفِينَ وَمَا سَأَلْتُ مَشَقَّةَ
وَلَيْتَنِي شَكُوتُ ظَمَائِي إِنَّكَ لَلَّتِي
وَعَيْتُ مِنْ حُسْبِكَ حَتَّى إِنِّي

وقال أيضاً:

سَقَى اللَّهُ عَهْدًا مِنْ أَنَاسٍ تَصَرَّمَتْ
وَفَاءً مِنَ الْأَيَّامِ رَجَعُ حُدُوجِهِمْ
هَلِ الْعَيْشُ إِلَّا أَنْ تُسَاعِفَنَا النَّوَى
عَلَى أَنَّهَا مَا عِنْدَهَا لِمَوَاصِلِ
إِذَا مَا نَهَى النَّاهِي فَلَجَّ بِي الْهَوَى
وَيَوْمَ تَثْنَتْ لِلْوَدَاعِ وَسَلَّمَتْ
تَوَهَّمْتُهَا أَلْوَى بِأَجْفَانِهَا الْكَرَى

وقال المرار الفقعسي (١٩):

أَلَا ذِكْرَانِي يَا خَلِيلِي مَا مَضَى
مِنْ الْعَيْشِ إِذْ لَمْ يَبْقَ إِلَّا تَذَكُّرِي

(١٧) الأبيات في الديوان ص ٢٩٤.

(١٨) لم أجدها في الديوان.

(١٩) المرار بن سعيد الفقعسي، انظر ترجمته في الأغاني ١٥٨/٩، والشعر والشعراء (ليدن)

ص ٦٨٠، مجالس ثعلب ص ٢٥٠، معجم الشعراء ص ٣٣٧، وهومن شعراء

الحماسة (التبريزي) ٤٤٥/٤.

وَإِذْ لِاهْتِزَازِ الْعَيْشِ بِالرَّكْبِ لَذَّةٌ
وَإِذْ أَنْتَ لَمْ تَشْعُرْ بِعَيْنِ سَخِينَةٍ

وقال أبو صخر الهذلي:

وَأَنِّي لَتَعْرُونِي لِذِكْرِكَ رَعْشَةٌ
عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
أَمَّا وَالَّذِي أَبْكَى وَأَضْحَكَ وَالَّذِي
لَقَدْ تَرَكْتَنِي أَحْسَدُ الْوَحْشِ أَنْ أَرَى
هَجْرَتِكَ حَتَّى قُلْتُ لَا أَعْرِفُ الْقَلْبَى
فَيَا هَجَرَ لَيْلَى قَدْ بَلَغْتَ بِي الْمَدَى

وقال السري بن مغيث النوفلي (٢١):

أَلَا هَلْ مُقِيتِي اللَّهَ فِي أَنْ ذَكَرْتَهَا
سُخِيرًا وَأَصْحَابِي يُلْبُونُ بَعْدَمَا
تَمْضُوا هَذَاكُمْ رَبُّ مُوسَى فَإِنِّي
وَبَيْنَ الصَّفَا وَالرُّكْنِ نَادَمْتُ صُحْبَتِي
وَفِي جَوْفِ بَيْتِ اللَّهِ جَمَعْتُمْ زَفَرَةً
وَمِنْ نَفَرٍ عِنْدَ التَّنْبِهِ جِئْتُهُمْ
فَقُلْتُ لَهُمْ هَلْ تَعْلَمُونَ مِنْ الْجَوَى
فَقُلْتُ لَهُمْ هَلْ تَعْلَمُونَ بِمَا الَّذِي
أَيَجْعَلُنِي فِي النَّارِ رَبِّي وَحُبُّهَا

وَهَنْ بِأَعْلَى ذَاتِ عِرْقٍ خَوَاضِعُ
بَدَا وَجْهُ مَشْهُورٍ مِنَ الصُّبْحِ سَاطِعُ
مُنِيخُ نَبَاكِ بِكِيَّةٍ ثُمَّ رَافِعُ
بِذِكْرِكَ وَالْعَوَادُ سَاعٍ وَرَافِعُ
عَلَيْهَا وَظَلَّتْ تَسْتَهْلُ الْمَدَامِعُ
وَكُلُّهُمْ مِنْ خَشِيَةِ اللَّهِ خَاشِعُ
دَوَاءً فَقَالُوا أَنْتَ فِي النَّارِ وَاقِعُ
أَرْجِي وَلَا مَا اللَّهُ بِالْعَبْدِ صَانِعُ
عَلَى كِبْدِي مِنْهُ شَوْوَنُ صَوَادِعُ

(٢٠) الأبيات نسبت إلى المجنون في الديوان ص ١٣٠، وفي الشعر والشعراء (ليدن)

ص ٣٥٥، والأغاني ٥٦/٢، ٧٠، ١٦/٥، وفي أمالي القاضي ١٤٨/١، وشرح

المرزوقي ص ١٢٣١، وعيون الأخبار ١٣٨/٤ نسبت إلى أبي صخر.

(٢١) لم أهد إلى ترجمته.

مَسَامَرَةُ الْأَوْهَامِ وَالْأَمَانِيِّ لِتَمَامِ الْعَجَزِ وَالنَّوَانِي

قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الْعَالِيَةِ، قَالَ: حَدَّثَنِي حَبَابُ الْقُشَيْرِيِّ قَالَ: لَمَّا مَلَكَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ بَعَثَ إِلَى ابْنِ مِيَادَةَ وَكَانَ مُعْجَبًا بِشِعْرِهِ فَالْزَمَهُ بَابَهُ فَاشْتَفَقَ الشَّيْخُ لَمَّا طَالَ مُقَامُهُ فَقَالَ:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً بِحَرَّةٍ لَيْلَى حَيْثُ رَبَّتْنِي أَهْلِي
بِلَادَ بِهَا نَيْطَتْ عَلَيَّ تَمَائِمِي وَقُطِعَنَ عَنِّي حَيْثُ أَدْرَكَنِي عَقْلِي
فَإِنْ كُنْتُ عَنْ تِلْكَ الْمَوَاطِنِ حَابِسِي فَأَيْسِرْ عَلَيَّ الرِّزْقَ وَاجْمَعْ إِذَا شِئِمْلِي^(١)

قَالَ فَلَمَّا سَمِعَ شِعْرَهُ كَتَبَ لَهُ إِلَى مُصَدِّقِ كُلِّبٍ أَنْ يُعْطِيَهُ مِئَةَ نَاقَةٍ دُهُمًا جَعَادًا.

وقال ابن ميادة:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَحِلُّنَ أَهْلُهَا وَأَهْلُكَ رَوْضَاتِ بَيْطُنِ اللَّبْوَى خُضْرًا
وَهَلْ تَأْتِيَنَّ الرِّيحُ تَذْرِجُ مَوْهِنًا [بِرَبِّكَ] تَعْرُونِي بِهَا بَلَدًا قَفْرًا
بِرِيحِ خُزَامَى الرَّمْلِ بَاتَ مُعَانِقًا فُرُوعُ الْأَفَاجِي تَهْضِبُ الْطَّلَّ وَالْقَطْرًا
أَلَا لَيْتَنِي أَلْقَاكَ يَا أُمَّ جَحْدَرٍ قَرِيبًا فَأَمَّا الْأَصْبَرُ عَنْكَ فَلَا صَبْرًا
أَهْ لَا تُلْطِي السِّتْرَ يَا أُمَّ جَحْدَرٍ كَفَى بِذَرَى الْأَعْلَامِ مِنْ دُونِنَا سِتْرًا^(٢)

(١) الأبيات في الروض الأنف ٥٣/٢، أخبار أبي نغم ص ٣، الحماسة البصرية ١٣٠/٢، المصون ص ٢٠٧.

(٢) في «م» والمطبوع: تلطي. والأبيات في شعر ابن ميادة ص ص ١٣٤ - ١٣٥ مع اختلاف في الرواية، ومصدرها: الأغاني ٦٨٨/٢، زهر الآداب ١١٧/٣، الحماسة الشجرية ٢٨٦/١.

وأنشدني أحمد بن يحيى:

قَالَتْ أُمَيْمَةُ مَا لِحِجْمِكَ شَاجِبًا وَلِلَّهِ صَاحِبِي الَّذِي نَبَّأْتُهُ
لِلَّهِ صَاحِبِي الَّذِي نَبَّأْتُهُ ظَنُّ الْمَكَوِي مُخْرِجَاتِ حَرَارَةٍ
يَا لِلرَّجَالِ أَمَا رَأَى مَا شَفَّنِي

وقال كثير:

وَدِدْتُ وَمَا تُغْنِي الْوَدَادَةُ أَنِّي فَإِنْ كَانَ خَيْرًا سَرْنِي وَعِلْمَتُهُ
وَمَا ذَكَرْتُكَ النَّفْسُ إِلَّا تَفَرَّقَتْ

وقال البحتري:

مَنْ أَلْفَسَ فِي أَسْمَاءٍ لَوْ تَسَطَّيْعُهَا عَجِبْتُ لَهَا تُبْدِي الْقَلَى وَأَوْدُهَا

وقال آخر:

وَدِدْتُ بِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمُ أَنَا وَأَنِّي إِذَا صَاحَبْتُ لِلْعُرْضِ مِنْ غَدٍ
فَإِمَّا إِلَى جَنَاتِ عَدْنٍ نَكُنْ مَعًا

وقال كثير:

يَبُودُ بِأَنَّ يُمَسِّي سَقِيمًا لَعْلَهَا وَيَزِنَاحُ لِلْمَعْرُوفِ فِي طَلَبِ الْعُلَى
فَلَوْ كُنْتُ فِي كَبَلٍ وَبُحْتُ بِعَوْلَتِي

وَجَدْتُ بِقَلْبِي يَا أُمَيْمُ بَرَانِي وَشَكَرْتُ حُبَّكَ عِنْدَهُ فَكَوَانِي
بَيْنَ الضُّلُوعِ وَدُونَهَا هَيْمَانِي أَفَلَا بِذِكْرِكَ وَالْمُنَى ذَاوَانِي

بِمَا فِي ضَمِيرِ الْحَاجِيَّةِ عَالِمُ وَإِنْ كَانَ شَرًّا لَمْ تَلْمَنِي اللَّوَائِمُ
فَرِيقَيْنِ مِنْهَا عَاذِرُ لِي وَلَائِمُ^(٣)

بِهَا وَجَدَهَا مِنْ غَادَةٍ وَوَلُوعَهَا وَلِلنَّفْسِ تَعْصِينِي هَوَى وَأُطِيعَهَا^(٤)

وَأَنِّي فِدَاءٌ لِلَّذِي أَنَا عَاشِقُهُ إِلَى اللَّهِ جِيرَانًا هُنَاكَ أَوَافِقُهُ
وَأَمَّا إِلَى نَارٍ فِيهَا أَرَا فِقُهُ

إِذَا سَمِعْتُ عَنْهُ بِشَكْوَى تُرَاسِلُهُ لِتُحَمَّدَ يَوْمًا عِنْدَ لَيْلَى شَمَائِلُهُ
إِلَيْهِ أَلَا أَنْتَ جَمَّةٌ لِي سَلَابِلُهُ

(٣) لم أجد الأبيات في ديوان كثير.

(٤) ديوان البحتري ص ١٢٩٦.

وَيُذْرِكُ غَيْرِي عِنْدَ غَيْرِكَ حَظَّهُ
فَلَا هَانَتْ الْأَشْعَارُ بَعْدِي وَبَعْدُكُمْ

وقال آخر:

تَمَنَيْتُ فِي عَرْضِ الْأَمَانِي وَرُبَّمَا
لَوْ أَنِّي وَسَعَدَى جَارُ بَيْتِ حَبَائِبَا

وقال عمر بن أبي ربيعة:

يَا لَيْتَنِي قَدْ أَجَزْتُ الْحَبْلَ دُونَكُمْ
إِنَّ الشَّوَاءَ بِأَرْضٍ لَا أَرَاكَ بِهَا
وَمَا مَلِيتُ وَلَكِنْ زَادَ حُبُّكُمْ
أُذْرِي الدُّمُوعِ كَلْبِي سَقَمَ يُخَامِرُهُ
كَمْ قَدْ ذَكَرْتُكَ لَوْ أَجْزَى بِذِكْرِكُمْ
إِنِّي لِأَجْذُلُ أَنْ أَمْشِيَ مُقَابِلَهُ

ولبعض أهل هذا العصر:

زُبَالَةُ لَا هُمْ أَسْقَهَا ثُمَّ رَوَّهَا
أَلَا هَلْ إِلَى نَجْدٍ وَمَاءٍ بِقَاعِهَا
وَهَلْ لِي إِلَى تِلْكَ الطَّلِيحَةِ عَوْدَةٌ
فَأَشْرَبَ مِنْ مَاءِ السَّمَاءِ فَأَرْتَوِي
وَأُلْصِقَ أَحْشَائِي بِرَمْلٍ زُبَالَةٍ

وقال بعض الأعراب:

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَلَيْتَ أَصْبَحْتُ حَرْجًا

بِشِعْرِي وَيُعِينِي بِهِ مَا أَحْوَلُهُ
مُجِبًّا وَمَاتَ الشَّعْرُ بَعْدِي وَقَائِلُهُ (٥)

تَمَنَّى الْفَتَى أُمْنِيَّةً لَنْ يَنَالَهَا
فَتَعْلَمَ حَالِي ثُمَّ أَعْلَمَ حَالَهَا

حَبْلُ الْمَعْرِفِ أَوْ جَاوَرْتُ ذَا عُسْرِ
فَأَسْتَيْفِنِيهِ ثَوَاءَ حَقِّ ذِي كَدَرٍ
وَمَا ذَكَرْتُكَ إِلَّا ظَلْتُ كَالسَّيْرِ
وَمَا يُخَامِرُ مِنْ سَقَمٍ سِوَى الذِّكْرِ
يَا أَشْبَهَ النَّاسِ كُلِّ النَّاسِ بِالْقَمَرِ
حُبًّا لِرُؤْيَا مَنْ أَحْبَبْتُ فِي الصُّورِ (٦)

وَقَلْتُ لَهَا أَضْعَافُ ذَوِي الدَّعَوَاتِ
سَبِيلُ وَأَرْوَاحٍ بِهَا عَطِرَاتٍ
عَلَى مِثْلِ تِلْكَ الْحَالِ قَبْلَ وَفَاتِي
وَأَرْغَى مَعَ الْغَزْلَانِ فِي الْفَلَوَاتِ
وَأَنَسَ بِالظُّلْمَانِ وَالطَّبَيَّاتِ

هَلْ أَهْبِطُنْ بِلَادًا مَا بِهَا دُورُ

أَلَا سَبِيلَ إِلَى نَجْدٍ وَسَاكِينَهَا
لَقَدْ تَبَدَّلْتُ مِنْ نَجْدٍ وَسَاكِينِهِ

وقال آخر (٨):

لَيْتَ شِعْرِي وَأَيْنَ مِنِّي لَيْتُ
أَيُّ سَاعٍ لِيَقْطَعَ حَبْلِي
وَأَسْتَكُنَّ الْمُصْفُورَ كُرْهًا مَعَ الضُّ
وَأَمَّا أَهْلُ قَرْيَةٍ أَنْكَرُونِي
عَرَفْتُ لَيْلَهَا الطَّوِيلَ وَلَيْلِي

وقال آخر:

عَسَى اللَّهُ يَا ظَلَامُ أَنْ يَعْقِبَ الْهَوَى
وَتُنْهَى فَتَزْدَايَ إِلَيَّ صَبَابَةً
أَلَمْ تَعْلَمِي يَا رِيْقَةَ الْوَصْلِ أَنَّنِي
وَلِيَّي لِيْخِيرٍ قَدْ تَذَاوَيْتُ بَعْدَكُمْ

وقال آخر:

أَلَا لَيْتَنِي لَا أَطْلُبُ الدَّهْرَ حَاجَةً
فَيَا حَبْدًا مِنْ مَنْظَرٍ لَوْ تَنَالَهُ

وقال آخر:

إِذَا كَلَمْتَنِي وَكَحَلْتِ عَيْنِي

أَمْ لَا يَنْجِدُ حَبِيبُ الْأَهْلِ مَهْجُورُ
أَرْضًا بِهَا الدِّيكُ يَزُقُّو وَالسَّنَانِيرُ (٧)

إِنَّ لَيْتًا وَإِنْ لَوْ عَنَاءُ
حِينَ لَاخَتْ لِلصَّالِحِ الْجُورَاءُ
سَبَّ وَأَوْفَى فِي عُودِهِ الْجَرَبَاءُ
عَرَفْتَنِي الدَّوِيَّةُ الْمَلَسَاءُ
إِنَّ الْمَحْزُونِ فِيهِ عَنَاءُ

فَتَلَقَى كَمَا قَدْ كُنْتُ فِيكَ لَقِيتُ
كَمَا أَرْدَدْتُ فِي حُبِّكَ حِينَ نُهَيْتُ
شَرِبْتُ بِصَافٍ بَعْدَكُمْ فَرَوَيْتُ
بِهَجْرٍ لَكُمْ مِنْ حُبِّكُمْ فَبَرَيْتُ

وَلَا بُغْيَةَ إِلَّا عَلَيْكَ طَرِيقُهَا
عَذَابُ الثَّنَائَا أَمْ عَمْرٍو وَرِيقُهَا (٩)

بِعَيْنَيْكَ فَأَمْنِي مَا شِئْتَ مِنِّي

(٧) لم أعتد إلى الأبيات.

(٨) صاحب الأبيات أبو زيد الطائي المنذر بن حرمة شاعر عاش زمنًا في الجاهلية وأدرك

الإسلام ولم يسلم، انظر خزائن الأدب ١٥٥/٢، إرشاد الأريب ١٠٧/٤ - ١١٥،

والأبيات في «شعر أبي زيد» المجموع وانظر التخریج.

(٩) البيتان في ديوان المجنون ص ٣٢٦ عن كتاب «الزهره».

(٥) ديوان كثير ص ص ٤٢٠ - ٤٢١.

(٦) ديوان عمر ص ٧٦.

إِذَا أَرَدَحَمْتُ هُمُومِي فِي فُؤَادِي
وقال آخر:

أَلَا لَيْتَ بَعْدَ أَلَمَوْتِ أُنْشَرُ نَشْرَهُ
أَتَرَعَى وَصَالَ الْعَهْدِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا

وقال العباس بن الأحنف:

تَمَنَّى رَجَالٌ مَا أَحْبَبُوا وَإِنَّمَا
أَرَى كُلَّ مَعْشُوقِينَ غَيْرِي وَغَيْرَهَا
وَإِنِّي وَإِيَّاهَا عَلَى حَدِّ رِقَبَةٍ
وَإِنِّي لِأَنْهَى النَّفْسَ عَنْهَا وَلَمْ تَكُنْ

وقال جميل:

أَلَا لَيْتَنَا نَحْيَى جَمِيعاً وَإِنْ نُمْتُ
فَمَا أَنَا فِي طُولِ الْحَيَاةِ بِرَاغِبٍ
أَظْلُ نَهَارِي مُسْتَهَاماً وَنَلْتَقِي

وقال أبو بكر بن عبدالرحمان الزهري (١٢):

وَلَمَّا نَزَلْنَا مَنْزِلاً طَلُّهُ النَّدَى
أَنْبَقاً وَبُسْتَاناً مِنَ النُّورِ حَالِيَا
أَجَدُّ لَنَا طِيبُ الْمَكَانِ وَحُسْنُهُ
مُنَى فَتَمَنَيْنَا فَكُنْتَ الْأَمَانِيَا

وقال مزاحم العقيلي (١٣):

وَدِدْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ شَرَفِ الْفَتَى
وَجَهْلِ الْأَمَانِي أَنْ مَا شِئْتُ تَفْعَلُ
فَتَرْجِعُ أَيَّامَ مَضِينَ بِنِعْمَةٍ
عَلَيْنَا وَهَلْ يُشَى مِنْ الْعَيْشِ أَوَّلُ

(١٠) الديوان ص ص ١٧١ - ١٧٢ مع اختلاف في الرواية.

(١١) ديوان جميل ص ٢٩.

(١٢) لم أهد إلى ترجمته.

(١٣) هو مزاحم بن الحارث.. العقيلي، انظر الأغاني (الهيئة) ٩٨/١٩.

وقال جرير:

أَوَيْلُ أَنْ أَلَا قِي آلَ لَيْلَى
فَلَسْتُ بِنَائِمٍ إِلَّا بِهِمْ
كَمَا يَرْجُو أَخُو السَّنَةِ الرَّبِيعَا
وَلَا مُسْتَقِظاً إِلَّا مَرُوعاً (١٤)

وقال آخر:

فَمَا مَسَّ جَنْبِي الْأَرْضَ إِلَّا ذَكَرْتُهَا
فَيَا رَبِّ إِنْ كَانَتْ عَرُوضُ هِي أَلْمُنَى
وَلَا وَجَدْتُ رِيحَهَا فِي ثِيَابِيَا
فَزِنِّي بِعَيْنَيْهَا كَمَا زَنْتَهَا لِيَا

وقال سعد ذلفاء (١٥):

فَلَيْتَ ابْنَ أَوْسٍ حِينَ يَأْتِيهِ أَهْلُهَا
فَتَرْبِطُنِي ذَلْفَاءُ فِي شِقِّ بَيْتِهَا
يُخَاصِمُهُمْ أَهْلِي قَضَائِي لَهَا عَبْدَا
لَكَ الْوَيْلُ يَا ذَلْفَاءُ لَا تَقْتُلِي سَعْدَا

وقال عروة بن حزام:

كَأَنَّ قَطَاءً عَلِقَتْ بِجَنَاحِهَا
أَلَا لَيْتَنَا نَحْيَى جَمِيعاً وَلَيْتَنَا
عَلَى كَبِيدِي مِنْ شِدَّةِ الْخَفَقَانِ
إِذَا نَحْنُ مُتْنَا ضَمْنَا كَفَمَانِ
بَعِيرَانِ نَرَعَى الْقَفَرَ مُؤْتَلِفَانِ
وَعَفْرَاءَ يَوْمَ الْحَشْرِ مُلْتَقِيَانِ (١٦)

وقال آخر:

أَلَا مَنْ لَهُمْ بَتٌ وَحَلِي أَكَابِدُهُ
وَمَنْ يَكُ ذَا هَمٍّ بَيْتٌ وَهُوَ عَامِدُهُ
تَذَكَّرْتُ بَطْنَ الْجَبْرِ يَا لَيْتَنِي بِهِ
إِذَا أَعْتَمَّ بَيْتاً مَتْنُهُ وَأَجَالِدُهُ

(١٤) لم أجد البيتين في الديوان.

(١٥) لم أهد إليه.

(١٦) الأبيات في شعر عروة بن حزام ص ٥٩ ما عدا الأول، مع اختلاف في الرواية.

وقال الأحموس:

إِنِّي لَأَمْلُ أَنْ تَذُنُو وَإِنْ بَعْدَتْ
أَبْغَضْتُ كُلَّ بِلَادٍ كُنْتُ أَلْفَهَا
بَا لِلرِّجَالِ لِمَقْشُولٍ بِلَا بَرَةٍ
إِنْ قَرَبْتُ لَمْ يُفَقَّ عَنْهَا وَإِنْ بَعْدَتْ
مَا تُذَكِّرُ الدَّهْرَ لِي سَعْدَى وَإِنْ نَزَحْتُ
وَلَا قَرَأْتُ كِتَاباً مِنْكَ يَلْغُنِي
وَقَدْ بَدَتْ لِي مِنْ سَعْدَى مُعَاتِبَةٌ
وَلَوْ أَعَاتَبْتُ ذَا حَقٍّ قَتَلْتُ لَهُ
وقال النميري:

أَلَا هَلْ إِلَى نَصْرِ النَّوَاعِجِ بِالضُّحَى
بِلَادٌ بِهَا أَمْسَى إِلَهَوَى غَيْرَ أَنِّي
وقال أبو القمقام الفقعسي (١٩):

يَقْرُ بِعَيْنِي أَنْ أَرَى رَمْلَةَ الْغَضَا
وَلَسْتُ وَإِنْ أَحْبَبْتُ مَنْ يَسْكُنُ الْغَضَا
وقال أيضاً:

تَبَدَّلَ هَذَا السِّدْرُ أَهْلاً وَلَيْتَنِي
فَعَهْدِي بِهِ عَذَبَ الْجَنِّي نَاعِمَ الدَّرَى
كَمَا لَوْ وَشَى بِالسِّدْرِ وَاشٍ رَدَّدْتُهُ

(١٧) الأبيات في شعر الأحموس ص ١٠٤.

(١٨) إذا كان النميري هذا هو الراعي فلأن لم أجده في ديوانه المجموع، ولعله شاعر آخر من شعراء الغزل.

(١٩) لا أدري أليكون أبو القمقام الفقعسي هذا هو أبو القمقام الأسدي الذي تقدم ذكره في الكتاب؟ والبيت الثاني في ديوان المجنون مع اختلاف ص ٢٢٨.

وقال آخر:

أَلَا هَلْ إِلَى إِلْمَامَةٍ قَبْلَ مَوْتِنَا
وَهَلْ لِعَيْنٍ قَدْ بَكَينَ إِلَى الْفَلَا
سَبِيلٌ وَهَلْ لِلنَّازِحِينَ رُجُوعٌ
وَأَبْكَيْنَ حَتَّى مَا لَهْنٌ دُمُوعٌ
وَأَنْ لَا يُرَاعَ الشَّمْلُ وَهُوَ جَمِيعٌ
يُحَاذِرُنْ أَنْ لَا يَرْتَجِعْنَ إِلَى الْفَلَا

□ □ □

وَشَمَّ الْخُزَامَى بِالْعَشِيِّ سَبِيلُ
أَمِيلُ مَعَ الْمِقْدَارِ حَيْثُ يَمِيلُ (١٨)

إِذَا مَا بَدَتْ يَوْماً [لِعَيْنِي] قِلَالُهَا
بِأَوَّلِ رَاحٍ حَاجَةٌ لَا يَنَالُهَا

أَرَى السِّدْرَ بَعْدِي كَيْفَ كَانَتْ بَدَائِلُهُ
تَطِيبُ وَتَنْدَى بِالْعَشِيِّ أَصَائِلُهُ
كَثِيباً وَلَمْ تَمْلُحْ لَدَيَّ شَمَائِلُهُ

مَنْ قَصَرَ نَوْمُهُ طَالَ لَيْلُهُ

أَمَّا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَرَجَمْنَا هَذَا الْبَابَ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَلَى كُلِّ الْأَحْوَالِ
أَعَذَرُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَهُمْ. عَلَى أَنْ فَرَّغَهُمْ لَوْصِفَ مَا بَدَأَ لَهُمْ هُجْنَةً بِهِمْ، وَدَلَالَةً
عَلَى ضَعْفِ أَحْوَالِهِمْ. وَقَالَ الطَّائِي: وَمَا أَظُنُّ أَنَّهُ أَحْتَرَزَ بِهِ مِنْ هَذَا اللَّوْمِ
الَّذِي يَلْحَقُ غَيْرَهُ، فَالْزَمَ غَيْرَهُ، فَالْزَمَ نَفْسَهُ أَكْثَرَ مَا حَذَرَهُ وَذَلِكَ قَوْلُهُ:

لَسْتُ أَدْرِي أَطَالَ لَيْلِي أَمْ لَا كَيْفَ يَذَرِي بِذَاكَ مَنْ يَتَقَلَّى (١)
لَوْ تَفَرَّغْتُ فِي اسْتِطَالَةِ لَيْلِي وَلِرَعِي النُّجُومِ كُنْتُ مُخِلًّا

فَهُوَ وَإِنْ كَانَتْ جَهَالَتُهُ بِحَالِهِ دَالَّةً عَلَى قُوَّةِ اسْتِغَالِهِ، فَإِنَّ عِلْمَهُ بِالْعِلَّةِ
الَّتِي أَوْجَبَتْ جَهْلَهُ بِهَا ضَرَبَ مِنَ الْفَلَسَفَةِ الَّتِي لَا يَصْلُحُ أَنْ يَعْلَمَهَا إِلَّا مُتَخَلِّ
مِنْ هَذِهِ الْحَالَةِ كُلِّهَا. فَفَرَّ مِنْ شَيْءٍ وَوَقَعَ فِي أَعْظَمَ مِنْهُ. أَلَا تَرَى أَنَّ الْبَهَائِمَ
تَجِدُ أَلَمْ مَا يَنَالُهَا وَتُظْهِرُ التَّأْذِي بِهِ؟ وَلَيْسَ يَعْلَمُ أَنَّ الْاسْتِغَالَ بِالْأَلَمِ يَمْنَعُ مِنْ
وَضْفِهِ، إِلَّا أَهْلُ الْفَلَسَفَةِ وَالْحُكَمَاءُ. وَالتَّكَلُّفُ إِذَا دَخَلَ فِي شَيْءٍ نَبَّهَ عَلَى
مَوْضِعِهِ، وَتَرَجَّمَ عَنْ ضَمِيرٍ مُتَحَلِّلِهِ. وَلَسْنَا قَادِرِينَ عَلَى ذِكْرِ حَالٍ تَامَّةٍ عَنْ
أَحَدٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ فِي هَذَا الْبَابِ، لِأَنَّ كُلَّ وَاصِفٍ يَوْصِفُهُ أَذِلُّ الْأَشْيَاءِ عَلَى
ضَعْفِهِ. فَأَهْلُ الْتِمَامِ إِذَنْ سَكُوتٌ عَنِ الْوَصْفِ، مُسْتَعْرِقُونَ فِي غَمَرَاتِهِ،
مُسْتَعْلُونَ بِهِ عَنْ صِفَاتِهِ. وَلَكِنَّا نَذْكُرُ عَنْ أَهْلِ الضَّعْفِ الْمُسْتَطِيعِينَ لِتَرْتِيبِ
أَحْسَنَ مَا يَحْضُرُنَا مِنْ أَقَاوِيلِهِمْ وَمَا زَادُوا فِيهِ عَلَى أَمْثَالِهِمْ وَنُظَرَائِهِمْ.

(١) لم أجد البيت في ديوان أبي تمام.

قال النابغة الذبياني:

كَلَيْلِي لَهُمْ يَا أُمَيْمَةُ نَاصِبٍ
وَصَبْدِرٍ أَرَاخَ اللَّيْلِ غَارِبٍ هَمِيهِ
تَقَاعَسَ حَتَّى قُلْتُ لَيْسَ بِمُنْقُضٍ
وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءُ الْكَوَكِبِ
يُضَاعِفُ فِيهِ الْحُزْنَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (٢)
وَلَيْسَ الَّذِي يَرَعَى النُّجُومَ بِأَيِّبِ

وقال عبيد الراعي:

كَأَنَّ بِلَادَهُنَّ سَمَاءً لَيْلٍ
مَلَلْتُ بِهَا الشَّوَاءَ وَأَرَقْتُني
أَبَيْتُ بِهَا أُرَاعِي كُلَّ نَجْمٍ
تَكَشَّفَتْ عَنْ كَوَاكِبِهَا الْغُيُومُ
هُمُومٌ مَا تَنَامُ وَلَا تُنِيْمُ
وَشَرُّ رِعَايَةِ الْعَيْنِ النُّجُومُ (٣)

وقال سويد بن أبي كاهل:

وَأَبَيْتُ اللَّيْلَ مَا أَرْقَدُهُ
فَإِذَا مَا قُلْتُ لَيْلِي قَدْ مَضَى
يَسْحَبُ اللَّيْلُ نُجُومًا ظُلَعًا
وَيَعِينَنِي إِذَا النَّجْمُ طَلَعَ
عَطَفَ الْأَوَّلُ مِنْهُ فَرَجَعَ
فَتَوَالِيهَا بِطِيشَاتِ التَّبَعِ

وقال جرير:

أَتَى دُونَ هَذَا الْيَوْمِ هَمٌّ فَاسْهَرَا
أَقُولُ لَهَا مِنْ أَجْلِهِ لَيْسَ طَوْلُهَا
أُرَاعِي نُجُومًا تَالِيَاتٍ وَغُورًا
كَطُولِ اللَّيَالِي لَيْتَ صُبْحُكَ نَوْرًا (٤)

وقال أبو تمام:

أَفَنِي وَلَيْلِي لَيْسَ يَفْنَى آخِرُهُ
نَامَتْ عُيُونُ الشَّامِتِينَ تَيْقُنًا
هَاتَا مَوَارِدُهُ فَأَتَيْنَ مَصَادِرُهُ
لَا شَيْءَ ضَائِرٌ عَاشِقٍ فَإِذَا نَأَى
أَنْ لَيْسَ يَهْجَعُ وَالْهُمُومُ تُسَامِرُهُ
عَنْهُ الْحَبِيبُ فَكُلُّ شَيْءٍ ضَائِرُهُ (٥)

(٢) في «م» والمطبوع: غارب، والأبيات في الديوان ص ٩.

(٣) لم أجد الأبيات في ديوان الراعي.

(٤) البيتان في الديوان ص ٤٦٩ مع اختلاف في الرواية.

(٥) الديوان ٢/٢١٠.

وقال كثير:

وَلِي مِنْكَ أَيَّامٌ إِذَا تَشَحَّطُ النَّوَى طَوَالَ وَلَيَّاتٍ تَزُولُ نُجُومُهَا
إِذَا سُمْتُ نَفْسِي هَجَرَهَا وَاجْتَنَبَهَا رَأَتْ غَمَرَاتِ الْمَوْتِ فِيمَا أَسُومُهَا^(٦)

وَذَكِّرُوا أَنَّ عَلِيَّ بْنَ الْجَهْمِ لَمَّا طَعِنَ فِي بَرِّيَّةٍ حَلَبٍ قَالَ لِغُلَامِهِ فِي أَوَّلِ
الَّيْلِ: أَطْلَعَ النُّجُومُ أَمْ لَا؟ فَقَالَ لَهُ غُلَامُهُ: هَذَا بَعْدَ وَقْتِ الْعِشَاءِ.
فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

هَلْ زِيدَ فِي اللَّيْلِ لَيْلٌ أَمْ سَالَ بِالصُّبْحِ سَيْلٌ
ذَكَرْتُ أَهْلَ دُجَيْلٍ وَأَيْنَ مِنِّي دُجَيْلٌ^(٧)
ثُمَّ مَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ.

وقال البحرري:

مَغَانِي سُلَيْمَى بِالْعَقِيقِ وَدَوْرُهَا أَجَدَّ الشَّجَى إِخْلَاقُهَا وَدُثُورُهَا^(٨)
وَالْحَقْنِي بِالشَّيْبِ فِي عُقْرِ دَارِهِ مَنَاقِلُ فِي عَرْضِ الشَّبَابِ أَسِيرُهَا
مَضَتْ فِي سَوَادِ الرَّأْسِ أَوْلَى بَطَالَتِي فَدَعْنِي يَصَاحِبْ وَخَطَّ رَأْسِي أَخِيرُهَا
وَأَطْرَبْتُ لِي بَغْدَادَ إِطْرَاءَ مَا دِحٍ وَهَذِي لِيَالِيهَا فَكَيْفَ شُهُورُهَا^(٩)

وقال أيضاً:

أَتَيْتُكَ عَنْ عَيْنِي وَطُولِ سَهَادِهَا وَوَحْدَةِ نَفْسِي بِالْأَسَى وَأَنْفِرَادِهَا
وَأَنَّ الْهُمُومَ اعْتَدَنْ بَعْدَكَ مَضْجَعِي وَأَنْتِ الْتِي وَكُلْتِنِي بِاعْتِيَادِهَا
خَلِيلِي إِنِّي ذَاكِرٌ عَهْدَ خُلَّةٍ تَوَلَّتْ وَلَمْ أَذُمَّمُ حَمِيدَ وَدَادِهَا

(٦) لم أجد البيتَين في الديوان.

(٧) لم أجدَهما في ديوان علي بن الجهم.

(٨) في «م» والمطبوع: ودونها.

(٩) الديوان ص ٩٩٨.

فَوَا عَجَبًا مَا كَانَ أَفْصَرَ دَهْرَهَا لَدَيْ وَأَدْنَى قُرْبَهَا مِنْ بَعَادِهَا
وَكُنْتُ أَرَى أَنَّ الرَّدَى قَبْلَ بَيْنَهَا وَأَنَّ أَفْتِقَادَ الْعَيْشِ قَبْلَ أَفْتِقَادِهَا
بِنَفْسِي مَنْ عَادَيْتُ مِنْ أَجْلِ فَقْدِهِ بِلَادِي وَلَوْلَا فَقْدُهُ لَمْ أُعَادِهَا^(١٠)

وقال أبو تمام:

رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ أَنَّ الصُّلْحَ قَدْ فَسَدَا وَأَنَّ مَوْلَايَ بَعْدَ الْقُرْبِ قَدْ بَعُدَا
لِمَ لَمْ أُمْتُ جَزَعًا لِمَ لَمْ أُمْتُ أَسْفًا لِمَ لَمْ أُمْتُ حَزَنًا لِمَ لَمْ أُمْتُ كَمَدًا
قَدْ كِدْتُ أَحْلِفُ لَوْلَا أَنَّهُ سَرَفَ أَن لَّا أَذُوقُ رُقَادًا بَعْدَهُ أَبَدًا^(١١)

فَهَذَا قَدْ زَادَنَا رُتْبَةً عَلَى مَا عَنَى، لِأَنَّهُ لَمْ يَدَعْ النَّوْمَ شَوْقًا إِلَى مَنْ يَهْوَاهُ:
ثُمَّ رَأَى فِي النَّوْمِ مَا قَدْ وَصَفَ، وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّ تَرْكَهُ إِيَّاهُ مَعَ ذَلِكَ سَرَفَ.
وَلَوْ جَعَلَ أَمْتِنَاعُهُ مِنْ تَرْكِ النَّوْمِ شَوْقًا إِلَى رُؤْيَةِ الطَّيْفِ فَقَالَ:

قَدْ كِدْتُ أَحْلِفُ لَوْلَا الطَّيْفُ مُجْتَهِدًا أَلَّا أَذُوقُ رُقَادًا بَعْدَهُ أَبَدًا^(١٢)
كَانَ أَعْدَرَ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَإِنْ دَخَلَ ذَلِكَ ضُرُوبٌ مِنَ الْإِخْتِلَالِ.
مِنْهَا: أَنَّهُ نَامَ أَوَّلًا حَتَّى رَأَى مَا رَأَى، وَمِنْهَا أَنَّهُ لَمْ يَتَهَيَّأْ لَهُ تَرْكُ النَّوْمِ إِلَّا بِيَمِينٍ
عَلَى نَفْسِهِ، وَمِنْهَا أَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ لَمْ يَحْلِفْ أَيْضًا وَإِنَّمَا أَرْجَفَ بِالْيَمِينِ.

وقال أيضاً:

لَا نِمْتُ عَيْنًا وَلَا لُقَيْتَ عَافِيَةً وَكَانَ حَظُّكَ بَعْدَ اللَّيْلَةِ الْأَرْقَا
أَنِمْتُ لَا نِمْتُ فِي خَيْرٍ وَلَا دَعَةٍ حَتَّى أَتَى أَجَلَ الْمِعَادِ فَانْطَلَقَا^(١٣)
فَهَذَا عَافَانَا اللَّهُ وَإِيَّاهُ - أَلَوْمْ فِي هَذَا النَّوْمِ مِنْ كُلِّ مَا لَمَنَاهُ، لِأَنَّ

(١٠) الأبيات في المصدر السابق ص ٧١٤.

(١١) الديوان ١٨٧/٤.

(١٢) البيت غير مستقيم، في الأصل، وهو محشور مع النثر في «م» والمطبوع.

(١٣) لم أجدَهما في الديوان.

الْإِنْسَانَ يُشْغِلُ قَلْبُهُ بِمَجِيءِ خَادِمِهِ مِنْ حَاجَةٍ لَا قَدَرَ لَهَا فِي قَلْبِهِ فَيُشْغِلُهُ ذَلِكَ عَنْ نَوْمِهِ. فَكَيْفَ لِمَنْ يَبْعُدُهُ مَنْ يَهْوَاهُ بِزِيَارَةٍ فَيَنَامَ عَنْ مَوْعِدِهِ.

وقال البحرري:

أَنْظُرْ إِلَى نَاطِلٍ قَدْ شَفَّهُ السَّهْدُ وَأَعْطَفَ عَلَى مُهْجَةٍ أَوْدَى بِهَا الْكَمَدُ
لَا دُفَّتْ مَا ذَاقَهُ مَنْ أَنْتَ مَالِكُهُ وَلَا وَجَدَتْ بِهِ مِثْلَ الَّذِي يَجِدُ
أَخْفَى هَوَاكَ فَنَمَّتْهُ مَدَامِعُهُ وَالْعَيْنُ تُعْرِبُ عَمَّا ضَمَّتِ الْكَيْدُ
فَإِنْ جَحَدْتَ الَّذِي قَاسَاهُ بَيْنَهُمَا فَشَاهِدَاهُ عَلَيْكَ الْخُدَّ وَالْجَسَدُ (١٤)

وأنشدني محمد بن الخطاب الكلابي لنفسه (١٥):

أَرِقْتُ وَحَالَفْتُ لَيْنَ الْوَسَادِ وَلَمْ يَسْعَدْ وَلَدْتُ بِالْمَهَادِ
وَبَاتَتْ وَالْأَسْرُورُ لَهَا ضَجِيعُ تَجَنَّبُهَا مُجَانِبَةُ الرُّقَادِ
وَبِتْ وَمُرْهَفَاتُ الشُّوقِ تَفْرِي بِهَا [عُنُقُ] الْكَرَى يَذُ السَّهَادِ
فَكَمْ تَرَوِي بِأَذْمُعِنَا خُدُودًا لَنَا جَرَجَى وَأَنْفُسُنَا صَوَادِ

وقال آخر:

تَطَاوَلَ أَيَّامِي وَلَلَّيْلُ أَطْوَلُ وَلَا مَ عَلَى حُبِّي أُمِيمَةَ عُذْلُ
يَلُومُونَ صَبًا أَضْرَعَ الْحُبُّ جِسْمَهُ وَمَا ضَرَّهُمْ لَوْ لَمْ يَلُومُوا وَأَجْمَلُوا

وقال آخر:

قَدْ كَانَ يَكْفِيكَ مَا بِالْجِسْمِ مِنْ سَقَمٍ لَمْ رَدَّتْنِي سَهْرًا لَا مَسَكَ السَّهْرِ
عَيْنٌ مُورِقَةٌ وَالْجِسْمُ مُحْتَبِلُ وَالْقَلْبُ بَيْنَهُمَا تَخْلُو بِهِ الْفَكْرُ
يَا حَارِمِي لَذَّةَ الدُّنْيَا وَبَهْجَتَهَا قَدْ كَانَ يُقْنِعُنِي مِنْ وَجْهِكَ النَّظَرُ

(١٤) لم أجد الأبيات في الديوان.

(١٥) لم أهد إلى ترجمته.

ولبعض أهل هذا العصر:

يَا مَانِعًا مُقْلَتِي مِنْ لَذَّةِ الْوَسَنِ رُوحِي تَقِيكَ مِنَ الْأَسْوَاءِ وَالْحَزَنِ
وَاللَّهِ لَا سَكَنْتُ رُوحِي إِلَى سَكَنِ إِلَّا إِلَيْكَ وَلَا خُتُّ إِلَى وَطَنِ
وَلَنْ أَقُولَ وَلَوْ أَضْنَى أَلْهَوَى كَيْدِي رَدًّا لِقَوْلِكَ لِي قَدْ خُتَّتْ لَمْ أَخْنِ
هَبْنِي غَرِيبًا [الْأَمُ] الْيَوْمَ فِيكَ [أ] لَمْ أَكُنْ حَقِيقًا بِأَنْ أُعْدَى عَلَى الزَّمَنِ
فَلَا تَدْعُ رَعْيِي مَا قَدْ كُنْتُ تَعْلَمُهُ مَبْنِي يَبِينًا وَتَهْجُرُنِي عَلَى الظَّنِّ
فَلَمْ تَزَلْ مَذْ عَرَفْتُ الْحُبَّ فِي كَيْدِي أَحَبَّ وَاللَّهِ مِنْ رُوحِي إِلَى بَدْنِي

وَتَوَهُمُ هَوْلَاءُ بِمَنْعِ أَحِبَّتِهِمْ إِيَّاهُمْ النَّوْمَ وَإِنْ كَانَ مُسْقِطًا عَنْهُمْ لَأَيْمَةَ
النُّوَامِ، فَإِنَّهُ مُوجِبٌ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا مِنَ الْمَلَامِ. لِأَنَّ فِي الْحَالِ يَرَوْنَ سَهْرَهُمْ
بِالْفِكْرِ فِي أَحِبَّتِهِمْ نِعْمَةً لَا يُعْرِفُ قَدْرَهَا، فَضْلًا عَنْ أَنْ يُؤْدَى شُكْرُهَا.

ولقد أحسن الذي يقول:

يَا نَسِيمَ الرُّوضِ فِي السَّحْرِ وَشَيْبَةَ الشُّمُسِ وَالْقَمَرِ
إِنْ مَنْ أَسْهَرْتَ لَيْلَتَهُ لَقَرِيرُ الْعَيْنِ بِالسَّهْرِ

عَلَى أَنَّهُ غَيْرُ مَأْمُونٍ عَلَى صَاحِبِ هَذَا الشَّعْرِ أَنْ يَكُونَ السَّهْرُ الَّذِي
مَدَحَهُ هُوَ السَّهْرُ مَعَ إِلْفِهِ، لَا السَّهْرُ بِالْفِكْرِ فِي أَمْرِهِ وَمِنْ أَتْلَغَ مَا قِيلَ فِي
طُولِ اللَّيْلِ، قول خالد الكاتب (١٦):

رَقَدْتُ فَلَمْ تَرْتِ لِلْسَّاهِرِ وَلَيْلُ الْمُجِيبِ بِلَا آخِرِ
وَلَمْ تَذِرْ بَعْدَ ذَهَابِ الرُّقَا دِ مَا صَنَعَ الدَّمْعُ بِالنَّاطِلِ

وَلَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِي اسْتِطَالَةِ اللَّيْلِ وَأَصَحُّ مَا قِيلَ فِيهِ مَعْنَى قَوْلِ بَشَارِ:
لَمْ يَطْلُ لَيْلِي وَلَكِنْ لَمْ أَنْمَ وَنَفَى عَنِّي الْكَرَى طَيْفُ أَلَمِ
وَإِذَا قُلْتُ لَهَا جُرْدِي لَنَا خَرَجَتْ بِالصَّمْتِ عَنْ لَا وَنَعَمَ (١٧)

(١٦) انظر ترجمته في طبقات ابن المعتز (إقبال) ص ص ١٩٢ - ١٩٣.

(١٧) ديوان بشار ١٨٧/٤.

وأنشدني أبو الفضل بن أبي طاهر قال أنشدني أبو دعامة علي بن زيد
لخليل بن هشام^(١٨):

يَقُولُونَ طَالَ اللَّيْلُ وَاللَّيْلُ لَمْ يَطُلْ وَلَكِنَّ مَنْ يَهْوَى مِنَ آلِهِمْ يَسْهَرُ
وَكَمْ لَيْلَةٍ طَالَتْ عَلَيَّ بِهِجْرِكُمْ وَأُخْرَى تَلِيهَا نَلْتَقِي فَهِيَ تَقْصُرُ
وَلَا أَعْلَمُ أَحَدًا اسْتَطَالَ اللَّيْلَ مِمَّنْ خَبَرَ بِعِلَّةِ اسْتِطَالَتِهِ، وَلَا مِمَّنْ
لَمْ يُخَيِّرْهَا شَرَحَ السَّبَبِ الْمَضْجِرَ مِنَ اللَّيْلِ مَا هُوَ غَيْرُ.

الطرماح حيث يقول:

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَصْبَحَ بِصُبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ فِيهَا بِأَرْوَحَ
عَلَى أَنْ لِلْعَيْنَيْنِ فِي الصُّبْحِ رَاحَةً بِطَرْجِهِمَا طَرْفَيْهِمَا كُلُّ مَطْرَحٍ^(١٩)

وهذا قول امرئ القيس:

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجِلِي بِصُبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ فَيْكَ بِأَمْثَلٍ^(٢٠)

إِلَّا أَنْ أَمَرَأَ الْقَيْسِ لَمْ يَقُلْ لِمَ صَارَ النَّهَارُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَمْثَلُ مِنَ اللَّيْلِ
وَالْقُلُوبُ إِلَيْهِ أَمِيلُ مِنْهَا إِلَى اللَّيْلِ، كَمَا بَيَّنَّهَ الطَّرْمَاحُ وَمَنْ سَرَقَ مَعْنَى فَرَادَ فِيهِ
أَحْتِمِلَ لَهُ جُزْمَ سِرْقَتِهِ، لِمَوْضِعِ زِيَادَتِهِ. وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي تَرْكِ النَّوْمِ
قول مسلم بن الوليد^(٢١):

لَمَّا أَلْتَقَيْنَا أَفْتَرَعْنَا فِي تَعَاتِبِنَا مِنْ الْحَدِيثِ وَمِنْ لَذَائِهِ أَلْعَذْرَا
قَالَتْ أَأَفْرَزْتَ بِالْإِجْرَامِ قُلْتَ نَعَمْ إِنْ كَانَ جُزْمٌ عَلَى الْإِقْرَارِ مُغْتَفَرَا
لَمْ تَغْمِضِ الْعَيْنُ مَدَّ عَلِقَتْ حُبُّكُمْ إِلَّا إِذَا خَالَسْتُهَا عَيْنُكَ النَّظْرَا^(٢٢)

(١٨) لم أهد إلى «أبي دعامة» هذا، ولم أهد كذلك إلى خليل بن هشام.

(١٩) البيتان في الديوان ص ص ٩٦ - ٩٧، وانظر التخريج.

(٢٠) البيت مشهور في لاميته (قفا نيك) ص ١٥٢ من الديوان.

(٢١) مسلم بن الوليد شاعر عباسي، كان مداحاً وجل مدائحه في يزيد بن يزيد.

لقب بـ «صريع الغواني»، الشعر والشعراء ص ص ٥٢٨ - ٥٣٥.

(٢٢) الأبيات في الديوان ص ١٣، مع اختلاف في الرواية.

ولقد أحسن بشار بن برد حيث يقول:

كَأَنَّ جُفُونَهُ سُمِلَتْ بِشَوْكِ فَلَيْسَ لِنَوْمِهِ فِيهَا قَرَارُ
جَفْتُ عَيْنِي عَنِ التَّغْمِيزِ حَتَّى كَأَنَّ جُفُونَهَا عَنْهَا قِصَارُ
أَقُولُ وَلَيْلَتِي تَزْدَادُ طُولًا أَمَا لِلَّيْلِ بَعْدَهُمْ نَهَارُ^(٢٣)
وقال آخر:

وَعَيْنَ لَنَا مِنْ ذِكْرِ صَعْبَةٍ وَإِكْفٍ إِذَا غَاضَهَا كَانَتْ سَرِيعًا جُمُومَهَا
تَنَامُ قَرِيرَاتُ الْعُيُونِ وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ جَجَائِيهَا قَدَى لَا يَرِيهَا

وقال آخر:

لَعَلَّ جُفُونًا فَرَّقَ الْبَيْنَ بَيْنَهَا [وَبَيْنَ الْكَرَى تَحْطِي] بِطَعْمِ رُقَادٍ
وَيُحَسِّرُ دَمْعٌ مَا يَزَالُ كَأَنَّهُ عَلَى الْخَدِّ مَثَلًا تَدَافُعُ وَادٍ
كَأَنَّ السَّوَارِي وَالْغَوَادِي تَكَلَّفَتْ لَهُ بِسَوَارِي أَدْمَعٍ وَغَوَادِي

وقال آخر:

إِذَا زُرْنَتْ بِالذُّرِّ يَوْمًا فَإِنَّهَا تَزِينُهُ وَالذُّرُّ لَيْسَ يَزِينُهَا
أَبِيتُ طَوَالَ الدَّهْرِ أَبْكِي لِذِكْرِهَا بِعَيْنِ مُحِبٍّ مَا تَلَاقَى جُفُونُهَا
وَأَقْطَعُ أَيَّامِي بِهِمْ وَفِكْرَةٍ أَعْلَلُ نَفْسًا قَدْ بَرَانِي حَيْنُهَا
وَأَحْفَظُهَا فِي الْغَيْبِ حَتَّى كَأَنِّي حَلَفْتُ لَهَا بِاللَّهِ أَنْ لَا أَخُونَهَا

وقال جرير:

أَلَا حَيَّ الدِّيَارِ بِسُعْدِ إِيَّيْ أُحِبُّ لِحَبِّ فَاطِمَةَ الدِّيَارِ
أَرَادَ الظَّاعِنُونَ لِيُحْزِنُونِي فَهَاجُوا صَدْعَ قَلْبِي فَاسْتَطَارَا
أَبِيتُ اللَّيْلَ أَرْقُبُ كُلَّ نَجْمٍ تَعَرَّضَ حَيْثُ أَنْجَدَ أَوْ أَعَارَا
يَهِيْمُ فَوَادُهُ وَالْعَيْنُ تَلْقَى مِنْ الْعَبْرَاتِ جَوْلًا وَأَنْجَدَارَا^(٢٤)

(٢٣) الأبيات في الديوان ص ٢٤٩/٣.

(٢٤) الديوان ص ٨٨٦ مع اختلاف في الرواية.

وقال أيضاً:

نَامَ الْخَلِيَّ وَمَا رَقَدْتُ لِجُحُكُم
وَإِذَا رَجَوْتُ بِأَنْ تَقَرَّبَكَ النَّوَى

وقال الراعي:

كَفَانِي مَقَاسَاةَ الْكَرَى وَكَفَيْتُهُ
فَبَاتَ يُرِيهِ عِرْسَهُ وَبَنَاتِهِ
وقال امرؤ القيس:

أَعِنِّي عَلَى الْأَشْجَانِ وَالذِّكْرَاتِ
ظَلَلْتُ رِدَائِي فَوْقَ رَأْسِي قَاعِدًا
بِلَيْلِ النَّسَامِ أَوْ وَصِلَنَ بِمِثْلِهِ
وَأَنْشَدَنِي أَعْرَابِيَةٌ بِالْبَادِيَةِ:

أَرَفْتُ وَطَأَلْتُ لَيْلَتِي بِأَبَانٍ
فَيَا عَمَّ عَمَّ السُّوءِ فَارْقَتْ بَيْنَنَا
وَنَحْنُ جَمِيعًا شَمْلُنَا مُتَدَانِي

وقال محمد بن عبد الملك الزيات (٢٨):

كَتَبْتُ عَلَى فَصٍّ لِخَاتَمِهَا
فَكَتَبْتُ فِي فَصِّي لِيَبْلُغَهَا
قَالَتْ يُعَارِضُنِي بِخَاتَمِهِ
مَنْ مَلَّ مِنْ أَحْبَابِهِ رَقَدَا
مَنْ نَامَ لَمْ يَشْعُرْ بِمَنْ سَهَدَا
وَاللَّهِ لَا كَلَمَتُهُ أَبَدَا

وقال آخر:

وَلِي مُقَلَّةٌ عَهْدُهَا بِالنَّمَامِ
يَحَارُ إِذَا زَادَ طَرْفِي النَّمَامُ
بَعِيدٌ وَبِالدَّمْعِ عَهْدُ قَرِيبٍ
كَمَا حَارَ فِي الْخَيِّ ضَيْفُ غَرِيبٍ

(٢٥) المصدر السابق ص ٣٣٨.

(٢٦) الديوان ص ١٨٦.

(٢٧) ديوان امرؤ القيس ص ٧٣.

(٢٨) تقدمت ترجمته.

الباب الحادي والأربعون:

مَنْ غَلِبَ عَزَاهُ كَثُرَ بُكَاءُهُ

أَمَّا أَهْلُ هَذَا الْبَابِ فَقَدْ أَنْفَرُوا بِأَمْرِ لَهُمْ بَعْضُ الْعُذْرِ. عَلَى أَنَّ ذَلِكَ
الْأَمْرَ الَّذِي يَعْذَرُهُمْ هُوَ بَعِيْنُهُ يَدُلُّ عَلَى نَقِصَتِهِمْ. فَأَمَّا جَهْتُهُ الْمَحْمُودَةُ فِيهِ
وَصِفَةُ الْحَالِ بِالدَّمْعِ لَا يُمْكِنُ فِيهَا مِنَ التَّصْنَعِ مَا يُمْكِنُ فِي الصِّفَاتِ
بِالْأَلْسِنِ. وَأَمَّا جَهْتُهُ الْمَذْمُومَةُ وَهِيَ أَنَّ امْتِنَاعَ الدَّمْعِ مِنَ الْجَرَيَانِ أَوَّلَ عَلَى
تَظَاهِرِ أَلَمِ الْأَشْجَانِ، لِغَلَّةِ سَنَدُكُوهَا فِي الْبَابِ الثَّانِي. وَلَا نَأَلُو - إِنْ شَاءَ
اللَّهُ - أَنْ نَذْكُرَ مِنْ هَذَا الْبَابِ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِيهِ عَلَى النِّقْصِ الَّذِي يَلْحَقُ
قَائِلِيهِ. ثُمَّ نَذْكُرُ الْحَالَ الْتَامَةَ فِي الْبَابِ الَّذِي يَلِيهِ.

أنشدني أبو عبادَةَ البَحْرِي لِنَفْسِهِ:

لَعَمْرُ الرَّسُومِ الدِّرَاسَاتِ لَقَدْ جَرَتْ
بِرِيَا سَعَادٍ وَهِيَ طَيِّبَةُ الْعَرْفِ
بَكَيْنَا فَمِنْ دَمْعٍ يُمَارِجُهُ دَمٌ
هُنَاكَ وَمِنْ دَمْعٍ نَجُودٌ بِهِ صَرْفٌ^(١)

وقال أبو تمام الطائي:

لَا عُذْرَ لِلصَّبِّ أَنْ يُفْنِيَ الْحَيَاءَ وَلَا
لِلدَّمْعِ بَعْدَ مُضِيِّ الْخَيِّ أَنْ يَقْفَا
حَتَّى يَظُلَّ بِمَاءٍ سَافِحٍ وَدَمٍ
فِي الرَّبْعِ يُحَسِّبُ مِنْ عَيْنِيهِ قَدَرَعِفًا^(٢)

وقال آخر:

وَبِتُّ مِنَ الْأَحْزَانِ قَدْ أَشْفَرَ الضُّحَى
وَفِي كَبِدِي مِنْ جَمْرِهِنَّ حَرِيقُ
مَزَجْتُ دَمًا بِالدَّمْعِ حَتَّى كَأَنَّمَا
يُذَابُ بِعَيْنِي لُؤْلُؤُ وَعِيقُ

(١) الديوان ص ١٤٠٧.

(٢) الديوان ٣٥٩/٢، وفي «م» والمطبوع: يَظُلُّ.

وقال أحمد بن أبي طاهر:

دُمُوعٌ فَيُضْهُنَّ مَعَ الدِّمَاءِ
أُرِيحُ إِلَى الدُّمُوعِ الْوَجْدُ مِنِّي
مَلَامَكَ لَيْسَ مِنْ عَيْنِكَ دَمْعِي

وقال آخر:

فَمَا زَالَ يَشْكُو الْحُبَّ حَتَّى كَانَمَا
وَيَبْكِي فَأَبْكِي رَحْمَةً لِبُكَائِهِ

وقال آخر:

وَقَفْنَا وَتَالِئْنَا عِبْرَةً
وَوَلَّى يَخُوضُ دُمُوعاً جَرِيـًـد
وَيَسْتَوْدِعُ اللَّهَ مَا فِي يَدَيَّ

وقال آخر:

يَقُولُ وَقَدْ أَبْكَى الْبُكَاءُ بِمُقْلَتِي
فَقُلْتُ رَأَيْتُ الْكُحْلَ يَشْغُلُ قَدْرَهُ

وقال آخر:

مُحِبٌّ بَكَتْ عَيْنَاهُ مِنْ حُبِّ قَاتِلِ
خَلِيلٍ جَفَانِي كَانَ رُوحِي لِرُوحِهِ

وقال آخر:

وَمَا شَتَا خَرَقَاءُ وَاهِيَتَا الْكُلَى
بِأَضْيَعٍ مِنْ عَيْنِكَ لِلْمَاءِ كُلَّمَا

كَمَا وَرَدَتْ حَاشِيَةَ الرِّدَاءِ
إِذَا مَا عَزَّنِي حُسْنُ الْعَزَاءِ
وَلَا بِحَشَاكَ أَسْقَامِي وَدَائِي

تَنْفَسُ مِنْ أَحْشَائِهِ أَوْ تَكَلَّمَا
إِذَا مَا بَكَى دَمْعاً بَكَيتُ لَهُ دَمَا

فَيَشْكُو إِلَيَّ وَأَشْكُو إِلَيْهِ
نَنْ مِنْ مُقْلَتِي وَمِنْ مُقْلَتَيْهِ
وَأَسْتَوْدِعُ اللَّهَ مَا فِي يَدَيْهِ

نُدُوباً أَلَا دَاوَيْتَ عَيْنَكَ بِالْكَحْلِ
مِنْ الْعَيْنِ قَدْرًا لَمْ يَكُنْ عَنْكَ فِي شُغْلٍ

فَيَا قَاتِلًا يَبْكِي عَلَيْهِ قَتِيلُ
خَلِيلًا وَهَلْ يَجْفُو الْخَلِيلَ خَلِيلُ

سَقَى بِهَا سَاقٍ وَلَمْ يَتَبَلَّلَا
تَوَسَّمتُ بَرَقًا أَوْ تَوَهَّمتُ مَنْزِلَا

وقال أبو حية النميري^(٣):

لَعَيْنُكَ يَوْمَ اللَّيْنِ أَسْرَعُ وَاكْفَا
إِذَا قُلْتَ يَفْنَى مَاؤَهَا الْيَوْمَ أَصْبَحَتْ

وقال جران العود^(٤):

أَبَيْتُ كَأَنَّ الْعَيْنَ أَفْنَانُ سِدْرَةٍ
أَرَأَيْتَ لَمَحاً مِنْ سُهَيْلٍ كَأَنَّهُ
إِذَا مَا بَدَأَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ تَنْطَفُ
إِذَا مَا بَدَأَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ يَطْرَفُ^(٥)

وقال ابن هرمة^(٦):

إِسْتَبَقِ دَمْعَكَ لَا يُودِي الْبُكَاءُ بِهِ
لَيْسَ الشُّوْنُ وَإِنْ جَادَتْ بِبَاقِيَةٍ
وَأَكْفَفُ بَوَادِرَ مِنْ عَيْنِكَ تَسْتَبِقُ
وَلَا الْجُفُونُ عَلَى هَذَا وَلَا الْحَدَقُ^(٧)

وقال آخر:

وَمِمَّا شَجَانِي أَنَّهَا يَوْمَ وَدَّعْتُ
فَلَمَّا أَعَادَتْ مِنْ بَعِيدٍ بِنْظَرَةٍ
تَوَلَّتْ وَمَاءُ الْعَيْنِ فِي الْجَفْنِ حَائِرُ
إِلَيَّ الْتِفَاتًا أَسْلَمْتُهُ الْمَحَاجِرُ^(٨)

وقال ابن ميادة:

أَلَا مَنْ لِعَيْنٍ لَا تَرَى صَائِبًا وَلَا
بِمَاءٍ لَوْ أَنَّ الْمُرْنَ جَادَتْ بِمِثْلِهِ
[تَرَى] وَادِي الطَّرْفَاءِ إِلَّا أَسْتَهْلَتْ
رَضِينَا بِمَا جَادَتْ بِهِ حِينَ وَلَّتْ

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) البيتان في الديوان ص ص ٥٢ - ٥٣ مع اختلاف في الرواية.

(٦) قال ابن قتيبة: إبراهيم بن هرمة من ساقية الشعراء ص ص ٤٧٣ - ٤٧٤.

(٧) لم أجد البيتين في «مجموع شعره».

(٨) البيتان في ديوان المجنون ص ١٢٣، وهما في محاضرات الأدباء ٢/٢٧، شرح المروزقي

ص ١٢٣٤.

وَلِلْعَيْنِ فَيْضَاتٌ إِذَا مَا ذَكَرْتَهَا
وَلِلصَّدْرِ بَلْبَالٌ إِذَا أَلْعَيْنُ كَلَّتْ (٩)

وقال الطائي :

لَوْ قِيلَ سَلْ تُعْطِ أَلْمَنَى أَنْ لَوْ دَرَى
مَطَرٌ مِنَ الْعَبْرَاتِ خَدَيِ أَرْضَهُ
حَتَّى الصَّبَاحِ وَمُقَلَّتِي سَمَاوُهُ (١٠)

وقال ابن قوفا (١١) :

سَيِّدِي أَنْتَ لَمْ أَقُلْ سَيِّدِي أَنْتَ
كَيْدَ رَطْبَةٍ تَذُوبُ مِنَ الْوَجْهِ
سَدٍ وَخَدٌ فِيهِ مِنَ الدَّمْعِ خَدٌ

وقال آخر :

نَظَرْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ رُجَا حَاجَةٍ
فَعَيْنَايَ طَوْرًا تَغْرَقَانِ مِنَ الْبُكَاءِ
إِلَى الدَّارِ مِنْ مَاءِ الصَّبَابَةِ أَنْظُرُ
فَأَغْشَى وَطَوْرًا تَحْسِرَانِ فَأُبْصِرُ (١٢)

وهذا مأخوذ من قول ذي الرمة :

لَعَمْرُكَ إِنِّي جَرَعَاءُ مَالِكٍ
وَأَنْسَانُ عَيْنِي يَحْسِرُ الْمَاءُ مَرَّةً
لَذُو كُلاً تَفْيِضُ وَتَخْنُقُ
فَيَبْدُو وَأَحْيَاناً يَجْمُ فَيَغْرُقُ (١٣)

وقال ابن هرمة :

كَأَنَّ عَيْنِي إِذْ وَلَّتْ حُمُولَهُمْ
عَنَا جَنَاحَا حَمَامٍ صَادَفَا مَطَرًا

(٩) الأبيات في «شعر ابن ميادة» ص ٨٧، والبيت الأول نسب إلى بعض الأعراب في هذا الكتاب، والأول والثاني في «تشنيف السمع» ص ٤ نسبا إلى علي بن عميرة الجرمي، وانظر الحماسة الشجرية ٥٥٩/٢.

(١٠) ديوان أبي تمام ١٤٧/١.

(١١) لم أهد إلى ترجمته.

(١٢) ديوان المجنون ص ١٣٥، وهما لأبي حبة النميري في سبط اللآلئ ص ٢٩٥، وهما من غير عزو في أمالي القاضي ٢٠٨/١، وشرح المرزوقي ص ١٣٧١، وانظر زهر الآداب ٨٨/٤.

(١٣) الديوان ص ٣٩١ مع اختلاف في الرواية.

أَوْ لَوْلُو سَلِسٌ فِي عَقْدِ جَارِيَةٍ
خَرْقَاءَ نَازَعَهَا الْوُلْدَانُ فَاتَشَرَا (١٤)

وقال آخر :

تَكَادُ أُخْرَى دُمُوعِي مِنْ تَسْرُعِهَا
وَعَاصٍ عَنْهَا كَثِيرًا رَاجِعًا حَذَرًا
تَفْيِضُ قَبْلَ الْآلَى أَنْ يَنْحَدِرْنَ مَعَا
وَلَنْ تَرَى قَاتِلًا كَالدَّمْعِ إِنْ رَجَعَا

وقال أبو نواس :

يَا قَمَرًا أَبْصَرْتُ فِي مَآثِمِ
تَبْكِي قُتْلِي الدَّرَّ مِنْ عَيْنِهَا
يَنْدُبُ بَيْنَ أَتْرَابِ
وَتَلْطِمُ الْوَرْدَ بِعُنَابِ (١٥)

وقال أيضاً :

تَقُولُ غَدَاةَ الْبَيْنِ عِنْدَ وَدَاعِهَا
وَقَدْ سَبَقَتْهَا عَبْرَةٌ فَدُمُوعُهَا
لِي الْكَيْدُ أَلْحَرَى فَيَسِرْ وَلَكَ الْصَبْرُ *
عَلَى خَدَيْهَا بَيْضٌ وَفِي نَحْرِهَا صُفْرُ (١٦)

وقال بعض الأعراب :

عَشِيٍّ وَدَاعٍ فُبِحَتْ مِنْ عَشِيَّةٍ
كَأَنَّ أَنْحَادَ الدَّمْعِ مِنْهَا تَعُدُّهُ
وَلَكِنَّهَا لَا فُبِحَتْ مِنْ مُودَعٍ
لَهَا ذَاتُ سِلْكٍ قَبْلَ عُدَيِ وَأَسْرِعِي

وقال ابن الدميني :

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْتَ رَامٍ بِلَادَهَا
إِذَا آغْرُورَقْتَ عَيْنَايَ قَالَ صَحَابَتِي
بَعَيْنَيْنِ إِنْسَانَ هُمَا غَرَقَانِ
لَقَدْ أُولَعْتَ عَيْنَاكَ بِأَلْهَمَلَانِ
إِلَى حَاضِرِ أَلْرُوحَاءِ ثُمَّ ذَرَانِي (١٧)

(١٤) البيتان في «التشبيهات» ص ٨٠.

(١٥) ديوان أبي نواس ص ٢٤٢.

(١٦) لم أجد في الديوان.

(١٧) الأبيات في الديوان ص ٢٨، ٣١، وهي في ديوان المجنون ص ٢٧٤.

وقال الركاظ الزبيري^(١٨):

فَيَا مَنْ لَعِينٍ قَدْ أَضُرَّ بِهَا الْبُكَاءُ
وَقَلْبٍ كَيْبٍ لَا يَزَالُ كَانَمَا

وقال البحتري:

دَنْتُ فِدَنًا هَجَرَانَهَا فَإِذَا نَأَتْ
وَمَا رُبَّمَا بَلَّ كُلُّمَا عَنْ ذِكْرَهَا

وقال آخر:

عَرَّجَ بِذِي سَلَمٍ فَفِيهِ الْمَنْزِلُ
سَارَتْ مُقَدَّمَةُ الدُّمُوعِ وَخَلَفَتْ
إِنَّ الْفِرَاقَ كَمَا عَلِمْتُ فَخَلَنِي
إِلَّا يَكُنْ صَبْرٌ جَمِيلٌ فَالْهَوَى

ولبعض أهل هذا العصر:

وَلَمَّا وَقَفْنَا لِلْوَدَاعِ وَبَيْنَنَا
تَبَادَرَ دَمْعِي فَأَنْصَرَفْتُ تَهْضُنِي
فَمَا أَشْبَهَتْ عَيْنَايَ إِلَّا سَحَابَةً
فَمَا زَالَ زَجَرُ الرَّعْدِ يَحْدُو سَحَابَهَا
فَلَمَّا أَقْلَعْتُ حَتَّى بَكَتْ فَتَضَاحَكْتُ
وَهَلْ تَنَلَا فِي ذَاتِ عِقْدٍ جُمَانَهَا
فَقَالَ رَفِيقِي مَا لِلْوَنُوكِ حَائِلًا
فَأَغْضَيْتُ عَنْ رَدِّ الْجَوَابِ تَبْلَدًا

(١٨) لم أهتم إلى معرفته.

(١٩) الديوان ص ١٤٩٧.

وقال البحتري:

لَعَمْرُ الْمَغَانِي يَوْمَ صَحْرَاءَ أَرْتَدِ
مَنَازِلُ أُمَسْتُ لِلرِّيَّاحِ مَنَازِلًا
شَجْتُ صَاحِبِي أَطْلَالُهَا فَتَهَلَّلْتُ
وَقُلْتُ لِدَارِ الْمَالِكِيَّةِ عِبْرَةً
سَقَتَهَا الْغَوَادِي حَيْثُ حَلَّتْ دِيَارُهَا
تَرْيِدِينَ هَجْرًا كُلَّمَا آرَدْتُ صَبْوَةً

وقال الحسين بن الضحاك:

هَبُونِي أَغْضُ إِذَا مَا بَدَتْ
فَكَيْفَ أَنْتَصَارِي إِذَا مَا أَلْدُمُوعُ

وقال آخر:

أَلَا أَيُّهَا الْبَاكُونَ مِنْ أَلَمِ الْهَوَى
تَعَالَوْا نُدَافِعْ جُهْدَنَا عَنْ قُلُوبِنَا

وقال البحتري:

أَعْرَضْتُ حَتَّى خِلْتُ أَنِّي ظَالِمٌ
سَاعَدْتُ مَا أَلْقَى فَإِنْ كَذَّبْتَنِي

وقال آخر:

قَالُوا تَصْنَعُ بِالْبُكَاءِ فَقُلْتُ هَلْ
وَلَقَدْ أَلْفْتُ الدَّمْعَ حَتَّى رُبَّمَا

لَقَدْ هَيَّجْتُ وَجْدًا عَلَى ذِي تَوْجِدٍ
تَرَدَّدُ مِنْهَا بَيْنَ نُؤْيٍ وَرَمِيدٍ
مَدَامِعُهُ فِيهَا وَمَا قُلْتُ أَسْعِدِ
مِنْ الشَّوْقِ لَمْ تُمَلِّكْ بِصِيرٍ فَتَرَدَّدِ
عَلَى أَنَّهَا لَمْ تَشْفِ ذَا الْعُلَّةِ الصَّدِي
طَلَابًا لِأَنْ أَرْدَى فَهَا أَنْذَا رَدِ^(٢٠)

وَأَمْلِكْ طَرْفِي فَلَا أَنْظُرُ
نَطَقَنْ فَبَحْنٍ بِمَا أَضْمِرُ^(٢١)

أَطْنُكُمْ أَدْرِكْتُمْ بِذُنُوبِ
فَنُوشِكُ أَنْ نَبْقَى بِغَيْرِ قُلُوبِ

وَعَتَبْتُ حَتَّى قُلْتُ إِنِّي مُذْنِبٌ
فَسَلِي الدَّمُوعُ فَإِنَّهَا لَا تَكْذِبُ^(٢٢)

يَبْكِي الشَّجِي لِعَيْرٍ مَا فِي قَلْبِهِ
جَرَتْ الْجَفُونُ بِهِ وَلَمْ أَعْلَمْ بِهِ

(٢٠) الديوان ص ٧٧١.

(٢١) انظر «أشعار الحسين الخليل» وانظر تخريج البيت.

(٢٢) الديوان ص ٧٢ - ٧٣.

وقال آخر:

وَعَايِبِ الرُّوحِ شَاهِدِ الْبَدَنِ
يَبْكِي عَلَيْهَا بِهَا مَخَافَةٌ أَنْ
تَقْرِنَهُ وَالظَّلَامَ فِي قَرْنِ

وقال البحرى:

هَلْ أَنْتَ مِنْ حُبِّ لَيْلَى آخِذٌ بِيَدِي
وَهَلْ دُمُوعُ أَفَاضَ الْحُزْنَ رَيْقَهَا
قَدْ بَاتَ مُسْتَعْبِرًا مَنْ كَانَ مُصْطَبِرًا
إِنْ أَسْخَطَ الْهَجْرُ لَا أَرْجِعْ إِلَى بَدَلِ

وقال الأعشى:

وَفَاضَتْ دُمُوعِي فَظَلَّ الشُّوُونَ
كَمَا أَسْلَمَ السِّلْكُ مِنْ نَظْمِهِ
إِذَا وَكَيْفًا وَإِذَا أَنْجِدَارًا
لَأَلِيٍّ مُنَحْدِرَاتٍ صَغَارًا (٢٤)

وقال آخر:

وَلَوْ أَنَّ دَمْعِي لَمْ يَفِضْ لَتَقَطَعْتُ
وَقَدْ صَرَمْتَنِي إِذْ تَقَنَّ قَلْبُهَا
فَيَا لَيْتَنِي وَاللَّهِ مَتٌ وَلَمْ أَكُنْ
فَتَحْتُ لَهَا بِالْذَّمْعِ بَابًا مِنَ الصَّدِّ

وقال آخر:

أَعْيَنِي مَا لِي كُلَّمَا بَتُ لَيْلَةً
أَعْيَنِي لَأَمْ أَلَّهُ مَنْ لَأَمْ فِيكُمْ
أَعْيَنِي صَبْرًا أَعْيَبَانِي حَلَاوَةً
أَلَا قَدْ أَرَى وَاللَّهِ أَنْ قَدْ قَذَيْتُمَا

(٢٣) لم أجد الأبيات في الديوان.

(٢٤) البيتان في الديوان ص ٤٥ مع اختلاف في الرواية.

أَجِدُكُمْ لَا تَذْكُرَا زَمَنًا مَضَى
بِصْنَعَاءِ لَا بَلْ جَنَّبَانِي نِدَاكُمْ

وأنشدني مريم الأسديّة (٢٥):

أَعْيَنِي مِنْ كُحْلِ الطَّيِّبِ تَدَاوِيَا
فَلَا كُحْلَ بَعْدَ الْيَوْمِ يَشْفِي قَذَاكُمْ
أَعْيَنِي كُفَا الدَّمْعِ لَا تُشِمَتَا بِنَا
عَدُوًّا وَلَا يُحْزِنُ صَدِيقًا بُكَاءُكُمْ

□ □ □

(٢٥) لم أعتد إلى ترجمتها.

نُحُولُ الْجَسَدِ مِنْ دَلَائِلِ الْكَمَدِ

أما الدلالة على صحة هذا القول من جهة الطب فهي إن الحرارة المتولدة من الحزن تنحاز إلى القلب من سائر أعضاء البدن. ثم تتصاعد إلى الدماغ فتتولد بخارات رديئة فإن طاقتها الطبيعية بالقوة الغريزية أذابت تلك البخارات الرديئة فأجرتها دموعاً. وربما أضر كثرة جريانها بالمجاري فأدماها فجرى الدم مجرى الدمع. وهكذا تذيب تلك القوى البخارات المتولدة في الدماغ في كمون الحرارة لما يعرض للرأس من حر وبرد فتجريه من الأنف زكاماً فتذهب غائتته. ولو لم تذيبه وتجره من الأنف صار كيماً غليظاً ومادة منصبة إلى بعض الأعضاء الرئيسية، فحينئذ تلتف أو تولد علة غليظة فكذا ذلك الدموع إن لم تطبق تدوينها القوى الطبيعية، واشتغلت عنها بمدافعة ما هو أخوف على النفس منها، صارت تلك البخارات كيماً غليظاً فولد أمراً عظيماً. وإما أن يستقر في الدماغ فيفسد ما جمع فيبطل الذكر ويفسد الفكر، ويهيج التخيلات المستحيلات. وذلك هو الجنون بعينه. وربما فسدت منه كره أو كرتين، فيفسد بفسادها ما كان مستقيماً بصلاجها. وشرح ذلك يطول وليس من جنس ما ابتدأناه، فيجب علينا أن نشرح منه ما أجملناه. وربما انحدر ذلك الكيماوس عن الدماغ إلى القلب فهتك بعض الحجب أو جميعها، وكان منه حينئذ التلف لا محالة والله أعلم. وربما انحدر إلى الكبد فمنع شهوة الطعام والشراب، فحينئذ يكون نُحُولُ الْجِسْمِ وَضَعْفُ الْقُوَّةِ. ولقد أصاب كل الإصابة على الإصابة حيث يقول:

عجائب الحب لا تفتى وأولها من تحب يتكذيب وإنكار
ماء المدامع نار الشوق تحدره فهل سمعت بماء فاض من نار

لأن هذا هو الذي قدمنا ذكره من أن الحرارة هي المتولدة لتلك البخارات التي يحدث الدمع منها بإذابة الحرارة الغريزية لها. وقد ذكرت الشعراء جملاً من أن فيض الدمع أروح من كموه. ولم يدلوا على سبب ذلك، ولا أحسبهم وقفوا عليه. ومن أقربهم وصفاً له الذي يقول:

كتمت الهوى حتى بدا كتمانها وفاض فتمته على المدامع
ولو لم يفيض دمعي لعاد إلى الحشا فقطع ما تحنى عليه الأضالع

وقال بعض الأعراب:

يقولون لا تنزف دموعك بالبكاء فقلت وهل للعاشقين دموع
لئن كان أبقي لي الشوق قطرة لهن إذن من عاشق لمضيغ
أظن دموع العين تذهب باطناً إلى القلب حتى أنصاع وهو صديغ

وقال عمرو بن زبيبة الرقاشي^(١):

تضيق جفون العين عن عبراتها فتسفحها^(٢) بعد التجلد والصبر
وغصة صدر أظهرتها فرقتها حرارة حزن في الجوانح والصدر

وقال آخر:

سأبكي وما لي عبرة من معول لذيك وما لي غير حيك من جرم
لعل أنسكاب الدمع يعقب راحة من الوجد أو يشفي الفؤاد من السقم
وظني أن لا يذهب الحزن بالبكاء عليك وأن أزداد كلما على كلم

(١) من شعراء الحماسة (التبريزي) ٣/٣٣٧، وهو في «م» والمطبوع: عمرو بن متبعة.

(٢) في «م» والمطبوع: وتفسحها.

وقال ذو الرمة:

فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَجُولَانَ عَبْرَةً
وَفِي هَمَلَانِ الْعَيْنِ مِنْ غُصَّةِ الْهَوَى

وقال الفرزدق:

أَلَمْ تَرَ أَنِّي يَوْمَ حَرِّ سُوَيْفَةٍ
خَلِيلٌ دَعَا وَالرَّمْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
وَكَانَ جَوَابِي أَنْ بَكَيْتُ صَبَابَةً
وَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْبُكَاءَ لَرَّاحَةٌ

وقال ذو الرمة:

أَمِنْ حَذَرِ الْهَجْرَانِ قَلْبُكَ يَجْمَعُ
أَمَنْزِلَتِي مَيِّ سَلَامٍ عَلَيْكُمَا
وَأِنْ كُنْتُمَا قَدْ هَجُتُمَا رَاجِعَ الْهَوَى
أَجَلَ عَبْرَةٍ كَادَتْ لِفَرْقَانٍ مَنَزَلَ

وقال أيضاً:

خَلِيلِي عُوَجًا مِنْ صُدُورِ الرُّوَاحِلِ
لَعَلَّ أَنْجِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً
دَعَانِي وَمَا دَاعِي الْهَوَى مِنْ بِلَادِهَا
وَمَا يَوْمَ خَرْقَاءِ الَّذِي فِيهِ نَلْتَقِي
وَإِنِّي لِأَنْحِي الطَّرْفَ مِنْ نَحْوِ غَيْرِهَا
إِذَا قُلْتُ وَدَّعَ وَصَلَ خَرْقَاءَ وَاجْتَنِبَ

تَجُودُ بِهَا الْعَيْنَانِ أُخْرَى أَمِ الصَّبْرِ
رَوَاحٌ وَفِي الصَّبْرِ الْجَلَادَةُ وَالْأَجْرُ

بَكَيْتُ فَنَادَتْنِي هُنَيْدَةُ مَالِيَا
فَأَسْمَعْنِي سَقِيًّا لِذَلِكَ دَاعِيَا
وَفَدَيْتُ مَنْ لَوْ يَسْتَطِيعُ فِدَائِيَا
بِهِ يَشْفِي مَنْ ظَنَّ أَنْ لَا تَلَاقِيَا^(٣)

كَأَنَّ فُلُورًا بَيْنَ حِضْنَيْكَ يَرْمَحُ
عَلَى النَّأْيِ وَالنَّأْيِ يَبُودُ وَيَنْصَحُ
لِذِي الشُّوقِ حَتَّى ظَلَّتِ الْعَيْنُ تَفْسَحُ
لِمَيَّةٍ لَوْ لَمْ تُسْهِلِ الْعَيْنُ تَذْبِخُ^(٤)

بِجُمْهُورِ حَزَوَى فَأَبْكِيَا فِي الْمَنَازِلِ *
مِنْ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجْيَ الْبَلَابِلِ
إِذَا مَا نَأَتْ خَرْقَاءُ عَيْنِي بِغَافِلِ
بِنَحْسٍ عَلَى عَيْنِي وَلَا مُتَطَاوِلِ
حَيَاءٌ وَلَوْ طَاوَعْتُهُ لَمْ يُعَادِلِ
زِيَارَتَهَا تَخْلُقُ جِبَالَ الْوَسَائِلِ

أَبَتْ ذِكْرُ عَوْدِنَ أَحْشَاءَ قَلْبِهِ خُفُوقًا وَقَضَاتُ الْهَوَى فِي الْمَفَاصِلِ^(٥)

ولقد أحسن سابق البربري في قوله^(٦):

وَقَدْ رَأَيْتُ مَنْ فَعَلَ عَيْنِي أَنَّهَا
وَفِي الدَّمْعِ لَوْ جَادَتْ بِهِ الْعَيْنُ شَاهِدًا
إِذَا ذَكَرْتُ سَعْدَى اعْتَرَانِي جُمُودَهَا
عَلَيْهَا فَلَمْ يَشْهَدْ لِنَفْسِي شُهُودَهَا

ولبعض أهل هذا العصر:

يَا مَنْ إِذَا صَدَّ لَمْ أُظْهِرْ لَهُ جَزَعًا
مَا يَمْنَعُ الدَّمْعَ أَنْ تَجْرِيَ غَوَارِبُهُ
لَا تَحْسِبْنِي عَلَى الْهَجْرَانِ ذَا جَلَدٍ
فَيُضِ الدَّمْعُ وَإِنْ تَمَّتْ بَوَادِرُهَا
إِلَّا شِمَاتُهُ مَنْ قَدْ كَانَ ذَا حَسَدٍ
أَشْفَى لِمَنْ عَالَجَ الْبَلَوَى مِنْ الْكَمَدِ

وقال آخر:

نَزَفْتُ دَمْعِي وَأَزْمَعْتُ الرَّحِيلَ غَدًا
فَكَيْفَ أَبْكِي وَدَمْعُ الْعَيْنِ مَنُورُفُ
وَأَسَوَاتِي مِنْ عُيُونِ الْعَاشِقِينَ غَدًا
إِذَا رَحَلْتُ وَدَمْعُ الْعَيْنِ مَكْفُورُفُ
هَذَا الْبَائِسُ يَعْتَذِرُ مِنْ ذَهَابِ دُمُوعِهِ وَلَوْ عَرَفَ عِلَّةَ ذَهَابِهَا لَكَانَ مُحْتَاجًا
إِلَى الْإِعْتِذَارِ لَوَدَامَتْ مِنْ دَوَامِهَا. وأحسن من هذا قول قيس بن ذريح:

تَشَوَّقُنِي ذِكْرِي إِذَا مَا ذَكَرْتُهَا
وَمِنْ عَبْرَاتٍ تَعْتَرِينِي أَكْفُهَا
وَمِنْ قَوْلِهَا إِنَّ الْقُوَى قَدْ تَقَطَّعَتْ
وَمِنْ أَنَّهَا بَاتَتْ وَلَمْ تَدْرِ مَا الَّذِي
وَمِنْ أَرْجِيَّاتِ الصَّبَى عِنْدَ ذِكْرِهَا
فَلَا حُبَّ حَتَّى يَلْصَقَ الْعَظْمُ بِالْحَشَا^(٧)
وَكَمْ عَرَضُ أَرْضٍ دُونَهَا وَسَمَاءُ
وَمِنْ زَفَرَاتٍ مَا لَهَا فَنَاءُ
وَهَلْ لِقَوَى لَا تَسْتَجِدُّ بَقَاءُ
لَهَا عِنْدَنَا مِنْ خُلَّةٍ وَصَفَاءُ
وَلَمَّا شَوْقٍ مَا بِهِنَ خَفَاءُ
وَلَا وَجَدَ حَتَّى لَا يَكُونَ بُكَاءُ^(٨)

(٥) المصدر السابق ص ٤٩١.

(٦) في «م» والمطبوع: اليزيدي، وانظر ترجمته في حماسة البحري ص ١٧٤.

(٧) الأبيات الثلاثة الأولى والثاني والثالث في الشعر والشعراء (ليدن) ص ٣٩٩ - ٤٠٠.

(٣) ديوان الفرزدق ٢/٣٦٠.

(٤) الأبيات في ديوان ذي الرمة ص ٧٧ إلا البيت الأول.

وقد لطف أبو تمام في هذا المعنى [حيث] يقول:

وَإِذَا فَقَدْتَ أَحَاً وَلَمْ تَقْعِدْ لَهُ دَمْعاً وَلَا صَبْراً فَلَسْتَ بِفَاقِدٍ^(٨)

أَفَلَا تَرَى إِلَى إِزْرَائِهِ عَلَى الدَّمْعِ وَتَقْصِيرِهِ بِأَهْلِهِ وَإِجْبَارِهِ أَنَّ مَنْ قَوِيَتْ
حَالُهُ انْقَطَعَ دَمْعُهُ وَنَحَلَ جِسْمُهُ؟

ولقد أحسن الذي يقول:

فَلَدَكَ فَلَا دَمْعَ وَلَا صَبْرَ رَبْعُ الْهَوَى مِنْ أَهْلِهِ قَفَرُ
عُمُرُ الْفَتَى فِي كُلِّ لَذَاتِهِ فَإِنْ نَأَتْ عَنْهُ فَلَا عُمُرُ

وقال محمد العلوي^(*):

أَبْقَى الْهَوَى مِنْهُ جِسْماً كَالْهَوَاءِ ضَنْى
أَنْسَتْ بِالذِّكْرِ مِنْهَا وَالشَّهَادِ لَهُ

وقال قيس بن الملوح:

فَأَنْتِ أَلْتِي إِنْ شِئْتَ أَشَقِيَّتِ عَيْشَتِي
وَأَنْتِ أَلْتِي مَا مِنْ صَدِيقٍ وَلَا عَدُوٍّ

وقال البحرى:

أَلَا هَلْ أَتَاهَا بِالْمَغِيبِ سَلَامِي
وَهَلْ عَلِمْتَ أَنِّي ضَنَيْتُ وَأَنْتَهَا

فِدَاؤُكَ مَا أَبْقَيْتَ مِنِّي فَإِنَّهُ

وقال أيضاً^(١١):

هَآ أَنَا ذَا يُسْقِطُنِي لِلْبَلَى
عَنْ فَرَشَتِي أَنْفَاسُ عُوَادِي

(٨) لم أجد البيت في الديوان.

(٩) ديوان المجنون ص ٢٩٥.

(١٠) الديوان ص ١٩٩٦.

(١١) تقدم التعريف به.

(*) لعله علي بن محمد العلوي وقد مر التعريف به.

لَوْ يَخْسُدُ السِّلْكُ عَلَى دِقَّةٍ

وقال أيضاً:

وَمُذْنَبٌ زَادَ فِي النُّحُولِ مِنْ آلِ
يُشَارِكُ الطَّيْرَ فِي النَّجِيبِ وَلَا

وقال أيضاً:

أَمَّا تَرَيْنِي نَاحِلَ الْجِسْمِ
أُنْقَلُ مِنْ ثَوْبٍ إِلَى دُونِهِ

ولقد أحسن الذي يقول:

غَابُوا فَأَصْحَى بَدَنِي بَعْدَهُمْ
بَادِي وَجْهِهِ إِتْلَافِهِمْ

وَإِذَا رَأَوْنِي بَعْدَهُمْ حَيًّا
مَا ضَرَكْتُ الْفَقْدَ لَنَا شَيْئاً

وقال آخر:

شِعْرُ مَيِّتٍ أَتَاكَ عَنْ لَفْظِ حَيٍّ
قَدْ بَرَّتُهُ حَوَادِثُ الدَّهْرِ حَتَّى

وقال عمر بن أبي ربيعة:

إِرْحَمِي مُغْرَماً بِحُبِّكَ لَأَقَى
قَدْ بَرَّاهُ وَشَفَّاهُ الْحُبُّ حَتَّى

وأنشدني بعض الأدباء:

لَمْ يَبْقَ إِلَّا نَفْسٌ خَافَتْ
وَمُغْرَمٌ تَوَقَّدَ أَحْشَاؤُهُ

لَمْ يَبْقَ فِي أَعْضَالِهِ مَفْصِلٌ
إِلَّا وَفِيهِ سَقَمٌ ثَابِتٌ

(١٢) الديوان ص ص ٥١ - ٥٢.

ولبعض أهل هذا العصر:

يُعِيرُنِي الْوَأَشِي بِأَنْ لَسْتُ مُدْنِفًا كَمَا هُوَ مِنْ فَرِطِ الصَّبَابَةِ مُدْنِفٌ
فِيَا كَاشِحًا قَدْ جَاءَ فِي زِيٍّ نَاصِحٍ تَشَاغَلَ بِغَيْرِي لَسْتُ مِمَّنْ يُعْرِفُ
وَلَا تَلَحِّنِي فِيمَنْ أَحَبُّ فَلَانِي أَضُنُّ بِهِ مِمَّا تَسْطُنُّ وَأَشْغَفُ
سَلُوهُ فَإِنِّي لَا أَكَلِمَ وَأَشِيًّا أَيْدِرِي بِمَنْ يُلْجِي وَفِيمَنْ يُعَنِفُ

وقال مجنون بني عامر:

يَا دَارَ لَيْلَى بِسَقِطِ الْحَيِّ قَدْ دَرَسْتُ إِلَّا الثَّمَامُ وَإِلَّا مَوْقِدُ النَّارِ
أَبْلَى عِظَامِكَ بَعْدَ اللَّحْمِ ذَكَرُهُمَا كَمَا تَتَّبَعُ قَذَحَ الشَّوْخِطِ الْبَارِي (١٣)

فَبَيَّنَ صَاحِبُ هَذَا الْكَلَامِ وَصَاحِبُ الْكَلَامِ الَّذِي قَبْلَهُ بَيِّنٌ بَعِيدٌ وَتَفَاوُتٌ
شَدِيدٌ. وَبَزَعَمُ أَنَّ تَزَايُدَ الْحَالِ تُوجِبُ لَهُ نَفْيَ الْهَزَالِ، وَهَذَا لَمْ يَرْضَ لِنَفْسِهِ
بُنْحُولِ اللَّحْمِ حَتَّى أَضَافَ إِلَيْهِ نُحُولَ الْعَظْمِ.

ولبعض أهل هذا العصر:

أَهَيْمُ بِذِكْرِ الْكَرْخِ مِنِّي صَبَابَةً وَمَا بِي إِلَّا حُبٌّ مَنْ حَلَّ بِالْكَرْخِ
تَجَرَّعْتُ كَأْسًا مِنْ صُدُودِ مُحَمَّدٍ فَقَدْ أَوْهَنْتُ عَظْمِي وَجَازَتْ عَلَى الْمَخِ
فَلَسْتُ أَبَالِي بِالرَّدَى بَعْدَ فَقْدِهِ وَهَلْ يَجْزَعُ الْمَذْبُوحُ مِنْ أَلَمِ السَّلْخِ

وقال آخر:

قَالَتْ ظَلُمْتُ سَمِيَّةُ الظُّلْمِ إِنِّي رَأَيْتُكَ نَاجِلَ الْجِسْمِ
يَا مَنْ رَمَى قَلْبِي فَأَقْصَدَهُ أَنْتَ الْخَيْرُ بِمَوْضِعِ السَّهْمِ

وقال أبو العتاهية:

أَجْلَايَ بِي شَجْوٌ وَلَيْسَ بِكُمْ شَجْوٌ وَكُلُّ أَمْرِي مِمَّا بِصَاحِبِهِ خِلْوٌ

(١٣) ديوان المجنون ص ١٤٩، وهما في تزيين الأسواق ص ٦٣.

رَأَيْتُ الْهَوَى جَمَرَ الْغَضَا غَيْرَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ عِنْدَ صَاحِبِهِ خُلُوٌ (١٤)

وقال جرير:

أَتَسَى يَوْمَ حَوْمَلٍ وَالْدُّحُولِ وَمَوْفَقَنَا عَلَى السُّطَّلِ الْمَجِيلِ
وَقَالَتْ قَدْ نَحَلْتُ وَشَبْتُ بِغَدِي بِحَقِّ الشَّيْبِ بَعْدَكَ وَالنُّحُولِ (١٥)

وقال آخر:

تَقُولُ وَقَدْ كَتَبْتُ دَقِيقَ خَطِّي إِلَيْهَا لِمَ تَجَنَّبْتَ الْجَلِيلَا
فَقُلْتُ لَهَا نَحَلْتُ وَصَارَ خَطِّي مُسَاعِدَةً لِصَاحِبِهِ نَحِيلَا

وقال آخر:

إِنَّا مِنَ الْحَيِّ أَقْبَلْنَا نَوْمُكُمْ أَنْضَاءَ شَوْقٍ عَلَى أَنْضَاءِ أَسْفَارِ
وَالصَّبُّ لَا بُدَّ أَنْ يُبْدِيَ صَبَابَتَهُ إِذَا تَبَدَّلَ غَيْرَ الدَّارِ بِالدَّارِ

وهذا مأخوذ من قول امرئ القيس:

أَكَلُ الرَّجِيفِ لُحُومَهُمْ وَلُحُومَهَا فَاتَوَكَّ أَنْضَاءَ عَلَى أَنْضَاءِ (١٦)

وقال الأحرص:

نَفَى نَوْمِي وَأَسْهَرَنِي غَلِيلُ وَهَمُّ هَاجَهُ حُزْنٌ طَوِيلُ
وَقَالُوا قَدْ نَحَلْتُ وَكُنْتُ جَلْدًا وَأَيْسَرُ مَا مُنِيتُ بِهِ النُّحُولُ
فَإِنْ يَكُنِ الْعَوِيلُ يَرُدُّ شَيْئًا فَقَدْ أَعُولْتُ إِنْ نَفَعَ الْعَوِيلُ
وَكَانَتْ لَا يُلَاقِيهَا مَبِيتُ عَلَيْهَا إِنْ عَتَبْتُ وَلَا مَقِيلُ
وَكُنَّا فِي الصَّفَاءِ كَمَاءِ مُزْنٍ تُشَابُ بِهِ مُعْتَقَةٌ شَمُولُ
وَأَعْجَلُ عَنْ سُؤَالِ الرُّكْبِ صَحْبِي وَأَكْرَهُ أَنْ يُقَالَ لَهُمْ أَقِيلُوا

(١٤) الديوان ص ٤٧٩ مع اختلاف في الرواية.

(١٥) لم أجدهما في الديوان.

(١٦) الديوان ص ٤٥٧ عن كتاب «الزهرة».

فَقَدْ أَصْبَحْتُ بَعْدَكَ لَا أَبَالِي
فَمَنْ يَكُ بِالْقُفُولِ قَرِيرَ عَيْنٍ
كَأَنَّكَ لَمْ تُلَاقِ الدَّهْرَ يَوْمًا
فَصَبْرًا لِلْحَوَادِثِ كُلِّ حَيٍّ
أَسَارَ الرُّكْبِ أَمْ طَالَ النُّزُولُ
فَمَا أَمْسَيْتُ يُعْجِبُنِي الْقُفُولُ
خَلِيلًا جِئَ يُفَرِّدُكَ الْخَلِيلُ
سَيْلُ الْهَالِكِينَ لَهُ سَيْلٌ^(١٧)

□ □ □

الباب الثالث والأربعون:

طَرِيقُ الصَّبْرِ بَعِيدٌ وَكِتْمَانُ الْحُبِّ شَدِيدٌ

كَانَ يُقَالُ سِرُّكَ أَسِيرُكَ، فَإِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ أَسِيرَهُ. وَأَمَّا إِفْشَاءُ مَنْ
يُحِبُّ سِرَّهُ إِلَى مَحْبُوبِهِ فَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِيهِ بِمَا فِي بَعْضِهِ بَلَاغٌ. وَأَمَّا أَطْلَاعُ
سَائِرِ النَّاسِ عَلَى وَجَدِ الْمُحِبِّ بِالْمَحْبُوبِ فَهُوَ خَطَأٌ مِنْ وَجْهِهِ: أَوَّلُهَا تَعْلَاضُ
الْمَحْبُوبِ لِمَا لَا يَحِبُّ مِنْ الْقَالَاتِ وَالتَّشْنِيعَاتِ. ثُمَّ تَعَرُّضُ الْمُحِبِّ نَفْسِهِ
لِلسَّعَايَةِ وَالْإِزْتِقَابِ لَهُ، وَإِنَّمَا يُوصَى بِهِذِهِ الْوَصِيَّةِ مِنْ أَمْرِ سِرِّهِ إِلَيْهِ. فَأَمَّا مَنْ
قَدْ أَخْرَجَتْ الْحَالُ زِمَامَ السِّرِّ مِنْ يَدَيْهِ فَلَا ذَنْبَ لَهُ، وَلَا لَوْمَ عَلَيْهِ. وَأَمَّا أَسْرَارُ
الْمَحْبُوبِ عِنْدَ الْمُحِبِّ مِثْلُ مَوَاعِيدِهِ لَهُ وَزِيَارَتِهِ إِيَّاهُ وَمُسَاعَدَتِهِ لَهُ عَلَى مَا يَهْوَاهُ
وَمَا يَجْرِي بَيْنَهُمَا مِنَ الْمُعَاتَبَاتِ، بَلْ مِنْ سَرَائِرِ الْمُخَاصِمَاتِ، فَإِنَّ غَالِبَاتِ
الْوَجْدِ لَا تُوجِبُ إِفْشَاءَهُ بَلْ تُوجِبُ صَوْنَهُ وَإِخْفَاءَهُ. وَلَنْ يُشِيعَ مِثْلُ مَا وَصَفْنَا إِلَّا
ضَعِيفٌ فِي الْحَالِ جَدًّا. فَكِتْمَانُ هَذَا أَتَيْنَ وَجُوبًا مِنْ أَنْ نَزِيدَ الْقَوْلَ فِيهِ.
وإِفْشَاءُ الْمَحَبَّةِ وَحَدَّهَا إِلَى غَيْرِ الْمَحْبُوبِ فَوَاجِبٌ عَلَى مَنْ أَلْطَلَقَ كِتْمَانَهَا أَلَّا
يُظْهِرَهَا. وَمَنْ عَجَزَ فَخَارِجَ عَنْ بَابِ الْمَنْعِ وَالْوُجُوبِ. وَمَنْ ضَاقَ صَدْرُهُ عَنْ
سِرِّهِ فَلَمْ يَلْمِ غَيْرَهُ عَلَى نَشْرِهِ وَإِنْ كَانَ فِي الْحَقِيقَةِ مَلُومًا، لِأَنَّ لِلْمَرْءِ أَنْ يَتَطَوَّعَ
بِإِظْهَارِ سِرِّهِ وَعَلَى الْمُسْتَوْدَعِ أَنْ لَا يُظْهِرَ سِرَّ مُسْتَوْدَعِهِ.

ولبعض الأدباء في ذلك:

إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ فَصَدْرُ الَّذِي يُسْتَوْدَعُ السِّرَّ أَضِيقُ
وَرُبُّ قَتَى يَجْفُو كَرَائِمَ مَالِهِ وَيَرَعَى سَوَامَ الْأَبْعَدِينَ فَيُشْفِقُ

(١٧) شعر الأحرص الأنصاري ص ١٧٣، وانظر تخريج الأبيات.

وقال يزيد بن الطثرية:

وَمُسْتَحْبِرٍ عَنْهَا لِيَعْلَمَ مَا الَّذِي
وَرَدَتْ بِهِ عَمِيَاءُ مِنْهَا وَلَمْ أَكُنْ

وقال آخر:

كَرِيمٌ يُمِيتُ السِّرَّ حَتَّى كَأَنَّهُ
رَعَى سِرِّكُمْ فِي مُضْمَرِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا
وَأَكْتُمُ نَفْسِي بَعْضَ سِرِّي تَكْرُمًا
وَمُسْتَسْقِطِي بِالْجِدِّ وَالْهَزْلِ قَدْ نَبَتْ
تَسْقُطُنِي عَنْكُمْ فَأَخْلَفْتُ ظَنَّهُ
فَمَا رَامَ حَتَّى عَادَ شَكًّا يَقِينُهُ

وقال آخر:

قَدْ جَرَّرَ النَّاسُ أَذْيَالَ الظُّنُونِ بِنَا
فَجَاهِلٌ يَتَّحِجِي بِالسُّطْنِ غَيْرَكُمْ

وقال بعض الأعراب:

وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِيكَ أَنْ أَطْلُقَ الْهَوَى
سَاطِوِي الْهَوَى تَحْتَ الْحَشَاطِي نَازِحٍ
وَأَصْبِرُ لِلْهَجْرَانِ حَتَّى يَمْلَنِي

وقال آخر:

وَمَا وَجَدُ مَلُوحٍ مِنَ الْهَيْمِ خُلِيتُ
تَحُومٌ وَنَعَشَاهَا الْعَصِيَّ وَحَوْلَهَا
بِأَكْثَرِ مِثْنِي غُلَّةً وَتَعَطُّفًا

لَهَا فِي فُؤَادِي غَيْرَ أَنِّي أَحَازِرُهُ
إِذَا مَا وَشَى وَاشٍ بِلَيْلَى أَنَاظِرُهُ^(١)

إِذَا اسْتَحْبَرُوهُ عَنْ حَدِيثِكَ جَاهِلُهُ
حَفِظْتُ عَلَيْكُمْ لَا تُخَافُ غَوَائِلُهُ
إِذَا مَا أَضَاعَ السِّرَّ فِي السِّرِّ جَاهِلُهُ
عَلَى كُلِّ حَالٍ عَنْ صَفَاتِي مَعَاوِلُهُ
وَدُوَّ اللَّبِّ قَدْ يُعْيِي الرِّجَالُ تَحَاوِلُهُ
وَأَخْلَفَهُ مِنِّي الَّذِي كَانَ يَأْمُلُهُ

وَفَرَّقَ النَّاسُ بَيْنَنَا ظَنَّهُمْ فِرْقًا
وَصَادِقٌ لَيْسَ يَدْرِي أَنَّهُ صَدَقَا

وَأَنْ لَا تُعْدَى خِلْسَةَ اللَّحْظَاتِ
قَضَى وَطَرًا إِنْ لَمْ تَبْخُ عِبْرَاتِي
وَأَذْفَعَ عَنْكَ السُّوءَ بِالشُّبُهَاتِ

عَنِ الْمَاءِ حَتَّى جَوَّفَهَا مُتَصَلِّصُ
أَقَاطِيعُ أَنْعَامٍ تَعْلُ وَتَنْهَلُ
إِلَى الْوَرْدِ إِلَّا أَنِّي أَتَجَمَّلُ

وقال ابن الدمينة:

وَكُنَّا كَرِيمِي مَعَشَرَ حَمٍّ بَيْنَنَا
سَيِّئِي فَلَا يَفْنَى وَيَخْفَى فَلَا يَرَى
تَصَافٍ فَصْنَاهُ بِحُسْنِ حِسْوَانٍ
وَمَا عَلِمُوا مِنْ أَمْرِنَا بَيَّسَانٍ^(٢)

وقال ذو الرمة:

فَمَا زِلْتُ أَطْلُوِي النَّفْسَ حَتَّى كَأَنَّهَا
حَيَاءٌ وَإِشْفَاقًا مِنَ الرُّكْبِ أَنْ يَرَوْا
بِيْذِي الرِّمْتِ لَمْ تَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ ذَاكِرٍ
دَلِيلًا عَلَى مُسْتَوْدَعَاتِ السَّرَائِرِ^(٣)

وَلَعَمْرِي إِنَّ هَذِهِ الْحَالُ لَجَمِيلَةٌ بَيْنَ أَهْلِ الصَّفَاءِ. غَيْرَ أَنَّهَا مِنَ الْأَعْدَاءِ
أَحْسَنُ مِنْهَا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ، إِذْ عَجِيبًا أَنْ يَكْتُمَ الْوَلِيُّ سِرَّ وَلِيِّهِ كَمَا يَعْجَبُ مِنْ
كِتْمَانِ الْعَدُوِّ سِرَّ عَدُوِّهِ.

وقد قال بعض أهل هذا العصر في هذا النحو:

وَإِنِّي وَإِنْ شَاعَتْ لَدَيْكَ سَرَائِرِي
أَبَى إِلَهُ لِي إِلَّا الْوَفَاءَ لِكُلِّ مَنْ
فَكُنْ آمِنًا مِنْ أَنْ أُذِيعَ بِسِرِّكُمْ
وَمَا أَنَا مَمْدُوحًا بِحِفْظِ وَدِيعَةٍ
فَإِنَّ الَّذِي اسْتَوْدَعْتَنِي غَيْرُ شَائِعٍ
رَعَى لِي عَهْدِي أَوْ أَضَاعَ وَدَائِعِي
فَمَا سِرُّ أَعْدَائِي لَدَيْ بَذَائِعٍ
أَقْلُ حُقُوقِ النَّاسِ حِفْظُ الْوَدَائِعِ

وقال آخر:

لَعَمْرُكَ مَا اسْتَوْدَعْتُ سِرِّي وَسِرَّهَا
وَلَا خَاطِبَتَهَا مُقْلَتَايَ بِلَحْظَةٍ
وَلَكِنْ جَعَلْتُ الْوَهْمَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
أَصُونُ الْهَوَى بُقْيَا عَلَيْهِ مِنَ الْعِدَى
سِرَّانَا حِذَارًا أَنْ تَضِيعَ السَّرَائِرُ
فَتَعْرِفَ نَجْوَانَا الْعُيُونُ النَّوَاطِرُ
رَسُولًا فَأَذْنِي مَا تَجُنُّ الضَّمَائِرُ
مَخَافَةَ أَنْ يُغْرَى بِذِكْرَاهُ ذَاكِرُ

(٢) ديوان ابن الدمينة ص ٣٠.

(٣) البيتان في الديوان ص ٢٨٤.

(١) البيتان في «شعر يزيد بن الطثرية» ص ٧٦ مع اختلاف في الرواية.

وقال آخر:

تَوَاقَفَ مَعْشُوقَانِ مِنْ غَيْرِ مَوْعِدٍ
وَكَلَّتْ جُفُونُ الْعَيْنِ عَنْ حَمَلِ مَائِهَا
وَلِيَنِي لِأَطْوِي السِّرَّ عَنْ كُلِّ صَاحِبٍ
وَعُيِّبَ عَنْ نَجَوَاهُمَا كُلُّ كَاشِحٍ
فَمَا مَلَكَتْ فَيْضَ الدُّمُوعِ السَّوَافِحُ
وَإِنْ كَانَ لِلْأَسْرَارِ عَذَلُ الْجَوَانِحِ

وأنشدني أبو العباس أحمد بن يحيى لعمر بن أبي ربيعة:

جَرَى نَاصِحٌ بِالْوَدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا عَرَفْتُ الَّذِي بِهَا
فَسَلَّمْتُ فَاسْتَأْنَسْتُ خِيفَةً أَنْ يَرَى
فَقَالَتْ وَاللَّتْ جَانِبَ السِّرِّ إِنَّمَا
فَقُلْتُ لَهَا مَا بِي لَكُمْ مِنْ ضَرَاعَةٍ
فَقَرَّبَنِي يَوْمَ الْجِصَابِ إِلَى قَتْلِي
كَمَثَلِ الَّذِي بِي حَدُوكَ النُّعْلَ بِالنُّعْلِ
عَدُوٌّ مَكَانِي أَوْ يَرَى كَاشِحٌ فَعَلِي
مَعِي فَتَكَلَّمْ غَيْرَ ذِي رَقَبَةٍ أَهْلِي
وَلَكِنَّ سِرِّي لَيْسَ يَحْمِلُهُ مِثْلِي^(٤)

وأنشدني أحمد بن أبي طاهر:

أَلَا حَبِذَا حُبِّي وَأَرْضٌ يَحْلُهَا
وَفِي الْقَلْبِ مِنْ حُبِّي الَّذِي مَا دَرَى بِهِ
وَتَوَبَّ عَلَيْهَا فِي الْيَابِ رَيْقُ
عَدُوٍّ وَلَمْ يَظْهَرْ عَلَيْهِ صَدِيقُ^(٥)

وقال آخر:

خَشِيتُ لِسَانِي أَنْ يَكُونَ خَوُونًا
وَقُلْتُ لِيَخْفَى دُونَ عَيْنِي وَنَاطِرِي
فَمَا إِنْ رَأَتْ عَيْنِي لِعَيْنِي قَطْرَةً
لَقَدْ أَحْسَنْتُ أَحْشَائِي تَرْبِيَةَ الْهَوَى
وَلَمْ أَرْ قَلْبًا خَالِيًا أَوْدَعَ الْهَوَى
فَأَوْدَعْتُهُ قَلْبِي فَكَانَ أَمِينًا
أَبَا حَرَكَاتِي كُنْ فِيهِ سَكُونًا
وَلَا سَمِعْتُ أَذُنِي لِفِيٍّ أَمِينًا
فَهَا هُوَذَا كَهَلًا وَكَانَ جِينًا
فَدَانَ لَهُ حَتَّى أَصْطَفَاهُ قَرِينًا

(٤) الديوان ص ١٥٣.

(٥) في «م» والمطبوع: حبي.

وقال ابن ميادة:

وَأِنِّي لِمَا اسْتَوْدَعْتُ يَا أُمَّ مَالِكٍ
وَأِنِّي عَلَى الشُّوقِ الَّذِي أَنَا دَاخِلٌ
عَلَى قَدَمٍ مِنْ عَهْدِهِ لَكْتُومٌ
إِذَا بَاحَ أَصْحَابُ الْهَوَى لَضُمُومُ^(٦)

وقال آخر:

وَحُبٌّ كَأَطْبَاقِ الْبَحَارِ كَتَمْتُهُ
وَأِنِّي أَكُمُ السِّرَّ حَتَّى أَرُدَّهُ
مَعَ الْقَلْبِ لَمْ يَعْلَمْ بِهِ مَنْ الْأَطْفُ
سَلِيمَ الصَّفَا لَمْ تَمْتِنَهُ الزَّرْعَانِفُ
وَأُخْفِي مِنَ الْوَجْدِ الَّذِي مَا لَوْ أَنَّهُ
يَشِيعُ لَحَرَّ الْمُوَطِّنَاتِ الْأَلَايِفُ

وَإِنَّ أَلْبَيْتَ الثَّلَاثِ مِنْ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ لَيْسَ مِنَ الْكَلَامِ الَّذِي لَا يَقَعُ مِثْلُهُ
فِي النَّدَرَاتِ. وَلَكِنْ كَانَ صَادِقًا فِيمَا قَالَ: إِنَّهُ مِنْ صَوْنِ إِلْفِهِ لَعَلَى حَالٍ تَوْجِبُ
لَهُ غَلَبَةَ الْوَفَاءِ بِعَهْدِهِ وَالرَّغَايَةَ لَوَدِهِ. إِنَّ أَمْرًا يَثِقُ مِنْ وَجْدِهِ بِأَنَّ الْإِشَاعَةَ لَذِكْرِهِ
تَدْعُو الْمُسْتَوْطِنَ الْأَلِفَ إِلَى مُفَارَقَةِ الْوُطْنَيْنِ وَطَنْ رُوحِهِ وَوُطْنِ جَسَمِهِ، ثُمَّ
يَتْرُكُ ذَلِكَ وَيَتَجَسَّمُ مَضَاضَةَ الْكِتْمَانِ فِي قَلْبِهِ، عَلَى الْإِشَارَةِ بِذِكْرِ إِلْفِهِ
بِمَا عَسَاهُ غَيْرُ مُؤَدٍّ إِلَى ضَرَرِهِ، لِشَدِيدِ الْإِبْقَاءِ عَلَى إِلْفِهِ، وَلَتَمَكُّنِ الْقَدْرَ عَلَى
نَفْسِهِ، لِأَنَّ مَنْ مَلَكَهُ الشُّوقُ مُلْكًا صَحِيحًا عَجَزَ، لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ سِرُّهُ تَضَرُّعًا،
عَلَى أَنْ صَاحِبِنَا قَدْ عَرَضَ تَعْرِضًا مَلِيحًا، بِذِكْرِهِ لِمَوْضِعِ إِقَامَةِ قَلْبِهِ إِذْ
هُوَ بِلا شَكٍّ مَوْضِعُ إِلْفِهِ وَإِنِّي لَأَسْتَطِرِفُ قَوْلَ نَبْهَانَ الْعَبْشَمِيِّ^(٧):

أَمَّا وَاللَّهِ ثُمَّ إِلْفِي حَقًّا
لَقَدْ نَزَلَتْ أَمَامَهُ مِنْ فُؤَادِي
أَظْلُ وَمَا أَبْتُ النَّاسَ أَمْرِي
أَدُودُ النَّفْسِ عَنْ لَيْلِي وَإِنِّي
يَرَيْنَ مَشَارِبًا وَيُذَذِّنُ عَنْهَا
يَمِينًا ثُمَّ أَتْبَعُهَا يَمِينًا
تِلَاعًا مَا أُبْحَنُ وَلَا رُعِينًا
وَلَا يَخْفَى الَّذِي بِي فَأَعْلَمِينَا
لِعَيْصِي شَوَاجِرُ قَدْ صَدِينَا
وَيُكْثِرُنَ الصُّدُودَ وَمَا رُوِينَا

(٦) شعر ابن ميادة ص ٢٥١.

(٧) لم أهد إلى ترجمته.

فَهُوَ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - لَمْ يَرْضَ بِتَسْمِيَةِ وَاحِدَةٍ حَتَّى سَمَى اثْنَتَيْنِ، سَمَى
الَّتِي هُوَ مُقْبِلٌ عَلَيْهَا وَالَّتِي هُوَ يَجِبُ الْإِنْصِرَافَ عَنْهَا. ثُمَّ لَا يَسْكُتُ مَعَ مَا جَنَاهُ
حَتَّى يَمْتَنِّ بِأَنَّهُ يَكَاتِمُ هَوَاهُ. لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي بَقِيَ عَلَيْهِ أَنْ يُخْبِرَ بِهِ بَعْدَ
وَصْفِهِ لِمَحَلٍّ مِنْ يَهْوَاهُ مِنْ قَلْبِهِ، وَإِخْبَارِهِ فِي الشَّعْرِ بِاسْمِهِ. وَلَوْلَا أَنَّ هَذَا
بَابٌ لَا يَحْتَمِلُ لِمَنْ ذُكِرَتْ حَالُهُ فِيهِ مَا يَحْتَمِلُ لِمَنْ ذُكِرَ فِي الْبَابِ الَّذِي يَلِيهِ
لَصَفَحْنَا عَنْ هَذَا وَأَصْغَفَاهُ.

ولعمري لقد أحسن الذي يقول:

رَمَانِي بِهَا قَلْبِي فَلَمْ يُخْطِ مَقْتَلِي وَلَمْ يَكْ مِنْ يَرْمِي تُصَابِ مَقَاتِلِي
فَإِنْ مِتْ فَأَبْكُونِي قَتِيلًا بِطَرْفِهَا فَتَيْلَ عَذْوٍ حَاصِرٍ مَا يَزَايِلِي
شَكَا وَكُنَى عَمَّنْ أَحَبَّ وَلَمْ يَبْحَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ قَاتِلِي
وَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ أَنْ يَكْثُرَ الْبُكَاءُ عَلَيْهِ قَتِيلٌ لَيْسَ يُعْرِفُ قَاتِلِي

وأحسن مسلم بن الوليد في قوله:

عِنْدِي وَعِنْدَكَ عِلْمٌ مَا عِنْدِي مِنْ ضَرٍّ مَا إِخْفِي وَمَا أَبْيَدِي
لَا أَشْتَكِي مَا بِي إِلَيْكَ وَلَوْ نَطَقَتْ بِهِ أَلْسِنَاتٌ فِي خَدْيِي
وَجَدِي عَلَيْكَ أَرَاهُ يُقْنِعُنِي مِنْ وَصْفٍ مَا أَلْقَى مِنَ الرَّجْدِ
فَإِذَا أَصْطَبَرْتُ عَلَى السُّكُوتِ فَلَمْ أَنْطِقْ فِيمَا بِي مِنَ الْوَجْدِ^(٨)

وأحسن الذي يقول:

وَإِنِّي لِأَغْضِي الطَّرْفَ عَنْكَ تَحْمُلًا وَقَلْبِي إِلَى أَشْيَاءَ عَظْشَانٍ جَائِعٍ
فَلَا يَسْمَعَنَّ سِرِّي وَسِرِّكَ ثَالِثٌ أَلَّا كُلُّ سِرٍّ جَاوَزَ اثْنَيْنِ شَائِعٍ

وأحسن سوار بن المضرب حيث يقول^(٩):

إِنِّي سَأَسْتُرُ مَا ذُو الْعَقْلِ سَاتَرَهُ مِنْ حَاجَةٍ وَأُمِيتُ السِّرَّ كِتْمَانَا

(٨) الديوان ص ٣١١ عن كتاب «الزهرة».

(٩) سوار بن المضرب من شعراء الحماسة (التبريزي) ٣/٣٠٣ - ٣٠٤.

وَحَاجَةٍ دُونَ أُخْرَى قَدْ بَدَأَتْ بِهَا جَعَلْتُهَا لِلَّتِي أَخْفَيْتُ عَنْوَانَا
إِنِّي كَأَنِّي أَرَى مَنْ لَا حَيَاءَ لَهُ وَلَا أَمَانَةَ وَسَطَ النَّاسِ عُرْيَانَا^(١٠)

وقال كثير:

وَقَدْ زَعَمْتُ أَنِّي تَغَيَّرْتُ بَعْدَهَا وَمَنْ ذَا الَّذِي يَا عَزُّ لَا يَتَغَيَّرُ
تَغَيَّرَ جِسْمِي وَالْخَلِيقَةُ كَالَّذِي عَهْدَتْ وَلَمْ يُخْبِرْ بِسِرِّكَ مُخْبِرُ^(١١)

وقال ذو الرحل لقمان بن توبة القشيري^(١٢):

خَلِيلِي سِيرًا فَاسْأَلَا أُمَّ عَاصِمٍ لَنَا عَنْ بَقِيَّاتِ الْعُهُودِ الْقَدَائِمِ
أَلَمْ تَعْلَمِي يَا عَمْرُكَ اللَّهُ أَنَّنِي بِذِكْرِكَ هَدَاءٌ عَلَى النَّأْيِ هَائِمِ
وَإِنِّي عَلَى الْهَجْرَانِ يَا أُمَّ عَاصِمٍ أَذْوَمُ عَلَى عَهْدِ الْخَلِيلِ الْمُكَارِمِ
إِذَا السِّرُّ عِنْدِي مِنْ خَلِيلٍ تَضَمَّنَتْ بِهِ النَّفْسُ لَمْ يَعْلَمْ بِهِ الدَّهْرُ عَالِمِ
تَرَى بَيْنَ أَخْنَاءِ الْفُؤَادِ وَصَمِّهِ إِلَى الْقَلْبِ أَخْنَاءَ الصُّلُوعِ الْكَوَاتِمِ

وقال الحسين بن الضحاك:

أَيَا مَنْ سُرُورِي بِهِ شَفَوَةٌ وَمَنْ صَفْوُ عَيْشِي بِهِ أَكْدَرُ
تَجَنَّبْتُ تَطْلُبُ لِمَا مَلِلْتُ عَلَيَّ الذُّنُوبَ وَلَا تَقْدِرُ
وَمَاذَا يَضُرُّكَ مِنْ شَهْرَتِي إِذَا كَانَ سِرُّكَ لَا يُشْهَرُ
أَمِّي تَخَافُ أَنْتِشَارَ الْحَدِيثِ وَحَظِّي فِي سَتْرِهِ أَوْفَرُ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيَّ بُقْيَا عَلَيْكَ نَظَرْتُ لِرُوحِي كَمَا تَنْظُرُ^(١٣)

(١٠) الأبيات في المصدر السابق.

(١١) ديوان كثير ص ٣٢٨، وانظر تخریجها في ص ٣٢٩.

(١٢) لم أهدت إلى ترجمته.

(١٣) أشعار الحسين الخليل، وانظر تخریج الأبيات.

وقال بشار بن برد^(١٤):

كَتَمْتُ عَوَازِلِي مَا فِي فُرَادِي
فَقَاصَتْ عِبْرَةً أَشْفَقْتُ مِنْهَا
فَقَالَتْ قَدْ بَكَيْتَ فَقُلْتُ كَلًّا
وَلَكِنِّي أَصَابَ سَوَادَ عَيْنِي
فَقَالُوا مَا لِدَمْعَتِهَا سَوَاءُ
فَقَبِلَ دُمُوعَ عَيْنِكَ خَبَرَتْنَا

وقال آخر:

شَيَّعْتُهُمْ فَاسْتَرَابُونِي فَقُلْتُ لَهُمْ
قَالُوا فَمَا نَفْسُ يَعْزُو كَذَا صَعْدًا
قُلْتُ أَلْتَنَفُسُ لِأَدَابٍ نَحْوَكُمُ

وأنشدني ستيرة العصبية^(١٥):

وَنَادَى بِالتَّرْحُلِ بَعْضُ صَحْبِي
فَرَاخُوا وَالشَّقِي لَهْ دُيُونُ
فَارْخَيْتِ الْعِمَامَةَ دُونَ صَحْبِي
وَمَا لِي حَاجَةٌ إِلَّا بِبُكْرِ
فَقَالُوا مِنْ ضِرَارِي كَيْفَ بِكُرُ
فَقُلْتُ أَلَلَّهُ حَمَّ فِرَاقِ بِكُرِ

ولبعض أهل هذا العصر:

وَكَمْ لَيْلَةٍ قَدْ بَتَّ أَرْقُبُ صُبْحَهَا
وَأَنْجُمُهَا فِي الْجَوِّ مَا تَتَزَحَّزَحُ

(١٤) لم أجد الأبيات ي ديوان بشار، ولكنها لبشار في أمالي القالي ٤٩/١ - ٥٠، ومحاضرات الأدباء ٣٥/٢ والبيتان الرابع والخامس في ديوان المجنون ص ١٠٣.

(١٥) تقدمت الإشارة إليها.

وَيُغْنَانِي فَوْقَ الْقَلْبِ بُرْدُ حَرَّةٍ
فَأَصْبَحْتُ مَجْهُودًا عَمِيدًا مِنَ الْهَوَى
وَمَا عَلِمَ الْوَأَشُونَ فَضْلًا عَنِ الْعِدَى
فَإِنْ كَانَ هَذَا الْقَوْلُ عَذْرًا قَبْلَتُهُ
وَيُسْرَايَ تَحْتَ الْخَدِّ وَالْعَيْنِ تَسْفَحُ
وَقَدْ كَانَ قَلْبِي بِالصَّبَابَةِ يُطْفَحُ
بِسِرٍّ وَمَا مِثْلِي بِسِرِّكَ يُفْصَحُ
وَإِنْ كَانَ تَعْدِيرًا فَمِثْلُكَ يَصْفَحُ

□ □ □

إِنِّي بُعِثْتُ مَعَ الْأَجْمَالِ أَحَدُوهَا
أَمْ مَا لِعَيْنِكَ مَا تَرَقَّا مَا قَبِيهَا
وَمَاءَ عَيْنِي جَارٍ مِنْ قَلْبِي فِيهَا

فَرُحْتُ وَمُقَلَّتِي غَرَقِي بِمَاهَا
وَأَشْيَا مِنْ حَوَائِجِ مَا قَضَاهَا
عَلَى عَيْنِي وَقُلْتُ جَرَى قَذَاهَا
وَمَا ذَنْبِي عَلَى أَحَدٍ سِوَاهَا
وَكَيْفَ تَرَاكَ تَرْجُو أَنْ تَرَاهَا
فَارْجُو أَنْ يَحِمَّ لَنَا لِقَاهَا

مَنْ غُلِبَ صَبْرُهُ ظَهَرَ سِرُّهُ

ذَكَرُوا أَنَّ سُكَيْنَةَ بِنْتَ الْحُسَيْنِ رَكِبَتْ فِي جَوَارِيهَا فَمَرَّتْ بِعُرْوَةَ بْنِ أُذَيْنَةَ اللَّيْثِيِّ وَهُوَ يُغَيِّي، فَقَالَتْ لِحَوَارِيهَا: مِنَ الشَّيْخِ قَالُوا: عُرْوَةُ فَعَدَلْتُ نَحْوَهُ، ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا التَّمَامِ أَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ لَمْ تَعَشَقْ قَطُّ، وَأَنْتَ تَقُولُ:

قَالَتْ وَأَبْتُهَا وَجَدِي فَبَحْتُ بِهِ قَدْ كُنْتُ عِنْدِي تَحْتَ أَلْسِنَةٍ فَاسْتَبْرَأْتُ أَلَسْتُ تُبْصِرُ مَنْ حَوْلِي فَقُلْتُ لَهَا عَطَى هَوَاكِ وَمَا أَلْقَى عَلَى بَصْرِي كُلُّ مَنْ تَرَى حَوْلِي مِنْ جَوَارِي أحرارٍ إِنْ كَانَ خَرَجَ هَذَا الْكَلَامُ مِنْ قَلْبِ سَلِيمٍ قَطُّ.

وقال آخر:

وَإِنْ أَخْفَ حُبَّ الْحَاجِبِيِّ فَطَالَ مَا أَقُولُ وَعَيْنِي تَسْتَهْلُ بِمَائِهَا وَإِنْ أُبْدِ يَوْمًا فَقَدْ غُلِبَ الصَّبْرُ أَمَالِي فِي هَذَا وَأَمْثَالِهِ أَجْرُ

وقال أبو ذؤيب الهذلي:

وَعَيْرَهَا أَلَوَاشُونَ أَنِّي أُحِبُّهَا وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارَهَا فَلِنْ أَعْتَذِرْ مِنْهَا فَإِنِّي مُكَذِّبٌ وَإِنْ تَعْتَذِرْ يُرَدِّدْ عَلَيْهَا أَعْتَذَارُهَا^(١)

وقال الضحَّاك بن عَقِيل^(٢):

يَقُولُونَ مَجْنُونٌ بِسَمَرَاءَ مُوَلِّعٌ أَلَا حَبَّذَا جِنُّ بِهَا وَوَلُّوعٌ

(١) البيتان في شرح أشعار الهذليين ٧٠/١.

(٢) لم أهتم إلى ترجمته.

وَمَا زِلْتُ أَخْفِي حُبَّ سَمَرَاءَ مِنْهُمْ وَتَعْلَمُ نَفْسِي أَنَّهُ سَيْشِيعٌ وَلَا خَيْرَ فِي حُبِّ يَكُونُ كَأَنَّهُ شَغَافٌ أَجْنَتْهُ حَشَاً وَضُلُوعٌ

وقال الحسن بن وَهَب^(٣):

قَدْ كَتَمْتُ الْهَوَى بِمَبْلَغِ جُهْدِي فَخَلَعْتُ الْعِذَارَ فَلْيَعْلَمْ النَّاسُ قَبْدًا مِنْهُ غَيْرُ مَا كُنْتُ أَبْدِي بِأَنِّي إِيَّاكَ أَصْفِي بِوُدِّي

وأشدني أحمد بن يحيى:

وَلِي كِبْدٌ مَقْرُوحَةٌ مِنْ يَبِيعِي أَبَاهَا عَلَيَّ النَّاسُ لَا يَشْتَرُونَهَا بِهَا كَبْدًا لَيْسَتْ بِذَاتِ قُرُوحٍ وَمَنْ يَشْتَرِي ذَا عِلَّةٍ بِصَحِيحٍ^(٤)

وقال معاذ ليلي:

وَمَا زِلْتُ أَعْلُو حُبَّ لَيْلَى فَلَمْ يَزَلْ بِِي النَّفْصُ وَالْإِبْرَامُ حَتَّى عَلَانِيَا وَأَشْهَدُ عِنْدَ اللَّهِ أَنِّي أُحِبُّهَا فَهَذَا لَهَا عِنْدِي فَمَا عِنْدَهَا لِيَا قَضَى اللَّهُ بِالْمَعْرُوفِ مِنْهَا لِغَيْرِنَا وَبِالشَّوْقِ مِنْهَا وَالتَّصَابِي قَضَى لِيَا فَلَوْ كُنْتُ أَعْمَى أَخِيطُ الْأَرْضَ بِالْعَصَا أَصَمَّ فَنَادَنِي أَجَبْتُ الْمُنَادِيَا خَلِيلِي إِلَّا تَبْكِيَا لِي أَسْتَعِينُ خَلِيلًا إِذَا أَنْفَذْتُ دَمْعِي بَكَى لِيَا^(٥)

وأشدني أبو العباس أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي لامرأة من

خثعم:

[وَإِنْ تَسْأَلُونِي مَنْ أُحِبُّ فَإِنِّي أُحِبُّ وَيَتَّ اللَّهُ كَعَبَ بْنَ طَارِقٍ وَأُحِبُّ أَلْفَتِي الْجَعْدَ السَّلُولِيَّ وَالْعَصَا مِنْ التَّبَعِ هَيَاهَا لِضَرْبِ الْمَفَارِقِ

(٣) في «م» والمطبوع: الحسين، وقد تقدمت ترجمته.

(٤) البيتان في ديوان المجنون ص ٩٥، وفي ديوان ابن الدمينة (طبعة قديمة) ص ٢٥ وفي

سمط اللاليء ص ٦٦٠ إنها لابن الدمينة أو خالد الكاتب، وهما في الأمالي ٢٠/٢

وأمالي المرتضى ٤٣٦/١ وانظر الخزانة ٦٠/٣، والأغاني (بولاق) ٤٧/٥ من دون نسبة.

(٥) ديوان المجنون ص ٢٩٤.

وقال أبو العتاهية:

قَالَ لِي أَحْمَدُ وَلَمْ يَدِرْ مَا بِي
فَتَنَفَّسْتُ ثُمَّ قُلْتُ نَعَمْ حُ

وقال آخر:

وَقَالَ نِسَاءُ لَسَنَ لِي بِنَوَاصِحٍ
أَحْبَبْتُ لَيْلَى جُهْدَ حَبِّكَ كُلِّهِ
عَلَى ذَاكَ مَا يَمْحُو لِي الذَّنْبَ عِنْدَهَا

ولبعض أهل هذا العصر:

أَرَى كُلَّ مُرْتَابٍ يَخَافُ خِيَالَهُ
يَكَادُ لِفَرْطِ الْخَوْفِ يُبْدِي ضَمِيرَهُ
عَلَيَّ بَوَادٍ مَنْ يَخَافُ اغْتِيَابَهُ
فَإِيَّاكُمْ يَا صَاحِبِي وَمَشْهُدًا
وَإِيَّاكُمْ وَالذَّنْبُ تَرْتَكِبَانِهِ
فَمَا كُلُّ مَعْدُورٍ حَقِيقًا بِعُذْرِهِ

وقال الحطيثية:

أَكُلُ النَّاسَ يَكْتُمُ حُبَّ هِنْدٍ
وَمَا لَكَ غَيْرَ نَظَارٍ إِلَيْهَا

وقال الأحوص:

لَقَدْ سَلَ كُلَّ صَبٍّ أَوْ قَضَى وَطَرًا
أَضْمَرْتُ ذَاكَ زَمَانًا ثُمَّ بُحْتُ بِهِ

أَتُحِبُّ الْغَدَاةَ عُتْبَةَ حَقًّا
سَبًّا جَرَى فِي الْعِظَامِ عِرْقًا فَعِرْقًا^(٦)

لِيَعْلَمَنَّ مَا أُخْفِي وَيَعْلَمَنَّ مَا أُبْدِي
لَعَمْرُ أَبِي لَيْلَى وَزِدْتُ عَلَى الْجَهْدِ
وَتَمَحُّو دَوَاعِي حُبِّهَا ذَنْبَهَا عِنْدِي

كَأَنَّ عُيُونَ الْعَالَمِينَ تُرَاقِبُهُ
لِكُلِّ أَمْرٍ تُخْشَى عَلَيْهِ عَوَاقِبُهُ
تُبْتُ لَذِيهَا فِي الْأَنَامِ مَنَاقِبُهُ
تُنَسِّكُمَا مَا سَرَّ مِنْهُ عَوَاقِبُهُ
وَأِنْ كَانَ فِي الْأَحْيَانِ يُعَذَّرُ رَاكِبُهُ
وَلَا كُلُّ مَعْدُولٍ تَعِيبُ مَعَايِبُهُ

وَمَا يَخْفَى بِذَلِكَ مِنْ خَفِيٍّ
كَمَا نَظَرَ الْفَقِيرُ إِلَى الْغَنِيِّ^(٧)

وَمَا سَلَوْتُ وَمَا قَضَيْتُ أَوْطَارِي
فَزَادَنِي سَقَمًا بَوَاجِي وَإِضْمَارِي

أَخْفَيْتُ فِي الْغُرْفِ هَذَا الْتَكْرُ ذَلِكُمْ فَصَرَحَ الْوَجْدُ عَنْ عُرْفِي وَإِنْكَارِي^(٨)

وهذا لعمرى من حسن الكلام ونفيسه. ألا ترى إلى إخباره عن
اجتهاده في كتم ما في قلبه حتى صرح الوجد به من غير قصد له ولا اختيار
منه؟ وهذه هي الحال الثامنة من جهتين: إحداهما أن يكون المحب مؤثرًا
الإسرار على الإعلان، والأخرى أن يكون الوجد تملكه ملكًا يزول معه
الكتمان فيكون ضابطًا لنفسه، مؤثرًا لكتمان سريه، ما دام التمييز معه إلى أن
يغلبه من الوجد ما لا يستطيع أن يدفعه.

ولقد أحسن البحري غاية الإحسان حيث يقول:

نَصَرْتُ لَهَا الشَّوْقَ اللَّجُوجَ بِأَدْمَعٍ تَلَاخَقْنَ فِي أَغْقَابٍ وَصَلٍ تَصَرَّمَا
وَتَيَمَّنِي أَنَّ الْجَوَى غَيْرُ مُفَصِّرٍ وَأَنَّ الْحِمَى وَصَفَ لِمَنْ حَلَّ بِالْحِمَى
أَوَّلَفَ نَفْسًا قَدْ أُعِيدَتْ عَلَى الْهَوَى شَعَاعًا وَقَلْبًا فِي الْغَوَايِ مُقْسَمَا
لَقَدْ أَخَذَ الرُّكْبَانَ أَمْسٍ وَغَادَرُوا حَدِيثَيْنِ مِنَّا ظَاهِرًا وَمُكْتَمَا
وَمَا كَانَ بَادِي الْحُبِّ مِنَّا وَمِنْكُمْ لِيَخْفَى وَلَا سِرُّ التَّلَاقِي لِيُعْلَمَا^(٩)

أفلا ترى إلى حسن قسمته لما خفي وما ظهر من سريه فأعلمك أن ما به
من غلبات الوجد أخرجها الشوق عن يده؟ فظهرت لمن يحضرته وأن
ما استودعه من السرائر التي كانت بينه وبين إلفه، لم يكن ليطلع عليها غيره.
وهذا هو الذي أطرناهُ ومدحنا من فعله في الباب الماضي من وجوب ظهور
الحال وحدها، واستخفاء ما بعدها. والعللة في ذلك أن مكتوم الحب يظهره
الدَّمْعُ. ومكتون ما جرى من الممجين لا يظهره غير النطق. والناس قاديرون
على حبس السنين، وعاجزون عن حبس دمعهم، سيما إذا ملكهم اشتياق،
أوجد بهم فراق.

(٨) شعر الأحوص ص ١٣٣ وانظر تخرج الأبيات.

(٩) الديوان ص ٢٠٣٨.

(٦) الديوان ص ٢٩٩ مع اختلاف في الرواية.

(٧) ديوان الحطيثية ص ٣٥.

ولقد أحسن الذي يقول:

يَا حَسْرَتَا قَدْ فُقِدَ الْعُمْرُ
وَلَيْسَ لِي عَنْ مَالِكِي صَبْرُ
وَكَمْ أَدَارِي النَّاسَ عَنْ قِصَّتِي
وَلَيْسَ لِي عَنْ مَالِكِي سِرُّ
يَا رَبِّ قَدْ عَذَّبْتَنِي بِالْهَوَى
طِفْلاً وَكُهْلاً فَلَكَ الشُّكْرُ

وقال جرير:

وَمَا زَالَ عَنِّي قَائِدُ الشُّوقِ وَالْهَوَى
وَذِكْرُكَ حَتَّى كَادَ يَبْدُو فَيَفْضَحُ
أَصُونُ الْهَوَى مِنْ خِشْيَةِ أَنْ تَعْرِهَا
عُيُونٌ وَأَعْدَاءُ مِنَ الْقَوْمِ كُشَّحُ
فَمَا بَرِحَ الْوَجْدُ الَّذِي قَدْ تَلَبَّسَتْ
بِهِ النَّفْسُ حَتَّى كَادَ لِي الشُّوقُ يَذْبَحُ^(١٠)

وقال العرجي:

إِذَا رُمْتُ كَيْتَمَانًا لِوَجْدِكَ حَرَشْتُ
عَلَيْكَ الْعِدَى عَيْنٌ بِسِرِّكَ تَنْطِقُ
لَهَا شَاهِدٌ مِنْ دَمْعِهَا كُلَّمَا وَفَى
جَرَى شَاهِدٌ مِنْ دَمْعِهَا يَتَرَفَّقُ^(١١)

وقال يزيد بن الطثرية:

جَرَى وَكَيْفَ الْعَيْنَيْنِ بِالْذِمَّةِ السَّكْبِ وَرَاجَعَنِي مِنْ ذِكْرِ مَا قَدْ مَضَى حُبِّي
وَأَبْدَى الْهَوَى مَا كُنْتُ أَخْفِي مِنَ الْعِدَى وَجُنَّ لِتَذْكَارِ الصَّبَى مَرَّةً قَلْبِي
مَتَى يُرْسِلُ الْمُشْفِي إِنْ النَّاسُ مَحَلُّوا
عُيُونًا لِأَكْنَافِ الْمَدِينَةِ فَالْهَضْبِ
أُمْتُ كَمَدًا أَوْ أَضْنَ حَتَّى يُغِيثَنِي
مُغِيثٌ بِسَبِّبٍ مِنْ نَدَاهُنَّ أَوْ قُرْبِ
حَنَا الْحَائِمِ الصَّادِي إِلَيْهَا وَخَلَيْتُ
قُلُوبٌ فَمَا يَقْدِرُونَ مِنْهَا عَلَى شُرْبِ
جَعَلَنَ الْهَوَى دَاءً عَلَيْنَا وَمَا لَنَا
إِلَيْهِمْ إِذْ أَوْرَدَنَّا الدَّاءَ مِنْ ذَنْبِ^(١٢)

(١٠) في «م» والمطبوع: ويفصح.

(١١) الديوان ص ٨٣٥.

(١٢) الديوان ص ٣٢.

(١٣) شعر يزيد بن الطثرية ص ٢٢ عن كتاب «الزهرة».

وقال آخر:

وَلَمَّا رَأَى الْأَسْبِيلَ وَأَنَّهُ
هُوَ الْبَيْنُ مَقْصُورًا عَلَيْهِ الْأَصَالِيعُ
تَهْتَكُ عَنْ أَسْرَارِ قَلْبٍ وَأَسْجَمَتْ
مَدَامِعُ عَيْنٍ بَيْنَهَا السِّرُّ ضَائِعُ
وقال العباس بن الأحنف:

أَمْسَى بُكَاءُكَ عَلَى هَوَاكَ دَلِيلًا
فَارْجُرْ دُمُوعَكَ أَنْ تَفِيضَ هُمُولًا
دَارِ الْجَلِيسِ عَنِ الدُّمُوعِ فَإِنْ بَدَتْ
فَانْظُرْ إِلَى أَفْقِ السَّمَاءِ طَوِيلًا^(١٤)

وقال آخر:

بَيْنَ الْجَوَانِحِ مِنْكَ قَلْبٌ خَافِقُ
وَلِسَانٌ دَمْعِكَ عَنْ ضَمِيرِكَ نَاطِقُ
إِجْهَرُ بِحَبِّكَ طَالَمَا أَسْرَرْتَهُ
وَإِذَا اسْتَسَرَّ الْحُبُّ مَاتَ الْعَاشِقُ

وقال آخر:

لَوْلَا تَحَدُّرُ دَمْعِي جِئْتُ تُذَكِّرُ لِي
لَمْ يَعْلَمْ النَّاسُ مِنْ سِرِّي بِمَكْتُومِ
فَمَا أَحْتِيَإِلِي بِعَيْنٍ غَيْرِ رَاقِيَةٍ
تَبْكِي بِدَمْعَيْنِ مَذْرُوفٍ وَمَسْجُومِ
نَمْتُ عَلَيَّ فَأَبَدْتُ مَا اسْتَرَدْتُ بِهِ
وَقَدْ يَكُونُ سَتِيرًا غَيْرَ مَذْمُومِ

وقال أبو حفص الشطرنجي^(١٥):

وَقَالَتْ بُحْتُ بِأَلْسَرَارِ عَيْنِي
لَمْ يَعْلَمْ النَّاسُ مِنْ سِرِّي بِمَكْتُومِ
فَقُلْتُ لَهَا فَذَلِكَ النَّفْسُ نَمْتُ
تَبْكِي بِدَمْعَيْنِ مَذْرُوفٍ وَمَسْجُومِ
فَأَلَقْتُ نَفْسَهَا ضِحْكَاً وَقَالَتْ
وَقَدْ يَكُونُ سَتِيرًا غَيْرَ مَذْمُومِ

ولقد أحسن ابن قنبر حيث يقول^(١٦):

خُذْنِي بِمَا يَجْنِي لِسَانِي وَأَصْفَحِي
لَنَا عَنْ جَنَابَاتِ الدُّمُوعِ الْبُؤَادِرِ

(١٤) الديوان ص ٢٢٨ مع اختلاف في الرواية.

(١٥) لم أهدت إلى ترجمته.

(١٦) لم أهدت إلى ترجمته.

فَقَدْ شَهَرْتَنِي مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ
وَلَوْ أَنَّ عَيْنِي طَاوَعْتَنِي لَأَخْفَى
وَلَكِنَّهَا تُبْذِرُ إِذَا مَا ذَكَرْتُمْ

وقال أحمد بن أبي قين (١٧):

وَلَمَّا أَبَتْ عَيْنَايَ أَنْ تَسْتَرَا أَلْهَوَى
تَشَاءَبَتْ كَيْلًا يُنْكَرُ الدَّمْعُ مُنْكَرُ
أَعْرَضْتُمَانِي لِلْنَدَى وَنَمَمْتُمَا

وقال النابغة:

طَوَى كَشْحًا خَلِيلُكَ وَالْجَنَاحَا
فِيَا لَكَ حَاجَةً فِي صَدْرِ صَبٍّ

وقال البحتري:

يَا أَخَا الْأَزْدِ مَا حَفِظْتَ الْإِخَاءَ
عَدْلًا يَتْرُكُ الْحَنِينَ أَنْبِيَا
كَيْفَ أَغْدُو مِنَ الصَّبَابَةِ خُلُوعًا
حَجَبُوهَا حَتَّى بَدَتْ لِفِرَاقٍ
أَضْحَكَ الْبَيْنُ يَوْمَ ذَاكَ وَأَبْكَى
فَجَعَلْنَا الْوَدَاعَ فِيهِ سَلَامًا
وَوَشَّتْ بِي إِلَى الْوُشَاةِ دُمُوعُ آلْ

فَأَبَذْتُ بِرَغْمِي خَافِيَاتِ سَرَائِرِي
عَلَيَّ أَلْهَوَى أُخْرَى اللَّيَالِي الْغَوَايِرِ
بِفَيْضِ مَا قِيَهَا خَبَايَا الضَّمَاثِرِ

وَأَنْ تَقَفَا فَيْضُ الدَّمُوعِ السَّوَائِبِ
وَلَكِنْ قَلِيلٌ مَا بَقَاءُ التَّشَاوِبِ
عَلَيَّ لَيْسَ الصَّاحِبَانِ لِصَاحِبِ

لَيْتَنِي مِنْكَ يَوْمَ غَدَا وَرَاحَا
رَأَى الْأَظْعَانَ بَاكِرَةً فَبَاحَا (١٨)

لِمُحِبٍّ وَمَا ذَكَرْتَ الْوَفَاءَ
فِي هَوَى يَتْرُكُ الدَّمُوعَ دِمَاءَ
بَعْدَمَا رَاحَتْ الدِّيَارُ خَلَاءَ
كَانَ دَاءٌ لِعَاشِقِي وَدَوَاءَ
كُلِّ ذِي صَبُوءٍ وَسَرَّوَسَاءَ
وَجَعَلْنَا الْفِرَاقَ فِيهِ لِقَاءَ
عَيْنٍ حَتَّى حَسِبْتُهَا أَعْدَاءَ (١٩)

قَدْ كَثُرَ النَّاسُ فِي شِكَايَتِي الدَّمْعِ ، وَخَبَرُوا بِأَنَّهُ مِنْ أَشَدِّ الْأَشْيَاءِ دَلَالَةً

(١٧) لم أهتم إلى ترجمته .

(١٨) لم أجدهما في الديوان .

(١٩) الديوان ص ١٣ .

عَلَى السُّرُورِ بِمَا أَمْتَنَعَ بِضُرُوبٍ مِنَ الصَّنَائِعِ ، إِمَّا لِفَرْطِ جَفَافٍ فِي الدِّمَاغِ
يَحْتَمِلُ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَخَارَاتِ ، فَلَا يَنْحَدِرُ عَنْهُ حَتَّى يَكْثُرَ كَثْرَةً غَالِبَةً ، وَرُبَّمَا
أَمْتَنَعَ لِشِدَّةِ الْكَمَدِ حَسَبَ مَا ذَكَرْنَاهُ بَدِيًّا . وَلِلْهَوَى دَلَالَاتٌ تَتَبَّنُ فِي الزُّفَرَاتِ
وَاللُّونِ وَالنَّظَرِ . وَالْإِشَارَاتِ لَا تَكَادُ تَفْتَقِدُ وَجَدَهَا ، [وَأَمْتَنَقْدُهَا أَيْضًا يَرَاهَا وَإِنْ
لَمْ يَعْرِفْ [لَهَا] شَبِيهَا عِنْدَ تَلَاقِي الْأَمْتَحَابِينَ .

أنشدنا أحمد بن أبي طاهر:

تَكَلَّمْ عَمَّا فِي الصُّدُورِ عِيُونُنَا
فَمَنْ قَالَ إِنَّ الْحَبَّ يَخْفَى لِذِي أَلْهَوَى

ولبعض أهل هذا العصر:

لَا خَيْرَ فِي عَاشِقٍ يُخْفِي صَبَابَتَهُ
يُخْفِي هَوَاهُ وَمَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ

وقال مسلم بن الوليد:

أَمَّا الْجَمِيعُ فَرَايِلُوكَ لِنِيَّةٍ
تَأَلَّاهُ مَا عَلِمَ السُّرُورُ وَلَا الْكَرَى
فَإِذَا زَجَرْتُ الْقَلْبَ عَادَ وَجِيئُهُ
وَإِذَا رَجَعْتُ إِلَى أَلْهَوَى بَعَثَ أَلْهَوَى

ولبعض أهل هذا العصر:

هَوْنِي أَخْفَيْتُ الَّذِي بِي مِنَ أَلْهَوَى
وَمَا زِلْتُ أَسْتَحْيِي مِنَ النَّاسِ أَنْ أَرَى
وَبِاللَّهِ مَا حُلْتُ الْعَدَاةَ عَنِ الَّذِي
وَقَدْ ذَابَ قَلْبِي الْيَوْمَ شَوْقًا وَصَبُوءًا
فَلَا تَتَعَجَّبْ إِنْ تَظَلَّمْتُ مُحْجُوجًا
فَقَدْ حَانَ لِلْمُظْلُومِ أَنْ يَتَظَلَّمَ

(٢٠) الديوان ص ص ٥٣ - ٥٤ ، ولم أجد البيتين الرابع .

وقال آخر:

لَوْ كُنْتُ أَظْهَرُ مَا أَكَاثِمُكُمْ [بِهِ] هَلْ كُنْتُ إِلَّا مُخْبِرًا بِوَدَادِي
أَفْلَيْسَ فِي نَظَرِي تَأْمُلُ بَاتِنَ يُنْبِئُكَ عَمَّا فِي ضَمِيرِ فَوَادِي
فَهَذِهِ الْجِهَاتُ كُلُّهَا تَبْنِي الْهَوَى عَلَى أَهْلِهِ، وَتَدُلُّ مُشَاهِدَتُهَا عَلَى
مَوْضِعِهِ. وَرُبَّمَا كَانَ إِفْرَاطُ التَّحْفُظِ دَلًّا عَلَى هَوَى التَّحْفُظِ، لِأَنَّ التَّصْنُعَ
السَّيِّدَ يُخْرِجُ عِنْدَ الْعَادَةِ فَيُوقِعُ التَّهْمَةَ بِمَنْ اسْتَعْمَلَهُ. لَقَدْ سَمِعْتُ فَتَى مِنْ
أَهْلِ الْأَدَبِ يَقُولُ لِأَخَرٍ مِنْ أَهْلِ الْهَوَى، وَقَدْ أَفْرَطَ فِي اخْتِشَامِهِ وَحَازَرَ أَنْ
يُطْلِعَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ حَالِهِ، قَدْ وَاللَّهِ بَلَغَ مِنِّي مَا أَرَاهُ بِكَ عَلَى أَنَّهُ مَا يَظْهَرُ لِي
مِنْ حَالِكَ إِلَّا كِتْمَانُكَ لِأَمْرِكَ.

ولبعض أهل هذا العصر في نحو ذلك:

أَرَيْتَنِي النُّجْمَ يَجْرِي بِالنَّهَارِ فَلَا فَرْقًا أَرَى بَيْنَ إِصْبَاحِي وَإِمْسَائِي
أَخْفَيْتُ حُبَّكَ حَتَّى قَدْ ضُنَيْتُ بِهِ فَصَارَ يُظْهَرُ مَا أُخْفِيهِ إِخْفَائِي

□ □ □

الباب الخامس والأربعون:

مَنْ لَمْ يَقَعْ لَهُ الْهَوَى بِاِكْتِسَابٍ لَمْ يَنْزَجِرْ بِالْعِتَابِ

الْعِلَّةُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْمُعَاتَبَةَ إِنَّمَا هِيَ تَوْقِيفٌ عَلَى مَوَاضِعِ الْمَصْلَحَةِ
وَتَبْيِينٌ لِمَا فِي الْحَالِ الَّتِي بَقِيَ عَلَيْهَا الْمُعَاتِبُ مِنَ الْمُنْقَصَةِ. فَمَنْ كَانَ أَصْلُ
هَوَاهُ اخْتِيَارًا لِنَفْسِهِ فَتَبَيَّنَ مَوْضِعُ النِّقْصِ فِي اخْتِيَارِهِ، رَجَعَ إِلَى قَوْلِ عُدَّالِهِ.
وَمَنْ وَقَعَ هَوَاهُ مُضْطَرًّا بِغَلَبَةِ إِلَى الْإِنْقِيَادِ لِأَفْئِهِ، لَمْ يَغْلِقِ الْعَدْلُ بِسَمْعِهِ، لِأَنَّ
الْعَدْلَ يَأْتِيهِ مِنْ غَيْرِ جِهَتِهِ. وَالشَّيْءُ لَا يُوجِبُ زَوَالَهُ إِلَّا ضِدُّ مَا أَوْجَبَ ثَبَاتَهُ.
فَكَمَا أَنَّ الْهَوَى الْإِخْتِيَارِيَّ يَضَادُّهُ التَّوْقِيفُ عَلَى مَوَاضِعِ الْحَالِ، فَيُوجِبُ عَلَى
صَاحِبِهِ أَنْ يَخْتَارَ إِزَالَتَهُ، فَكَذَلِكَ الْهَوَى الْإِضْطْرَّارِيُّ لَا يُزِيلُهُ إِلَّا أَضْطِرَّارٌ
يَضَادُّهُ. وَالْهَوَى الْإِخْتِيَارِيُّ أَيْضًا عَلَى ضَعْفِهِ لَا تَمَحُّوهُ ضَرُوبُهُ وَلَا يَتَعَارَضُ
فِي تَرَكِّبِهِ، لِأَنَّهَا تَجِيءُ مِنْ غَيْرِ جِهَتِهِ. وَهُوَ لَا يَزُولُ إِلَّا بِزَوَالِ الْجِهَةِ الَّتِي
أَوْجَبَتْهُ، إِذْ مُحَالٌ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ عِلَّةً لِشَيْءٍ فَيَزُولَ الْمَعْلُولُ وَالْعِلَّةُ قَائِمَةً.

ولقد أحسن عمرو بن ضبيعة الرقاشي^(١) حيث يقول:

قَضَى اللَّهُ حُبَّ الْمَالِكِيَّةِ فَاصْطَبِرْ عَلَيْهِ فَقَدْ تَجَرَّى الْأُمُورُ عَلَى قَدَرٍ
أَلَا فَلْيَقْلُ مَنْ شَاءَ إِنَّمَا يُلَامُ الْفَتَى فِيمَا اسْتَطَاعَ مِنَ الْأَمْرِ

وللبحتري في نحو ذلك:

لِلْحُبِّ عَهْدٌ فِي فَوَادِي لَمْ يَخُنْ مِنْهُ السُّلُوْ وَدِمَّةٌ لَمْ تُخْفَرِ

(١) في «م» والمطبوع: عمر. وهو عمرو بن ضبيعة الرقاشي وقد مرَّت الإشارة إليه.

لَا أَبْتَغِي بَدَلًا بِسُلْمَى خُلَّةً

فَلْتَقْتَرِبْ بِالْوَصْلِ أَوْ فَلْتَهْجُرْ^(٢)

وقال يحيى بن منصور^(٣):

يَلُومُكَ فِيهَا اللَّائِمُونَ كَأَنِّي
[وَأِنِّي أَرَى الْعَيْنَ الَّتِي لَا] تُنِيمُهَا
فَهَا أَنَا مَتْرُوكٌ وَبَنِي فَإِنَّهُ

لَأَمْرِ الْوُشَاةِ مُسْتَفِيدٌ مُسَلِّمٌ
إِذَا جَعَلْتَ عَيْنَ الْوُشَاةِ نُبُومٌ
شَتِيتُ بِهِ أَهْوَاؤَهُ مُتَقَسِّمٌ

ولقد أحسن أبو تمام حيث يقول:

وَلَمْ أَحْفَلِ الدُّنْيَا وَلَا حَدَثَانَهَا
وَلَوْ آمَتْنِي مَا قَبِلْتُ أَمَانَهَا
فَلَمَّا مَضَى الْإِلْفُ اسْتَرَدَّتْ عِنَانَهَا
مَتَى مَا أَرَادَ اعْتَاَصَ عَشْرًا مَكَانَهَا
وَلَوْ صَاغَ مِنْ حَرِّ اللَّجَيْنِ بَنَانَهَا^(٤)

أَلَمْ تَرَنِي خَلَيْتُ عَيْنِي وَشَانَهَا
لَقَدْ خَوَّفَتْنِي النَّائِبَاتُ صُرُوفَهَا
عِنَانٌ مِنَ اللَّذَاتِ قَدْ كَانَ فِي يَدِي
يَقُولُونَ هَلْ يَبْكِي الْفَتَى لِخَرِيدَةِ
وَهَلْ يَسْتَعِضُ الْمَرْءُ مِنْ خَمْسٍ كَفَّهُ

وأنشدني أحمد بن يحيى:

أَمْسَى بِظَبْيَةٍ هَائِمًا مَشْغُولًا
وَيَزِيدُهُ بَرْدُ الشَّبَابِ غَلِيلًا

لَا تَلْجِيَا فِي جِبِّ ظَبْيَةٍ هَائِمًا
هَيْمَانٌ يَعْطِشُ بِالْفَرَاتِ لِحَبِّهَا
وقال آخر:

بَعْضُ أَتْبَاعِ الْهَوَى وَالْمَشْرَبِ الْإِلْفُ
مَاذَا تَرَكَ مِنَ التَّلَوَامِ تَعْتَرِفُ
وَهَلْ عَصَى لَكَ مِنْ لَذَائِهِ خَلْفُ
مِمَّنْ يُطِيعُكَ أَوْ يَرْضَى بِمَا تَصِفُ
فَلَا تَكَاذُ عَلَى الْأَضْغَانِ تَأْتِلُفُ

فَكَادَ يَغْتِيبُنِي فِي غَيْرِ فَاحِشَةٍ
يَا أَيُّهَا الْعَاذِلُ الرَّاجِي لِأَعْيُنِهِ
أَفِي الصَّبِيِّ لُمْتَنِي أَنْتَ الْفِدَاءُ لَهُ
إِذَا ذَمَمْتَ الصَّبِيَّ يَوْمًا فَلَا تَرَنِي
إِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا نِيَّاتُهَا اخْتَلَفَتْ

(٢) الديوان ص ١٠٣٩.

(٣) من شعراء الحماسة وقد مرت الإشارة إليه.

(٤) لم أجد الأبيات في الديوان.

وأنشدني أحمد بن يحيى:

وَقَدْ عَلِمْتُ سَمَاءً أَنْ حَدِيثَهَا
إِذَا أَمَرْتُكَ الْعَاذِلَاتُ بِصَرْمِهَا
فَجِيعٌ كَمَا مَاءُ السَّمَاءِ فَجِيعٌ
هَفْتُ كَبَدٌ مِمَّا يَقْلَنُ صَدِيعٌ

وزادني غيره:

وَكَيْفَ أَطِيعُ الْعَاذِلَاتِ وَحُبُّهَا
يُورِقُنِي وَالْعَاذِلَاتُ هُجُوعٌ

وقال أبو صخر الهذلي:

أَرَقْتُ وَنَامَ عَيْنِي مَنْ يَلُومُ
كَأَنِّي مِنْ تَذَكُّرِهَا أَلَا قِي
سَلِيمٌ مَلٌ مِنْهُ أَقْرَبُوهُ
يَلُومُكَ فِي مَوَدَّتِهَا رِجَالُ
قُلُوبُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ صِحَاحُ
فَأَنْتَ وَإِنْ لَحَاكَ النَّاسُ فِيهَا
وَلَكِنْ لَمْ تَنْمَ عَيْنِي الْهُمُومُ
أَذَى مَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ الْبَهِيمُ
وَعَطْلُهُ الْمُدَاوِي وَالْحَمِيمُ
لَوْ أَنَّهُمْ بِدَائِكَ لَمْ يَلُومُوا
وَقَلْبُكَ مِنْ تَذَكُّرِهَا سَقِيمُ
جَمِيعَ النَّاسِ تَعْصِي أَوْ تَلُومُ^(٥)

وقال الضحاك بن عقيل الخفاجي^(٦):

لَقَدْ لَامَنِي فِيهَا رِجَالٌ وَقَدْ أَرَى
يُخْبِرُنِي أَنِّي سَفِيهُ فَزَادَنِي
عَلَى حُبِّهَا فَازْدَدْتُ ضِعْفًا وَلَمْ أَكُنْ
مَكَانَ نِسَاءٍ قَدْ مُلِثْنَ لَهَا حِقْدًا
مَقَالَةٌ مَنْ قَدْ قَالَ لِي وَلَهَا وَجْدًا
أَرَى [قَبْلُ] عِنْدِي غَيْرَ مَا اسْتَسْلَفْتُ وَدَا

وَهَذَا لَعَمْرِي مِنْ أَحْسَنِ الْكَلَامِ وَجَدِيدِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي الْبَيْتِ الْأَخِيرِ
غَلَطٌ سِيرٌ، لِأَنَّهُ زَعَمَ أَنَّ مِنْ مَلَامِهِمْ فِيهَا زَادَهُ ضِعْفًا مِنْ مَحَبَّتِهَا. وَالْعَدْلُ
لَا يَزِيدُ الْمَحَبَّةَ وَلَا يَنْقُصُهَا، وَلَكِنْ النَّفْسُ إِذَا أَشَدَّ ضَنْهَا فَعَرِي الْعَدْلُ
بِمَسَامِعِهَا، عَارَضَهَا ضَرْبٌ مِنَ الْإِشْفَاقِ عَلَى حَالٍ مِنْ عُوثَتٍ فِي مَحَبَّتِهِ،

(٥) لم أجدها في أشعار الهذليين.

(٦) لم أهدت إلى ترجمته، وكان قد ورد قبل هذا.

وَحَشِيتُ أَنْ يَكُونَ الْعَدْلُ مُزِيلًا لَهُ عَنْ مَرْتَبَتِهِ. وَكَانَ تَحْرِيكَ خَاطِرَةِ الضَّنِّ
بِذَلِكَ زَائِدَةً فِي الْقَلْقِ، وَمُهَيِّجَةً لِلْفِكْرِ، فَيَتَوَهَّمُ صَاحِبُهَا أَنَّ مَحَبَّتَهُ قَدْ تَزَايَدَتْ.
وَمَا تَزَايَدَتْ وَلَا تَنَاقَصَتْ. وَهَذَا الْغَلَطُ لَمْ يَجْرِ عَلَى صَاحِبِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ
وَحْدَهُ، بَلْ قَدْ جَرَى عَلَى مَنْ قَبْلَهُ وَيَعْدُهُ.

وقال معاذ ليلي في نحو ذلك:

يَقْرُ بِعَيْنِي قُرْبُهَا وَيَزِيدُنِي بِهَا عَجَبًا مَنْ كَانَ عِنْدِي يَبِيعُهَا
وَكَمْ قَائِلٍ قَدْ قَالَ تَبَّ فَعَصِيَّتُهُ وَتِلْكَ لَعْمَرِي تَوْبَةٌ لَا أَتُوبُهَا
فَيَا نَفْسُ صَبْرًا لَسْتُ وَاللَّهِ فَأَعْلَمِي بِأَوَّلِ نَفْسٍ غَابَ عَنْهَا حَبِيبُهَا (٧)

وقال عمر بن يحيى الطائي (٨):

قَالَ الْعَوَاذِلُ لِي أَيْتَقُصُّ حُبَّهَا لَا بَلْ عَلَى رَغَمِ الْوُشَاةِ يَزِيدُ
تَأْبَى قَرَابَةً بَيْنَنَا وَمَوَدَّةً وَلَهَا عَلَيَّ مَوَاتِقٌ وَعَهْودُ
طُولًا [بِن] فِي حُجَجٍ مَضِينَ سَوَالِفٍ حَذَرَ الْوُشَاةِ فَنَقُضُهُنَّ شَدِيدُ
وَإِذَا تَعَرَّضَ رَاجِرٌ عَنْ حُبِّهَا قُلْنَا عَلَيْكَ صَفَائِحُ وَلُحُودُ

وقالت وجيهة بنت أوس (٩):

وَعَاذِلَةٍ تَخْدُو عَلَيَّ تَلُومُنِي عَلَى الشُّوقِ لَمْ تَمَحُ الصَّبَابَةَ مِنْ قَلْبِي
فَمَا لِي إِنْ أَحْبَبْتُ أَرْضَ عَشِيرَتِي وَأَبْغَضْتُ طُرْفَاءَ الْقُصَيَّةِ مِنْ ذَنْبِ

(٧) ديوان المجنون ص ٦٨، وقد وردت الأبيات في سمط اللالء ص ٩٠٠، ومصباح
العشاق ص ٢٥١، وأمالى القالي ١٢٧/٢، ٢٦٢، وقد وردت في الأغاني (الجزء
التاسع) في ترجمة قيس بن ذريح، كما وردت في الخزانة ٢٩٣/٤.

(٨) لم أهتم إلى ترجمته.

(٩) تقدمت الإشارة إليها، والبيتان في الحماسة (التبريزي) ٣٣٨/٣ وقد ورد في «م»
المطبوع: وأحببت.

وقال مالك بن الحارث الهذلي (١٠):

يَقُولُ الْعَاذِلَاتُ أَكُلُ يَوْمٍ لِسُرْبَةِ مَالِكٍ عَنْقُ شَنَاحٍ
وَقَدْ خَرَجَتْ نَفْسُهُنَّ فَمَاتُوا عَلَى إِخْوَانِهِمْ وَهُمْ صَحَاحٍ
وَلَسْتُ مُقْصِرًا مَا سَأَفَ مَالِي وَلَوْ عُرِضَتْ لِلْبَيْتِ الرِّمَاحُ
فَلُومُوا مَا بَدَا لَكُمْ فَلَانِي سَأَعْتِيكُمْ إِذَا انْفَسَحَ الْمَرَاخُ (١١)

وقال جرير:

إِذَا مَا نِمْتُ هَانَ عَلَيْكَ لَيْلِي وَلَيْلُ الطَّارِقَاتِ مِنَ الْهُمُومِ (١٢)
إِذَا مَا لُمْتَنِي وَعَذَرْتُ نَفْسِي فَلُومِي مَا بَدَا لَكَ أَنْ تَلُومِي
وقال القعقاع (١٣):

خَلِيلِي مُرًّا بِي قَلِيلًا لِشُوجَرَا وَأَنْ تَكْسِبَا خَيْرًا مِنَ الْحَمْدِ وَالْأَجْرِ
فَقَالَا أَتَى إِلَهُ الْعَلِيِّ فَأَيْنَمَا تُصَلِّيكَ أَسْبَابُ الْهَوَى لَهَبُ الْجَمْرِ
فَقُلْتُ أَطِيعَانِي فَلَيْسَ عَلَيْكُمَا حِسَابِي إِذَا لَاقَيْتَ رَبِّي وَلَا وَرِّي
عَلَيَّ الَّذِي أَجْنِي وَلَيْسَ عَلَيْكُمَا وَرَبِّي أَوْلَى بِالتَّجَوُّزِ وَالْغُفْرِ
أَتَحْرِقُنِي يَا رَبِّ إِنْ عَجَبْتُ عَوْجَةً عَلَى رَخْصَةِ الْأَطْرَافِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ

أَمَّا الْعَدْلُ الَّذِي يَقَعُ ابْتِدَاءً فَلَيْسَ عَلَى النَّفْسِ مِنْهُ مِنَ الْمُؤُونَةِ،
كَمَا عَلَيْهَا مِنْ عَذَلٍ مَنْ أُمِلَتْ عِنْدَهُ مِنَ الْمُعُونَةِ. وَلَقَدْ كَسَبَ هَذَا الْبَائِسُ عَلَى
نَفْسِهِ تَعَبًا كَاسِرًا لِمُنْقَلَبِهِ، وَمُسْقِطًا لِهَيْمَتِهِ بِاسْتِدْعَائِهِ الْمُسَاعَدَةَ مِنْ ذِكْرِ قَصَّتِهِ.
وَمِنْ هَذَا وَأَشْبَاهِهِ كَرِهْنَا لِلْمُحِبِّ الْإِطْلَاعَ عَلَى أَسْرَارِهِ، وَلَكِنْ مَنَى غُلْبَ عَلَى
أَمْرِهِ، لَمْ يَلْمُ عَلَى إِفْشَاءِ سِرِّهِ.

(١٠) انظر ترجمته في معجم الشعراء ص ٢٦٢، وهو شاعر مخضرم.

(١١) الأبيات في شرح أشعار الهذليين ص ٢٣٧.

(١٢) ديوان جرير (الصاوي) ص ٥٠٦ ورد البيت الأول.

(١٣) لقد مر القعقاع الهذلي في صفحة سابقة، ولا نعلم أيكون هذا هو الهذلي أم «قعقاع»
آخر مثل القعقاع النمري، والقعقاع بن توبة العقيلي.

ولقد أحسن أبو تمام الطائي حيث يقول:

فَحَوَاكَ عَيْنٌ عَلَى نَجْوَاكَ يَا مَذِلَّ حَتَامَ لَا يَتَقَضَى قَوْلُكَ الْخَطِلُ
وَإِنْ أَسْمَجَ مَنْ تَشْكُو إِلَيْهِ هَوَى مَنْ كَانَ أَحْسَنَ شَيْءٍ عِنْدَهُ الْعَذْلُ^(١٤)

وقال يزيد بن الطثرية:

تَذَكَّرْتُ ذَاتَ الْخَالِ مِنْ فَرْطِ حُبِّهَا ضُحَى وَالْفَلَاحِ أَلْيَعْمَلَاتِ بِنَا تَخْدِي
فَمَا مَلَكَتْ عَيْنَايَ حِينَ ذَكَرْتُهَا دُمُوعُهُمَا حَتَّى أَنْحَذِرَنَّ عَلَى خَدَيَّ
فَأَتَّبَعَنِي صَحْبِي وَقَالُوا أَمِنْ هَوَى بَكَيْتَ وَلَوْ كَانُوا هُمْ وَجَدُوا وَجْدِي
وَقَالُوا لَقَدْ كُنَّا نَعُدُّكَ مَرَّةً جَلِيداً وَمَا هَذَا بِفَعْلٍ فَتَى جَلْدِ
أَلَا لَا تَلُومُونِي فَلَسْتُ وَإِنْ نَأَتْ بِمُنْصَرِمٍ عَنْهَا هَوَايَ وَلَا وَدَيَّ
أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ الرِّعَابِيبَ لَمْ تَزَلْ مَفَاتِينَ قَبْلِي لِلْكُھُولِ وَلِلْمُرْدِ
فَإِنْ أَغْوَى لَا تُكْتَبْ عَلَيْكُمْ غَوَايِي أَجَلَ لَا وَإِنْ أَرَشِدْ فَلَيْسَ لَكُمْ رُشْدِي
وَإِنَّ لَذَاتِ الْخَالِ يَا صَاحِ زُلْفَةً وَمَنْزِلَةً مَا نَالَهَا أَحَدٌ عِنْدِي^(١٥)

وقال أيضاً:

أَلَا يَا خَلِيلِي اللَّذِينَ تَوَاصَبَا بِي اللَّوْمَ إِلَّا أَنْ أُطِيعَ وَأَسْمَعَا
فَقَا فَاَنْظُرَا لَا بُدَّ مِنْ رَجْعِ نَظْرَةٍ يَمَانِيَّةٍ شَتَّى بِهَا الْقَوْمُ أَوْمَعَا
لِمُغْتَصِبٍ قَدْ عَزَّهُ الْقَوْمُ أَمْرُهُ يَكْفُ حَيَاءَ عِبْرَةٍ أَنْ تَطْلُعَا
فَإِنْ كُنْتُمْ تَرْجُونَ أَنْ تَصْرِفُوا الْهُوَى بَيْنَهُمَا وَيُرَوَى فِي السَّرَابِ فَيَنْفَعَا
فَرُدُّوا هُبُوبَ الرِّيحِ أَوْ غَيَّرُوا الْهُوَى إِذَا حَلَّ الْوَادُ الْخَشَا فَمَتَمَعَا^(١٦)

(١٤) ديوان أبي تمام ٥/٣.

(١٥) شعر يزيد بن الطثرية ص ٣٧ عن كتاب «الزهرة».

(١٦) أقول لعلها من العينية المشهورة التي تقدم الكلام عليها، وقد نسبت إلى المجنون وإلى الصمة القشيري وإلى قيس بن ذريح.

وقال ذو الرمة:

أَعَاذِلَ قَدْ أَكْثَرْتَ مِنْ قِيلٍ قَائِلٍ وَعَيْبٌ عَلَى ذِي اللَّبِّ لَوْمُ الْعَوَاذِلِ
أَعَاذِلَ قَدْ جَرَّبْتُ فِي الدَّهْرِ مَا كَفَى وَنَظَرْتُ فِي أَعْقَابِ حَتَّى وَبَاطِلِ
فَمَا الدَّهْرُ مِنْ خَرَفَاءَ إِلَّا كَمَا أَرَى خَنِينٌ وَتَذَرَأُفُ الدُّمُوعِ الْهَوَاظِلِ^(١٧)

وقال عدي بن زيد:

وَعَاذِلَةٍ هَبَّتْ بِلَيْلٍ تَلُومُنِي فَلَمَّا غَلَتْ فِي اللَّوْمِ قَلْتُ لَهَا أَقْصِرِي
أَعَاذِلَ قَدْ أَطْنَبْتَ غَيْرَ مُصِيبَةٍ فَإِنْ كُنْتَ فِي يَّ فَنَفْسُكَ فَارْشِدِي
أَعَاذِلَ إِنْ الْجَهْلُ مِنْ لَذَّةِ الْفَتَى وَإِنْ أَلْمَنَايَا لِلرِّجَالِ بِمَرْصِدِ
كَفَى حَزْناً لِلْمَرْءِ أَيَّامَ دَهْرِهِ تَرُوحُ لَهُ بِأَلْوَاعِظَاتٍ وَتَغْتَدِي^(١٨)

وأنشدني أحمد بن يحيى لجميل بن معمر:

يَقُولُونَ مَهْلاً يَا جَمِيلُ وَإِنِّي لَأَقْسِمُ مَا بِي عَنْ بُيْتَةٍ مِنْ مَهْلٍ
أَجِلْماً فَقَبْلَ الْيَوْمِ كَانَ أَوَانُهُ أَمْ أَحْشَى فَقَبْلَ الْيَوْمِ أُوْعِدْتُ بِالْقَتْلِ^(١٩)

وقال آخر:

تَقُولُ أَلْعَاذِلَاتُ تَعَزَّ عَنْهَا وَدَاوِ غَلِيلَ قَلْبِكَ بِالسُّلُوفِ
وَكَيْفَ وَنَظْرَةٌ مِنْهَا اخْتِلَاساً أَلَدُّ مِنَ الشَّمَاتَةِ بِالْعَدُوِّ

وقال الطائي:

أَذَكَّتْ عَلَيْكَ شِهَابٌ نَارٌ فِي الْحَشَا أَدَلَّ شَيْهًا بِالْجُنُونِ كَأَنَّمَا
بِالْعَذْلِ وَهَذَا أُحْتُ آلَ شِهَابٍ قَرَأَتْ بِهِ الْوَرْهَاءُ نِصْفَ كِتَابِ^(٢٠)

(١٧) لم أجد الأبيات في الديوان.

(١٨) لم أجدها في ديوان عدي بن زيد.

(١٩) ديوان جميل ص ٩٨.

(٢٠) ديوان أبي تمام ٨٢/١.

وقال البحرى :

طَفِقْتُ تَلُومَ وَلَاتٍ حِينَ مَلَامِهِ لَا عِنْدَ كَرْتِهِ وَلَا إِحْجَامِهِ
لَمْ يَرَوْ مِنْ مَاءِ الشَّبَابِ وَلَا أَنْجَلَتْ ذَهَبِيَّةُ الصَّبَوَاتِ عَنْ أَيَّامِهِ (٢١)

وقال آخر :

مِنْ أَجْلِكَ ظَلَّ الْعَائِدَاتُ يَلْمَنِي وَيَزْعُمْنَ أَنِّي فِي طِلَابِكَ عَانِي
وَيَرْفُذْنِي نَصْحًا زَعْمُنَّ وَإِنَّهُ لَفِي حَرَجٍ مَنْ لَأْمَنِي وَنَهَانِي

وقال آخر :

أَتَرَانِي تَارِيكًا بِاللَّهِ مَا أَقْوَى لِمَا أَهْوَى
أَنَا أَشْهَدُ أَنَّ الْحُبَّ مِنْ قَلْبِي إِذَنْ دَعْوَى
وَذَكُّوْا أَنَّ الْعُنْبِيَّ حَسَّ أَبْنًا لَهُ فِي بَيْتٍ لِمَا ظَهَرَ عَلَى أَنَّهُ عَاشِقٌ لِيَكُونَ
الْحَبْسُ رَادِعًا لَهُ، فَفَتَحَ الْبَابَ عَنْهُ بَعْدَ مُدَّةٍ فَوَجَدَهُ قَدْ كَتَبَ عَلَى الْحَائِطِ :
أَتُظُنُّ وَنَحَكَ أُنْسِي أَبْلَى وَأُطِيعُ رَأْيَكَ فِي الْهَوَى عَقْلًا
وَمَدَّ الْحَرْفَ الْأَخِيرَ مَعَ اسْتِدَارَةِ حَائِطِ الْبَيْتِ أَجْمَعَ، فَلَمَّا نَظَرَ أَبُوهُ إِلَى
ذَلِكَ يَسَّ مِنْهُ فَخَلَّى سَبِيلَهُ.

وقال آخر :

يَلُومُكَ فِيهَا اللَّائِمُونَ نَصَاحَةً فَلَيْتَ الْهَوَى بِاللَّائِمِينَ مَكَانِيَا
لَوْ أَنَّ الْهَوَى عَنِ حُبِّ لَيْلَى أَطَاعَنِي أَطَعْتُ وَلَكِنَّ الْهَوَى قَدْ عَصَانِيَا
وهذا الكلام لا يكون إلا عن حالٍ ضَعِيفَةٍ أَوْ بِعَقَبِ ضَجْرَةٍ شَدِيدَةٍ، لِأَنَّ
صَاحِبَهُ لَمْ يَرْضَ بِالتَّيَرَمِ مِنْ هَوَاهُ، حَتَّى ضَمَّ إِلَى ذَلِكَ تَمَنِّيَ أَنْصِرَافِ الْحَالِ
إِلَى سِوَاهُ، وَأَحْسَنَ مِنْ هَذَا قَوْلًا، وَأَجْمَلُ مِنْهُ فَعَلًا الَّذِي يَقُولُ :

(٢١) البينان في الديوان ص ١٩٨٣ .

تَشَكَّى الْمُجُونُ الصَّبَابَةَ لَيْتَنِي تَحَمَّلْتُ مَا يَلْقَوْنَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَحْدِي
وَكَانَتْ لِنَفْسِي لَذَّةُ الْحُبِّ كُلُّهَا فَلَمْ يَلْقَهَا قَبْلِي مُحِبٌّ وَلَا بَعْدِي (٢٢)

وأحسن مجنون بني عامر حيث يقول :

وَقَالُوا لَوْ تَشَاءَ سَلَوْتَ عَنْهَا فَقُلْتُ لَهُمْ فَإِنِّي لَا أَشَاءُ
لَهَا حُبٌّ تَمَكَّنَ مِنْ فُؤَادِي فَلَيْسَ لَهُ وَإِنْ رُجِرَ أَنْتِهَاءُ (٢٣)

وقال آخر :

يَقُولُونَ لِي أَصْبِرْ وَأَتَجَرَّ قُلْتُ طَالَمَا صَبَرْتُ وَلَكِنْ لَا أَرَى الصَّبْرَ يَنْفَعُ
فَيَا لَيْتَ أَجْرِي كَانَ قُسِمَ بَيْنَهُمْ وَمِنْ دُونِي الصَّمَانُ فَالْخُبْتُ أَجْمَعُ

ولبعض أهل هذا العصر :

يُعَاتِبُنِي أَنْاسٌ فِي التَّنْصَابِي بِأَلْبَابٍ وَأَفْسَادَةٍ صَحَاحِ
إِذَا اخْتَلَطَ الظَّلَامُ وَهُمْ سُكَارَى بِكَاسَاتِ الرُّقَادِ إِلَى الصَّبَاحِ
وَلِي سَكْرٌ يُجَنِّبُنِي رُقَادِي فَمَا أَدْرِي الْغُدُوَّ مِنَ الرُّوَّاحِ
أَمَا لِي فِي بِلَادِ اللَّهِ بَابٌ يُؤَدِّبُنِي إِلَى سُبُلِ النُّجَاحِ
بَلَى فِي الْأَرْضِ مُتَسَّعٌ عَرِيضٌ وَلَكِنْ قَدْ مُنِعْتُ مِنَ الْبِرَاحِ
وَمَا يُغْنِي الْعَبَابَ عَيَانُ صَيْدٍ إِذَا كَانَ الْعُقَابُ بِلَا جَنَاحِ

□ □ □

(٢٢) ديوان المجنون، ص ١١٦، وهما في شرح المرزوقي ص ١٢٦٨ من غير نسبة، وكذلك

في المحاضرات ٢١/٢ .

(٢٣) ديوان المجنون ص ٤٢ .

مَنْ قَدِمَ هَوَاهُ قَوِيَ أَسَاهُ

مَنْ كَانَ أَوَّلَ مَا وَقَعَ بِهِ مِنْ أَسْبَابِ الْمَحَبَّةِ اسْتَحْسَنَانًا ثُمَّ يَنْبِي عَلَى التَّرْتِيبِ الَّذِي وَصَفْنَاهُ خَالًا فَحَالًا، حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى بَغْضِ الْأَحْوَالِ الصَّعَابِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا، كَانَ زَوَالُهَا إِنْ زَالَ بَطِيئًا، وَمَنْ عَشِقَ بِأَوَّلِ أَنْظَرِ سَلَا مَعَ أَوَّلِ الظَّفَرِ، فَإِنْ لَمْ يَظْفَرْ بِمَنْ يَهْوَاهُ، سَلَا إِذَا تَعَدَّرَ عَلَيْهِ مَا يَتَمَنَاهُ، فَإِذَا وَقَعَ الْهَوَى بِأَوَّلِ نَظَرٍ، ثُمَّ ارْتَقَى صَاحِبُهُ إِرْتِقَاءً بِغَيْرِ تَرْتِيبٍ، حَتَّى صَارَ مَذْلُهَا بِمَنْ يَهْوَاهُ، قَبْلَ أَنْ تَطُولَ مُعَاشَرَتُهُ كَانَ بَقَاءُ ذَلِكَ الْهَوَى يَسِيرًا. وَهَكَذَا كُلُّ شَيْءٍ فِي الْعَالَمِ إِنْ أَعْتَبَرْتَهُ وَجَدْتَ [مَا] ارْتَقَى إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ الْقُصْوَى بِغَيْرِ تَرْتِيبٍ أَنْحَطَّ أَنْحَاطًا طَوِيلًا.

ولعمري لقد أحسن الذي يقول:

وَمَا كَانَ حُبِّهَا لِأَوَّلِ نَظَرٍ وَلَا غَمْرَةٍ مِنْ صَبْوَةٍ فَتَجَلَّتْ
وَلَكِنَّهَا الدُّنْيَا تَوَلَّتْ فَمَا الَّذِي يُعْزِي عَنِ الدُّنْيَا إِذَا مَا تَوَلَّتْ

وقال الحسن بن وهب^(١) في هذا المعنى فأحسن:

أَرَى كُلَّ يَوْمٍ لَوَعَةً اسْتَبَدَّهَا وَنَفْسًا يُعْنِيهَا هَوَاهَا وَجُهِدَهَا
وَصَبْوَةً قَلْبٍ كَانَ هَوْلًا بَدِيدَهَا فَعَادَتْ عَلَى الْأَيَّامِ قَدْ جَدَّ جَدُّهَا

وقال آخر:

شَوْقِي إِلَيْكَ عَلَى الْأَيَّامِ يَزْدَادُ وَالْقَلْبُ بَعْدَكَ لِلْأَحْزَانِ مُنْقَادُ
يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى أَلْفٍ فُجِعْتُ كَأَنَّ أَيَّامَهُ فِي الْحُسْنِ أَعْيَادُ

(١) في «م» والمطبوع: الحسين.

وقال آخر:

وَلَيْتَ وَإِيَّاهَا لَكَ الْخَمْرَ وَالْغِنَى إِذَا أَرَدَدْتُ مِنْهَا وَجَدًا بِقُرْبِهَا
مَتَى تَسْتَطِيعُ مِنْهَا الزِّيَادَةَ تَزِدُّ فَكَيْفَ حَيْرَاسِي مِنْ هَوَى مُتَجَدِّدٍ

وقال كثير:

يَلُومُكَ فِي لَيْلَى وَعَقْلُكَ عِنْدَهَا وَمَا زِلْتُ مِنْ لَيْلَى لَدُنْ طَرِّ شَارِبِي
رِجَالٌ وَلَمْ تَذْهَبْ لَهُمْ بِعُقُولٍ إِلَى الْيَوْمِ كَالْمُلْقَى بِكُلِّ سَبِيلٍ^(٢)

وقال بعض الأعراب:

سَقَى اللَّهُ مِنْ حُبِّي لَهُ كُلَّ لَيْلَةٍ جَرَى حُبُّهَا وَالْدَّهْرُ فِي طَلْقَيْهِمَا
وَيَوْمٍ عَلَى مَرِّ السَّيْنِ يَزِيدُ فَضْعُضِعَ رُكْنُ الدَّهْرِ وَهُوَ جَلِيدُ

وقال أبو تمام *:

هَوَى كَانَ خَلْسًا إِنْ مِنْ أَبْرِدِ الْهَوَى وَلَنْ تَنْظُمَ الْعِقْدَ الْكَعَابُ لِزِينَةٍ
وَقَدْ تَأَلَّفَ الْعَيْنُ الدُّجَى وَهُوَ قَيْدُهَا هَوَى جُلَّتْ فِي أَفْنَائِهِ وَهُوَ خَامِلُ
كَمَا انْتَضَمَ الشَّمْلُ الشَّيْتِ الشَّمَائِلُ وَيُرْجَى شِفَاءُ السِّمِّ وَالسِّمُّ قَاتِلُ^(٣)

وقال مجنون بني عامر:

فَلَوْ كَانَ حُبِّي آلَ لَيْلَى كَحَادِثٍ وَلَكِنْ حُبِّي آلَ لَيْلَى فَدَائِمُ
إِلَى وَقْتِ يَوْمٍ قَدْ تَقَضَّتْ هُمُومُهَا وَأَقْتُلُ أَدَوَاءَ الرِّجَالِ قَدِيمُهَا^(٤)

وقال كثير:

تَعَلَّقَ نَاشِئًا مِنْ حُبِّ سَلَمَى هَوَى سَكَنَ الْفُؤَادَ فَمَا يَزُولُ

(٢) الديوان ص ص ١١٢، ١١٥ مع اختلاف في الرواية.

(٣) الأبيات في الديوان ١١٦/٣.

(٤) ديوان المجنون ص ٢٥١، وقد وردا في الأغاني (الدار) ٢٦/٢، والحماسة البصرية

فَلَمْ تَذْهَلْ مَوَدَّتْهَا غُلَامًا
وَأَذْرَكَكَ الْمَشِيبُ عَلَى هَوَاهَا

وقال جميل:

عَلِقْتُ أَلْهَوَى مِنْهَا وَلِيدًا فَلَمْ يَزَلْ
وَأَفْنَيْتُ عُمْرِي بِإِنْتَظَارِي نَوَالَهَا
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْتَنُ لَيْلَةً
لِكُلِّ حَدِيثٍ عِنْدَهُنَّ بَشَاشَةٌ

وقال آخر:

لِي حَبِيبٌ يَتَعَمَّى إِلَيَّ رَجَائِي
لِلْمَنَى عِنْدَ ذِكْرِهِ فِي ضَمِيرِي
إِنْتَظَارِي لَهُ [عَلَى] حَدِيثِ الدَّهْرِ
يَا هَوَانَ الدُّنْيَا عَلَيَّ إِذَا مَا

وقال آخر:

وَقَفْتُ لِلَّيْلِ بَعْدَ عَشْرِينَ حِجَّةً
وَأَمْرَضَ قَلْبِي حُبُّهَا وَطِلَابُهَا
وَأَتَّبَعُ لَيْلَى حَيْثُ سَارَتْ وَخَيَّسَتْ
كَأَنَّ زَمَانًا فِي الْفُؤَادِ مُعَلَّقُ

وقال مجنون بني عامر:

تَمُرُّ اللَّيَالِي وَالشُّهُورُ وَلَا أَرَى
وُلُوعِي بِهَا يَزْدَادُ إِلَّا تَمَادِيَا

وَقَدْ يَنْسَى وَيَطْرِفُ الْمَلُولُ
فَلَا شَيْبَ نَهَاكَ وَلَا ذُهُولُ^(٥)

إِلَى الْيَوْمِ حُبُّهَا وَبَزِيدُ
وَأَبْلَيْتُ فِيهَا الدَّهْرَ وَهُوَ جَدِيدُ
بِوَادِي الْقُرَى إِنِّي إِذَنْ لَسَجِيدُ
رُكُلٍ قَتِيلٍ بَيْنَهُنَّ شَهِيدُ^(٦)

كُلَّمَا خِلْتُ قَلْبَهُ لِي يَلِينُ
حَرَكَاتٍ كَأَنَّهُنَّ سُكُونُ
بِرِ قَدِيمٍ إِنْ أَنْظَرْتَنِي الْمَنُونُ
كُنْتُ فِيهَا مِمَّنْ عَلَيْكَ يَهُونُ

بِمَنْزِلَةٍ فَانْهَلَتْ أَلْعَيْنُ تَدْمَعُ
فِيَا لَعْدِي دَعْوَةٌ كَيْفَ أَصْنَعُ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا أَلْفٌ وَمُودَعُ
تَقُودُ بِهِ حَيْثُ اسْتَمَرَّتْ وَأَتَّبَعُ^(٧)

قَضَاهَا لِعَيْرِي وَأَبْتَلَانِي بِحُبِّهَا

وقال مسلم بن الوليد:

أَحَاوِدُ مَا قَدَّمْتُهُ مِنْ رَجَائِهَا
وَمَا زَيْتَهَا أَلْعَيْنُ لِي عَنْ لَجَاجَةِ

وقال البحتري^(٨):

تَجَنَّبْتُ لَيْلَى أَنْ يَلِجَ بِكَ أَلْهَوَى
فَلَوْ تَلَقَّيْتُ أَصْدَاؤُنَا بَعْدَ مَوْتِنَا
لَظَلَّ صَدَى رَمْسِي وَإِنْ كُنْتُ رِمَّةً
أَلَا إِنَّمَا غَادَرْتَ يَا أُمَّ مَالِكٍ
لَقَدْ عِشْتُ مِنْ لَيْلَى زَمَانًا أُحِبُّهَا

وقال آخر:

فَلَوْ كُنْتُ أَذْرِي أَنَّمَا كَانَ كَائِنُ
تَعَزَّيْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ حَتَّى يَكُونَ لِي

وقال عروة بن حزام:

أَلْفْنَا أَلْهَوَى وَاسْتَحْكَمَ الْحُبُّ بَيْنَنَا
فَدَقْنَا رَحَاءَ الْعَيْشِ عَشْرِينَ حِجَّةً
جَعَلْتُ لِعِرَافٍ أَلِيمَاسَةً حُكْمَهُ
فَمَا تَرَكَهَا مِنْ حِيلَةٍ يَعْلَمَانِيهَا

فَهَلَّا بِشَيْءٍ غَيْرَ لَيْلَى أَبْتَلَانِيَا^(٩)

إِذَا عَاوَدْتُ بِلَنَاسٍ فِيهَا أَلْمَاطِمُ
[وَلَكِنْ] جَرَى فِيهَا أَلْهَوَى وَهُوَ طَائِعُ^(١٠)

وَهِيَهَاتَ كَانَ الْحُبُّ قَبْلَ التَّجَنُّبِ
وَمِنْ دُونِ رَمْسِنَا مِنَ الْأَرْضِ مَنْكِبُ
لِصَوْتِ صَدَى لَيْلَى يَهْشُ وَيَطْرُبُ
صَدَى أَيْنَمَا تَذْهَبُ الرِّيحُ يَذْهَبُ
أَخَا الْمَوْتِ إِذْ بَعْضُ الْمَجِيبِينَ يَكْذِبُ

وَأَنْ جَدِيدَ الْوُصْلِ قَدْ جَدَّ غَابِرُهُ
صَرِيمةً أَمْرٍ تَسْتَمِرُّ مَرَارَتُهُ

وَلَيْدِينَ مَا مَرَّتْ لَنَا سَتَانِ
أَلَيْفَيْنِ مَا نَرْتَاغُ لِلْحَدَثَانِ
وَعِرَافٍ جَجَرَ إِنْ هُمَا شَفِيَانِي
وَلَا رُقِيَةً إِلَّا بِهَا رَقِيَانِي

(٨) ديوان المجنون ص ٣١٥، ٢٩٣.

(٩) ديوان مسلم بن الوليد ص ٢٧٣، وقد وردت الأبيات في زهر الآداب ١٣٢/٢.

ومجموعة المعاني ص ٢١٣.

(١٠) لم أجد الأبيات في ديوان البحتري، والبيتان الرابع والخامس وردا في ديوان المجنون

ص ٨٠.

(٥) ديوان كثير ص ١١٥ - ١١٨ مع اختلاف في الرواية.

(٦) الديوان ص ٣٨ - ٤٠.

(٧) ديوان المجنون ص ١٨٦، وشرح المازوني ص ١٣٣٨.

فَقَالَا شَفَاكَ اللَّهُ وَاللَّهِ مَا لَنَا
وقال أيضاً:

بِمَا حُمِلْتُ مِنْكَ الضُّلُوعُ يَذَانٍ^(١١)

وَأَخِرَ عَهْدٍ لِي بِعَفْرَاءٍ أَنَّهَُا
عَشِيَّةٌ لَا عَفْرَاءَ مِنْكَ بَعِيدَةٌ

تُرِيكَ بَنَانًا كَفْهَنٌ خَضِيبٌ
فَتَسْلِي وَلَا عَفْرَاءَ مِنْكَ قَرِيبٌ^(١٢)

[وقال آخر:]

عَشِيَّةٌ لَا خَلْفِي مَكْرٌ وَلَا آلَهْوَى
وَكُلُّ مُجِبٍّ قَدْ سَلَ غَيْرَ أَنِّي

أَمَامِي وَلَا وَجْدِي كَوَجْدِ غَرِيبٍ
غَرِيبُ آلَهْوَى يَا وَنَحْ كُلِّ غَرِيبٍ^(١٣)

وقال ابن هرمة:

أَرَى الدَّهْرَ يُنْسِينِي أَحَادِيثَ جَمَّةٍ
وَلَمْ يُنْسِينِيهَا الدَّهْرُ إِلَّا وَذَكَرُهَا
وَأِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا لَنَا غَيْرُ ذِكْرَةٍ
نَقَدْ أَحْرَزْتَ مِنِّي فُؤَادًا مُتِمًّا
تَنْسِينُ أَيْامِي وَأَيَّامِكَ أَلْتِي

أَنْتَ مِنْ صَدِيقِي أَوْ عَدُوٍّ يُشِيعُهَا
بَحِثْ تَحَنَّتْ نَفْسِي ضُلُوعُهَا
وَقَوْلٍ لَعَلَّ الدَّهْرَ يَوْمًا يُرِيعُهَا
وَعَيْنًا عَلَيْهَا لَا تَجِفُّ دُمُوعُهَا
إِذَا ذَكَرْتَهَا النَّفْسُ كَادَتْ تُذِيعُهَا^(١٤)

وقال آخر:

حُبِّكَ أَصْنَفًا مِنَ الْحَبِّ لَمْ أَجِدْ
مِنْهُمْ حُبًّا لِلْمُجِبِّ وَرَحْمَةً
مِنْهُمْ أَنْ لَا يَخْطُرُ الدَّهْرُ ذِكْرُكُمْ
حُبٌّ بَدَا بِالْجِسْمِ وَاللُّوْنُ ظَاهِرٌ

لَهَا مَثَلًا فِي سَائِرِ النَّاسِ يُعْرِفُ
لِمَعْرِفَتِي مِنْهُ بِمَا يَتَكَلَّفُ
عَلَى الْقَلْبِ إِلَّا كَادَتْ النَّفْسُ تَتَلَفُ
وَحُبُّ الَّذِي نَفْسِي مِنَ الرُّوحِ أَلْطَفُ

(١١) لم يرد البيتان الأول والثاني في «شعر عروة» وقد ورد ما بقي في ص ص ١٤، ١١.

(١٢) لم أجدهما في «شعر عروة بن حزام».

(١٣) شعر عروة ص ٣٠، وفي «م» والمطبوع: مقرر.

(١٤) في شعر ابن هرمة ص ١٤٣ عن كتاب «الزهر».

وَحُبٌّ هُوَ الدَّاءُ الْعِيَاءُ بِعَيْنِهِ
فَلَا أَنَا مِنْهُ مُسْتَرِيحٌ فَمَيِّتٌ

وقال هذبة بن خشم:

تَذَكَّرَ حُبًّا كَانَ فِي مَيِّعَةِ الصَّبِيِّ
إِذَا كَادَ يَنْسَاهَا الْفُؤَادُ ذَكَرَتْهَا
ضَمْنِي مِنْ هَوَاهَا مُسْتَكِنًا كَأَنَّهُ
بِعَيْنَيْكَ زَالَ الْحَيُّ مِنْهَا لَبِنَةٌ
وَقَدْ طَالَ مَا عُلِقْتُ لَيْلَى مُعَمِّدًا
رَأَيْتُكَ مِنْ لَيْلَى كَذِي الدَّاءِ لَمْ يَجِدْ
فَلَمَّا أَشْتَقَى مِمَّا بِهِ عَلَّ طَبُهُ

لَهُ ذِكْرٌ تَعْدُو عَلَيَّ فَأُذَنْفُ
وَلَا هُوَ عَلَيَّ مَا قَدْ حَيَّتْ مُخَفَّفُ

وَوَجَدًا بِهَا بَعْدَ الْمَشِيبِ مُعَقَّبًا
فَيَا لَكَ قَدْ عَنَى الْفُؤَادُ وَعَذَّبَا
خَلِيعٌ قِدَاحٍ لَمْ يَجِدْ مُتَشَبِّهًا
قَذُوفٍ تَشُوقُ الْآلِفَ الْمَطْرَبَا
وَلَيْدًا إِلَى أَنْ صَارَ رَأْسُكَ أَشْيَا
طَبِيبًا يُدَاوِي مَا بِهِ فَطَطَّيَا
عَلَى نَفْسِهِ مِنْ طُولٍ مَا كَانَ جَرَبًا^(١٥)

وأنشدنا أحمد بن يحيى لذي الرمة:

أَيَا مَيٍِّّ إِنْ الْحُبَّ حُبَّانٍ مِنْهُمَا
قَدِيمٌ وَحُبٌّ جَدِيدٌ شَبَابُهُ
إِذَا اجْتَمَعَا قَالَ الْقَدِيمُ غَلَبْتُه
وَقَالَ الَّذِي مِنْ بَعْدِهِ أَنَا غَالِبُهُ^(١٦)
وَأَخْبَرَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ: أَنَّ مَيَّةَ قَالَتْ أَلَلَّهُمَّ
لَا تَقْضُ بَيْنَهُمَا.

وقال بشار:

بَكَيْتُ مِنَ الدَّاءِ دَاءِ آلَهْوَى
وَقَدْ وَعَدْتُ صَفْدًا فِي غَدٍ
وَأَنِّي عَلَى طُولِ إِخْلَافِهَا
إِذَا أُخْلِفَ الْيَوْمَ ظَنِّي بِهَا
إِلَيْهَا وَأَنْ لَيْسَ لِي مُسْعِدُ
وَقَدْ وَعَدْتُ ثُمَّ لَا تَصْفِدُ
لَأَرْجُو الْوَفَاءَ وَلَا أَحْقِدُ
يَكُونُ لَنَا فِي غَدٍ مَوْعِدُ

(١٥) الأبيات في «شعر هذبة» ص ص ٥٩ - ٦٢ مع اختلاف في الرواية.

(١٦) لم أجدهما في ديوان ذي الرمة.

صَبَرْتُ عَلَى طُولِ أَيَّامِهَا حِفَاطاً وَصَبْرُ الْفَتَى أَعْوَدُ
وَمَا ضَرَّ يَوْمَ بَدَاءِ الْهَوَى مُجِيباً إِذَا مَا شَفَاهُ الْغَدُ
سَوَى شَوْقِي غَيْبِي إِلَى وَجْهِهَا وَإِنِّي إِذَا فَارَقْتُ أَكْمَدُ^(١٧)

فَهُؤُلَاءِ الْبَائِسُونَ قَدْ صَبَرُوا عَلَى أَحْبَبِهِمْ إِمَّا طَائِعِينَ، وَإِمَّا كَارِهِينَ. فَإِنْ كَانُوا طَائِعِينَ فَهُوَ أَحْمَدُ مِمَّنْ يَتَلَاعَبُ وَيَنْتَقِلُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ عَنْ إِلَاقِهِ إِلَى سِوَاهُ. وَإِنْ كَانُوا كَارِهِينَ فَإِنَّ السَّبَبَ الَّذِي أَضْطَرَّهُمْ إِلَى الْمَقَامِ عَلَى مَا يُؤَلِّمُهُمْ وَيَمْنَعُهُمْ عَنِ الْإِنْتِقَالِ إِلَى مَا يَخْتَارُونَهُ لَوْلَمْ يَكُنْ سَبَباً أَمْلَكَ بِهِمْ مِنْهُمْ، مَا عَلَيْهِمْ، فَهُمْ عَلَى كُلِّ الْجِهَاتِ أَدْنَى فِي الْحَالِ مِمَّنْ جَعَلَ هَوَاهُ ضَرْباً مِنْ الْأَشْغَالِ، يَنْفَرِدُ لَهُ إِذَا نَشَطَ، وَيَتْرَكُهُ إِذَا كَسَلَ، كَالَّذِينَ قَدَّمْنَا وَصَفَهُمْ فِي صَدْرِ هَذَا الْكِتَابِ مِنْ أَنَّهُمْ لَمْ يَرْتَقُوا فِي الْمَحَبَّةِ عَلَى مَنْ أَنْتَهَى، بَلْ صَعِدُوا بِأَوَّلِ نَظَرَةٍ إِلَى ذُرُوبِهَا. فَكَمَا كَانَ أَرْتَقَاؤُهُمْ فِيهَا سَرِيعاً كَانَ انْحِطَاطُهُمْ قَرِيباً.

فمنهم الوليد بن عبيد الطائي حيث يقول:

نَظَرَةٌ رَدَّتْ الْهَوَى الشَّرْقَ غَرْباً وَأَسَالَتْ نَهْجَ الدُّمُوعِ الْجَوَارِي
مَا ظَنَنْتُ إِلَّا هَوَاءَ قَلْبِكَ تُمَحِّي مِنْ صُدُورِ الْعُشَّاقِ مَحْوَ الدِّيَارِ
كَأَن يَحُلُو هَذَا الْهَوَى فَأَرَاهُ عَادَ مُرّاً وَالسُّكْرُ قَبْلَ الْخَمَارِ
وَإِذَا مَا تَنَكَّرْتَ لِي بِبِلَادٍ أَوْ خَلِيلُ فَإِنِّي بِأَلْخِيَارِ^(١٨)

وله أيضاً:

أَتَى دُونَهَا نَائِي الْبِلَادِ وَنَصْنَا سِوَاهِمَ خَيْلٍ كَالْأَعْنَةِ ضُمِرِ
وَلَمَّا خَطَوْنَا دِجْلَةَ أَنْصَرَمَ الْهَوَى فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا لَفْتَةُ الْمَسْدُوكِ
وَخَاطِرُ شَرْقٍ مَا يَزَالُ يَهِيْجُنَا لِبَادِينَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَخُضِرِ^(١٩)

(١٧) ديوان بشار ١١٦/١ مع اختلاف في الرواية.

(١٨) ديوان البحري ص ٩٨٦.

(١٩) لم أجده في الديوان.

ولأبي نواس في نحو ذلك:

أَلَا قُلْ لِأَخِي لِي وَمَنْ هُمْتَ بِهِمْ وَجَدَا
وَمَنْ كَانُوا مَوَالِي وَمَنْ كُنْتُ لَهُمْ عَبْدَا
شَرِبْنَا مَاءَ بَغْدَادَ فَأَنْسَانَاكُمْ جِدَا
فَلَا تَرْعُوا لَنَا عَهْدَا فَمَا نَرَعَى لَكُمْ عَهْدَا^(٢٠)

وأنشدنا أحمد بن أبي طاهر لإبراهيم بن العباس في نحو ذلك:

يَقْلِبِي عَنْ هَوَى الْبَيْضِ أَنْصَرَفَ وَيُعْجِبُنِي مِنَ السُّمْرِ أَنْعَطَفَ
فَإِنْ أَنْصَفَنَ فِي وَدِّي وَإِلَّا فَلَيْسَ عَلَيَّ مِنْ قَلْبِي خِلَافُ^(٢١)

وقال جرير:

هَوَى بِيَهَامَةٍ وَهَوَى بِنَجْدٍ فَقَتَلَنِي التَّهَائِمُ وَالنُّجُودُ
أَخَالِدُ قَدْ هَوَيْتُكَ بَعْدَ هِنْدٍ فَشَيْبَنِي الْخَوَالِدُ وَالْهُنُودُ^(٢٢)

وأصل البيت في ذلك قول عمر بن أبي ربيعة:

لَقَدْ حَلَيْتُكَ أَنْعَمَ أَوَّلَ نَظَرَةٍ وَأَعْطَيْتَ مِنِّي يَا أَبْنَ عَمٍّ قَبُولَا
فَأَصْبَحْتَ هَمّاً لِلْفُؤَادِ وَحُسْرَةً وَظِلّاً مِنَ الدُّنْيَا عَلَيَّ ظَلِيلَا^(٢٣)

ولغيره في مثله:

يَا رَايماً لَيْسَ يَدْرِي مَا الَّذِي فَعَلَا إِحْبَسَ عَلَيْكَ فَإِنَّ السَّهْمَ قَدْ قَتَلَا
أَصَبْتَ أَسْوَدَ قَلْبِي إِذْ رَمَيْتَ فَلَا شُلْتَ يَمِينُكَ لِمَ صَيَّرْتَنِي مَثَلَا

فَأَخْلِقْ بِمَنْ يُسَقِّمُهُ أَوَّلُ دَاءٍ أَنْ يَشْفِيَهُ أَوَّلُ دَوَاءٍ.

(٢٠) لم أجد الأبيات في الديوان.

(٢١) لم أجدهما في ديوان إبراهيم بن العباس.

(٢٢) لم أجدهما في الديوان.

(٢٣) البيتان في الديوان ص ١٦٤، وفي «م» والمطبع: جلبتك.

مَنْ شَابَتْ ذَوَائِبُهُ جَفَاهُ حَبَائِبُهُ

بَلَّغَنِي عَنْ بَعْضِ الْأَكَايِسَةِ: أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ أَظُنُّ أَنِّي إِذَا شِبْتُ زَهَدْتُ فِي النِّسَاءِ، فَلَمْ أَزَلْ مَغْمُومًا بِذَلِكَ، وَلَمْ أَدْرِ أَنِّي إِذَا شِبْتُ كُنْتُ أَنَا فِيهِنَّ أَشَدَّ زُهْدًا. وَلَعَمْرِي إِنَّ مَنْ قَرَّبَ مِنْ آخِرِ عُمُرِهِ، لَجَدِيدٌ أَنْ يَصْرِفَ هِمَّتَهُ إِلَى مَا يُعِيدُ عَلَيْهِ نَفْعًا فِي آخِرَتِهِ. وَيَتَشَاغَلُ بِأَحْكَامِ الدَّارِ الَّتِي يَصِيرُ إِلَيْهَا عَنْ أَسْبَابِ الدَّارِ الَّتِي يَنْتَقِلُ عَنْهَا، فَإِنْ لَمْ يَقَعْ ذَلِكَ لَهُ اخْتِيَارًا، وَقَعَ أَكْثَرُهُ بِهِ اضْطِرَارًا.

أنشدنا أحمد بن يحيى النحوي:

قَعَدَ الشَّيْبُ بِي عَنِ اللَّذَاتِ
فَلِإِذَا رُمْتُ سَتْرَهُ بِخِضَابِ
مَا رَأَيْتُ الْخِضَابَ إِلَّا سَرَابًا
فَلِإِذَا مَا دَعَا إِلَى الْكَأَسِ دَاعٍ
لَسْتُ بَعْدَ الْمَشِيبِ لِأَتْنُدُّ بِالْعَيْدِ
إِنَّ فَقْدَ الشَّبَابِ أَنْزَلَنِي بَعْدَ
وَرَمَانِي بِحَادِثِ الشَّيْبِ دَهْرٌ

وقال آخر:

فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرَى بِيضَاءً قَدْ طَلَعَتْ
لَيْنَ حَجَبَتِكَ بِالْمِقْرَاضِ عَنْ بَصْرِي
كَأَنَّهَا أُتْبِتَتْ فِي نَاطِرِ الْبَصْرِ
لَمَّا حَجَجْتُكَ عَنْ هَمِّي وَعَنْ فِكْرِي

وأنشدني البحتري لنفسه:

تَنَّتْ طَرْفَهَا دُونَ الْمَشِيبِ وَمَنْ يَشِبْ
فَكُلُّ الْغَوَايِي عَنْهُ مَشِيئَةُ الطَّرْفِ
وَجُنَّ الْهَوَى فِيهَا عَشِيَّةٌ أَعْرَضَتْ
بِنَاطِرِي رِيمٍ وَسَلَفَتِي خَشَفِ
وَأَفْلَجَ بَرَاقِي يَرُوحُ رُضَابُهُ
حَرَامًا عَلَى التَّقْبِيلِ بَسْلًا عَلَى الرَّشْفِ^(١)

وقال علي بن العباس الرومي:

هِيَ الْأَعْيُنُ [النَّجَلُ] الَّتِي أَنْتَ تَشْتَكِي
فَمَا لَكَ تَأْسَى الْآنَ لَمَّا رَأَيْتَهَا
كَذَلِكَ تِلْكَ التُّبُلُ مَنْ قَصَدَتْ [لَهُ]
وَعَزَاكَ عَنْ لَيْلِ الشَّبَابِ مَعَاشِرُ
وَكُلُّ نَهَارِ الْمَرْءِ أَهْدَى لِسَعِيهِ
وَقَفْدُ الشَّبَابِ أَلَمُوتُ يُوجَدُ طَعْمُهُ
أَرَى الدَّهْرَ أَجْرَى لَيْلُهُ وَنَهَارُهُ
وَجَارَ عَلَى لَيْلِ الشَّبَابِ فِضَامُهُ

وقال ابن حازم^(٢):

لَا حِينَ صَبَرَ فَخَلَ الدَّمْعُ يَنْهَمِلُ
كَفَاكَ بِالشَّيْبِ ذَنْبًا عِنْدَ غَائِبَةٍ
لَا تَكْذِبِينَ [فَمَا] الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا
فَقَدْ الشَّبَابُ يَوْمَ الْمَرْءِ مُتَّصِلُ
وَبِالشَّبَابِ شَفِيعًا أَتُهَا الرَّجُلُ
مِنْ الشَّبَابِ يَوْمٍ وَاحِدٍ بَدَلُ

وقال البحتري:

رُبَّ عَيْشٍ لَنَا بَرَامَةً رَطْبُ
وَلَيْالٍ فِيهَا طَوَالٍ قِصَارُ

(١) الديوان ص ١٣٩٥.

(٢) الديوان ٥٨٥/٢.

(٣) هو محمد بن حازم، وقد تقدم التعريف به.

قَبْلَ أَنْ يُقْبَلَ الْمَشِيبُ وَتَبْدُو
كُلُّ عُدْرٍ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَلَكِنْ
هَفَوَاتِ الشَّبَابِ فِي إِدْبَارِ
أَعْوَرَ الْعُدْرِ مِنْ بَيَاضِ الْعِدَارِ^(٤)

وقال جميل بن معمر:

تَقُولُ بُشَيْنَةَ لَمَّا رَأَتْ
كَبُرَتْ جَمِيلٌ وَأَوْدَى الشَّبَابُ
أَتَنَسَّيْنِ أَيْمَانَنَا بِاللَّوَى
وَإِذْ لِمَتِي كَجَنَاحِ الْغُرَا
قَرِيبَانِ مَرَبَعَنَا وَاحِدٌ
فُنُوناً مِنَ الشَّعْرِ الْأَحْمَرِ
فَقُلْتُ بُشَيْنُ أَلَا فَأَقْصِرِي
وَأَيْسَأْنَا بِذَوِي الْأَجْفَرِ
بِ تَطْلِي بِأَلْمَسَاكِ وَالْعَنْبَرِ
فَكَيْفَ كَبُرَتْ وَلَمْ تَكْبَرِي^(٥)

وهذا تعريضٌ مليحٌ، بَلْ هُوَ تَعْيِيرٌ لَهَا صَرِيحٌ، لِأَنَّهُ قَدْ ذَكَرَ أَنَّهَا كَانَتْ قَرِينَيْنِ، وَمُحَالٌ أَنْ يَكْبُرَ وَاحِدٌ وَيَصْغُرَ وَاحِدٌ، فَهُوَ قَدْ عَيَّرَهَا كَمَا عَيَّرْتَهُ، وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ لَمْ يَرِدْ تَعْيِيرُهَا، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنَّ السَّبَبَ الَّذِي ظَهَرَ لَهُ لَيْسَ مِنْ كِبَرِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ لِأَهْوَالِ مَا يَمُرُّ بِهِ، وَأَحْسَنُ مِنْ قَوْلِهِ لَفْظًا وَأَوْضَحُ مَعْنًى.

قول البحتري:

عَيَّرْتَنِي بِالشَّيْبِ وَهِيَ بَدَتْهُ
لَا تَرِيهِ عَارًا فَمَا هُوَ بِأَلِ
وَبَيَاضُ الْبَازِي أَصْلَقُ حُسْنًا
فِي عِدَارِي بِالصَّدِّ وَالْإِجْتِنَابِ
شَيْبٍ وَلَكِنَّهُ جَلَاءُ الشَّبَابِ
إِنْ تَأَمَّلْتَ مِنْ سَوَادِ الْغُرَابِ^(٦)

وقال محمد بن حازم:

نَظَرْتُ إِلَيَّ بِعَيْنٍ مَنْ لَمْ يَعْدِلْ
لَمَّا أَضَاءَتْ بِالشَّيْبِ مَقَارِقِي
لَمَّا تَمَكَّنَ طَرْفُهَا مِنْ مَقَتْلِي
صَدَّتْ صُدُودَ مُقَارِقِي مُتَجَمِّلِ

(٤) ديوان البحتري ص ٩٨٦.

(٥) الديوان ص ٦٤.

(٦) الديوان ص ٨٤.

(٧) في «م» والمطبوع: محمد بن أبي حازم.

فَجَعَلْتُ أَطْلُبُ وَصَلَهَا بِتَذَلُّرٍ
وَالشَّيْبُ يَغْمِزُهَا بِأَلَا تَقْعَلِي
وقال أشجع^(٨):

فَإِنْ تَضَعِ الْأَيَّامَ لِي مِنْ مُتُونِهَا
وَمَوْتُ الْفَتَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ حَيَاتِهِ
فَقَدْ حَمَلْتَنِي فَوْقَ تَاهِلِهَا الصُّبُ
إِذَا كَانَ ذَا حَالَيْنِ يَنْصَبِرُ وَلَا يُصْبِي

وقال أبو الشيص^(٩):

خَلَعَ الصَّبِي عَنْ مَنَكَبِهِ مَشِيبٌ
مَا كَانَ أَنْضَرَ عَيْشُهُ وَأَغْضَهُ
وَطَوَى الذُّوَابِ رَأْسُهُ الْمَخْضُوبِ
أَيَّامَ فَضْلٍ رِدَائِهِ مَسْحُوبِ^(١٠)

وقال الحسين بن الضحاك:

تَذَكَّرَ مِنْ غُرَاتِهِ مَا تَذَكَّرَا
وَمَا بَرَحَتْ عَادَاتُهُ مُسْتَقَرَّةً
يَهُمُّ وَيَسْتَحْيِي تَقَارُبَ خَطْوِهِ
وَلَمْ يَبْقَ فِيهِ إِذْ تَأَمَّلَ شَخْصُهُ
أَلَا لَا أَرَى فِي الْعَيْشِ لِلْمَرْءِ مُتَعَةً
وَأَعُولَ أَيَّامِ الشَّبَابِ فَأَكْثَرَا
وَلَكِنْ أَجَلَ الشَّيْبِ عَنْهَا وَوَقَرَا
فَبِتَرَكُ هَمَّ النَّفْسِ فِي الصَّدْرِ مُضْمَرَا
شَفِيعٌ إِلَى الْحَسَنَاءِ إِلَّا تَنْكَرَا
إِذَا مَا شَبَابُ الْمَرْءِ وَثَى فَادْبَرَا^(١١)

وقال أبو تمام:

شَابَ رَأْسِي وَمَا رَأَيْتُ مَشِيبَ الرَّ
وَكَذَلِكَ الْقُلُوبُ فِي كُلِّ بُؤْسٍ
طَالَ إِنكَارِي أَلْبَاسَ وَإِنْ عَمِمَ
زَارِنِي شَخْصُهُ بِطَلْعَةِ ضَمِيمٍ
أُسِرَ مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الْفُؤَادِ
وَنَعِيمِ طَلَاتِعِ الْأَجْسَادِ
سَرْتُ شَيْئًا أَنْكَرْتُ لَوْنِ السَّوَادِ
عَمَرْتُ مَجْلِسِي مِنَ الْعُودِ^(١٢)

(٨) سبق التعريف به، وهو أشجع السلمي.

(٩) تقدمت ترجمته.

(١٠) ديوان أبي الشيص ص ٢٠، والبيتان في الشعر والشعراء ص ٧٢٣، والصناعتين

ص ٢٩٠.

(١١) انظر أشعار الحسين الخليل، وانظر تخريج الأبيات.

(١٢) ديوان أبي تمام ٣٦٠/١.

وقال أيضاً:

كُلُّ دَاءٍ يُرْجَى الدَّوَاءُ لَهُ
يَا نَسِيبَ اللُّغَامِ ذَنْبُكَ أَبْقَى
وَلَيْشْنُ عَيْنَ مَا رَأَيْنَ لَقَدْ أَنَدَ
لَوْ رَأَى اللَّهُ أَنَّ لِلشَّيْبِ ظَرْفًا

وقال إبراهيم بن هرمة:

أَلَا إِنَّ سَلَمَى الْيَوْمِ جَدْتُ قَوَى الْحَبْلِ
فَإِنْ تَبَكَّهَا يَوْمًا بِعَوْلَةٍ
سَوَى أَنْ رَأَيْنَ الشَّيْبَ أَيْضُ وَاضِحًا

وقال أيضاً:

فِي الشَّيْبِ زَجْرٌ لَهُ لَوْ كَانَ يَنْزَجُرُ
إِبْيَضُ وَأَحْمَرُ مِنْ فَوْدِيهِ وَارْتَجَعَتْ
وَلَفَتِي مُهْلَةٌ فِي الْحَبِّ وَاسِعَةٌ
قَالَتْ مَشِيبٌ وَعِشْقُ رُحْتِ بَيْنَهُمَا

وقال أيضاً:

يَقُولُونَ هَلْ بَعْدَ الثَّلَاثِينَ مَلْعَبُ
لَقَدْ جَلَّ قَدْرُ الشَّيْبِ إِنْ كُنْتُ كُلَّمَا

إِلَّا الْفَظِيعِينَ مَيْتَةً وَمَشِيبًا
حَسَنَاتِي عِنْدَ الْحَسَانِ ذُنُوبًا
كَرَنَ مُسْتَكْرَأً وَعَيْنَ مَعِيبَا
جَاوَرَتْهُ الْأُبْرَارُ فِي الْخُلْدِ شَيْبًا^(١٣)

وَأَرْضَتْ بِكَ الْأَعْدَاءُ مِنْ غَيْرِ مَا دَخَلَ
عَلَى لَطْفٍ فِي جَنْبِ سَلَمَى وَلَا بَذَلَ
كَأَنَّ الَّذِي بِي لَمْ يَنْلِ أَحَدًا قَبْلِي^(١٤)

وَبَالِغٌ مِنْهُ لَوْلَا أَنَّهُ حَجَرُ
جَلِيَّةِ الصُّبْحِ مَا قَدْ أَغْفَلَ السَّحَرُ
مَا لَمْ يَمُتْ فِي نَوَاجِي رَأْسِهِ الشَّعْرُ
وَذَاكَ فِي ذَاكَ ذَنْبٌ لَيْسَ يُغْتَفَرُ^(١٥)

فَقُلْتُ وَهَلْ قَبْلَ الثَّلَاثِينَ مَلْعَبُ
بَدَتْ شَيْبَةٌ يَعْرِى مِنَ اللَّهِو مَرْكَبُ^(١٦)

وهذا لعمري من حسن الكلام وفصيحته، ومن أحسن ما أعرف في التجلد على الشَّيْبِ.

(١٣) المصدر السابق ١/١٦٦.

(١٤) شعر إبراهيم بن هرمة ص ١٨٨.

(١٥) المصدر السابق ص ١١٥.

(١٦) لم أجدهما في المصدر السابق، وهي في شعر يزيد بن مفرغ الحميري ص ٤٥، وانظر تحريجهما.

قول محمد بن عبد الملك:

وَعَائِبُ عَابَنِي بِشَيْبِ
فَقُلْ لِمَنْ عَابَنِي بِشَيْبِي

ولبعض أهل هذا العصر:

وَقَائِلَةٌ قَدْ كَانَ عُذْرُكَ وَاسِعًا
فَقُلْتُ لَهَا وَالْدَّمْعُ جَارٍ كَأَنَّهُ
لَيْشْنُ كَانَ هَذَا الشَّيْبُ غَرْكَ فَاغْلَمِي
أَبَا الشَّيْبِ يُنْهَى عَنْ مُسَاعَدَةِ الْهَوَى

وقال علي بن العباس الرومي:

يَا بَيَاضَ الشَّيْبِ سَوَّدَتْ وَجْهِي
فَلْعَمْرِي لِأَخْفِيَنَّكَ جُهْدِي
وَلْعَمْرِي لِأَتْرُكَنَّكَ لَا تَضُ
بِسَوَادٍ فِيهِ بَيَاضٌ لِوَجْهِي

وقال البحري:

يُفَاوِتُ مِنْ تَأْلِيْفِ شِعْبِي وَشِعْبِهَا
عَسَى بِكَ أَنْ تَذْنُومِينَ الْوَصْلَ بَعْدَمَا
وَلَمْ أَرْضَ بِهَا أَوَانَ مَجِيشَهَا

وقال أيضاً:

وَأَضَلَّلْتُ حِلْمِي فَالْتَفْتُ إِلَى الصَّبِي
فَلِلَّهِ أَيَّامُ الشَّبَابِ وَحُسْنُ مَا

لَمْ يَأَلْ لَمَّا أَلَمَ وَقْتُهُ
يَا عَائِبَ الشَّيْبِ لَا بَلَّغْتُهُ

لَيَالِي كَانَ الشَّعْرُ فِي الرَّأْسِ أَسْوَدًا
نِظَامُ تَعَدَّى سِلْكُهُ مُتَبَدِّدًا
بِأَنِّي صَجِبْتُ الشَّيْبَ مَذْكَ كُنْتُ أَمْرَدًا
وَلَوْلَا الْهَوَى مَا كُنْتُ لِلشَّيْبِ مُسْعِدًا

عِنْدَ بِيضِ الْوُجُوهِ سُودَ الْقُرُونِ
عَنْ عَيَانِي وَعَنْ عَيَانِ الْعُيُونِ
حَكَ فِي رَأْسِ آسِفٍ مَحْزُونِ
وَسَوَادٍ لِوَجْهِكَ الْمَلْعُونِ^(١٧)

تَنَاهَى شَبَابِي وَأَبْتَدَأَ شَبَابَهَا
تَبَاعَدَتْ مِنْ أَسْبَابِهِ وَعَسَى بِهَا
فَكَيْفَ أَرْتِضَائِيهَا أَوَانَ ذَهَابِهَا^(١٨)

سِفَاهًا وَقَدْ جُزْتُ الشَّبَابَ مَرَّاحًا
فَعَلَنْ بِنَا لَوْ لَمْ يَكُنْ قَلَابًا^(١٩)

(١٧) الديوان ص ٢٤٨٣ مع اختلاف في الرواية.

(١٨) الديوان ص ٢٣١.

(١٩) المصدر السابق ص ١٦٠٠.

وقال أبو الشيص:

أَبْقَى الزَّمَانُ بِهِ بُدُوبَ عِيَاضٍ
نَفَرْتُ بِهِ كَأْسُ النَّدِيمِ فَأَعْرَضْتُ
وَلَرُبَّمَا جُعِلَتْ مَحَاسِنُ وَجْهِهِ
أَيَّامَ أَفْرَاسِ الشَّبَابِ جَوَامِحُ

وقال الطائي:

غُرَّةٌ بِهَمَّةٍ أَلَا إِنَّمَا كُنْ
دِقَّةٌ فِي الْحَيَاةِ تُدْعَى جَلَالًا

وقال البحتري:

عَدَلْتَنَا فِي عَشَقِهَا أُمُّ عَمْرٍو
وَرَأَتْ لِمَمَّةٍ أَلَمَ بِهَا الشَّيْبُ
وَلَعَمْرِي لَوْلَا الْأَفَاجِي لَا بَصُرُ
وَسَوَادُ الْعُيُونِ لَوْ لَمْ يُحَسِّنْ
أَيُّ لَيْلٍ يَبْهَى بِغَيْرِ نُجُومٍ

وقال عمر بن أبي ربيعة:

رَأَيْتَنِي خَضِيبَ الرَّأْسِ شَمَرْتُ مِثْرِي
فَقَالَتْ لِأُخْرَى عِنْدَهَا تَعْرِيفُنْهُ
سَوَى أَنَّهُ قَدْ لَاحَتْ الشَّمْسُ لَوْنُهُ
وَلَا حَ قَتِيرُ فِي مَفَارِقِ رَأْسِهِ
وَكَانَ الشَّبَابُ الْغَضُّ كَالْغَيْمِ خِيلَتْ

وَرَمَى سَوَادَ قُرُونِهِ بِبَيَاضٍ
عَنْهُ الْكَوَاعِبُ أَيَّامَ إِعْرَاضٍ
لِجُفُونِهَا غَرَضًا مِنَ الْأَغْرَاضِ
تَأْبَى أَعْنَتَهَا عَلَى الرُّوَاضِ (٢٠)

سُتْ أَغْرًا أَيَّامَ كُنْتُ بِهِمَا
مِثْلُ مَا سَمِيَ اللَّدِيغُ سَلِيمًا (٢١)

هَلْ سَمِعْتُمْ بِالْعَاذِلِ الْمَعْشُوقِ
فَرِيْعَتٍ مِنْ ظُلْمَةٍ فِي شُرُوقِ
تَ أَتَيْتُ الرِّيَاضَ غَيْرَ أَتَيْتُ
بَبِيَّاضٍ مَا كَانَ بِالْمَوْمُوقِ
أَوْ سَحَابٍ تَنْدَى بِغَيْرِ بُرُوقِ (٢٢)

وَقَدْ عَهَدْتَنِي أَسْوَدَ الرَّأْسِ مُسَدِّلاً
أَلَيْسَ بِهِ قَالَتْ بَلَى مَا تَبَدَّلَا
وَفَارَقَ أَشْيَاعَ الصَّبَى وَتَنَقَّلَا
إِذَا غَفَلْتَ عَنْهُ الْخَوَاضِبُ أَنْصَلَا
سَمَاوَتُهُ إِذْ هَبَّتِ الرِّيحُ فَانْجَلَى (٢٣)

وقال منصور النمرى:

مَا تَنْقُضِي حَسْرَةً مِنِّي وَلَا جَزْعُ
بَانَ الشَّبَابُ وَفَاتَتْنِي بِشْرَتُهُ
تَعَجَّبْتُ أَنْ رَأْتُ أَسْرَابَ دَمْعَتِهِ
أَصْبَحَتْ لَمْ تُطْعِمِي كُلَّ الشَّبَابِ وَلَمْ
إِذَا ذَكَرْتُ شَبَاباً لَيْسَ يَرْتَجِعُ
صُرُوفُ دَهْرٍ عَلَى الْأَيَّامِ لِي تَبْعُ
فِي حِلْيَةِ الْخَدِّ أَجْرَاهَا حَشَى وَجَعُ
تَشْجَعِي بِغُصَّتِهِ فَالْعُدْرُ لَا يَقَعُ (٢٤)

□ □ □

(٢٠) ديوان أبي الشيص ص ص ٧١ - ٧٢، وانظر تخريج الأبيات.

(٢١) ديوان أبي تمام ٢٢٣/٣.

(٢٢) الديوان ص ١٤٨١.

(٢٣) لم أجد لها في الديوان.

(٢٤) شعر منصور النمرى ص ص ٩٥، ٩٦ مع اختلاف في الرواية.

مَنْ يَسَّ مِمَّنْ يَهْوَاهُ فَلَمْ يَلْتَفِتْ مِنْ وَتَيْهِ سَلَاهُ

أَلْعَلَّةُ فِي ذَلِكَ أَنَّ أَلْيَاسَ هُوَ مُفَارَقَةُ النَّفْسِ لِلرَّجَاءِ، أَلَّتِي كَانَتْ تَعْتَاضُ بِهِ مِنْ حَالِ الصِّفَاتِ، وَتَمَاسِكُ بِمُسَامَرَتِهِ مِنْ سَطْوَةِ الْفِرَاقِ أَلَّتِي مُنِيَتْ بِمُشَاهَدَتِهِ. فَأَوَّلُ رَوَعَاتِ أَلْيَاسٍ تَلْقَى الْقَلْبَ وَهُوَ غَيْرُ مُسْتَعِدٍّ لِمُقَاوَمَتِهَا، وَلَا مُضَابٍ بِمُشَاهَدَتِهَا، فَتَجَرَّحُهُ دَفْعَةً وَاحِدَةً عَادَةً إِلَى غَيْرِ عَادَةٍ. وَالرَّوْعَةُ الثَّانِيَّةُ تَرُدُّ عَلَى الْقَلْبِ وَقَدْ ذَلَّلَتْهُ لَهَا الرَّوْعَةُ الْأَوَّلَةُ فَلِلثَّانِيَّةِ أَلَمُ الْمُعَاوَدَةِ وَلَيْسَ لَهَا أَلَمٌ. وَفَقَدْ أَلْعَادَةُ الرَّوْعَةُ الْأَوَّلَةُ فِيهَا مُشَاهَدَةُ الْمَكْرُوهِ وَمُفَارَقَةُ مَا تَعَوَّدَتْ مِنْ الْمَحْجُوبِ، فَإِنْ هِيَ لَمْ تَلْتَفِتْ وَفِيهَا مَكْرُوهَانِ لَمْ تَلْتَفِتِ الثَّانِيَّةُ وَلَيْسَ فِيهَا إِلَّا أَحَدُهُمَا. وَكَذَلِكَ كُلُّ رَوْعَةٍ يَجْلِبُهَا الْفِكْرُ، وَالتَّذَكُّرُ، هِيَ أَهْوَنُ [مِنْ] أَلَّتِي قَبْلَهَا، لِأَنَّ الْأَمْتَقْدِمَةَ قَدْ انْدَرَتْ بِهَا وَوُطِّئَتْ أَلْمَوَاضِعُ لَهَا، حَتَّى يَنْحَلُّ ذَلِكَ أَجْمَعٌ مِنَ النَّفْسِ، حَالًا بَعْدَ حَالٍ، لِأَنَّ دَوَامَ الرَّوَعَاتِ إِنَّمَا يَكُونُ بِتَنَازُعِ أَلْمَخَاوِفِ وَأَلْأَمَالِ. فَإِذَا وَقَعَ أَلْيَاسُ زَالَ أَلْخَوْفُ بِوُقُوعِ أَلْمُخَوِفِ، وَأَنْقَطَعَ أَلْأَمَلُ بِذَهَابِ أَلْمَأْمُولِ.

ولعمري لقد أحسن البحري حيث يقول.

حَنِينِي إِلَى ذَاكَ أَلْقَلِيبٍ وَلَوْعَتِي عَلَيْهِ وَقَلْتُ لَوْعَتِي وَحَنِينِي
خَلَا أَمَلِي مِنْ يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدٍ وَأَوْجَشَ فِكْرِي بَعْدَهُ وَظُنُونِي
وَكَانَتْ يَدِي شَلَّتْ وَنَفْسِي تَخَوَّنَتْ وَذُنْيَايَ بَانَتْ يَوْمَ بَانَ وَدِينِي
فَوَا أَسْفِي أَلَا أَكُونُ شَهِدَتْهُ فَجَاشَتْ شِمَالِي عِنْدَهُ وَيَمِينِي (١)

(١) اللديون ص ٢١٨٢.

فَإِذَا بَقِيَتْ أَلْخَوَاطِرُ بِغَيْرِ مُحَرِّكِ، تَحَلَّلَتْ مَضَاضَةُ ذَلِكَ أَلْأَلَمِ أَلَّذِي نَزَلَ بِهَا. أَلَا تَرَى أَنَّ أَلْخَرِيقَ إِذَا صُبَّ عَلَيْهِ أَلْمَاءُ أَفْسَدَ أَلْمَاءُ مُوَضِعًا وَأَفْسَدَتْ أَلنَّارُ آخَرَ؟ ... قَائِمِينَ فَإِذَا ذَهَبَا جَمِيعًا بَقِيَ مِنْ تَأْثِيرِ أَلنَّارِ وَخَرَارَاتٍ، وَمِنْ تَأْثِيرِ أَلْمَاءِ بَرْدٍ وَرُطُوبَاتٍ. ثُمَّ تَحَلَّلَا جَمِيعًا عَلَى مَرِّ الْأَوْقَاتِ، وَأَلْعَلَّةُ فِي قَتْلِ رَوْعَةِ أَلْيَاسِ الْأَوَّلَةِ أَنَّ أَلْقَلْبَ يُحْمَى بِوُرُودِ أَلْمَكَارِهِ عَلَيْهِ. وَسَبِيلُ سَائِرِ أَلْبَدَنِ أَنَّ يَمُدُّ أَلْقَلْبَ بِمِثْلِ مَا فِيهِ مِنْ حَرٍّ أَوْ بَرْدٍ، فَإِذَا كَثُرَ ذَلِكَ أَنْهَتِكَ حِجَابُ أَلْقَلْبِ فَكَانَ أَلتَّلَفُ حِينِيذٍ، لِأَنَّ أَلْقَلْبَ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ أَلَمٌ نِيَّةً غَيْرَ أَلْأَلَمِ أَلْفِكْرَةِ إِلَّا أَتْلَفَ صَاحِبَهُ.

وَالْعَامَّةُ تَقُولُ: شَهَقَ فُلَانٌ فَلَا تَصْدَعْتُ مَرَاتَهُ. وَلَعَمْرِي إِنَّ أَلْمَرَارَةَ تَلْحَمِي، وَلَوْ زَادَتْ خَرَارَتُهَا لَانْصَدَعَتْ، وَلَوْ أَنْصَدَعَتْ لَأَتْلَفَتْ. وَلَكِنْ إِلَى أَنَّ تَحْمِلَ أَلْمَرَارَةُ حُمَى تُصْدَعُهَا [يَكُونُ] قَدْ حَمَى الْقَلْبَ وَتَصْدَعُ بَلْ تَقْطَعُ. وَمِثْلُ ذَلِكَ لَوْ أَنَّ قِدْرًا مِنْ شَمْعٍ وَقَارٍ، ثُمَّ صُبَّ فِيهَا مَاءٌ، ثُمَّ أُوْقِدَ تَحْتَهَا أَلنَّارُ، فَلَعَمْرِي إِنَّ أَلنَّارَ تُذِيبُ أَلْقَارَ، وَإِنَّ أَلْقَارَ إِذَا ذَابَ أَنْصَبَ أَلْمَاءُ غَيْرَ أَنَّ قَبْلَ ذَوْبِ أَلْقَارٍ يَكُونُ أَنْحِلَالُ أَلشَّمْعِ، وَتَلْيِفَةُ أَلنَّارِ، فَكَذَلِكَ أَلْقَلْبُ يَنْهَتِكَ حِجَابُهُ بِأَلْحَرَارَةِ أَلْمُنْحَارَةِ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْهَتِكَ أَلْمَرَارَةِ بِحِينٍ طَوِيلٍ. وَتَظُنُّ أَلْعَامَّةُ بَلْ كَثِيرٌ مِنْ أَلْخَاصَةِ أَنَّ أَلزَّفِيرَ سَبَبُ أَلتَّلَفِ، وَلَيْسَ أَلْأَمْرُ كَذَلِكَ بَلْ [هُوَ] إِذَا أَرَادَ أَللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - سَبَبَ لِدَفْعِ أَلتَّلَفِ. وَذَلِكَ أَنَّ أَلْقَلْبَ إِذَا أَفْرَطَ أَلْحَمِي عَلَيْهِ أَجْتَلَبَتْ لَهُ أَلْقَوَى أَلْغَرِيزِيَّةُ رُوحًا تَدْفَعُ مَضْرَّةَ ذَلِكَ عَنْهَفَتَجَلِبُهُ لَهُ مِنْ نَسِيمِ أَلْهَوَى أَلْخَارِجِ عَنْهُ. فَرُبَّمَا جَاءَ مِنَ أَلنَّاسِ مَا يَدْفَعُ مَضْرَّةَ تِلْكَ أَلْحَرَارَةِ فَيَكُونُ زَفِيرٌ وَلَا يَكُونُ تَلَفٌ وَرُبَّمَا ضَعُفَ أَلنَّسِيمُ أَلْمُجْتَلَبُ، وَحَمِي فِي أَلْمَجَارِي لِشِدَّةِ مَا يَلْقَاهُ مِنَ أَلْحَرَارَاتِ، فَيَعْجَزُ بَرْدُهُ عَنْ دَفْعِ مَضْرَّةِ أَلْحَرَارَةِ أَلْمُحِيطَةِ بِأَلْقَلْبِ، فَتَهْتِكُ أَلْحَرَارَةُ أَلْحِجَابَ، وَيَكُونُ أَلتَّلَفُ، فَلِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَلتَّلَفَ عَلَى أَثَرِ أَلزَّفَرَةِ يَرَوْنَ أَنَّهُ قَدْ وَقَعَ مِنْ أَجْلِهَا، وَهُوَ فِي أَلْحَقِيقَةِ إِنَّمَا وَقَعَ

مِنْ أَجْلِ ضِدِّهَا. وَقَدْ تَقْتُلُ أَيْضاً أَوَّلَ مُفَاجَأَةِ الْفَرَحِ الْغَالِبِ بَرْدَهَا، كَمَا تَقْتُلُ
أَوَّلَ مُفَاجَأَةِ الْحُزَنِ بِإِفْرَاطِ حَرِّهَا، لِأَنَّهُ يَنْحَازُ إِلَى الْقَلْبِ مِنْ سَائِرِ الْأَعْضَاءِ بَرْدٌ
لَا تَفِي بِهِ حَرَارَةُ الْغَرِيزَةِ، فَيَجْمُدُ دَمَ الْقَلْبِ وَيَحْدُثُ التَّلَفُّ. وَلَا يَكُونُ مَعَهُ
زَفِيرٌ وَلَا شَهيقٌ، لِأَنَّ النَّفْسَ لَا تَجْتَلِبُ الْحَرَارَةَ مِنْ خَارِجِ الْبَدَنِ، كَمَا تَجْتَلِبُ
الْبُرُودَةَ. وَقَوْلُهُمْ: «أَقَرَّ اللَّهُ عَيْنَكَ، وَأَسَخَنَ اللَّهُ عَيْنَ فُلَانٍ» إِنَّمَا هُوَ لِأَنَّ
دَمْعَةَ الْحُزَنِ حَارَّةٌ، وَدَمْعَةُ الْفَرَحِ بَارِدَةٌ. وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنَ الْفَرَحِ وَالْحُزَنِ إِذَا
اسْتَوَطَنَ النَّفْسَ أُنِسَتْ بِمُجَاوَرَتِهِ قَلِيلاً، حَتَّى يَصِيرَ كَالْخُلُقِيِّ الْمُعْتَادِ لَهَا
وَكَاالطَّبْعِ الْقَائِمِ بِهَا. وَمِنْ جَيْدِ مَا قِيلَ فِي بَابِ التَّسْلِيِّ عَمَّنْ يَنْسُ مِنْهُ:

هِيَ الشَّمْسُ مَسْكَنُهَا فِي السَّمَاءِ فَعَزَّ الْفُؤَادَ عَزَاءً جَمِيلاً
فَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا الصُّعُودَ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ النُّزُولَ

وقال امرؤ القيس *:

عَيْنَاكَ دَمْعُهُمَا سَجَالٌ كَأَنَّ شَأْنَيْهِمَا أَوْشَالٌ
مِنْ ذِكْرِ لَيْلَى وَأَيَّنَ لَيْلَى وَخَيْرُ مَا نِلْتُ مَا يُنَالُ^(١)

أنشدني أحمد بن يحيى لأم الضحاك المحاربية^(٢):

سَأَلْتُ الْمُحِبِّينَ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا تَبَارِيحَ هَذَا الْحُبِّ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ
فَقُلْتُ لَهُمْ مَا يَذْهَبُ الْحُبُّ بَعْدَ مَا تَبَوَّأَ مَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالصُّدْرِ
فَقَالُوا شِفَاءُ الْحُبِّ حُبُّ يُزِيلُهُ مِنْ آخِرِ أَوْ نَائِي طَوِيلٍ عَلَى هَجْرِ
أَوْ الْيَأْسُ حَتَّى تَذْهَلَ النَّفْسُ بَعْدَ مَا رَجَتْ طَمَعاً وَالْيَأْسُ عَوْنًا عَلَى الصَّبْرِ

وقال آخر:

فَيَا رَبِّ إِنْ أَهْلِكَ وَلَمْ تُرَوْ هَامَتِي بِلَيْلَى أُمْتُ لَا قَبْرَ أَعْطَشُ مِنْ قَبْرِي

(٢) الديوان ص ١٨٢ - ١٨٣.

(٣) لم أمتد إلى ترجمتها.

وَإِنْ أَكُ عَنْ لَيْلَى سَلَوْتُ فَإِنَّمَا
وَإِنْ يَكُ عَنْ لَيْلَى غِنَى وَتَجَلَّدُ

وقال كثير:

وَإِنِّي لَا تَبِيكُكُمْ وَإِنِّي لَرَاجِعٌ
إِذَا دَبَّرَانَ مِنْكَ يَوْمًا لَقِيْتُهُ
فَإِنْ يَسَلْ عَنْكَ الْقَلْبُ أَوْ يَدْعِ الصَّبَى

وقال علي بن محمد العلوي:

كَانَ يُبْكِيَنِي الْغِنَاءُ سُرُورًا
أَوْ مِنْ خَطَرَةِ الْكَبِيرِ إِذَا مَا

وقال البحتري:

أَرْجُو عَوَاطِفَ مِنْ لَيْلَى وَيُؤْسِنِي
وَلَمْ يَعُدْنِي لَهَا طَيْفٌ فَيَجْفَأَنِي

وقال أيضاً:

يَرْجُو مُقَارَنَةَ الْحَبِيبِ وَدُونَهُ
وَمَتَى يُسَاعِدُنَا الْوَصَالُ وَدَهْرُنَا
وَالْيَأْسُ إِحْدَى الرَّاحَتَيْنِ وَلَنْ تَرَى

ولبعض أهل هذا العصر:

سَأَكْفِيكَ نَفْسِي لَا كِفَايَةَ غَادِرٍ

تَسَلَّيْتُ عَنْ يَأْسٍ وَلَمْ أَسَلْ عَنْ صَبْرِ
قُرْبٌ غَنَى نَفْسٍ قَرِيبٌ مِنَ الْفَقْرِ^(٤)

بَغَيْرِ الْجَوَى مِنْ عِنْدِكُمْ لَمْ أُرُودُ
أَوْ مَلُ أُنَ الْقَالِكِ بَعْدُ بِأَسْعَدِ
فَيَا لِيَأْسٍ يَسَلُ عَنْكَ لَا بِالتَّجَلَّدِ^(٥)

فَأَرَانِي أَبْكِي لَهُ الْيَوْمَ حُزْنًا
خَطَرَ الْيَأْسِ دُونَ مَا يَتَمَنَّى

دَوَامُ لَيْلَى عَلَى الْهَجْرِ الَّذِي تَلَدَا
إِلَّا عَلَى أَبْرَحِ الْوَجْدِ الَّذِي عُهِدَا^(٦)

وَجَدْتُ يُسْرِحُ بِالْمَهَارِي الْقُودُ
يَوْمَانِ يَوْمَ نَوَى وَيَوْمَ صُدُودِ
تَعَبًا كَطَنَ الْخَائِبِ الْمَكْدُودِ^(٧)

وَلَا سَامِعًا عَذْلًا وَلَا مُتَعَبًا

(٤) الأبيات في ديوان المجنون ص ١٦٥، وهي بدون نسبة في مجموعة المعاني ص ٢١١

وشرح المرزوقي ص ١٢٢٤.

(٥) ديوان كثير ص ٤٣٥ مع اختلاف في الرواية.

(٦) الديوان ص ٧١٧.

(٧) الديوان ص ٦٩٨.

وَلَكِنْ يَأْسًا لَمْ يَرَ النَّاسَ مِثْلَهُ
وَفِي دُونِ مَا يُلْغَتْهُ بَلْ رَأَيْتُهُ

وله أيضاً:

حَاوَلْتُ أَمْرًا فَلَمْ يَجِرِ الْقَضَاءُ بِهِ
فَقَدْ صَبَرْتُ لِأَمْرِ اللَّهِ مُحْتَسِبًا
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ شُكْرًا لَا شَرِيكَ لَهُ

وقال البحرني:

عَزَيْتُ نَفْسِي بِبَرْدِ الْيَأْسِ بَعْدَهُمْ
إِنْ أَلْتَوَى وَالْهَوَى شَيْثَانٍ مَا اجْتَمَعَا

وقال أيضاً:

مَحَلَّتْنَا وَالْعَيْشُ غَضُّ نَبَاتِهِ
وَلَيْلَى عَلَى الْعَهْدِ الَّذِي كَانَ لَمْ تَغُلْ
وَكُنْتُ أَرْجِي وَصَلَهَا عِنْدَ هَجْرِهَا
وَلَا قُرْبَ إِلَّا أَنْ يُعَاوِدَ ذِكْرَهَا

وقال الأحوص *:

تَذَكَّرْتُ أَيَّامًا مَضِينَ مِنَ الصَّبِيِّ
تَوَمَّلْتُ نُعْمَى أَنْ تَرِيْعَ بِهَا النَّوَى
لَعَمْرِي لَرَاعَتِي نَوَائِحُ غُدُوَّةٍ
فَظَلْتُ كَأَنِّي خَشِيَةَ الْبَيْنِ إِذْ أَنَا

وَصَبِرًا عَلَى مُرِّ الْمَقَادِيرِ مُنْصَبًا
بَلَاغٍ وَلَكِنْ لَا أَرَى عَنْكَ مَذْهَبًا

وَلَا أَرَى أَحَدًا يُعْدَى عَلَى الْقَدَرِ
وَالْيَأْسُ مِنْ أَشْبِهِ الْأَشْيَاءِ بِالظُّفْرِ
مَا أَوْلَعَ الدَّهْرَ وَالْأَيَّامَ بِالْغَيْرِ

وَمَا تَعَزَّيْتُ مِنْ صَبْرٍ وَلَا جَلَدٍ
فَخَلِيَا أَحَدًا يَضْبُو إِلَى أَحَدٍ^(٨)

وَأَفْنِيَةُ الْأَيَّامِ خُضِرَ ظِلَالُهَا
نَوَاهَا وَلَا حَالَتْ إِلَى الصَّدِّ حَالُهَا
فَقَدْ بَانَ مِنِّي هَجْرُهَا وَوَصَالُهَا
وَلَا وَصَلَ إِلَّا أَنْ يُطِيفَ خِيَالُهَا^(٩)

وَهِيَهَاتَ هِيَهَاتَ إِلَيْكَ رُجُوعُهَا
أَلَا حَبْدًا نُعْمَى وَسَوْفَ تَرِيْعُهَا
فَصَدَّعَ قَلْبِي بِالْفِرَاقِ جَمِيعُهَا
أَخُو جَنَّةٍ لَا يَسْتَبِيلُ صَرِيْعُهَا^(١٠)

وقال آخر:

أَمَّا وَاللَّهِ غَيْرَ قَلِيٍّ لِلْيَلَى
لَقَدْ جَعَلْتَ دَوَاوِينَ الْغَوَايِي
وَلَكِنْ يَا لَهُ يَأْسًا مُبِينًا
سِوَى دِيْوَانِ حُبِّكَ يَمَجِّينَا^(١١)

وقال بشار بن برد:

أَحِبُّ بِأَنْ أَكُونَ عَلَى بَيَانٍ
وَأَخْشَى أَنْ أَمُوتَ مِنَ الْبَيَانِ
فَقَدْ أَصْبَحْتُ لَا فَرِحًا بِدُنْيَا
يُقْبِلُنِي الْهَوَى ظَهْرًا لِبَطْنٍ
فَمَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ يَرَانِي^(١٢)

وقال ذو الرمة:

أَفِي كُلِّ أَطْلَالٍ بِهَا مِنْكَ جَنَّةٌ
وَلَا بُدَّ مِنْ مَيٍّ وَقَدْ حِيلَ دُونَهَا
كَمَا جُنَّ مَقْرُونُ الْوُطَيْقَيْنِ نَارُغٍ
فَمَا أَنْتَ فِيمَا بَيْنَ هَاتَيْنِ صَانِعُ

أَمْسَتْ وَجِبَّ أَجَرَ الصُّبُورِ فَكَاطِمٌ

عَلَى التَّوَجُّدِ أَمْ مُبْدِي الضَّمِيرِ فَجَانِعُ^(١٣)

وقال مجنون بني عامر^(١٤):

فَيَا قَلْبَ مَتَّ حُزْنًا وَلَا تَكُ جَارِعًا
هَوَيْتَ فَتَاهُ نَيْلُهَا الْخُلْدُ فَالْتِمَسْ
أَحِنُّ إِلَى نَجْدٍ وَإِنِّي لَيَأْسُ
وَأَنْ يَكُ لَا لَيْلَى وَلَا نَجْدٌ فَاعْتَرِفْ
فَإِنَّ جَزُوعَ الْقَوْمِ لَيْسَ بِخَالِدٍ
سَبِيلًا إِلَى مَا لَسْتَ يَوْمًا بِوَاجِدٍ
طَوَالَ اللَّيَالِي مِنْ قُفُولٍ إِلَى نَجْدٍ
بِهَجْرٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَالْوَعْدِ^(١٥)

وقال آخر:

خَلَّتْ عَنْ ثَرَى نَجْدٍ فَمَا طَابَ بَعْدَهَا
وَلَوْ رَاجَعْتُ نَجْدًا لَطَابَ إِذَنْ نَجْدُ

(١١) ديوان المجنون ص ٢٨٤.

(١٢) ديوان بشار ٢٣٩/٤ عن كتاب «الزهره».

(١٣) الديوان ص ٣٣٤.

(١٤) ديوان المجنون ص ص ١٠٩، ١١٦.

(١٥) في «م» والمطبوع: وإنك.

(٨) المصدر السابق ص ٥٧٣.

(٩) ديوان البحرني ص ٢٨٤.

(١٠) شعر الأحوص ص ١٥٠ وانظر تخريج الأبيات.

هُوَ الْيَأْسُ مِنْ لَيْلَى عَلَى أَنَّ حُبَّهَا مُقِيمُ الْمَرَاثِي لَمْ يَزَلْ عِنْدَنَا بَعْدُ^(١٦)

وقال آخر:

أَلَا لَا أُحِبُّ السَّيْرَ إِلَّا مُصَيِّدًا عَلَى مِثْلِ لَيْلَى يَقْتُلُ الْمَرْءَ نَفْسَهُ
وَلَا الْبَرْقَ إِلَّا أَنْ يُلَوِّحَ بِمَانِيَا وَإِنْ كُنْتُ عَنْ لَيْلَى عَلَى النَّأْيِ طَاوِيَا^(١٧)

ولبعض أهل هذا العصر:

يَقُولُ أَبَعْدَ الْيَأْسِ تَبْكِي صَبَابَةً أَبْكِي عَلَى مَنْ لَسْتُ أَرْجُو أَرْجَاعَهُ
فَقُلْتُ وَهَلْ قَبْلَ الْيَأْسِ بُكَاءُ وَأَبْكِي عَلَى أَنْ لَا يَكُونَ رَجَاءُ

وقال آخر:

يَقُولُونَ عَنْ لَيْلَى عَيْتَ وَإِنَّمَا بِي الْيَأْسُ عَنْ لَيْلَى وَلَيْسَ بِي الصَّبْرُ
فَيَا حَبْدًا لَيْلَى إِذِ الدَّهْرُ صَالِحٌ وَسَقِيًّا لِللَّيْلِ بَعْدَمَا خَبْتُ الدَّهْرُ
وَإِنِّي لَأَهْوَاهَا وَإِنِّي لِأَيْسَ هَوَى وَإِيَّاسَ كَيْفَ ضَمَّهُمَا الصَّدْرُ^(١٨)

وهذا مِنْ أَحْسَنِ مَا مَرَّ وَيَمُرُّ، لِأَنَّهُ قَدْ جَمَعَ لَفْظًا لَطِيفًا وَمَعْنَى مَلِيحًا.
هَذَا الْبَائِسُ قَدْ عَلِمَ أَنَّ الْيَأْسَ لَا يَكُونُ مَعَهُ هَوَى لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، فَأَظْهَرَ
الْتَعَجُّبَ مِنْهُ لِأَنَّهُ خَارِجٌ عَنْ عَادَتِهِ، وَوَجَدَ فِي قَلْبِهِ بَقَايَا مِنَ الْحُزْنِ لِأَنَّهُ
الْفِرَاقُ، وَلَيْسَ هُوَ قَائِمٌ وَلَكِنَّهُ تَأْثِيرُ الْإِحْتِرَاقِ يَزُولُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ، إِذْ
لَمْ يَدْرِكْهُ غَلِيلُ الْإِشْفَاقِ، وَلَمْ تُحَرِّكْهُ غَلَبَاتُ الْإِسْتِيَاقِ، فَظَنَّ لِشِدَّةِ مَضَاضَتِهِ
أَنَّ الْهَوَى بَعْدَ مُقِيمٍ فِي قَلْبِهِ.

وقال آخر:

نَظَرْتُ وَأَصْحَابِي بِنَجْدٍ عُذِّيَّةٍ لِابْصِرْهُمْ أَمْ هَلْ أَرَى فِي مَطْمَعَا

بَنَظَرَةٍ مُشْتَاقٍ رَأَى الْيَأْسَ وَالْهَوَى شَرِبْتُ حَرَازَاتِ الْفِرَاقِ فَلَمْ أَجِدْ
وَقَاسَيْتُ تَفْرِيقَ الْجَمِيعِ فَلَمْ يَدْعُ

وَأُنْشِدُنِي أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ زَيْدِ بْنِ بَكَّارٍ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ:

وَكُنْتُ إِذَا أَشْتَقَيْتُ بِرِيحِ نَجْدٍ وَمَاءِ الْبَيْرِ مِنْ غُلَلٍ شَفَاهَا
فَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ بِهَا أُمُورًا تَقَادَمَ وَهْلَهَا وَبَدَا ثَأَمَا
عَرَجْتُ عَلَى الْمَنَازِلِ غَيْرَ بَغْضٍ وَأَسْمَحَ غُلُوَ نَفْسِكَ عَنْ هَوَاهَا
وَسَاقَتِكَ الْمَقَادِرُ وَاللَّيَالِي إِلَى أَنْ لَا تَرَكَ وَلَا تَرَاهَا^(١٩)

ولبعض أهل هذا العصر:

أَمِنْتُ عَلَيْكَ الدَّهْرَ وَالْدَّهْرُ غَادِرٌ وَسَكَنْتُ قَلْبِي عَنْكَ وَالْقَلْبُ نَافِرٌ
وَمَا ذَاكَ عَنْ إِلْفٍ تَخَيَّرْتُ وَصَلَهُ عَلَيْكَ وَلَا أَنِّي بِعَهْدِكَ غَادِرٌ
وَلَكِنْ صَرَفَ الدَّهْرُ نَدَى عَجَلِ الرَّدَى وَأَيَّاسِنِي مِنْ أَنْ تَدُورَ الدَّوَائِرُ
فَلَسْتُ أَرْجِيهِ وَنَشْتُ أَخَافُهُ وَهَلْ يَرْتَجِي دُرُ الْلَبِّ مَا لَا يُحَازِرُ
إِذَا بَلَغَ الْمَكْرُوهُ بِي غَايَةَ الْمَدَى فَأَهْوَنُ مَا تَجْرِي إِلَيْهِ الْمَقَادِرُ
تَنَاسَيْتُ أَيَّامَ الصَّفَاءِ الَّتِي مَضَتْ لَذِيكَ عَلَى أَنِّي لَهَا الدَّهْرُ ذَاكِرٌ
أُتْبِتُ قَلْبِي عَنْكَ وَالْوُدَّ ثَابِتٌ وَحَلْ تَصْبِرُ الْأَحْشَاءُ وَالْحُزْنُ صَابِرٌ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو لَا إِلَيْكَ فَإِنَّهُ عَلَى رَدِّ أَيَّامِ الصَّفَاءِ لَقَادِرٌ

وقال العتبي^(٢٠):

فَيَا وَجَعَ قَلْبٍ عَذَبَ الْعَيْنَ بِالْبَكَا عَلَى كُلِّ شِفْرِ مِنْ مَدَامِهَا غَرْبٌ
وَيَا وَجَعَ مُشْتَاقٍ مَحَا الْيَأْسَ مَا رَجَا لِحَرْقَتِهِ شَرْقٌ وَلَيْسَ لَهَا غَرْبٌ

(١٩) لم أهد إلى تخرج الأبيات.

(٢٠) سبق أن ترجمنا له.

(١٦) أقول: كأن البيتين مما نسب إلى المجنون!

(١٧) ديوان المجنون ص ٣٠٨.

(١٨) ديوان المجنون ص ٣٢٥.

وقال ذو الرمة:

تَجُنُّ إِلَى مَيِّ كَمَا حَنَ نَارِعُ دَعَاهُ الْهَوَى فَارْتَدَّ مِنْ قَيْدِهِ قَصْرًا
وَلَا مَيِّ إِلَّا أَنْ تَزُورَ بِمَشْرِقِ أَوْ الزُّرْقَى مِنْ أَطْلَالِهَا دِمْنًا قَفْرًا (٢١)

وأنشدني أبو طاهر الدمشقي لبعض الأعراب:

أَظُنُّ الْيَوْمَ آخِرَ عَهْدِ نَجْدٍ أَلَا فَأَقْرَأُ عَلَى نَجْدٍ سَلَامًا
فَرُبَّمَا سَكَنْتُ بِحَرِّ نَجْدٍ وَرُبَّمَا رَكِبْتُ بِهَا السَّوَامَا
وَرُبَّمَا رَأَيْتُ لِأَهْلِ نَجْدٍ عَلَى الْعِلَالِ أَخْلَاقًا كِرَامَا
وَإِنِّي لِلْمُكَلَّفِ حُبِّ نَجْدٍ وَإِنِّي لِلْمُسِيرِ بِهَا السَّقَامَا

فهؤلاء الذين ذكروا أشعارهم قد سلوا على أول روعات اليأس،
فمنهم من تشاغل بإظهار الحنين تحملاً للناس، ومنهم من صرح بالسُّلُو عَنْ
نَفْسِهِ، ومنهم من اشتغل بمعالجة ما بقي من [الهوى] في قلبه.

ونحن الآن نذكر طرفاً من أخبار من تمكنت الروعة الأولى من نفسه،
وتظاهر سلطانها على قلبه، فبلغ إلى ما لا يمكن منه تلافيه ولا ينفع
فيه استعطاف.

حدثني أبو طاهر الدمشقي قال: حدثنا حامد بن يحيى النجلي قال:
حدثنا سفيان قال: حدثنا عبد الملك بن نوفل بن مساحق عن رجل من مزيئة
يقال له: ابن عاصم عن أبيه قال: بعثنا رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - في سرية وقال: إن رأيتم مسجداً أو سمعتم مؤذناً فلا تقتلوا أحداً.
وإننا قد لقينا قوماً فأسرناهم، ورأى نسوة وهو في ذمتهم فدنا إلى هؤلاء أفض
إليهن فدنا إلى امرأة منهن فقال: أسلمي؟ حشيش قبل نفاذ العيش.

أريت إذا طالبتكم فوجدتكم بحليسة أو ألفتكم بالخوانق (*)

(٢١) الديوان ص ١٧٠ مع اختلاف في الرواية.

(*) في الأصل: أريت إذ... فوجدتم.

أَلَمْ يَكْ حَقًّا أَنْ يُسَوَّلَ عَاشِقُ تَكَلَّفَ إِذْلَاجَ السُّرَى وَالسَّوَادِيقِ
فَلَا ذَنْبَ لِي قَدْ قُلْتُ إِذْ أَهْلُنَا مَعًا أَيْبِي بَوْدٌ قَبْلَ إِحْدَى الصَّفَاتِيقِ
أَيْبِي بَوْدٌ قَبْلَ أَنْ تَسْحَطَ النَّوَى وَيُنْأَى الْأَمِيرُ بِالْحَبِيبِ الْمُفَارِيقِ
قَالَ: فَقَالَتْ: وَأَنْتَ فَحِيتَ عَشْرًا وَتِسْعًا وَتَرَا وَتَمَانِيَا تَتَرَا قَالَ: ثُمَّ
قَدَمْنَاهُ فَضَرَبْنَا عُنُقَهُ فَتَزَلَّتْ إِلَيْهِ أَمْرَأَةٌ تَخْصُهُ فَأَكْبَتْ عَلَيْهِ، فَمَا زَالَتْ تَجُنُّ عَلَيْهِ،
حَتَّى مَاتَتْ.

وقال الجاحظ ذكرت لأبي المؤمنين المتوكل لتأديب بعض ولديه،
فلما رأي استبشع منظري فأمر لي بعشرة آلاف وصرفي، فخرجت من عنده
فلقيت محمد بن إبراهيم وهو يريد الإنجدار إلى مدينة السلام فعرض علي
الخروج معه وقرب حرقته ونصب سيارته وأمر بالغناء فاندفعت عوادة
له فغنت:

كُلُّ يَوْمٍ قَطِيعَةٌ وَعِتابٌ يَنْقُضِي دَهْرُنَا وَنَحْنُ غِضَابُ
لَيْتَ شِعْرِي أَنَا خُصِصْتُ بِهَذَا دُونَ ذَا الْخَلْقِ أَمْ كَذَا الْأَحْبَابُ
ثُمَّ سَكَنْتُ وَأَمَرَ طُبُورِيَّةٌ فَغَنَّتْ:

وَأَرْحَمْنَا لِلْعَاشِقِينَ مَا إِنْ أَرَى لَهُمْ مُعِينَا
كَمْ يُهَجِرُونَ وَيُضْرِبُونَ وَيُقْطَعُونَ فَيَصْبِرُونَ

فَقَالَتْ لَهَا الْعَوَادَةُ فَيَصْنَعُونَ مَاذَا قَالَتْ وَيَصْنَعُونَ هَكَذَا وَضَرَبَتْ يَدَهَا
إِلَى السَّيَّارَةِ فَهَتَكَتْهَا وَبَرَزَتْ كَأَنَّهَا فَلَقَهُ قَمَرٌ، فَزَجَّتْ نَفْسَهَا إِلَى الْمَاءِ قَالَ
وَعَلَى رَأْسِ مُحَمَّدٍ غُلَامٌ يَضَاهِيهَا فِي الْجَمَالِ وَيَبْدُو مِثْلَهُ فَلَمَّا رَأَى مَا صَنَعَتْ
أَلْقَى الْمِذْبَةَ مِنْ يَدِهِ وَأَتَى الْمَوْضِعَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَهِيَ تَمُرُّ بَيْنَ الْمَاءِ فَأَنْشَأَ يَقُولُ:
أَنْتِ الَّتِي غَرَّقْتَنِي بَعْدَ الْقَضَا لَوْ تَعْلَمِينَا

وَرَجَّ بِنَفْسِهِ فِي أَثَرِهَا فَأَدَارَ الْمَلَأُحُ [الْحَرَاقَةُ] فَإِذَا بِهِمَا مُعْتَقَانِ. ثُمَّ

غَاصَا فَمَ يُرِيَا فَهَالِ ذَلِكَ مُحَمَّدًا وَاسْتَفْظَعَهُ. وَقَالَ لِي: يَا أَبَا عَمْرٍو لَسَحَدِيْنِي بِحَدِيثِ يَسْلِيْنِي عَنْ فِعْلِ هَذَيْنِ، وَإِلَّا أَلْحَقْتُكَ بِهِمَا، قَالَ: فَحَضَرَنِي خَبْرُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَقَدْ قَعَدَ لِلْمَظَالِمِ وَعُرِضَتْ عَلَيْهِ الْقِصَصُ، فَمَرَّتْ بِهِ قِصَّةٌ فِيهَا إِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - أَنْ يُخْرِجَ إِلَيَّ جَارِيَتَهُ فَلَانَّةٌ حَتَّى تُغْنِيَنِي ثَلَاثَةَ أَصْوَابٍ فَعَلَّ، فَأَعْتَاطَ سُلَيْمَانُ وَأَمَرَ مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ فَيَأْتِيهِ بِرَأْسِهِ، وَاسْتَرْجَعَ وَاتَّبَعَ الرَّسُولَ بِرُسُولٍ آخَرَ يَأْمُرُهُ أَنْ يُدْخَلَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ: مَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: الْيَقَظَةُ بِحَبْلِكَ وَالْإِتْكَالُ عَلَى عَفْوِكَ، فَأَمَرَهُ بِالْقُعُودِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ أَحَدٌ إِلَّا خَرَجَ فَأَمَرَ فَأُخْرِجَتِ الْجَارِيَةُ وَمَعَهَا عُودُهَا ثُمَّ قَالَ: قُلْ لَهَا: غَنِّي فَقَالَ لَهَا أَلْفَتْنِي غَنِّي:

أَفَاطِمَ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا التَّدْلِيلِ
وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَرَمَعْتُ هَجْرِي فَاجْمِلِي (٢٢)

فَعَنَّتَهُ فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ [قُلْ] قَالَ تَأْمُرُ لِي بِرِطْلٍ فَأَتَيْتُ بِرِطْلٍ فَشَرِبْتُهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ: قُلْ قَالَ غَنِّي:
تَأَلَّقَ الْبَرْقُ نَجْدِيًّا فَقُلْتُ لَهُ يَا أَيُّهَا الْبَرْقُ إِنِّي عَنْكَ مَشْغُولُ
فَعَنَّتَهُ فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ قُلْ: قَالَ: تَأْمُرُ لِي بِرِطْلٍ فَأَتَيْتُ بِرِطْلٍ فَشَرِبْتُهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ قُلْ: قَالَ غَنِّي:

حَبِذَا رَجَعَهَا إِلَيْهَا يَدَيْهَا فِي يَدَيِ دِرْعِهَا تَجَلُّ الْإِزَارَا
فَعَنَّتَهُ فَقَالَ لَهُ: قُلْ: قَالَ تَأْمُرُ لِي بِرِطْلٍ فَأَتَيْتُ بِرِطْلٍ، فَمَا اسْتَمَّ شُرْبُهُ حَتَّى وَثَبَ فَصَعِدَ عَلَى قُبَّةٍ لِسُلَيْمَانَ فَرَمَى بِنَفْسِهِ عَلَى دِمَاعِهِ فَقَالَ سُلَيْمَانُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. أَمَرَهُ الْأَحْمَقُ الْجَاهِلُ ظَنَّ أَنِّي أُخْرِجُ الْجَارِيَةَ إِلَيْهِ

(٢٢) البيت مشهور في مطولة امرئ القيس.

وَأَرَدَهَا إِلَى مُلْكِي؟ يَا غُلَمَانُ خُذُوا بِيَدَيْهَا فَانْطَلَقُوا بِهَا إِلَى أَهْلِهِ إِنْ كَانَ لَهُ أَهْلٌ وَإِلَّا فَيُعْمَرُهَا وَتَصَدَّقُوا عَنْهُ، فَلَمَّا انْطَلَقُوا بِهَا نَظَرْتُ إِلَى حُفْرَةٍ فِي دَارِ سُلَيْمَانَ قَدْ أُعِدَّتْ لِلْمَطَرِ، فَجَذَبْتُ نَفْسَهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ وَأَنْشَأْتُ تَقُولُ:

مَنْ مَاتَ عِشْقًا فَلَيْمْتُ هَكَذَا لَا خَيْرَ فِي الْحَبِّ بِلَا مَوْتٍ
وَرَجَحْتُ بِنَفْسِهَا عَلَى دِمَاعِهَا فَمَاتَتْ فَسُرِّي عَنْ مُحَمَّدٍ، وَأَحْسَنَ صَلَاتِي.

وَذَكَرَ لَنَا أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ حُمَيْدٍ الْأَطُوسِيَّ كَانَ جَالِسًا مَعَ نَدَمَائِهِ يَوْمًا فَعَنَّتْ جَارِيَتُهُ لَهُ وَرَاءَ السِّتَارَةِ:

يَا قَمَرَ الْقَصْرِ مَتَى تَطْلُعُ أَشْقَى وَغَيْرِي بِكَ مُسْتَمْتِعُ
إِنْ كَانَ رَبِّي قَدْ قَضَى كُلَّ ذَا مِنْكَ عَلَى رَأْسِي فَمَا أَصْنَعُ

قَالَ وَعَلَى رَأْسِ مُحَمَّدٍ غُلَامٌ بِيَدِهِ قَدَحٌ يَسْقِيهِ، فَرَمَى بِالْقَدَحِ مِنْ يَدِهِ وَقَالَ: تَصْنَعِينَ هَكَذَا، ثُمَّ رَمَى بِنَفْسِهِ مِنَ الدَّارِ إِلَى الدَّجَلَةِ، فَهَتَكَتِ الْجَارِيَةُ السِّتَارَةَ، ثُمَّ رَمَتْ بِنَفْسِهَا عَلَى آثَرِهِ، فَتَرَا الْغَاصَّةُ خَلْفَهَا فَلَمْ يَجِدُوا وَاحِدًا مِنْهُمَا، فَقَطَعَ مُحَمَّدٌ الشُّرْبَ وَقَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ.

وَأَخْبَارُ هَذَا الْأَبَابِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يَتَضَمَّنَهَا مِثْلُ هَذَا الْكِتَابِ غَيْرَ أَنَا أَقْتَصَرْنَا مِنْهَا عَلَى مَا يَكُونُ مَعَهُ مُضِرِّينَ عَنْهَا وَلَا مُكْتَرِبِينَ بِهَا، وَلَقَدْ كَادَتْ شَهْرَتُهَا لَهُ لَتَمْنَعَنَا عَنْ ذِكْرِهَا. غَيْرَ أَنَّهَا كَانَتْ شَاهِدًا لِمَا قَدَّمْنَاهُ وَأَحْبَبْنَا أَنْ يُؤَيَّدَ بِذِكْرِهَا عَلَى مَا شَرَطْنَاهُ.

□ □ □

لَا يُعْرِفُ الْمُقِيمُ عَلَى الْعَهْدِ إِلَّا عِنْدَ فِرَاقٍ أَوْ صَدٍّ

مِنْ شَأْنٍ مَنْ كَانَ مُجَاوِراً لِأَحْبَابِهِ، وَسَامَحْتَهُ الْأَيَّامَ مَحَابِيهِ، أَنْ يَصْرِفَ خَوَاطِرَهُ إِلَيْهِمْ، وَأَنْ لَا يُؤَثِّرَ صُحْبَةُ أَحَدٍ غَيْرِهِمْ عَلَيْهِمْ. بَلِ الْجَارِي مِنْ عَادَةِ أَهْلِ الْأَدَبِ إِذَا أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ يَسْتَقِيلُونَ أَنْ يُظْهِرُوا لَهُ الْمَوَدَّةَ قَبْلَ يَتَقَدُّونَهَا فِي الْحَقِيقَةِ فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ حَالُ أَهْلِ الْأَدَبِ مَعَ مَنْ يُعَاشِرُهُمْ مِنْ غَيْرِ الْأَحْبَابِ، كَانَ أَحْبَابُهُمْ أُخْرَى أَنْ يَغْلِبُوا عَلَى قُلُوبِهِمْ. وَإِنَّمَا يَبِينُ الصَّادِقُ فِي هَوَاهُ، إِذَا فَارَقَهُ أَوْ صَدَّ عَنْهُ مَنْ يَهْوَاهُ، فَأَقَامَ حِينَئِذٍ عَلَيْهِ وَلَمْ يَنْتَقِلْ إِلَى مَا سِوَاهُ.

وأنشدني أحمد بن يحيى النحوي لعمر بن أبي ربيعة:

يَقُولُونَ إِنِّي لَسْتُ أَصْدُقُ فِي الْهَوَى وَإِنِّي لَا أَرْعَاكَ حِينَ تَغِيبُ
فَمَا بَالُ طَرْفِي عَفْءًا تَسَاقَطَتْ لَهُ أَنْفُسٌ مِنْ مَعَشَرٍ وَقُلُوبُ
عَشِيَّةً لَا يَسْتَنْكِرُ الْقَوْمُ إِنْ رَأَوْا سِفَاهَ الْحَجَى مِمَّنْ يُقَالُ لَيْبُ
وَلَا نَظْرَةً مِنْ عَاشِقٍ إِنْ مَضَتْ لَهُ بَعَيْنُ الصَّبَى كَسَلَى الْقِيَامِ لَعُوبُ
يُرَوِّحُ يَرْجُو أَنْ تَحْطُ ذُنُوبُهُ فَرَاخَ وَقَدْ عَادَتْ عَلَيْهِ ذُنُوبُ
وَمَا أَلْشَكَ أَسْلَانِي وَلَكِنْ لِذِي الْهَوَى عَلَى الْعَيْنِ مَيِّ فِي الْفُؤَادِ رَقِيبُ^(١)

ولقد أحسن ذو الرمة حيث يقول:

إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ أَجِدْ رَسِيسَ الْهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةٍ يَبْرَحُ
تَصَرَّفَ أَهْوَاءُ الْقُلُوبِ وَلَا أَرَى نَصِييَكَ مِنْ قَلْبِي لِغَيْرِكَ يُنْمَحُ

أَرَى الْحُبَّ بِالْهَجْرَانِ يُمَحَى فَيَمْتَحِي
أَبِينُ وَشَكْوَى بِالنَّهَارِ شَدِيدُهُ
هِيَ الْبُرَى وَالْأَسْقَامُ وَالْهَمُّ ذِكْرُهَا
ذَا قُلْتُ تَذْنُو مَيَّةً أَغْبَرُ دُونَهَا
فَلَا الْقُرْبُ يُبْدِي مِنْ هَوَاهَا مَلَالَةً

وقال أيضاً:

هَوَاكَ الَّذِي يَنْهَاضُ بَعْدَ أَنْدِمَالِهِ
إِذَا قُلْتُ قَدْ وَدَعْتُهُ رَجَعْتَ بِهِ
وَإِنْ قُلْتُ يَسْلُو حُبِّ مَيَّةٍ قَلْبُهُ

وقال أيضاً:

يَزِيدُ التَّنَائِي ضَلَّ خَرَقَاءَ جَدَّةٍ
لَقَدْ أَشْرَبَتْ نَفْسِي لِمَيِّ مَوَدَّةٍ

وقال أيضاً:

فَلَمْ يَبْقَ مِمَّا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
أَصِيدَاءُ هَلْ قَيْظُ الرَّمَادَةِ رَاجِعُ
سَوَاءٌ عَلَيْكَ الْيَوْمَ إِنْصَاعَتِ النَّوَى
إِذَا لَمْ تَزُرْهَا مِنْ قَرِيبٍ تَنَاوَلْتُ

وقال أيضاً:

وَلَمْ تُسَيِّنِي مَيًّا نَوَى ذَاتُ غَرْبَةٍ

وَحُبُّكَ مِمَّا يَسْتَجِدُّ وَيَذْبَحُ
عَلَيَّ وَمَا يَأْتِي بِهِ اللَّيْلُ أَبْرَحُ
وَمَوْتُ الْهَوَى لَوْلَا التَّنَائِي الْمُبْرَحُ
فَيَافٍ لَطَرْفِ الْعَيْنِ فِيهِنَّ مَطْرَحُ
[وَلَا حُبَّهَا] إِنْ تَنْزَحِ الدَّارُ يَنْزَحُ^(٢)

كَمَا هَاضَ حَدٍ مُتَعَبٌ صَاحِبُ الْكُسْرِ
شُجُونٌ وَأَذْكَارُ تَرَدَّدُ فِي الصَّدْرِ
أَبَى حُبَّهَا إِلَّا بَقَاءً عَلَى الْهَجْرِ^(٣)

إِذَا حَانَ أَرْمَاتُ الْجِبَالِ وَصُورُهَا
تَقْضَى اللَّيَالِي وَهِيَ بَاقٍ وَسِيلُهَا^(٤)

مِنْ الْوَصْلِ إِلَّا مَا تَجَنُّ الْجَوَانِحُ
لِيَالِيهِ أَوْ أَيَّامُهُنَّ الصَّوَالِحُ
بَصِيدَاءُ أَمْ أَنْحَى لَكَ السَّيْفُ ذَابِحُ
بَنَّا دَارَ صَيْدَاءِ الْقِلَاصِ الْطَّلَاحُ^(٥)

شَطُونٌ وَلَا الْمُسْتَطَرَفَاتُ الْأَوَانِسُ

(٢) الديوان ص ٧٨.

(٣) المصدر السابق ص ٢٦٢.

(٤) المصدر السابق ص ٥٤٦.

(٥) المصدر السابق ص ٩٦.

إِذَا قُلْتُ أَسْلُو عَنْكَ يَا مَيِّ لَمْ يَزَلْ
فَكَيْفَ بَمَيِّ لَا تُؤَاتِيكَ دَارَهَا
وقال هذبة بن خشرم:

يَجِدُ النَّأْيُ ذِكْرَكَ فِي فُؤَادِي
وَقَدْ عَلِمْتُ سُلَيْمَى أَنْ عُوْدِي
عَسَى الْكَرْبُ الَّذِي أُمْسِيَتْ فِيهِ
وقال آخر:

وَإِنِّي وَإِسْمَاعِيلُ يَوْمَ أَفْتَرَاقِنَا
فَإِنْ أَغْشَى قَوْمًا بَعْدَهُ أَوْ أَرْزَهُمْ
وقال العرجي:

أَلَا أَيُّهَا الرَّبُّعُ الَّذِي بَانَ أَهْلُهُ
هَلْ أَنْتَ مُجِيبٌ أَيْنَ أَهْلُكَ ذَا هَوَى
وَأَيُّ بِلَادٍ إِلَهُ حَلُّوا فَإِنِّي

وقال الحسين بن الضحاك:
لَشَتَانِ إِشْفَاقِي عَلَيْكَ وَقَسْوَةٍ
وَمَا حُلْتُ لِلْهَجْرَانِ عَنْ حَالِ صَبَوَةٍ

وقال سحيم عبد بني الحسحاس^(١٠):

فَمَا بَيِّضَةُ بَاتِ الظِّلِّيمُ يَحْفُفُهَا
وَيَرْفَعُ عَنْهَا جُوجُوءًا مُتَجَافِيَا

(٦) المصدر السابق ص ٣١٢.

(٧) شعر هذبة ص ص ٥٣، ٥٤، ٥٥ وانظر التخريج.

(٨) الديوان ص ٢٠ مع اختلاف في الرواية.

(٩) أشعار الحسين الخليل، وانظر التخريج.

(١٠) في «م» والمطبوع: الحسحاس الأسدي، والأبيات في الديوان ص ١٨ مع اختلاف في الرواية.

وَيَكْشِفُ عَنْهَا وَهِيَ بَيَّضَاءُ ظِلُّهُ
بِأَحْسَنِ مِنْهَا يَوْمَ قَالَتْ أَرَايَحُ
فَإِنْ تَبَيَّ لَا تَمْلِكُ وَإِنْ تُضَحَّ غَادِيَا
وقال تائب شرأ^(١١):

أَلَمْ تَبَيِّلِ الْيَوْمَ الْحُمُولَ الْبَوَاكِرُ
وَشَاقَتْكَ هِنْدُ يَوْمَ فَارَقَ أَهْلُهَا
فَإِنْ تَصْرِمْنِي أَوْ تُسَيِّ لِعِشْرَتِي

وقال أبو ذؤيب الهذلي:

فَإِنْ وَصَلْتَ حَبْلَ الصَّفَاءِ نَدَمَ لَهَا
لَعَمْرِي لَأَنْتَ أَلْبَيْتُ أَكْرَمَ أَهْلُهُ
فَتِلْكَ أَلْبَيِّ لَا يَسْرُحُ الْقَلْبُ حُبَّهَا
وَحَتَّى يَأْوُبَ الْفَارِطَانِ كِلَاهُمَا

وقال زهير:

تَأْوِيَنِي ذِكْرُ الْأَجْبَةِ بَعْدَمَا
وَكُلُّ مُجِبٍّ يُحْدِثُ النَّأْيُ بَعْدَهُ

وقال جميل بن معمر:

وَمَا أَحْدَثَ النَّأْيُ الْمُفَرِّقُ بَيْنَنَا
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ إِذَا كَانَ بَعْدَهُ

وَقَدْ رَاجَعْتَ قَرْنًا مِنَ الشَّمْسِ ضَاحِيَا
مَعَ الرُّكْبِ أَمْ نَاوٍ لَدَيْنَا لَيَالِيَا
تَزَوَّدَ وَتَرْجَعُ عَنْ عَمِيرَةٍ وَاقِيَا
وقال تائب شرأ^(١١):

بَلَى فَأَعْتَرَفَ صَبْرًا فَهَلْ أَنْتَ صَابِرُ
بِهَا أَسْفَا إِنَّ الْخُطُوبَ تَغَادِرُ
فَلَيْتَنِي لَصْرَامُ الْقَرِينِ مُعَاشِرُ

وَإِنْ صَرَمْتَهُ فَأَنْصَرِفَ عَنْ تَجَامُلِ
وَأَقْعُدُ فِي أَفْنَائِهِ بِالْأَصَائِلِ
وَأَذْكُرُهَا مَا أَرْزَمْتُ أَمْ حَائِلِ
وَيُنْشَرُ فِي الْهَلَكَى كُلِّيبَ لَوَائِلِ^(١٢)

هَجَعْتُ وَدُونِي قُلَّةُ الْحَزَنِ وَالرَّمْلُ
سَلُّو فُؤَادٍ غَيْرَ حُبِّكَ مَا يَسْلُو^(١٣)

سَلُّوْا وَلَا طُولُ اجْتِمَاعٍ تَقَالِيَا
تَلَاقٍ وَلَكِنْ مَا إِخَالُ تَلَاقِيَا^(١٤)

(١١) هو ثابت بن عمل، انظر الشعر والشعراء (لیدن) ص ص ١٧٤ - ١٧٧.

(١٢) الأبيات في شرح أشعار الهذليين ٤٢/١، ١٤٧.

(١٣) شرح ديوان زهير ص ص ٩٧ - ٩٨.

(١٤) الديوان ص ١٣٩.

وقال عروة بن حزام:

فَوَاللَّهِ لَا أُنْسَاكِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا
وَلَسْتُ أَرَى نَفْسِي عَلَى طُولِ نَائِكُمْ
فَأَوَّلُ ذِكْرِي أَنْتِ فِي كُلِّ مَصْبَحٍ
فَوَاكِدًا أَصَحَّتْ قَرِيحًا كَأَنَّمَا

وقال آخر:

لَا وَالَّذِي عَمَدَ الْحُجَّاجُ كَعْبَتَهُ
لَا تَذْهَلُ النَّفْسُ عَنْ لَيْلِي وَإِنْ ذَهَلَتْ

وقال البحرني:

تَقْضَى الصَّبَا إِلَّا خَبَالًا يَعُودُنِي
فَيَذْكُرُنِي الْوَصْلُ الْقَدِيمَ وَلَيْلَةً
وَعَهْدًا أَبْنَا فِيهِ إِلَّا تَبَايُنًا
إِذَا أَلْتَهَبَتْ فِي لَحْظِ عَيْنِهِ غَضَبَةً

وقال الضحاك بن عقيل (١٧):

أَسْمَاءُ إِنَّ أَلْيَاسَ مُسَلٍّ ذَوِي أَلْهَوَى
أَرَى حَرْجًا مَا نِلْتُ مِنْ وَدٍّ غَيْرِكُمْ

وقال الهذلي:

وَإِنِّي عَلَى أَنْ قَدْ تَجَشَّمْتُ هَجْرَهَا
يُؤَافِيكَ مِنْهَا طَارِقٌ كُلُّ لَيْلَةٍ

(١٥) شعر عروة ص ٣٠ البيتان الأول والرابع، ولم أجد الثاني والثالث.

(١٦) ديوان البحرني ص ٨٧٧.

(١٧) ورد هذا الشاعر مرتين في الصفحات المقدمة، وقد أشرنا إلى عدم اعتدائنا إلى معرفته.

وقال ابن الدميني:

وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِيكَ حَتَّى كَأَنَّمَا
حِذَارُ الْقَلَى وَالصَّرْمُ مِنْكَ وَإِنِّي
فِيَا حَسَرَاتِ النَّفْسِ مِنْ غُرْبَةِ النَّوَى
وَمِنْ خَطَرَاتِ تَعْتِيرِنِي وَزُفْرَةٍ
عَلَيَّ بَظْهَرِ الْغَيْبِ مِنْكَ رَقِيبُ
عَلَى الْعَهْدِ مَا دَاوَمْتَنِي لَصْلِبُ
إِذَا اقْتَسَمْتَهَا نَيْتٌ وَشَعُوبُ
لَهَا بَيْنَ جِلْدِي وَالْعِظَامِ دَبِيبُ (١٨)

أَمَا هَذَا فَقَدْ أَحْسَنَ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ، وَبَرَدَ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي، إِذْ جَعَلَ
عِلَّتَهُ فِي الْوَفَاءِ لَهَا حِذَارَ قِلَاحَا وَصَرْمَهَا. وَعَلَى أَنَّهُ لَمْ يَرْضَ أَيْضًا بِذَلِكَ حَتَّى
جَعَلَ مَدَاوَمَتَهُ عَلَيْهَا مُتَّصِلَةً بِمَدَاوَمَتِهَا عَلَيْهِ، لَا غَيْرَ، وَهَذِهِ حَالُ مُفْرِطَةٍ
الْخَسَاسَةِ مُتَّاهِيَةِ الْقَبَاحَةِ.

ولبعض أهل هذا العصر:

يَا غَارِسَ الْحُبِّ بَيْنَ الْقَلْبِ وَالْكَبِدِ
إِذَا دَعَاهَا أَلْيَاسُ قَلْبِي عَنْكَ قَالَ لَهُ
يَا مَنْ تَقَوْمُ مَقَامِ الْمَوْتِ فُرْقَتُهُ
قَدْ جَاوَزَ الشُّوقُ بِي أَقْصَى مَرَاتِبِهِ
وَاللَّهِ لَا أَلْفَتُ نَفْسِي سِوَاكَ وَلَوْ
إِنْ تُوَفِّ لِي لَا أَرِدُ مَا دُمْتُ لِي بَدَلًا
هَتَكَتْ بِأَلْهَجْرِ بَيْنَ الصَّبْرِ وَالْجَلْدِ
حُسْنُ الرَّجَاءِ فَلَمْ يَصُدِّرْ وَلَمْ يَرِدْ
وَمَنْ يَجُلُ مَحَلَّ الرُّوحِ مِنْ جَسَدِي
فَإِنْ طَلَبْتُ مَزِيدًا مِنْهُ لَمْ أَجِدْ
فَرَّقَتْ بِأَلْهَجْرِ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ
وَإِنْ تَعَزَّيْتُ لَمْ أُرْكِزْ إِلَى أَحَدٍ

وقال آخر:

أَهْجِرًا وَقِيدًا وَأَشْتِيَاقًا وَغُرْبَةً
وَإِنْ أَمْرَةً دَامَتْ مَوَائِقُ عَهْدِهِ
وَهَجَرَ حَبِيبٍ إِنَّ ذَا لَعَظِيمُ
عَلَى مِثْلِ مَا قَاسَيْتُهُ لَكَرِيمُ

(١٨) البيتان في شرح أشعار الهذليين ص ٤٤٤.

(١٩) الأبيات في الديوان ص ١٠٦ - ١٠٧، وهي في أشعار المجنون، الديوان ص ٥١.

وقال معاذ ليلي :

وَلِلنَّفْسِ سَاعَاتٌ تَهْشُ لِذِكْرِهَا
فَإِنْ تَكْ لَيْلَى اسْتَوْدَعْتَنِي أَمَانَةً

وقال المؤمل (٢١):

لَسْنَا بِسَالِينَ إِنْ سَلَوْا أَبَدًا
نَحْنُ إِذَا فِي الْجَفَاءِ مِثْلُهُمْ
إِنْ يَقْطَعُونَا فَطَالَمَا وَصَلُوا

وقال البحرى :

أَلَا أَمْ عَلَى هَوَاكَ وَلَيْسَ عَدْلًا
أَعْيِدِي فِي نَظْرَةِ مُسْتَشِيبٍ
تَرَنِي كَبِدًا مُحَرَّقَةً وَعَيْنًا
لَقِنْ أَصْحَتْ مَحَلَّتْنَا عِرْقًا
فَلَمْ أُحْدِثْ لَهَا إِلَّا وَدَادًا

وقال أيضاً :

هَجَرْتَنَا عَنْ غَيْرِ جُزْمٍ نَوَارٍ
وَأَقَامَتْ بِجَوِّ بَطْيَاسٍ حَتَّى
إِنْ جَرَى بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَجْرٌ
فَالْغَلِيلُ الَّذِي عَلِمْتَ مُقِيمٌ
وَلَدَيْهَا الْحَاجَاتُ وَالْأَوْطَارُ
كَثُرَ اللَّيْلُ دُونَهَا وَالنَّهَارُ
وَتَنَاءَتْ مِنَّا وَمِنْكَ الْدِيَارُ
وَالْدُمُوعُ الَّتِي عَهَدْتَ غِزَارُ (٢٣)

(٢٠) الأبيات في ديوان المجنون ص ٢٦٨، وهي في أمالي القالي ١/ ٧٠ - ٧١ بدون نسبة،

ونسبت إلى ابن الدمينه (طبعة قديمة) ص ٥١.

(٢١) هو المؤمل المحاربى وقد عرفنا به.

(٢٢) الديوان ص ٢٠٠٤.

(٢٣) ديوان البحرى ص ٨٥٢.

وقال مجنون بني عامر:

وَتَعَذُّبُ لِي مِنْ غَيْرِهَا فَأَعَافُهَا
وَأَمْنُحُهَا أَقْصَى هَوَايَ وَإِنِّي
مَشَارِبُ فِيهَا مُقْنِعٌ لَوْ أُرِيدُهَا
عَلَى ثِقَةٍ مِنْ أَنَّ حَظِّي صُدُودُهَا (٢٤)

وقال نصيب:

أَصَدْتُ غَدَاةَ الْجَزَعِ ذِي الطَّلَحِ زَيْنَبُ
وَقَدْ عَيْتُ فِيمَا مَضَى وَهِيَ خُلَّةٌ
تَرَى عَجَبًا فِي غِبْطَةٍ أَنْ نَزُورَهَا
وَفِي الرُّكْبِ جِثْمَانِي وَنَفْسِي رَهِينَةٌ
تَقَطَّعُ مِنْهَا حَبْلُهَا أَمْ تَقْضِبُ
صَدِيقُ لَنَا أَوْ ذَاكَ مَا كُنْتُ أَحْسِبُ
وَنَحْنُ بِهَا مِنْهَا أَسْرُ وَأَعْجَبُ
لِزَيْنَبَ لَمْ أَذْهَبْ بِهَا حِينَ أَذْهَبُ
عَلَى نَائِيهَا نَصْبٌ لِقَلْبِكَ مُنْصَبُ (٢٥)

وقال آخر:

حَلَفْتُ لَهَا بِمَا نَحْتُ قُرَيْشُ
لَأَنْتِ عَلَى التَّنَائِي فَاعْلَمِيهِ
يَمِينًا وَالسَّوَانِحُ يَوْمَ جَمْعِ (*)
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ بَصَرِي وَسَمْعِي

(٢٤) ديوان المجنون ص ١٠٧ عن كتاب «الزهرة».

(٢٥) شعر نصيب ص ٦١ عن كتاب «الزهرة».

(*) في الأصل والمطبوع: نحت (كدا).

قَلِيلُ الْوَفَاءِ بَعْدَ الْوَفَاةِ أَجَلٌ مِنْ كَثِيرِهِ وَقَتَ الْحَيَاةِ

الْوَفَاءُ اسْمٌ لِلثَّبَاتِ عَلَى الشَّرَائِطِ فَكُلُّ مَنْ عَقَدَ عَلَى نَفْسِهِ، أَوْ عَقَدَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، مِمَّنْ يُلْزِمُهُ عَقْدُهُ شَيْئًا فَثَبَّتَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَزَلْ عَنْهُ، سُمِّيَ مُوفِيًّا. وَكُلُّ مَنْ شَرَطَ عَلَى نَفْسِهِ شَرْطًا [وَأَزَالَ عَنْهُ لِلزَّوَالِ سُمِّيَ غَادِرًا. وَلَيْسَ يُسَمَّى مُوفِيًّا مَنْ فَعَلَ فِعْلًا جَمِيلًا لَمْ يَشْتَرِطْ عَلَى نَفْسِهِ فِعْلُهُ وَلَا شَرَطَهُ عَلَيْهِ مَنْ يُلْزِمُهُ شَرْطُهُ. وَلَا يُسَمَّى غَادِرًا مَنْ فَعَلَ فِعْلًا قَبِيحًا لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ تَرْكُهُ، وَلَا شَرَطَ عَلَيْهِ مَنْ يَجِبُ شَرْطُهُ، فَالْمَحْبُوبُ [يَكُونُ] مُوفِيًّا لِمُحِبِّهِ وَيَكُونُ غَادِرًا بَعْدِهِ. وَالْمُحِبُّ لَا يَكُونُ مُوفِيًّا وَلَا غَادِرًا لِأَنَّ مَحَبَّتَهُ قَائِدَةٌ لَهُ إِلَى مَحَابِّ إِلَهِهِ، فِيمَا يَصْلُحُ الْإِنْفِاقَ إِلَى مِثْلِهِ. فَهُوَ يَأْتِي طَاعَتَهُ بِطَبْعِهِ لَا وَفَاءً بِشَرْطٍ لَزِمَهُ، وَكُلُّ مَنْ لَمْ يَصْلُحْ أَنْ يُسَمَّى مُوفِيًّا، لَمْ يَصْلُحْ أَنْ يُسَمَّى غَادِرًا وَإِنَّمَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ الْمَحْبُوبُ مُوفِيًّا وَغَادِرًا، لِأَنَّهُ يَأْتِي مَا يَأْتِيهِ مُخْتَارًا، وَيَشْرُطُ لِإِلَهِهِ الشَّرَائِطَ عَلَى نَفْسِهِ، فَيَفْعَلُ مَا ضَمِنَ أَوْ يَتْرُكُهُ فَيَكُونُ مُوفِيًّا أَوْ غَادِرًا بِفِعْلِهِ، أَوْ تَرْكِهِ. وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ مِنْ أَنَّ الْمُحِبَّ لَا يَكُونُ مُوفِيًّا وَلَا غَادِرًا إِنَّمَا هُوَ مَا دَامَتْ مَحَبَّتُهُ قَائِمَةً، فَإِنَّمَا إِذَا زَالَتِ الْمَحَبَّةُ بَسُلُو عَارِضٍ، أَوْ يَوَفَاةِ الْمَحْبُوبِ فَالْمُحِبُّ حِينَئِذٍ يَكُونُ مُوفِيًّا غَادِرًا.

قالت امرأة من عامر بن صبرة^(١):

وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِيهِ وَالْتُّرْبُ بَيْنَنَا كَمَا كُنْتُ أَسْتَحْيِيهِ حِينَ يَرَانِي
أَهَابُكَ إِجْلَالًا وَإِنْ كُنْتُ فِي التُّرَى لِسُجُودِكَ يَوْمًا إِنْ يَسُوكُ مَكَانِي

(١) لعل الأصل: عامر بن صبرة أوصيعة!

وَيُرَوَّى عَنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ أَنَّهَا زَارَتْ يَوْمًا زَوْجَهَا وَعَلَيْهَا حِلْيٌ وَثِيَابٌ مُصَبَّغَةٌ فَالْتَزَمَتْ الْقَبْرَ ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ:

يَا صَاحِبَ الْقَبْرِ يَا مَنْ كَانَ يَنْعَمُ بِي عَيْشًا وَيُكَيِّرُ فِي الدُّنْيَا مُوَاتَايَ
نَسِيتَ مَا كُنْتُ مِنْ قُرْبِي تُحِبُّ وَمَا قَدْ كَانَ يُلْهِيكُ مِنْ تَرْجِيحِ أَصْوَاتِي
أَزُورُ قَبْرَكَ فِي حَلْيٍ وَفِي حُلَلٍ كَأَنِّي لَسْتُ مِنْ أَهْلِ الْمَصِيبَاتِ
فَمَنْ رَأَى مِنْ حُزْنِي مُفْجَعَةً طَوِيلَةَ الْحُزْنِ فِي زُورٍ أَمْوَاتِ

فَبَيْنَمَا هِيَ مُلْتَزِمَةٌ الْقَبْرِ إِذْ شَهَقَتْ شَهَقَةً فَمَاتَتْ وَلَيْسَ مَوْتُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ بَعْدَ وَفَاةِ زَوْجِهَا بِمُدَّةٍ نَقْضًا لِمَا قَدْ مَنَّا ذِكْرَهُ فِي الْبَابِ [الَّذِي] ذَكَرْنَا فِيهِ: أَنَّ مَنْ يَتَّسِقُ بِمَنْ يَهْوَاهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ مِنْ وَقْتِهِ سَلَاهُ، لِمَا قَدْ مَنَّا فِي ذَلِكَ مِنَ الْبُرْهَانِ، وَأَرَيْنَا فِيهِ مِنَ الْأَمْثَالِ.

وَنَحْنُ نَقُولُ الْآنَ مَنْ فَجَأَهُ الْحُزْنُ دَفْعَةً وَاحِدَةً مِنْ غَيْرِ مُقَدِّمَةٍ، حَتَّى يَمْضِي عَلَيْهِ مُدَّةٌ خَوْفِ جَوَى وَلَا جِذَارِ طَبِيعِي لَمْ يُسْتَنْكَرْ مِنْهُ أَنْ يَزُولَ تَمَيُّزُهُ، فَلَا يَنْهَمُ مَا نَزَلَ بِهِ حَتَّى تَمْضِيَ عَلَيْهِ مُدَّةٌ مُتَطَاوِلَةٌ. فَرُبَّمَا أَنْحَلَتْ سَكَرَتُهُ إِلَى إِفَاقَةِ سُلُوقِ مَرِيحٍ، وَرُبَّمَا أَنْحَلَتْ بِوُقُوعِ تَلْفٍ صَحِيحٍ. وَعَلَى أَنَّ الضَّئِينَ الْمَشْفِقَ الْعَالِمَ بِنُوبِ الزَّمَانِ، وَالْمُسْتَعِدَّ لِحُطُوبِ الْأَيَّامِ، قَدْ يَلْحَقُهُ بِمُفَاجَأَةِ الْمَكْرُوهِ مَا يَزِيلُ تَمَيُّزَهُ، وَيُبْطِلُ تَدْبِيرَهُ، وَيُنْسِيهِ مَا كَانَ ذَاكِرًا لَهُ وَلِمُعْتَرِفَاتِهِ.

وَهَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَالَهُ مِنْ وَفَاةِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَا لَا خَفَاءَ بِهِ عَلَى الْخَاصَّةِ وَلَا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْعَامَّةِ مِنْ أَنْتَضَائِهِ سَنَفُهُ وَقَوْلِهِ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ لَا يَمُوتُ وَلَيَقُومَنَّ، فَلَيَقْطَعَنَّ أَيْدِي رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ حَتَّى قَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: إِنَّ - جَلَّ وَعَزَّ - يَقُولُ: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ»^(٢).

(٢) سورة الزمر.

قَالَ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَكَأَنِّي لَمْ أَسْمَعُهُ إِلَّا يَوْمَئِذٍ.

وَيُرَوَّى عَنْ أَبَانَ بْنِ تَغْلِبٍ أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَا أَنَا فِي بَعْضِ الْفُلُوتِ فِي طَلَبِ ذَوْدٍ ضَالَّةٍ، إِذْ بَصُرْتُ بِجَارِيَةٍ أَعْسَى إِشْرَاقُ وَجْهِهَا بِصَرِي، فَقَالَتْ لِي: مَا لِي أَرَاكَ مُدْلِهَا؟ قُلْتُ: فِي طَلَبِ ذَوْدٍ لِي ضَالَّةٍ، قَالَتْ: هَلْ أَذُوكَ عَلَى مَنْ يَعْلَمُ عِلْمَهُنَّ، فَإِنْ شَاءَ رَدُّهُنَّ عَلَيْكَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ بِأَبِي أَنْتِ مُسْرِعَا، قَالَتْ: إِنَّ الَّذِي أَعْطَاكَهُنَّ هُوَ الَّذِي أَخَذَهُنَّ، فَاسْأَلْهُ مِنْ طَرِيقِ الْيَقِينِ لَا مِنْ طَرِيقِ الْإِخْتِيَارِ. فَلَمَّا رَأَيْتُ حُسْنَ مَنَظَرِهَا وَحِلَاوَةَ مَنَظِقِهَا، قُلْتُ: هَلْ لَكَ مِنْ زَوْجٍ قَالَتْ كَانَ فُدْعِي فَعَادَ إِلَى مَا مِنْهُ خُلِقَ، فَأَجَابَ، فَقُلْتُ: فَهَلْ لَكَ مِنْ زَوْجٍ لَا تُخْشَى بَوَائِقَهُ، وَلَا تُذَمُّ خِلَافَتُهُ، فَاطْرَقَتْ مَلِيًّا وَعَيْنَاهَا تَهْمَلَانِ بِالْأُذْمُوعِ ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ:

كُنَّا كَغُصْنَيْنِ فِي أَرْضٍ غِذَاوُهُمَا مَاءُ الْجَدَاوِلِ فِي رَوْضَاتِ جَنَاتٍ
وَكَانَ عَاهِدَنِي إِنْ خَانَنِي زَمَنٌ أَلَّا يُضَاجِعَ أَتْنِي بَعْدَ مَثَوَاتِي
وَكُنْتُ عَاهِدْتُهُ أَيْضًا فَعَاجَلَهُ رَبُّ الْمُنُونِ قَرِيبًا مُذْ سُنَيَاتٍ
فَارْدَعَ عِنَانَكَ عَمَّنْ لَيْسَ يَخْلِيهَا عَنِ الْوَفَاءِ خِلَابٌ بِالْتَّجِيَّاتِ

وَيُرَوَّى عَنِ الْأَصْمَعِيِّ أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ فَإِذَا بِأَمْرَأَةٍ تَنُوحُ عَلَى قَبْرِ وَهِي مُسْفِرَةٌ فَلَمَّا رَأَيْتَنِي غَطَّتْ وَجْهَهَا ثُمَّ كَشَفَتْهُ فَقَالَتْ:

لَا صُنْتُ وَجْهًا كُنْتُ صَائِنَةً يَوْمًا وَوَجْهُكَ فِي الْتَرَى يَنَلِي
يَا عِصْمَتِي فِي النَّائِبَاتِ وَيَا رُكْنِي الْقَوِيَّ وَيَا يَدِي الْيَمْنَى

وقال آخر:

وَقَائِلَةٌ لَمَّا رَأَيْتَنِي مُدْلِهَا أَنْأَدِيكَ تَارَاتٍ وَأَبْجِيكَ تَارَاتٍ
لَقَدْ كُنْتُ جَلْدًا لِلرَّزِيَّاتِ قَبْلَهَا فَقُلْتُ لَهَا لَيْسَتْ كَأَحَدِي الرَّرَزِيَّاتِ
أَصَابَ بِكَ الدَّهْرُ الرَّرْزِيَّةَ وَاشْتَفَى بِيَوْمِكَ مِنْ أَيَّامِ لَهْوِي وَلَذَاتِي

وقالت ليلي الأخيلية ترثي توبة بن الحمير:

وَأَقْسَمْتُ أَبْكِي بَعْدَ تَوْبَةٍ هَالِكَا وَأَخْفِلُ مَنْ دَارَتْ عَلَيْهِ الدَّوَائِرُ
لَعَمْرُكَ مَا بِالْمَوْتِ عَارٌ عَلَى الْفَتَى إِذَا لَمْ تُصِبْهُ فِي الْحَيَاةِ الْمَعَايِرُ
وَلَا الْحَيُّ مِمَّا يُحْدِثُ الدَّهْرُ مُعْتَبٌ وَلَا أَلَمِيْتُ إِنْ لَمْ يَصْبِرْ الْحَيُّ نَاشِرُ
وَمَا أَحَدٌ حَيًّا وَإِنْ كَانَ نَاجِيًا بِأَخْلَدَ مِمَّنْ غَمِيَّتُهُ الْمَقَابِرُ
وَكُلُّ شَبَابٍ أَوْ جَدِيدٍ إِلَى بَلَى وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا إِلَى اللَّهِ صَائِرُ^(٣)

وَذَكَّرُوا أَنَّهَا دَخَلَتْ عَلَى الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ يَوْمًا فَقَالَ لَهَا بَلَّغْنِي أَنَّكَ مَرَرْتَ عَلَى قَبْرِ تَوْبَةٍ فَعَدَلْتَ عَنْهُ فَوَاللَّهِ مَا وَفَيْتِ لَهُ وَلَوْ كَانَ مَكَانَكَ مَا عَدَلَ عَنْ قَبْرِكَ فَقَالَتْ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرُ إِنْ لِي عُذْرًا قَالَ وَمَا هُوَ فَقَالَتْ إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ:

وَلَوْ أَنَّ [لِيلِي] الْأَخِيلِيَّةَ سَلِمَتْ عَلَيَّ وَفَوْقِي تُرْبَةٌ وَصَفَائِحُ
لَسَلِمْتُ تَسْلِيمَ الشَّاسَةِ أَوْ زَقَا إِلَيْهَا صَدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَائِحُ^(٤)

وَكَانَ مَعِيَ نِسْوَةٌ قَدْ سَمِعْنَ قَوْلَهُ فَكَرِهَتْ أَنْ أَمُرَّ بِهِنَّ عَلَى قَبْرِهِ فَلَا يَكُونُ مَا قَالَ، فَأَكُونُ قَدْ كَذَّبْتُهُ، فَاسْتَحْسَنَ الْحَجَّاجُ ذَلِكَ مِنْهَا وَأَمَرَ بِقَضَاءِ حَوَائِجِهَا.

وقال آخر:

دَعَوْتُكَ يَا عَلِيَّ فَلَمْ تُجِبْنِي فَرُدَّتْ دَعْوَتِي يَأْسًا عَلِيًّا
بِمَوْتِكَ بَانَتِ اللَّذَاتُ عَنِّي وَكَانَتْ حَيَّةً إِذْ كُنْتُ حَيًّا
فَيَا أَسْفِي عَلَيْكَ وَطُولَ شَوْقِي إِلَيْكَ لَوْ أَنَّ ذَاكَ يَرُدُّ شَيْئًا

(٣) لم أجد الأبيات في «شعر ليل الأخيلية»، وليل الأخيلية من عقيل بن كعب، انظر الشعر

والشعراء (لیدن) ص ٢٧٣ وفيها الأبيات. وهي صاحبة توبة بن الحمير وهو من الشعراء

للصوص عاصر جميل بثينة، المصدر نفسه ص ص ٢٦٩ - ٢٧١.

(٤) البيتان في «شعر ليل» ص ٤٨ وفي كثير من مصادر دراسة الشاعرة.

وقال البحرى :

سَقَى اللَّهَ الْجَزِيرَةَ لَا لِسِيءٍ
نَصِيْبِي كَانَ مِنْ دُنْيَايَ وَلَى
تَوَلَّى الْعَيْشُ إِذْ وَلَّى التَّصَابِي

وقال أيضاً :

بِنَا أَنْتِ مِنْ مَجْفُوءَةٍ لَمْ تَعْتَبِ
وَنَازِحَةٍ وَالْدَّارُ مِنْهَا قَرِيْبَةٌ

وقال جرير :

لَوْلَا الْحَيَاءُ لَعَادَنِي اسْتِغْبَارُ
كَانَتْ إِذَا هَجَرَ الضَّجِيجُ فِرَاشَهَا
لَا يَلْبَثُ الْقُرْنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا

وقال أبو نواس :

طَوَى الْمَوْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ
لَئِنْ عَمَرْتُ دُورَ بَمَنْ لَا أَجِبُهُ
وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَخْذَرُ الْمَوْتُ وَحْدَهُ

وقال آخر :

كُتِبَ السَّوَادُ لِمُقَلَّةٍ
مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلْيُمْتُ

سِوَى أَنْ يَرْتَوِي ذَاكَ الْقَلْبُ
فَلَا الدُّنْيَا تُحْسَنُ وَلَا النَّصِيبُ
وَمَاتَ الْحُبُّ إِذْ مَاتَ الْحَبِيبُ^(٥)

وَمَعْدُورَةٌ فِي هَجَرِهَا لَمْ تُؤْتَبِ
وَمَا قُرْبُ ثَاوٍ فِي التَّرَابِ مُغِيبٌ^(٦)

وَلَزُزْتُ قَبْرَكَ وَالْحَبِيبُ يُزَارُ
صِنَ الْحَدِيثِ وَعَفَّتِ الْأَسْرَارُ
لَبِلُ يَكُرُّ عَلَيْهِمْ وَنَهَارُ^(٧)

وَلَيْسَ لِمَا تَطْوِي أَلْمِيَّةَ نَاشِرُ
لَقَدْ عَمَرْتُ بِمَنْ أُحِبُّ الْمَقَابِرُ
فَلَمْ يَتَّقَ لِي شَيْءٌ عَلَيْهِ أَحَاذِرُ^(٨)

تَبْكِي عَلَيْكَ وَنَاطِرُ
فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحَاذِرُ

وقال أشجع :

لَئِنْ أَنَا لَمْ أُدْرِكْ مِنَ الْمَوْتِ ثَارِيَا
لَتَخْتَرِ مَيِّ الْحَادِثَاتُ وَخَسِرَتِي
لَقَدْ أَفْسَدَ الدُّنْيَا عَلَيَّ رَاقِيَهُ
وَأَذْكُرُ أَلَّا نَلْتَقِي فَكَأَنَّمَا
وَيَمْنَعُنِي مِنْ لَذَّةِ الْعَيْشِ أَنَّنِي

وأنشدني أحمد بن طاهر قال أنشدنا أبو تمام لنفسه :

هُوَ الدَّهْرُ لَا يَشْوِي وَهْنُ الْمَصَائِبِ
وَقُلْتُ أَخِي قَالُوا أَخٌ مِنْ قَرَابَةٍ
نَسِيْبِي فِي رَأْيٍ وَعَزْمٍ وَمَذْهَبٍ
كَأَنَّ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا كَأَنَّ فَتَنَّتَنِي
وَلَمْ أَتَجَهَّمْ رَبِّ دَهْرِي بِرَأْيِهِ
عَجِبْتُ لَصَبْرِي بَعْدَهُ وَهُوَ مَيِّتٌ
عَلَى أَنَّهَا الْأَيَّامُ قَدْ صِرْنَ كُلُّهَا

وأنشدني أبو طاهر الدمشقي للحسن بن وهب^(١٠) :

سَقَى بِأَلْمُوصِلِ الْقَبْرَ الْغَرِيْبَا
فَلِإِنْ تَرَابَ ذَاكَ الْقَبْرِ يَخْوِي
فَقَدْذَا مِنْكَ عِلْقًا كَانَ يُدْنِي
فَلَمَّا بِنْتَ نَكَّرْتَ أَلْيَالِي
وَأَبْدَى الدَّهْرُ قُبْحَ صَحِيفَتِهِ
فَأَخْرَ بِأَنْ يَطِيبَ الْمَوْتُ فِيهِ

(٩) الديوان (الخطاط) ص ٣٥٢.

(١٠) في «م» والمطبوع: الحسين.

(٥) الديوان ص ٢٥٦.

(٦) المصدر السابق ص ١٩٠.

(٧) الديوان ص ص ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤.

(٨) لم أجدها في الديوان.

وقال علي بن محمد العلوي:

مَنْ لِي بِمِثْلِكَ يَا رُوحَ الْحَيَاةِ وَيَا
مَنْ لِي بِمِثْلِكَ أَرْعَاهُ لِحَادِثَةٍ
قَدْ ذُقْتَ أَنْوَاعَ تُكُلٍ أَنْتَ أَبْلَغُهَا
فَالْيَوْمَ لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ أَسْتَرْيَحُ لَهُ
قُلْ لِلرَّدَى لَا يُغَادِرُ بَعْدَهُ أَحَدًا
إِنَّ السُّرُورَ تَقْضَى يَوْمَ فَارَقَنِي

وقال محمد بن منذر^(١١) يرثي صاحبه عبدالمجيد بن عبد الوهاب

الثقفي:

كُلُّ حَيٍّ لَأَقْبَى الْحِمَامِ قُمُودِي
لَا تَهَابُ الْمُنُونُ خَلْقًا وَلَا تَبُ
فَلَوْ أَنَّ الْأَيَّامَ يُخْلِدُنْ شَيْئًا
وَبِحَ أَيْدٍ حَثَّتْ عَلَيْهِ وَأَيْدٍ
إِنَّ عَبْدَ الْمَجِيدِ يَوْمَ تَوَلَّى
هَذَا رُكْنِي عَبْدَ الْمَجِيدِ وَقَدْ كُنْتُ
حِينَ تَمَّتْ آدَابُهُ وَتَرَدَّى
وَسَمَتْ نَحْوَهُ الْعُيُونُ وَمَا كَا
فَإِذَا مَا ذَكَرْتُهُ عَرَضَتْ لِي
وَكَأَنِّي أَذْعُوهُ وَهُوَ قَرِيبٌ
فَلَيْتَ صَارَ لَا يُجِيبُ لَقَدْ كَا
كَانَ لِي عِصْمَةٌ فَأَوْدَى بِهِ الدَّهْرُ
يَا فَتَى كَانَ لِلْمَقَامَاتِ زِينًا

(١١) لم أهند إليه.

لَهَفْتُ نَفْسِي أَلَا أَرَاكَ وَهَلْ عِنْدَ
خُتْنِكَ الْوَدُّ لَمْ أُمْتُ كَمَدًا بَعْدَ
لَوْ فَذَى الْخَيِّ مَيِّتًا لَقَدْتُ نَفْسَ
وَلَيْتَ كُنْتُ لَمْ أُمْتُ مِنْ جَوَى الْحَزْ
لَا قِيمَنَ مَأْتَمًا كُنْجُومِ اللَّيْلِ
مُوجَعَاتٍ يَبْكِينَ لِلْكَبِيدِ الْحَدِّ
ولبعض أهل هذا العصر:

أَمِثْلُ الَّذِي أَلْقَى يُقَاوِمُهُ صَبْرُ
لَيْتَ كُنْتُ غَرًّا بِالَّذِي لَقِيْتُهُ
تَقَضَّتْ صَبَابَاتِي إِلَيْهِ وَقَصَّرَتْ
وَكَفَّ رَجَائِي فَأَطْمَأْنَنْتُ مَخَافَتِي
فَمَا لِي رَجَاءٌ غَيْرَ قُرْبِ مَنِّي
وَلَوْ لَمْ يَحُلْ أَسْرُ الْمَنِيَّةِ بَيْنَهُ
فَلَيْتَ الْمَنَايَا وَحَدَّهَا سَمَحَتْ بِهِ
وَبَلَّغَنِي أَنْ جَمِيلًا لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ مَنْ يَأْخُذُ نَاقِيَهَا هَذِهِ وَمَا عَلَيْهَا
وَيَأْتِي مَاءَ بَنِي فَلَانٍ فَيَنْشِدُ عَنْدهُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ حَضَرَهُ
أَنَا فَأَنْشَدَهُ:

ذَكَرَ النَّعِيَّ وَمَا كُنْتُ بِجَمِيلٍ وَتَوَى بِمُضَرَّ ثَوَاءٍ غَيْرَ قُفُولٍ
غَدَرَ الزَّمَانُ بِفَارِسٍ ذِي بَهْمَةٍ ثَبَتَ إِذَا جَعَلَ الْيَلْوَاءَ يَزُولُ
فَلَمَّا قَضَى حَيَاتَهُ أَتَى الرَّجُلُ الْمَاءَ الَّذِي وَصَفَ لَهُ فَأَنْشَدَ الْبَيْتَيْنِ عَنْدهُ
فَحَرَجَتْ بَشِينَةٌ نَاشِرَةً شَعْرَهَا شَاقَّةً جَبِيهَا لِاطْمَةِ وَجْهَهَا وَهِيَ تَقُولُ يَا أَيُّهَا النَّاعِي
بِفَيْكِ الْحَجَرُ أَمَا وَاللَّهِ لَيْتَ كَذَبْتَنِي لَقَدْ فَضَحْتَنِي وَلَيْتَ كُنْتُ صَدَقْتَنِي لَقَدْ
قَتَلْتَنِي ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ:

وَأَنَّ سُلُوبِي عَنْ جَمِيلٍ لَسَاعَةً مِنْ الدَّهْرِ مَا جَاءَتْ وَلَا حَانَ جِيئُهَا
سِوَاءَ عَلَيْنَا يَا جَمِيلُ بَنَ مَعْمَرٍ إِذَا مِتُّ بِأَسَاءِ الْحَيَاةِ وَلِيئُهَا
وَيُقَالُ: إِنَّهَا لَمْ تَقُلْ شِعْرًا غَيْرَهُ.

وَذَكَرُوا أَنَّ عُرْوَةَ بَنَ حِزَامٍ لَمَّا أَنْصَرَفَ مِنْ عِنْدِ عَفْرَاءِ ابْنَةِ عِقَالٍ فَنُوفِي
وَجَدَهَا بِهَا وَصَبَابَةً إِلَيْهَا، مَرَّ بِهِ رَكْبٌ فَعَرَفُوهُ فَلَمَّا أَنْتَهَوْا إِلَى مَنْزِلِ عَفْرَاءَ صَاحَ
صَاحِبُ مِنْهُمْ:

أَلَا أَيُّهَا الْقَصْرُ الْمَغْفَلُ أَهْلُهُ نَعَيْنَا إِلَيْكُمْ عُرْوَةُ بَنَ حِزَامٍ
فَفَهِمَتْ صَوْتَهُ فَفَزَعَتْ وَأَشْرَفَتْ فَقَالَتْ:

أَلَا أَيُّهَا الرُّكْبُ الْمَخْبُوءُ وَيَحْكُمُ بِحَقِّ نَعَيْنُكُمْ عُرْوَةُ بَنَ حِزَامٍ
فَأَجَابَهَا رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ:

نَعَمْ قَدْ تَرَكْنَاهُ بِأَرْضٍ بَعِيدَةٍ مُقِيمًا بِهَا فِي سَبَسٍ وَأَكَامٍ
فَقَالَتْ لَهُمْ:

فَإِنْ كَانَ حَقًّا مَا تَقُولُونَ فَأَعْلَمُوا بِأَنَّ قَدْ نَعَيْنُكُمْ بَدَرَ كُلِّ ظَلَامٍ
فَلَا لَقِيَّ الْفَتَيَانِ بَعْدَكَ لَذَّةً وَلَا رَجَعُوا مِنْ غِيَةِ بِسْلَامٍ
وَلَا وَضَعْتُ أُنْثَى تَمَامًا بِمِثْلِهِ وَلَا فَرَحْتُ مِنْ بَعْدِهِ بِغَلَامٍ
وَلَا لَا بَلَّغْتُمْ حَيْثُ وَجَّهْتُمْ لَهُ وَنَغَضْتُمْ لَذَاتِ كُلِّ طَعَامٍ

ثُمَّ سَأَلْتُهُمْ أَيْنَ ذَنْوُهُ فَأَخْبَرُوهَا فَسَارَتْ إِلَى قَبْرِهِ، فَلَمَّا قَارَبَتْهُ قَالَتْ:
أَنْزِلُونِي فَإِنِّي أُرِيدُ قَضَاءَ حَاجَةٍ فَأَنْزِلُونَهَا فَأَنْسَلْتُ إِلَى الْقَبْرِ فَأَنْكَبْتُ عَلَيْهِ
فَمَارَعَهُمْ إِلَّا صَوْنَهَا فَلَمَّا سَمِعُوهُ بَادَرُوا إِلَيْهَا، فَإِذَا هِيَ مَمْدُودَةٌ عَلَى الْقَبْرِ قَدْ
خَرَجَتْ نَفْسُهَا فَدَفَنُوهَا إِلَى جَنْبِهِ. ثُمَّ أَلْقَوْا وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ وَالصَّلَاةُ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ.

قَدْ وَفَّيْنَا بِحَمْدِ اللَّهِ مِنَ التَّنْشِيبِ بِكُلِّ مَا ضَمِنَاهُ عَلَى حُسْنِ التَّرْتِيبِ

الَّذِي قَدَّمْنَاهُ، فَأَفْرَدْنَا لَهُ خَمْسِينَ بَابًا، وَوَفَّيْنَا كُلَّ بَابٍ مِثَّةَ بَيْتٍ مَعَ مَا دَخَلَ فِيهَا
مِنْ تَوَاجِعِ الْأَبْيَاتِ وَشَوَاهِدِ الْإِخْتِجَاجَاتِ. وَلَوْ لَمْ يَدْخُلْ فِي الْبَابِ مِنَ الشِّعْرِ
إِلَّا مَا يُوَاطِئُ تَرْجَمَتَهُ مُفْرَدًا مِنْ كُلِّ مَا يَتَّصِلُ بِهِ، لَحَاجَ أَكْثَرُ الْأَشْعَارِ مُتَبَيِّرًا.
وَلَبَقِيَ عَامَّةُ الْكَلَامِ مُسْتَوْجِشًا، لِأَنَّ الْبَيْتَ يَقْتَضِي الْأَبْيَاتَ، وَالْكَلَامَ يَطْلُبُ
الْإِخْتِجَاجَاتِ. وَلَيْسَ حَسَنًا أَنْ يُذَكَّرَ الْبَيْتُ لِمَعْنَى فِيهِ يُشَاكِلُ الْبَابَ، وَتُفْرَدُ
سَائِرُ مَعَانِيهِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْبَيْتِ الَّذِي يَلِيهِ، مِمَّا يَنْتَظِمُ مَعَهَا وَيُنْبِئُ عَلَى صَحَّتِهَا
وَحُسْنِهَا. عَلَى أَنَّهُ لَوْ لَزِمْنَا أَنْ لَا نُضْمِنَ الْبَابَ إِلَّا مَا يَطَابِقُ لَفْظُهُ مُفْرَدًا،
مِمَّا يَقْتَضِيهِ وَيَتَّصِلُ بِهِ، أَلَزِمْنَا تَفْصِيلَ الْمِصْرَاعِ مِنَ الْمِصْرَاعِ الَّذِي
لَا يُشَاكِلُهُ، حَتَّى لَا يَكُونَ فِي الْبَيْتِ كَلِمَةٌ تَقْتَضِي مَعْنَى لَيْسَ الْبَابَ مُوجِبًا لَهُ.
لِأَنَّ فِي أَشْعَارِ بُلْغَاءِ الْعَرَبِ الَّذِي يَتَضَمَّنُ أَوَّلُهُ مَعْنَى، وَيَتَضَمَّنُ آخِرُهُ غَيْرَهُ، إِذِ
الْبَلَاغَةُ الصَّحِيحَةُ وَالْمُخَاطَبَةُ الْفَصِيحَةُ، فِي جَمْعِ الْمَعَانِي الْكَثِيرَةِ بِالْأَلْفَاظِ
الْقَلِيلَةِ، وَرُبَّمَا تَضَمَّنَ الْمِصْرَاعُ الْمَتَأَخَّرُ ضِدَّ مَا يَتَضَمَّنُهُ الْمِصْرَاعُ الْمَتَقَدِّمُ.
وَلَوْ فَعَلْنَا ذَلِكَ لَخَرَجَ كِتَابُنَا عَنْ حَدِّ الْعُلُومِ الْمُسْتَعْمَلَةِ، وَالْآدَابِ الْمُسْتَحْسِنَةِ
إِلَى حَدِّ الْجَهَالَاتِ الْمُطْرَبَةِ وَالنَّوَادِرِ الْمُضْحِكَةِ، وَلَخَرَجَتْ الْأَبْيَاتُ لِنَقْطَعِ
نِظَامِهَا وَبَرَّرَ كَلَامُهَا عَنْ بَابِ الْأَشْعَارِ. فَإِذَا كَانَ الْإِخْتِجَاجُ وَالْإِضْطِرَارُ مَعَ يَمْنَعَانِ
مِنْ أَنْ لَا نَدْخُلَ فِي بَابٍ إِلَّا مَا تَوَجَّهَ تَرْجَمَتُهُ الْمَتَقَدِّمَةُ لَهُ، إِذَا فَلَا بُدَّ مِنْ
إِدْخَالِ الْبَيْتِ مَعَ الْبَيْتِ يُزَاوِجُهُ، وَمَعَ الْإِخْتِجَاجِ يُطَابِقُهُ، وَإِنْ كَانَ مِمَّا لَوْ أُفْرِدَ
فِي نَفْسِهِ لَكَانَ الْبَيْتُ غَنِيًّا عَنْ ذِكْرِهِ. وَالَّذِي مَنَعَنِي أَنْ أَجْعَلَ أَبْيَاتِ كُلِّ بَابٍ
مِثَّةً كَامِلَةً فِي خَاصِيَةِ مَعْنَاهُ سِوَى مَا يَتَّصِلُ بِهِ مِمَّا يَدْخُلُ فِي مَعْنَى سِوَاهُ شَيْئَانِ
أَحَدُهُمَا: أَنِّي لَوْ فَعَلْتُ ذَلِكَ لَمْ أَضْبُطْهُ إِلَّا بِتَحْلِيلِ الْمُقْطُوعَاتِ، بَلْ بِاتِّخَاذِ
كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَبْيَاتِ، وَفِي ذَلِكَ مَا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ مِنْ تَهَجُّجِ الْكِتَابِ وَتَقْبِيحِ
الْأَبْوَابِ. وَالْآخَرُ أَنَّ الْأَبْوَابَ جَيِّنْدٌ كَانَتْ تَكُونُ بِغَيْرِ عَدَدٍ مَحْصُورٍ وَلَا حَدِّ
مَقْصُورٍ. وَإِنَّمَا عَمِدْنَا أَنْ يَكُونَ الْكِتَابُ مِثَّةً بَابٍ بِمِثَّةِ بَيْتٍ، فَيَشْتَمِلُ طَرَفَاهُ
عَلَى عَشْرَةِ آلَافٍ بَيْتٍ. وَلِلْمُحَافَظَةِ عَلَى ذَلِكَ وَالْمُرَاعَاةِ لِتِمَامِ الشَّرْطِ فِيهِ،

أَعَدْتُ فِيمَا ذَكَرْتُهُ مِنْ سِرَقَاتِ الشُّعْرَاءِ خَمْسَةَ آيَاتٍ فَقَدْ مَرَّتْ فِي أَبْوَابِ
الْغَزْلِ تَكُونُ قِصَاصًا مِنَ الْخَمْسَةِ الْآيَاتِ الَّتِي فِي الرِّسَالَةِ الْمُقَدِّمَةِ فِي صَدْرِ
الْكِتَابِ. فَتَحْنُ لِأَنْ لَا يَخْرُجَ الْعَدَدُ عَنْ حَدِّ مَا قَصَدْنَاهُ أَعَدْنَا آيَاتًا قِصَاصًا عَنْ
الْآيَاتِ لَيْسَتْ مَحْسُوبَةٌ فِي بَابٍ، وَإِنَّمَا هِيَ مُتَمَثِّلٌ بِهَا فِي عَرُوضِ الْخِطَابِ.
فَلَوْ سَامَحْنَا فِي أَنْ تَكُونَ الْإِحْتِجَاجَاتُ وَالْآيَاتُ الْمُتَعَلِّقَاتُ بِمَا يُشَاكِلُ الْبَابَ
مِنَ الْآيَاتِ، غَيْرَ دَاخِلَاتٍ فِي الْعَدَدِ، لَأَسْتَحَالَتِ التَّسْوِيَةُ بَيْنَ الْأَبْوَابِ وَلَفَسَدَ
تَرْتِيبُ الْكِتَابِ.

وَنَحْنُ الْآنَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَقَدْ أَتَيْنَا عَلَى الْخَمْسِينَ الْمَاضِيَةِ مِنَ
الْأَبْوَابِ، مُبْتَدِئُونَ فِي الْخَمْسِينَ الْبَاقِيَةِ مِنَ الْكِتَابِ، فَأَوَّلُ مَا نَشْرَعُ فِيهِ مِنْ
ذَلِكَ مَا قِيلَ فِي تَعْظِيمِ أَمْرِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَالتَّنْبِيهِ عَلَى قُدْرَتِهِ، وَالِدَّلَالَةُ
عَلَى آيَاتِهِ، وَالتَّحْذِيرُ مِنْ سَطَوَاتِهِ. ثُمَّ نَعْقِبُ ذَلِكَ مَا قِيلَ فِي رَسُولِهِ - صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثُمَّ نَتَّبِعُ ذَلِكَ مَا قِيلَ فِي الْمُخْتَارِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ - رَحِمَهُ
اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَصَلَوَاتِهِ - ثُمَّ نُنْسِقُ إِلَى آخِرِهَا عَلَى أَحَقِّ التَّرْتِيبِ بِهَا، حَسَبَ
مَا تَبَلَّغُهُ أَفْهَامُنَا، وَيُؤَيِّمُ إِلَيْهِ اخْتِيَارُنَا. وَإِنَّمَا قَدَّمْتُ أَبْوَابَ الْغَزْلِ مِنْهَا دِينًا
وَدُنْيَا. وَ[مِمَّا] هُوَ أَدْعَى إِلَى مَصَالِحِ النَّفْسِ وَأَدْخَلَ فِي بَابِ التَّقْوَى، لِأَنَّ
مَذْهَبَ الشُّعْرَاءِ أَنْ تَجْعَلَ التَّنْشِيبَ فِي صَدْرِ كَلَامِهَا مُقَدِّمَةً لِمَا تُحَاوِلُهُ فِي
خِطَابِهَا، حَتَّى إِنْ الشُّعْرُ الَّذِي لَا تَنْشِيبُ لَهُ لِيَلْقَبَ بِالْخَصَا، وَتُسَمَّى الْقَصِيدَةُ
مِنْهُ الْبَرَاءُ. وَإِنْ قَائِلُهَا لِيُخْرِجَ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْأَشْعَارِ، عِنْدَ عَمَلٍ يَدْخُلُ
فِيهِ الْمُوصُوفُونَ بِالْإِقْدَارِ، وَالْمُنْسُوبُونَ إِلَى حُسْنِ الْإِخْتِيَارِ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ
لَا أَخْرُجَ فِي تَأْلِيفِ الشُّعْرِ عَنْ مَذْهَبِ الشُّعْرَاءِ دَلِيلًا عَمَّا ضَمِنْتُ مِنْ رِعَايَةِ
حُقُوقِ الْمُشَاكِلَةِ. وَلَمْ يَصْلُحْ إِذَا انْقَضَى ذِكْرُ التَّنْشِيبِ بِالْغَزْلِ، أَنْ أَقْدِمَ عَلَى
أَمْرِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - أَمْرًا، وَلَا أَرْسُمَ بَيْنَ يَدَيَّ الْأَشْعَارِ الدَّلَالَةَ عَلَى عَظَمَتِهِ
شِعْرًا. وَلَمْ أَجِدْ أَحَدًا مِنَ الشُّعْرَاءِ اتَّسَعَ فِي هَذَا النَّحْوِ اتِّسَاعَ أُمِّيَّةِ بْنِ

أَبِي الصَّلْتِ. عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُسَلِّمْ فَيُعْظَمِ الْإِسْلَامُ فِي قَلْبِهِ مَا لَا تُعْظِمُهُ إِقَامَتُهُ.
عَلَى كُفْرِهِ. وَأَشْعَارُ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي هَذَا الْمَعْنَى وَمَا كَانَ شَكْلُهُ أَوَّلَى أَنْ
يُقَدَّمَ مِنْ أَشْعَارِ الْإِسْلَامِيِّينَ، لَا لِسَبْقِهِمْ فِي الزَّمَانِ؟ وَلَا لِتَقْدِيمِهِمْ فِي الْأَسَانِ،
وَلَكِنْ لِأَنَّ إِقْرَارَ الْخُصْمِ بِدَعْوَى خُصْمِهِ أَقْطَعُ لِلْجَدَلِ مِنْ ادِّعَاءِ الْمَرْءِ حَقًّا
لِنَفْسِهِ، وَإِنْ أَقَامَ الْبَيِّنَةُ بِصِحَّةِ قَوْلِهِ.

وَنَحْنُ نُقَدِّمُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ - مَا نَخْتَارُهُ مِنْ شِعْرِ أُمِّيَّةٍ
وَأَصْحَابِهِ، وَالْدَّاخِلِينَ مَعَهُ فِي بَابِهِ، فَإِنَّهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَتْلُغُوهُ، فَقَدْ رَمَوْا غَرَضَهُ
فَقَارَبُوهُ.

يَتْلُوهُ الْبَابُ الْحَادِي وَالْخَمْسُونَ ذَكَرَ مَا قَالَهُ أُمِّيَّةٌ
وَنَظَرَاؤُهُ فِي تَعْظِيمِ أَمْرِ اللَّهِ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ -
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
وَالصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِهِ
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
أَجْمَعِينَ.

بَلَغَ هَذَا الْكِتَابُ الْمُبَارَكَ تَضَجِيحًا وَمُقَابَلَةً مَعَ نُسخَةِ أَصْلِهِ عَلَى حَسَبِ الْجُهْدِ
وَالطَّاقَةِ فَصَحَّ وَوَافَقَ فِي ذِي قَعْدَةِ سَنَةِ ثَمَانٍ عَشْرَةَ وَسَبْعَ مِثَّةٍ مِنْ
الْهَجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ.

كُتِبَ مُقَابَلَةً مَعَ الْمُتْلُوكِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْمُقَاتِلِ أَحْمَدُ بْنُ فَهْدِ بْنِ أَبِي الْفَدَاءِ
إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَمِي أَيْدَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

رقم الإيداع لدى مديرية المكتبات والوثائق الوطنية
(١٩٨٥/٣/١١٠)